الروايات الاجتماعية



المجموعة الثانية

جمال شاهين

منشورات المكتبة الخاصة

الروايات الاجتماعية

المجموعة الثانية



جمال شاهين

جمع ٢٠٢٢

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جمال شاهين

الروايات الاجتماعية

المجموعة الثانية


غربتي وابنتي
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

روايات اجتماعية

جمال شاهين

غربتي وابنتي

كانت حياتي حياة شهوات وجنس ، والبحث عن الملذات من الأكل والشراب واللعب واللهو والمخدرات .. حياة مادية .. ورغم لذتها لكن زوالها سريع .. وكم من معارفنا هلك بالإيدز ؟.. بالموت بجرعة زائدة من المخدرات .. التعرض لحادث سير أثناء حالة سكر .. وأنت لك سنوات تعيشين بيننا ، ورأيت من المشاكل .. وكم عالجنا نساء حوامل يتعاطين الكحول والمخدرات وهن غير مباليات بحياة الأجنة ؟ ولماذا يقبلن بالحمل وهنّ راغبات بقتله؟! فجرت باسم الحب ، وامرأتي كانت تفجر باسم الحب والحرية الشخصية .. أليس هذا حمقا وسفاهة؟ ..

ـ عندكم العلم !

ـ هو هذا الذي يخفي عن أعين الناس حياتنا الماجنة .. عندنا التكنولوجيا والصواريخ .. فجرت أمريكا بطياراتنا .. فاخترعوا الإرهاب العالمي ليمنعوا الناس من الإسلام .. ولكن الناس أخذت تسأل عن الإسلام .. ولماذا جرى هذا الحادث بهدم الأبراج ؟

ـ إننا نحمل جنسية غربية .. ومع ذلك فنحن نعاني من هذا الحادث .. فأصولنا الإسلامية تطاردنا .. ويسخرون منا ويعتبروننا قنابل موقتة ..

ـ زوبعة في فنجان ..إنهم يريدون مسلمين بلا إسلام ، لهم الأسماء فقط ؛ ليقولوا بلادنا تجتمع فيها جميع ملل العالم ، وهي تعيش بسلام ووئام .. لا يريدون المزيد من المساجد ..والمراكز الإسلامية .. أما التبشير فمسموح به في بلاد المسلمين بالتطبيب بالتعليم بالأفلام ..

جمال شاہین



١	ليلة العرس	٢	شمس عمري
٣	أيتام الحداد	٤	صديق أمي
٥	الأخ شريف	٦	أستاذ الفرنساوية
٧	غربتي وابنتي	٨	حي أبو خروف
٩	الشقق السوداء	١٠	حياتي قبل الحياة
١١	الحفل بالقط الأسود	١٢	امرأة نزيه
١٣	رهاب الطلاق	١٤	

حفلة زواج

كان الطبيب البشري مجدي حسن يستقبل ضيوفه على مدخل صالة الفندق المخصصة لحفل زواجه ، وكان الأقارب والمدعون يتوافدون إلى القاعة لمشاركة الطبيب فرحه.

وكان يقف معه في الاستقبال والترحيب بعض إخوته وخاصة منهم شقيقه الأكبر عادل حسن وبعض أبنائهم ، وكانوا يشيرون للضيوف إلى الأماكن الخالية والموائد المناسبة.

فسلم عليه زميل له أيام الدراسة في كلية الطب الدكتور ماهر طه وعانقه وبارك له ، وهتف قائلا والفرح يغمره : أخيرا ! أخيرا استسلمت يا دكتور مجدي !

ضحك العريس وقال : نعم ، لقد استسلمت أخيرا للزواج .. يا مرحبا بك.. أهلا وسهلا بالعزيز ماهر

وحيا ورحب بزوجة الدكتور بهز رأسه ، فهو يعرفها حق المعرفة وقال مداعبا : كم طفلا عندكم اليوم ؟!

ضحكت الزوجة فاطمة وقالت : بفضل من الله وحده خمسة يا دكتور مجدي .. دكتور وعنده خمسة مواليد عقبال عندك .

تابع الطبيب العريس ضحكه وقال معقبا : واحد يكفي اليوم.

وقال ماهر وهو يشير لرجل قريبا منهم : أخي مروان .. أيضا طبيب.

حيا مروان مجديا وبارك له اقترانه ، وتابعوا الدخول للقاعة ، وتابع مجدي الترحيب بالضيوف واستمر الاستقبال والمداعبات البريئة والنكات الظريفة حتى انهمك المدعوون بتناول ما قدم إليهم من طعام وحلوى أعدها لهم الفندق .. وبعد ساعتين من الفرح والمرح المتواصل أخذ المشاركون بالحفل بالانصراف والمغادرة وهم من جديد يباركون للعروسين ، ويدعون لهم بالحياة السعيدة والذرية الصالحة.

وبقي بعض الأهل والأقارب للطرفين العريس مجدي ذو الأربعين عاما ، والعروس ذات الخمس والعشرين سنة السيدة هناء محمد ينتظرون مغادرة العروسين للمطار حيث سيغادران

البلاد إلى تركيا وبعض بلدان أوروبا لقضاء ما يسمى شهر العسل ، عادة انتشرت في العالم ، ومنه العالم العربي والإسلامي .

جاءت سيارة خاصة لتقلها للمطار الدولي للسفر لتركيا لقضاء عدة أيام فيها ، ومنها للنمسا وسويسرا حيث يستمتعون بالحياة في ربوع تلك البلدان ، وبالأيام الأولى من الزواج.

ولقد طلق الطبيب مجدي العزوبية من عهد قريب عندما التقى بالآنسة هناء محمد عن طريق أخته بسمة حسن التي كلفها بالبحث عن زوجة له بعد حسم أمره وقرر الزواج ودخول قفص الزوجية كما يقال ، وخاصة أنه شارف على الأربعين، ولم يخض تجربة الزواج والأطفال السيد مجدي عندما تخرج من كلية الطب كطبيب بشري عمل بعضا من السنين كطبيب في مشافي الحكومة ، ثم تعاقد للعمل في إحدى دول الخليج في أول فترة الطفرة النفطية والاستقلال ، وكان قد أخذ شهادة الاختصاص في طب وجراحة العظام فهو جراح عظام ، وأخذ كذلك يلمع اسمه على مستوى أقطار الخليج الستة حيث الثروة والمال وانتشار السيارات ، وما أدراك ما حوادث السيارات ؟!

وكان صاحبنا مجدي قد التقى بفتاة أثناء الدراسة الأولى وجرى بينهما استلطاف كاد أن يؤدي لزواج بعد التخرج ، ثم اكتشف الشاب أن الفتاة التي وثق بها تحب زميلا آخر فكرهها وكره جنس النساء من أجلها ، كما كان يزعم لرفاقه ، ثم هجر فكرة الزواج نهائيا حتى أشرف على الأربعين فغير رأيه فجأة ، وطلب من شقيقته بسمة السعي في اختيار زوجة مناسبة له ، رغم عمله في المستشفيات بضع سنوات والتقائه بالكثير من الموظفات والممرضات والطبيبات العزباوات لم يقترن بواحدة منهنّ ، وكان يصد كل فتاة تقترب منه صدا جميلا ، حتى كبر سنه وبلغ الأربعين ، وعلى أثر وفاة أمه بعد أبيه أخذ يفكر بالنكاح بشكل جدي ، وقد أخذت أخته الكبيرة بسمة حسن تكثر من الكتابة في رسائلها إليه حول سنه وحاجته للزواج ، وكذلك في مكالماتها الهاتفية معه فلان وكلفها بالسعي في تحقيق هذه الغاية الكبيرة من حاجات الإنسان البالغ العاقل ، فكانت ترسل إليه بصور الفتيات التي تراهن مناسبات

للزواج من شقيقها فبعد عدة محاولات أعجب بصورة واحده منهنّ ، وأخذ إجازة وعاد للبلد وقابل الفتاة هناء محمد ، واستحسنها وقبلها زوجة ، وهي فتاة عاملة في إحدى شركات القطاع العام تحمل شهادة علوم إدارية من إحدى الجامعات ؛ ولكنها بعد الاتفاق على الزواج ودعت الوظيفة ، واستسلمت لطلب زوجها بهجر العمل والاستعداد للزواج والسفر لخارج القطر ، وكتب عقد الزواج ، وها هو قدم في إجازة ؛ ليكون الزواج الذي تحدثنا عن في أول الكلام ، وسافر العروسان إلى تركيا ومنها لأوروبا لقضاء بضعة أسابيع قبل العودة للعمل .



الحياة منحة وهبة ربانية ، وحياتنا أسرارها عجيبة ، وسعادتها كما تعلمون قصيرة .. لا تخلو الحياة من منغصات وآلام تتفاوت بين الناس ، والسعيد من اتعظ بغيره ، قضى الطبيب المهاجر ثلاث سنوات من الزواج ولم يتمكن من الإنجاب ، كان الزوجان سعيدين ببعضهما ؛ ولما مضت السنة الثانية من حياتهما الزوجية دون تمكن من الإنجاب تسرب الخوف والانزعاج إلى قلبيهما ، فالخلفة أمر مهم في حياة الأسرة الشرقية كما هو معلوم وشائع ، أجرى الرجل فحصا طبيا خاصا بالقدرة على الإنجاب [١]، فتبين له رغم ضعفه الجنسي بسبب السن يمكنه الإنجاب ببعض المتابعة الطبية وفعلت الزوجة الفحوصات اللازمة للإخصاب والحمل ، فوجدت أنها سليمة مائة في المائة وتستطيع الحمل من غير عوائق مادية ، ولما مضت السنة الثالثة دون نجاح أي حمل وافق الطبيب مجدي وللهفة هناء على مولود وافق على أخذ أدوية

[١] - تبدأ هذه الفحوصات بتحليل السائل المنوي للزوج ثم بعد ذلك إجراء الفحوصات الخاصة بالزوجة مثل السونار للكشف عن المبايض والرحم والأشعة بالصبغة للتأكد من سلامة الأنابيب وعدم وجود انسداد .

منشطة للجهاز التناسلي ومقوية للحيوان المنوي ، وسيكون ذلك تحت إشراف مستشفى خاص بالعقم والولادة ، واستمر ذلك سنة ودون فائدة ، وقبل انقضاء السنة الخامسة لزواجهما جاء الفرج والحمل بدون أدوية وشاء المولى أن يكون حملا طبيعيا ، فعمت السعادة والبسمة البيت من جديد خاصة بعد أن ثبت الحمل ونجا من الإجهاض المتكرر ، وغمر الود والحب الأسرة من جديد بعد أن كادت تنتهي بسبب الحمل والذرية ، وحملت أسلاك الهاتف الخبر للبلد ، وغمرت الفرحة أم هناء ووالدها ، وكذلك أهل مجدي من أخوة وأشقاء فقد وصلتهم المعاناة التي يعاني منها الزوجان ، ففرحت خالاته وعماته بذلك ، وكان الكل يخشى الطلاق للزوجين ؛ لأن مجديا لو فشل زواجه فلن يكرر الزواج ثانية خاصة أنه اقترن بعدما وصل سنه الأربعين سنة .. سبحان الباري في علاه ! .. فالناس تفرح وتسعد للمواليد الجدد والأجيال الجديدة.

ولدت هناء بنتا جميلة كاملة وتامة أشهر الحمل ، فسميت زهيرة لأنها أزهرت عليهم حياتهم بعدما نغصت حياتهم قضية الحمل .. فحمد القوم الله المنعم الوهاب ، وتذكر مجدي ليلة زفافه عندما تمنت له الدكتورة فاطمة زوجه صديقه ماهر الذرية وأنها قد ولدت خمسة أبناء، فرد عليها يومها واحد يكفي اليوم تذكر ذلك الحوار القصير .. لقد كانت المعاناة شديدة من أجل هذا الواحد فقال لنفسه التي تستذكر تلك الثواني هل واحد يكفي يا ترى ؟! البنت ألا تريد أخا كما يقال عندنا ؟ ألا تريد أنت ؟ مضت خمس سنوات في انتظار زهيرة

التفت وهو يفكر في ذلك للبنت الرضيعة وحملها وعانقها وهو ينظر لعيني أمها التي انزعجت من طريقة حملها فقالت : مجدي إنها نائمة.

فأعادها للسرير الخاص بها وتنهد وقال : خمس سنوات انتظار يا هناء عشرات الساعات قضيناها من أجل أن نراها.. حياتنا الزوجية كانت على كف عفريت كما يقال قبل أن تطل علينا بطلعتها البهية .. نظرة الحياة والأمل.. لم أكن أدرك حب الأطفال أنه بهذه القوة لو عرفت ذلك لتزوجت قديما ؛ ولكنه القدر .. أنت أم هذه الطفلة ليست علا .. أتعرفين علا ؟

قالت : حدثتني عنها عندما سألتك لماذا لم تتزوج لليوم ؟ إنها زميلتك في الجامعة الزميلة التي غدرت بك وتعلقت بأعز أصحابك ، سمعت هذه القصة

ـ القدر !! ما هو القدر يا هناء ؟ أتفهمين في الدين؟

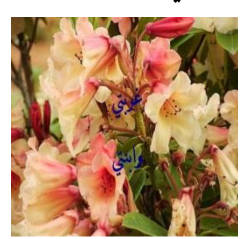
ـ بعض الشيء ربما ثقافة عامة

عانق الطبيب فتاته من جديد وأعادها ثانية للسرير وقال :إنها جميلة مثلك يا هناء رغم سمارها الجميل إني أحبها أحبها

ـ شد حيلك لتنجب لها أخا أو أختا

نظر إليها شزرا وقال : أمستعجلة على الحمل ؟!

قالت بجفاء : لم نعد صغارا يا دكتور مجدي.



كانت هناء محمد لديها أشد الرغبة بالحمل والولادة من جديد ، فكانت ترى أن السنين تتقدم بها سريعا ، فعليها أن تدرك نفسها بعدد من الولادات قبل فوات الوقت ، مع أنها تبلغ من العمر يومئذ الثلاثين عاما ، وما زال لديها الوقت للإباضة والحمل ، وكانت تلح بشدة على زوجها لمحاولة العلاج من ضعف وجودة حيواناته المنوية ، ويضطر الرجل لتذكيرها بفشل ذلك قبل إنجاب زهيرة ، وليترك الأمر لمشيئة الله ، فتحتج أن العلاج من مشيئة الله تعالى، فيثور ويقول كله من مشيئة الله بالتأكيد ؛ وإنما قصدي يا محترمة أن يكون طبيعيا دون هذه الوسائل .

ثم تبرر فتقول العمر يمضي يا مجدي .. اليوم عندي صحة لمزيد من الحمل

ـ دعِ الأمر لصاحب الأمر ، إذا وفقنا لتربية زهيرة وتنشئتها فهذا أكبر خير وأكبر فضل.

ـ أنت تكبر يا مجدي ، وتضعف قدرتك على الإنجاب، الأمومة لا تكون بمولود واحد

فحسب .. لو كل سنة أرزق بمولود سأكون أسعد الناس ، لا تحرمني من هذه النعمة .. ليتني ألد التوائم .

تنهد ضيقا وحزنا وقال : عجيب أمرك يا زهيرة ! ولماذا تأخر زواجك ما دمت بكل هذا العشق للذرية ؟!

ـ تأخر ابن الحلال .. كنت في القدر من نصيبك

فقال بسخط : أنا لا أحب الأبوة كثيرا ؛ لذلك كرهت الزواج وجنس النساء .. فتكفي زهيرة وسلمي أمر الإنجاب لله .. هل طلبت منك استخدام أي مانع للحمل رغم أنك وضعت من شهور ؟

ردت بنوع من الغضب : ربما أنت تستعمل الموانع يا حضرة الدكتور .. أليس هناك موانع ذكرية ؟ ! لنا ست سنوات زواج حتى أكرمنا المولى بزهيرة .. وها هي بدأت تحاول المشي يا مجدي .

ـ لتأخذ حقها في الرضاعة الطبيعية واللبن يا بنت الكرام .. الرضاعة سنتان .. أربعة وعشرون شهرا.

اعترفت قائلة : توقفت عن الرضاعة الطبيعية

قال دهشا : ماذا ؟! لمَ لم تخبريني يا هناء ؟ ألسنا شركاء ؟ فمن حق زهيرة أن ترضع حولين كاملين.

ـ أكمل لمن أراد أن يتم الرضاعة.. وقبل أن تثور فاعلم أنها هي التي تركت صدري .. لم تعد تحب الرضاعة ، وسألت طبيبة المركز الطبي قالت بعض المواليد يكرهون حليب الأمهات .. ويستلذون على اللبن الصناعي

ـ لابد أنك مقصرة في الرضاعة ، وأكثرت من رضاعتها بالقنينة والحليب الصناعي فأحبته .. الرضاعة دواء لك ولها يا جاهلة.. فالرضاعة الطبيعية تضعف أمراض السرطان عند النساء عندما يكبرن ويتركن الحمل والرضاعة ، وتقوي جهاز المناعة للمولود .. أنت الخاسرة قبل

زهيرة

ـ صدق أنها تخلت عن صدري بدون ضغط مني ، لم أفعل شيئا لأحرمها من لبني ، لا حليب لديّ.. أمي أخبرتني أنها هكذا .. سنة واحدة رضاعة فقط ، ثم يجف اللبن .

قال ساخطا : وراثة إذن هل هذا معقول أم أنّ هناك مرضا ؟!

فصاحت في وجهه غضبا : إنها ابنتي.. وأنا أحبها أكثر منك.. أنا لم احرمها من الحليب.. ضعف ثم انقطع .

فعاد يقول بصوت هادئ : اهدئي يا حبيبتي ولماذا انفعلت ؟

ـ إنك تثير الأعصاب يا مجدي! إنك تشعرني بكلامك ونظراتك كأنني ارتكبت جريمة بحقها أليس من حقي أن أنجب الأطفال ؟ فعندما أكلمك حول ذلك تكبر القضايا وتجعلها قضية مصيرية .. تردد على الأطباء خذ أدوية ومنشطات .. تنفعل وتقول دعي الأمر للخالق وحده وهل ينفع علاج بدون رضا الخالق وتيسيره؟ .. فالعلاج من الخالق

ـ الأمر لله يا بنت الناس! وأنت تعلمين أنني لست بحاجة لعلاج جنسي .. والهبة من الله وحده

فقالت بحدة خفيفة : ولماذا يتداوى الناس؟! ويذهبون لعيادة الطب يا حضرة الطبيب

ـ سألت كذا طبيب .. وكلهم يقول إنني سليم من ناحية الجهاز التناسلي.

ـ لديك بعض المشاكل في القلب والدم ربما يكون لها تأثير على نطفك ، وإنني يمكنني أن أنجب مرة وثانية وثالثة .. عمر زهيرة قريب من السنة ولم يحصل حمل!

ـ الرضاعة من موانع تأخير الحمل عند بعض النساء

فقالت بضجر : لا أدري لماذا أنت تكره الخلفة؟! كأنك أنت الذي سيحمل الجنين .

قهقهة الدكتور ، وتابعت هناء قائلة : وأنت الذي أخبرتني أن زوجة الدكتور ماهر الطبيبة أنجبت سبعة منذ زواجها قبل عشرين سنة

قال : نعم عندهم سبعة بنين يريدون بنتا ولم تأت البنت

ـ أريد أخا أو أختا لها يا مجدي لا سبعة

تبسم وقال : أنت ما زلت صغيرة تجاوزت الثلاثين بقليل .. فالأمل موجود .. وسأذهب إلى أفهم أخصائي عقم في المدينة ـ الطبيب بارود صاي ـ لتعلمي أنني لست المشكلة .. أتمنى أن تصبح هذه القضية قضية ثانوية يا عزيزتي وأن نسلم الأمر لله .

فقالت : وأنا مسلمة أمري لله.. والأخذ بالأسباب ليس ضد الدين كما أعرف وأسمع كثيرا.

نشأت زهيرة وأصبح عمرها خمس سنوات ، ولم يتحقق الحمل ثانية لهناء ، كانت في ضيق ونكد بسبب ذلك ، كان الألم يعصر قلبها لهفة لحمل آخر ، وكم تضيق نفسها عندما تسمع عن أخت لها أو لزوجها قد ولدت ! وتكاد أن تنفجر عندما تزور أهل زميل أو صديق لزوجها ولدت امرأته ، كانت تذهب مكرهة ؛ وكأنها ذاهبة لعزاء ليس لفرح ، كان ذا مما يثير شجونها ويهيج عواطفها ورغبتها بأن تكون هي التي وضعت المولود ، لديها لهفة وشوق لذلك ، وكلما سمعت المرأة عن طبيب نسائي وأخصائي علاج عقم تذهب إليه مسرعة ، وتضغط على مجدي ليعرض نفسه من جديد عليه ؛ ولكن دون جدوى ، فالكل يؤكد أنه يستطيع الإنجاب لا مشاكل تمنعه من الإخصاب ، لذلك كانت تكثر المنازعات بينهم قبل الذهاب لعيادة هؤلاء الأطباء وبعد العودة من عندهم ، فأخذ الدكتور بسبب هذه المنازعات المتكررة يكثر من المناوبات الليلية في المستشفى العامل في صرحه تخلصا من المضايقات التي تحصل له بسبب هذه القضية ، ثم في الأيام والليالي التي لم يكن لديه عمل يقضيها في الزيارات والسهر مع المعارف والأصدقاء ، ويعود للبيت بعد أنصاف الليل ، كان يرى الهرب من الجلوس والتناقش في أمر معها أمر عقيم

جاء ليلة متأخرا ، وكان قد نسي أخذ مفتاح الشقة عندما خرج ليسهر ، وبعد أن تأكدت من شخصه فتحت له الباب وكلها سخط وغضب ، فلما دخل البيت وأغلق الباب وراءه سمعها تصيح في وجهه لماذا عدت ؟ الفجر سيطلع لم يتكلم بل دفعها بقوة فوقعت على الأرض ، وكانت قد صرخت من الألم فقال صارخا: أصبحت الحياة معك لا تطاق .. جحيم

وزاد صراخها فقال صائحا : أفكر بإرجاعك لأهلك.. منذ تزوجنا وحياتنا نكد وعذاب بسبب الخلفة .. خلف خلف كأن الأمر بيدي .. ورغم عرض نفسي على عدد من أهل الاختصاص ، وعلى سمعك كلهم أكدوا سلامتي من هذه الناحية وعلى قدرتي على الإنجاب وأنت غير مصدقة .

فصاحت وقد جلست على إحدى الكنبات : كلهم كذابون إنهم متواطئون معك ..كلهم يعرفون عجزك عن الإنجاب .. أنت متفق معهم ليزعموا أمامي أنك سليم .

ضحك قليلا وقال بسخط : رائع ! أنا تعبت منك .. كما دخلنا بالمعروف فلنخرج بالمعروف أو تكفين الحديث عن الولادة ، وفلانة صار عندها ثلاثة والثانية عشرة .. علينا أن نرضى بقدر الله . . اختاري المناسب البقاء مع الصمت أو الفراق بالتي هي أحسن

هاجت وقالت بغضب : من الآن اختار لماذا ننتظر الصباح ؟ أبعد هذه الدفعة تريد مني البقاء والاختيار ؟! أنت وحش

ـ وحش وحش

وتركهامتضايقا ومتألما إلى حجرة ينام فيها أثناء غضبه ، ونام على أريكة فيها، ولما تبعته بعد حين يسير حيث ينام لتبلغه باختيارها الحاسم وجدته قد غفي سريعا فقالت بصوت مرتفع : الله اكبر ! نام إن شاء الله أن تكون آخر نومة لك يا مجدي

ولما خرجت من الحجرة وجدت زهيرة تقف عند باب غرفتها فقالت لها وهي تبكي : لماذا تدعين عليه يا أمي ؟! سمعتك .

ـ أنت صاحية يا زهيرة

ـ صحوت على صياحكم وعلى بكائك يا أمي.

ـ نامي تصبحين على خير يا زهيرة

ومشت إلى حجرة نومها لتنام ، ولم تعرف للنوم طعما ، فرجعت إلى حيث ينام مجدي وهزته وقد سيطر عليها الشيطان والهوى ، وهزته ثانية مع النداء فلم يستيقظ ، وأعادت التحريك

مرة ثالثة مجدي مجدي

لم يستيقظ مجدي ، ذعرت ، ثم أسرعت للهاتف المنزلي واتصلت بالمستشفى الذي يشتغل فيه ، فجاءت سيارة الإسعاف، ولما دخل طبيب الإسعاف لبيت المريض وفحصه التفت إليها وقال إنه ميت يا هناء!

كانت زهيرة تسمع فقالت للطبيب صديق والدها: ميت لن يعود للحياة معنا يا أمي!

توقفت هناء عن الصراخ وقالت : أجل يا زهيرة رحل أبوك إلى رحمة الله تعالى

مات الزوج مجدي حسن بعد عشر سنوات زواج .. تركها وترك لها زهيرة .



الوصي

عادت هناء وابنتها إلى البلد على أثر دفن زوجها حيث كان مهاجرا ، وكانت في غاية الحزن والألم ، عندما تتذكر الليلة الأخيرة لزوجها ، وكلما تخطر في مخيلتها تلك الدقائق تنفجر باكية ، ويلازمها الحزن القاتل من جديد ، قد رجعت بصحبة شقيق لها وشقيقين لزوجها عادل حسن ونبيل حسن ، وكلاهما أكبر سنا من زوجها مجدي ، هؤلاء من شارك في جنازة مجدي من أهله وأهلها.

ولما استقر عادل في البلاد فتح بيت عزاء عن شقيقه الميت لمدة أيام ثلاثة بلياليها كما هي عادة القوم في بلادنا ، وكان ذلك في منزله الكائن في حي الجبر القريب من وسط العاصمة والمطل عليها لأن عاصمتنا تتكون من عدد من الجبال ، والرجل قد عمل معلما في مدارس الدولة ، ثم كان مديرا عند أحداث هذه القصة ، وهو يكبر عن مجدي ببضع سنوات.

السيد الطبيب مجدي لم يكن يمتلك بيتا خاصا في وطنه ومسقط رأسه ، كان قبل وفاة والديه كلما يجيء في إجازة للبلد يسكن في منزل الوالد ، ويقضي الإجازة بينهم ، وبعد وفاتها بيع البيت بحكم الميراث ؛ وذلك بعد نقل ملكيته للأم بعد تنازلهم عنه للأم أثر وفاة الأب.

فكان الطبيب يقضي إجازته بعد موتها نزيلا في أحد فنادق المدينة إن كانت الإجازة قصيرة الأيام ، وأما إن كانت شهرا فأكثر فكان يستأجر شقة مفروشة.

ومع إمكانياته المادية ظل بغير عقار ، فسكنت هناء وابنتها في بيت والدها الكائن في حي مصعب ؛ وذلك بعد انتهاء أيام العزاء التي أقامها الشقيق الأكبر عادل في منزله الواسع في حي الجبر.

وكان على السيدة حسب الشرع الإسلامي أن تقضي عدة الوفاة البالغة أربعة أشهر وعشرة كما أمر الشرع ونظم في بيت الوالد محمد بكرم ، وكانت كما قلنا في غاية الحزن والندم عندما تستحضر الليلة الأخيرة من حياتها الزوجية ؛ فتشرق بالدموع والبكاء ، ويتألم المشاهد لها ، ويعتقد أنها كانت متعلقة بزوجها تعلقا كبيرا مع معرفتهم بالمنازعات التي شاعت بينهما ،

فيستغربون هذا الحزن الشديد فيسعون للتخفيف من وقع المصيبة عليها.



ثم انشغلت الأسرتان أسرتها وأسرة أشقاء مجدي بترتيب أمر ميراث الطبيب مجدي وترتيب أمر الولاية والوصاية ، وكانوا قد علموا أن السيد مجديا كان قد رغب بتكليف صديقه السيد ماهر طه زميله في الطب بالوصاية على ابنته ، فقد مرض قديما بعد ولادة الفتاة بشهر أو شهرين وطلب من ماهر أن يكون وصيا على ابنته إذا مات؛ ولكنه تعافى يومذاك ، وكان ماهر حينئذ قد طلب من محام زميل لهما بعمل عقد الوصية على الطفلة ، فلما تحققت الوفاة جدد المحامي عقد الوصية في المحكمة الشرعية وقبل القاضي الوصية ، وعين رسميا وشرعيا الدكتور ماهر وصيا على زهيرة مجدي حتى تبلغ السن القانوني لإنهاء الوصية عليها وتملك ثروتها الموروثة ، وعين عمها عادل وليا عليها بحسب القانون الشرعي أو ما يسمى بقانون الأحوال الشخصية التابع للمحاكم الشرعية ، وكانت الحاضنة لها طبعا الأم هناء حتى تتزوج فتنقل الحضانة لأمها إذا كانت على قيد الحياة.

وبعد حين يسير قام المحامي القانوني والشرعي للسيد ماهر طه بما يسمى بحصر الإرث الخاص للطبيب مجدي ، وبالتعاون مع أشقاء الميت تم حصر ثروة الرجل وتقسيمها حسب قانون الميراث الإسلامي ، فدفع للسيدة هناء ثمن التركة وكانت حصة زهيرة نصفها حولت إلى دائرة رعاية أموال الأيتام ، وتحت وصاية السيد ماهر حتى تبلغ الفتاة السن القانوني المالي ، وورث أشقاء مجدي وشقيقاته ما تبقى من التركة للذكر مثل حظ الأنثيين لأنهم عصبة الميت.

قضت هناء عدة الوفاة الشرعية في بيت والديها ، وكانت تفكر باستئجار شقة للحياة فيها مع ابنتها الوحيدة ، ولكن أهلها أقنعوها بالحياة في بيت الوالد محمد وأن البيت يسعهما في الوقت

الحالي ، وما زالت عقدة الليلة الأخيرة من حياتها الزوجية تؤرقها وتزعجها وتحسسها أنها كانت وراء موت زوجها بالسكتة القلبية ، ثم أخذ المشهد يتلاشى رويدا رويدا ، وتبقى الحياة أقوى من كل الأحداث ، ولو كانت محرقة ومحزنة ، فصار المشهد تتذكره بين الحين والآخر ، ثم اختفى تماما وهي تقول هل ستنساه زهيرة عندما تكبر كما أنا قد نسيته ؟ ! هل أدركت ما سببته لأبيها من موت ؟! هل رأت حقيقة تلك الليلة عندما دفعني الرجل غضبا ؟ هل سمعته وهو يلوح بطلاقي ؟ لكني كنت أريد المزيد من الذرية أريد أشقاء لها ؟ ولماذا تتزوج النساء ؟ أمن أجل قضاء الشهوة فقط ؟ من أجل اللذة فقط ؟ لا ، الأطفال أهم من تلك الغاية في هذه الدنيا ، البنون من زينة الحياة الدنيا ، الأطفال هم الحياة ، هم دوافع الحياة الزوجية من حقي الأولاد ؛ وكان يقول إن ذلك من حق الزوج فقط .. هل هذا صحيح ؟! .. الزوج هو صاحب الحق في الخلفة والمواليد .. وكم يجب أن يولد له !.. أمعقول هذا الفكر ؟! وبعد تفكير همست : هو لم يكن ضد الولادات لكنه غير مكترث بالعلاجات والأدوية والمقويات .. ها هو قد رحل يا هناء وترك لك زهيرة وحيدة لا أخ لها ولا أخت .. هل أعود للعمل والدوام ؟ وزهيرة طفلة وأمي عجوز .. أصبحت أرملة يا هناء .. إنما الأعمار بيد الله تعالى.



لقد أصبح الدكتور ماهر وصيا على زهيرة على حسب رغبة والدها الذي سعى لذلك قديما ، وأصبح عمها عادل وليا عليها بحكم الشرع ، فلما قضت هناء أشهر الحداد الشرعية تفاجأت بعد حين قليل أن والدها الشيخ يحدثها عن رغبة شقيق زوجها الراحل الأستاذ عادل بالزواج منها ، وقد طلب يدها من أبيها ، ودافعه لهذه الرغبة هو أن تحيا ابنة شقيقه مع أبنائه حتى لا تشعر باليتم ، وتتربى مع أسرته ، دهشت جدا هناء لهذا الطلب ، وبعد نظر قصير اعتذرت

لأبيها عن هذا الزواج ، وبدوره قدم السيد محمد اعتذاره للرجل، وأن ابنته اليوم لا تفكر بالزواج ، ويترك الأمر للزمن ، والسيد عادل وغيره كانوا يعلمون علما واضحا بالمشاكل الزوجية التي كانت ناشبة بينهم بسبب الحمل والولادات وتأخر الحمل بزهيرة ، ولولا الضغط المتتابع من أبيها وأمها لما صبرت خمس سنين حتى تحمل ، وليس عادل بجاهل أن شقيقه كان يتحدث عنها بعض الأيام ببغض وقهر ، والسيد عادل له عدد من المواليد ستة أولاد بعضهم دخل الجامعة ، وبعضهم ترك المدارس والتحق بسوق العمل والمهن ، وقد تجاوز الخمسين سنة من العمر ، فهناء لديها رغبة بتجديد حياتها الزوجية أملا بمزيد من الولادات ، فهي لم تكن زاهدة بالزواج ، ولكنها لم تره الرجل المناسب ، وكانت ترى أن تصبر سنة على الأقل قبل أن توافق على زواج جديد.

والغريب أن الرجل لم ييأس من رفضها ، فقال لوالدها لنصبر قليلا يا أبا فوزي لعلها توافق فلذلك بعد حين حاول عن طريق شقيقته بسمة التي طلبتها لأخيها من قبل زاعما أن ابنة أخيه يجب أن تعيش في أسرتها وبين أعمامها وعماتها ، وجاء الاعتذار هذه المرة مصحوبا بكلام شديد ورجاء حاد بالابتعاد عن طريقها وحياتها ؛ لذلك كان رد فعل الرجل على البهدلة الأدبية أن خطب امرأة أخرى ، وقد تزوج من امرأة قريبة لهناء ، والذي سعى له في ذلك والد هناء مما أسخطها على أبيها وعم ابنتها ، فلما سألت أباها عن سبب فعله ذلك قال من أجلك فعلت ذلك ، ليكف عن التطلع إليك .. والرجل راغب بالزواج ، فامرأته كما يقول مريضة ولا تصلح للمعاشرة الزوجية..

فذهبت هناء تتخيل أيام زواجها الأولى وسعادتها بالزواج من مجدي الطبيب المغترب الذي أغدق عليها المال والهدايا والأحلام التي تناجيا حولها ، وكيف قبلت الزواج من رجل يكبرها بخمس عشرة سنة ؟ .. آه ! لقد أغرتها الشهادة والغربة والمال .. وكان العمر يمضي والخطاب يقلون خاصة المتعلمين منهم ، والرجل عندما رغب بها لم يكن متزوجا من قبل .. وكان أهلها يحبون لها الزواج قبل دخولها في حال العنوسة وضعف الفرص .. رغم أن العنوسة في زمان

زواجها لم تكن تشكل مشكلة اجتماعية .. كان الأهل يرون أن الفتاة إذا تجاوزت العشرين من سني العمر قد لا تتزوج البتة.. لماذا ؟! لا تسمع جوابا وتعليلا لذلك .. لأن الكثير من الفتيات لا يكملن التعليم الجامعي بل يسرعن إلى الزواج والأمومة ، وهما خير وأفضل من متابعة المعاهد والجامعات .. تذكرت كل ذلك عندما علمت أن الرجل تزوج إحدى قريباتها العوانس .. ثم ذهب الفكر بها إلى المشاكل الحادة والخفيفة بينها وبين زوجها الميت حول الخلفة والولادة.. وأخذت تقارن بينه وبين شقيقه عادل الذي أنجب ستة مواليد وها هو يتزوج للمزيد من الأولاد ، ثم ختمت قائلة لماذا لم أتزوجه؟! إنه شقيق مجدي ـ وهذه عادة كما سمعت ـ يقولون أن يعرض أحد الإخوة الزواج على أرملة أخيه إذا كان عندها أطفال .. عادة ! ..أي عادة هذه ! أليس في هذه عيب ؟! .. الزواج حلال وهذا شائع بين الناس والأصهار .. لماذا رفضت ؟ هل تزعمين أنك تحبين مجديا لتبق بدون زواج ؟ ألم يكن الرجل في لحظاته الأخيرة قد قرر الانفصال والطلاق ؟ وأنا لم أرفض وأعترض كنت أميل لذلك .. ربما هذا دفعني لرفضه .. كان شقيقه يريد الابتعاد عني .. أكنت سببا في موت زوجي ؟! هل يستدعي الحمل كل تلك الصراخات والاحتجاجات ؟ عندما حصل الزواج كان ابن أربعين.. ويقولون الرجل يستطيع الإنجاب ولو كان ابن مائة .. النساء عندهن سن معين ثم ينقطع الحمل والحبل لديهن.. بنات اليوم يقللن من المواليد ليس كأمهاتنا هل لدراستهن في الجامعة تأثير ؟ ها هي أختي جميلة اكتفت بولدين كالأجانب لماذا لم أكن مثلها ؟ وأرضى بنصيبي ولكنني أحب الحمل .. ها هي أمي ولدت عشرة .. ألسنا عشرة أخوة وأخوات ؟! وعلمت أنها فقدت اثنين صغارا.. مسكينة زهيرة ستعيش بدون أخوة وأخوات .. وحيدة .. لماذا لم تقبلي شقيق مجدي ؟ فهو لديه ذرية كثيرة .. خجلت من الزواج منه قد يكون هذا هو السبب الحقيقي ..ولماذا هو لم يخجل من الاقتران بي ؟!

الغضب

كانت زهيرة تكبر وكانت هموم أمها تكبر ، فهي ترملت عن خمس وثلاثين سنة وما زال أمامها فرصة للزواج والإنجاب ، ولقد كانت والدتها تكثر عليها بهذا الحديث منذ قضت عدة الوفاة حسب الشريعة الإسلامية ، فقد طلبها بعض أقاربها بعدما شاع بينهم رفضها لشقيق زوجها ، وكل من تحدث عنها كان يريدها زوجة ثانية أو ثالثة ، فكل الذين يكبرونها متزوجين ، فالشباب الصغير يتزوج فتيات صغيرات ، فمن النادر أن يتزوج شاب صغير فتاة أكبر منه سنا ، كانت تأمل أن تتزوج رجلا مطلقا أو أرملا وأن تكون امرأة وحيده بدون ضرة فكانت ترى أن الحياة ستكون شاقة مع زوجة ثانية ولها أولاد.

دخلت زهيرة المدرسة والأم تقبع في بيت والدها ، وبين الفينة والأخرى تسمع وترى سعي عادل حسن ورغبته بأخذ ابنة أخيه للحياة مع أولاده ، ورغبته الشديدة بضم الفتاة لأسرته ؛ بل رحب بحياة الأم معهم في بيته الواسع في حي الجبر ، والأم ترفض بشدة وبكل قوة هذا العرض ، وتصر على بقاء البنت معها، وتشيع بأنها لو تزوجت ستصحبها معها ، وأن حق الحضانة لها قانونا وشرعا ، وحتى لو رفض زوجها ـ إذا تزوجت ـ ستبقى البنت عند جدتها أم هناء فهي ما زالت على قيد الحياة وكذلك بعض خالتها.

والدكتور ماهر الوصي ما زال مهتما برعايتها ماديا ومعنويا، وقد تابعها دراسيا منذ فترة ما قبل المدرسة ، ويهتم بشأن الأم ماليا وطبيا وفاء لصديقه ، وكانت زوجته الدكتورة فاطمة حمدي تقوم بزيارتهم والاطمئنان عليهم مباشرة بدون الهاتف.

ذات ليلة كانت مناسبة اجتماعية تجري في بيت السيد محمد فوزي ، وكان يسكن العمارة مع الوالد بعض من أبنائه ، وبعضهم الآخر يسكن في أماكن أخرى ، ومن عادة الأسر أن تلتقي وتتجمع في المناسبات والأزمات ، فأقبل الآباء بأبنائهم وبناتهم ونساءهم، وتجمعوا في بيت الوالدين حيث الطابق الأرضي للعمارة ، فانشغل الكبار بشرب القهوة والشاي والمرطبات بعد أن تناول الجميع ما قدم لهم من طعام ، وأخذوا بالسمر كعادة البشر في مثل هذه اللقاءات

وانشغل الأطفال باللعب والتنقل بين الأدوار ، ويرتفع صياحهم حينا ويخفت حينا آخر ، فهم أبناء عم وعمات وخالات ، فكان الصغار يركضون صعودا وهبوطا إلى الطوابق العليا ، فالعمارة تتكون من ثلاثة أدوار ، ولها درج طويل يصل بين الأدوار كما هو معلوم ـ وهو درج داخلي بالطبع ـ فكان الدرج وسيلة الصعود والنزول ومسرح اللعب ، وبينما هؤلاء الاطافيل يلهون ويتدافعون ويمرحون دفع أحدهم زهيرة بقوة فتدحرجت عن الدرج ، فوقعت ولم تتمالك نفسها ، فسقطت في الفاصل بين الدرجات حيث الالتفاف لطابق آخر، وأخذت بالصياح من الألم والوقعة ، وشاركها الأطفال ذلك ، ففزع الكبار وأدركوا أن حدثا قد حدث فوجدوا زهيرة أسفل السلم تصيح وتصرخ ، وهذا يقول وقعت وحدها ، وذاك يقول دفعها فلان أو فلانة ، فهرعت الأم فوجدت ابنتها ملقاة على الأرض ويدها تحت ظهرها ، فقال أحدهم : إن رجلها مكسورة فدعيها حتى تصل سيارة الإسعاف .

وذهب إلى حيث الهاتف وطلب سيارة الإسعاف الطبي ، وكانت هناء من غضبها تصيح في ابنتها وتدعوها لكف صراخها وتدعوها للصمت ، وأخذ بعضهم يحقق في الحادث ويبحث عن الجاني الصغير ، وكانت بعض الفتيات يبكين ويشاركن زهيرة البكاء ، ثم وصلت سيارة الإسعاف وتم نقل زهيرة إليها وذكر لهم المسعف اسم المستشفى الذي سيذهبون إليه ، فطلبت هناء منهم نقلها لمستشفى خاص ذكرت اسمه لهم ، وأنها ستتصل بالطبيب ماهر وقام أحد أشقاء هناء بالاتصال بالسيد عادل.

فقال ماهر لهناء : سأكون عند المستشفى ـ إن شاء الله ـ شكرا.

وبينما هم ينتظرون الانتهاء من تجبير يدها المكسورة وقدمها أقبل عمها عادل ومعه ابنه الكبير وأحد إخوته أيضا، وكان غاضبا من أمها وصاح في وجهها قائلا هذا إهمال يا هناء .. أين أنت عن مراقبتها ؟ هذه ابنة أخي الوحيدة .. لا يجب أن تبقى عندك .. نحن أولى بالمحافظة عليها ورعايتها .

وقبل أن يرد عليه أحد ممن سمع لهجته الحادة والساخطة صاحت في وجهه إنها ابنتي يا سيد

عادل قبل أن تكون ابنة أخيك.. فأنا أقرب إليها منك يا حضرة المدير وأنا لست مهملة في رعايتها .. أولاد ويحبون اللعب والركض .. وأنا حياتها وأمرها يهمني أكثر منك.. والزم حدودك

ـ لم لم تتصلي بي لتخبرينا بالحادث ؟.. الناس تتحدث معنا .. الحق ابنة أخيك وقعت عن الدرج.

ضحكت بضيق وسخرية وقالت : يا سيدي نحن الذين اتصلنا بكم.. أخي هو الذي اتصل ببيتك ولم يرد عليه أحد ثم اتصل بشقيقك منذر

فقال وقد خفت صوته : حتى الدكتور لم يتحدث معنا وها هو على رأس القوم !

فقالت : وليس من الضروري الاتصال بك يا حضرة العم .. هل سأنتظر حتى تأتي يا سيد عادل.. وننقلها للمستشفى ؟.. ونحن اخبرنا الدكتور ماهرا لأننا طلبنا من سيارة الإسعاف نقلها لمستشفى خاص.. فهو الذي سيدفع وليس العم الذي سيدفع .

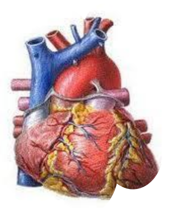
ـ ولماذا لا أدفع ألست عمها ؟!.. المال معنا والحمد لله .. وهل سيدفع حضرة الطبيب من جيبه الخاص ؟ إنما هي أموال أخي يا حضرة الأم

واحتد النقاش بينهم والمعايرة ، وحاول البعض التدخل ؛ ولكن هناء أشارت إليهم بالصمت حتى اضطرت هناء في النهاية إلى طرده وشتمه ، فاستشاط غضبا ونارا وحقدا وقال : يا بنت الأنذال يا حقيرة . وكان يرفع يده بين الحين والآخر لصفعها ثم ينزل يده متمتما بكلمات غير واضحة .

فقال أحد السامعين : يا رجل أعقل.. أنت مدير مدرسة مربي أطفال وشباب.. ولن تكون محروقا عليها مثل أمها .

ولكن الحمق والغضب وشيئا في النفس زاد من اشتعاله وهيجانه فزاد شتمه وتجريحه حتى تدخل رجل أمن ، وأخذه إلى مكان أخر، وأخذ بتهدئته ويعتذر له عن أم الفتاة ، ولما حاول الطبيب ماهر الوعظ والنصح صاح فيه متهما إياه بالطمع في أموال ابنة أخيه والطمع بالزواج

من أمها ، مما فاجأ السامعون بهذا الاتهام الصارخ ، وكانت هناء تبكي ، وأخذ بعض الأخوة والأخوات المرافقين يهدئن من روحها ويتعجبن من وقاحة هذا الرجل .. ولعلهم أدركوا أن سبب كل هذه الكلام هو رفض هناء الاقتران به بعد ترملها.



عند غروب الليل التالي زار ماهر وزوجته بيت السيد محمد حيث تعيش هناء وابنتها فبعدما اطمأنوا على الطفلة المكسورة انتقلوا لصالة البيت حيث كرر الوالد وأهله الترحيب مجددا بالضيوف ، وبينت أم هناء أن البنت صغيرة وسيجبر عظمها سريعا، قال ماهر لهناء بعد طمأنة الأم لهم على كسر ابنتها : لماذا فعل الرجل كل تلك المهاترات والملاسنات في المستشفى لماذا ؟!

انتبه الجميع لسؤال الطبيب ، وكلهم سمع عن مشاجرة هناء وعادل في المستشفى أثناء معالجة زهيرة ، فردت هناء وقد عاد إليها الذهول ، وكانت تحدق في وجه أبيها : أتريد أن تعرف يا حضرة الدكتور ؟ لماذا افتعل تلك المشاجرة أو الملاسنة ؟ لماذا كل هذا الحقد من رجل يعمل مدرسا ؟

همس ماهر : نعم أود معرفة ذلك !

قالت بحدة : لأنني رفضت الزواج منه بعد موت أخيه ، أرأيت يا سيدي وقاحته ؟ يزعم أنه مشفق على يتم ابنة أخيه من اليتم ، وأنه أحق الناس بالزواج مني من أين جاء بهذا القانون ؟ لست أدري يا حضرة الدكتور.. فإذا رغبت بالزواج ثانية فهو الأولى بي من أين جاء بهذه الأولية؟!

ضحك ماهر وقرينته وتابعت هناء كلامها الغاضب : تصوروا لما رفضته سعى للزواج من قريبة لنا ظن أنه بذلك يغيظني أو ينتقم مني.. فاعتقدت أنه مجنون .. وزعم للناس أنه فعل

ذلك ليبقى قريبا منا ومن عائلتنا.. وقبل الحادث لزهيرة عاود الكرة .

وعاد الدكتور للضحك والابتسام فقال والد هناء : يا دكتور ماهر هذه عادات قديمة .. كان إذا مات رجل عن أيتام يقوم أحد الأخوة بضمها لحريمه.. أظن أن هذه العادات سارية في الأرياف والقرى بزعم بقاء أموال الميت وميراثه في عائلته .. ويبدو أن الأستاذ عادل حسن مازال متشربا هذه العادات القروية .. فهناء مستهجنة من ذلك..

فقالت هناء وهي تترك كوب الشاي : هل لم يبق رجال في الدنيا إلا هو حتى أقبل به وأرمي نفسي عليه ؟!

قال ماهر بروية :كلام والدك صحيح يا أم زهيرة .. بعض عادات القرية ترحل إلى المدينة وتحتاج لزمن حتى تختفي .. فكنا نسمع أنه إذا تقدم شاب لفتاة ليس من أقاربها يذهب الأب ويعرض ابنته على أبناء إخوته وأقاربه .. فإذا سكتوا زوجت للغريب .. وكما يقال ابنة العم لابن العم .. وهناك أمثال شائعة بين الناس في ذلك (ابن العم بنزل بنت العم عن الفرس) ولكن المدينة مع الوقت تصهر هذه العادات والتقاليد

وقال محمد فوزي : وذا مثل يقول (البنت مثل مدقة الباب مين ما كان بدقها) وابتسم وقال ضاحكا وشارحا : يضرب هذا المثل في ضعف البنت أمام الأهل والأخوة والأعمام .

فقالت هناء عندما صمت الدكتور والأب : هذه الحكاية يا سيدي .. ونحن تحدثنا معه مخبرين عن الحادث منذ البداية ؛ ولكنه لم يكن في البيت ، ولما أخبر وصل متأخرا كما رأيت ، فأراد أن يزعم أمام الناس أنه حريص ومهتم بابنة أخيه أكثر منا ، ومبررا تأخره بالهجوم علينا

وقالت أم هناء : ويزعم أنه خائف على أموال زهيرة من أمها .. هذه هي القصة

فقالت الطبيبة : هذا هو مربط الفرس !

فقال ماهر : ستبقى الأموال تحت الوصاية حتى تبلغ زهيرة سن الرشد المالي ثماني عشرة سنة ، وهي كاملة الأهلية فحينئذ تنقل إليها الأموال ؛ كأنني سمعت المحامي يحدثني بذلك .. لا إلى عادل ولا لي ولا لأمها .. هو رجل مثقف .. واليوم في محاكم وأنظمة وصناديق حفظ أموال

الأيتام والقُصر .. وهناك أختام ووثائق وقد تحسنت الأحوال اليوم.. فكل شيء منظم ومدون حتى ولو صار بين عادل وهناء زواج سيبقى المال باسم البنت حتى تكبر وتملكه ملكا كاملا .

قالت أم هناء : هو يعلم ذلك يا دكتور .. ولكن بزواجه منها يظن أنها ستسحب أموال زهيرة من تحت الوصاية ليعمل مشروعا أو إنشاء مصنع هكذا نقلت لنا قريبتنا التي تزوجته .. هذا هو الكلام الفارغ .. يريد أن يعمل مشاريع بأموال اليتيمة .

فعلق ماهر باسما أو ساخرا : آ .. يريد أن يعمل مشاريع في أموال زهيرة .. حسب علمي فقد ورث حصة من تركة أخيه .. وهو مبلغ جيد لمشروع صغير .. فلماذا لم يتشارك مع إخوته وأخواته ؟!

رد والد هناء على سؤال الدكتور فقال : رفضوا يا سيدي ، فرغب في أموال هناء وابنتها .

قال الطبيب : مال القاصر لا يستثمر بشكل فوضوي ، فهو يخضع تحت حكم محكمة شرعية حتى يكبر القاصر ويستلمه وإلا لو استثمر ربما كبر اليتيم ولم يجد منه شيئا ، فهو يستثمر في حدود معينة حسب علمي .

فعاد محمد يقول : هذا لب المشكلة بيننا وبين السيد عادل .. يظن أننا نستثمر مال زهيرة ونصرفه على بيوتنا .. وسوسة .

قالت زوجته : طمع .. وأراد استغلال الحادث ليتهمنا بالتقصير وعدم الحنان والرعاية لابنة شقيقه .. يظن أنه أحن عليها من أمها ، فجعلنا أمام الناس مقصرين في حق اليتيمة .. يريد أن نحرمها من اللعب والركض مع أقاربها

قالت الطبيبة : تفكير غبي .. وهل إذا كانت في بيته لا تلعب مع أبنائه وأحفاده ؟!

قال والد هناء : أخته بسمة أحسن منه .. لامته وصفت معنا ضده .. حتى أن بعض أخوته سمعت أنهم لاموه على فعلته السوداء في المستشفى .. وأخته أم محمد دائما تتصل بنا قبل الحادث وتسأل عن البنت وأمها ، بل زارتنا عدة مرات وتجلب الهدايا لابنة أخيها من ألعاب وحلوى وفاكهة .

استأذن الدكتور بالانصراف لما طلبت الدكتورة فاطمة الحديث مع هناء على انفراد ، فودعه الرجل أبو فوزي حتى الباب المطل على الرصيف والشارع ، وانتقلت زوجة ماهر وهناء إلى حجرة خاصة ، فلما أغلقت هناء الباب قالت هناء باسمة ومرتبكة : ما الأمر يا أم جواد ؟

رسمت فاطمة ابتسامة صغيرة وخاطفة على وجهها وقالت : خير إن شاء الله يا سيدتي .. الموضوع باختصار ومباشرة .. زواج .

أدركت هناء ذلك منذ طلبت الخلوة بها، فليس بينهن مواضيع خاصة ، وإن ظنت للوهلة الأولى أن الدكتور يريد أن يدفع لهم مالا كهبة بسبب الحادث ؛ ولكنها أدركت سريعا أن ذلك لا يحتاج لخلوة خاصة .. فلو أراد تقديم مال لزهيرة فهو يعلم أن الكل سيعرف بذلك ، لذلك قالت محاولة الدهشة : زواج ممن ؟!

من شقيق ماهر الدكتور مروان طه .. لقد رأيته.. فقد كان يرافق ماهرا كلما نزلتم البلاد للسلام على مجدي رحمه الله .. فهم رفاق الجامعة

وهم ماهر ومجدي كانوا يسبقونه بعامين .. وأنت تعرفين زوجته مرام أجل .. ولماذا يسعى للزواج ؟!

الأخت مرام حسين ـ شفاها الله ـ مريضة منذ سنوات .. فبعد ولادتها لابنها الثالث وهي تعاني، ووضعها الصحي صعب .. ومروان لديه رغبة بالزواج ثانية وهي سمحت له بذلك ؛ لأنها عاجزة عن القيام بحق الزوج الشرعي .. فتحدث ماهر عنك لمروان فقال مروان لشقيقه إذا قبلتني فأنا موافق .. وهي في سن مناسبة لي .. وبيننا بعض المعرفة .. وابنتها ستكون معززة مكرمة .. وهي ابنة صديقنا مجدي ـ رحمه الله تعالى ـ وستكون في عيوننا .. فطلب مني ماهر الحديث معك في ذلك .. وهذا الأمر بيننا قبل حادثة المستشفى .. فكري جيدا في الموضوع وشاوري العم محمد وأم فوزي .. ليتكلم ماهر وشقيقه الأكبر محمود مع حضرة الوالد والأسرة الكريمة .. وأنت ما زلت شابة تصلحين للزواج لم تبلغي الأربعين بعد

تبسمت هناء وقالت : قريب منها .. أنا التقيت بالدكتور مروان فعلا وهو شخص محترم ..

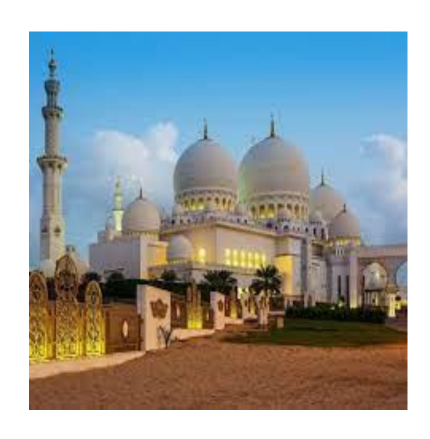
كلكم ناس طيبون .. وكان مجدي دائم الثناء عليكم.. وأنا لست ضد الزواج ثانية ؛ لأن هذه طبيعية الحياة .. وأنا أعرف أن فرصة الزواج من رجل متزوج فرصة جيدة .. والناس لا تستغني عن الزواج إلا إذا كان للشخص مهمة وغاية كبرى .. وزهيرة تكبر ولن تمانع في زواجي ثانية .. سأفكر جيدا

لا تخافي على البنت .. فالبنت في قلوبنا وعقولنا.. والأخ مروان شخص هادئ بطبعه .. والزواج فطرة

أشكرك ، ولا أنسى وقوفكم معي في هذه المحنة .. ونحن أهل وأصدقاء منذ اقترنت بوالد زهيرة

نهضت فاطمة حمدي مصافحة شاكرة قائلة تشاوري مع الأهل .. وأنا قريبا سأتصل بك من أجل ذلك.. وإذا صار نصيب سنقترب منكم أكثر ، ونصبح عائلة واحدة بفضل الله وحده .. فالمصاهرات تقرب الناس لبعض

تعانقت المرأتان وغادرت فاطمة .. وهمست هناء قائلة : سأتزوج طبيبا مرة أخرى! .. لم تقل لي ما هو مرض مرام حسين ؟!



الحمل من جديد

لما تعافت الفتاة الصغيرة من سقمها، وتمت إزالة الجبس الطبي عن ذراعها المكسورة وقدمها أعلن عن خطبة أمها على السيد مروان طه ، ولما وصل الخبر للسيد عادل حسن استشاط غضبا وحقدا من أرملة أخيه ، وكان يرى أنه أولى الناس بالعقد عليها ، فطار صوابه ، وسعى لنقل الوصاية عن ابنة أخيه لنفسه ؛ ولكنه لم يجد محاميا يقبل دعواه والسعي فيها ؛ لأن الوصي كامل الأهلية والعقل ؛ وأم الفتاة في صفه.

فأخذ يثير الإشاعات حول زواج أم زهيرة ، ورغم ذلك حدث الزواج وانتقلت هناء محمد إلى بيت الدكتور مروان ، واستقلت في جناح خاص بها في نفس البيت ، وكانت هناء قد التقت بمرام زوجة مروان ، وعلمت منها أنها موافقة على زواج الرجل عليها، ولا تمانع في اقترانهما ، وأنها رضيت بنصيبها وقدرها.

وبعد حين يسير عادت دوامة الحمل والوقت والكبر بين هناء ومروان ، والأخير له ثلاثة أبناء من قرينته الأولى ، ولما مضت السنة الأولى على زواجها جن جنونها في تأخر الحمل رغم مراجعتها عدة أخصائيين ، كانت متلهفة للحمل والولادة فأصابها الغم والنكد ، وبين لها مروان أن الحمل ليس عنده مشكلة ، ولترضى بنصيبها ، وأعلمها أنه قام ببعض الفحوص ، وليس لديه عائق ، ولتتوكل على الله وحده ، وعرضها مروان على أحد كبار أخصائيي النساء والعقم في المدينة ، وأكد لها أطباء العيادة أن صحتها الإنجابية جيدة ، وكذلك زوجها ، وأن هناك أملا كبيرا بالحمل ، وعليها أن تتخلص من التوتر والتعب النفسي ، والانتظار حتى يقدر الرحمن لها الحمل ، وإذا لم يحصل الحمل خلال فترة معينة قد تحتاج لحمل بمساعدة بعض الأدوية التي تنشط عملية الاخصاب .

كانت زهيرة تقترب من العاشرة ، وكانت تشعر بأن في البيت مشكلة بل مشكلة كبيرة ؛ ولكنها لم تعرف تحديدها ، ولما حاولت فهم سبب مراجعة الأطباء نصحتها أمها بعدم التدخل في مثل هكذا مواضيع ، وبعد فشل الحمل بأدوية معالجة العقم بعد ثلاث سنوات

زواج كبرت المشاكل ، وأخذت صور المشاكل التي كانت بينها وبين مجدي تتكرر ، وأخذ الدكتور مروان يهجرها بالأيام تخلصا من شكواها ورغبتها القاهرة بالحمل والبحث عن أطباء لهم دعاية وشهرة ، حتى تفاجأ أنها لاذت بالمشعوذين والحجابين ، فعاتبها عتابا حادا وساخطا على الجهل واللجوء إلى أمثال هؤلاء المعتوهين ، ورغم دفاعها عنهم ، وقد ذكرت قصصا نجحوا فيها كما سمعت طبعا.. قال هذا كلام فارغ ، الحمل والولادة بأمر الله ، ليس بأمر هؤلاء الكهان والدجالين .. إنهم مرضى يحتاجون لعيادات يتعالجون فيها ، لو ظل الطب على أيدي هؤلاء لظللنا في القرن المائة قبل الميلاد .. الطب علم وهو علم تجريبي أيضا ، قد يصلح دواء اليوم للناس لا يصلح غدا .. وليست مراجعة الأطباء كمراجعة أولئك .. عليك أن تفهمي ذلك .. وحتى الأطباء الذين ذهبنا إليهم ليسوا هم الذين يصنعون الأولاد.. هو أمر وخلق الله .. أرجو أن تفهمي ذلك .. وأنا إذا اكتشفت أي لعب أو تحايل أو سحر في البيت فالفراق بيننا أفضل وأحسن

فقالت بضيق : وبماذا تختلف يا دكتور زيارة الشيخ عن زيارة الطبيب والمختبر ؟!

ضحك ضحكة مغتصبة وقال : هناك فرق بل فروق يا بنت الناس .. هناك أدوية واختبارات وتحاليل وصور أشعة وفهم أسباب وموانع الحمل .. فالحجاب كيف يعرف عوائق الحمل وهو لا يعرف يقرأ اسمه أو يكتب كلمة صحيحة؟! الطب علم ومعرفة وتاريخ أجيال.. والحجابة جهل واستهبال واستغفال .

قالت كأنها هازئة: والطب يقول لا شيء يعيق حملنا ومع ذلك لم يحصل حمل !

قال : وهل الحجّاب سيمكننا من الحمل والإنجاب .. أنا لدي أبناء، وأنت خلفت زهيرة .. فلنترك شأننا لله.. فالذي يختاره ويقدره هو الخير لنا .. علينا أن نقبل بقدرنا .

فقالت : دعنا نجرب

فصاح متذمرا ألم تجربي قبل أن اكتشف هذا الجنون ؟ لك شهور تجربين.. عليك أن تتوبي من التردد على هؤلاء السحرة .. وعليك أن تراعي سمعتي .. دعي الأمر لله ؛ فإذا كان لنا نصيب

بالإنجاب سوف يحدث.. وهذه زهيرة عندك مثل الغزال والقمر .. والأولاد يحترمونك ويقدرون أنك زوجة لأبيهم ويحبونك

هزت رأسها وقالت : يحبونني ! أنا طمعت بالزواج من أجل الأولاد والذرية ليس فقط من أجل الأكل والشرب والنوم والجماع .

ـ هذا الحمل بإرادة الله يا سيدتي .. وأنا فعلت ما عليّ من تأكيد صحتي الإنجابية وبانت لك رغبتي بمزيد من الأطفال .. ولم أتزوجك من أجل الجنس فقط .. وقبلت محاولة الحمل بالأدوية من أجلك ، ومن أجل دوام حياتنا الزوجية ، وتحقيق رغبتك بالأمومة من جديد ، ولازدياد الترابط بيننا .. فالأولاد كبروا ودخلوا الجامعات ومع ذلك رضخت لطلباتك وقلت تستحقين المساعدة والقبول برغبتك للمواليد.. وإذا ترين أن الطلاق حل لحياتنا الزوجية أنا لا مانع لدي الطلاق !

ـ نعم ، أنا تزوجت لارتاح في البيت ، وأرتاح نفسيا.. فنحن في عملنا نتعرض لإغراءات كثيرة .. نتعامل مع نساء شتى .. فالعفة شعار وحياة.. يا سيدتي أرجو أن تفكري جيدا بحياتنا الخاصة .

فصاحت فجأة أريد أن اخلف ولدا منك يا مروان ثم خفت صوتها قائلة حتى يمتد بيتنا، ويمتد بيننا الوصل والحياة الهادئة

ـ لا اله إلا الله.. توكلي على الله، وأكثري من الاستغفار والدعاء لعل وعسى



لقد رفض الدكتور مروان لجوء زوجته هناء للمشعوذين والحجابين لمساعدتها في الحمل ، ولما جاءها بعد أيام استقبلته بالصياح والصراخ والصوت المرتفع والندم على زواجها منه ، فلما حاول معرفة سبب هذه الهياج والثورة والغضب والحسرة قالت : امرأتك تتهمنني بتسميمك

وإطعامك أشياء مضرة

قبض يدها وحدق في عينيها وقال : أو لم تفعلي ذلك؟! إنها تريد أن تنبهك أن أفعالك مكشوفة يا هناء

فقالت باستسلام للحقيقة : ومن أخبرك بأني فعلت ذلك ؟!

ـ المرأة التي تتعاملين معها ، هي التي كشفت وصفاتها لي ظانّة أنني لا أعرفك .. أنا حذرتك من أيام يا بنت الكرام ، جعلت البيت جحيما بالنسبة لي .. لابد أن صديقنا مجديا عانى مما أنا فيه اليوم

فزاد هيجانها وصراخها واحتجاجها، وأخذت تدافع عن نفسها، وأنها لم تفعل شيئا لمجدي ليموت ، بل هو الذي كان يضربها ويسقطها أرضا...

فقاطعها وقال :لا يهمني ذلك .. إنك متعبة يا هناء .. وأنا تزوجتك لعلة تعرفينها في زوجتي أم جهاد ، ولم يقدر لك الحمل مني لحتى الآن.. ولقد لجأنا بعد الله للطب وأهل الاختصاص دون فائدة.. وأما اللجوء لهؤلاء الدجالين فهذا في نظري جريمة .. وقد حذرتك من العودة لهؤلاء الناس؛ ولكنك رميت بتحذيري عرض الحائط .. واليوم جئت محاولا تهدئة الوضع والسلام ؛ ولكني أرى كل الشر هنا ..فالأفضل أن نفترق بالمعروف كما دخلنا بالمعروف .. وسأترك لماهر ترتيب أمر الانفصال ؛ لعلك تجدين الزوج الذي تحملين منه ما دامت هذه رغبتك الجامحة .

غيرت هناء من لهجتها وقالت بحزن : مناي أن أحمل منك يا مروان ..لا أدري لماذا حظي هكذا ؟!

ـ الولادة والذرية قسمة ونصيب .. ربما ليس النصيب عندي.. ظننتك الأنثى الصالحة .. ولكن مضت هذه السنوات بصعوبة وتعب وشقاء

قالت بحسرة : لا أستطيع التخلي عن فكرة الحمل .. حسنا افعل ما تراه مناسبا .. فإذا كان الطلاق هو الحل فلن أترجاك ، ولن أتوسل إليك للبقاء على ذمتك ، وكما قلت لعل فرصة

ثالثة تحقق لي رغبتي وحاجتي .. وهذا في علم الغيب .. وأنا لم أحاول تسميمك يا مروان .. إنما هي وصفات وأعشاب يبيعها هؤلاء العشابون ، يزعمون أنها تيسر الحمل .. كالأدوية التي يصرفها الأطباء .. وأنا تمزق قلبي لما مرضت بسبب تعاطيها وأكلها ، واعتقدت أنها سامة فعلا .. ولكن الحمد لله على سلامتك .. وأنا لن أنسى أن زهيرة أحبتك، وتعلقت بك ، فهي حسبتك والدها الحقيقي من حسن تعاملك معها ، فهي ـ كما تعلم ـ لم تدرك والدها جيدا .. وأم أولادك أساءت لي صباح اليوم ، وظنتني طفلة صغيرة وليس لي كرامة وكيان حر.. واتهمتني بالسعي لقتلك وتدمير بيت العائلة .. افعل المناسب يا سيد مروان لم يعد لي مكان في هذا البيت .. الصبر جميل

فقال بصوت حزين وعطف فيه مشهود : أنا مستعد لفتح صفحة جديدة معك حتى لا تظني أن أم جهاد أمرتني بتطليقك قبل القضاء عليّ .. وذلك إذا عاهدتيني على الصبر والرضا بالمقسوم .. فأنا مستعد لأنسى الطلاق .. أنا بحاجة لامرأة لطيفة فاضلة .. وإذا كنت تشعرين بالفراغ فمجال العمل مفتوح أمامك .. فربما الشغل والوظيفة يعوضانك عن المزيد من الأطفال.

وبعد أخذ ورد تعهدت هناء بالرضا بنصيبها وحظها ، ووعدت بالتفكير بالعودة للعمل من جديد .



هناء منذ تزوجت أول مرة لم تعد تفكر بالعمل والشغل ، ولم يطلب منها مجدي ذلك ، ومضت سنوات زواجها بمراجعة أطباء النساء حتى قضى الموت على مجدي ، ولما رجعت من بلاد الغربة في إحدى دول الخليج العربي لم تفكر بالعمل كذلك ، ولم تجد نفسها بحاجة للوظيفة ، فقد ورثت ثروة كبيرة عن زوجها ، فقد كان الرجل غنيا فمنذ تخرج طبيبا وهو يعمل ويجمع

المال ، فقد قضى شبابه أعزبا لا عائلة له ، ومضت سنوات الزواج الأولى بدون عائلة ، فتراكمت الثروة بين يديه ، لذلك قبلت هناء فكرة العودة للعمل لعلها تشغلها وتلهيها عن فكرة الحمل والأمومة .. الفكرة الطاغية على تفكيرها بشكل وسواس قهري.

فقبلت العمل في شركة تهتم بتوزيع الأدوية في البلاد وبعض الدول المجاورة بعد استيرادها أو شرائها من السوق المحلي ؛ ولكن أغلبها مستورد من خارج البلد ، وكان عملها قد تم بمساعدة من قبل زوجها مروان وشقيقه ماهر، ولعلاقتها الطيبة بمدير الشركة الذي هو طبيب مثلها ـ لما نجح عمله كتاجر ترك ممارسة مهنة الطب ـ ووظفت في قسم السكرتارية والمراسلات التجارية ، ووجدت صعوبة في أول أيام العمل ؛ لأنها تركت العمل منذ أكثر من عشر سنوات منذ زواجها الأول ، ثم ذهب الإرهاق والتعب مع الوقت ، وتأقلمت مع العمل بعد حين ، وأخذت تفكر بشراء سيارة خاصة ، وكان زوجها يشجعها على ذلك وأخذ يبحث لها عن مدرب خاص ، ونكاد نقول أن المشاكل البيتية خفت ، وعاد الهدوء والسكون لبيت العائلة ؛ وكأن المرأة استسلمت للمقدر من عدم الخلفة ، والرضا بأمر الله.

وكانت زهيرة تحت رعاية الخادمة الأجنبية ، فتذهب صباحا بحافلة المدرسة الأهلية ثم تستقبلها الخادمة مساء ، وترعاها وتقدم لها الطعام حتى تعود أمها في الخامسة أو السادسة مساء.

وكان مروان الطبيب يقسم وقته في البيت بين مرام وهناء ، ليلة هنا وليلة هناك حسب قانون الدين في التعدد ، وأحيانا تجلس هناء وابنتها في صالون مرام يسهرون ثم يفترقون ، ومضت سنتها الأولى في العمل وقد خيم الجو الهادي على البيتين ، ولم تكن أخطاء هناء في العمل خطيرة ، فكانت مشاكل العمل تحل بين هناء والإدارة ، والعمل لابد أن تقع فيه أخطاء من العاملين لظروفهم وأحوالهم النفسية ، فكانت أخطاء المراسلات تستدرك وتتم معالجتها ، وكان المدير يتغاضى عن كل أخطاء هناء لقوة الصداقة التي تجمعه بمروان وأشقائه خاصة السيد ماهر ، والمرأة تحمل شهادة جامعية بالسكرتارية والإدارة.

وفي أواخر السنة بدأت الأمور تتغير فقد أخذت هناء تطور من صداقاتها بالموظفين ذكورا وإناثا ، وحتى مع موظفين صغار ، وليس هذا المهم في الأمر ، المهم في الأمر أنها بدأت تقبل دعواتهم الخاصة للعشاء والسهر والسينما والمسرح مما صدم المدير ونائبه ، فهي امرأة صديقهم مروان ، وامرأة صاحبة بيت ، وأم فتاة مراهقة ، وكانت تقبل المشاركة في مناسباتهم الاجتماعية دون تردد ؛ لذلك كان الدكتور حازم حمدوز يتحدث مع ماهر بمثل هذا التغير وقال : أخشى أن تنزلق زوجة أخيك إلى أمور لا يحمد عقباها.

فاضطر ماهر لنقل هذه الأخبار لشقيقه لعله يجد عنده حلا لها، فمصاحبة امرأة من بيئتهم ووسطهم الاجتماعي المحافظ إلى حد ما لشبان عزاب ومتخرجين جدد من المعاهد والجامعات مربك لهم ، وذا مما دفع مروان لفتح الموضوع مع هناء قائلا : يا سيدتي الفاضلة لا يجب أن تتوسع علاقاتك بهؤلاء إلى هذا الحد .. فأنت زوجة محترمة ولك أسرة .

فأبدت ضيقها وتذمرها من تدخله بحياتها الخاصة ، ودافعت عن خياراتها ، وزعمت أنها تفعل ذلك طردا للملها وفراغ البيت من الأصدقاء والزيارات فقال : ومن يمنعك من زيارة الأهل والأقارب والصديقات اللواتي من جيلك .. فأنت لديك اليوم سيارة وتستطيعين التنقل عند أخواتك وإخوتك .

ـ كلهن مشغولات ولا وقت لديهن مثلي .. وهل مشاهدة الأفلام حرام؟

ـ ليس المهم مشاهدة الأفلام ؛ لكن مع من تشاهدينها .. مع شبان وشابات عزاب .

ـ وماذا في تناول عشاء مع زملاء العمل ؟!

ـ وقد يدعى إليه زملاء ليسوا من زملاء العمل .

رفضت هناء التخفيف من السهر خارج البيت بعد انقضاء العمل ، ورفضت قطع علاقاتها معهم بدعوى الحرية الشخصية.

وكرر مروان النصح والإرشاد لها ؛ ولكن دون فائدة حتى أنها أخذت تأتي متأخرة للبيت بعد نصف الليل نتيجة السهر مع زميلاتها وأصحابها الجدد ، شكى مروان الأمر لأخيها فوزي

ويسري ، وبين لهم أن مثل هذه التصرفات لا تليق بزوجة طبيب مثله وكعائلة محافظة ، فغضبت هناء بشدة من تدخلهما في تصرفاتها الخاصة. وحاول ماهر معها ، فهددته بسحب الوصاية عن زهيرة زاعمة أن من حقها الوصاية على ابنتها.

واستمر الإرشاد ، واستمرت المناكفات دون نتيجة حتى تفاجأ مروان بعودتها من إحدى سهراتها عند الفجر عندما كان ذاهبا للمسجد للصلاة ، فكانت تركن سيارتها في موقفها أمام البيت ، فصعق ، وكان قد ظنها نائمة في شقتها مع ابنتها لأنه كان تلك الليلة مع زوجته الأولى وكان حازم يشكوها إليه مباشرة ، ويعلمه بأنه يفكر بفصلها من شركته لولا صداقتهم التاريخية ؛ لأن سمعتها بدأت تلوكها الألسن ، ولما اقترب منها مروان تلك اللحظة رأى أنها ثملة من المسكر فازداد نارا وغيظا فقال وهو يضغط على أعصابه : ألم تكتفي بسكرك في سهراتك فصرت تعودين مخمورة إلى البيت .. إنما اشرب جرعات قليلة .. ماذا افعل بك يا بنت الناس ؟! هذه هي نهاية إرخاء الحبل للنساء .

لم ترد عليه واصلت دخلوها البيت ، وصعدت إلى غرفة نومها ، ورمت نفسها على سريرها، وتبعها الرجل وسمعها تقول : إنني منهكة القوى يا دكتور في الصباح نتحدث

ـ يبدو أنك شربت الليلة كثيرا ، هذه أول مرة تعودين سكرانة للبيت .. ونحن في الصباح يا بنت الناس .. فالحال لم يعد يطاق غدا أو اليوم.. بعد ساعات سنذهب للمحكمة لإعلان الطلاق

ـ الطلاق ! أنا فعلا أريد الطلاق يا دكتور .. مللت منك .. وجدت زوجا خيرا منك .

في الصباح وبعد فتح المحاكم الشرعية أبوابها للناس ، كان الطلاق بعد هذه الحادثة أمام القاضي الشرعي لتلك المحكمة ، وأخذت هناء ابنتها والخادمة وعادت لبيت الأسرة بعد غياب بضع سنين عنه ، وسمعت من والدها كلاما جارحا ومهينا : أصبحت سكيرة آخر الزمن .. وتتعاطين المخدرات .. عليك الخروج من هذا البيت استأجري لك بيتا.

أخذ أحد الأشقاء أخته لبيته مستضيفا لها بعد طرد أبيها لها غضبا وألما ، وقضت باقي اليوم

باكية في بيت شقيقها سمير ، وفي الصباح التالي مشت للشركة التي عملت فيها فوجدت أن المدير قد فصلها ، ودفع لها أجر ثلاثة أشهر بدون عمل ، فأخذت الفلوس ، وبحثت عن صديق لها في الشركة ، فأخبرت من إحدى الزميلات بفصله هو الأخر من العمل في الشركة ، وانصرف من يوم أمس.

وهذا الصديق شاب فوق الثلاثين من العمر ، متزوج وقد تخلت عنه زوجته بعد سنة من الزواج لسوء أخلاقه ، ثم حصل بينهم الطلاق بعدما تنازلت عن متأخر صداقها الشرعي ، بعدما زعمت أمام القاضي أنها أخذته ، والرجل لم يوافق على الطلاق إلا بعد أن تخلت له عنه ولما لحقت هناء بالعمل كان من الشباب الذين اجتمعوا حولها ، ثم أصبح على رأس الأصدقاء الخاصين بها ، فعلمها الشراب والدخان وتعاطي الحبوب والاستهزاء بالحياة الجادة وأن الدنيا خلقت للهو والمتع والانبساط ، ثم وعدها بالزواج إن طلقت يوما ما ، يقول لها ذلك عندما تهمس له بخشيتها من أن يتخلص منها مروان.

لذلك فبعد مغادرتها الشركة وقفت أمام مطعم ، وتناولت رغيفا من الطعام ، وشربت كوب عصير ، ثم اتصلت به ، والتقيا وحدثته بطلاقها وطردها من الوظيفة وأنها مستعدة للاقتران به فضحك كثيرا وقال : بهذه السرعة !

فطلب منها أن تصبر حتى تنقضي عدة الطلاق ليتحدثوا بالموضوع ، فأخبرته أنها تملك ثروة ستسهل لهما الحياة معا ، فقد ورثت عن زوجها الأول وأخذت مؤخر طلاقها من زوجها الثاني كاملا ، فطلب منها رامي عدة طلبات ، التريث حتى تنتهي العدة ، ويخففان من اللقاءات حتى حين ، وحتى يرتب هو أمور حياته ، وأكد أنه راغب بالزواج منها ، ودعاها إلى كأس شراب ، فاعتذرت عن ذلك لأن والدها غاضب عليها، وهي تعيش في بيت شقيقها بعد أن طردها من بيته ، فودعها قائلا : لنبق على اتصال وقبلها قبلة الوداع ، وركبت سيارتها قافلة لبيت شقيقها سمير، فوجدت اجتماعا في البيت يناقش قصة طلاقها وحياتها فلما سألها أحد أشقائها المجتمعين : أين كانت ؟

ردت بحدة : فصلوني من شركة حازم

فقال سمير : الشركات كثيرة .. فهذه الشركة كما تعلمين قبلت فيها لعلاقة صاحبها بماهر ومروان .. والبنت زهيرة ماذا ستفعلين بها ؟

ـ لتبق عند أمي أعطيت المدرسة عنواننا القديم قبل الزواج من مروان.. فهم يعرفون عنوان دار أبي.

لم تقض هناء في بيت شقيقها سمير سوى ليال ثلاث ، فقد تم الصلح بينها وبين والدها ، فاستقرت في غرفتها التي عاشت فيها بعد ترملها ، وأخذت تفكر وتخطط باستئجار شقة أو شراء بيت خاص بها ، وجدت نفسها من جديد تعيش في عدة الطلاق الشرعي .. اتصلت برامي في بيته، وتحدثت معه أكثر من مرة ، وكانت تسعى للقاء به ، فرفض ذلك زاعما أن أهله يرفضون زواجه من امرأة تكبره بعشر سنوات ، فخلال هذه الشهور الثلاثة ضعفت علاقتها برامي ، وفشل مشروع الزواج الذي أملت به حقيقة ، وأدركت أنه كلام ليل يمحوه النهار، وأنه سخر منها لينال شهوته وفساده منها ، وحمدت الله أنها لم تستسلم له جسديا رغم كثرة ضغطه عليها ، فكانت حرمة زوجها تمنعها من الوقوع في ذلك.

وحتى شلة الشركة لم يعودوا يستجيبون للقاء بها ، ويتهربون من الرد عليها ، ولا يتصلون بها فأدركت إدراكا تاما أنها أضاعت حياتها وسعادتها أمام سراب ووهم بحياة حرة ، فأخذت تحاول العودة إلى مروان عن طريق الدكتور ماهر ، وأعلنت ندمها وتهورها ، فأعلمها الرجل بكل صدق أن شقيقه على وشك زواج ، فقد التقى بطبيبة مثله تعمل معه في المشفى الخاص ، وهم على وشك إشهار الزواج ، فلزمت الصمت ، وأما تعلقها بالشراب والدخان فلم يختف بعد ، وإنما تركت المخدرات ، ربما لم تعد تحصل عليها، ولا تعرف كيف تتحصل عليها.. ؟ .. وحاولت عن طريق رامي مجددا ، فشتمها وتظاهر على التلفون أنه لا علاقة له بالمخدرات والحشيش ، وطلب منها أن تنساه للأبد ، فهو سيتزوج خلال أشهر ، فقد خطب فتاة ، وكانت النهاية بالنسبة لها ، واستوعبت أنه كان يلهو بها هو والشلة والاستفادة من مالها

وتبذيرها. حتى أنها لاحظت استياء ابنتها زهيرة منها ، ومن شربها للدخان والخمر ، ولاحظت أنها تخرج من البيت لتناول الكحول في الخمارات والملاهي ، وكانت تتضايق من أخذها للدخان ، وتظهر ضيقها، فتنهرها أمها بشدة ، وتطلب منها عدم التدخل في حياتها ، وعليها أن تنشغل بدروسها ومدرستها ، وبعد شهور مضت على الطلاق همس أحدهم في أذنها برغبة السيد عادل بضمها لزوجتيه ، فتعجبت من إلحاح هذا الرجل ورغبته بالاقتران منها منذ ترملت ، وبعد تفكير وتردد أخبرت الوسيط برفضها الزواج منه شخصيا ، ولو لم يبق في الدنيا من الرجال إلا هو ما تزوجته ، فأرسل إليها زوجته الأولى ؛ لتأكد لها هذه الرغبة فأكدت لها كرهها وحقدها عليه.

ذهبت السنة الأولى بعد الطلاق ، ولم يتقدم إليها أحد سوى عادل حسن ، حتى أن الأب محمد حدث ابن أخ له بالزواج منها ، فاعتذر ابن أخيه ، وأخبره أنه ابنته لا تصلح له ، فهو رجل على قد الحال كما يقال ، وأن ابنته انحرفت عن الاستقامة والمحافظة على عادات العائلة ، ولا تصلي، ولا تصوم ، وتدخن ، وتشرب المنكر، فلما أنكر عمه ذلك ، وأنها عاهدته على ترك الشراب منذ عادت للبيت من بيت شقيقها سمير ، فأكد له ابن أخيه أنها ما زالت تتردد على الحانات والخمارات .



موت الشيخ

رجع محمد للبيت والغضب يملأ كيانه وقلبه، ولم يجد فتاته في البيت ، فقد خرجت زاعمة زيارة لصديقة ، فلما جرأت أم فوزي تسأله عن سبب كل هذا الحنق والغضب ، فأخبرها بما سمع من ابن أخيه، بأن ابنتهم ما زالت ترتاد الحانات والملاهي الليلية ، فأنكرت الأم التهمة ، ودافعت عن ابنتها وأخلاقها ، وكان يسري ابنهم يعيش معهم في نفس العمارة، وكان يسمع الحوار الدائر بين أمه وأبيه ، وسمع آخر الكلام ، وصاح وقال بضيق : يا أمي لا تدافعي عن انحراف هناء .. ادع لها بالهداية ، فقد وصلنا كلام كثير عن سوء سيرتها.. وخففوا من حدة صوتكم فإن زهيرة في غرفتها ، وتسمع صراخكم رغم إغلاقها باب الحجرة

فقال محمد وهو يتنهد بعمق وأسف : ماذا أفعل لهذه البنت ؟! فضحتني بعد أن بلغت هذا السن يا أولاد .. أخشى أن أسمح لها بالسكن خارج البيت أن تزيد وتكثر فضائحها.. ويتحول بيتها إلى بيت دعارة .

فقال يسري محاولا تهدئة الشيخ : لا سمح الله .. لم تصل الأمور إلى هذا الحد يا أبي .. خمر ومخدرات .. لم نسمع بشيء أسوأ من ذلك .. هي لم تطلق إلا من شهور

فقال الأب ساخطا حانقا على ابنته : لم نسمع ! هل ننتظر حتى نسمع ؟!

فقال : هل نقتلها حتى لا نسمع ؟ وهل هذا حل؟!

قال: تحدثت مع ابن عمك أبي صادر للاقتران بها على نسائه ؛ وليستر عليها ، فاخبرني أنها لا تصلح للزواج .. فهي منحرفة والأولاد شباب .. فإني حائر حائر

فقال يسري : علينا أن نعقد اجتماعا عائليا، ونتحدث جميعا في هذه المشاكل ، وإذا لم تستجب لتقاليد العائلة فعليها الابتعاد عنا ، ولتذهب لمدينة أخرى حتى لا نسمع قصصها ومغامراتها ، وإلا عليها احترام البيت وتقاليده .

واقترب من الهاتف ليتصل بإخوانه يدعوهم للاجتماع ، ومناقشة قضية هناء ، وتمردها على تقاليد الأسرة.

اجتمعت الأسرة بعد صلاة العشاء للنظر في المشكلة الكبيرة التي ألمت بالعائلة ، من خرق هناء لعادات وتقاليد الأسرة بدون مبرر ، فكانت مشكلتهم رهيبة ومرعبة في نظرهم ، فتحدثوا واقترحوا أشياء ، وبينما هم يتحدثون ويدبرون حضرت صاحبة الشأن من حيث كانت تسمر ، فظنت كما قالت ساخرة إن مصيبة قد أصابت البيت في غيابها لبضع ساعات!

فقال يسري : نعم ، نحن في كارثة .. بل زلزال نحن نتشاجر بشأنك يا أم زهيرة.

فنظرت إليه بضيق وقالت : شأني ! ما الأمر ؟!

لخص أحدهم لها الأمر والموقف ، فردت بغضب وصوت حاد : حياتي الخاصة ليس لكم دخل فيها .. أنا امرأة بالغة عاقلة وصلت الأربعين من العمر .

فقال أحد الأخوة : سمعتنا يا بنت الناس !

ردت باستهتار : أغلبكم يدخن .

فصاح يسري : لو وقفت على السجائر لهان الخطب ! لقد سمعنا أنك كنت على علاقة ـ اسمحي لي أن أقول ـ حميمة مع موظف بسيط في تلك الشركة ، وأنها السبب الأهم في طردك أو فصلك من الشركة ، ثم طلاقك.. فإذا الرجل راغب بك فليأت من الباب كعادة الناس .. أما السهر وشرب الخمر في النوادي الليلة والخمارات ليس من عاداتنا ، ولا يعني ذلك أننا ملائكة .

فصاحت هائجة : هذا كذب.. إشاعات أطلقها مروان لتبرير الخلاص مني .

فرد يسري بقوة وتحد : اسمعي يا بنت الناس ليست إشاعات .. تحدثت أنا شخصيا مع المدير حازم .. فقال لي على استحياء الأمور زادت عن حدها يا يسري .. ونحن كما نحب أن نحافظ على سمعتنا نحافظ على سمعة إخوتنا وأصدقائنا من آل طه .. الأمور ترتب هنا في الشركة والاجتماعات واللقاءات خارج الشركة .. والدكتور مروان قد خطب امرأة تعمل طبيبة مثله وهي أرملة حديثة .. فلماذا يطلع وينشر الإشاعات عليك ؟!

صاحت مرة أخرى : إشاعات ليتزوج من زميلته الأرملة .. فتآمر مع حازم لطردي وتشويه

سمعتي .

فقال أحدهم : ولكنك تسكرين، فهل تنكرين ذلك ؟

فقال يسري : الدخان والخمر والسهر والمسرح والسينما والمخدرات والحب .. لا شيء يخفى على الناس يا هناء هل هذا تعلمتيه من مروان ؟

فقالت بسخط : أوه !! هذه حياتي وأنا حرة فيها .. هذا بدني أنا حرة فيه

فنظر إليها أبوها بذل وانكسار : ونحن يا هناء

فنظرت إليه بسخط : ماذا نحن ؟ أنا سأرحل يا أبي ، لن أبقى في بيتك .. أنا عرفت الحرية عرفت الحياة.

هجم عليها يسري صافعا لها وصارخا : أي حياة مع الفساق ؟! أي حياة يا مجنونة في الحانات ونوادي القمار والزنا ؟!

كانت هناء منذ دخلت على الاجتماع وهي قائمة ، فوضعت يدها على خدها، وقد سالت دموعها غضبا وحقدا : تضربني يا مجرم .. تمد يدك عليّ !

فانهال عليها ضربا ورفسا وصياحا حتى خرت مغمى عليها ، وارتفع الصياح والبكاء في البيت ، فلما أفاقت من غشيتها قالت ستدفع الثمن غاليا يا يسري سأدمر حياتك .. لن أرحمك يا مجرم .. تضربني يا حقير

فصاح هائجا : سأقتلك .. فحياتك في القبر أفضل من حياتك فوق الأرض .. أنا أعلم أنك سبب موت الدكتور مجدي .. لقد كتب إليّ أكثر من رسالة للتشفع بينك وبينه من أجل الكف وعدم الإلحاح في مسألة الحمل والحبل .. أنت سبب قصف عمره .

فصاحت وهي ما زالت تجلس على الأرض : أنا سبب قصف عمره ، ولسوف اقصف عمرك لن أبقى الليلة هنا .

ونهضت متجهة نحو الباب الخارجي للبيت ، وخرجت لم يعترضها أحد ، وارتفع اللغط والنقد على تصرف يسري وانفعاله الحاد ، وبينما هم يتعاتبون ويصيحون على بعض وقع

السيد

محمد على الأرض فنقل للمستشفى بسيارة أحدهم .. وهناك ودع الحياة بعد أيام .

السيد محمد فوزي أبو فوزي لم يحتمل فؤاده النزاع القائم في بيته فوقع مريضا ، ثم مات ، فلما علمت هناء بما حدث لوالدها من الذبحة الصدرية والموت عادت للبيت ، وكانت ليلة الحادث قد خرجت غاضبة إلى إحدى بيوت شقيقاتها ؛ لأن البنات لم يحضرن الاجتماع؛ إنما كان اجتماعا ذكوريا كما يقال ؛ لذلك لما نقل الوالد للمستشفى ، وذهب في غيبوبة ، تذكرت ليلة موت مجدي عندما دفعها أرضا آخر ليلة كانت له في الدنيا ، فعادت إليها الذكريات ، وأخذت مشاهد الحياة المؤلمة تعود سريعا .. غضب منها بشدة ، ذهب لينام فما استيقظ .. وها هو أبوها يسقط مغمى عليه ولم يستيقظ .. مشاهد حياتها أخذت تتجسم أمامها .. وكانت تذرف الدمع الغزير .. لم تذهب للمستشفى ؛ لأن شقيقتها التي استضافتها أخبرتها أن الوالد في غيبوبة .. فاقد للوعي .. ثم مات .. وكانت تذرف الدمع الغزير وتقول هل أنا شؤم! ؟ هل تعلقي بحب الولادة شؤم ؟! لماذا لم أسلم أمري إلى الله راضية مطمئنة ككثير من النساء العواقر ؟ ! إني حفرت قبري بنفسي .. ها أنا عدت مطلقة بعد أرملة .. لا أمل في الحمل .. هل أنا قتلت أبي ؟ أو السبب في وفاته ؟ وهل أنا التي تسببت بموت مجدي ؟ يا إلهي لماذا تركني مروان ؟! أأنا متعبة ونكدية ؟! ولماذا أوقع بي رامي ودمر حياتي الزوجية ؟!.. وشجعني على الابتعاد عن حياة الدكتور .. لقد صدقت كلامه المعسول .. لقد نسيت الكيد والغدر .. لقد كان صديق عدد من الفتيات نسيت كل هذا .. يا لي من مغفلة.. !! كان يعبث بعدد من فتيات الشركة يعيش على كدهن ومالهن .. مسارح سينمات ثم تحشيش .. بل كانت بعضهنّ أحذر مني وأفطن لخداعه .. أنا الجريئة بينهن .. لماذا وقعت في حباله ؟ كنت الضعيفة بينهن .. نسيت ابنتي المراهقة في لهفتي للزواج من رامي الغادر ..

وعادت تفكر بعادل حسن لماذا المدعو عادل يسعى للزواج مني على نسائه ؟ أمن أجل أموال ابنة أخيه ؟ .. لم أنظر إليه منذ عرفت تلك الأسرة نظرة رضا واستلطاف ، بل كنت أخشى

عينيه الخبيثتين

عادت للتفكير بيسري ففكرت يسري يعلم بمشاكلي مع مجدي ، كان مجدي يراسله ليضغط عليّ ليته فعل يومذاك ، تبسمت للحظات ثم تابعت .. ها هو يجعلني السبب في وفاته وإزهاق روحه .. هل تكلمت زهيرة المسكينة بشيء أمامه ؟ .. لقد رأت أحداث تلك الليلة .. هل ما زالت تفتكرها وتتذكرها ؟ .. لكنه كان مريضا متعبا مرهقا من عمله .. كان يفحص قلبه باستمرار .. لكنه لم يأخذ علاجا خاصا بالقلب يا هناء .. ماذا أفعل ؟ مات أبي .. كان السند الحقيقي لي بعد ترملي .. غادر الدنيا ناقما مني .. يا الهي ! كثير من الخلق يدخنون.. الملاهي ملأ بالناس .. المستشفيات كذلك مليئة بالمرضى والمجانين .. ماذا أفعل ؟ ماذا تفعلين ؟ سأعود امرأة تحترم كيانها بعد هذا السقوط السريع والمؤلم .. هذا هو الحل السليم .. ليتني لم أعد للعمل مع الرجال.. لست بحاجة للمال .. ليتني قنعت بالحياة في ظل مروان .. ظننت نفسي فتاة صغيرة صبية مراهقة تتطلع إليها العيون العاشقة ..إنما هي عيون الشهوة .. عيون الزنا والفواحش.. كانوا يسعون لإيقاعي في الزنا والفحش .. في الحقيقة لولا تدخل السيد حازم ومراقبته لي ؛ لربما كنت صيدا سهلا لهم ولاستدراجهم .. لم أسمح لهم بالنظر لجسدي رغم سعيهم لذلك ، وقد حاولوا إثارتي وإغرائي لممارسة الفاحشة.. كنت على شفير السقوط في الهاوية .. كانوا يركضون للنيل من جسدي .. لقد مات أبي قبل أن يعرف شيئا من جنوني ولهوي .. كيف لو وصلت للفاحشة والتعري لهؤلاء الفتيان ؟! كيف سيكون موقفي أمام ابنتي لو فعلت ذلك ؟! هل مات أبي لاستيقظ من غفلتي ؟!

ها هم أبناء وبنات إخوتي يتخرجون من الجامعات والمعاهد المتوسطة.. وها هي زهيرة على وشك إنهاء المرحلة التعليمية الأولى.. يجب أن اتخذ من حادثة موت أبي نهاية لاستهتاري وسخفي .. عليّ أن أتوب توبة حقيقية .. نعم سأتوب يا الله ساعدني وصرخت بها !

فالتفت إليها أمها وقالت : مالك يا هناء تصرخين ؟!

نظرت إلى أمها طويلا ثم قالت : ارتفع صوتي يا أمي ..إنني استغيث بربي .. الله أغثني

وأدركني .. أمي أريد أن أتوب .. أريد أن أعود للصلاة والعبادة .. أبي مات وهو غاضب عليّ تابت هناء بعد تلك المناجاة ، دخلت الحمام واغتسلت ، وظلت تصلي طوال الليل حتى صلاة الفجر .



أنهت زهيرة مجدي فصلها الأخير في الدراسة ، وبذلك انتهت المرحلة الأساسية للدراسة الابتدائية والإعدادية ، وكانت من الفتيات المتفوقات جدا في المدرسة الأهلية ، وأخذت تستعد للانتقال للمرحلة الثانوية ، وكان ذلك في صيف ١٩٨١ م ، وقد بلغت خمسة عشر ربيعا ، وقبل ابتداء الفصل الدراسي الجديد زارتها امرأة عمها عادل السيدة جليلة أم حسن ، ولم تكن الزيارة الأولى لها ؛ لذلك كانت تظن أنها زيارة كالمعتاد ، ولم يصحبها في هذه الزيارة زوج أو ابن أو بنت ، ولما اطمأنت على صحتها وحياتها ، طلبت منها أن تسمح لها بالجلوس مع أمها ، فاستغربت هناء هذا الطلب النادر ، فتركت الفتاة حجرة الضيوف ـ وهي وأمها ما زالتا تعيشان في بيت والد هناء وأمها ـ ولما خلت الغرفة من زهيرة كاشفتها جليلة عن رغبتها بتزويج ابنها ميلاد من ابنة عمه زهيرة ، ولما أنهت المرأة غايتها وصمتت ، حدقت هناء بجليلة وقالت ببرود وجفاء البنت صغيرة يا جليلة على الزواج .. أنا تزوجت السيد مجديا ، وأنا بنت خمس وعشرين سنة ، وبعد تخرجي من الجامعة والعمل بضع سنوات

ردت جليلة ضروري تكميل التعليم .. نصف بنات البلد يتزوجن صغيرات .. أنا نفسي تزوجت دون العشرين ، ولو تقدم لي أحد في سن أبكر لزوجني أبي يا سيدة هناء .. فميلاد شاب صغير عمره عشرون عاما ، وراغب بالزواج وتأسيس أسرة ، وهو محب لابنة عمه

عادت هناء تنظر في عينيها بضيق ماذا يعمل هذا الميلاد ؟!

أنت لا تعرفينه ؟ .. لقد رافقني بضع مرات إلى هنا .. هو يعمل في تصليح السيارات ، فني

سيارات بعد الإعدادية تحول للعمل في سوق تصليح السيارات .. يسمونه ميكانيكي سيارات . وهو شاب معجب بابنة عمه المرحوم مجدي ، وهو راغب فيها يا هناء تذكرته بل اعرفه جيدا .. وهل هذا يستطيع فتح بيت وتكوين عائلة؟!

ـ هو يشتغل من خمس سنين ، ولما يتزوج يفتح ورشة لحسابه الخاص

ـ أيستطيع هذا تحمل مسؤولية يا أم حسن ؟ وهو كثير الدخان

ـ الشباب كلها تدخن اليوم يا هناء .. الدخان سوسة وبلاء

بعد فترة صمت طالت قليلا قالت هناء لم يحن وقت زواج البنت يا جليلة .. زهيرة ترغب بالدراسة ودخول كلية الطب على رغبة والدها العزيز قبل أن يموت .. تريد أن تعالج وتداوي الناس المرضى

قالت : رحلة طويلة وشاقة يا هناء ..الزواج خير لها

ـ هذا ما تحدثت به أمامي ، وأمام الوصي الدكتور ماهر طه ، ووعدها الرجل بمتابعة المسيرة ، وهي شاطرة وذكية ومتحمسة لتحقيق هدفها وهدف أبيها ، فابحثي له عن فتاة أمية أفضل له ولكم .. فابنتي غير مستعجلة على الزواج يا أم حسن



اتصل الدكتور ماهر بالسيدة هناء ، وأنبأها أن السيد عادلا اتصل به متشفعا بتزويج ابنتها من أحد أبنائه.

فتبسمت المرأة وقالت لقد زارتني زوجته جليلة أم الولد وطلبت ذلك ، واعتذرت لها يا دكتور بأن البنت راغبة بالدراسة ، والدخول في كلية الطب كأبيها ـ رحمه الله تعالى ـ وأيضا اعتذرت بأنها صغيرة على الزواج ، ولا تريده اليوم لا أدري لماذا لا يكفون عن ذلك؟! فقد تحدثوا مع شقيقي يسري الذي يعيش معنا في بيت الوالد

فقال ماهر: الرجل يقول إن ابنه صاحب صنعة جيدة ، ولما يتزوج تعمل له البنت ورشة خاصة به ، ولسوف يرد إليها كل قرش ساعدته به، وأنفقته على ورشته.

ضحكت المرأة رغم أنفها وقالت : أما عجيب أمر هذا العم ! فما دام ابنه فالحا ومعلم تصليح لماذا لا يفتح له هو محلا من ماله ؟! لقد ورث عن أخيه هو الآخر .

قلت له هذا يا أم زهيرة فقال : لو فتحت محلا لميلاد ـ اسم الولد ميلاد ـ سأضطر لفتح الجرة للآخرين .. الكل سيطالب بمال يا ماهر ، وثروته وتقاعده لا يغطي ذلك لهم.. أما إذا فتحت له زهيرة المصلحة فلن يطالبه أحد بشيء زوجة ساعدت زوجها وابن عمها .. وسيصمت الآخرون

صاحت هناء دون وعي مع من تتحدث : تفكير أحمق ! .. أنا آسفة لرفع صوتي يا دكتور .. هو منذ مات أخوه وهو طامع فيما ورثناه أنا والبنت .. المصيبة أنه رجل متعلم ، وصاحب ثروة.. لماذا كل هذا الطمع في أموالنا ؟ ! كما تعلم حاول الزواج بي أكثر من مرة ، وحتى عندما طلقني أخوك أعاد الكرة .. واليوم بدأت مطاردة زهيرة .. معتقدا أن زواجي منه يلغي وصايتك على زهيرة ، وتصبح أموال البنت لعبة في أيدينا.. هذا رجل يعيش في القرون الوسطى إذا كان هناك قرون وسطى

ابتسم الدكتور ماهر وعقب قائلا : القرون فقط في أوروبا .. على كل حال أنا آسف يا أم زهيرة .. فقط أحببت أن أبلغ الرسالة .. وسأنقل له الاعتذار ، وأبين له رغبة البنت بتكميل تعليمها ، وأن هواها في دراسة الجامعة ، ولا تفكر أبدا بترك المدرسة والزواج..

ـ شكرا لك يا أبا جواد .

ـ لا شكر على واجب يا سيدتي .. أنا من أحب الناس رغبة بمتابعتها دراستها وتعلمها

ترك الهاتف واستلقى على أريكة ، وقد شرب كوب ماء أثناء سماعه كلمات ورد هناء وقال :فعلا السيد عادل عجيب أمره مع أسرة شقيقه مجدي !.. أرسل زوجه خاطبة ، ثم شفع شقيقها ، وثم دار عليّ .. المال .. يلهث وراء مال اليتيمة .. والبنت ذكية ومجدة في مدرستها، ومعلماتها يثنين عليها خيرا وإعجابا بأدبها وتفوقها ، والبنت جادة في طلب العلم ، ولديها الرغبة في الوصول للجامعة .. التعليم سلاح مهم للبنات قبل الذكور .. ولكن الذي يحيرني

أن عادلا مدرس ومتعلم ، وعمل مديرا قبل تقاعده .. فالأولى أن يفرح ويتحمس لرغبتها في الدراسة ، والعمل كطبيبة في المستقبل ويشجعها.

دخلت زوجه فاطمة وألقت السلام .. وقالت : ستأتي القهوة .. هل أنهيت الحديث مع أم زهيرة ؟

ـ نعم ، وهي ترفض بشدة فكرة اقتران ابنتها بعادل وأسرته .. وأكدت لي رغبة البنت بالاستمرار في الدراسة ، ثم الجامعة في كلية الطب كأبيها .. وأنا أستغرب من أفعال وتصرفات عمها نحوهم .. ورغم مشاكله القديمة مع هناء ما زال يضايقها ؛ بل أخبرتني أنه حاول الزواج منها بعد طلاقها من مروان .. تخيلي هذا وأنا لم أنس الفضيحة التي عملها في المستشفى يوم كسرت يد وقدم زهيرة .. وها هو اليوم يخطط لزواج ابنه من ابنتها .. وكما تعلمين مديرة مدرستها أكدت لي ذكاءها وحسن خلقها وحبها للعلم والدراسة ، وشهاداتها المدرسية تؤكد تفوقها وتقدمها على أقرانها .. وأكدت لي استعدادها للاستمرار في التعلم ، وعدم التفكر بالزواج قبل إنهاء المرحلة الثانوية بسلام ونجاح.. وفرص الزواج أمامها كثيرة.

فلما سكت قالت زوجه : التعليم مهم اليوم للبنات كما قلت .. اليوم المهن والأعمال تحتاج لشهادات وكفاءات .. ماذا ستقول للسيد عادل؟

ـ سأتحدث معه في موضوع تعليمها وأهمية ذلك لها ولحياتها ، وأن تركها للمدرسة غير مناسب فهي مجدة وراغبة بالاستمرار، وتحلم أحلاما كبيرة ، وأن أموالها ستساعدها بتحقيق الدراسة ، ولن تحتاج لمساعدة مالية من أحد.. وهي غير مؤهلة للزواج وهمومه.

لما وضعت فنجان القهوة الفارغ قالت أم جواد أتصور لو لم يبق إلا عادل وهناء في الدنيا ما قبلت بالزواج منه .. ولا ابنتها من ابنه .. فهي تبغض الرجل بغضا لا حد له يا ماهر .

ـ أعرف هذا، وهو يعرف هذا .. ولكن رفضها له جعل عنده عقدة نحوها .. وربما فعلت له شيئا أثناء زواجها من أخيه، فظل حاقدا عليها، ويظن بزواجه منها أنه ينتقم منها .

ـ زهيرة فتاة طيبة وهادئة ، وتستحق كل خير وحماية .. فأيام خلاف أمها مع مروان كانت

مستاءة من أمها كثيرا .. وكانت تتعجب من شربها للخمر وتعاطيها للدخان والتبغ .

ـ الله وحده الذي لطف بتلك المرأة .. الحمد لله على أفضاله حدثني حازم

أنها عادت تتصرف كمراهقة .. خاصة وهي تتحدث مع الموظفين الشباب .. ربك لطيف بعباده فله الحمد والمنة.

ورغم فشل شفاعة الوصي ماهر تقدم بعض أعمام زهيرة ، وتحدثوا مع الأم في موضوع زواج البنت من ابن عمها ميلاد ، ورفضت الفتاة حتى التفكير بالزواج ، وأكدت لهم همتها لنيل شهادة الثانوية والالتحاق بالجامعة .

عندما دخلت زهيرة في السنة الأخيرة من الثانوية العامة تقدم رجل أرمل متقاعد من الجيش للزواج من أمها ، وكان أخ لها يضغط عليها للقبول به ، فهو قريب لزوجته وراغب بالزواج من امرأة لا تنجب ، وكبيرة في السن إلى حد ما ـ وقد ترمل منذ شهر واحد وكل أبنائه كبار وجلهم متزوج ـ وبعد تأمل وتشجيع من أمها وأخواتها وافقت على الزواج من جديد ، والرجل الأرمل يكبرها ببضع سنوات فقط ، لم يدخل على الستين بعد ، وانتقلت للحياة في داره وسكنه ، وتركت زهيرة في بيت أهلها حيث هي تعيش مع أمها العجوز ، وكانت زهيرة قد اعترضت في أول الأمر على زواج أمها الجديد ؛ ولكنها أمام حجج أخوالها وضغطهم رضخت للأمر الواقع كما يقال ، وقبلت بزواج أمها على مضض ، وتمنت من أعماق فؤادها أن ينجح زواج أمها من هذا الرجل المتقاعد من القوات العسكرية السيد رستم علي .

اجتهدت الفتاة اجتهادا كبيرا في المدرسة، ومع أنها التحقت بمدارس أهلية منذ بداية تعليمها وفر لها الوصي ماهر مدرسين خصوصيين لبعض المواد التعليمية المهمة ، وفي النهاية استطاعت النجاح في الثانوية العامة بنجاح كبير ومعدل درجات يسمح لها بدخول كلية الطب في داخل البلاد أو الصيدلة

فرحت أمها بنجاحها غاية الفرح والسعادة ، ورأت ذلك من توفيق الله سبحانه لقرة عينها الوحيدة ، وقد غمر الفرح كذلك الوصي ماهر وأسرته ، فهم كانوا يشعرون بعطف وحب

كبير للآنسة زهيرة ، وممن سعدوا بنجاحها أخوالها وخالاتها.

وسارع ماهر بتقديم أوراقها إلى كلية الطب في جامعة البلاد ليحقق رغبتها ورغبة أبيها المرحوم مجدي ، وقبلت أوراقها ، ووفقت لها الدراسة في الجامعة ، وبدأت تتهيأ لدراسة الطب أما عمها عادل فلم يسعد بنجاحها ، ولا بدخولها الجامعة ، وقاموا بتهنئتها على استحياء ، وبدأت عامها الأول في جامعة الطب عام ١٩٨٤ ، وعادة تبدأ الدراسة في البلاد في فصل الخريف (أيلول) وتستمر إلى مطلع الصيف (حزيران) فتنتهي الدراسة السنوية .

وقد سعى ذاك العم إلى تزويجها من ابنه ميلاد مرة أخرى مبينا لها أهمية الحياة الزوجية بالنسبة للأنثى ، وأن زواجها خير من تعلمها، وقضاء العمر في دراسة الطب ، وأن فرص الزواج تقل أمامها ، فتأسفت له ، وأكدت له إصرارها على نيل شهادة في الطب ، وأن الدراسة لديها أهم من الزواج ، وأنها تتعلم ليس من أجل المال ، فقد ترك لها والدها ثروة تغنيها عن العوز للآخرين، وإنها تتعلم مهنة إنسانية تساعد الضعفاء والفقراء من خلالها ، فلما عاد الرجل متأففا من لقائه بابنة أخيه قال لنسائه حيث كن في انتظاره : ترفض الزواج ، ومصرة على الجامعة والطب ، وتطلب منا بنت هناء البحث له عن زوجة غيرها أرأيتم تربية هناء محمد ؟!

وبعد لحظة صمت قال : نعم ، ليبحث الفتى عن زوجة أخرى يا جليلة ، وليدع هذه المتكبرة فهي بنت من ؟! بنت هناء التي تبغضنا وتحقد علينا .. لا أدري كيف اقترن بها مجدي ؟ لابد أنها هي التي قصفت عمره بكرهها لعائلتنا .

فقال ميلاد الذي كان معتكفا في البيت منتظرا لعودة أبيه : لا تريد الزواج مني نهائيا

ضحك عادل عاليا وقال : إنها ترفضك وهي في المدرسة ، فهل ترضاك بعد شهادة الجامعة وفي كلية الطب ؟ .. هذه الدكتور ماهر راسم عليها لأحد أبنائه .. ألم يقنع أخاه بالزواج من أمها قبل سنوات ؟ لم تعد ابنة العم لابن العم .. هذه الشهادات تباعد بين الناس اليوم.. أصبحت تجعل فروقا بين الأخوة والعائلات .. دكتورة ستتزوج دكتور سيارات .. ابحث لك عن امرأة أفضل وخيرا منها يا ولدي .. لم تعد بنات العم الزوجات الملائمات

فعقبت أمه قائلة ساعية لإبعاده عنها : لا أدري لماذا أنت متعلق بها يا ميلاد ؟! منذ رفضتنا قبل سنوات قلنا لك دور عن أخرى .. بنات عماتك كثر .. بنات خالتك أكثر .. لم يخلق في الدنيا إلا زهيرة .. البنات تملأ الحي والدنيا

فصاح فيها محتدا : لن أتزوج إلا زهيرة بنت عمي مجدي .. لم أر في النساء إلا هي .. وسأتزوجها رغم أنفها .. ولو تزوجت غيري سأقتلها هي وزوجها

قال أبوه : لقد جن الولد يا جليلة! .. نحن أحببنا لك الزواج منها ، وشجعناك على ذلك ؛ لكن ليس بالغصب والقهر والقتل .. هذا كلام فارغ .. من باعك بعه .. ما الذي يعجبك فيها ؟.. فهي اليوم مثل السعدان تتكلم من رأس مناخيرها .

عاد الشاب الغاضب يتوعد : زهيرة لي يا أبي .. هل نسيتم تشجيعكم لي للزواج منها ؟ الآن تريدون أن تتنصلوا من الكلام .. لا .. لا .. سأتزوج منها رغم أنفها

ـ راحت أيام رغم أنفها .. اليوم القانون فوق العادات والتقاليد والأعراف

ـ سأصبر حتى تصير طبيبة.. وأتزوج الطبيبة .. إنها ابنة عمي .. وأنا أولى الناس بها .

قالت أمه : بنات أعمامك كثيرات .. نحن أحببنا أن تكون من نصيبك .. ولكن إرادة الله هي الغالبة.. كان الأمل كبيرا، وهي أصغر سنا .. أما بعد الشهادة والنجاح في التوجيهية فالأمل مات .

فقال الأب : يا ابني سعينا ووسطنا ـ كما تعلم ـ أخوة هناء ، ووسطنا الوصي على مال أبيها ورفضت .. ومصرة على الرفض .. وتدعوك للبحث عن غيرها .. وهي لليوم لم يتقدم لها أحد سواك .. كل الناس تعلم أن السيد ميلاد عادل يرغب بالاقتران بابنة عمه .. فدعها .. عليك بالبحث عن زوجة غيرها .. فهذه تربت في بيت أخوالها لا تصلح لك يا ولدي .. فقد تطبعت بطباعهم .. ورأيت فعل أمها وكيف لوثت سمعتها ؟ لولا لطف الله بها وبأهلها .. فقد مات أبوها قهرا من أفعالها الدنيئة.

تهديد

أخذت الأم ولدها إلى غرفة أخرى، وطلبت من إحدى بناتها عمل الشاي لأبيها وامرأة أبيها التي حضرت تلك الجلسة ولشقيقها ، ولما جلسا قالت الأم متظاهرة بالحزم والأمر : اسمع يا ميلاد أنا ووالدك كانت لنا رغبة شديدة أن تتزوج من زهيرة .. وكما قلت شجعناك على ذلك كان والدك حابّا لهذا.. ومشينا في هذا المسعى منذ سنوات ، وأنت تابعت تحركاتنا ؛ ولكن كما علمت رفضت البنت وأمها بشدة .. وقلنا لما تكبر الفتاة سنوات أخرى وتنضج قد تغير قولها ورغم همساتنا ، وإظهار رغبتنا بهذه المصاهرة استمر الرفض ، وظل اعتقاد أرملة عمك أننا طامعون في مال زهيرة حتى أن بعض أعمامك وعماتك يرددون هذا الكلام .. وما دامت زهيرة التحقت بالجامعة فعليك أن تتزوج من بنت أخرى.

ـ لن أتزوج يا أمي إلا منها .. ولو قضيت عمري كله بدون زوجة وأبناء .. زهيرة لي ، وأنا لها وأنا لولا حبي لها لما وافقتكم على طلب يدها .. هي المرأة الوحيدة في الدنيا التي يجب أن أكون زوجها .

دخلت أخته بالشاي الثقيل الذي يحبه ميلاد عادة ، وأشعل سيجارته ورشف شايا ، ولما أغلقت البنت الباب قال : تعلقت بها منذ سنوات وسنوات ، والأمر لأبي ، وليس لأمها ولا لها.

ـ يا ابني واحدة لا تريدك ، ولا تريد الزواج كيف ستعيش معها ؟

ـ أنا أريدها .. عليّ اللقاء بها بنفسي

ـ لقد حاولت أكثر من مرة ، ورفضت اللقاء بك حتى صارحتني مرة أنها تبغضك .. قالتها صراحة يا ميلاد .

ضحك ساخرا : تبغضني ! أكيد لها فارس أحلام كما نرى في مسلسلات التلفزيون .. زهيرة لي يا أمي ويجب أن تكون لي .

قالت بضجر وملل : كيف ستكون لك ؟ ! وكيف ستقبلك إذا صارت طبيبة ؟!

ـ ولماذا لا تقبل بي إذا أمست طبيبة ؟! .. هي تداوي البشر وأنا أداوي سيارات البشر

ـ دعنا نفرح بك اليوم .. الطب دراسته تحتاج لسنوات.. فأنت تكون أبا خلال هذه السنوات كف عنها

تنهد بعمق وقال : لن أكف عنها ، لم أحب وأرغب من هذه الدنيا إلا بها ، لو كنت أريد أي فتاة لتزوجت من سنوات .

نادت الأم على زوجها الذي أقبل غاضبا حانقا، وقد أدرك أن زوجته فشلت بإقناعه بنسيان زهيرة مجدي ، فأعلمته زوجه بإصرار الولد على الزواج منها مهما طال الزمن ، ولن يسمح لأحد بالزواج منها.

فقال عادل حسن : نحن رغبناك بها، وشجعناك حسب عاداتنا قبل أن نسكن ونعمل في هذه المدن

رد ميلاد بغضب : قبل أن تشجعني للزواج من ابنة أخيك كانت لدي الرغبة بالاقتران بها.. أنا أحببتها دون نساء العالمين .

ـ الزواج لا يكون بالقهر والعنف .. وهي رفضتك وهي طالبة صغيرة ، فكيف بعدما تصبح طبيبة؟! فهي تعتبرك أميا جاهلا لا يفك الخط

ـ هذا ليس بعيب يمنعني من زواجها .. لا أريد إلا زهيرة مجدي أو دعوني من الزواج قطعيا .. تعلقت بها صغيرا وأريدها كبيرا مهما طال الوقت بنا

ـ يا رجل تدخل أعمامك والوصي ماهر، وهي تأبى الموافقة.. فكيف سنجبرها على القبول بك؟! .. قد كان هذا قديما قبل دخول المدنية بلاد الناس .. اليوم المرأة لها كلمتها واختيارها .. كان هذا يستساغ قديما

قال ميلاد : سأسعى للقائها .. يجب أن تقابلني شخصيا وأتحدث معها .. أليست ابنة عمي؟.. لماذا لا أتحدث معها مباشرة ؟!

قالت الأم : شجعتها للقاء بك ، وإقناعك برفضها من فمها لفمك .. لا تريد هذا .. قل لي

كيف أدفعها لمقابلتك ؟ .. يا ولدي كبرت سنك إنك تقترب من الخمس والعشرين والطب يحتاج لسبع سنين .

قال بعناد : أصبر وأنتظر إذا وافقت .

نادى عادل ابنه الكبير حسنا ليقنع أخاه الصغير ميلاد بترك ابنة عمه في شأنها وجامعتها.



اتصل ميلاد ببيت أم فوزي جدة زهيرة ، فردت عليه الخادمة الأجنبية التي تقوم على خدمة زهيرة وجدتها بعد رحيل أمها ، فأخبرته بعربيتها الركيكة أنها لم ترجع من الجامعة ، فلما عادت الفتاة مساء من كلية الطب أخبرتها الخادمة (روجا) باتصال السيد ميلاد بها ، فانزعجت للاتصال وقال لنفسها ماذا يريد اللعين ؟

وما كادت تنهض عن طعامها حتى رن الهاتف ، وكان المتصل ميلاد عادل يطلب الحديث معها ، فقامت مثقلة وتناولت السماعة من الخادمة ، وبعد التحية والسلام أبدى الشاب رغبته باللقاء بها ، وزيارتها للحديث معها خمس دقائق فقط ، وبعد رفض وافقت على الحديث معه مباشرة.

وبعد صلاة العشاء ليلا كان الشاب يطرق الباب وبصحبته أمه ، وبعد المجاملات التقليدية والترحيب وأخبار الصحة والأسرة ، طلب ميلاد أن يسمحوا له بالحديث مع زهيرة على انفراد ، فتركت الأم والجدة الشابين في صالون البيت ، وترك الباب مواربا غير مغلق إغلاقا تاما .. فقال بانفعال بين : لماذا ترفضين الزواج مني يا آنسة ؟

فنظرت إليه بحدة وضيق واضحين وأجابت : لك سنوات تتحدث عني يا ميلاد .. ومنذ البداية علمت عدم رغبتي بالزواج منك وحتى من كل عائلة أبي .. أنت لا تناسبني لماذا لا تفهم ؟! لماذا أنت مصمم على الزواج مني ؟! لماذا؟! ألا يوجد بنات في الدنيا غيري ؟!

ـ هل لو كان والدك حيا ترفضين بهذا الإصرار ؟.. ألسنا أقارب وأبناء عم ؟

ـ الزواج لا أفكر فيه قبل شهادة الطب يا سيد ميلاد

ـ أصبر كما صبرت هذه السنوات

ـ لم يقل لك أحد اصبر.. أمي اعتذرت لكم قديما .. وأنت صحيح ابن عمي الكبير السيد عادل ؛ ولكن لا حق لك بالزواج مني رغم أنفي لهذه الصفة .. فأبناء العم كثر لماذا أنت دونهم ؟ وأيضا بنات أعمامك كثيرات

ـ لكني أريدك أنت وحدك ، وتقدمت لطلب يدك على حسب الأصول

ـ وأنا رفضتك حسب الأصول .. الزواج بالتراضي يا ميلاد .. فلنبق أبناء عم فحسب .. لا أصلح زوجة لك

ـ لأنني لم أدرس ، لم أبلغ الثانوية العامة ؟

ـ قد يكون هذا أحد الموانع ، ولكني رفضتك قبل دخول الجامعة ، وقبل الثانوية العامة .

ـ ولكني راغب بك زوجة

فصعقته بنظرات نارية وقالت بصوت ارتفع قليلا : عجيب أمرك ! .. هل الزواج بالغصب يا سيد ميلاد ؟ لا أريدك ، لا أريد الزواج نهائيا من أجلك .. ارحمني يا رجل.. سأبقى عذراء .

ضحك وقال : جميل !! تبقين عذراء .. هل يعقل هذا يا بنت الناس ؟ إذا كان فيّ عيب ومانع اذكريه

تبسمت غاضبة : بس لا أريدك .. هل الزواج بالعافية ؟

ـ هل هناك رجل آخر ؟

صاحت بغضب : وضيق حقير أنت ! .. هل هناك .. هل هناك رجل آخر ؟ أتراني فاجرة بائعة هوى ؟!

قال : اسمعي لن أتزوج إلا من زهيرة مجدي .. مهما طال الزمن.. أنت المرأة الوحيدة في الدنيا التي سأتزوجها شئت أم أبيت .. أعجبك هذا أو لم يعجبك .. لن تكوني لغيري يا زهيرة .. أنا

قلت لما تكبري تعقلي وتعرفي أن لا غنى عن الزواج .. لما تنضجي تقبلين بي

ـ أنت وقح وحقير.. وما أنت برجل !

قال : حقير نذل .. صنفيني بما شئت .. لن أسمح لأحد بالزواج منك وأنا حي يا زهيرة بنت مجدي

ـ لا أريد الزواج أيها الحيوان ! لما أتزوج تتكلم .. انصرف اغرب عني .. أرجوك لا تريني هذا الوجه ثانية

ـ سأنصرف يا زهيرة سأتزوجك غصبا عنك ، وعن كل العائلة .. لن أسمح لرجل أن يأخذك

ـ لولا الحياء لشكوتك للشرطة مع السلامة

وأخذت بالبكاء ، فدخلت جدتها وأمه ، وطلبت منه الجدة المغادرة وهي تقول : يا ابني الزواج بالتفاهم والقبول .. وليس بالتهديد والوعيد .. ابحث لك عن بنت غيرها البنات تملء البلد.

فقال وهو يغادر الغرفة : لن يتزوجها غيري .. أنا ابن عمها وأحق الناس بها .. لن أسمح أبدا لأحد الناس بالزواج منها إلا إذا قتلت أو مت

غادر الشاب وأمه منزل الحاج محمد فوزي وأمه تقول له: يا ابني دعك من وجع الرأس .. بنات أعمامك كثيرات، صاح في أمه وهو يركب في سيارة المحل الذي يعمل فيه : أنا قلت لن أتزوج إلا منها رضيت أم أبت .

ـ إنك تبحث عن الشقاء والتعاسة ، لم تحلَ في عينيك إلا زهيرة .. سخطها الله.

ـ نعم ، لم يحلُ في عيني إلا هي.

قضت هناء ساعات مع زهيرة وهي تهدئ من روعها ، وتخفف عنها جرح الكلمات والتهديدات التي أطلقها ميلاد ، وفي الصباح الباكر لما صلت الفجر قدمت إليها متابعة لصحة ابنتها ، بعد ساعات الليل التي قضتها مع زهيرة مخففة من آثار اللقاء الساخن بينها وبين ابن

عمها المجنون ، وأكدت لها من جديد أنها كلمات جوفاء ، وكلام فارغ ، ولن يستطيع فعل شيء من تهديده ووعيده ، فهو شاب أرعن لا يجد أحدا يربيه ، ويدعس على رأسه ، وأنها لما تنهي جامعتها ستجد أحسن عريس في الدنيا، وستكون طبيبة عظيمة ، وتختار العريس المناسب واللائق بها.

وكذلك بين لها خالها يسري أن الزواج لا يكون بالقوة والعضلات والتهديدات ، وما هو إلا شاب فارغ خائب ، وكلامه في الهواء.

وكلمة من هنا وأخرى من هناك خفتت دموع زهيرة ، ومضت إلى جامعتها ، ومع المحاضرات نسيت ميلادا وأهل ميلاد ، واختفى ذلك اللقاء العاصف واشتغلت بدروسها ومع الوقت زال كل أثر لذلك الكلام القاسي.

وكانت هناء قد تحدثت مع ماهر الوصي عن ذلك اللقاء ، فاستغرب الوصي مثل هذه الأفعال في مثل هذا الزمن ، ووعد بالحديث مع السيد عادل ، وفعلا لما انتهت المكالمة اتصل على الفور بالسيد عادل حسن ، فلم يجده في البيت وطلب منهم إخباره باتصاله ؛ ليتصل به عند عودته للبيت

ولما اتصل السيد بالدكتور سأله عن سبب تصرف ابنه مع زهيرة ابنة عمه بتلك الطريقة الصبيانية والتهديد والوعيد ، فقال السيد عادل : هذا الولد يا سيدي الدكتور متعلق بابنة عمه ويزعم أنه يحبها ، ولا يحب في الدنيا من النساء إلا هي ، وقد صدم برفضها الشديد ، وكان يظن أنها لما تكبر تتغير ، فهو منذ وعى وبلغ وهو يرى أنه أولى الناس بها .. وأنا في البداية شجعته على ذلك ، قلنا نحن أولى باليتيمة من غيرنا ، وسعيت له في ذلك.. وأنت تذكر ذلك ، ثم لما رأينا عدم رغبتها فينا كأمها العاقة طالبته بالكف عن الحلم بالزواج منها ، وليبحث عن حليلة خيرا منها ؛ ولكنه راكب رأسه ، ولا يريد إلا هي .. هو صبر على أمل .. وهذا الدراسة طويلة كما تعلم يا دكتور ، فهو يريد أن يتزوج وهي تدرس ولا مانع عنده ؛ ولكنها تأبى الزواج اليوم.

ـ يا أستاذ عادل.. البنت من البداية بينت لكم أنها تطمح لإكمال الجامعة والعمل كطبيبة .. ونصحت لك سابقا أن تزوج ابنك؛ لأنها تبغضه ولا تريده .. لكنك على ما يبدو لم تكترث بنصحي .. يا أستاذ الزواج إن لم يكن إيجاب وقبول عن طواعية سيفشل .. أنتم تحيون في عاصمة مدينة أفكار الريف والقرى لا تتناسب مع المدن .. فالتهديد والوعيد لا يجدي نفعا .. فأرجوك أن تكف ابنك عن إزعاج البنت .. طلبت مني أمها أن أتقدم بشكوى للشرطة عن طريق المحامي .. فاعتذرت لها وقلت أنتم أهل .. والإشكال يحل بالتفاهم.. أنت رجل عاقل ومربي أجيال يا أستاذ عادل.. فاضغط على الولد أن لا يتعرض لها مستقبلا بشيء مهما صغر إنها فتاة يتيمة ووحيدة أمها..

ـ صدق يا دكتور أني وأمه وأخوه الكبير حاولنا جادين صرفه عن هذا اللقاء ، وعن هذا التفكير الأعوج .. ولكن ماذا ستفعل لشاب بلغ الثلاث والعشرين سنة؟! .. لم يعد صغيرا

ـ والحل يا سيد عادل.

ـ أنا لا حل عندي.. الحل عندكم.

ـ عندنا ! .. يا رجل أنت عمها والولد ابنك

ـ قل لي ماذا أفعل ؟ هل أستطيع أن أخطب له فتاة بدون موافقته ؟ مَن مِن الناس سيقبل ؟! أنا في الأول قلت ابن عم يرغب بابنة عمه .. ولما رأيت رفضها قلت له ابحث عن غيرها أو اصبر حتى تنضج أكثر .. فلو لم يكن محبا لها لما صبر ، ولتزوج أخرى دون انتظار.. وأنا أضع السبب واللوم على أمها فهي تبغضنا ؛ كأننا لسنا أسرة واحدة ، وأنها زوجة المرحوم أخي .. وأن البنت بنتنا .. نشرت بين الناس أننا طامعون في ثروتها ومالها الذي ورثته عن أخي، وصدق الناس الكلام .. ولما تحدثنا عن البنت أخذت تنشر أننا طامعون بمال زهيرة .. كل الأولاد تزوجوا يا دكتور وأغلب البنات ، لم يبق إلا ميلاد وبنتان ما زالتا تتعلمان.. وأولادي من الزوجة الثانية وهم صغار بعد

ـ وهل الزواج بالقوة والعنف يا حضرة الأستاذ ؟

ـ القضية أن الشاب متعلق بها ومحب لها

ـ حب من طرف واحد لا يفلح .. وأمامها سنوات في الجامعة .. فأتمنى عليك أن تبعده عن طريقها .. لا أريد أن تصل الأمور لشرطة ومحاكم وأنتم أهل .

ـ ذكرت له عن فشل الحب إذا كان من طرف واحد ؛ ولكنه قال يأتي الحب بعد الزواج .. أكثر الناس يتزوجون بدون حب ، ويأتي الحب بعد الزواج

ـ صحيح هكذا نتزوج ؛ ولكن بقبول الطرفين لبعضهما .. لا برفض ولا بقوة تهديد .. لا يوجد إجبار وإكراه .. تقبل به المرأة ثم يأتي الانسجام والقبول .. هي ترفضه بقوة وشدة .. عليك بردع ابنك يا عادل.. هذه ابنة أخيك وأنت وليها الأول ، وهي أمانة في عنقك .. تتزوج بإرادتها ورغبتها ومن تقبله وتوافق عليه .. عليك بتزويجه قبل أن يتمادى معها .. فأنا دهشت من فعلته معها.. الزواج بالتفاهم والتراضي

عاد عادل يردد : ماذا أفعل ؟ هل أحمل له سيفا ؟! ذكرت له أنا وإخوته أن ينسى هذه الفتاة ، وأنها لا تصلح له ، وستجعل حياته جحيما وشقاء ، لو حصل زواج بالغصب والإجبار.



رقيب

شغلت قضية تهديد ميلاد لزهيرة عددا من الأسر ، فقد تضايق أفراد عائلة هناء محمد من هذا التصرف الأرعن ، وحتى زوجها رستم تضايق من فعل الشاب ، ورغب في التدخل في القضية ، لولا رجاء هناء ألا يتدخل خشية أن يكبر الأمر ، ورأينا أن أسرة الوصي ممن استاءوا من تصرف الشاب الغبي ، وحتى بعض أعمامها تحدث مع شقيقه الأكبر ، واحتج على هذا الفعل ، والكل يرى أن الحل أن يتزوج فتاة أخرى ، ويدع ابنة عمه تختار من تشاء لما ترغب بالزواج ؛ لذلك لما كلمه ماهر طه عبر الهاتف قال ميلاد بغضب مكتوم صرفت نظري عن الزواج .. سأظل أعزبا .. أنا حر

سعى ماهر للالتقاء به ، فاعتذر الشاب ، وطلب منه عدم الاتصال به ثانية ، تحدث ماهر مع زميل له في الطب النفسي ، فقال بعدما سمع تفاصيل القصة هو كلام لا يجب أن يؤخذ عن جد .. إنما هو علق بها صغيرا ـ في فترة المراهقة من تشجيع والديه له في التفكير فيها كزوجة ـ فأصبح مقتنعا أنه الذي يجب أن يتزوجها .. ولما كبر سنه ظل الوالدان يرغبانه في هذا الاتجاه، فاستقر في وجدانه كأنه حقيقة وواجب الاقتران بها ، ولم يستوعب رفضها القديم، وظن أن ذلك دلع بنات ، ولما تكبر البنت ، وتنضج جنسيا أكثر سيكون هو الرجل الأول في حياتها .. هو مقتنع أن الدراسة لا تصلح للبنات ، وأقصى أماني الفتاة أن تأخذ الثانوية ، وتتزوج قبل فوات الأوان .. وأعتقد أنه بتصرفه هذا أن تضعف وتستسلم للقبول به ، فهو يحاول إخافتها بأنه الزوج الأول والأخير لها ، وعليها أن تقنع نفسها به .. ونصيحتي لها يا دكتور ماهر غض الطرف عن تهديده ، وأن لا تهتم بكلامه .. وفي حالة الغضب والثورة النفسية يتكلم الناس بغير وعي وإدراك لما يقولونه هل ننتظر حتى يفعل شيئا مؤسفا؟

ـ ماذا سيفعل ؟! هل سيعتدي عليها بدنيا ؟ هل يقتلها ؟! لن يفعل شيئا .. سيظل متعلقا بها حتى تتزوج هي .. فهو سيظل مقنعا لنفسه أنها له ما دامت بغير زوج

ـ أهو مريض نفسيا؟

ـ هو تصرف تصرفا عدوانيا على غير عادة الناس في الزواج ، ويحتاج لعلاج نفسي إذا قبل أن يجلس في عيادة الطب النفسي ، ولكنه من الصعب أن يقبل هذا الاقتراح ويعترف بأنه مريض، وبحاجة لعلاج لأن أغلب الناس في بلادنا لا يعترفون بهذا الطب

ـ المشكلة يا دكتور أن والده طمعت نفسه قديما بالزواج من أم البنت بعدما ترملت بوفاة شقيقه .. وفسرنا ذلك طمعا بثروتها وميراثها من شقيقه .. وقد رفضته الأم ، ومع ذلك عاند وكرر الطلب حتى بعدما نكحت شقيقي مروان .. عاشت معه بضع سنوات ، ثم طلقها ، وطلبها الرجل من جديد .. وها هو ابنه يسعى بكل شدة للزواج من ابنتها .. أمر غريب فعلا يا دكتور عاطف !

ـ لا تخشى عليها .. سوف يختفي من حياتها ، وهي ستختفي من تفكيره .. وسوف يستسلم للواقع .. لا أتصور أن يؤذيها ماديا ما دام في تلك المقابلة لم يفعل ذلك .. قد تخرج منه ألفاظ بذيئة ، وشتم نحوها للتنفيس عن الكبت منها .. ومع الوقت وتقدمها في الجامعة سيدرك البون الذي يتكون بينهما ، وأنها لا تصلح أما لأولاده

ـ أتعتقد أنه سوف سيتزوج بعد حين ؟

ـ سيفعل ، ربما يتأخر ذلك بعض الزمن حتى يتخلص من رواسب السنين التي قضاها بالتفكير بأنها حليلة له

ـ أرجو ذلك ، فأنا تهمني سلامتها حتى تبلغ بر الأمان، وتتزوج وأخلص من رعايتها ، وأسلمها أموالها

ـ الحقيقة أن اللوم يقع على والديه أساسا ، فمنذ رفضته كان عليهما السعي لتزويجه بأسرع وقت لكن يبدو أنهما كانا يطمعان بتغيير رأيها .. وأخشى أن يبقى لديهما أمل بأن يتزوجها حتى بعد جامعتها .. فعليك أن تحثها يا ماهر على السعي في زواجه في كل حين

ـ فعلت ، وسأبقى أفعل .. هذا الشاب ترك المدرسة صغيرا ، لم يصل للثانوية يا عاطف .. تعلم مهنة تصليح السيارات الصغيرة .. والفتاة سوف تلتقي بطلاب أطباء وطلاب جامعيين

لا أعتقد أنها ستغير رأيها أيها الصديق في يوم من الأيام .. فهو جاهل علميا بالنسبة لها .. فالفجوة ستكبر أكثر وأكثر

ـ أرجو لها السلامة أيها الصديق العزيز .. ولتهتم بدراستها ، وتنسى قدر الإمكان كل تصرفات ميلاد ومعاكساته .. هي تنفيس عن الفشل أيها الفاضل وصبره منتظرا تلك السنوات لعلها تغير رأيها نحوه .. لقد خاب أمله وانتظاره .

كان الشاب ميلاد يجلس أمام المحل الذي يملكه مع ابن عم له اسمه حميد نبيل حسن ، وكانا شريكين في المحل منذ سنتين مضتا ، فكلاهما تعلم مهنة تصليح السيارات الصغيرة والحافلات الصغيرة ، وكان حميد من جيل ميلاد سنا ، ولكنه متزوج منذ سنوات خلت ، ووهبه الوهاب حتى هذه الأحداث بنتين ، والمولود الثالث على الطريق كما حدث ميلادا ، وكان حميد يجلس في سيارة قابعة أمام المحل تنتظر التصليح والصيانة ، ومحلهما هو واحد من عدد كبير من المحلات التي تعمل على صيانة وتصليح السيارات في ذلك الحي والشارع .. هو سوق لتصليح السيارات الصغيرة والكبيرة ، وبيع القطع لها ، وبيع الإطارات والإكسسوارات الخاصة بالسيارات ، وتنجيد الكراسي ، ونفخ الإطارات وتبديلها ، ولا يخلو المكان من محلات تجارية وبقالات ومطاعم ومقاهي لتخدم رواد ذلك السوق الكبير ، وكان حميد يدخن ومثله ميلاد ، فكان حميد يعمل ويقول لميلاد : أنت عنيد .. لو تزوجت منذ رفضتك ؛ لكان عندك أولاد وبنات اليوم .. فلي زوجة وبنتان والأم حامل.. أنا متعجب من تعلقك الغريب بزهيرة .. فهي ليست بالفتاة البيضاء الحسناء .. هي فتاة عادية لديها مسحة جمال .. وهي ممتلئة الجسم مثل أمها ، وليست طويلة القائمة ونحيفة .

التفت إليه ميلاد وقال : ألا يقولون الحب أعمى ؟! .. أنا ألوم أمي وأبي اليوم .. ألومهما في تعلقي الكبير بها .. كانت البداية ابنة عمك يجب أن تستر عليها .. هذه اليتيمة نحن أولى الناس بالستر عليها .. معها قرشان أنت أولى بهما من غيرك .. فأحببتها ورغبت بها ، وظننت الأمر سهلا .. مالها يساعدك في فتح دكان تعمل فيها وحدك .. فصدقت كل هذا الكلام يا حميد ..

ولما رفضتني في آخر المرحلة الإعدادية قالوا صغيرة وغدا ستكبر .. وهكذا ضاع صبرنا وانتظارنا هباء منثورا . نادى على صبي يعمل لديهم ، وأعطاه كأس شاي فارغ قائلا له: املأ هذا الكوب ، ثم أشعل لفافة تبغ أخرى وقال : هل سيأتي شقيق صاحبك محمود ؟

ـ أمرك عجيب يا ابن عمي ! بنت تعقد حياتك .. يا رجل القصاص حدثونا بقصة عنتر بن شداد .. وفي النهاية لم نعرف أن البطل تزوج عبلة أم لا ! .. وماذا سيفعل لك السيد أحمد شقيق محمود ؟ .. هو مجرد طالب في الجامعة .. هل سيدع محاضراته ليراقب لك زهيرة ؟

ـ يلتقط أخبارها وأفعالها في الجامعة ..

ـ هل يترك دروسه ليهتم بفتاتك وابنة عمنا المرحوم مجدي ؟ العم الذي ظل هاجرا للزواج حتى صار عمره أربعين سنة ثم تزوج .. ربما في ابنته شيء من الوراثة .. أو أنت ستصير وريثه في العزوف عن الزواج .. ولما تكبر تتزوج .. تزوج بضع سنوات ، ثم سلم الروح لبارئها ..

ـ حياتي معقدة هذه الأيام

ـ عنادك عقّد حياتك .. كانوا يقولون لك عندما تتزوجها ستفتح لك محلا .. ها هو المحل لنا بدون أن تتزوجها .. استيقظ من عنادك يا ابن عمي .. زهيرة من درب ونحن من درب .

ـ ألها عاشق يا حميد يبعدها عني ؟!

ـ أمي تقول إنها فتاة جادة وحابة الدراسة وأن تصير دكتورة كأبيها .. تتداوى عندها الناس .. مهنة أبيها ..

قال : ولكنها في الجامعة !

ـ هو كل فتاة في الجامعة لها عشاق

قال : أصدقاء من الذكور ..

ـ وماذا يعني هذا لك ؟ اليوم هناك مدارس فيها من الجنسين .. وبحكم الدراسة لابد من التقاء وتصاحب الجنسين .. أنا لا أدري كيف تخرج كلمة عاشق من فمك نحو ابنة عمنا ؟

ـ الدنيا تتغير بسرعة يا إنسان

ـ لا أقصد المعنى الحرفي للكلمة .. هناك كما نسمع تتخذ الفتيات زملاء وأصدقاء وشلة يلهون مع بعض .. يدخنون يسخرون يمزحون

ـ صحيح ؛ ولكن ليس بالصورة البشعة التي نسمع عنها في جامعات أوروبا من حب الحرية الجنسية حتى أننا نسمع أن حرية زواج المثلين في تلك البلاد .. شيء مقرف !

ـ مقرف .. لأننا مجتمعات مسلمة .

ـ ابنة عمنا الدكتورة الصاعدة لابد أن تلتقي ببعض الشباب كغيرها من طلبة الجامعة

قال ميلاد وهو يرمي كوب الشاي الثاني على الأرض : تتعرف لكن أن تحب وتسهر ..

ـ لا يرضى أخوالها بذلك خاصة يسري الذي تشاطره البيت مع جدتها أم فوزي .. فهم مثلنا متمسكون بالإسلام والشرف

فضحك ميلاد وقال : لعلك نسيت .. ماذا فعلوا أيام أمها عندما تعلقت بشاب يصغرها بسنوات كثيرة ؟!

قال حميد : احترم امرأة عمك يا رجل .. ثم هي كانت عند الدكتور مروان .. والأخ يسري شقيقها لقد قام بضربها وتربيتها

ـ ولا اهتمت به .. الذي صحح اعوجاجها موت الحاج محمد والدها الذي هلك بسببها .. مات مصدوما

ـ أنا أعرف بغضك لها .. الله يستر على النساء .. عليك أن لا تنسى أنها كانت امرأة عمنا مجدي وأنها والدة زهيرة

ـ صح ؛ ولكنها تزوجت شقيق الوصي ، وفضحته .. قد طمعوا بثروتها

ضحك حميد وقال : سخف هذا .. هذه أقوال عمي عادل .. قضت ثلاث أو أربع سنوات عنده ما سمعنا أنهم أخذوا منها قرشا واحدا ، بل سيارتها كانت من زوجها وابنه الكبير كهدية .. العدل مطلوب يا أخ ميلاد .. هي زهيرة كم ورثت عن أبيها ؟

قال ميلاد : أنت تدافع عنها كثيرا يا حميد ..

ـ القضية ليست قضية دفاع .. إنما قضية احترام لأجل أنها كانت زوجة للعم مجدي .. وهي في حالها ولا تتدخل فينا ..

ـ كلام أبيك الذي يردده على مسامع أبي .. سمعت أن البنت ورثت ما يزيد عن المائة ألف دينار ثروة كبيرة .. شغل سنوات طويلة لعمي رحمه الله ..

ـ أوه ! مبلغ كبير .. مائة ألف يا منحوس .. عيناك على مائة ألف .. عمي عادل ملأ كيانك من زهيرة لتفوز بمائة ألف

ـ وأمها حصلت مبلغا جيدا .. عمك كان دكتور في إحدى دول البترول والنفط

ـ أعرف .. ووالدي ورث بعض المال عن شقيقه .. وهذا المشغل فيه حصة لأبي .. نعود لزهيرة التي أنت مصر على الزواج منها ولو طال الزمن

أشعل لفافة تبغ من جديد وقال : هي كما قلت ليست بالجميلة الفاتنة ، وهي مقبولة وابنة عم وثرية .. أريد أن أفهم السبب الحقيقي لرفضها لي .. لابد أن شخصا ما في حياتها .. فربما شقيق صاحبك السيد محمود يعرف لي أخبارها في الجامعة .. خاصة أنه في كلية التمريض .. قد يستطيع معرفة من هو هذا الفارس أو الصديق ؟

ضحك حميد وقال : مع سخف ما تطلب سأفعل .. فقد سألني السيد محمود عن سبب ضيقك ونكدك.. فقلت له الهوى تلاعب به ، ثم حكيت له بعض قصتك وغرامك الوهمي ، فذكر أن له أخا يدرس في الجامعة في كلية التمريض سنة ثانية فيمكنه معرفة أخبارها في الكلية ، وقد يتعرف عليها بحكم العمل في المستشفى التعليمي في المحاضرات العملية .. ولما تحدث مع أخيه عنها ، ذكر أنه لا يعرفها شخصيا ، ولم يلتق بها ، وربما يستطيع التعرف عليها وعلى أخبارها .. فهم يعيشون في مجتمع مختلط ، وسهل التعرف على أي شخص كمعرفة عابرة .. وإن لم يستطع بشخصه يستطيع عن طريق صاحباته الإناث ، فطلبت ـ حسب رغبتك الملحة ـ أن يأتينا بأخبار زهيرة في الجامعة ، وسوف يمر مساء هذا اليوم السيد أحمد ليتعرف عليك أكثر ، فهو يعرفنا كما يقول محمود ؛ ولكنها معرفة خفيفة بحكم مجيئه أحيانا مع محمود لتصليح السيارة .. فقد رافقه

مرة ، ولم يتحدث معنا سوى بالإشارة محييا لنا

قال ميلاد: أنا لا اذكره .. أما محمود فأعرفه جيدا .. وهو زبون يتردد علينا باستمرار ، وأصبح صديقا لنا ، وهو من نفس جلينا

ـ نعم ، وهو متزوج مثلي ، وعنده طفلان مثلي أيضا ، وأكثر من مرة شاركنا الغداء هنا ؛ لذلك هو راغب بجد خدمنا

ـ ولماذا سيقابلنا أخوه إذن ؟!

قال حميد : سيقابلنا يا سيدي ليتعرف علينا أولا ، ويعرف ما الذي تريده بالضبط وأنك تزعم أن رفضها لك بسبب تعلقها بشاب قد لعب بعقلها ورفضتك من أجله.. ألم تقل لابد أن صيادا من طلبة الكلية صادها ؟

ـ أنا هكذا خمنت .. أليس لكل شيء سبب ؟ ..أرغب من هذا الشاب المدعو أحمد أن يعرف ذلك لي

ـ والله يا ابن عمي لو تصرف نظر عن زهيرة وتتزوج أحسن لك

ـ أبعد كل هذه السنين من الانتظار ؟!

آخر النهار أقبل السيد محمود قائدا لسيارته القديمة ، ومعه شقيقه أحمد طالب كلية التمريض إلى محل تصليح السيارات الذي يملكه ميلاد وابن عمه حميد ، وبعد الترحيب وشرب الشاي خرج ميلاد وأحمد حيث تقف سيارة محمود ، وجلسا في مقعدها الخلفي وقد تركوا أبوابها الخلفية مشرعة يتحدثان ، فكان ميلاد يقول : لما بدأت أكبر سنا كان أبي يقول إننا سنزوجك ابنة أخي المرحوم مجدي ، فصرت كلما نذهب لزيارتها في بيت جديها والد أمها أرافقهما .. وهي وحيدة عمي مجدي الميت .. المهم تعلقت نفسي فيها ، واعتقدت أن المسألة مسالة وقت ، عندما نكبر ونصبح مؤهلين للزواج نتزوج ، وأن الأمر مسلم به ، ولما بلغت البنت خمسة عشر عاما تقدمنا للزواج منها ، فرفضت أمها في البداية ، وبينت لنا أن البنت لا ترغب بالزواج في مثل هذه السن ، وتريد أن تكمل المدرسة .. فتحرك أبي ، ووسط بعض الناس حتى رضينا بالصبر

وتأجيل موضوع الزواج ، وأنا طبعا تركت المدرسة في الإعدادية ، وتعلمت هذه الصنعة عند أهل الخبرة ، وكنت حقيقة ضعيفا في الحفظ والتحصيل ، ورأيت المهنة أفضل من المتابعة .. تحججوا بالصغر والمدرسة ، تزوج حميد ، وظللت منتظرا حتى تصل التوجيهي ، صبرت وأجلنا الزواج .. ووالديّ كان عندهم أمل أن تقبل زهيرة ابنة عمي بي عندما تنضج ، وترى أن مصلحتها هي الزواج المبكر .. كان عندهم أمل كبير أن تكون من نصيبي .. وأنا ظللت يا أخ أحمد متعلقا بالخيط الضعيف ، ولست مستعجلا على الزواج كحميد .. نجحت في الثانوية العامة ، وحصلت المعدل الكبير الذي يؤهلها للقبول في الجامعة والطب خاصة ، حصلت معدلا فوق التسعين في الفرع العلمي .. صدمت بعض الشيء .. كنت أتوقع أن لا تحصل المعدل الكبير الذي يؤهلها لكلية الطب .. فترى الزواج خيرا من دراسة الجامعة .. وكنا نسمع أن هذه رغبة عمي الميت أن تدرس زهيرة مجدي في كلية الطب ، وكان موته وهي ابنة ست سنوات أو سبع ..أنا أدركت سعة المسافة بيننا ولكن هواي معها .. تحرك أبي من جديد لكن دون جدوى كلمها أخوالها وبعض أعمامي ، رفضت بشدة فكرة الزواج مني ، واستمرت في الجامعة فاضطررت للالتقاء بها ، ومناقشة القضية فرفضتني بغضب وكره ، فاضطررت أن أحدثها بحدة وتهديد وسخط ونقمة ، وأنها لن تتزوج غيري ، ثم خرجت غاضبا مقهورا .. فهل رفضها لشخصي أم لأني ابن الرجل الذي سعى للزواج من أمها بعد وفاة والدها أم أن هناك رجلا أو شابا آخر في حياتها ؟ .. وهذه مهمتك أيها الأخ أن تعرف لي أخبارها في الجامعة ، مع من تمشي تجلس تأكل ؟ هل هناك صديق يرسم للزواج منها أم أنها فعلا لا ترغب بالزواج ؟.. فوالدها تزوج وهو ابن أربعين سنة .. فأمها تزعم أنها لا تفكر بجنس الرجال .. كرهت ذلك من حياة أمها.. قد تزوجت والدتها ثلاث مرات .. هل يوجد امرأة لا ترغب بالزواج والأمومة ؟! ولماذا خلقها الله ؟! وأنا لا أصدق ذلك ! .. حتى راهبات المعابد أشك بعدم رغبتهن بالزواج .

تبسم أحمد لميلاد وقال : يعني أنت ترى أن رجلا في حياتها يحجزها عن القبول بك رغم أن رفضها كان قبل وصولها للجامعة ..أنت تريد مني أن أعرف ألها صديق في الجامعة ؟ .. وهو

عائق أمام زواجك .. هي في السنة الأولى بعد فلا أعتقد أنها كونت صداقات مشبوهة يا سيد ميلاد .. ولكنني سأسعى للتعرف عليها وعلى من يجلسن أو يجلسون معها من أجلك أيها الأخ ومن أجل صداقة محمود معكم .

ولما ظل ميلاد صامتا تابع أحمد فقال : وأنا بحكم تقدمي سنة عليها أعرف شبابا وشابات في كلية التمريض والطب والصيدلة والأسنان ، وحتى من موظفي المستشفى الجامعي حيث التدريب والتطبيق ؛ ولكني أحب أن أنصحك ...

فقطع ميلاد الاسترسال ضائقا وقائلا: إذا كنت ناصحا بصرف نظري عن الزواج منها فلا تنصحني ، لن أتزوج غيرها ، ولو ظللت عمري كله بلا زواج

تبسم أحمد وقال : حسنا ! لكن يا أخي حبك من طرف واحد .. لم يكن بينكم علاقة عاطفية لتبني عليها أملا وحياة زوجية .. فمن كلامك وكلام السيد حميد فليس للبنت قصص مع فتيان الحي والمدرسة .. فليس لها سوابق بما يسمى حب المدارس والمراهقة

ـ نحن طبعا بحكم القرابة لم نسمع بمثل ذلك عن زهيرة ونحن بعيدون عن حيها وخصوصيتها رغم قرابتنا .. هل تصدق أنها منذ سنوات لم تدخل بيتنا بيت عمها عادل والدي ؟ .. حتى في ولائم شهر رمضان كانت تعتذر هي وأمها وأخوالها ، ربما لأنها عاشت فترة مع زوج أمها الغريب

ـ صفها لي أو هل تملك صورة لها ؟ دعني انظر إليها

ـ لا أحمل صورة لها .. كان لنا معها صور ونحن صغار وهي طفلة ، أما بعدما شبت فلا صورة لها عندي ؛ ولكني سأصفها لك بشكل تستطيع معرفتها بمجرد رؤيتها.. أرجو أن تهتم بأخبارها ونشاطها .. وركز على علاقاتها العاطفية وأرجو أن لا يكون لها مثل ذلك وتنهد وقال تعلقت بها تعلقا شديدا يا أحمد لا أدري هل هو خطئي أو خطأ والديّ ؟

ـ سمعت أنها غنية؟

ـ صدق أنني تعلقت بها ليس من أجل المال .. كنت صغيرا عندما اهتممت بها كشريكة حياة

قد يكون هذا دافع أبي لتحريضي للزواج منها ؛ لقد كانت الأنثى الوحيدة التي رغبت بالاقتران بها .. وكنت أرى أن الأمر سهل وميسور فبمجرد أن نتقدم لطلب يدها ، ستقبل ، وترحب بذلك ، وتسر ، وتعود لحضن عائلة أبيها ، وتعلن الأفراح .



لم يجد أحمد صعوبة في إلقاء نظرة على الآنسة زهيرة بعد أن كلفه ميلاد بمعرفة خطاها في الجامعة فهو لم ير في فعله هذا خساسة ، أو تدخل في شؤون الآخرين ، رآها خدمة لشقيقه محمود صديقهم الذي يتردد عليهم كثيرا لتصليح سيارته الأثرية ، لقد رآها أول مرة في مطعم (كافتيريا) كلية الطب ، كانت تجلس مع فتاتين وشاب ، وكانت الفتاتان تلبسان الملابس الشرعية الشائعة أو ما يسمى بالجلباب الإسلامي هذه الأيام .. وحتى زهيرة لم تكن متبرجة سافرة فقد كانت ترتدي ثيابا محتشمة ، وتضع على رأسها خمارا ، ولاحظ أن الشاب يتحدث معهم بحماس بدا له أنهم زملاء في نفس الفصل ، وكان يجلس مع أحمد في المطعم رفيق له فقال له بعد أن لاحظ كثرة نظره إلى تلك الطاولة فقال مداعبا : أراك تنظر كثيرا إلى تلك المائدة . وأشار إليها.

تبسم أحمد وقال : أعتقد أنهم من طلبة كلية الطب .

فرد صديقه : هذا ـ مشيرا للشاب ـ اسمه نزار من كلية الهندسة .

ـ أتعرفه ؟!

ـ ألا تعرفه أنت ؟ إنما هي معرفة جامعة يا محترم ، هو ناشط سياسي أو طلابي في الجامعة ألا تراه يتحدث معهن بحماس كأنه يخطب ، وأعتقد أنه سيرشح نفسه لانتخابات مجالس الطلبة عن كلية الهندسة عن شعبته التي لا أدري ما هي ..

ـ رائع يا سيد جميل! .. إنك تعرفه جيدا ، ظننته طالب طب جديد ..

قال جميل : أنا ظننتك تعرفه عندما لاحظت كثرة التفاتك ناحية تلك المائدة

ـ إنها كنت أنظر إلى تلك الفتاة السمراء الممتلئة .. فهي ابنة عم صديق لي ولأخي سنة أولى طب كما أعلم مستجدة في الكلية .. وطالب الهندسة لماذا يجلس معهن ؟ أمن أجل الانتخابات ؟ وهل بدأت الدعاية ؟

ـ أعتقد من أجل الانتخابات الطلابية .. الحملة تبدأ قبل الإعلان عن الحملة يا أحمد .. وهو صديق لهن حسب معلوماتي ، فكثيرا ما رأيتهم سوية هنا أو في الحدائق ، هل هذا يزعجك ؟

هز رأسه وقال باسما : ابدا يا جميل ! ولكني لما رأيتها تذكرت ابن عمها ، وتقدم لها خاطبا وطالبا للزواج .

ـ الزواج .. هو ليس بطالب

ـ لا ، ميكانيكي سيارات .. واعلم أنها غنية كما أخبرت ، ربما تملك ثروة تبلغ مائة ألف دينار .

ـ هي ؟!

ـ نعم ، هي ورثت ذلك عن أبيها ، وهو دكتور توفي في خارج البلاد ، وليس له إلا هي .

فابتسم جميل وقال : إذن صاحبك طماع ، هو يريد الزواج من مالها كما يبدو

سايره ضحكا وقال : تقريبا ؛ لكنه لا يصرح بذلك ، هو يزعم أنه أولى بها لأنها ابنة عمه ، وربيت عند أخوالها ، فبزواجها منه تعود لأعمامها للعائلة

ضحك جميل وقال : أفكار غريبة ! ألا يوجد لها ابن عم متعلم ؟ أتحب أن تتعرف على المهندس نزار ؟

ـ من نزار ؟

ـ الذي يجلس معها ، ومع الفتاتين الأخريين

تبسم ورد : لا أريد أن أتعرف عليه ، ولا عليها .. هيا ننصرف ولنتح لغيرنا الجلوس على هذه المائدة .

وعندما نهضا يبدو أن المهندس نزارا لمحهم، فحيا جميلا وأشار له بيده للانتظار فدهش أحمد ، وتقدم الشاب إليهما تاركا الفتيات بابتسامة صغيرة ، وسلم عليهما وصافحهما وقال : مرحبا أخ

جميل أتريد الانصراف ؟

ضحك جميل وقال : الانتخابات ؟!

- نعم ، كنت أتحدث مع الأخوات الزميلات عنها ، وحضهن على انتخاب كتلة (التيار الإسلامي)

وعادوا للجلوس بعد أن تعرف نزار على أحمد طالب كلية التمريض ، وذكر له اسم ممثل كلية التمريض في الكتلة ، ودار بينهم حديثا شيقا عن انتخابات مجلس الطلاب على مستوى الجامعة وأهميته للطلاب من مختلف الكليات ، وذكر لهم برنامج الكتلة التي يعمل معها ، ووعدوه خيرا

وقال أحمد : أراكم تعملون مبكرا هذه السنة ؟

ابتسم المدعو نزار وقال : لم يبق إلا القليل لإعلان الموعد ، وأحبت كتلة حقوق الطالب أن تعمل مبكرا ، والإدارة في الجامعة سمحت لنا بالنشاط والحركة مبكرا

فقال أحمد : وماذا سيستفيد الطالب مثلي من مجلس الطلبة ؟! ولا أدري ماذا يقدم هذا المجلس للطلاب ؟ لا أدري إلا أنكم تسجلون مواقف سياسية فقط ؟!

فقال نزار ضاحكا لجهل الطالب لمهام مجلس الطلاب : من المهم أن يتحدث الطلبة في السياسة فهم رجال الدولة في المستقبل القريب .. واعلم أن المجلس لا ينشأ من أجل السياسة ، هو قائم لتحقيق مصالح الطلاب وحقوقهم في تحصيل العلم ، وحل مشاكلهم مع الإدارة ، وعندما يسمح بالدعاية علنا سيوزع برنامج عمل كتلة حقوق الطلبة ، وهناك المساعدة في الخدمة الطبية ومساعدة الفقراء أو الذين يطرأ عليهم الفقر خلال سنوات الدراسة ، ونشاطات كثيرة يقوم بها مجلس الطلبة وهي تدريب للعمل الاجتماعي والسياسي بعد التخرج من خلال النقابات المهنية .. فللمهندسين نقابة وللممرضين نقابة .. فهي فترة تدريب

للعمل الجماعي .. تنمية روح الحوار وتبادل الأفكار وتعزيز الانتماء للأمة .

فقال جميل : المجلس مهم ، وقد لا يلمس كل طالب شخصيا أهميته ، لو حدثت مشكلة مع معيد أو عميد مدير أستاذ مع زميل .. فالمجلس يساعد على حل المشكلة والتخفيف من

أضرارها ؛ ولكن المواقف السياسية من قضايا الوطن تبرز أكثر لتسليط الإعلام الأضواء عليها أكثر من الأمور الأخرى.

فقال أحمد : على كل حال سوف نشارككم يا سيد نزار الانتخابات .. ونحن سعيدون بالتعرف على شاب محترم مثلك ، وعلى مهندس واعد

ـ شكرا يا سادة . وتفرقوا .

عاد أحمد وجميل في اليوم التالي لمطعم كلية الطب ، فوجدا الطالب نزارا يجلس مرة أخرى مع زهيرة وصاحبتيها ، فلما أخذا بالأكل قال أحمد : صاحبنا اليوم هنا .. هندسة طب !

قال جميل غامزا: ربما كان بينهم زيادة على ما سمعنا أمس

أحمد متشككا : أخشى أن تكون هنا مغامرة نسائية .. لا أرى ما يدل على أنهن فتيات لعوبات فملابسهن تدل على أنهن محافظات .

ولمحهما نزار فأرسل إليهما تحية بيده ، فردا التحية بمثلها ، ثم غادرا القاعة فور قضاء طعامهما حيث الحدائق التي تنتشر فيها الأرائك الخشبية ، فجلسا على واحدة خالية يتحدثان فقال جميل : أراك تتردد إلى هنا منذ فترة ؟ هل من جو جديد ؟

ـ جو ! ليس لدي جو جديد ولا قديم .. إسراء تركتني يا صديقي .. قد أصبحت صديقة لخالد

ـ خالد الذي أعرفه ؟!

ـ آ .. أصبح الصديق المفضل عندها

ـ أحسن .. بس لماذا ابتعدت عنك ؟!

ـ قالت إني ممل ، ومجالسي مملة ، تحب السهر والخروج إلى الأسواق والساحات والمسارح .. وأنا شبت منها قبل دخول الجامعة .. وأسواق الملابس تثير النفس وتغويها .. مرة خلتني اشتري لها قميصا

ـ بدون مقابل

ـ بدون مقابل ، ربما مسكت يدها مقابل ذاك القميص .. هي تحب الشباب والأصدقاء .. وتحب

أخذ الهدايا منهم .. تسميها ذكريات الجامعة .. وهي فرصة لن تتكرر في العمر أي الدراسة مع الشباب في الجامعة ومرافقتهم .. وهي لا تفرط بشيء من جسدها لهم لحد الآن وأنا لم أحاول لأني أكره الزنا .. ولي أقارب في الجامعة أخجل أن يسمعوا شيئا عني .

فقال جميل جذلا : الحمد لله .. لم اتخذ أي صديقة بمعنى الصديقة .. نعود لماذا تحب التردد على هذا المكان منذ عهد حديث لماذا ؟!

تبسم أحمد في وجه صديقه في الكلية وقال : لا لشيء ؛ ولكني ارتاح في مطعم كلية الطب ، ربما رأيته أنظفها .. وأكثر المعارف معارف عابرون يا سيدي .. وهل إذا جاء الشخص هنا لابد أن يكون له جو .. يرغب بالزواج من طبيبة واعدة ؟

ضحك جميل وقال : عادة الطالب يحب أن يتسكع مع طلاب كليته ؛ ليكون صداقات عرضية ودائمة .. ولما يتردد طالب مثلك لمطعم هذه الكلية لابد أن يكون هناك جو .. وإلا الفتيات أكثر من الذكور يخيل لي في الجامعة ..

ـ ها هو صاحبنا يخرج مع الفتيات

التفت جميل ناحية نزار وقال : إنك تبدي اهتماما في تلك المجموعة .. وخاصة تلك الفتاة التي أخبرتني أن صاحبك الميكانيكي طلبها للزواج

ـ نعم ، طلبها ابن عمها ورفضته ، بل مصرة على رفضه .. ثم أعاد على مسمعه قصة رفضها وتهديده لها بأنها لن تتزوج غيره .. وفي النهاية قال : الشاب مصمم على الاقتران بها ، ولو صار عمره مائة عام .. يا ترى لو رآها تأكل مع طالب كلية هندسة ، ربما ثار وانقض عليهما انقضاض البازي على فريسته ..

فقال جميل معقبا : صاحبك مجنون .. يا رجل ! طبيبة ستقبل به .. هو هدفه الفلوس وبس .

فقال أحمد : ألا تنكح المرأة لمالها ؟

ـ تنكح ، لكنها متعلمة ، وهو أمي .. يبدو لي من كلامك أن عقليته قروية .. أين محله ؟ كأنك ذكرت أن له محلا أو كراجا لتصليح سيارات أين ؟

ـ نعم ، في شارع البوصلة حيث أظن أنها أكبر منطقة لورشات تصليح السيارات الصغيرة والحافلات .. لقد اهتممنا بهم أكثر من اللازم

ضحك جميل وقال : اهتمامك بها واضح يا أحمد بالنسبة لي .. وصديقنا نزار مهتم بالحديث معها ، فلن تجرؤ على إفساد صداقتهما .

ـ هل تعتقد أنني أميل إليها ؟ .. وأحضر إلى هنا آملا في ذلك .. جعلتني نذلا يا جميل .. قلت لك ابن عمها طامع بها ، بل هددها أن تتزوج رجلا غيره ، ولسوف يفتك به

ـ هددها

ـ نعم ، قابلها وهددها بأنه لن يسمح لأحد أن يتزوجها ، وأنه انتظر ثلاث سنوات ، ويستطيع الانتظار عشر سنوات أخرى

ـ أمعقول هذا ؟! هذا مجنون وسخيف ويعيش في زمن عمرو بن كلثوم التغلبي .. وهذا يؤكد لك أنه يريد المال .. لو تعطيه بضعة آلاف لنصرف عنها لاختفى من حياتها

ضحك أحمد وقال : يا رجل ! أخي محمود الذي تعرفه قال رفض تدخل والديه وإخوانه وأعمامه وأخواله وحتى الوصي على ثروتها ، وأقسم لهم أن لا يتزوج إلا زهيرة .. وهذا هو اسمها .. هل يصرف عنها فكره ؟ لا أعتقد أنه مجنون بها كما قلت .. وهو حب من طرف واحد .. أعتقد أنه قد بقيت علينا محاضرة اليوم .. هيا يا جميل .



زار محمود بيت والده وجلس معهم بعض الوقت ، ثم مشى إلى غرفة أحمد غرفة نومه ، ومكتب دراسته ، وبعد التحية والعناق والسلام المعتاد قال : قال حميد ميلاد يسأل عن أحوال العروس

غمر أحمد الضحك ملء فمه وقال : البنت محتشمة ، تلبس ثياب تكاد تكون كثياب بنات كلية الشريعة .

ـ ليست سافرة رغم كثرة المال الموروث !

ـ لأ ، ولا متبرجة ، تلبس ثيابا طويلة ساترة لكل البدن ، وتغطي شعر رأسها وهادئة .. وحرك رأسه يمينا ويسارا وتابع : إنها طبيبة يا حميد .. لا أدري كيف سترضى بصاحبك الولهان ؟!

ـ قلنا له ذلك أنا وحميد وغيرنا، ولفتنا نظره إلى ذلك أكثر من مرة ، وإلى الفارق الاجتماعي بينهم ؛ ولكنه يزعم أنه ابن عم لها

ضحك أحمد : كأنه ابن العم الوحيد

ـ أليس لها حركات مريبة ؟

ـ مريبة ! .. الجلوس مع الذكور في الكليات المختلطة لا يدل على الريبة .. وهو أمر شائع خاصة الطب .. لأنهم يكونون مجموعة من الطلاب مع مدرسهم أو مدرستهم في قاعة أو غرف المرضى يتجولون ويتعلمون .. ولكني شاهدتها أكثر من مرة في الكافتيريا مطعم كلية الطب تجلس مع شاب واحد باستمرار ، ومعهم فتاتان أخريتان .. والشاب من كلية الهندسة سنة ثانية .. وهو شاب ناشط شبابي طلابي ، يهيئ نفسه للترشيح الطلابي في المجلس ؛ فلذلك ينشط في التنقل بين الكليات المختلفة للدعاية .. وجلوسه معهن متكرر خاصة عند وقت وجبة الطعام الصباحية حوالي الساعة العاشرة والنصف .. وحتى ضحكاتهم مقتضبة ، بل ساروا يعرفوننا من ترددنا على مطعمهم ، أنا والسيد جميل زميل لي .. لا تظهر منهم تصرفات غير عادية في مجالس الناس لا تحس أن هناك علاقات عاطفية

ـ يعني البنت محترمة

ـ البنت بعدها سنة أولى

قال محمود : البنت اللعوب من أول يوم في الجامعة تصاحب

ضحك أحمد وقال : ممكن ، وقد التقيت بمثل هذه النماذج

ـ على كل حال تابع مهمتك البغيضة لبعض الوقت .. وأنا أدرك أن هذا تصرف سيء لك ولي بل وجدت نفسي أعرف أحد أبناء أخوال البنت

ـ جميل ! كيف؟!

ـ من حميد ابن عمها ، كنت أتحدث معه منذ أيام ، وعند محل تصليح بجواره توقفت سيارة نظرنا إليها كعادة البشر، فنزل منها كهل ، فلما رآه حميد قال أرأيت هذا الرجل الذي نزل من تلك السيارة ؟ قلت : نعم ، بل أعرفه ، والتقيت به عدة مرات ، وهو لم ينتبه لي ، وإلا سلم عليّ إنه المهندس خليل فوزي .. كان أستاذا في المدرسة الصناعية الكبرى فقال حميد : هو ابن خال ابنة عمي زهيرة فدهشت ، فتابع قائلا : عمل مدرسا كما قلت ، ثم سافر لا أدري السعودية أم الإمارات .. تعاقد مع شركة تعمل في الخليج ، وعاد منذ عهد قريب ، وهو يصلح سيارته بالعادة عند جارنا خضر ، قد يكون قريبه أو من طلابه قديما

قال أحمد : لا أحد مقتنع بزواج صاحبك ميلاد من الآنسة زهيرة .. فصاحبك سخيف ، ويمثل دورا ليس له فيه أمل

ـ يزعم أنه محب

ـ لما سمع صديقي وزميلي في الجامعة جميل الحكاية، ولمرافقته لي إلى كلية الطب أو مطعمها .. قال هذا ليس محبا ، بل هو طماع ، ولو أعطته بعض المال لاختفى من حياتها إلى الأبد .

ضحك محمود وقال : الحق يا أحمد على أبيه .. أبوه كان طامعا بالزواج من أمها بعدما ترملت وبثروتها وثروة زهيرة ؛ كأنه حز بنفسه أن تذهب أموال شقيقه إلى عائلة زهيرة .. مع أن حميدا ذكر لي أنه لم يسمع من أمه التي تزور امرأة عمه بعد ترملها ، وحتى بعد زواجها من شقيق الوصي ، ولليوم ، لم يسمع أن أحدا من أهلها استلف منها مالا ، بل سيارة الأم كانت من زوجها الثاني وابنه كهدية وعطية .. حاول أبوه أكثر من مرة الزواج منها ، وحتى بعد أن طلقها زوجها الثاني سعى لذلك ، وترفضه كل مرة .. فكأنه لم ييأس منها ، فاقنع ميلاد بالزواج من زهيرة ، فطمعت نفسه إليها ، القصة التي تعرفها .. فالسبب أسرته أمه وأبوه .. وأنا مثل صاحبك لا أعتقد أنها ستتزوج منه في يوم من الأيام .. وهو في دخيلة نفسه مقتنع بأنها لن تتزوجه ، فهي لم تقبل به وهي تلميذة مدرسة فهل تقبله وهي طبيبة ؟ .. رفضته في فترة لا حكم لها ، فكيف

عندما تكبر ويصبح القرار كله إليها ؟ .. أنا طلبت منك ذلك حتى يطمئن أن البنت لا تعرف شخصا معينا لترفضه .. فبعض أصحابه يوهمونه بأن سبب رفضها أنها متعلقة بآخر .. غباء غباء أليس كذلك ؟

ـ هو المال والطمع ، لما فشل الوالد بالصيد الثمين شجع الابن على البنت ، وصدق ميلاد أن زهيرة له

ـ هل تعلم أن والد ميلاد كان مدير مدرسة قبل تقاعده ، وهو اليوم يعمل في تجارة العقارات مع أحد أبنائه ، وهو ليس بحاجة لمال زهيرة وأمها .. فكل أولاده من زوجته الأولى كبروا وتزوجوا ، ولم يبق إلا ميلاد وبنت أو اثنتان وسوى أطفاله من الثانية

ـ على كل حال سأنهي مهمتي قريبا يا محمود .. وقل للرجل أن ابنة عمه محترمة .. والآن بعد سماع كلامك فأعتقد أن الشباب الذي يجلس معهن قريبا لها ، وللبنات الأخريات ، ربما ابن خال أو خالة ، وربما استطاع حميد معرفة ذلك من ذكرك لاسم المهندس نزار أمامه ، والله تعالى اعلم .

الشاب الذي كان يجالس الفتيات الثلاث في قاعة طعام كلية الطب ، هو الطالب نزار سعد الدين طالب كلية الهندسة في الجامعة ، وهو سنة ثانية هندسة مدنية ، فهو ابن خالة زهيرة مجدي وإحدى الفتاتين أخته اسمها لمياء سعد الدين ، وهي سنة أولى كلية الصيدلة في نفس الجامعة ، والأخوان من سكان مدينة ومحافظة أخرى ، والفتاة الثالثة هي بنت ابن شقيق هناء محمد المهندس خليل فوزي محمد ، وهي من سكان العاصمة في أحد أحياها العامر بأهله ، وهي سنة أولى صيدلة مثل ابنة عمة أبيها لمياء ، واسمها سمر خليل .

والمهندس نزار وأخته يعرفان زهيرة معرفة جيدة ، وقد التقيا بها كثيرا قبل دخولها الجامعة ، فكانا كلما زاروا جدتهم أم فوزي يصادفان زهيرة ، فيجلسون سوية ؛ لذلك كانت جلساتهم الجامعية امتدادا لتلك الجلسات ، ولم يكن بينهم اتصالات خاصة ، إنما هم أقارب فحسب ، وربما كانت لمياء تتحدث مع زهيرة بالهاتف في بعض الأوقات .

أما سمر فقد كانت أيضا ترافق والدها في زيارة جدته ، فالتقت بزهيرة وعمة أبيها هناء أثناء تلك الزيارات ، وكانت تتحدث معها بالتلفون ، ولم تكن بينهن زيارات خاصة قبل الالتحاق بالجامعة ، فوالدها يشارك العائلة مناسبتها الاجتماعية فحسب ، وغالبا ما يصحب زوجته معه في تلك المناسبات .

وكان الرجل مستاء من عمته عندما زاغت عن خط التقاليد عندما كانت زوجة للدكتور مروان طه ، وآلمه انحرافها ، وكان يقف بجانب عمه يسري في تشدده نحوها ، وسر جدا بتوبتها وأوبتها بعد موت والدها .

ولما التحقت زهيرة بالجامعة أصبح التقاؤها بأبناء خالتها ممكنا ومتكررا ، قد اتفقوا على اللقاء في كافتيريا كلية الطب لموقعها الوسط بين كلية الصيدلة وكلية الهندسة الأبعد شيئا ما ، وكان جلوسهم عائليا ووديا ، يتناولون إفطارا خفيفا أو يشربون القهوة وحدها ، ويسمعون أخبار بعض ونشاطهم في الكليات ، وأصبح الالتقاء عادة لهم ، قد يتخلف نزار عنه أحيانا أو أحدهم لعذر ما ، اجتمعوا ذات نهار كالعادة المشار إليها فقالت لمياء شقيقة نزار له ضاحكة أو متهكمة : أصحابك شباب كلية التمريض لهم عدة أيام لا يأتون هنا !

تبسم الجميع على كلمة أصحابك ثم هتفت سمر : وأنا مثلك لاحظت ذلك .. فما نكاد نجلس حتى يدخلون المطعم حتى وقع في نفسي أنهم مهتمون بنا .

قال نزار : خطر هذا في بالي مثلك يا سمر ؛ ولكن يبدو أننا كنا مخطئين .. فالشاب المدعو أحمد لم أعرفه إلا هنا في هذه القاعة ، أما زميله جميل فقد التقيت به أكثر من مرة ، وتعرفت عليه في انتخابات المجلس العام الماضي ، وهم سنة ثانية تمريض .. وتأكدت معرفتي به عند ترددي على أحد أقسام المستشفى ، كنت أرافق زميلا في العلاج ، فازداد تعارفنا وساعدنا في سرعة العلاج وهو جيد ويعمل بشكل جيد ونشيط .. وكانت كثرة نظراتهم إلى مائدتنا تثير الريب في نفسي ، ولم أفهم فعلهم هذا .. يبدو أنه قد كان لهم جو هنا واختفى .. فالشباب يحسن الصيد في مثل هذه الأماكن .. بالمزح والعيون وتقديم الشراب والشكولاتة ، فهنا يظهرون كرمهم وأموالهم .

فلما سكت نزار قالت زهيرة : أحسن ، لقد أزعجونا بعيونهم .

قالت سمر : هو السيد أحمد الأكثر نظرا ومراقبة لنا .. أما جميل فكان أحيانا يدير لنا ظهره ويغرق في شايه وطعامه .. فكان يخال لي أن أحمد سيهجم علينا .

فضحك نزار وقال : لا أعتقد أنه وقح لهذه الدرجة .. البداية تكون من البنات أنفسهم .. إذا تصرفت البنت تصرفا خاصا فيتجرأ الشباب على التقرب منها والحديث معها .. وأما إذا وجد صدا ورفضا وعدم مبالاة فسيختصر ويبتعد ويبحث عن أخرى ، ويعتقد أن الكثيرات يرغبن بمصاحبته والمشي معه بدون أن يضطر للوقاحة وقلة الأدب .

قالت زهيرة باسمة : رائع هذا التحليل منك يا نزار! .. هذا لمسناه ونحن في المدرسة الثانوية .. تفكير جيد يا نزار فعلا لو أرسلت الفتاة إشارة إيجابية للرجل أو الشاب لتقدم كما قلت ، أما إذا أهملته فلم تكترث بحركاته وعيونه فسيبحث عن غيرها .. ولا أعتقد أنهم جاءوا من كلية التمريض ليتأملوا وجوهنا .. فكلية التمريض أغلب طلابها من الفتيات .. ولا تنس الثياب التي ترتديها الفتيات ، فربما هي نوع من الرسائل للشباب ، وتشجعهم على المغامرات العاطفية فالفتاة المجلببة يفكر الشباب مليون مرة قبل أن يغازلها ويلاطفها .

هتفت لمياء : رائع جدا كلامك يا زهيرة !! لو نحن جيران لجعلتك تملين من زياراتي .. رغم قربك من سمر ، وقربها منك فزيارتكن لبعض ضعيفة تكتفين بلقاءات الجامعة .

ضحكت الفتاتان وقالت زهيرة : نحن بنات ، ومتى سنزور بعض ؟!

وقالت سمر : ورغم أن أبي مهندس ومثقف ، فهو لا يسمح لنا بالتأخر لليل خارج البيت، فمتى سنزور بعض يا لمياء ؟ .. ولولا تعلم أخواتي الأكبر في الجامعات لخشيت أن يحرمني أبي من الجامعة .. تعليم البنات متقبل لدى الكثير من العائلات .

قالت زهيرة : تخيلن أنني عندما أنهيت الإعدادية رغب ابن عمي ميلاد ابن عمي عادل الزواج بي ، وخشيت أن يوافق أهلي وأمي على ذلك تبعا للعادات والتقاليد بتزوج البنت صغيرة ، ولا داعي للمدارس ولا الجامعات

فقالت سمر : ولليوم ما زال متعلقا بك المذكور، ويرفض الزواج من أي بنت

فقال نزار متأملا : سمعنا القصة .. فأمر هذا الشاب غريب فعلا يا زهيرة ! وكيف جرؤ على تهديدك ؟!

فقالت بتمهل : مجنون ! أنا ظننت بمقابلتي له مباشرة أن يعقل ، ويصرف فكره .. ظننت بالرضا على الانفراد به أن أقنعه بصرف نظره عني ، وأن يبحث عن امرأة تناسبه ، وأن يدعني وشأني في هذه الدنيا ، ولكن قبل عرض أفكاري عليه حدثني عن تعلقه بي ، وأنه لن يتزوج إلا مني ، بل لن يسمح لأحد أن يقترن بي ، فصعقت لجنونه ووقاحته ، فبكيت ورعبت من حمقه وخرج غاضبا ناقما كالمجنون .

قالت سمر : تضايقنا جدا لما سمعنا ذلك الجنون وغضبنا .. وقال أبي معلقا على ذلك الخبر الحق على أبيه المربي عادل

فقالت زهيرة ورجفة خوف في صوتها : نعم ، الحق على عمي وامرأة عمي .. اللوم عليهم هم السبب .

بعد إلحاح شديد من ميلاد اتصل حميد بزبونهم الدائم وصاحبهم محمود شقيق طالب كلية التمريض السيد أحمد ، فرد محمود على الهاتف وبعد السلام والتحية والاطمئنان عن الصحة والحياة سأله عن أخبار العروس ، فضحك محمود ملء شدقيه لهذا الوصف وقال : ابنة عمكم فتاة محترمة يا صاحبي .

قال حميد : لا تجاملني لأنني ابن عم الاثنين .

ضحك محمود مجددا وقال : صدق ما أقول ، ويقول العم أحمد إنها تلبس ملابس محتشمة ، وإن لم تكن نحو ملابس طالبات كلية الشريعة ، وتضع على رأسها خمارا

ـ نعم ، منذ وعينا على الزينة واللباس ، لم نر زهيرة سافرة.. وذلك في مناسبات العيد والمناسبات الاجتماعية الأخرى ، كانت تخرج علينا بثياب محتشمة محافظة .. المهم هل هناك علاقات وإشاعات كالتي نسمع عنها بين طالبات الكليات والمعاهد اليوم ؟

ـ لا ، إنما هي تجلس مع فتاتين مثلها في اللباس ، ويجلس معهن الثلاث شاب باستمرار ، يعرفه أحمد ، وصديق له يقول له كأنه قريب لهن وجلساتهم في المطعم هادئة ومحترمة ولا تكاد تسمع لهم صوتا .

ـ شاب يجلس معهن جميعهن

ـ نعم ، معهن جميعهن .. لا خلوة

ـ الحمد لله، وشكرا لجهودكم ، وأنا مثل شقيقك أعتقد أنه أحد أقارب أمها، والله اعلم

ـ نعم ، هو طالب كلية هندسة

ـ آ عرفته !.. هذا ابن خالتها ، سمعت أن ابن خالتها يدرس في كلية الهندسة ويتقدمها بسنة ، حدثت أمها أمي بذلك .

ـ نعم ، واسمه نزار

ـ عرفته جيدا ، وقد رأيته في بعض المناسبات

ـ دائما يجلسون سوية ، وهو شاب محترم ، وهو ناشط طلابي كما يخبر أحمد ، فهو يسعى لترشيح نفسه لمجلس طلبة الجامعة أو نادي الجامعة .. تحياتي القلبية للسيد ميلاد ، وانصحه بالبحث عن قرينة أخرى .. فهي ستكون طبيبة

ـ دائما انصحه بتركها وشأنها ، وأن يلتفت لدنياه ، وأن يدع أوهام الشيطان .. والدكتورة سوف تنكح دكتورا مثلها تلتقي به في مستشفى في مركز طبي .. لكن الفتى يوهم نفسه بالهوى والغرام.. مجنون حب كما تبث التلفزيونات والسينما .

ـ ذا حكي فاضي وفارغ يا حميد .. حتى لو تزوجها سيفشل زواجهما .. التكافؤ الفكري والثقافي مطلوب في الزواج خاصة هذه الأيام .. سلم ، أراكم قريبا بإذنه تعالى .

قال : شكرا لك سيدي ، وسلم لي على شقيقك أحمد ، واعلمه أن السيد ميلادا سيدعوكم إلى عشاء في أحد المطاعم الفاخرة .. السلام عليكم

ـ وعليكم ألف سلام ، والى اللقاء في ذاك المطعم .وضحكا وربما قهقها فرحا .

هجرة

كانت جالسة في حجرتها الخاصة في بيت جدتها أم فوزي ، وكانت تدرس وتستعد لاختبارات نهاية الفصل ، طرق الباب فقالت : من ؟

قالت أمها : أنا يا زهيرة .

ـ تفضلي يا أمي

فتحت هناء الباب وزلفت للغرفة ، وكانت زهيرة قد نهضت لتستقبل أمها وتعانقها كما تعودتا على فعل ذلك بعد زواج أمها الثالث ، وكانت حجرة زهيرة واسعة ، ففيها سريرها وخزانة ثيابها وخزانة كتبها ومكتب طالب وتلفزيون خاص بها وجهاز تسجيل أنيق وجميل كبير الحجم وبعض المقاعد وطاولات صغيرة ، وجلست الأم وسألتها عن حالها وصحتها وجامعتها ، ودخلت الخادمة بالقهوة التي طلبت الأم شربها مع ابنتها ، فقد دخلت هناء على أمها ، وجلست معها بعض الوقت قبل أن تنتقل لحجرة زهيرة ، شكرت زهيرة الخادمة على القهوة ، ولما خرجت وردت الباب وراءها عاد الحديث بين الأم وابنتها : كيف حالك يا زهيرة اليوم ؟ وكيف الجامعة ؟ علمت أنك مشغولة بالامتحانات

ـ فعلا أنا مشغولة بالامتحانات أهلا أمي الغالية .. أنا بخير وأنت

ـ بخير إن شاء الله

ـ الحمد لله الأمور جيدة وطيبة بفضل الله تعالى .. وأنا غارقة في حفظ مصطلحات الطب ، فهم كما تعلمين يعلموننا الطب باللغة الإنجليزية

ـ وحسب علمي (إنجليزيتك) ممتازة كما يقول صديقنا ماهر الدكتور

ـ نعم ، الجهود التي بذلتها في المدرسة أفادتني أثناء الجامعة ؛ ولكن دراسة المصطلحات الطبية غير دراسة الثانوية والمدرسة ، فهي أسماء كثيرة ومركبة وأشياء داخل الجسم ، وعلاجات ولكن الحمد لله الأمور ميسرة بفضل الله .. وأنت كيف مع السيد رستم ؟

قالت : مستورة ، تعودت عليه ورضيت بنصيبي .. كنت أحلم بأن يكون لك أخوة وأخوات؛

ولكن قدر الله وما شاء فعل يا بنتي

ابتسمت لأمها وقالت : أحلى عبارة يا أمي ! كله بأمره ، وهذه هي الحياة لا راحة فيها

ـ نعم ، يا بنيتي الحياة تعب وشقاء .. المهم أنك تسيرين كما تحبين وترغبين وتخططين .. وأنا مسرورة بسعادتك .. كيف نزار معك ؟

ـ نزار ابن أختك !

ـ آ ، قد وصيته عليك .

ضحكت زهيرة وقالت : جميل! .. شكرا أمي ، هو شاب محترم وكذلك شقيقته لمياء وابنة ابن خالي وكثيرا ما نلتقي في المطعم الجامعي .

ـ قال لي ذلك خليل فوزي

ـ وابنته محترمة ، وتفهم في الدين والإسلام والدفاع عنه أمام الفتيات المتغربات

ـ الأخ خليل منذ التزم وهو متمسك بالسنة والدين أكثر من أبيه فوزي ، يقرأ ويقرأ ، وأطلق لحيته قديما ، ويتردد على المساجد باستمرار ، فيه شدة ولكنه غير متعصب .

وبعد صمت قصير قالت : ألا نخرج نجلس مع جدتك ؟ فهي تقول إنك قليلة الجلوس معها

تبسمت زهيرة لعتاب أمها وقالت : ومتى أجلس معها يا أمي ؟ عندي محاضرات طول أيام الدراسة ، وعندما أعود أعود مرهقة من السماع والمشي، وهي تأكل وتشرب في حجرتها ، وكذلك امرأة خالي يسري وأولادهم وبناتهم دائما في حجرتها .

ـ تعذرت عنك ، وهي تحبك ، وتحب سماع صوتك والجلوس معها، فلو أطلت معها الجلوس والحديث في أيام العطل .. فالكبير يا زهيرة يحب الإنس والاهتمام به ؛ ليشعر أنه ما زال حيا يسعى ، وأنه مهم للعائلة .. فيقال إن الكبير الهرم يحب أن يعامل مثل الأطفال الصغار .. قومي نشرب الشاي معها

ـ حسنا، سأفعل ، لقد حاولت فعل ذلك ، وما أكاد أجلس حتى يقبل أولاد خالي وخالي يسهرون عندها ، فاضطر للخروج بعد حين يسير .. فالبيت لا يكاد يخلو منهم .

أخبرت الخادمة روجا سيدتها زهيرة أن عمها عادلا يتصل بها هاتفيا ، فغادرت الحجرة حيث الهاتف القابع في بهو الطابق وقالت بضجر : السلام عليكم .. نعم يا عمي .. الحمد لله أنا بخير عساك بخير ..كلكم بخير الحمد لله رب العالمين .. نعم، أنهيت الامتحانات بتوفيق من الله .. عندكم وليمة .. لو عذرتني يا عمي لست مغرمة بالولائم ..حاضر ، سأحضر ـ إن شاء الله ـ لست حاقدا على أحد .. ولكنه أساء لشخصي وتصرف بغير لباقة ونسي نفسه



قام ابن خالها موسى يسري بتوصيلها ظهر يوم الجمعة إلى بيت عمها عادل حسن للمشاركة في الوليمة والغداء القائم في بيته ، ورحب بها أعمامها الذين شاركوا في ذلك الغداء ، ودعوا لها بالنجاح والحياة الطيبة ، ثم انتقلت إلى قاعة النساء ، فسلمت على النساء والفتيات من أقاربها وأنسبائهم ، وهذه كانت أول دعوة تقبلها بعد حادثة ميلاد في بيت جدتها ، وبعد صلاة الجمعة تناول القوم الطعام والغذاء المعد لهذه الدعوة ، ثم شربوا القهوة المرة ، وأثناء جلسة شرب القهوة قالت امرأة عادل أم حسن لزهيرة : أخبرني ميلاد بأنه راغب بالحديث معك .

تطلعت في عيني أم حسن بحدة وقالت بنبرة غضب : ليس بيني وبينه أي حديث .. فليعقل يا امرأة عمي .

فأخذت المرأة تكيل المدح لابنها ، وتذكر مناقبه ومحاسنه ، وبأنه شاب عاقل وشجاع ، وصاحب مصلحة وأنه راغب بها قرة عين ، فاستاءت زهيرة ونهضت قائمة مستأذنة بالانصراف ، فأخذت نساء أعمامها بمعاتبة أم حسن على فتح موضوع ميلاد والزواج من جديد ، ولما رأت إصرار زهيرة على المغادرة قالت : انتظري سيوصلك ميلاد لبيت الحاجة أم فوزي

فصاحت هائجة : ميلاد ! .. هل جننت يا امرأة عمي ؟!

قالت : هو أخبرني أنه طلب من موسى ابن خالك ألا يعود .. سيعيدك للبيت بنفسه .

ـ يا سلام! ومن طلب منه فعل هذا ؟ .. سأعود بسيارة أجرة .. أنا جئت من أجل صلة الرحم حتى لا تقولوا زهيرة متكبرة ومتعجرفة كما أسمع وينقل .

وغادرت الحجرة مسرعة ، وامرأة عمها تدعوها للتريث ، ولكنها خرجت للشارع ناقمة ، فتبعها أحد أعمامها : أين يا زهيرة ؟

التفت إليه وقالت بضيق ظاهر : إلى البيت

قال : علمنا أن ميلادا سيوصلك

ـ ميلاد! ومن قال ذلك ؟

ـ أبوه

ـ لم يحصل شيء من هذا.. سأعود وحدي

ـ ما الخطب ؟

ـ لا شيء ؛ ولكنهم يتصرفون بحمق

وأشارت لتكسي أجرة قادم نحوها ، فتوقف وصعدت فيه ، ولم تسمع ماذا كان يقول عمها ، كان يطلب منها التمهل ليوصلها بنفسه ، ولكن السيارة قد انطلقت بعيدا عنه ، وكان عادل قد لحق بهم ، فلما وصل كانت الفتاة قد ابتعدت فقال : ما الأمر ؟

ـ زهيرة خرجت غاضبة من أم حسن ، حدثتني ابنتي بذلك ، فحاولت تخفيف الأمر .

فقال عادل : هذه البنت لم تحسن تربيتها

ـ لو لم تحسن تربيتها لم تلب دعوتك .. أنتم سيئون

فصاح عادل متفاجأ : نحن سيئون !

رد شقيقه بغضب وضيق : أجل ، ما صدقنا ونحن نخلص من مطاردتك لأمها حتى دخل ميلاد على الخط .. كأن جنس حواء انقطع لديكم إلا من زهيرة وأمها .. هل تظن لو بقي مجدي حيا سيزوجها من ابنك ؟

سمع ميلاد هذا الكلام ، وكان هو بدوره يخرج للشارع ساخطا على انصراف زهيرة فقال مخاطبا

عمه : لو كان مجدي حيا سيرفض زواجي منها !

فصاح عمه في وجهه : اغرب عن وجهي .. أنت فارس زمانك! .. بنت لا تريدك حتى صرت تكلف أولاد الناس يراقبونها في الجامعة

قبل أن يرد ميلاد قال عادل : ماذا قلت يا أدهم ؟

ـ قلت ما سمعت .. اسأل ابنك .. هكذا سمعت حميدا يتحدث مع زبون لهم ..

حملق عادل في ابنه وقال : ما الذي تفوه به عمك ؟!

ـ لم أراقبها، ولن تتزوج غيري

صاح في ولده وقال : اغرب عن وجهي

وقال شقيقه: يجب أن نضع حلا لهذه المهازل يا عادل .. يرسل الناس تتجسس على ابنة عمه .. بنت ستصير دكتورة تتزوج هذا الضائع

هاج ميلاد وصاح في عمه : عماه إنك تتمادى في كلامك عليّ

ـ ومن أنت حتى أتمادى عليك .. تعال اضربني

صاح عادل في ولده : ابتعد من هنا

وتحول الاجتماع العائلي إلى شجار وصراخ وصياح ، وأقسم السيد أدهم أمام إخوانه أن لا يدخل بيت عادل ، فرد ميلاد متحديا: لعمرك دخلت مع ألف سلامة

فقال أدهم : هذه تربية ابنك يا عادل أرأيت ؟!

فصاح عادل في وجهه شقيقه : فعلا تماديت علينا يا أدهم

واشتد الشجار والعتاب ، ولملم أدهم أسرته، وغادر المكان ، وما كادت زهيرة تصل البيت حتى تلقت اتصالا يتهمها بأنها سببت معركة بين أعمامها ؛ لانصرافها بطريقة غير لائقة ، فأغلقت السماعة قبل أن يكتمل الكلام ، وأجهشت بالبكاء .

في الليل اتصلت زهيرة بالدكتور ماهر طه الوصي المالي عليها ، وأخبرته بما حدث معها في بيت عمها ، ولما اطمأن عليها وعلى اختباراتها ، وأسف لها عما حدث من هذا الفعل غير اللائق قال

: لقد تحدثت مع عميد الكلية فأثنى عليك خيرا ، واعتبرك من النوادر في الكلية ، وسيسعى للقاء بك ، ليتعرف عليك شخصيا

ـ الشكر لك يا سيدي الدكتور .. بارك الله فيك

ـ هل تريدين شيئا لتتصلي بي ؟

ـ نعم ، أريد أن اشتري سيارة بسبب الموقف الذي صار لي عند بيت عمي .. لقد صرفوا ابن خالي ، ومنعوه من أن يعود لأخذي .

ـ لا حرج يا بنيتي .. إن شاء الله سأمر عليك وآخذك لمدرسة تدريب السواقين ولما تنتهي من الدورة ، وتأخذي رخصة القيادة سنشتري لك سيارة

ـ الشكر مرة أخرى

ـ متى تحبين أن أراك ؟

ـ في أقرب فرصة إذا لم يكن لديك شغل

ـ حسنا ، الشغل لا ينتهي.. غدا أو بعد غد سأمر عليك ومعي أم جواد .. نحن في خدمتك يا آنسة زهيرة أو حتى يا دكتورة زهيرة

ـ بارك الله فيكم .

لبى الدكتور ماهر وقرينته النداء ، ومرا على الآنسة ، وبعد الجلوس بعض الدقائق انتقلا بها إلى إحدى مدارس تعليم السواقة في المدينة ، وتعاقد مع مدير المركز التعليمي ، ودفع لهم مبلغا من المال ، ورتبوا أوقات التمرين والتدريب وانصرفوا مسرورين .

وفعلا باشرت الفتاة التدرب على سيارة التاكسي الصغيرة ، وكانت ترافقها أثناء الحصة التدريبية ابنة خالها يسري القائمين معها في العمارة ، وقبل أن تفتح الجامعة أبوابها للعام الدراسي الجديد كانت زهيرة قد أنهت حصص التدريب وبدأت تستعد لتقديم الاختبار لدى الجهات المعنية بإصدار رخص القيادة للسيارات ، وهي عادة دائرة تابعة لوزارة الداخلية والشرطة ، وعادة يتقدم المتقدم للرخصة بفحصين أحدهما يسمى الفحص النظري والكتابي أو الشفوي

حسب ثقافة وقدرات الطالب ، ويكون حول قواعد المرور في البلد والإشارات والأولويات، والفحص الثاني والمهم الفحص العملي بقيادة السيارة أمام فريق شرطي خاص بفحص السواقين ، فالنظري تقدمت فيه زهيرة سريعا ، فحفظها وقدرتها على الحفظ كبيرة ، فحققت النجاح من المرة الأولى ، والفحص العملي يحدد وقته بناء على نتيجة الفحص الأول .

واستطعت في المحاولة الثانية النجاح في الفحص العملي ، وأصبح لديها رخصة قيادة سيارة صغيرة صالون ، فالرخص فئات ودرجات ، ولما اتصل الدكتور ماهر سائلا عن النتيجة أخبرته بتحقيق النجاح، فهنأها وبارك لها وقال : جيد يا آنسة .. عندما تعودين من الجامعة عصر الغد إلى البيت سأقوم أنا وأم جواد بزيارتك لنذهب جميعا لمعرض سيارات لتختاري السيارة المناسبة واللون المناسب .

وما مضت بضعة أيام على أخذها لرخصة السيارة حتى كانت تملك سيارة من أحدث موديل في البلد ، وتذهب بها إلى الجامعة ، فقالت لمياء : تقدمت سريعا يا زهيرة .. جميلة سيارتك ولونها رائع .. ألف مبارك عليك .

ـ شكرا لمياء كان حادث دار عمي قد عجل لي بذلك ودافعا قويا لأخذ الرخصة وشراء السيارة خاصة أن المال كما تعلمين موجود لديّ بفضل الله وميراثي المعلوم .

واحتفلوا في مطعم الجامعة لهذه المناسبة ، والكل دعا لها بالتوفيق ، وأن يحفظها الله سبحانه من حوادث السيارات الشائعة في البلاد والعالم ، فتمنت لهم التوفيق لامتلاك سيارات خاصة بهم وكأن سمرا لم تعرف بالقصة التي كانت وراء شراء هذه السيارة وفعلا تذكروا أنها لم تسمع منها القصة لغيابها بضعة أيام في ابتداء الموسم الجديد لسفرها مع والدها إلى السعودية لأداء العمرة فقالت : ما القصة التي جرت لك عند دار عمك لتعجلي باقتناء هذه السيارة الجميلة ؟

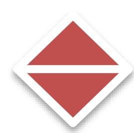
اختصرت القصة زهيرة وقالت : ولما خرجت متنكدة من امرأة عمي لم أدر ما حصل حقيقة بعدي ؛ ولكني سمعت أن عمي أدهم غضب وتشاجر مع عمي عادل وابنه ميلاد بسبب خروجي ، وغادر هو الآخر غاضبا ومقسما أن لا يدخل بيت عمي عادل الأخ الأكبر ، وجعلوني

أنا سبب تلك المعركة التي انتشر خبرها بين العائلات

نزار : ولم ذهبت ؟

ـ يا ابن خالتي ذهبت حتى لا يقال عني متكبرة .. حتى لا يقال عني سوء .. أو تذهب لناس وناس .. أردت فتح صفحة جديدة معهم .. وبعض أعمامي وعماتي يحبونني ، وليس بيدهم شيء أمام الأخ الأكبر .. من أجل التقليد

ثم انصرفوا بعد احتفالهم السريع بتملك زميلتهم وقريبتهم سيارتها الخاصة ، وبينما هم يغادرون المطعم التقوا بصاحبيهم في العام الدراسي الماضي جميل وأحمد داخلين ، فابتسم لهم نزار محييا ومرحبا ومفسحا لهم الطريق لدخول المطعم ، ومشى كل واحد منهم حيث كليته .



ذهبت زهيرة إلى عميد كلية الطب، والتقت به شخصيا في مكتبه ، وهي فرصة لم تكن تتاح لأي طالب إلا بصعوبة ، فتعرف عليها الدكتور العميد ، وأثنى على همتها ونشاطها العلمي ـ وكان الرجل قد اطلع على نتائج مواد السنة الأولى لها في حاضرة الكلية ـ وحثها على الاستمرار على تلك الهمة والقدرة وعلى الاستمرار في تقدمها ، لربما تتحصل على بعثة خارجية بعد البكالوريوس العام في الطب ، فتسافر إلى أوروبا أو أمريكا أو كندا على نفقة الجامعة .

وقدمت الفتاة شكرها للعميد وعلى اهتمامه بها ، وقبوله على الالتقاء بها شخصيا ، وبين لها في نهاية اللقاء أن الدكتور ماهرا قريب له فوق الصداقة التي تجمعهما ، فخرجت الفتاة مسرورة من لقائها بسيادة العميد لقاء خاصا ؛ فلذلك عندما ذهبت لمطعم الكلية حيث تلتقي برفاقها كان الفرح والبشر واضحين على محياها ، فذكرت لهم قصة اللقاء والحوار مع سيادة العميد ، فعلق نزار : أمريكا مرة واحدة يا زهيرة ! .. يا سلام لو تسافرين هناك قد تأخذين جنسية تلك البلاد وتصبحين أمريكية ، وربما قضيت العمر كله هناك كما يفعل الكثير من أصحاب العقول العربية .. نحن نسمع أن الأمريكان متقدمون جدا في العلم والطب والصناعة العلمية والبحث

العلمي .

فقالت لمياء شقيقته : كل أوروبا مثل أمريكا في ذلك .. طبعا اقصد أوروبا الغربية ولكن أمريكا الشمالية تمتاز بالقوميات المتعددة والكثيرة ، الشرقية والغربية والصينية واليابانية .. بلاد عجيبة وحقوق الناس والإنسان يتغنى بها الذاهبون إليها .. وكذلك حرية النساء

فقالت سمر : نعم ، حرية الإباحية

فقال نزار : الجنس عندهم ليس كبلاد المسلمين .. هم يتقبلون الأبناء غير الشرعيين بغير حرج وهذا غير مقبول لدينا .. فالزنا حرام معناه حرام .. ورغم الحرية الشخصية الواسعة لديهم ، فجرائم الجنس والاغتصاب لا تنتهي وكثيرة عندهم ومخيفة كما نسمع ونقرأ .. فأنا قد سمعت أنه من النادر أن تبلغ البنت عندهم العشرين وتظل عذراء بكرا عفيفة .

فقالت لمياء : ولكنها بلاد كبيرة

فقالت سمر : ومليئة بالمافيا والعصابات والمخدرات .. قد سمعت أنها قضية تؤرق أمريكا كلها ورغم قوتهم العسكرية الهائلة ، فهم عاجزون عن منع عصابات المخدرات والتهريب

فعاد نزار يقول : الإجرام لا تخلو منه بلد ؛ ولكن العلم والطب هائل عندهم ومتطوران ، لا ينكر هذا ، وتذهب الناس إليهم للدراسة والعلاج من كل أنحاء العالم ، فكل البلاد أو أغلبها يسعون لإرسال بعثات علمية إليهم .

فقالت لمياء : أمريكا بلاد شاسعة ، وبكر يقولون .. هي عبارة عن خمسين دولة هم يقولون خمسون ولاية .. الولايات المتحدة .. أو إحدى وخمسون لا أدري بالضبط .. بل خمسون ولاية

فقالت زهيرة بعد صمت طويل وسماع كل هذه التعليقات عن أمريكا : محبو العلم يبحثون عن الأجود والأفضل .. ولا تنسوا اليابان فهي متقدمة طبا واقتصادا ، وإنما الناس يذهبون أمريكا لأن اللغة الإنجليزية هي الشائعة فيها، وهي أسهل لانتشارها اليوم في كل شيء وفي كل البلدان فهي لغة التجارة والثقافة العالمية

فقالت سمر : على قول مكره أخاك لا بطل

تبسم الجميع لمثل سمر وقال نزار : هذا المثل يتوقف أمامه علماء النحو لأن القياس أن يقال أخوك على الرفع بالواو لأنه من الأسماء الخمسة .. اللغة الإنجليزية الحاجة العالمية لها .. للضرورة أحكام .. أصبحت لغة التواصل عالميا .. لذلك أتصور أن ذهابك لأمريكا أفضل لو تيسر لك الابتعاث .. فهذا رائع يا زهيرة!.. ماذا تودين التخصص ؟ فتخصصات الطب تكثر وتتسع اليوم .. والنساء عادة تتجه للطب العام فحسب أو التخصصات النسائية أو الأسنان

قالت سمر : المناسب لزهيرة طب الأسرة

ردت لمياء : تذهب لهناك خمس أو ست سنوات لطب الأسرة، أعتقد أنه متوفر هنا .. قد يكون له مستقبل واعد في بلادنا

ـ تدرسه للعمل كطبيبة مدرسة ومحاضرة .. شهادة من أمريكا يا لمياء

قالت لمياء : صحيح اسم البلد مهم في الأكاديميات العلمية .. وصحيح أن الأعصاب والقلب وغيرها من التخصصات يحب الناس الذهاب للعلاج لدى الذكور .. أما العمل في المستشفيات فهو مرهق ولا يهتمون بالتخصص أو البلد المانحة للشهادة فكلهم سواء

قالت زهيرة : الحق أنني لم أفكر بنوع العمل الذي أحب أن أمارسه غير الطب العام .. الجراحة والاختصاص قلت عندما تنتهي الدراسة الأولى أفكر في التالي فيما بعد .. أمامي سنوات وسنوات ، مع العمل والتدريب يفتح على المرء بالاختيار الذي تحتاجه البلد والمناسب لقدراتي أيضا .. فكرت بالعمل الأكاديمي ولكن لابد من ممارسة الطب على أرض الواقع في المستشفيات والمرضى قبل العمل محاضرا .. احتاج للخبرة العملية مع النظرية أليس هذا الصحيح ؟

قال نزار : رائع ! هذا التفكير الصائب كل شيء في وقته أفضل ، لابد من التخصص يا زهيرة في فرع من فروع الطب.. فالطبيب الأخصائي أفضل من الطبيب العام .. فعليكِ الاهتمام بما ستختارين .. وما دام العميد عميدكم قريبا للدكتور ماهر صديق والدك المرحوم مجدي حسن فلابد أن يهتم بالسعي لبعثتك قبل مغادرته عمادة الكلية

فقالت سمر : ألا تريد الزواج ؟

فقالت لمياء : الزواج ! وهل أحد يستغني عن الزواج ؟ ستتزوج طبعا وبإذن الله .. فخلال مدة السنوات ستلتقي بالزوج المناسب

فقالت زهيرة ضاحكة : قد أتزوج ميلادا ابن عمي ، وآخذه لأمريكا معي

وغرقوا بالضحك على نكتة زهيرة وقال نزار : لا بأس ، وتفتحين له محل تصليح سيارات في أمريكا .. فهي صنعة رائجة في كل بلدان العالم ، لا تستغني سيارة عن الميكانيكي .. وصناعة السيارات من أهم الصناعات في دول العالم الكبرى والصناعية خاصة أمريكا أم السيارات .. الفورد والكاديلاك والبويك والبونتياك .. أليس كذلك يا لمياء ؟

استمر الضحك وردت لمياء : أكيد .. بس سيارة زهيرة كما رأينا يابانية

فضحكت زهيرة وعلقت قائلة : نعم ، يابانية كما رأيتها أنا كذلك

فقالت سمر : كيف قيادة السيارة يا زهيرة ؟

ـ ممتعة حقيقة ..وتحتاج لأعصاب هادئة .. وأحيانا مزعجة من أزمة الشوارع أو ضيقها .. لحتى الآن لم يخرب معي عجل أو ينفس .. الأمور سالكة بحمد الله

فقالت لمياء: ألا تزورينا ما دام قد أصبح لديك سيارة وتقودينها خارج العاصمة ؟



كانت الآنسة زهيرة بعد حادثة ميلاد الأولى معها قد تعقدت من فكرة الزواج ، ويظهر أن تهديده القاسي لها دفعها لصرف النظر عن التفكير الفطري بشريك الحياة ، والزواج سنة الله في خلقه ، وهل يمكن لتهديد من شاب متهور وغاضب أن يخفي من نفسها غريزة الأمومة والولادة ؟ وهل يترك الناس فتاة بدون أن يتقدم لها أحد للزواج كعادة الناس ؟ الحق أن زهيرة منذ رفضت ميلاد كزوج لها ، وهي لا تضع قضية الزواج كأولية لها في الحياة ، فهي تاركة الأمر لله ، ومن ثم للظروف والأحوال .. ويمكن لنا نقول أيضا أن كثرة زيجات أمها قد تكون تركت

أثرا في نفسها .. فزهيرة لم تشعر باليتم كمأساة ؛ لأنها عند وفاة أبيها كانت صغيرة دون الخمس ولا أعتقد أن الرضيع وابن السنة أو السنتين يحس بفقد الأب ، ربما يحس بفقد الأم في هذه الفترة وقد لا يشعر بذلك لتوفر المراضع واللبن ، ففي القديم كانت المراضع تقوم بدور الأم ، وقد يرضع الطفل بوجود الأم كما رأينا ذلك في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم عندما ارضع في بني سعد وباديتهم .. واليوم زجاجة الحليب الجاف أو المجفف تقوم بمقام الأم في مهمة الإرضاع ، ومع وجود الخادمة أو القريبة يستغنى عن الأم .. لكن مع تقدم الوقت بالطفل ويكبر ويعقل يفقه اليتم والحرمان من الأب والأم يعرف معنى الفقد لوالديه أحدهما أو كليهما .. فيدرك أنه يتيم ، فيدرك أن الحنان ناقص أو مفقود .. واليتم سنة الله في خلقه لبعض الخلق .. ومشاكل هناء شغلت زهيرة عن همومها ويتمها .

فلما ألمح لها العميد بأن بإمكانها السعي للدراسة في الغرب ، العالم الغربي إذا ظلت متقدمة في نتائجها ودروسها ، فازداد حماسها للعلم ، وهوسها في مغادرة الوطن بل رأت أن ذلك فيه خلاصها من عمها وابن عمها وملاحقتهم لها .. وبينما هي تحلم أحلاما سعيدة دخلت عليها أمها ، فنهضت تعانق أمها بفرح وسعادة ، ثم تحدثتا عن أخبار بعضهم بعضا، ودخلت روجا بالقهوة المغرمة بها هناء وزهيرة ، فقالت هناء وهي ترشف القهوة : كيف أنت والسيارة ؟

ـ الحمد لله تأقلمت وتكيفت معها ، وتحسنت قيادتي ، وربنا يسلم ، فبعض الشوارع تكون فيها الزحمة شديدة ومزعجة .. أنا تأخرت في تعلم القيادة لظروف حياتي ، فأبوك ـ رحمه الله ـ كانت لديه سيارة ، وزوج أمك الثاني كان لديه سيارة .. ولما اشتغلت في شركة الدواء اشتروا لي سيارة وها هي ما زالت معي، وزوجي هذا يملك سيارة

ـ ما رأيك يا أمي بالسفر للخارج ؟

ـ السفر ..!! والجامعة ؟!

ـ الدراسة في أمريكا

ـ لم أفهم ؟!

ـ أفكر بالسفر إلى أمريكا الشمالية

ـ أمريكا مرة واحدة يا زهيرة ؟!

ـ الطب هناك يقولون في غاية التقدم والحداثة

ـ وكيف ستسافرين ؟! هل ستتركين جامعتك هنا؟

ـ لا

روت لها مقابلتها للعميد وتشجيعه لها للاستمرار على تقدمها لتتمكن من الرحيل كبعثة للغرب على نفقة الجامعة ، فلما صمتت الفتاة قالت الأم : ألا تفكرين بالزواج ؟! ألا تحبين أن يكون لك أبناء ؟!

ـ أحب ، وهل يباع العرسان في المحلات والدكاكين ؟!

ـ الأزواج لا يباعون في الدكاكين ، ولدى السيد رستم قريب يبحث عن عروس ، فقد سألني منذ زمن عن عروس من أقاربي من بنات أخواتي وإخوتي فلم أرد عليه بشيء .. أنا مستعد للحديث عنك لرستم

ـ ألا تخافين عليه من ابن عمنا ميلاد؟!

فأخذت الأم تقذف الشاب بالسباب ، ثم فطنت إلى حرمة الشتم والسب فتوقفت فقالت زهيرة : أنسيت تهديده اللعين ؟ وهذا ولد مجنون .

ـ وهل يأمل بالزواج منك ؟ إنه أحمق ، دكتورة مثلك تتزوج من رجل مجنون .. أتعلمين أن سفرك إلى أمريكا يخلصك منه ومن جنونه؟ .. ما زال يرفض الاقتران بفتاة .. التقيت بامرأة عمك نبيل أم سالم فأخبرتني أن إحدى عماته عرضت عليه احدى بناتها عروسا ، فرفض وأخذ يستهزأ منها وبها فقال : يا عمتي لن أتزوج إلا بنتا واحدة في هذه الدنيا اسمها زهيرة مجدي حسن .. أرأيت هبله وحمقه ؟! .. ومع ذلك فأنت بحاجة لزوج وأولاد .. أنا في شوق لأرى ذريتك فأنت الوحيدة التي خرجت بها من هذه الدنيا .. على كل حال سلمي الأمر لله .. هل أتحدث مع رستم عن قريبه الباحث عن عروس ؟

ـ ماذا يعمل هذا العريس ؟

ـ لا أعرف بالضبط ، هو سألني مرة ، ولم يتكرر الحديث بيننا حول هذا العريس وإذا فتح الموضوع سأعرف بعض التفاصيل ومواصفات العريس

ـ لست مستعجلة يا أمي على الزواج ، فالدراسة طويلة كما تعلمين



مكالمة

ذات مساء دخلت الخادمة على زهيرة مخبرة لها بأن أحدهم على الهاتف يرغب بالحديث معها ، فلما سمعت اسمه جفلت لذكر الاسم ، وانزعجت وأصابها توتر عصبي ، وقالت لنفسها ماذا يريد هذا المجنون ؟! ولماذا يريد أن يتحدث معي المحروس ؟! أليس عنده ذرة من الحياء والخجل ؟!

وخرجت لصالة البيت متضايقة وأمسكت بالسماعة بحدة وقالت : نعم ، .. وعليكم السلام تريد اللقاء بي ولماذا تريد الالتقاء بي ؟!.. يا رجل ألا تريد أن تحل عني ؟ ما الذي بيني وبينك لتتصل بي ؟ .. أنت لك درب ، وأنا لي درب .. لا أحب أن أرى وجهك أو أسمع صوتك ، هو الزواج بالعافية .. فلنبق أولاد عم فقط .. لي عشرات أولاد العم لماذا تخصك نفسك دونهم؟ .. كلهم خير منك وأشرف .. أرجوك ألف رجاء لا تتصل بي ثانية لو سمحت .. لا يمكن الالتقاء بك مع السلامة .

ووضعت السماعة بحدة وغضب ، وعادت لحجرتها، وكلها نار وضيق ودموع ، ولما جلست على أحد المقاعد قالت : ماذا أفعل به ؟! ولمن ألجأ للخلاص من هذا الوقح ..

كانت قبل هذا الاتصال قد تلقت رسالة منه يتوسل إليها أن تقبل به زوجا ، ومزقتها شر ممزق وطلبت من الخادمة عدم استلام أي رسالة تخصها من أي أحد إلا من ساعي البريد الرسمي .

ولما هدأت روحها بعد حين قالت : ألا يمكن تكميل ودراسة الطب في أمريكا مباشرة ؟.. بكالوريوس طب من أمريكا .. سأتحدث مع الطبيب ماهر ليكلم لي العميد لعله يستطيع توفير بعثة لي أكمل دراستي هناك حتى ولو عدت من الصفر .. المهم أن يوفر لي قبول عندهم لأخلص من هذا المجنون .. الذي سيزداد جنونه يوما بعد يوم .

نفذت الفكرة سريعا ، تحدثت مع الدكتور ماهر عن رغبتها بالدراسة في الخارج خارج البلد ، فبين لها الرجل خطورة السفر وحدها إلى تلك البلاد الكبيرة ، وأن الخطر عليها هناك أكثر من الخطر من ميلاد وأبيه ، فعجبت من ذلك، فقال لها صحيح أن الطب متقدم عندهم كثيرا ،

ولديهم مراكز بحث ضخمة وعالمية ؛ ولكن العصابات منتشرة في بقاع البلاد ، وكذلك المشاكل الاجتماعية الكثيرة والمتعددة التي لا تنتهي عندهم ، ولما أدرك حجم معاناتها وضيقها ، وعدها بأن يبحث لها عن أسرة مهاجرة ترعاها وتعتني بها ، أو أن تقترن برجل راغبا بالدراسة مثلها هناك فقالت باسمة : ومن أين يأتي هذا الزوج الطالب ؟

فوعدها أن يهتم بالأمر ، وأعلمها برغبته بنقل أموالها إليها ؛ لينهي عهد الوصاية ، وتصبح مالكة لثروتها بعدما بلغت سن الرشد المالي حسب القوانين المحلية ، وبين لها أنها تستطيع المحافظة على ثروتها وميراثها

فقالت : افعل ما تراه مناسبا ، وأنا لست مستعجلة على إنهاء الوصاية

فشكرها على حسن أدبها وعاد يقول : أنا أعلم شدة انزعاجك من ابن عمك .. صدقي أني تحدثت مع عدد من أطباء النفس من أجله ، فهم لا يرون أنه يشكل خطرا عليك ، وإنما هي أفكار غرست فيه فتحتاج لوقت لتذهب عنه ومنه

ـ ولكنه ما زال عازبا يرفض الزواج ؛ كأن الأمل ما زال في قلبه ونفسه

ـ على كل حال سأفكر بمشروع الرحلة إلى أمريكا والغرب عامة ؛ لعل هذا يكون أحد الحلول المناسبة

ـ أشكرك يا دكتور

ـ لا شكر على واجب

وانتهى الاتصال بينهما ، وعادت لحجرتها وهي تردد : الزواج .. لابد من الزواج يا إلهي ! صرت أخشى هذا الكلمة ، فهي تلقي ظلالا مخيفة على نفسي .. أمي كانت تقرب من الخمسين واضطرت للزواج .. لماذا الناس يتزوجون ؟!.. أمن أجل الغريزة فقط ؟ .. تعلمنا أن الزواج يكون للاستمتاع الجنسي ، وحاجة للبالغين كالأكل والشرب .. وإذا استغنى الإنسان عن هذه النعمة .. هل يتزوج ؟! للولادة والمحافظة على النوع .. ملايين النساء تلد يوميا .. إنني أكره الزواج .. لست بحاجة لرجل أم أني معقدة من تهديد هذا الرجل المجنون !.. الزواج لماذا ؟

ليجد الإنسان الأنثى متعة في تحقيق غريزة الأمومة .. فهناك نساء متزوجات لا يمارسن الأمومة لكونهن عواقر فلأكن واحدة منهن ! دعيكي من هذه الأفكار السوداء .. ولنسلم أمرنا لله .. إن ثقافتي الدينية بسيطة ثقافة مدارس .



كان حميد نبيل شريك ميلاد في ورشة التصليح في مجمع تصليح السيارات في المدينة يشرب الشاي ويقضم الساندويتشات المكونة من الحمص المطحون والفلافل (الحمص المقلي) ، ويتحدث مع ميلاد الذي يشاركه شرب الشاي ، ويدخن السجائر بعضها تلو بعض ؛ كأنه ينتقم من بدنه فقال حميد: يا رجل! لا أدري آنت رجل ؟ ـ واتبع سؤاله ابتسامة بصوت ـ ألا تريد إنهاء ما أنت عليه وفيه ؟ لقد كبرت .. والفتاة بعد استقرارها في الجامعة لن تقبل بك زوجا وإنك تثير المشاكل بين أفراد العائلة .. عند صاحبنا خضر بنت جميلة ومناسبة لك ، وهو من طبقتنا البسيطة .

ضحك ميلاد وهو يدعس على السيجارة حيث انتهت وقال : تزوجها على أم محمد .. أليس الدين يحث على التعدد ؟

ـ أنا مرتاح مع أم محمد .. لست أعزبا مثلك .. أنت تركض وراء سراب

ـ صدق لن يتزوجها غيري

ـ كيف أصدق ؟ .. وأنا أسمع أنها تسعى للسفر والرحيل إلى أمريكا للخلاص منك .

تفاجأ ميلاد بهذا الخبر ، فجحر ابن عمه وشريكه طالبا المزيد من المعلومات : أمريكا! ومن قال لك ذلك ؟!

ـ سمعت أمي من أمها ؛ لأنهن ما زلن يتبادلن الحديث مباشرة أو على الهاتف

ـ أعرف أن أمك صديقة لهناء من أيام المرحوم مجدي ، وكذلك العمة بسمة .. وماذا ستفعل في أمريكا ؟

ـ تدرس تتعلم .. وإذا جنست قد يطيب لها البقاء هناك

ـ وحدها ؟! وحدها ستسافر ؟

ـ من سيسافر معها ؟ فهي عزباء مثلك .

ـ وهل يسمح لها أعمامها بالسفر وحدها ؟!

فقال حميد مستغربا لهذا الاستفهام : ولماذا لا يسمحون لها ؟! بل ربما يفرحون بسفرها للخلاص من صراعكم الخفي والمعلن .. حتى أنني سمعت أنك كتبت لها رسالة تتوسل إليها بقبولك زوجا لها

نظر ميلاد إلى الأرض وقال : لقد ذلتني .. عقدتني .. كرهتني جنس النساء والحريم.

فضحك حميد ضحكا مسموعا ، وهو يرمي كوب الشاي الكبير إلى الأرض : الحمد لله شبعنا وهل أصدق هذا يا عم ميلاد ؟ لا شيء يخفى .. الناس ما أن تصدق بسماع خبر أو قصة لتسعى لنشرها .. ولماذا يزورنا عند الغروب كل يوم سالم ؟! .. هل تظن أنني مغفل ؟!

ارتبك ميلاد للحظات وقال : ماذا قال لك سالم اللعين ؟

قال حميد بألم وحزن : أشياء لا أحب أن أصدقها .. قال إنك تشرب الخمر في حانة بوم .. وفي خمارة سان

ـ أريد أن أنسى

قهقهه حميد وقال : وهل الخمر تنسي ؟ .. انتبه لنفسك .. غدا تذهب صحتك .

ـ وهل قال اللعين غير ذلك ؟

كرر حميد الضحك المصحوب بألم وغصة وقال : أعط سالما سيجارة أو كأس شاي يتحدث بكل شيء وهو يدخن أو يشرب الشاي .. سالم لا يكتم شيئا قال إنكم تزنون تذهبون لأماكن الزنا والفجور لتمارسوا الزنا والخنا والعياذ بالله من الخذلان .. اصح يا ابن عمي .. ودعك من

سالم وشلته .. ألا تخاف أمراض الزنا ؟!.. تزوج وعف نفسك وأعقل.. لا تجعل عقدة زهيرة تفسد نفسك وحياتك .. سوف تسافر غدا ، وربما تتزوج هناك وتستقر هناك .

ـ لن تتزوج إلا ميلادا .. شاءت أم أبت

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله .. أنا خائف عليك يا أخ ميلاد من الضياع ، وستصبح منبوذا من العائلة وحتى من إخوتك الأكبر منك كلهم

ـ سأسافر وراءها إلى أمريكا

ضحك حميد على جهل ميلاد : تسافر ! وكيف ستسافر ؟ وهل أمريكا بلد صغير.. أمريكا كبيرة يا رجل وعدد سكانها يزيد عن مائتي مليون من البشر .. كيف ستعثر عليها ؟ولا أظن أنهم سيذكرون مكان سكنها لأحد ، وربما تسافر لأوروبا

ـ أحمد شقيق محمود سيعرف عن طريق الجامعة

ـ ممكن ؛ ولكن اللقاء بها هناك مستحيل

ـ لا مستحيل .. سأبقى بدون زواج حتى أتزوج زهيرة

ـ غفر الله لعمي عادل وأمك الذين ورطاك في هذه القصة .. كيف صحة أبيك ؟ سمعت أنه متوعك ؟

ـ بل ذهبوا به للمستشفى ، وأعطي موعدا لإجراء عملية صغيرة

ـ لم اسمع أبي يتحدث بشيء

ـ قبل يوم ذهب للمستشفى فقط ، لم ينشر الخبر ، فربما العم نبيل لم يعرف بعد

ـ ألا تفكرون بالصلح مع العم أدهم ؟

ـ سوف نتصالح

زواج زهيرة

كانتا تأكلان في أحد المطاعم الكبيرة والمشهورة في المدينة ، فقد دعت زهيرة أمها وزوجها رستم للعشاء في ذلك المطعم الفاره ، واعتذر رستم لهما ، ولما فرغتا من الأكل ، وأخذتا تشربان ما بقي من العصير قالت البنت لأمها : هل نذهب لحديقة عامة نجلس فيها بعض الوقت؟ .. إني أحب الجلوس في الحدائق والاستمتاع برؤية الناس ، فأنا راغبة بقضاء بعض الوقت خارج البيت ، ونأكل البوظة والمثلجات

بعدما وافقت الأم دفعت زهيرة الحساب وخرجتا حيث تقف سيارة زهيرة ومشيا بها إلى إحدى حدائق العاصمة العربية الشابة ، وإلى حديقة تتردد عليها العائلات والأسر ، وعلى أحد المقاعد الخالية جلستا بعد أن اشترت زهيرة أوعية البوظة الشهية للعين ، وربما للمعدة ، وفجأة قالت هناء : لقد سألت رستما عن العريس الذي حدثني عنه ويبحث عن عروس .

انتبهت زهيرة إلى أمها وهزت رأسها فقالت هناء : هو ابن أخته ، ويعمل في صيدلية حكومية وعمره خمس وعشرون سنة ، كان خاطبا لفتاة قريبة له ثم فسخت الخطبة من قبل الفتاة ، فوافق الشاب وتركها ، وهو يبحث عن فتاة أخرى متعلمة أو حتى تتعلم بعد ، وسيساعد في أقساط تعليمها .. وإذا قبلت به فرستم مستعد للمشي في القضية .. المهم أن ترحبي أنت بالزواج.

فقالت زهيرة : لا داعي يا أمي فالدكتور ماهر حدثني عن عريس

رددت متفاجئة : ماهر الوصي ؟!

ابتسمت زهيرة وقالت : وهل هناك ماهر غيره ؟!

انقبضت الأم وقالت : ألم نخلص منه ؟!

ـ قبل زمن حدثني عن رغبته في إنهاء الوصاية عليّ ، ونقل الأموال لحساب خاص بي أو لنفس الحساب في نفس البنك الذي يضع لي به مصروفاتي وأقساطي .. ولما حدثته عن لقائي بالعميد ورغبتي بالسفر للدراسة في الخارج وإكمال التعليم في أمريكا

ـ إكمال التعليم .. ألم تخبريني أن ذلك بعد بكالوريوس الطب العام ؟!

ـ عدلت الخطة أرغب بالسفر والخروج من البلد .. فأولئك دار عمي يزعجونني ويضايقونني فصار السيد يكتب لي رسائل ، ويتصل على البيت .. وتحدثت مع الطبيب بهمومي ورغبتي ، فوعدني بالمساعدة في ذلك ، وسيكلم العميد بهذه الرغبة ، وبين لي مخاطر السفر إلى هناك ، وأن الحياة الاجتماعية هناك تختلف كثيرا عن الحياة الاجتماعية عندنا ، وذكر المخدرات والعصابات والإباحية .. ولكنها كما قال تتفاوت من بلد إلى بلد ، ومن مدينة إلى مدينة أخرى .. وربما يوفر لي الفرصة للحياة مع أسرة عربية لإتقان اللغة الأمريكية والرعاية لشخصي أو قال تتزوجين طالبا للعلم هناك مثلي .. فربما كما قال يجد لي القرين المناسب لنسافر معا .. أنا ضقت ذرعا يا أمي .. فهذا الرجل صعّب عليّ الحياة والحرية وأخشى أن يتهور بفعل شيء مؤلم .. وأعمامي يتشاجرون، ويجعلونني السبب ، ورغم ذلك لم يستطيعوا وقفه عند حده .. لا أريد أن تصل مشاكلنا للشرطة والمحاكم .. لعلي ارتاح هناك في الغربة المرة .

ظلت الأم تسمع هذه التفاصيل دون مقاطعة أو تعليق ، ولما طال صمت زهيرة قالت : الحياة صعبة عندهم ، لقد سمعنا عن أناس سافروا وفشلوا ، وبعضهم قتلوا في مخازنهم ومتاجرهم .

ـ الشر موجود في كل العالم ، والخطر لا يخلو منه مكان .. ها هو ابن عمنا يطاردنا ، ويشوه سمعتنا ، ويكتب لي الرسائل ، ويسأل عن الشاب الذي يجلس معي في مطعم الجامعة .. يشير إلى نزار ابن خالتي ابن أختك

ـ يا للوقاحة !

ـ أرأيت؟! يتجسس عليّ .

قالت الأم : حفظك الله يا ابنتي .. أنت أدرى وأعلم بمصلحتك وحياتك، وإن كان يعز عليّ فراقك ومغادرتك البلد .. لكن أحس وأشعر بالضيق الذي يصيبك من عمك وابنه .. والأفضل أن تتزوجي يا زهيرة قبل السفر .. حتى لا تشعري بالوحدة أثناء الغربة .. لو كان هناك أب أو أخ لكانت الحياة أحسن .. وأفهم من كلامك أن أنسى قريب رستم .

ـ أجل يا أمي .. هل ننصرف قبل أن يتضايق السيد رستم ؟

ولما بدأت بطلة قصتنا تستعد للعودة للجامعة في السنة الثانية الفصل الثاني مطلع عام ١٩٨٦ كانت تنتظر أخبارا طيبة من الدكتور ماهر حول الدراسة في أمريكا الشمالية أو كندا ، فقيل لها أن الفرصة في كندا أقوى لعلاقات خاصة للعميد مع جامعات كندا لدراسته هو فيها ، فمن خلال اتصال بينها وبين الدكتور ماهر أعلمها أن الرجل يبذل قصارى جهده لتنال بعثة هناك ، ويتصل العميد بمعارفه الأجانب لتسهيل مهمة سفرها وإكمال دراستها ، لذلك فما كاد ينقضي الشهر الأول في الجامعة حتى اتصل ماهر مخبرا أن الأمور تسير بشكل جيد ، وأنه قد وجد الشاب المناسب ؛ ليكون زوجا لها ، والمستعد لمرافقتها إلى كندا بعد زواجهما العاجل والضروري لكليهما ، وطلب اللقاء بها ليحدثها عن الشاب ؛ ليجري التعارف بينهم ، وقد أعطاها فكرة سريعة عنه ، وجلسا عندما التقيا في صالون البيت صالون جدتها بعض الدقائق ثم انتقلا إلى حجرتها الخاصة ، ولما استراح قال : هل أتحدث عن الدكتور سامر ؟

ابتسمت وقالت : اسمه سامر ودكتور .

ابتسم بدوره وقال : هو طبيب تخرج حديثا ، وهو يعمل في مستشفى حكومي ، ووالده دكتور جراح كبير في البلد .. وهو معرفة شخصية أقصد الوالد طبعا .. أما سامر عرفته حديثا فعادة الطبيب يعرف الأطباء من جيله الذين درس معهم أو عمل معهم في المشافي والعيادات فأنا أحببت خدمتك لمعرفتي بالضيق والإزعاج الذي يحيق بك من أقاربك ، ورأيتك تلحين ومصممة ، فسعيت مع قريبي العميد ولم يقصر الرجل لك ولسامر .. فالزواج هو الأفضل لك .. فلو كان لك أقارب هناك ، ربما فضلنا ذلك على الزواج ، وليأت الزواج على حينه .. ولو كنت ذكرا فلربما كان السفر أسهل معذرة .. أنت تعرفين نحن الشرقيون بالنسبة للنساء والعرض وعاداتنا .. أتفهمين عليّ ؟

ـ نعم ، أنا معك يا دكتور

ـ جميل .. جيد ! .. راقت لنا فكرة السفر أنا وزوجتي .. وأنت عزيزة علينا .. ففضلنا لك الزواج قبل السفر .. ولا أنسى صداقة المرحوم والدك وثقته الكبيرة بي عندما جعلني وصيا

ـ كنت نعم الأب الروحي لي يا سيدي .. شكرا لك .. لقد اطلعت على صورك مع الوالد ـ رحمه الله ـ أيام الجامعة

ـ نعم ، أيام الشباب .. المهم المناسب لك الزواج .. أنت تعرفين أهمية السمعة والشرف للرجل الشرقي .. وكذلك للفتاة الشرقية خاصة العربية .. حتى لا تسمعي قيل وقال

ـ أفهم مغزى كلامك يا عمي العزيز

ـ بواسطة الأصدقاء وصل الكلام للدكتور ماجد وولده سامر .. فالتقينا وتصارحنا بشأنك ، فرحب الشاب بفكرة الزواج والبعثة الكندية ، ووعدنا السيد ماجد بالسعي لتسهيل سفركم بأسرع وقت .. فعادة هؤلاء الجراحون لهم معارف وعلاقات على مستوى العالم ؛ لأنهم ينضمون لجمعيات علمية أو جراحية أو مؤسسات عالمية ليتبادلوا الخبرات والمعارف ، والمشاركة في الحملات الدولية في الكوارث والزلازل والأمراض المتفشية .. وتستمر بينهم المراسلات والندوات خاصة مؤسسات الصحة العالمية التابعة لمنظمة الأمم المتحدة .. أو منظمة الصليب الأحمر ، فتتكون بينهم زمالات وصداقات .. جميل هذا ؟

ـ أجل يا سيدي

بعدما رشف الدكتور ما تبقى في فنجان القهوة الذي برد بعد هذا الحوار قال : المهم صاحبنا الدكتور ماجد شجع ابنه على هذا الزواج ، ولسوف يسعى له للعمل هناك ، والتخصص كذلك في جراحة العظام والكسور.. وفي نظري أنه شاب ممتاز وطموح كوالده كما بدا لي .. فهل نكمل المشروع ؟ وتلتقيان للتعارف ؟

أحمر طبعا وجه الفتاة حياء ، وبعد صمت قالت ردا على الأسئلة : أنا مثل ابنتك يا دكتور ماهر فأنا الابنة الوحيدة لك ؛ لأنك لا بنات لك كما أعلم ..

ولما لم يعقب الدكتور تابعت : أنا أثق بك لأنك ثقة والدي ـ رحمه الله ـ الذي اختارك وصيا دون أعمامي ، وكان ذلك بعد نظر منه .. فهو بدا لي أعرف الناس بشقيقه الكبير .. وأنا مستعدة لمقابلة هذا الشاب ، والتعرف عليه ولكن أين ؟

فكرت بذلك ، وكنت واثقا من قبولك للعلاقة الخاصة بيننا ، والأبوة الروحية التي جمعت بيننا وجزاك الله خير الجزاء .. سأرتب لغداء في بيتنا في نهار جمعة .. وأنا في مقام والدك يا زهيرة ..

مسحت زهيرة دمعات مؤثرة عن خديها ، وتابع الدكتور الكلام متظاهرا أنه لم ير تلك الدموع الحارة من ابنة صديقه مجدي : وعندما أتفق على جمعة معينة سأتصل بك .. وليبق الموضوع مكتوما إلى حد ما بيننا

ـ أحسن يا سيدي ..

ـ أنت تعرفين البيت بالسيارة ؟

ـ أعرف ، وقد مررت عليك مرة بها .. وزرتكم بسيارة أجره قبل ذلك .

ـ أهلا وسهلا بك أيتها الدكتورة الصاعدة إن شاء الله .. واعلمي أن إجراءات إنهاء الوصاية قائمة على قدم وساق وسوف نذهب معا للمحكمة الشرعية، وسوف يكون المحامي أمامنا .. فهو يقوم مع مكتب محاسبة بحساب ما انفق عليك ليخصم من الأصل وستأخذين ما تبقى

أمسكت الفتاة بيد الطبيب ولثمتها امتنانا وشكرا ، وقبل الرجل جبينها وغادر البيت مسرورا

التقت الآنسة زهيرة مع أقاربها في مطعم الجامعة يتناولون الساندويتشات والمشروبات اللذيذة وبعدما انتهوا من ذلك وأخذوا يتهيأون لمغادرة صالة الطعام قال نزار : ما أخبار أمريكا ؟ سمعت أمي تقول لأبي ليلة أمس أن الأمور تسير على ما يرام ، عندما سألها عن أخبار سفرك فالكل يتابع أخبار الدكتورة الراغبة في الهجرة .

تبسم الجميع وقالت لمياء لتظهر الاهتمام بسفرها : كل يوم تتصل أمي بأمك ، ولا حديث بينهم إلا الخوف على زهيرة من هذه السفرة المجهولة

قالت زهيرة : لست أول من يذهب لتلك البلاد ، وبالتأكيد لن أكون آخرهم .. فالبعثات العلمية وغيرها من أول وسائل تبادل العلم والطب والتاريخ بين الناس .. والقلق من المجهول والرحيل يبدو أنه فطرة وغريزة .. والتوفيق والسلامة من الله سبحانه .. وأمر الرحيل على وشك الانتهاء منه .. فحضرة العميد يبذل الجهد الكبير لسفري إلى هناك .. ويسعى أن أدرس على

حساب الحكومة الكندية .. لما لمس رغبتي بالبقاء هناك إلى حين طويل .. وقد دخل على الخط جراح أعصاب كبير اسمه ماجد عن طريق الدكتور ماهر طه جزاه الله خيرا

قالت لمياء : أسمعت به يا سمر ؟ أسمعت به يا نزار ؟

ردت سمر بابتسامة وهز رأس بالنفي وقال نزار : لم أسمع به ، ولا يعني أنني لم أسمع به أنه غير موجود .. الله يحفظنا من الأمراض الخطيرة .. آمين .. والإنسان كما تعلمين لا يستطيع معرفة كل الناس وكل الأسماء .. لو سألت هذا السؤال لمريض أعصاب قد يخبرك عنه الخبر اليقين وضحك المهندس وتابع قائلا : ولو سألت طبيب عيون ، فهو يعرف عددا من أطباء العيون ويعرف أماكن عملهم وعياداتهم ، وربما مساكنهم وشوارع عياداتهم

لما صمت الشاب منتظرا تعقيبا على مرحه قالت سمر : المهم يا زهيرة أن القوم مهتمون بك ، والزواج تسربت إلينا معلومة صغيرة أن الدكتور ماهرا يسعى في أمر زواجك قبل السفر هل وجد لك القرين الصالح ؟

ابتسمت زهيرة وقالت ضاحكة : على ذمة الدكتور أن الزوج المناسب وجد

صاحت لمياء فرحا : ماذا ؟! هل تقولين ذلك حقا ؟!

ـ نعم ، وهو طبيب ابن الطبيب ماجد الذي تحدثت عنه قبل لحظات

ـ أرأيتم بعضكم ؟

ـ لا بعد ، لم أره لحتى الآن ، ونحن على موعد أيها الأعزاء .. يعني لا تنشروا الخبر قبل أن يتأكد الموضوع مائة في المائة .. وضحكت وقد أحمر وجهها وتابعت بعد التقاط نفس: هو طبيب متخرج حديثا ، ويعمل في أحد المشافي الحكومية، وعندما يكمل الحديث سأقول لكم أول الناس.. فأنتم من أعز الرفاق خلال هذه الشهور التي أمضيناها معا .

فقالت لمياء معبرة عن سعادتها لزهيرة : نحن سعيدون بسماع هذه الأخبار السارة.. أنت تستحقين كل خير وسعادة .. الحياة الأسرية جميلة يا زهيرة

فقالت سمر : إذن سنسمع قريبا خبر إشهار الخطبة بل الزواج

قالت زهيرة بابتسامة خجلاء : الزواج سيكون عند السفر .. إذا لم يحصل السفر سيؤجل الزواج إلى ما بعد الجامعة .. فالزواج مربوط بالسفر للدراسة .. هكذا تفاهمت مع الدكتور ماهر .. أنا قبلت الزواج كحل للسفر .. فزواج وجامعة هنا سيكون شاقا عليّ أتصور .. لأن الزواج سيتبعه حمل وولادة ورضاعة

قالت لمياء : نظرتك تشاؤمية للزواج يا زهيرة .. يبدو أن ابن عمك عقد حياتك

ـ قد يكون هو السبب .. ولكن لا تنسوا زيجات أمي أيضا

ضحكوا وقالت سمر : أوه ! صدقت عمتي تزوجت ثلاث مرات .. صدقي أن أمك طيبة ، ولا تتدخل في شأن أحد .. ولا حياة أحد .. لكن حظها مع الرجال لم يكن حظها طيبا .. كله قدر ونصيب

قال نزار : لا تنسوا أن والد زهيرة تزوج عندما أكمل الأربعين .. ولم تطل حياته رحمه الله

قالت زهيرة : عشر سنوات

فقال نزار : كأنهم عاشوا تلك السنوات فحسب .. كنت يا زهيرة صغيرة عند موته رحمه الله أقل من سنة ذكرت لنا ذلك ذات يوم ..

قالت : كنت بنت أربع سنوات ونصف يا نزار كنت في فترة ما قبل المدرسة ؛ ولكنني لم أرضع حولين للهفة أمي على المزيد من الحمل .. أنا أعرفه إلى حد ما ، وربما أتخيله من مشاهدة صوره ردد الزملاء ترحمهم على زوج خالتهم مجدي حسن ، وبينما هم مستغرقون بالحديث .. وقد نسوا المغادرة مع سماع أخبار زهيرة ، وقد طلب لهم نزار المزيد من القهوة والمشروبات ، دخل القاعة طالب كلية التمريض أحمد ، وكانت تصحبه فتاة ، فقالت سمر بدون شعور مخاطبة لنزار : صاحبك معه صبية جديدة !

شاهد نزار ما شاهدته الفتيات فابتسم لسمر وقال : هو ليس صاحبي ، وقد عرفته عن طريق جميل ، وقد أخبرني مرة أن رفيقه بطل حب ومغامرات نسائية في الجامعة

وقالت زهيرة بحدة : وجاسوس لميلاد

التفتوا إليها بدهشة ورددت سمر : جاسوس !

ـ نعم ، له أخ زبون عند ميلاد ، فطلبوا منه أن يتجسس عليّ

قال نزار : قد يكون هذا صحيحا ، فهو قد استلمنا فترة ، من قال لك ذلك ؟

ـ ميلاد .. كتب لي رسالة يتوسل فيها في أمر الزواج ، ثم اتبعها باتصال وزعم فيه أني أجلس مع الشباب في مطعم الجامعة ، وأضحك بصوت عال وقهقهة ، وذكرك ، وأنني أجلس مع شاب اسمه نزار .. وإنك قريب لي .. يتباهى أنه على معرفة واطلاع عليّ حتى ولو أنا في الجامعة

ضحك نزار وهتف : يا للسخف ! هزلت

ـ تكلمت مع ابن عمي حميد شريك ميلاد في المحل ، فأقر لي بجنون ميلاد ، وأنه ورط الشاب أحمد بتتبع أخباري .

فصاحت لمياء : هذا ابن عمك مجنون فعلا .. فعلا السفر أفضل لك من هذه الأشكال المريضة فعمك عادل ضعيف وعاجز عن وقفه عند حده .. وهذا الشاب سيء .. إذن يتردد على كافتيريا الطب من أجل هذه الغاية الدنيئة .

قالت سمر بامتعاض : هذا مؤلم !

قالت زهيرة: هذا كلام ابن عمي حميد نبيل ، ثم قال نصحته كثيرا أن يبتعد عن طريقك ، وأن يتزوج ويعقل ؛ ولكنه يزعم أنه محب ، ولا يستطيع الحياة بدون ابنة عمه زهيرة

قال نزار : صار يكتب رسائل ليزعم أنه يعرف عنك كل شيء .. إنه مريض نفسي وسخيف وفاشل .



وكانت زوجة الدكتور في استقبال زهيرة وعانقتها وهي ترحب بها في بيتها ، وهذه لم تكن أول مرة تدعى للغداء في منزل السيد ماهر ، التقت الآنسة زهيرة بالدكتور سامر ماجد في منزل

الوصي ماهر ، فعرفهم على بعض ، وتناولوا الغداء على مائدته ، وشاركتهم زوجه اللقاء ، فأولاد الدكتور كثر ، فقبل زواج مجدي من هناء كانت ولدت له خمسة مواليد ، وأغلبهم متزوج ويسكن خارج البيت الخاص بالدكتور ، أو يعمل خارج البلاد ، وتحدث الدكتور الشاب عن دراسته الطب في جامعة القاهرة في مصر ، فهو خريج طب القاهرة ، وأنه كان يفكر بالاختصاص في بريطانيا ، وللحصول على الزمالة الإنجليزية قبل دخول الدكتور ماهر على الخط ، وأخر سعيه بالسفر لبريطانيا للعمل في مستشفيات الدولة ليأخذ الخبرة العملية قبل الرحيل ، وتحدثت زهيرة عن نفسها ببضع كلمات وعبارات ، وفي نهاية اللقاء أبدى الدكتور سامر للدكتور ماهر وزوجته عن قبوله الزواج بالفتاة إذا قبلت به هي ، وقبله أهلها ، وأمهلها الدكتور ماهر بضعة أيام لتشاور من تحب أن تشاوره من أهلها وأقاربها ، وسمعوها تقول : أنا لديّ طموح فعلا للدراسة في أمريكا أو كندا كما قيل لي إن الفرصة فيها أكبر .. فالزواج يا دكتور سامر أمر ثانوي وطارئ ؛ ولعل الدكتور شرح لك شيئا من الأمر .. لا تتضايق من صراحتي .

ضحك سامر وماهر ورد سامر : أبدا يا آنسة زهيرة لست منزعجا من صراحتك ، وقد حدثني الدكتور عنك بالتفاصيل ، وعن بعض ظرفك مع أقاربك خاصة أعمامك .. وأعلم أن الظروف هي التي تدفعك للزواج ، وأنت تدرسين دراسة طويلة الشهادة الأولى .. وهذا الفعل من الحكمة والصواب إن شاء الله .. فالغرب خطر جدا على النساء بسبب الحرية الكبيرة في مجال الجنس والعلاقات العاطفية وعدم الاهتمام مثلنا بقضية العفة والبكارة .. ولا أقول هذا الكلام مجاملة ومسايرة بل أسمع وأقرأ .. ولي قريبة أصابها سوء هناك بسبب الجهل في عادات تلك الشعوب .. حدثني الدكتور ماهر جزاه الله كل الخير هو وأم جواد .. حدثني أن دافعك للدراسة هناك الهروب من مشاكسات ابن عمك ، ورغبة في تحصيل الشهادة العلمية الغربية ، وحداثة الطب وسرعة تطوره ، فهذا سبب تعجيلك للزواج ، وذلك بناء على نصيحة صادقة من والدنا الدكتور ماهر وأهله .

قالت زهيرة والحياء يغمرها : شكرا لك ، والشكر للدكتور وزوجته .. وأنا شرفت بالتعرف

عليك ، ومن حيث المبدأ .. الأمر لي شرعا وقانونا ، ومن حيث المبدأ أنا أقبل بالزواج من شخصك الكريم ، ولا أعتقد أن أحدا يهمه أمري من أهلي سيعترض .. ولكن لا بأس من التفكير كما اقترح الدكتور بضعة أيام لحسم الأمر والرد النهائي ؛ لأنه لن يكون بصراحة زواج إلا إذا كان هناك سفر .. وإذا لم يتحقق السفر فلن يتحقق الزواج بسبب الدراسة والحياة الزوجية

فقال ماهر : نحن بالطبع نتفهم ذلك ، فالأصل السفر، والدكتور سامر العزيز واضحة له الصورة يا زهيرة .. ستكون خطبة بدون عقد العقد الشرعي .. هذا فهمته للدكتور وأبيه وهو تقبل الأمر .. أليس كذلك يا بني ؟

ـ لقد استوعبت الظروف المحيطة بالآنسة ، وستكون خطبة ؛ فإذا تقرر سفرنا نهائيا ، سيكون الزواج، ثم السفر فورا بإذن الله تعالى ، ورحلنا إلى طلب العلم

قالت الفتاة بصوت هامس : شكرا يا دكتور سامر .. أرجو ألا تتضايق من هذا التصرف .. عليك أن تعذرني لأن الزواج طرح عليّ من أجل السفر إلى تلك البلاد

ـ لا حرج عليك .. وأنا أطمئنك أن الوالد يسعى جادا لتحقيق أهدافنا وسفرنا .. لكن قد تضطرين للدراسة من جديد بسبب اختلاف المناهج والترتيب عندهم .. رغم وجود مواد مشتركة في جميع كليات الطب عالميا .. لكن لكل بلد ترتيب خاص ، قد يتفق مع بعض البلدان، وقد يختلف كثيرا .. وربما يعتمدون بعض المواد لك وقد لا يعتمدونها

قالت : لا بأس ، لو عدت للبداية ودرست من جديد .. أنا كما يعلم العم ماهر راغبة بالخروج من هنا للدراسة وهربا من مضايقات ابن عمي الذي يعرف الدكتور عنه الكثير .. حتى وصل به الأمر أن يدفع أناسا ليتجسسوا عليّ في الجامعة .

فقال ماهر : ماذا ؟!

وبدت الدهشة على زوجته أيضا ، فذكرت لهم قصة رسالة ميلاد التي يعترف فيها بمعرفته مع من تجلس وتتحدث في الجامعة ليظهر لها اهتمامه بها زاعما ذلك فعلق ماهر : لا حول ولا قوة إلا بالله .. هذا ازداد جنونا

وأخذ يقص على الدكتور تهديده لزهيرة بقتل من يتزوجها أو إيذائه حتى لا تتزوج غيره ، فلما انتهى من تلخيص القصة قال سامر باستغراب : أمعقول هذا ؟! هو يريد أن يحقق المثل البائد ما ينزل العروس عن الفرس إلا ابن عمها.. أنا ظننت أن هذه الأقوال بادت في المدن وحتى الأرياف

ضحك ماهر وقال : ما دام أن هناك من يفكر بمثل هذه العقلية لم تنته إن شاء الله ستتزوجون ؟ وتقهرون هذه العادات والأقوال ، وتهاجرون بأمن الله ورعايته

وتشعب الحديث والنقد بينهم حول العادات والتقاليد ، ما ينفع للمجتمعات الحديثة ، وما لا ينفع ، ثم طلبت الإذن بالانصراف ، فودعتها الأسرة والدكتور سامر ، ولما ابتعدت سيارتها عادوا للجلوس ثانية ، وانصرفت المرأة الأخرى قال سامر : أمجنون ابن العم هذا ؟

ـ لا تقلق يا سامر .. هذه القصة لها مقدمات .. فزهيرة كما ذكرت لك سابقا قد مات والدها وهي صغيرة ، وجعلني وصيا عليها دون أعمامها ، وخاصة والد ميلاد هذا .. وهي قد ورثت مبلغا كبيرا من المال .. وكذلك أمها .. وطمع العم بثروتها ، فحاول الزواج من أمها ؛ ولكنه لم يوفق لرفض الأم .. ثم تزوجت الأم من شقيقي مروان ، ولم يوفقا بالزواج وانفصلا بعد سنوات ثم تزوجت من ضابط متقاعد ، وما زال الزواج صامدا .. ولما رأى الأب فشله أغرى ولده بالبنت التي شبت بزعم أنه ابن عمها وأولى بها من الآخرين .. فطلبها بعد المرحلة الإعدادية ، فاعتذروا بحجة الدراسة والتوجيهي ، ثم كرر الأمر بعد نجاحها بالثانوية .. ولما رأى قبولها بكلية الطب ، وأن هذه الدراسة قد تستغرق سبع سنوات ، وستصير طبيبة فجن جنونه وهددها بما تحدثنا لك عنه .. وهو شاب لا يحمل أي شهادة علمية ، يعمل مصلحا وفنيا للسيارات .. فهو يضايقها ويسيء إليها ، ولا أحد يردعه ويمنعه .. بل صار شجار في العائلة بسبب هذا الفعل .. وهي أهملته واشتغلت بجامعتها .. وأنا أتمنى لكما السعادة

وتصافحا للوداع وقال لسامر : سلم على الوالد والوالدة .. وإن شاء الله سنحتفل بكما قريبا

قامت السيدة هناء بالاتصال ببعض أعمام زهيرة مخبرة لهم بمشروع زواجها من الطبيب سامر ماجد ، وطلبت منهم إخبار شقيقهم الكبير عادل بذلك ، وكان أخوال زهيرة قد أخبرتهم هناء بالأمر ، وباركوا الزواج لها ولابنتها .

كانت العادة المتبعة في دكان حميد وميلاد لتصليح السيارات أن يصل ميلاد للمحل أول الفاتحين له ، فعندما يصل يفتح الباب الرئيسي للمحل بمساعدة الشغيل الوحيد معهم أو هو وحده ، فيفتح الباب الكبير ويبدأ بإخراج بعض أدوات العمل أمام المحل كبعض العدة ، والإطارات يعلق بعضها في أماكن مخصصة لها على جدران المحل الخارجية ، ويخرج أيضا بعض قطع التصليح ، ويأخذ بعمل إبريق الشاي الضخم ، ويبقى في عمل ترتيب العدة

وأدوات العمل حتى يصل بائع الكعك المحمص لقرب المحل ، فيتناول منه كعكات له ولحميد وللشغيل الثالث العامل معهم ، ويضع فيها البيض المسلوق أو المشوي أو الجبنة الصفراء أو الزعتر المدقوق أو الفلافل المعروف ، ويلتهي بالأكل وشرب الشاي حتى يصل شريكه أبو محمد حميد نبيل للمحل ويبدأن الشغل .

وصل حميد كعادته المحل ووجده مغلقا ـ وهذا من النادر ـ ولما يريد ميلاد التأخر لسبب ما يخبر حميدا بالهاتف أو في آخر نهار العمل ليأخذ باله ، فتعجب حميد من عدم فتح الدكان ذلك الصباح فهو لم يعتد على فتح المحل بنفسه من سنوات ، فعاد لسيارته القديمة يبحث عن مفاتيح الأقفال فحمد الله تعالى أن وجدها فيها ، ففتح المحل والسؤال لماذا لم يفتح ميلاد اليوم ؟!

ونشط في ترتيب المحل وإخراج ما يلزم إخراجه من المواد والأدوات الخاصة بالعمل واللحام ، ثم نادى على بائع الكعك القائم على رصيف الشارع ، واشترى ما يلزمه ، ونادى على بائع الشاي المتجول ، واشترى كوبا منه ، ولم يعمل الشاي في المحل ، وهو يردد لماذا لم يأت المعلم ميلاد ؟! المكان تتوفر فيه المطاعم ومعامل الشاي والقهوة وحتى أن فيه مقهى للهو والمشروبات الباردة والساخنة ولجلوس الزبائن حتى تنقضي حاجاتهم من تصليح وصيانة ، وهناك محلات البقالة أيضا للمواد التموينية ، وإن كان غالب المحلات تتعلق بالسيارات صيانة وتجارة وبيعا .

وبينما هو منهمك بالأكل والشاي والحديث مع أصحاب المحلات المجاورة ، وهم يصبحون على بعضهم بصراخهم وهمومهم ، وأكثرهم يسأل عن ميلاد الذي يتصبّحون به أولا ، جاء الشاب الصغير الذي يعمل معهم فأرسله لبائع الكعك والشاي ، ولكن الفتى رغب بشراء ساندويتش فقال : اشترِ ما تريد .

وهؤلاء الشباب الصغار أغلبهم يترك المدرسة لعدم قدرته على التعليم، فيلتحق بمثل هذه المحلات ليتعلم حرفة يعيش من ورائها عندما يكبر ، فبعد أن اشترى الفتى طعام الفطور ، وعاد للدكان انتبه لعدم وجود السيد ميلاد وذلك عندما أخذ يلبس ملابس الشغل ، ظن في البداية أنه ذهب هنا أو هناك ، ولما رأى ثياب العمل معلقة على مشجب أدرك أنه لم يحضر فصاح دهشا : أيه يا معلم حميد .. أين المعلم ميلاد ؟ إني أرى ثيابه معلقة على المشجب !

ـ لم يحضر يا سماحة .. من سنوات لم أفتح المحل بنفسي إلا مرات معدودات .. أنظر إلى التلفون هل فيه حرارة ؟ لأتصل بدار العم عادل .. قد يكون مريضا .

ثم ضرب بيده على رأسه وهتف بصوت مسموع : آه ، لقد نسيت لقد كانت خطبة زهيرة ليلة أمس .. المجنون متعلق بحبل الهواء !

عاد الصبي يقول : الحرارة موجودة يا معلم حميد .. هل أرن عليه ؟

ـ لا ، بعد ساعة نتصل يا فهمان .. ربما راحت عليه نومة عميقة .. ما هو المعلم هذه الأيام صاحب سهر وشلل .

فعقب الشاب أسفا : حال لا تسر يا معلم .. يدخن كثيرا ، ويمشي مع شلة شباب سمعتهم أسوأ سمعة .. أهمل ناس يأتون في المساء ويذهب معهم .. كلهم أهل سوابق وأصحاب سكاكين وخناجر .

ـ ما شاء الله يا سماحة ! .. إنك تفهم يا منحوس بالشلل والهمل .. لأي صف درست يا ولد ؟

ـ السابع مرتان ونصف الثامن وهربت نهائيا .

ـ كيف ترى الشغل معنا يا معلم يا صغير ؟

ـ لماذا الإحراج يا معلم حميد ؟ أنا عملت حدادا أول ما تركت المدرسة مع قريب لأبي ، وبعد حين نصحني بأن أبحث عن مهنة أخرى .. فعملت بنصيحته ، وعملت في محطة تنظيف وغسيل سيارات ، ولما قابلت ميلادا بالمحطة عرض عليّ العمل معكم فوافقت .. وأنا مرتاح معكم فعلا يا معلم حميد .

ـ مرحبا بك يا معلم سماحة .. المهنة تحتاج لصبر وعين مفتحة .. وأنا لن أبخل عليك بخبرتي .

ـ أشكرك يا معلم حميد يا بطل أنت أصيل .

ـ كم سيارة عندنا اليوم ؟

أشار لسيارة تقف أمام المحل وقال : هذه السيارة فقط .. هناك زبون أخذ سيارته وقال سأعود غدا يعني اليوم والله أعلم .. وواحد سيعود لنكمل له تصليح سيارته .. لم يرغب بمبيتها هنا مع أن الخراب في ماتورها ..

ـ هو خراب بسيط يمكنها السير .. سوف يأتي هو زبون دائم .

مضت ساعة وأكثر ولم يظهر ميلاد ، فاتجه حميد نحو الهاتف القابع في آخر المشغل ، وضرب رقم بيت عمه حيث يقطن ميلاد ، فردت امرأة أحد أبناء عمه الأولى أم ميلاد .. فالسيد عادل يملك عمارة من عدة طوابق يسكن في الطابق الأول منها هو وزوجاته خاصة أم العيال ، وبجواره عمارة أخرى يعيش فيها أولاده المتزوجون ، فاستغرب ردها على الهاتف فقال : بيت أم حسن عرفته المرأة وأدركت دهشته فقالت : نعم يا حميد

ـ نعم ، حميد .. ظننت أني أخطأت النمرة .. ميلاد موجود .. هل ما زال راقدا ؟

ـ ميلاد لم ينم الليلة في البيت

ـ لم ينم في البيت ما الأمر ؟!

ضحكت كما سمع حميد وقالت مجيبة: يا سيدي عاد سكرانا للبيت ، وأخذ بالصياح والهدير أنه سيقتل زهيرة قبل أن يتزوجها غيره

ـ نعم ، نعم ، كانت ليلة أمس خطبة زهيرة .. نسيت حضورها المرأة مريضة كما تعلمين ذهبنا

للمستشفى



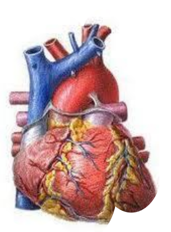
ـ المهم رجع في غاية السكر والصراخ والتهديد .. فتشاجر مع أبيه وإخوانه ، وطرده عمي من البيت .. وها أنت تقول لم يحضر إليك .. الله أعلم أين ذهب ؟!

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله .. لقد جن الفتى .. نعم ، لم يحضر فظننت أن النوم غلبه .. على كل حال سلمي لي على عمي وزوجك والجميع

ـ مع السلامة يا حميد إذا التقيت به طمأن أمه عليه

ـ إن شاء الله

ووضع السماعة وقال : لا اله إلا الله محمد رسول الله .. بدأ يجاهر بسكره وعربدته .. الله يهديك يا ابن عمي .



وافق جميع أعمام زهيرة بما فيهم عادل على زواجها من الدكتور سامر ابن الدكتور ماجد جراح الأعصاب والدماغ المشهور على مستوى العاصمة ، والمدن الكبيرة الأخرى ، فهو رجل الطب ورجل الجمعيات الخيرية ، واتفقوا على أن يكون الزواج وعقد عقده الرسمي عند رحيل الشابين إلى كندا للدراسة والعمل للسيد سامر مع التخصص في جراحة العظام والكسور .

وأما ميلاد ففي ليلة الخطبة قضى ساعات وساعات في إحدى الحانات يعاقر المسكر ، وعند الفجر قفل راجعا للبيت في سيارة أجرة ، وهو في غاية السكر ، ودخل هائجا صاخبا وإعياء السكر عليه واضحا للعيان ، فلما استيقظ والده على صياحه طار عقله ، وغضب غضبا قاتلا ،

وأخذ يرد على الصياح بصياح حتى أيقظ العائلة ، وربما الجيران ، وكان يقول لأمه التي استيقظت بدورها مرعوبة : ألم أقل لك أن ابنك صار سكيرا ، ويدخل يترنح كالسكارى ، وأنت تقولين أنه يترنح من التعب وكثرة النوم تحت السيارات لإصلاحها .

ثم انهال عليه ضربا ولطما ، فزاد الصياح والصراخ ، وشاركه أبناؤه ذلك الصفع والرفس ، وهو يصرخ ويسب عليهم ، ثم طرده عادل من البيت ، وطلب منه أن لا يعود للبيت حتى يترك السكر والفساد .

فمشى في الشارع وأخذ يبحث عن بيت يقضي فيه باقي ليلته ، وظل يترنح ويسب ويحبو في الشوارع والأحياء حتى وصل لأحد المنازل المعروفة له ، فلما شاهده الشاب بعد أن أدخله البيت ، قال مفزوعا : ويلك من فعل بك الأفاعيل ؟ هل تشاجرت مع عصابة ؟!

- مع أهلي ، مع الملاعين أهلي .

قال : يبدو أنك ثقلت العيار الليلة .. شربت أكثر من اللازم

- شربت حتى انفجرت .. لقد أفرغت الكثير .. اليوم أتعس يوم في حياتي ، حبيبتي الوحيدة في الكون الليلة خطبوها لرجل .. أرأيت الغدر ؟

قال الشاب متهكما : حبيبتك الدكتورة زهيرة ابنة عمك الميت خطبت الليلة .. يا مسكين راحت عليك !

- لم ترح عليّ .. أنا أقسمت مليون يمين ، فلن تتزوج غيري .. فلن تتزوج إلا أنا.. أنا ميلاد .. لن أسمح لها بالسفر إلى أمريكا وأنا حي .. سأتزوجها أنا فقط

- وهل ستسافر هي إلى أمريكا ؟ ما رأيك بكأس قهوة ؟

- لا قهوة ولا حليب .. أرأيت غدر النساء ؟ بعد صبر طويل رمتني في الشارع وأخذت غيري أنا لي عشر سنوات انتظر ليلة الزفاف ، ولما وصلت اللقمة الفم تركتني .. أنا عنتر بن شداد فارس الميدان .

- اسمع خفض صوتك بعد قليل سيؤذن للفجر ، ويستيقظ أهلي للصلاة .. لا أحب أن يعرفوا

أنك هنا .. خفض صوتك .

ـ أنت جبان .. أنا قبل قليل ضربت أبي وإخوتي كلهم

ـ الحمد لله أنني جبان يا بطل .. يا عنتر بن شداد .. يا زير سالم

ـ نعم ، أنت جبان .. أريد أن أنام .. ألديك سرير آخر ؟

ـ هذا ليس فندق يا عنتر .

بعد إعلان خطبة زهيرة بأسابيع قليلة أخبر والد ماجد ابنه سامرا بحصول الموافقة النهائية على قبولهم في إحدى جامعات كندا ، وعلى تعاقده للعمل في أحد مستشفياتها للاختصاص الطبي ، والعمل فيه كطبيب ودراسة الاختصاص في قسم العظام .

وعلى الفور نقل سامر الخبر لزهيرة وأن أوراق الدخول والقبول في الطريق ، وأن عليهم مراجعة السفارة الكندية الكائنة في المدينة الكبيرة ، وقد فرحت الفتاة لهذا الخبر فرحا قاتلا كما يقال ؛ وكأن باب الجنة فتح لها ، وقد ظهر الفرح على محياها لجميع أفراد العائلة في بيت جدها، والكل دعا لها بالتوفيق والنجاح ، ولما اتصلت بالدكتور ماهر الذي فرح لفرحها ، وأعلمها أن الدكتور سامرا تحدث معه في ذلك ، وأنهم بعد وصول الأوراق اللازمة سيسعون لتنظيم حفل عقد الزواج والزواج نفسه ، فشكرته الفتاة لاهتمامه الدائم ، وأخبرت أمها بعدئذ بموافقة السلطات الكندية نهائيا على التحاقها بإحدى جامعتها هي وسامر ، وإنها ستسعى للحصول على أوراق جامعتها اللازمة لها من كشوف علامات وشهادات تزكية وحسن سلوك ، ووثائق لازمة ، وكذلك مراجعة السفارة ووزارة الخارجية لتوثيق الأوراق .

وأخبرت رفاقها في الجامعة سواء من زميلات الدراسة أو أقاربها الذين تجالسهم ، وقد فرحوا لها فرحا كبيرا ، وتمنوا كلهم لها التوفيق وتحقيق الأماني التي تصبو إليها من هذه الهجرة لعالم الغرب ، ودعوا لها بحياة طيبة في كندا ، وأخبرتهم بقرب اقترانها بسامر ، وهي تدعوهم للحفل فوعدوها خيرا .

وخلال أيام يسيرة حصلت على كل الأوراق الجامعية اللازمة للدراسة هناك ، ودفع لها العميد

عميد كلية الطب برسالة خاصة لأحد زملائه في تلك الجامعة ولجامعتها تلك ، وطلب منها أن يتصل به ماهر عندما تستقر في تلك البلاد ؛ ليتحدث شخصيا مع ذلك الدكتور ، وأثنى عليها خير الثناء ، وتمنى لها التوفيق والعودة إلى للبلد والعمل فيها .

أعلن عن حفل الزفاف الذي سيكون في قاعة خاصة للحفلات ، وهي قاعة ممتازة ومهيئة للأعراس الفخمة والمناسبات الكبيرة ، وزعت بطاقات الدعوة ، وتقرر بقاؤهم شهرا واحدا في ربوع الوطن قبل الرحيل النهائي ، فاستأجر سامر شقة مفروشة في حي كبير من أحياء المدينة ، وهذا الحي حي فخم يسكنه الشخصيات الغنية والمهمة في البلاد من رجال أعمال وضيوف زائرين لزمن محدد .

وكانت الشقة المستأجرة تقع في الطابق الثالث من تلك العمارة التي تؤجر شققا مفروشة ، وتجهزت الشقة لتكون مخدع وعش زوجين لمدة شهر واحد .

وشارك أعمام وأخوال زهيرة في حفل زواجهم في قاعة اللؤلؤ الأزرق ، وقضى الناس سهرة طيبة لمدة ثلاث ساعات ، ثم ركبت العروس والعريس في سيارة خاصة في المقعد الخلفي ، وجلست أم زهيرة بجوار السائق الذي هو ابن عم للعريس ، وانطلقت السيارات المرافقة لسيارة العروسين إلى حيث تقع شقة سامر وزهيرة في الحي الموصوف آنفا ، وقد زينت الشقة بالورود والأعلام الملونة ، وانتقلت زهيرة للحياة في شقة خاصة بها لمدة يسيرة ، ثم السفر وشهر العسل في ربوع كندا في شمال القارة الأمريكية الشمالية ، وكندا بلاد كبيرة فيها جزء كبير من القطب الشمالي للأرض ، ومع كبر أرضها فهي قليلة البشر .

وعندما نهض العروسان لصلاة الفجر ، وبعد الصلاة بقليل رن جرس الهاتف عليهما ، فقال سامر وهو يترك سجادة الصلاة متجها للهاتف ومستغربا: من ؟ أمي أم أمك ؟!

هزت رأسها كأنها تقول لا أدري !

وكانت هي أقرب للسماعة منه فرفعتها قائلة نعم

ثم وضعتها بغضب وسرعة ؛ كأن أفعى أو عقرب لسعها ، فقال سامر منزعجا قلقا : من ؟!

ردت بانفعال : الشيطان

فهمس وقد فطن لشيء : ميلاد ؟! أليس كذلك ؟

ـ بلى .. ويبارك لي ويسخر مني

رن الجرس ثانية ، فرفع سامر الهاتف وقال بتوتر : نعم ، ماذا تريد ؟

ـ بارك الله فيك عقبال عندك .. لن تتزوج إلا زهيرة .. زهيرة تزوجتني أنا .. وسنغادر البلاد قريبا .. ما تبحث لك عن بنت حلال .. ستقتلنا أنت عاقل يا رجل

ووضع السماعة واستدار بجسمه كله نحو الفتاة وقال : أحمق فعلا هذا الشاب .. يهددنا بالقتل!

فقالت بخوف ظاهر : إن شاء الله أن يمشي هذا الشهر على خير .. هو أحمق ومجنون كما قلت .. وأخشى أن يتصرف بحمق وجنون

فقال سامر مشجعا لها ومحاولا رفع القلق : توكلي على الله ما هي إلا أيام .. وربما اتصل لينفس عن نفسه .. هل صليت ؟

ـ نعم ، قد صليت .. لكني خائفة حقيقة يا سامر

ـ هل نخبر الشرطة ؟

ـ الشرطة ! وما سيفعلون ؟ هل يحبسونه ؟

ـ يوقفونه بعضا من الأيام ، أو يحذرونه من فعل شيء ضدنا

ـ وهل هذا يحقق لنا الأمان ؟ أنا لا أدري ماذا أفعل له ؟ كيف يفكر أن يتزوجني بعدما تزوجت هو أمي جاهل وأنا متعلمة ؟

ـ عادات قديمة .. والتعليم ليس له قيمة عندهم .

أدرك سامر الخوف الذي أحاط بزوجته على أثر الاتصال المزعج في أول ليلة للزفاف ، وقضى النهار يشجعها ويدعوها ألا تكترث بما سمعت فقالت : المشكلة أن عمي والده لا يستطيع للأسف فعل أي شيء معه .. فقد ساءت سمعة ميلاد ، فأخذ بالسكر والعربدة والانحراف وإهمال العمل .. فليلة خطبتنا عاد للبيت في غاية السكر والشرب والصياح ، فتشاجر مع والده

وإخوانه زاعما أنني السبب في انحرافه وفجوره ، أرأيت جنونه ؟! .. فأنا فعلا خائفة من فعله لشيء لنا .

ضحك سامر وقال مشجعا : ينفذ تهديده ويقتلنا .. لا تخشيه .. فبعد سفرنا القريب ـ إن شاء الله ـ سيعود له الهدوء ، ويبحث عن فتاة تناسبه .. فشرب الخمر لا يحل المشاكل كما يتوهم هو وغيره .. فأصدقاء السوء هم الذين يشجعونه على شربها زاعمين أنها تنسي الهموم والغموم .. وماذا بعد عودة العقل حال انتهاء السكر ؟!.. سخافة وجهالة .. فالشرب لا يحل مشكلة ، بل يضاعفها ويزيدها .. فمن العادات السيئة عند بعض الناس شرب الخمر ليلة الزفاف بزعم القوة الجنسية في تلك الليلة .. فهذا غير صحيح ؛ إنما هو من تسويل وتزيين إبليس اللعين .. ربما الصحيح أنها تضعف القوة والطاقة الجنسية ؛ لأنها تؤثر على العقل وعملية الجماع رغم ما فيها من عاطفة وإثارة هي عملية أعصاب وعقل ودماغ .. وأعتقد أن الشاب شريب قديم .. وأعتقد أن انحرافه قديم .. فهذه الأماكن التي يعمل فيها يتردد عليها الفساق والحشاشون ، فمثل هؤلاء الفنيين يتلقون المهنة والحرفة بالعمل داخل هذه المحلات ، فالقليل من يدرسها ويتعلمها من معاهد متخصصة بالتدريب المهني ، فيتعلمون الحرفة عمليا فقط ، ومع الوقت يتحسن أداؤهم .. فتتكون الشلل والمجموعات خلال تلك السنوات ، وواحد منحرف يفسد بلدا .. ولا أعني أنه لا يوجد أناس محترمون جيدون بينهم .. بالتأكيد يوجد .. فعندما نذهب لتصليح سيارة نسمع هناك من الألفاظ القبيحة والنابية ما تقشعر له الأبدان .. لذلك يكثر تعاطي التدخين بينهم والمسكرات ، وبعضهم يتعاطى المخدرات والحشيشة .. فهي بيئة صالحة لهذا الانحراف .. عملت في قسم الطوارئ مدة ، فرأيت من هذه الحالات الفاسدة والتسممات وضرب الأمواس والأدوات الحادة .. فلست أنت سبب تعلقه بالشراب ، وربما لا تخلو حياته من النساء وبنات الهوى .. فخلال عملي سمعت قصصا لهم تذهل الأسماع .. نسأل الله العافية هوني على نفسك .. فسلبيات كثيرة تطرقهم في مثل هذه الأماكن .

فقالت بانقباض : وأنا مثلك مقتنعة بانحرافه قديما ؛ ولكنه اتخذني سلما أو شماعة يعلق عليها

فساده وزيغانه وأعماله القذرة .. لأبدو أمام العائلة والناس أنني أنا الذي أوردته المهالك والمفاسد ، وقد سمعت بعض هذه الكلام من قريباتنا .. وكما قلت لك للأسف فعمي عادل كبير في السن اليوم وعليل ، فلن يستطيع منعه وخاصة أنه منذ أسابيع يعيش خارج البيت .. فأخشى أن تأتيه ساعة جنون ويرتكب فعلا مؤلما ليمنعنا من السفر ..

قال سامر : أين ستتعشى الليلة ؟ أتحبين مكانا معينا ؟ مكانا لك فيه ذكريات ؟

تبسمت زهيرة : قد تستغرب إذا قلت لك إنني لم أكن مغرما بالسهر خارج البيت أو النزهات الكثيرة .. كنت أحب أحيانا أن أجلس في حديقة عامة لتناول العصير أو البوظة .. ربما مشاركاتي لرحلات المدرسة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة .. حبب إليّ القراءة بالعربية والإنجليزية ، وكنت أحب أن أكون متقدمة في المدرسة في جميع المواد .. فوقتي كله في البيت ، لم أكن اجتماعية بشكل كبير ؛ لكن لما تملكت السيارة تغير الوضع شيئا ما ، فبدأت أتردد على بعض الزميلات وأحيانا آخذ أمي في جولة في شوارع المدينة ، وندخل مطعما مشهورا أو نجلس في حديقة لأكل المكسرات .. فأي مطعم تختاره أقبله .. الخادمة روجا ستتردد علينا خلال هذا الشهر في فترات الصباح لتنظيف البيت وخدمتنا .

ـ لا نحتاج لطهو هنا ، سيكون طعامنا كله من الخارج من الطعام الجاهز.. ما هو إلا شهر .. وسيمضي كما مضت غيره من الشهور .. ربما نحتاج فقط لقهوة وشاي وحليب فواكه طازجة وأمامنا جولات ودعوات هنا وهناك ، فأمامنا برنامج طعام حافل من الأخوة والأخوات يا قرة العين .. أنت رائعة يا زهيرة وإنسانة مسالمة وطيبة وقليلة الكلام على غير عادة النساء .. يحببن الثرثرة والرغي !

ـ شكرا .. الحمد لله الذي أكرمني بك زوجا وسيدا .. وعسى أن أكون الزوجة الصالحة اللائقة بالدكتور سامر ماجد .

استقبل العروسان أصيل ذلك النهار السيدة هناء وشقيقها يسري وزوجته ، وكانت روجا بصحبتهم ، وقد جاءت هناء تبارك للعروسين في أول أيام زواجها ، وكانت تحمل لهم الحلوى

والفواكه الطازجة ، واحتضنت الأم ابنتها مهنئة وداعية لها بالخير والذرية الصالحة ، ثم صافحت زوج ابنتها الذي كان يقف مرحبا بهم ، وقد تلقى التهاني من خال زهيرة ، وعانقه كعادة أهل المدينة هنا ، ولما انتهت هناء من معانقة ابنتها وتحولت لصهرها ، صافح يسري زهيرة وقبلها من خديها ، وبارك لها ، ودعا لها ، وكذلك فعلت زوجته ـ فهم كانوا لها الأهل ، كانوا يقدمون لها الطعام والفواكه كلما أرسلوا منهما شيئا لأمه ، فكانت من ضمن العائلة رغم استقلاليتها، وكانت زهيرة أيضا تحب خالها يسري وشدته وصرامته ، ولا تنسى موقفه الحاد من انفلات أمها في يوم من الأيام ـ وجلسوا في صالة الشقة بعدما باركت روجا لسيدتها ، وأدخلت الأغراض للمطبخ ، وأخذت تهيئ لهم الشراب والحلوى التي احضروها معهم ، وغمر الابتسام والضحك زهيرة وقرينها ، وقالت زهيرة لأمها : ها أنت تريني عروسا يا أمي .

قالت هناء : أنا أسعد الناس بزواجك يا عزيزتي الغالية.. فأنت حياتي وقرة عيني .. ومن أعماق القلب أتمنى لك الخير والسعادة .. فمبارك عليك سامر وأنت مباركة عليه .

تمتم سامر : شكرا لك يا حماتي الطيبة .. زهيرة في عيناي وقلبي . وأشار بسبابته لعينيه وصدره وبينما هم مسرورون بالحديث رن الجرس من جديد ، فنهض سامر لفتح باب الشقة ثانية وهو يقول للضيوف: لابد أنها أمي .

ومشى إلى الباب تتبعه زهيرة ، وفعلا كان القادمان الدكتور ماجد وقرينته قادمين للتهنئة والتبريك ، وتعانق ماجد وابنه وهنأه بالزواج ، ثم تحول معانقا لزهيرة ، وتحول سامر مقبلا لأمه، ورادا على تهنئتها ، واحتضنت الأم كنتها الجديدة ، ومشوا إلى الصالون حيث رحب الضيوف بعضهم ببعض ، والكل يهنئ الآخر ويشكرون الله تعالى الذي جمعهم ، وألف بين قلوبهم ، وأصبحوا أسرة واحدة بهذه المصاهرة .

ولما تناولوا شيئا من المطعومات والمشروبات استأذنت هناء وشقيقها من الدكتور ماجد وقرينته ومن الدكتور سامر وقرينته، وأوصلوهم لباب الشقة مودعين وشاكرين .. وبعد حين يسير استأذن ماجد وزوجته رغم إلحاح العروسين لهم بالبقاء والعشاء معهم ؛ ولكنهم أصروا على

الانصراف ، وأنهم سيدعونهم للعشاء معهم خلال أيام ، فقدم سامر الشكر الجزيل لوالديه ، وفعلت زهيرة مثله ، وتعانقتا ، وغادر الضيوف البيت ، وأغلق سامر الباب بالمفتاح وقال لزهيرة : انتهت زيارة اليوم ، فهذه زيارات تقليدية واجتماعية اعتاد عليها الناس والآن متى سنخرج للعشاء والسمر ؟

ـ نهار الشتاء قصير في بلادنا فلننتظر حتى نصلي العشاء ، ثم نخرج لأي مطعم تراه مناسبا لعروسين جديدين مثلنا .

قبل الرجل امرأته وقال : أنا سعيد بحبك وقلبك يا زهيرة .

ـ وأنا مثلك ، فأنت الرجل الأول في حياتي .. لم أعرف عبث الفتيات أيام المدارس ، بل كنت أتضايق من قصصهن ومغامرتهن .. ستر الله عليهن .

ـ أنت فاضلة يا زهيرة .. لقد عشت في بيئة جيدة وسليمة ..

ـ صدقت .. فمنذ عدنا من الخليج عشت مع دار جدي .. وخالي يسري الذي غادرنا قبل قليل فهم قوم يخافون الله .. فجدي فلم يكن يقطع فرضا من الصلاة دون الجامع وكذلك خالي يسري وأولاده .. فالصلاة عمود الدين وعمود البيت فعلا .. كان لا يتهاون مع الأولاد في الصلاة .. وكذلك البنات .. وأمهم كذلك إنها معلمة متقاعدة ومربية محترمة .

صلى الزوجان المغرب جماعة بعد مغادرة ضيوفهم ، وأخذوا يستعدون لصلاة العشاء الذي أزف ونهضت زهيرة للوضوء ، ولما انتهى المؤذن من آذانه آخذا بالصلاة معا مرة أخرى ، ثم غيرت الفتاة ملابسها ولبست ملابس الخروج ، ولبس سامر بذلته أو جاكيت البذلة حيث كان لابسا بنطال البذلة أثناء استقبال الزوار وقبل أن يفتح سامر الباب للخروج ، وقد تفقد مفاتيح سيارته قال وهو ينظر لثياب زهيرة : لماذا لا تلبسين الجلباب الشائع لدى الفتيات المتدينات اليوم ؟

ضحكت وقالت : لبسته مرة ، ولم ارتح للمشي والخروج فيه .. وهذه ملابس شرعية ، فالثياب الطويلة والساترة للجسم هي ثياب شرعية كما سألت عنها بعض الفاضلات ، فهي واسعة ولونها سادة يا سيدي ، وتعجبني العباءة الخليجية ولكنها غير شائعة في بلادنا كما ترى ..

القليلات من يفعلن ذلك ، ربما تعودن عليها هناك أثناء حياتهن في السعودية أو الكويت .. هيا واعلم أن هذه الثياب افصلها تفصيلا حتى تكون واسعة وغير ضاغطة على البدن .. فأنا ممتلئة البدن كما ترى ، وأراعي شروط اللباس الإسلامي قدر الإمكان .

ابتسم لها وقال : جميل ! إذن أنت مثقفة دينيا.

ضحكت وقالت وهما يغلقان باب الشقة ليهبطا الدرج : الحقيقة لا .. لكن أقرأ واتصل بالهاتف مع بعض المثقفات والناشطات دينيا .. قراءة سريعة وعسى أن يتيسر لي التوسع في الثقافة الإسلامية .. وقد لمست أنا ثقافتك الدينية والعلمية صباح اليوم خاصة عندما تحدثت عن مساوئ الخمر ، وأسباب الانحراف، وذكرك المزاعم التي تلصق بالخمر تدل على اطلاع جيد .

- لا أعتبر نفسي متدينا كالشباب الملتزم .. كان معي في الجامعة في مصر فريق من الشباب المتحمس دينيا والملتزم بمعنى الكلمة .. التيارات الإسلامية في الجامعات العربية تيارات قوية ونشاطهم دائم ومستمر .. فأتيح لي الجلوس معهم ومجاورتهم وسماع مناظراتهم .. وطلبة الطب يملكون الكثير من الثقافة الفكرية الإسلامية .. ثقافة ممتازة فاستفدت منهم ، واضطررت للقراءة لمعرفة أفكار الجهاديين وغيرهم .. فنشاطهم قوي رغم كثرة رجال المباحث والمخابرات في الجامعة .

وصلا الشارع الذي يمر من أمام العمارة وهو شارع فرعي ، وكانت تقف في موقف العمارة سيارة كل من سامر وزهيرة من قبل يوم العرس ، وقفت زهيرة على رصيف العمارة ريثما يخرج سامر سيارته من موقفها الخاص بجوار العمارة حيث يوجد لكل شقة موقفا للسيارات ولما ركبت زهيرة بجانبه انطلقت بهما السيارة للعشاء في أحد المطاعم المعروفة لسامر ، ولما تجولا في الحي والمنطقة عدة جولات خرجا للشارع العام حيث الأماكن السياحية من المقاهي والنوادي والمطاعم ، فدخلا أحدها وفي قسم العائلات وجدا مائدة فارغة ، فجلسا إليها ، وقدم لهما الطعام الذي طلباه ، وبعد تناولهما ما قدم لهما من أكل وشراب غادرا المطعم مسرورين ، ويغمرهما الفرح والشبع، فلما جلسا في السيارة قال سامر : الآن إلى المنتزه نجلس فيه ساعة ما دمت تحبين

الجلوس في الحدائق العامة

ـ شكرا لك ، وهذا لطف منك يا سامر

وانطلق إلى الحديقة الوطنية وهي من الحدائق الواسعة في المدينة ، وركن السيارة قرب الحديقة وزلفا للحديقة ، وبعد مشي استغرق عدة دقائق وجدا مقعدا خاليا ، فجلسا يستريحان عليه، وذهب سامر بعد قليل واشترى لبا ومرطبات وبعض الترمس اللؤلؤ الأصفر وأخذا يقزقزان ويشربان ويتسامران ويعلقان ، ولما انتهيا قال سامر مداعبا لزهيرة وهو يقف : أرجو أن تكوني قد نسيت بعد هذه الجولة تلفون الصباح .

ـ أحاول أن أنسى .. إنه هاتف مزعج ومخيف ، احتاج لأيام حتى أنسى .. عندما تشاجرنا مرة وأعلنت رفضي الصريح له هددني ، فظللت أشهرا حتى نسيت تلك الدقائق المرعبة في حياتي .. يومها أحسست باليتم والضعف ؛ لأن أخوالي رغم حبهم لي لا يستطيعون التدخل بشكل جاد فأولئك أعمامي .. خاصة أن المشكلة مع عمي وابنه .. عمي الولي شرعا عليّ كما قيل .. وحمدت ربي كثيرا أن أبي لم يجعله وصيا عليّ وعلى ميراثي .. كنت أتخيل لو كان هو الوصي عليّ ما تعلمت لأخرجني من المدرسة صغيرة بحجة لماذا تتعلم المرأة وهي مصيرها الزواج والخلفة يعني الإنجاب .. وقلت ولربما لو طلبت مالا لعمل لي قصة وحكاية

فعلق سامر متأملا وهما يغادران المكان : رحم الله أباك كان يعرف أخاه الكبير معرفة جيدة ، يعرفه حق المعرفة .. والغريب أنه اختار الدكتور ماهر طه

ـ هم أصدقاء من أيام الجامعة ، وظلت العلاقات متصلة رغم هجرة والدي للعمل في الخارج

لقد كان حفل زواج زهيرة حفلا بهيجا لحاضريه ، ولم يكن حفلا إسلاميا إذا صح التعبير بذلك لقد تخلله موسيقى حديثة ، واختلاط نساء ورجال أو كل عائلة على مائدة خاصة بهم ، ولقد كان الحفل يوم الجمعة ليلة السبت ، وذكرنا أن ميلاد عادل اتصل مع صلاة الفجر مهددا ومتوعدا للزوجين ، هو لم يذهب للحفل كباقي أفراد الأسرة مشاركا مباركا ، بل نهاه والده عن

الذهاب إلى الحفلة خشية أن يرتكب حماقة كبيرة أمام الحاضرين والمدعوين من العائلات والأسر الأخرى .

وكان الشاب بعد الخطبة بزمن يسير قد تصالح مع العائلة بشفاعة حميد نبيل شريكه في المحل ، ولكنه لم يهجر السكر والخنا ، وكان يتحاشى أن يعود للبيت والسكر غالب عليه ، فكان يقضي فترة سكره عند رفاق السوء والعصبة التي ترافق معها أو في المقاهي والشوارع ، ويتسلل للبيت تسللا آخر الليل أو عند نصفه .. فقد خصصت له حجرة في البيت الكبير منذ عهد ، فالعمارة تتكون من عدة طوابق أنشاها الوالد وبعض الأخوة الكبار لميلاد .. فكان الطابق الأول أو الأرضي لعادل وزوجتيه أم ميلاد وضرتها ، وهو يتبادل المبيت بينهنّ حسب أوامر الدين والقسمة بين الزوجات، وكل أبنائه من زوجته الأولى تزوجوا ، ولم يبق إلا السيد ميلاد في البيت بغير زواج وأبناء السيد من المرأة الأخرى .

كان يتسلل للبيت بعد منتصف الليل كاللصوص، أحيانا يلتقي بأمه ، وأكثر الليالي لا يلتقي بأحد ؛ لأنه يأكل الغداء والعشاء في العمل والشغل .

لم يذهب السيد للحفل مع الأسرة ، فذهب للخمارة وقضى شهوته من الشراب المحرم ، وقد رافقه أحد أفراد شلته الفاسدة ، وجلسا بعد تعاطيهم الخمر في أحد المقاهي التي يرتادها الناس للعب أوراق اللعب التي تسمى الشدة ، ثم تعشى في مطعم قريب بجوار المقهى ، وهو لم يأكل سوى لقيمات ، وغادر ورفيقه بسيارة أجرة يعرف صاحبها ، أخذه إلى صالة العرس عرس زهيرة ، ووقفا في مكان يريان منه الصالة ، وربما سمعا صوت الموسيقى والحفل الذي أقامه العريس ووالده ماجد ، وكان يرى الداخلين والخارجين من الحفل الذي كان يحلم أن يكون حفله ، وشاهد الناس وهي تخرج جماعات وأفرادا في نهاية الحفل ، وشاهد سيارة العروس المزينة بالورود والأزهار والزينة ، ورأى كيف خرج العرسان على أصوات الموسيقى والطبول الصغيرة والدفوف ؟ وفرقة غناء تزف العروسين ، فكان يقول لصاحب السيارة : كان يجب أن يكون هذا الحفل لي ، لولا غدر النساء .. آه ما أغدرهن! .. عمرك أن تُؤمن لامرأة .. تنتظر

سنينا ثم تأخذ غيرك .. هذا ما فعلته ابنة عمي .. اصبر .. اصبر حتى أنتهي من التوجيهي اصبر حتى أنتهي من الجامعة .. وقبل أن تنهي الجامعة وجدت فارسا جديدا سترى وتسمع ماذا سأفعل بها ؟

وظل يراقب المكان حتى تحركت سيارة العروس ، وأخذ الناس بالتلاشي رويدا رويدا فقال للسائق : اتبعهم ، وتبعهم حتى وصلوا العمارة التي يسكنها الزوجان ، ونزل من السيارة وتمشى أمام العمارة عدة أشواط على قدميه حتى تحدث معه البواب وسأله عن سبب تمشيه في هذا الوقت من الليل ، فابتعد من غير أن يرد بكلمة ، ثم عاد للحانة برفقة سائقه وصاحبه ، وجلس يعاقر الخمر بعد انصراف صاحبه والسائق الذي أخذ منه عددا من الدنانير ، وأخذت الخيالات السوداء تتأرجح في رأسه ويقول لنفسه تحسرا وألما أصبح لك زوج يا زهيرة .. يا خائنة !.. غدرت بحبي الكبير لك !.. لم أستطع فعل شيء .. أنا جبان .. جبان وصرخ بها فسمعه الخمار ومن يجلس في المكان فالتفتوا إليه فقال له الخمار : إيه يا معلم من تخاطب ؟!

فصاح : أخاطب نفسي يا معلم ...

وعاد يردد لنفسه ضيعت عمري وراء السراب .. لقد حلمت بك كثيرا يا زهيرة بين ذراعي حلمت بك زوجة وحبيبة .. لماذا غدرت بي ؟! .. ها هو قد اختطفك مني ..الحبيب الجديد

وغادر الحانة مع الفجر ، ولكنه قبل المغادرة اتصل بشقة زهيرة متوعدا ، وكان قد حصل على الرقم بواسطة رفيق له زعم للبواب أنه يرغب باستئجار شقة ، فأخذ رقم البواب ، فاتصل بالبواب طالبا رقم تلفون الشقة التي نزل بها الدكتور سامر زاعما أنه يتعالج عنده ، ويريد أن يسأله سؤالا طبيا ، فذكر البواب الرقم الخاص بالشقة ، وذكر له عند الاتصال أن الطبيب في حفل زواجه.

رجع ميلاد للبيت وهو سكران ، وتسلل لحجرته وطرح نفسه على سريره ، وهو في غاية التعب والألم والحسرة ، ولم يذهب للعمل يومها كما حصل له ليلة الخطبة منذ أسابيع مضت ، ولما انتصف النهار تحدث حميد مع بيت عمه سائلا عن شريكه ، وقد أدرك أن الرجل قضى ليلة

سوداء في الحانات والمقاهي ، فدخلت أمه حجرته موقظة له ، وهي تتمتم الله يسامحك يا زهيرة فرطت في ابن عمك .. كان يجب أن تكون ليلتك يا ولدي

ولما أخذت بإيقاظه ثرثرت قائلة : يا الهي عفوك ورضاك ! اللهم اهده وتب عليه .. رائحة الخمر تملأ الحجرة .. حتى سكر مثل السكارى لا يعرف يسكر

وكان يسمعها بتثاقل فتابعت بضيق ألا تفكر بترك الشيطان والمنكر يا ولد ؟

جلس على حافة السرير وأشعل سيجارة وقال : ألا لعنة الله على النساء !

قالت أمه : حرام عليك .. فالنساء أمك وأختك وعمتك وخالتك

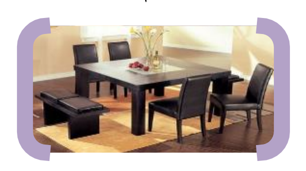
فقطع عليها قائلا : رأيت زهيرة تزف لرجل غيري .. اليوم أصبحت امرأة لغيري .. ذهبت بكارتها .

ـ من زمان قلنا لك انسَ وقلنا انتهينا من ابنة هناء .. انتبه لحالك .. ها هو حميد لديه ثلاثة أطفال وامرأته حامل في الرابع .. وها هو يسأل عنك لولا هاتفه لظننّا أنك في الورشة

فصاح ناقما : أنتم السبب في تعلقي بها .. زهيرة لك .. أول ما تكبر سنطلبها لك .. زهيرة لك حتى صدقت ذلك

ـ كلام فارغ .. كل شيء قسمة ونصيب .. ناس تخطب وتكتب العقد ثم يحكم النصيب والقدر فيفترقان .. نحن كان لنا رغبة بأن تتزوجها ؛ ولكنها رفضت الزواج .. وكان عليك أن تبحث عن غيرها .. وبعد سنين كررت الرفض وأنت المصر على الزواج منها

خرج للحمام واغتسل بالماء البارد كعادته رغم فصل الشتاء ، ثم اتصل بحميد واعتذر عن الشغل والدوام ، ودخل المطبخ وأكل ما وجد من طعام في البراد (الثلاجة تسمى في بلادنا) ، وشرب قهوة صنعتها له أمه ، وعاد لحجرته لينام ويخطط ويدبر كيف ينتقم ؟



عبث

رن هاتف الشقة عند فجر يوم الأحد ، فتطلع الشابان بعيون بعضهم ، وابتسم سامر لها وهمس : إزعاج ثاني ؟!

فقالت وهي متأكدة من الإجابة : أتظن أنه هو ؟ عبث صبيان .

رفع السماعة وقال نعم فسمع صوت لعن وسب فأغلق السماعة وقال : لابد أنه هو .

ـ ماذا قال ؟

ـ لعن وشتم وكأنه بصق على التلفون

فصاحت بتوتر : يا له من حقير!

ـ لا تهتمي ولا تكترثي عندما نرحل سينتهي من حياتنا .. هل صليت الفجر ؟

ـ نعم ، ولي رغبة بالنوم ، فسيأتي بعض الأقارب كخالاتي أو بعضهن للمباركة والتهنئة .

ـ يا أهلا بالجميع .. وقد تمر أيضا بعض أخواتي كما أشارت أمي أمس .. سأتصل بالمطعم ليرسل لنا الطعام حسب الاتفاق بيني وبينهم .. وسأوصي على الحلوى الكنافة .. وقد أنزل لشراء علب العصير والمثلجات .

ـ روجا ستأتي هذا النهار لتقوم على خدمة الضيوف ..

وغمر الصمت المكان حتى قالت : أليس هناك فكرة للخلاص من إزعاج هذا الشرير ؟.. أخشى أن يستلمنا طول المدة

ضحك سامر : تصرفات صبيانية .. ونحن بحاجة لبقاء التلفون .. الطفل عندما يفقد لعبة يبدأ بالمشاكسة لاسترداد اللعبة .. فالشاب الذي أقنع نفسه كل هذه السنوات بأن يتزوج منك يتصرف في رأيي مثل ذاك الطفل الغرير .. هو مجرد تشويش .. هداه الله صدقا من قلبي .. أراك ناعسة فعودي للنوم .. سأقرأ بعض الصفحات من كتاب الله العظيم ، لي أيام لم أقرأ منه ما تعودت على قراءته

قالت وهي تنهض : أتحب أن أعمل لك القهوة ؟ أو نسكافيه ؟

ـ شكرا ، لما تستيقظي نشربها سوية

دخلت غرفة النوم لعلها تنام ، وأخذ سامر يقرأ القرآن الكريم بصوت مسموع وإن لم يكن عاليا فرن الهاتف من جديد فلم يرد عليه وتجاهله .. وخرجت زهيرة تقول : إنه يرن .

فنظر إليها باسما وقال : دعيه يرن .. فالإهمال أحيانا يكون دواء ناجعا

ـ قد لا يكون الشرير !

ـ ليس مهما .. فليس من المعتاد الاتصال بي باكرا إلا لأمر ضروري ومهم

ـ حسنا ، سأذهب للمطبخ ، لقد طار النوم .. قهوة أم نسكافيه ؟

ـ قهوة لننشط أعصابنا بعد هذا التوتر

بعد دقائق عادت بالقهوة والفناجين ، ولما جلست أخذت تملأها بالقهوة وتقول : ما زلت خائفة من جنونه يا سامر !

ـ إنه لن يفعل شيئا .. فنحن نعرف بعضنا أكثر من شهرين.. هو من سني

ـ تقريبا عمره حوالي ست وعشرون سنة

ـ ولم يتزوج بعد ؟

ضحكت وقالت : يتزوج كيف؟! وهو كان يأمل بالاقتران بي

ـ أضاع الكثير من سنوات العمر في الوهم ؟

وصل ميلاد مكان العمل متأخرا ، وكان غاضبا ومتوترا لفشله بإسماع صوته لزهيرة ، فلما سلم على حميد وسماحة العامل الصغير معهم ، وكان هناك زبون يصلحون سيارته يقف مع حميد ، وكان حميد ساخطا على تأخره ؛ لذلك ما أن سمع ميلاد يقول معذرة يا حميد على تأخري .. تعرف ما أنا فيه من هم وغم حتى ثار حميد وقال بحدة ظاهرة للسامعين : أنت ضيعت نفسك يا ابن عمي .. أنت أوهمت نفسك بما تسمونه الحب .. حب من طرف واحد ، هل هذا حب؟! ها هي قد تزوجت المحبوبة ، وستسافر خلال أيام أو أسابيع ، وننتهي من

زهيرة وحكايات زهيرة .. فعليك أن تهتم بصحتك ونفسك ، وتهتم بعملك يا عم ميلاد

فصاح ميلاد بعد صفون : محاضرة على الصبح يا حميد

ـ يا رجل أي صبح ؟! قربت الشمس تغرب ..وثانيا لم تعد المحاضرات تجدي، ولم تعد تنفع مع حضرتك .. إنك تهمل كثيرا العمل وتنصرف مبكرا

فصاح ميلاد : أتريد أن تفك الشركة ؟

ـ إذا استمر هذا الحال فستنفك الشركة .. ذلك أفضل .. المحل يعيش على السمعة الحسنة يا معلم .. سمعتك تسوء في (الكراجات).. وهذا يؤثر على العمل هنا

فصرخ ميلاد غضبا : خلاص سنفرط الشراكة التي تؤثر على العمل .. أنت منذ زمن تسعى للانسحاب .

ضحك حميد سخرية وقال : لماذا أنسحب ؟! .. أنا أعطيك حصتك ، وابحث لك عن مكان آخر .. أنت لم تعد ميلاد الذي شاركته الرزقة والعيشة .. قل لي منذ شهر .. منذ خطبت زهيرة ماذا فعلت؟ ماذا اشتغلت ؟ بل من قبل ذلك .. تفك برغي أو برغيين.. تعال يا معلم سماحة كمل الشغل ـ ورمى بعصبية (زردية) على الأرض ـ وأخطاء كثيرة حصلت وأنت تصلح يا معلم ميلاد .. كم شخص شكى منك ؟

ـ ألا تريد أن تتركني في حالي حتى تهدأ نفسك ؟

ـ يا رجل .. البنت ربك ستر عليها ، وتزوجت طبيبا وهي ستصير طبيبة مثله .. ووالده وأسرته أغلبها أطباء .. أنا سأمهلك أسبوعا واحدا لتعود إلى ميلاد الذي عرفته وشاركته الورشة .. دعك من الخمر والزنا .. أنا صابر عليك .. فالإشاعات الدنيئة تحوم حولي من وراءك .. وكل أعمامك وأقاربك يعرفون سيرتك السيئة ، وإنك تقضي آخر يومك في الخمارات والملاهي

صاح ميلاد في الولد الذي كان يسمع العراك الكلامي بين صاحبي المصلحة : اذهب يا ولد واعمل قهوة.

وكان خلال هذه المشاجرة الكلامية يدخن سيجارة تلو سيجارة ، فحجته للدفاع عن نفسه أمام

حميد ضعيفة ، فقال في النهاية مستسلما : أمهلني بضعة أيام يا معلم حميد لعلي أعود لنفسي ، لم أكن أرى ابنة عمي إلا زوجة لي .. كنت مجنونا .. كنت غبيا

ـ سأتحملك أسبوعا واحدا ؛ فإذا لم يتحسن وضعك في العمل والدوام فليس لنا إلا الفراق ، وأنا تحدثت مع والدك بهذا الأمر فقال افعل ما تراه مناسبا ، فلم يعد ميلاد الابن الذي نفتخر به أوقف حياته على وهم ، على امرأة رفضته وهي طفلة .. يزعم أنه محب لها ولهان بها

ـ أبي قال كل هذا ؟

ـ أبوك .. وكل الناس .. أنت لا تصحا إلا ساعة من الزمن عندما تأتي إلى هنا لتدور وتلف بين السيارات والمحلات ، ثم يأتيك الفرسان .. يا حميد سامحني إني تعبان سأذهب مع الرفاق

ـ قلبك حامل عليّ

ـ قلبي ليس حاملا عليك .. هذا عمل وشغل يا ميلاد لا أنا أعتمد عليك ، ولا أنت تعتمد عليّ .. العمل يحتاج لجهد ونصب ووعي

ـ حسنا ، أسبوع واحد ، وإما أن نستمر سوية ، وإما نتفاهم على قسم المصلحة

جاءت القهوة وسكبت في الأكواب وقدمت للجميع وقال حميد : عليّ أن أصبر أسبوعا يا ابن عمي الذي كان الأخ والصديق .. إننا أناس نعيش على سمعتنا يا رجل .. البنت تزوجت فعليك أن تعود لعقلك ، وتتزوج وتترك الفواحش والخمور وحتى الدخان

قضت زهيرة وزوجها سامر أياما في المشاركة في تلبية دعوات غداء أو عشاء عند أشقاء وشقيقات سامر ، ودعتها أمها للغداء في بيت جدتها أم فوزي ، ووالد سمر زميلتها في الجامعة ابن شقيق أمها دعاها كذلك لوليمة صغيرة ، وأخوالها فعلوا ذلك ، واعتذرت عن جميع دعوات أعمامها لضيق الوقت ، وهذا من التقاليد الاجتماعية دعوة العرسان لتناول الطعام عند المقربين من الأخوة والأخوات .

وذات ليلة وهم راجعون من تلك السهرات ، وقد دخلوا الشارع المؤدي لعمارتهم اندفعت نحوهم سيارة مسرعة صدمت الجهة التي تجلس فيها زهيرة ، وظلت مستمرة في سيرها ومبتعدة

عنهم ، وكان سامر لمح في اللحظة الأخيرة اندفاع السيارة نحوهم فأبعدها ناحية الرصيف ، فخفف من صدمها للباب الأمامي حيث زهيرة تجلس ،ومتقدما للأمام فجاءت الضربة في الباب الخلفي أكثر من الأمامي ، وأوقف السيارة ، ولكن السيارة المتهورة قد اختفت لم تتوقف والشارع عادة قليل السيارات لأنه شارع جانبي أمام العمارات ، وليس بشارع عام ورئيسي ، وسامر كان على يسار الشارع ليتوقف أمام رصيف مدخل العمارة ، فتوقفت سيارة كانت خلف سامر ، ونزل سائقها يقول لسامر الذي خرج من سيارته بدوره : الحمد لله على السلامة .. هل حدث ضرر ؟ يبدو أنه متعاطي أو سكران .. فكانت سرعته في هذا الشارع سريعة مثل الصاروخ .

قبل أن يرد سامر على الرجل فتح الباب من جهة زهيرة ، ورغم تعرضه للصدم فقد فتح وقال لها : الحمد لله على السلامة .

بالطبع كان الرعب والخوف يغمرانها وظاهران على وجهها ، والصفار واضح على نور الأعمدة الكهربائية المتوفرة في الشارع ، ثم استدار سامر للرجل وقال : الحمد لله ، لم تصب المرأة بشيء إنما جاءت الضربة في الحديد .

ـ هل تحتاج لمساعدة ؟

ـ شكرا .. البيت هنا . وأشار للعمارة التي يسكنان فيها ، وعاد للسيارة بعد أن أغلق باب زهيرة الصامتة وقال : سائق طائش سكير على رأي الرجل .. الحمد لله على السلامة يا عزيزتي !

وشغل المحرك وتقدم نحو عمارتهم ، وكان البواب يقف على الرصيف أمام العمارة ؛ وكأنه خرج من شقته على صوت الضربة ، ولما رأى سامرا قال : هو أنت .. هو الحادث معك .. الحمد لله على السلامة يا دكتور سامر

ـ شكرا يا عم مخلد .. شباب طائش

ـ له أكثر من مرة يدور في هذا الشارع .. يذهب ويأتي .. مشعوط .. الحمد لله على السلامة يا مدام .

وكانت تنزل من السيارة وهي مصدومة مذهولة ، فهزت رأسها للبواب ، وكانت ترتجف رعبا وأدرك سامر ذلك فقال وهو يمسك بيدها : هل أذهب بك للمستشفى ؟

هزت رأسها بلا فتابع : نطمئن يا زهيرة

وقال البواب : ألا تريد إدخال السيارة للموقف ؟

التفت إليه وقال : فلتبق في الشارع للغد .. شكرا يا عم مخلد

ودخلا العمارة حيث المصعد وما زالت ترتعب وممتقعة الوجه ، ولما غادرا المصعد قالت : أهو شاب طائش أم ... ؟

ـ أم ميلاد ؟!

ـ حسب معلوماتي أنه لا يملك سيارة .. من أين سيجمع ثمن سيارة ؟ من سيسمح له بسيارته ليرتكب بها جريمة ؟ أو يصدمها ؟

ـ قد يأخذ سيارة من مكان التصليح يستخدمها ، ويزعم لصاحبها أنه خرج بمشوار خاص لشراء قطعة .. وشباب الكراجات والمحطات يفعلون ذلك .

وبعد صمت عاد يقول : أعتقد أنه شاب طائش سكران ، كما قال ذلك الرجل الذي شاهد الحادث .

فقالت : وقول البواب إن له فترة يدور في الشارع .

ـ ومن أعلمه عن ساعة عودتنا للتربص بنا أو أننا في الخارج

ـ الشيطان !

ضحك سامر رغم الألم والحزن المرتسمين على وجه زوجته ، وكانا قد انتهيا من تغيير ثيابهما : الشيطان .. على كل حال الحمد لله على سلامتك .. وإذا لك رغبة بالذهاب للمستشفى فهيا بنا واعلمي أن مجمعا طبيا قريب من هنا بعد أربع شوارع

ـ سأبلع حبة أسبرين أو اثنتين وينتهي الأمر .. الضربة أصابت السيارة .. إنما أصابني الرعب والخوف .. أرجو أن لا يكون هذا العمل من فعل المجنون .

ـ لم أتمكن من أخذ رقم السيارة للمفاجأة .. اندفع جهتنا بسرعة ، وضرب الباب وتابع اندفاعه اللعين .. وإذا فعلها ميلاد فلسوف يتبجح بفعلته أمام الآخرين وسينتشر الخبر .



لقد كان من عادة الزوجين منذ سكنا هذه الشقة أن لا يخرجا من البيت إلا بعد الظهر ، فيذهبان للمشاركة في غداء دعو إليه ، وإن لم يخرجا تأتي سيارة المطعم إليهم ، والعشاء إذا لم تكن لديهم دعوة إليه يخرجان للعشاء في أحد المطاعم ، ويتجولان في شوارع المدينة ساعة أو أكثر ، ثم يعودون للسهر في الشقة ، وقد جلبوا معهم المكسرات والعصير والفواكه الطيبة ، لم يبق الكثير لانتهاء الشهر ، وقد ابتاعوا التذاكر للسفر ، وأعدت الحقائب ، وقد أثار الحادث الأخير الرعب والقلق في نفسيهما ، وإن حاول الطبيب نسيان العمد في الحادث ، لذلك لما بزغ الفجر وصليا الصبح قالت بقلق بين: لا زلت أعتقد أن هذا الحادث من فعل ذاك الأحمق ، وأنه قد فقد صوابه فقال بعد صمت : ألست أخبرتيني أو تحدثت أمامي أن له شريكا في المحل ؟ وهو الآخر ابن عم لك .. فتحدثي معه عن تصليح السيارة ، وأنها تعرضت لحادث .. ومن خلال الحديث اسأليه عن أخبار ميلاد .. هل تزوج ؟ وهل ترك السكر والخمر ؟

ـ سأتحدث مع أمه أم سالم أولا ، فهي صديقة لأمي منذ تزوج أبي أمي ..

ـ نعم ، لابد أن تطمئني من ناحيته ؛ لأنك تعيشين في خوف واضح من نبرات صوتك ووجهك المصفر منذ الليل .. وفي النهاية ما هي إلا أيام ، ونغادر هذه المدينة .. أقل من أسبوع فالتذاكر قد جهزت كما أعلمتني أختي مريم .. ولسوف نسافر أوروبا ، ومنها إلى نيويورك الأمريكية ، ومنها لكندا .. هي جولة قصيرة في الغرب ، فالرحلة لن تكون مباشرة إلى أوتاوا ومريم كما تعلمين طبيبة تعمل في المطار الدولي للبلد .

ـ أعلم ، وهي أخت كريمة .. وفقها الله

اتصلت زهيرة عند الظهر بامرأة عمها أم حميد ، وسألتها عن موقع مشغل تصليح حميد ابنها لتصليح سيارة زوجها التي تعرضت لحادث صدم ليلة أمس ، فذكرت لها المرأة المكان ، وسألتها عن حميد وميلاد خلال الكلام ، فأخبرتها امرأة عمها أن ميلادا انفصل عن حميد ، وفتح محلا خاصا به ، وعقبت المرأة : أنت تعرفين ابن عمك ميلاد ، فقد انحرف عن الخط المستقيم ، وصار سكيرا وفاسقا ، فمنذ أسبوع أو أكثر ترك العمل مع ميلاد ، دفع له أبو محمد مبلغا من المال ، ورحل الرجل لمكان آخر ؛ ولكن في نفس المنطقة والشارع .. سأعطيك رقم محل حميد وتتصلين به .

ثم تبادلا الحديث حول الصحة والحياة الزوجية والسفر ، وأغلقت زهيرة السماعة ، وأخذت تمسح العرق عن وجهها فقد طال الحوار .. وكان سامر الذي يتابع الحديث ينتظر أن تتكلم ، ورأى الجهد الذي بذلته مع امرأة عمها ، فلما رآها متعبة ضحك وقال : إنك متعبة يا زهيرة .. سأتحدث مع طبيب نفسي لنذهب لمقابلته الليلة أو عصرا .

ضحكت هي الأخرى وقالت : طبيب نفسي ؟!

ـ طبيبة !!

ـ أيام ونسافر .. فميلاد هذا قد انفصل عن حميد منذ عهد قريب

فقال : إذن لن نستفيد من حميد حول الحادث الغادر .. ولو شكونا للشرطة قد يكون بريئا ، ولا يد له في هذا العنف القاتل .. هذه محاولة شروع في القتل يا زهيرة

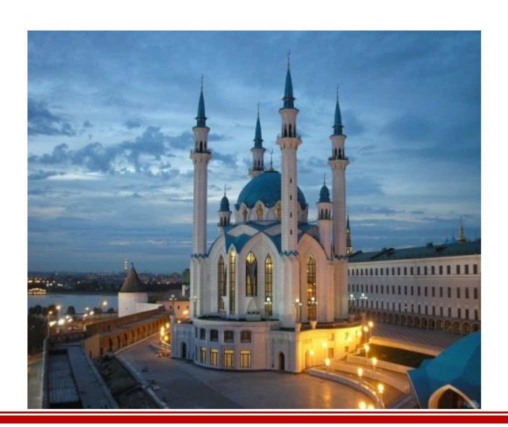
ـ ما العمل ؟

فقال بعد تفكير يسير : ننسى الأمر .. وسنستخدم سيارتك هذه الأيام الباقية .. ولما نسافر سأطلب من شقيقي أن يصلحها ويبيعها، ويحول لي ثمنها إلى حساب سنفتحه في أحد بنوك كندا .. سيكون لك حساب خاص بك وآخر لي .. وسيارتك ما مصيرها ؟

ـ طلبت من أمي أن تتخلص من سيارتها، وسأعطيها لأمي إن شاء الله ..

طلبت مني بيعها والاستفادة من مالها .. فقلت لتبق ذكرى بيننا يا أمي فقبلت .

واعتبر القوم الحادث عرضيا ، وانتهوا من التفكير بالجاني والفاعل ، ومضت الأيام الباقية دون حوادث تذكر ، وتم تسليم الشقة عصرا ، وجاءت سيارة لأحد أشقاء سامر ، ونقلتهم للمطار الدولي .. وفي منتصف الليل غادرت الطائرة الأمريكية إلى لندن .



هالي فاكس

نزلت الطائرة في مطار أوتاوا الكندي حيث العاصمة الفدرالية للدولة الكندية بعد رحلتها من مطار جون اف كنيدي بمدينة نيويورك على الساحل الشرقي للولايات المتحدة الأمريكية ، وطلبا من السائق الذي ركبا معه بعد إنهاء إجراءات الخروج أن يذهب بهم إلى فندق في وسط المدينة وفي مركزها الرئيسي ، فعليهم البقاء في العاصمة لإجراء بعض المعاملات والحصول على بعض الأوراق قبل الانتقال لمقاطعة نوفا سكوشا حيث مدينة هاليفاكس عاصمة تلك المقاطعة ؛ لتلتحق بجامعتها داالهاوسي .

ويحيط بكندا ثلاثة محيطات الأطلسي من الشرق ، والهادي من الغرب، والقطب الشمالي من الشمال . وهي ملكية دستورية اتحادية وفدرالية وديمقراطية تمثيلية ، تابعة للتاج البريطاني اسميا ، كندا تتألف من عشر مقاطعات وثلاثة أقاليم ، تقع في القسم الشمالي من القارة الأمريكية ، وهي البلد الثاني عالمياً من حيث المساحة الكلية بعد روسيا ، كما أن حدود كندا المشتركة مع الولايات المتحدة من الجنوب والشمال الغربي هي الأطول في العالم.

أراضي كندا مأهولة منذ آلاف السنين من قبل مجموعات مختلفة من السكان الأصليين الأسكيمو ، وبمن سموا بالهنود الحمر ، مع حلول آواخر القرن الخامس عشر بدأت الحملات البريطانية والفرنسية استكشاف المنطقة ، ومن ثم استوطنتها على طول ساحل المحيط الأطلسي تنازلت فرنسا عن جميع مستعمراتها في أمريكا الشمالية في عام ١٧٦٣ بعد حرب ما يسمى السنوات السبع ، وكونت المستعمرات البريطانية اتحادا ، وفي عام ١٨٦٧، اتحدت معها ثلاثة مستعمرات فرنسية ، وعبر كونفدرالية تشكلت كندا باعتبارها كيانًا فدراليًا ذا سيادة يضم أربع مقاطعات ، بعد ذلك اتسعت مساحة كندا ، وتوسع حكمها الذاتي عن المملكة المتحدة ، تجلت هذه الاستقلالية من خلال تشريع وستمنستر عام ١٩٣١ ، وبلغت ذروتها في صورة قانون كندا عام ١٩٨٢ والذي قطع الاعتماد القانوني لكندا على البرلمان البريطاني .

ذكرنا أن كندا دولة فيدرالية يحكمها نظام ديمقراطي تمثيلي وملكية دستورية حيث

الملكة إليزابيث الثانية قائدة للدولة ، واعلم أن الأمة الكندية أمة ثنائية اللغة حيث الإنكليزية والفرنسية لغتان رسميتان على المستوى الاتحادي.

تعد كندا واحدة من أكثر دول العالم تطوراً وحداثة ، حيث تمتلك اقتصاداً متنوعاً ، وتعتمد على مواردها الطبيعية الوفيرة، وعلى التجارة وبخاصة مع الولايات المتحدة اللتان تربطهما علاقة طويلة ومعقدة وحدود طويلة .

كندا على مستوى العالم عضو في مجموعة الدول الصناعية السبع ، ومجموعة الثماني ، ومجموعة العشرين ، وحلف شمال الأطلسي، ومنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية ، ومنظمة التجارة العالمية ، ودول الكومنولث ، والفرنكوفونية ، ومنظمة الدول الأمريكية، والايبك ، والأمم المتحدة . تمتلك كندا واحداً من أعلى مستويات المعيشة في العالم حيث مؤشر التنمية البشرية يضعها في المرتبة الثامنة عالمياً .



تعود كلمة كندا في الأصل إلى كنتا ، وهي كلمة ترجع إلى لغة الإيروكواس في سانت لورانس وتعني قرية أو مستوطنة ، في عام ١٥٣٥ استخدم السكان الأصليون لمنطقة مدينة كيبك الحالية هذه الكلمة لإرشاد المستكشف الفرنسي جاك كارتييه إلى قرية ستادا كونا ، ثم استخدم كارتييه فيما بعد كلمة كندا ليس للإشارة لتلك القرية بعينها فقط ، بل ولكامل المنطقة التي تقع تحت حكم الزعيم دونا كونا (زعيم قرية ستادا كونا).

في القرن السابع عشر وبدايات القرن الثامن عشر، أطلق الاسم كندا على شطر من فرنسا

الجديدة والذي يقع بمحاذاة نهر سانت لورانس وعلى السواحل الشمالية للبحيرات العظمى . ومع تشكيل الاتحاد الكونفدرالي عام ١٨٦٧، تم إطلاق الاسم كندا اسماً رسمياً للدولة الجديدة ، وكما ذكرنا آنفا أن كندا عبارة عن اتحاد يتألف من عشر مقاطعات وثلاثة أقاليم ، يمكنك توزيع تلك إلى مناطق: كندا الغربية وكندا الوسطى وكندا الأطلسي وكندا الشمالية .

تمتلك المقاطعات الكندية حكماً ذاتياً أوسع من الأقاليم ، تعتبر المقاطعات المسؤولة عن معظم برامج كندا الاجتماعية (مثل الرعاية الصحية والتعليم والرعاية الاجتماعية) ، وتجمع سوية إيرادات أكثر من الحكومة الاتحادية ، وهي بنية فريدة من نوعها تقريباً بين الاتحادات في العالم ، تستطيع الحكومة الاتحادية عبر سلطة إنفاقها البدء بسياسات وطنية في مجالات المقاطعات مثل قانون الصحة الكندي ، يمكن للمقاطعات الخروج من تلك الالتزامات ؛ ولكنها نادراً ما تفعل ذلك في الواقع العملي ، تدفع الحكومة الاتحادية مدفوعات موازنة لضمان الاحتفاظ بمعايير موحدة معقولة من الخدمات والضرائب بين المقاطعات الغنية والفقيرة.

يختلف متوسط درجات الحرارة في فصلي الشتاء والصيف حسب الموقع ، فكندا مساحة واسعة يمكن أن يكون الشتاء قاسياً في كثير من مناطق البلاد ، ولا سيما في المقاطعات الداخلية والسهلية ، والتي تواجه المناخ القاري ، حيث متوسط درجات الحرارة اليومية بالقرب من {- ١٥ } درجة مئوية ؛ ولكنها قد تنخفض إلى أقل من {-٤٠} درجة مئوية بوجود الرياح المتجمدة الشديدة ، في المناطق غير الساحلية قد يغطي الثلج الأرض لما يقرب من ستة أشهر في السنة (أكثرها في الشمال) ، يتمتع ساحل كولومبيا البريطانية بمناخ معتدل مع شتاء معتدل وممطر ، على الساحلين الشرقي والغربي، يبلغ متوسط درجات الحرارة الصيفية بشكل عام في أوائل العشرينات درجة مئوية ، بينما تكون بين الساحلين عند ٢٥-٣٠ درجة مئوية ، بينما قد تبلغ درجات مرتفعة في بعض الأحيان في بعض المناطق الداخلية عند ٤٠ درجة مئوية . وعدد سكان البلاد في هذا الوقت ١٩٨٦ما يقارب ٢٨ مليون نسمة ، ولها مجلس عموم وشيوخ وأما العاصمة الأولى فهي أوتاوا .

أوتاوا هي العاصمة الاتحادية أو الفيدرالية لكندا ، ورابع أكبر مدنها. تقع في وادي أوتاوا شرق مقاطعة أونتاريو ممتدة على الضفة الجنوبية لنهر أوتاوا الذي يشكل حداً طبيعياً مع مقاطعة كيبك الفرنسية ، ويفصل أوتاوا عن مدينة غاتينو الفرنسية أو هول حسب التسمية القديمة التي تقع ضمن مقاطعة كيبك ، ومن الممكن اعتبار المدينتين (أوتاوا وغاتينو) منطقة واحدة رغم انفصالهما في مقاطعتين ، ورغم اختلاف اللغة بينهما، إذ يتحدث أغلب أهل غاتينو الفرنسية والتي هي لغة الإقليم إلى جانب الإنكليزية كلغة رسمية ثانية ، بينما يتحدث أغلب أهل أوتاوا الإنكليزية ، وبعضهم يتحدث الفرنسية أحياناً كلغة رسمية ثانية ، أصبحت اللغة العربية ثالثة اللغات المتحدثة بعد الإنكليزية والفرنسية، حيث بلغ عدد العرب في أوتوا وغاتينو ٢٠ ألف نسمة .

واعلم أن أوتاوا مدينة هادئة (تكاد تتوقف الحركة فيها بعد منتصف الليل) ، وربما انفردت بين مدن العالم الغربي بانخفاض معدل الجريمة فيها، والتعايش السلمي بين مكوناتها الإثنية المتعددة ، وانعدام التحيّز العنصري ضد المهاجرين غير الغربيين ، وقد يداخلك شعور وأنت في شوارعها بأنك في مهرجان أممي، إذ تختلط الجاليات ببعضها ثقافياً وتجاريا واجتماعياً بانسجام تام ، فلا تستغرب أن ترى في مصنع أو متجر واحد أناساً من دول القارات المختلفة ، وربما من بلدان لم تكن قد سمعت بها!!

ومن أهم معالمها الرئيسية ، المبنى التاريخي للبرلمان والذي يتوسطه برج السلام ، وقنال الريدو الذي يخترق المدينة من شمالها إلى جنوبها وصولاً إلى نهر أوتاوا ، تتجمد فيه المياه شتاءً فيصبح مكانا سياحياً للتزلج بعد أن كان منظره الربيعي يسرّ الناظرين ، والريدو بالفرنسية تعني الستارة أو الحاجز، وقد جاءت التسمية لأن هذه القناة تم حفرها أساساً لأسباب عسكرية لصد هجوم الأعداء على المدينة، وقد أمر بإنشاء هذا القنال العقيد الكولونيل جون باي مؤسس أوتاوا ، وتم تسمية الشارع المحاذي للقناة باسمه شارع كولونيل باي .

وكندا تملك أعلى معدل هجرة في العالم ، ومستقر المهاجرين في الغالب في المناطق الحضرية نحو

تورنتو ، وأغلب سكان كندا أتباع المذهب النصراني ، فيشكل الكاثوليك أتباع بابا الفاتيكان ٤٣٪ من إجمالي السكان ، وهناك أتباع الكنيسة المتحدة حوالي ٩٪ ، ومع الإنجيلية واللوثرية والمعمدانية ليشكلوا جميعهم حوالي ٧٧٪ ، دخلت المسيحية كندا خلال الفترة الاستعمارية ، ظهرت الكاثوليكية مع المستوطنين الفرنسيين الذين استقروا على طول ضفاف نهر سانت لورانس ، وتحديدًا هم أتباع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، بما في ذلك عدد



من اليسوعيين الذين بشروا بالمسيحية بين السكان الأصليين . كان للكنيسة الكاثوليكية نفوذ سياسي واجتماعي وثقافي قوي في كيبك كندا حتى عام ١٩٦٠ مع بداية الثورة الهادئة ، وقد اعتبرت كيبك احدى أهم المعاقل الكاثوليكية في كندا.



تم تشكيل أول المجتمعات البروتستانتية الكبيرة في مريتيمس بعد الفتح البريطاني في فرنسا الجديدة ، تلتها موجات المستوطنين البروتستانت الأمريكيين الذين نزحوا بسبب الثورة الأمريكية .

شهد القرن التاسع عشر بداية لتحول كبير في أنماط الهجرة الكندية ، أعداد كبيرة من المهاجرين الايرلنديين ، ومن جنوب أوروبا ، خلق جاليات جديدة كاثوليكية كبيرة في كندا الإنكليزية . شهدت السنوات الأخيرة هجرة نصارى الشرق الأوسط ، فنشأت كنائس مثل الكنيسة المارونية ، والكنيسة القبطية ، بالإضافة إلى تواجد جاليات أرثوذكسية شرقية من أوروبا الشرقية ، ومهاجرون من الولايات المتحدة من المورمون والخمسينين ، أما المسلمون فيشكلون نسبة ضئيلة ٢٪ ، واليهود ١٪ ، وغير المتدينين ٦٪ ، وصل عدد المسلمين إلى ٥٠٠,٠٠٠ مسلم في كندا، أي قرابة ٢ ٪ من عدد السكان ، معظم الكنديين المسلمين ولدوا لمسلمين ، بالإضافة لأعداد صغيرة من معتنقي الإسلام من ديانات أخرى ، ومثل ما هو الحال مع المهاجرين بشكل

عام ، جاء المهاجرون المسلمون إلى كندا لأسباب متنوعة ، منها التعليم العالي ، كأبطال روايتنا والعمالة ، والأمن ، وجمع شمل الأسرة ، وجاء آخرون من أجل الحرية الدينية والسياسية ، والسلامة والأمن ، مخلفين وراءهم الحروب الأهلية ، والاضطهاد ، وغير ذلك من أشكال النزاعات الأهلية والإثنية.

أصبحت كندا في ثمانينيات القرن العشرين مقصدا هاما للجوء الفارين من الحرب الأهلية اللبنانية ، وحروب الشرق الأوسط ، وبشكل عام تقريبا جاء مسلمون مهاجرون من كل الدول المسلمة في العالم إلى كندا من ألبانيا إلى اليمن إلى بنجلاديش .

وأغلب الكنديين المسلمين يعيشون في مقاطعة أونتاريو ، استقر أكبر المجموعات في نواحي منطقة تورونتو الكبرى.



وصل العروسان مدينة أوتاوا عاصمة الاتحاد عبر طيران كندا ، ومضى بهما السائق إلى أحد فنادق المدينة ، والفنادق كثيرة وضخمة لنشاط الحركة السياحية إلى كندا من أمريكا ودول أوروبا الغربية واليابان ، وفي اليوم التالي قاما بمراجعة دائرة الهجرة الرئيسية ، وبعد أيام ثلاثة قضياها في العاصمة سافرا إلى مقاطعة نوفا سكوشيا جوا بخطوط طيران داخلية ، واستقرا في أحد الفنادق السياحية في مدينة هاليفاكس عاصمة المقاطعة الحديثة ، راجعا جامعة دالهاوسي التي رحبت بهما كطالبين مهاجرين ، واتصلا بأحد الأطباء الكبار والقدامى الذي قام بمساعدتهما حسب توصية والد سامر وعميد كلية الطب في البلد ، واهتم بهما وذكر لهما أنه زار بلدهما العربي ، وشارك في ندوات علمية طبية وبحثية دارت في المدينة العاصمة ، وسعى بواسطة مساعده وسكرتير مكتبه بتقديم أوراقهما لإدارة الجامعة ، ووعد بمساعدة الدكتور سامر للالتحاق في العمل بأحد مستشفيات العظام في المدينة ، وخلال أيام رتبت أمورهم ، والتحقت زهيرة بمعهد لغات لدورة واختبارات ، ولما تبين لهم قوتها باللغة الإنجليزية حيث لغة الدراسة

في الجامعة سمح لها بمتابعة الساعات المقررة لها على حساب الحكومة الكندية ، وطلب منها أن تستمر في تعلم اللغة الفرنسية حيث أنها لغة رسمية أخرى للبلاد حيث ستتعامل مع كادر يستخدم اللغتين سواء من محاضرين وطلاب ومرضى وإدارة وممرضين خاصة المواد العملية .

وتعال نتعرف على مقاطعة نوفا سكوشا .. تقع شرقي اليابس الأمريكية، احتلها الفرنسيون في القرن السابع عشر الميلادي ، ثم أخذتها بريطانيا في معاهدة أوترخت منذ عام ١٧١٣ ، تبلغ مساحة الولاية حوالي ٥٥،٠٠٠ كيلو متر مربع ، وسكانها حوالي مليون نسمة ، وعاصمتها مدينة هاليفاكس، وأهم مدنها دارتموت ، وسيدني ، ومينز ، تكثر بالولاية السهول المتموجة ، والأراضي الصالحة للزراعة.

مناخها أحسن حالاً من داخل كندا بسبب المؤثرات البحرية ، فالصيف دافئ ، تطول مدته ، وهذا أعطى مجالا للإنتاج الزراعي وقدر إنتاجها من الأسماك بحوالي ٢٦٣ مليون دولار سنويا .

نتحدث الآن عن المدينة التي عاشت فيها بطلة القصة سنوات الدراسة كلها هاليفاكس ، يقال إنها من أقرب المدن للشرق الأوسط ، وتعتبر واحدة من أجمل مدن كندا وأكثرها روعة وتطورا وهي عبارة عن لوحة ساحرة من الجمال والحسن حيث جمعت بين إبداع الله في أراضيها الخضراء وشواطئها الساحرة الجمال ، وبحيراتها الشفافة مما جعلها وجهة الكنديين وسكان القارتين الأمريكية الشمالية والجنوبية ، وهي محطة للسفن السياحية الكبرى التي تستوعب الآلاف من السياح الأوروبيين الذين يقضون في هاليفاكس أجمل أيامهم متنقلين بين شقي المدينة المفصولين بمضيق من مياه المحيط الأطلسي ، إن مدينة هليفاكس معروفة بطيبة أهلها فهم من أكثر شعوب العالم طيبة مع الغرباء ، وسيشعر أي زائر ومنذ وصوله لأرض المطار بأنه شخص مرحب به للغاية ، أسعار المدينة مناسبة للغاية فيما لو تم مقارناتها مع أي الدول العربية فأسعار مطاعم الوجبات السريعة والمطاعم اللبنانية والتركية في هاليفاكس تماثل أسعار المطاعم بالدول العربية ، فيكلف شراء وجبة طعام مبلغ ٤ دولارات كندي فقط ٢ ,٣ دولار أمريكي ،

كما يكلف شراء وجبة سمك مع البطاطس المقلية ٦ دولارات كندية فقط ٤,٨ دولار أمريكي كما أن هناك بقالات تبيع جميع المتطلبات العربية للطبخ العربي ، أما بطاقات حضور مباريات الهوكي الشعبية تتراوح من ٦ إلى ١٠ دولارات كندي فقط . ويبلغ عدد المطاعم والحانات في هاليفاكس ما يقارب الـ ١٦٠٠ مطعم وحانة ، أما الأسواق التجارية فهي حوالي ٣٢ سوق تجاري .

أما الطقس فالصيـف رائـع ممطر غالبـاً معتدل يميل للبرودة ، الشتـاء برد وثلج ، إن درجة الحرارة قد تصل إلى ٣٠ تحت الصفر ، وإن الجامعات والمعاهد هناك تعطي إجازات كثيرة في الشتاء لسوء الأحوال الجويـة .



هذه هي المدينة التي استقر فيها الزوجان العربيان المهاجرين لكندا ، وخلال الأسبوع الذي قضياه في مراجعة الجامعة في ساعات الصباح كانا في ساعات المساء يبحثان عن شقة يعيشان فيها حياتها الدراسية والزوجية ، فوفقا إلى شقة من دورين نظام فيلا ، الدور الأول مطبخ وصالة كبيرة ومخزن ودورة مياه ، والطابق الثاني غرفتا نوم وحمام ، وغرفة غسيل ملابس ، وللشقة موقف سيارة ، ومتوفر فيها الماء الحار ، وقريب منها مسجد ، وأجرتها الشهرية ٦٠٠ دولار شهريا ، فكندا دولة غنية ، ودخل الفرد فيها عاليا ، قد يزيد عن خمس وعشرين ألف دولار كندي سنويا ، لذلك الأجور السكنية مرتفعة.

وأما بالنسبة لجامعة زهيرة ، فهذه الجامعة الكندية قديمة ، وهي جامعة حكومية مشهورة في تلك المقاطعة وفي تلك المدينة ، فإنها تأسست عام ١٨١٨ م ، فقد أسسها نائب حاكم المقاطعة الإنجليزية جورج رامزي دلهاوزي ، وكان ذلك في حقبة الاستعمار البريطاني للمقاطعة نوفا سكوشا .

تضم الجامعة إحدى عشر كلية ، منها كلية القانون والهندسة والطب، تتكون الجامعة من خمسة

أحرُم جامعية رئيسية : هي سكستون وكارلتون وبارتون بمدينة هاليفاكس ، وكلية الزراعة بمدينة ترورو ، حرم سكستون يوجد به كلية الهندسة والعمارة ، وحرم كارلتون يوجد به كلية الطب العام والأسنان حيث ستدرس الطب بطلة قصتنا هذه ، وباتون يقع به مركز الملكة اليزابيث الثانية للعلوم الطبية ، أما حرم ستدلي فيوجد به بقية الكليات .

واعلم أن دلهاوزي جامعة مدعومة حكوميا ، وعضو في اتحاد الجامعات والكليات الكندية ، يوجد ٣٧٠٠ مادة علمية ضمن ١٨٠ تخصص متاح.

واعلم أيضا أن الجامعة دلهاوزي دأبت في الحصول على المراتب العليا بين أفضل الجامعات الكندية ، فهي جامعة من بين ٥٠ جامعة في كندا ، وهي جامعة بحثية مهمة في كندا .



وللجامعة شعار أدعو ربك واعمل ، كندا من الدول المتقدمة والدائرة في فلك العالم الغربي حداثة وتطورا ، وعادات وتقاليد ونظام حكم ، وربما من مشاكلها الحساسة وجود تنافس شديد بين لغاتها الفرنسية الإنجليزية حيث اللغة الكندية تتكون منها ، ووجود تعصب بين القوميتين لأصولهما الاستعمارية ، والدولار الكندي مائة سنت ، وهناك فئات خمسة دولارات ، عشرة دولارات ، عشرون دولارا ، وخمسون دولارا ، ومائة دولار ، وألف دولار .



استطاع الزوجان الحصول على مكان مناسب للحياة في مدينة هاليفاكس نوفا سكوشا ، وساعدهم البروفسور جاك موريس في الالتحاق في الجامعة كطلاب ووعد سامر بالعمل كطبيب عام في إحدى مستشفيات المقاطعة ، ودراسة الاختصاص في جراحة العظام .

وهذه الدراسة تحتاج على الأقل لأربع سنوات بين ممارسة الطب عمليا ونظريا ، ولا بأس من

ذكر نبذة عن جراحة العظام ، اليوم لكل مرض اختصاص واختصاصات ، ويمكن أن أقول لكل عضو اختصاص .

ومن جراحات العظام : جراحة الكتف والمرفق، وجراحة اليد ، وجراحة استبدال المفاصل ، جراحة القدم والكاحل ، جراحة العمود الفقري ، جراحة عظام الأطفال ، جراحة أورام الجهاز العضلي الهيكلي ، الطب الرياضي الجراحي.

واليوم حوادث السيارات والمهن تسبب الكثير من علل العظام ، والجراحة العظمية تهتم وتعالج مجموعة كثيرة من الأمراض مثل : التهاب المفاصل ، تشوه المفاصل تنخر العظام ، تمزق الأربطة الانزلاق الغضروفي ، كسور العظام ، خلع في المفاصل ، سرطان العظم ، متلازمة النفق الرسغي إعاقة وظيفية في حركة المفاصل ، خلع الورك الوراثي ، آلام الظهر ، انحراف إصبع الرجل الأكبر ، تشوه الركبة وغير ذلك من الأسماء ، الهشاشة .

ذكرت ذلك لتعلم أهمية الاختصاص الطبي ولو في الصين ، ووجد الزوجان عددا كبيرا من الطلاب مثلهم من دول الخليج وآخرين من تركيا ودول الباكستان وبنغلاديش وماليزيا ، بعضهم للبكالوريوس ، وآخرون للماجستير والدكتوراه ، ووجدوا جالية عربية كبيرة تسكن في المدينة ، ويسمون (العرب الكنديون).

ومطلوب من المهاجر لتلك الديار عندما يحط رحله في تلك المدينة أن يسعى للحصول على سكن ، وبطاقة علاج من صحة نوفا سكوشيا ، وتقديم طلب أيضا للحصول على بطاقة الضمان الاجتماعي (sin) ، ويقوم بزيارة منظمة خدمات توطين وإدماج المهاجرين (IsIS) ، ويطلب من المهاجر معرفة هل يستحق مساعدة ودعم من الحكومة من الدائرة المختصة ؟ ، ويطلب منه فتح حساب مصرفي خاص به ، وقد فعل الزوجان ذلك منذ استقرا في المدينة ، ثم عليهم تبديل الرخص برخص كندية للسيارات ، والحصول رخصة من المقاطعة ، ويحدد لهم طبيب يسمى طبيب العائلة .

وعلى المهاجر الجديد لكندا أن يراجع إدارة الهجرة والجنسية الكندية (CIC) ، وهي وكالة

حكومية فدرالية تقدم خدمات حول الجنسية والتوطين واللجوء والهجرة ، وقد راجعاها عندما نزلا في مدينة أوتاوا عدة أيام .

ويوجد في مقاطعة نوفا سكوشا مكتب للهجرة يعمل مع الحكومة الفدرالية ، يعمل على تشجيع المهاجرين الوافدين من كل أنحاء العالم على الاستقرار في المقاطعة واتخاذها وطنا ، فهؤلاء يحتاجون لعدد كثير من البشر ؛ فلذلك يرحبون ويشجعون الهجرة لبلادهم لحاجتهم للناس .

ويوجد جمعيات رسمية وتطوعية لتدريب وتوعية المهاجرين، ويوجد كلية توفر للمهاجرين دورات تعلم اللغة الإنجليزية والفرنسية للوافدين استعدادا للالتحاق بالجامعات ، وتقدم طلبات الانتساب لتلك الكلية في الخريف والشتاء .

للتوصيات التي يملكها سامر وقرينته تيسرت أمورهما منذ حلا في هاليفاكس عاصمة المقاطعة وقد تيسر لهم امتلاك شقة كفيلا ، مر بنا وصفها ، والنظام يلزم المستأجر والمالك للعقار أن يخضعه للتأمين ضد الحريق وغيره ؛ لذلك يعتبر التأمين على الممتلكات مهماً ، ويمكنك شراء بوليصة تأمين على الممتلكات لحماية منزلك وأغراضك في حال اندلاع حريق أو حدوث فيضان أو سطو أو أيّ مشاكل خطيرة أخرى ، ويغطي التأمين أحياناً جميع تكاليف إصلاح أو استبدال منزلك ومحتوياته ، والكهرباء والماء ووقود التدفئة توفرها شركات خاصة تنشط في المقاطعة، وكذلك الخدمات الأخرى كالهاتف ، وهناك نظام لجمع القمامة وفرزها ، ولكل حي أو منطقة يوم محدد لجمع القمامة .

وتوفر البلدية للمدينة نظام العيادات للمارة ، وتوفر كذلك عيادات صحية نسائية ، تنتشر بكثرة في المدينة والمقاطعة للفحص والكشف وإرشاد وتنظيم الأسرة .

فقد أبدت زهيرة ارتياحها للمدينة خاصة والمقاطعة ككل ، فالأسواق قريبة من السكن ، والمواصلات متيسرة بالمترو باص ، والبنوك متيسرة ، والشرطة توفر الحماية والأمن للجميع ، وقد اشترت كتابا يتحدث عن المقاطعة والعاصمة ولمزيد من المعرفة عن كندا والمقاطعة ، ووجدت أكاديمية إسلامية نشطة في المدينة ، وجمعيات لبنانية قديمة ؛ ولكن الذي فاجأها بعد

استقرارهما في المدينة أنها وجدت نفسها حاملا رغم استخدامها لحبوب منع الحمل منذ أشهرت خطبتها للدكتور سامر ، فقد أخذت تتعاطى حبوب منع الحمل لأنها اتفقت مع الدكتور أن لا تحمل إلا بعد إنهاء بكالوريوس الطب ، وقبل سامر ذلك ورحب به ، وقد تفاجأ مثلها بحدوث الحمل، وبعد ذهول قبلوا بالأمر الواقع ، وكانت في حالة وجوم وصدمة ، وهي تخبر سامرا بذلك ، فكانت تقول استعملت الحبوب منذ أعلنّا الخطبة .. قبل أن يحدث بيننا أي اتصال! ولما تأخرت الدورة بعد الزواج ظننت أن ذلك بسب التوتر النفسي والاستعداد للسفر .. وها هو الشهر الثاني للزواج يمضي من غير طمث ، ففحصت في عيادة المستشفى حيث الكلية ، فبشروني بذلك ، وصدمت يا سيدي، لم أفرح كما تفرح النساء عندنا

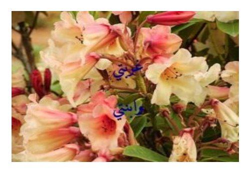
فبدا سامر واجما ومصدوما فقال : ما العمل ؟!

ـ لا أدري!

ـ هل تستطيعين الدراسة مع الحمل والولادة ؟

ـ الولادة ستكون في آخر الصيف وسط الخريف .. ولابد من الدراسة .. لم يعتمدوا الكثير من المواد التي درستها .. صدق أن الحمل حدث دون رغبتي

ـ طبعا أصدقك يا عزيزتي ..لا يزعجني حملك أبدا.. ربما صدمت للوهلة الأولى؛ لأنك أنت التي خططت لعدم الحمل .. لست أنا الذي سيتعب .. إنما قلقلي عليك .. محاضرات ومداومة في المستشفى والعيادات للتدريب



ـ الإجهاض غير ممكن .. أليس كذلك ؟

ـ أنا ضد الإجهاض يا زهيرة .. هذا كائن حي مخلوق مثلنا .. بصفتي درست الطب كان يدور بيننا نحن الطلاب والدكاترة مناقشات حول مشروعية الإجهاض ، قرأت عن هذه المسألة بشكل جيد، فبعضهم تساهل وأجازه بشكل عام ، بسبب ومن غير سبب ؛ وصوتهم أمام

المحرمين ضعيف ، وآخرون حرموه مطلقا ، وبعضهم أجازه عند الضرورة والخطر على حياة الأم الحامل ، فقدموا حياتها على حياته .[٢]

عادت تردد كأنها مرتكبة شيئا حراما: لا أدري كيف حصل ذلك ؟!

عاد مشجعا ومخففا من الصدمة التي أصابتهم : الله أراد ذلك .. رغم انتشار ظاهرة الحمل مع أخذ الموانع كان عليّ أنا أيضا فعل الاحتياطات المساعدة .. الرجل الشرقي يصيبه الخوف والقلق من أخذ الموانع خاصة عندما يكون لديه الرغبة في الحمل في يوم ما .. الأمر لله يا زهيرة

قالت باستلام للحدث : سأحاول أن أوفق بين الدراسة والحمل.. تحملني يا سيدي .

تظاهر بالابتسام وقال : أنا معك قلبا وقالبا .. ألست أباه أو أباها ؟! .. كان الله في عونك

ـ الجميل في هذه المدينة كثرة عيادات طب الأسرة والنساء ، وهي منتشرة للكشف ومتابعة الحوامل وصحة النساء بشكل عام .. إني جدٌ آسفة .

ـ لا تأسفي على قدرة الله وإرادته .. صدقي أن ضيقي كان من أجلك .. بل أنا الآن في غاية السرور .. أخذنا بالأسباب ، ومشيئة الله غلبت .. والخير فيما يريده الله تعالى .. والله يفعل ما يشاء .. أنا رفضت الحمل من أجلك أنت حتى تستطيعي الدراسة بكل راحة وحرية .. وتستطيعي العمل في المستشفى بدون ألم وتعب وكلها بضعة أشهر ، وتنهضين بالسلامة والعافية

قالت بعزيمة : سأتحمل عليّ دوامان ، محاضرات وتدريب في المستشفى ..

ـ عليك رعاية نفسك يا حبيبتي .. سيدبرها الله ويهونها .. والأمور هنا منظمة ، والناس مثقفون سيحسنون التعامل معك .. وخاصة أنه سيكون مولودا كنديا ويحمل الجنسية منذ ولادته .. فنحن نحتاج لسنوات ثلاث على الأقل لنمنح جنسية هذه البلاد .

---

[٢] - وأما الإجهاض قبل الأربعة أشهر من مدة الحمل ، فالصحيح من أقوال العلماء أنه حرامٌ فلا يجوز لامرأة مسلمة أن تجهض مولودها بمجرد ثبوت الحمل إلا في حالةٍ واحدة فقط ، وهي إذا أخبر الأطباء الثقات أن الحمل يشكل خطراً مؤكداً على حياة الأم فيجوز حينئذٍ الإجهاض حفاظاً على حياة الأم.

كانت الحياة هادئة بالنسبة للزوجين ، وكانا كغريبين في المدينة بحق ، لا أصدقاء لا جيران ، لا ضيوف ؛ ولكنهما كانا سعيدين ، لم يكونا أصدقاء بعد ، وقد تجولا في المدينة ، وزارا مناطق التسوق المهمة في وسط المدينة ، وأخذا يتعرفان على عملة البلد ويحسنان التصرف فيها ، فعملتهم الورقية اشرنا إليها ، إلى الفئات التي تتكون منها العملة الكندية ، وهناك فئات صغيرة ، فالدولار الكندي مائة سنت ، ولديهم سنت معدني واحد يسمونه بيني ، والخمسة سنتات تسمى نيكل ، والعشرة دايم ، والخمس والعشرون سنتا كوارتر ، والدولار لوني ، والدولاران توني .



هذه القطع المعدنية سارية الاستخدام في تلك البلاد ، ومن الضروري للوافد إلى نوفا سكوشا الحصول على بطاقة الإقامة الدائمة (PR) ، فهذه البطاقة تثبت أنك مقيم دائم في الخروج والدخول لكندا ، وهذه يطلبها الوافد منذ استلامه سجل الهبوط على الأراضي الكندية .

ومن المهم أيضا أن نتعرف على وسائل الحركة والانتقال في المقاطعة والعاصمة ، كسائر المدن الكبيرة في العالم تتوفر وسائل النقل بين نواحي المدينة ، فهناك وسائل نقل للأصحاء ، وأخرى للمعاقين ، تسمّى مؤسسة النقل العام في هاليفاكس مترو ترانزيت **Metro Transit** وهي تشمل الباصات والعبّارات المحلية والإقليمية والمجهزة لاستقبال ذوي الإعاقة .

تتوفّر باصات وعبّارات محلية ، كما تتوفّر باصات في الضواحي ، وسائر المناطق الواقعة خارج بلدية منطقة هاليفاكس ، لاحظ أن تكلفة الكبار ١٦ سنة وما فوق دولاران ، البطاقة الشهرية ٥٠ دولاراً ، كبار السن ٦٥ سنة وما فوق(١,٢٥) دولاراً ، وللأطفال دون السادسة عشر أسعار خاصة بهم ، وهناك باصات مترولنك على مدار أيام الدوام من الاثنين إلى الجمعة ، وكذلك سيارات الأجرة الصغيرة التاكسي ، يوجد في بلدية منطقة هاليفاكس العديد من

شركات التاكسي ، وتجد أسماء وعناوين شركات سيارات الأجرة في دليل الهاتف الصفحات الصفراء

كان يذهب الزوجان للجامعة سوية ، فتصل الفتاة إلى كلية الطب في جامعة دالهاسي ، ويسير سامر إلى المستشفى الكبير مستشفى اليزابيت الثانية حيث تقرر عمله واختصاصه لجراحة العظام ، ويعد هذا المستشفى أكبر مستشفى في كندا الأطلسية ، ويضم كما قيل عشرة مباني في موقعين . ولتمكن الشابان من اللغة الإنجليزية ساعد ذلك بسرعة التواصل مع الكادر التعليمي والوظيفي ، والدوام يبدأ رسميا في الجامعة منذ الثامنة والنصف صباحا من صباح الاثنين إلى مساء الجمعة حيث تبدأ العطلة الأسبوعية السبت والأحد ، ودوام المستشفى على مدار الساعة كما هو معروف ، أما طلاب الاختصاص فيتابعون في أيام الدوام الرسمي ، وسعى سامر وزوجته كما عرفنا سابقا إلى فهم اللغة الفرنسية حيث أنها لغة رسمية في كندا ، ولم يكن فهم مفرداتها صعبا عليهما لفهمها اللغة الإنجليزية الطبية والعلمية والمحاكاة والخطاب .

وكانت زهيرة قد تكيفت مع الحمل ، رغم صدمتها الأولى ؛ لأنها كانت تخطط لتأجيل الحمل والولادة إلى ما بعد الجامعة الأولى ، وأخذت تراجع عيادة متخصصة للحوامل والولادات قريبة من سكنها في شارع جادة يونيفرستي .

وكندا دولة من الدول الصناعية الكبرى على مستوى العالم ، وهي بلد ترحب بالوافدين والمهاجرين لحاجتها إليهم باستمرار لكبر مساحتها وكثرة مالها ، فهي تشجع الهجرة ، وتمنح الجنسية بعد سنوات قليلة ، والطلبة المهاجرون تشجع الحكومة استقرارهم وبقائهم في البلاد ، لذلك من الطبيعي أن يستقر الكثير بعد تخرجهم فيها ، وحتى الزواج من الكنديات متيسر ، ولا صعوبة في ذلك لاحتوائها على أصول شتى ، والزواج منهم يسهل جدا الحصول على جنسية البلد ، ويصبح الرجل كنديا فورا .

وجدت زهيرة أن بعض الدكاترة يستخدمون الفرنسية والإنجليزية أثناء التوضيح والشرح ، فكان هذا يزيد حماسها لإتقان اللغة الفرنسية خلال دورة الشهور الثلاثة التي توفرها الجامعة

للطلاب الوافدين .

وتعرف سامر على عدد من الأطباء العرب يعملون في تلك البلاد ، والبعض سمح له بالتعرف على زوجاتهم وأبنائهم ، لذلك لما وضعت زهيرة مولودها الأول ، احتفل بهم الأصدقاء ذكورا ونساء، مما أدخل السرور على قلبيهما ، وكان المولود الأول لهما أنثى سموها شمسا ، ومنحت شمس الجنسية الكندية فور ولادتها ، فهي ولدت على الأرض الكندية فتعتبر ابنة كندا بالولادة

كانت زهيرة تتحدث للأصدقاء بعد حين : مدينة حقيقة جميلة ؛ ولكنها باردة جدا في فصل الشتاء حيث وصلنا لأول وهلة .. وبحيراتها كثيرة .. معي طالبة من أونتاريو تقول إن مدينتها بها ٢٥٠ ألف بحيرة ، وهي أكبر مناطق كندا مساحة ، وفيها العاصمة الاتحادية السياسية أوتاوا وتحدها أمريكا الولايات المتحدة

وقالت إحدى السيدات : هي أكثر المقاطعات سكانا ، ربما ثلث سكان كندا يعيشون فيها ، وفيها الاقتصاد والعلم ، وتحيط بها البحيرات العظمى ، وتطل على مدينة نيويورك الأمريكية خاصة بحيرتها أونتاريو ، وفيها يا أم شمس شلالات نياجرا ومتنزهات كثيرة ؛ كأنها ١٣٢ متنزها عاما .



قالت سيدة أخرى من أصل لبناني : نحن عشنا فترة في تلك المقاطعة .. فبحيرة أونتاريو إحدى البحيرات الخمسة ، فعلمنا أنها أصغر تلك البحيرات ، وطولها يزيد عن ٣١٠ كم ، وعرضها حوالي ٨٥ كم ، يخرج منها نهر سان لوران .. وبالجملة .. سمعت أن كندا بلد المليون بحيرة .. وقد زرنا عددا من متاحفها وزرنا متحفها الملكي ، وقد شاهدنا البرلمان القديم الذي أنشئ في القرن الماضي

قالت زهيرة : قرأت عنه في عام ١٨٠٩ في تورنتو حيث عاصمة المقاطعة

وعادت السيدة اللبنانية تقول : وهناك البرج الذي يرتفع ٥٥٣ م

وكانت كل امرأة تذكر خبرتها ومعرفتها في تلك البلاد ، وشاركتهن زهيرة بإضافة الكثير من المعلومات التي قرأتها عن كندا وهاليفاكس ، مما أثار إعجاب ودهشة السامعات حتى أن إحداهن قالت : إنك تتعلمين بسرعة يا أخت زهيرة

فردت زهيرة بابتسامة : قرأت قبل مجيىء بعض المعلومات عن كندا ، وعن نظام الحكم وجغرافيتها .. ولما وصلت هنا أخذت بالقراءة عن هذه المقاطعة بشكل خاص ..

فكانت الأسر العربية في بلاد الغربة تثير الشجن والحنين لبلاد العرب .. خاصة عندما تكن العائلات من أقطار عربية متنوعة .. بل أضافت زهيرة وسامر أصدقاء آخرين من المسلمين الشرقيين من تركيا والباكستان وإندونيسيا .

وأخذ سامر مع الوقت يكّون صداقات طبية في المستشفيات التي أخذ يتنقل بينها ، ومع رجال العلم في تلك الجزيرة والديار .



ارحم أباك

ذهب ميلاد عادل في زيارة لمحله القديم حيث باع حصته لشريكه حميد نبيل ، وبعد التعانق والترحيب والسؤال عن الحال والصحة قال حميد ناصحا لابن عمه شريكه السابق : ويلك يا عم ميلاد ألا تريد أن ترحم أباك ؟

قال هازئا : أرحم أبي !! وهل رحمني هو ؟ ألم أترك له الدار واستأجر عشة دواب ؟ .. بماذا ارحمه يا فصيح ؟!

ـ بالزواج والتعقل .

ـ الزواج ! أنا أقسمت قديما قسما لا رجعة فيه أن لا أتزوج إلا زهيرة مجدي .. فلن أتزوج أبدا أبدا .

قال حميد بعد صمت قصير : وهل هذا كلام يا ابن الناس ؟! هل تعلم أيها الإنسان الضائع أن زهيرة قد صارت أما ؟ .. لقد أخبرت أمها أمي أن زهيرة ولدت طفلة هناك ، وأعطيت الجنسية الكندية .

تنهد ميلاد بعمق وبصق وهمس : ولدت الملعونة ! .. ولدت من غيري .. لن أرحمها سأظل أحقد عليها وعلى ذريتها .. فهي قد دمرت حياتي مع أمي وأبي.. كلهم ملاعين .

رفع حميد صوته قليلا قائلا : اسمع يا ولد.. لا تسيء لعمي

ـ ولا تنس أنه أبي

ـ أنا يا ميلاد لا أحب العقوق .. فسب الوالدين من الكبائر ومن العقوق .. أرجوك أمامي لا تفعل ذلك .

ـ آ يا عم ! أنت صرت شيخا .. كما سمعت .. يا رجل فلماذا لا تترك الصنعة وتعمل في جامع وتخطب في الناس يوم الجمعة ؟!

ـ وهل هذا بالساهل يا ولد ؟! وأنا طول عمري أمشي مع الشيوخ ، وأحضر مجالس الشيوخ والعلم ، وأنتقي الخطيب الذي أسمع له .. يا ابني أتمنى أن أراك عريسا كباقي الخلق .. الأيام

تمضي .. الفواحش تفتك بك ، لو أصابك مرض قاتل لن تجد من يقف معك .

ـ أنا مرتاح

ـ لا يمكن أن أصدق ذلك .. لو أنك مرتاح ما شربت الخمر .. أنت قلت أكثر من مرة أنك تشربها لتنسى .. يا رجل تب إلى الله حتى نعود شركاء وأحبابا مثل أيام زمان .. نسيت أن أسألك لماذا جئت اليوم ؟

ـ جئت استلف مائة دينار

ـ مائة دينار ! لماذا ؟ لتشرب بها .

ـ لا ، أريد أن اشتري آلة للمحل

ضحك حميد وقال : آلة ! هو أنت تشتغل يا ميلاد .. أنت منذ أن انحرفت أصبحت قليل الشغل تشتغل بنشرا واحدا في اليوم فتظن نفسك طول اليوم تشتغل .. لماذا تريد المائة ؟

ـ كما قلت لك

ـ لا أصدقك .

ـ مكسور ! وعليّ تسديد حساب المحل

ـ الإيجار ، كم شهرا لم تدفع ؟ ـ ورأى إشارة بالأصابع ، تبين الشهور غير المدفوعة ـ يمكن أن يكون هذا صحيحا .. كيف ستسددها ؟ وأنت لا تعمل بشكل جيد .. الصبي الذي يعمل عندك جاء يسعى للعمل عندنا من قلة الشغل

ـ أتريد أن تعطيني ؟

ـ مضطر للاعتذار ، فلي في ذمتك مائتان .. منذ أشهر لم تسد منها شيئا .. وأكثر الفلوس التي قبضتها عند الانفصال صرفتها على الفحش والفواحش

ـ دمرتني زهيرة ، وحرقت مستقبلي .. وأهلكت شبابي .. لقد تعلق القلب بها

صاح فيه حميد : كلام فارغ .. هل هي التي دلتك على الخمارات وعلى دور البغاء ؟ .. أنت سعيت لذلك .. اسمع أنا مستعد لمشاركتك ثانية ، ومستعد أن أساعدك في الزواج ، وأبحث

لك عن بنت حلال .. مقابل تركك الفجور .. أدرك نفسك قبل فوات الأوان.. فأنت عاجز عن سداد أجر دكان وأجر عشة كما تقول .. فإذا صلح حالك بترك المنكرات ستتخلص من إيجار العشة ، ريثما نجد لك المرأة الصالحة .. نبحث لك عن زوجة متدينة محترمة ..

وبعد صمت قصير عاد يتابع : افرض أن زهيرة ميتة أو ماتت ، هل ستبقى أعزبا أو حتى أرملا قصتك قصة لا تدخل عقل إنسان سليم العقل ..الديون تتراكم عليك .. اصح يا رجل

ـ يعني أنك تمتنع عن مساعدتي

ـ أنا آسف يا بطل .. هل صحيح ما سمعته ؟

ـ ماذا سمعت أيضا ؟

ضحك حميد وقال : الناس هوايتها نقل الأخبار .. لهذا سعد الناس باختراع الراديو ثم التلفزيون ..لا أدري ممن سمعت ؟ أعتقد من أحد أفراد شلتك يزعم أنك سعيت للسفارة الكندية لتحصل على تأشيرة هجرة .

ترك ميلاد الكرسي واقفا وقال : أفكر بالهجرة مللت من هذه البلاد

ضحك حميد وقال : مللت من هذه البلاد ، وتريد السفر لكندا .. سافر الفلبين .. البرازيل أما كندا .. مجنون أنت.. مجنون يا ابن عمي.. أبوك مريض ورغبته أن يراك رجلا كسائر إخوتك يا رجل أعقل وتب إلى الله .. ألم تمل من الفجور كما مللت من البلاد ؟!.. أعقل وخلال أسبوع تعود للعمل معنا .. وذلك عندما اطمئن لصلاحك .. وإذا تزوجت أو شرعت بالزواج ستعود الشراكة بيننا

صاح في وجه حميد وهو يطرح باقي السيجارة على الأرض : لن أتزوج إلا زهيرة

ـ زهيرة ماتت.. ما دامت قد هاجرت للغرب فهي بحكم الميتة .. الله أعلم متى تعود ؟!

الجنسية الكندية

لقد استطاعت زهيرة اجتياز سنة الحمل والولادة والرضاعة ، فكان جل اعتمادها على الرضاعة الصناعية ، كانت تحصل شمس على جزء من الرضاعة الطبيعية خلال الشهور الأولى من الولادة ، ثم ضعف لبن الأم رويدا رويدا حتى جف ، وكانت قد استعانت الأسرة بخادمة من فتيات أمريكا اللاتينية يستوردن للعمل كشغالات وخادمات في البيوت والشركات ، وكان الحصول عليها من شركة استخدام كندية لها مكتب في نوفا سكوشا .

وكان قانون الهجرة الكندي يسمح للوافدين إلى كندا بالحصول على الجنسية الكندية بعد مرور ثلاث سنوات من الإقامة في كندا ، فيراجع دوائر ومؤسسات الهجرة الكندية في العاصمة والمقاطعات ، ثم يقسم اليمين أمام المحاكم الكندية الخاصة بموضوع الهجرة وطلب المواطنة الكندية ، ويتعرض طالب الجنسية للفحص الطبي الشامل ، ويتعرض طالب الجنسية لفحص أمني تقوم به الشرطة والجهات المختصة بذلك ، ومن ثم يتعرض لفحص ثقافي عن كندا جغرافيا وتاريخيا ولغة وحقوق المواطنة ، ثم يمنح الجنسية الكندية بعد زمن يسير .

لذلك لما اقترب موعد حصول سامر وقرينته على تلك الجنسية ، كان سامر يقرأ ويزيد معلوماته عن تلك البلاد ...

تتألف حكومة كندا من ثلاثة مستويات ، ويوفّر كلّ مستوى عدداً من الخدمات المختلفة .

الحكومة الفدرالية تحكم البلاد ككلّ ، وتتكوّن من ممثلين منتخبين من كلّ مقاطعة في كندا ، يترأس الحكومة الفدرالية رئيس الوزراء ، ويضمّ البرلمان في كندا ٣٠٣ أعضاء بمن فيهم رئيس الوزراء ، تتحمّل الحكومة الفدرالية مسؤولية الدفاع الوطني ، وشؤون الهجرة والجنسية ، والقانون الجنائي، والنظام المصرفي ، بالإضافة إلى أمور أخرى .

الحكومة المحلية تتولى إدارة شؤون الحكم في مقاطعة نوفا سكوشا ، وهي تتكون من ٥٢ ممثلاً منتخباً من مختلف أنحاء المقاطعة ، يترأس الحكومة المحلية رئيس وزراء المقاطعة ، فالحكومة المحلية للمقاطعات هي المسؤولة عن الحقوق المدنية، والموارد الطبيعية، والضمان الاجتماعي،

والرعاية الصحية ، والتعليم ، والطرق السريعة ، والسيارات، وغيرها .

السلطات البلدية تتكوّن من ممثلين منتخبين من الحي السكني المحلي أو البلدة أو المدينة ، رئيس البلدية هو رئيس السلطات البلدية ، تتولى السلطات البلدية مسؤولية توفير الخدمات للسكان مثل الشرطة، والإطفاء، والطرق، وجمع النفايات، وإزالة الثلوج ، والحدائق العامة، والترفيه ، كما تنظّم البلديات المشاريع التنموية ، وقوانين عمل الشركات والمؤسسات التجارية ، كما أنّها توفر أنشطة مدنية وثقافية .

بلدية هاليفاكس إنّ اختصار إتش آر أم HRM يعني اسم بلدية منطقة هاليفاكس التي يسميها بعض الناس هاليفاكس أو هاليفاكس الكبرى ، وتطلق هذه التسمية أيضاً على البلدية أو الحكومة المحلية.

موقع بلدية منطقة هاليفاكس، عاصمة نوفا سكوشا ، على الساحل الشرقي لكندا، وهي أقرب مدن أمريكا الشمالية إلى أوروبا عند السفر جواً ، والأقرب إلى نيويورك وبوسطن من المدن الكندية الكبرى الأخرى.

يطلق على الساحل الشرقي لكندا كندا الأطلسية ، وهو يتضمن المقاطعات الأربع التالية : نوفا سكوشا ، نيو برونزويك ، برينس ادوارد آيلند ، نيوفاوند لاند ولابردور وتسمى المقاطعات البحرية دون الأخيرة

بدأ الاستيطان الأوروبي في هاليفاكس في عام ١٧٤٩ ، وقبل ذلك كانت المنطقة مأهولة بمجموعات الميكماك ، وهم سكان المنطقة الأصليين، ووجودهم في هاليفاكس مستمرّ حتى يومنا هذا ، للهجرة تاريخ طويل في هذه المنطقة ، فمن عام ١٩٢٨ إلى عام ١٩٧١ ، جاء أكثر من مليون مهاجر إلى كندا من خلال بيير ٢١ ، ميناء في هاليفاكس ، فاستقرّ العديد من المهاجرين هناك مما ساهم في تقوية ثقافة منطقة هاليفاكس ، هناك متحف يحمل اسم بيير ٢١ لسماع قصص المهاجرين ومشاهدة صورهم . ويطلّ وسط مدينة هاليفاكس على مرفأ هاليفاكس .

ويتميز شتاء هاليفاكس برياح قوية ، وأمطار غزيرة ومتجمدة ، وحرارة منخفضة ؛ لذلك يحتاج كل فصل لملابس خاصة فيه .



وكان الطبيب سامر ماجد يتقدم تقدما ممتازا في جراحة العظام والمفاصل ، وكانوا ينقلونه بين عدة مشافي في المقاطعة سواء في مستشفى الملكة اليزابيت الثانية أو مستشفى نوفا سكوشا ، وكان أحيانا يعمل في المستشفى ليلا سواء في قسم الجراحة للعظام أو قسم الطوارئ الذي يستقبل حوادث السيارات والدراجات ، ولقد كان يتحصل على دخل جيد جدا ، وكان يقضي ساعات خارج الدوام العملي في مراكز البحث العلمي الشائعة بكثرة هناك ، للقراءة ومتابعة تجارب الباحثين ، وعليه في نهاية الاختصاص أن يتقدم ببحث ودراسة للجامعة ليحصل على شهادة الاختصاص في الجراحة ، وعادة الاختصاص يكون بممارسة عملية أو أكثر للعمليات الجراحية تحت إشراف دكاترة كبار وجراحين ، وقبل أن تدخل شمس مرحلة ما قبل المدرسة (٣- ٥) كان الدكتور قد أتقن الفرنسية كاللغة الإنجليزية التي تقدم فيها أيضا بسبب الدراسة ، وبسبب التعامل مع أطباء وموظفين المستشفيات التي تنقل بينها ، وقد التقى خلال السنوات تلك بأطباء وعلماء في الجامعة ومراكز البحث ، وتيسر له النجاح في جراحة العظام ومنح الشهادة التي تؤهله لمعالجة العظام كسرا وأمراضا أخرى سبق الحديث عنها .

ولقد سرت وسعدت زهيرة بتقدم زوجها ونجاحه وتقدمه الذي شاع في الجامعة وبعض مشافي المدينة .

واستمر في عمله في مستشفى نوفا سكوشا حتى أنهت زهيرة بكالوريوس الطب العام ، وكانت الفتاة الصغيرة شمس قد انتقلت من مرحلة ما قبل المدرسة إلى مرحلة المدرسة .

إن التعليم العام مجاني ، ومتاح لجميع الأطفال في كندا ، ويتعلّم معظم الأطفال في المدارس العامة ، تضمّ بلدية هاليفاكس ١٠٠مدرسة ، و٣٠٠٠ معلم ومعلمة لمساعدة الأطفال على التعلّم.

يلتحق الأطفال الكنديون عادة بالمدارس عند بلوغ سن ٤ أو ٥ سنوات ، ويجب على الطفل أن يكون بعمر خمس سنوات في ٣١ ديسمبر أو قبل هذا التاريخ ليكون مؤهلاً لدخول المدرسة العامة خلال السنة الدراسية ، ويجب عليه البقاء في المدرسة حتى سن ١٥ أو ١٦ ، حسب المكان الذي يعيش فيه ، تمّ تقسيم نظام التعليم على النحو التالي : التعليم ما قبل الابتدائي (من عمر ٣ إلى ٥ سنوات) ، وهو متوفر في بعض المدارس ومراكز رعاية الأطفال النهارية، والمنظمات غير الربحية ، وكما يوجد بعض الأفراد الذين يوفرون هذه الخدمة.

التعليم الابتدائي من الصف الأول إلى السادس ، التعليم المتوسط من الصف السابع إلى التاسع ، التعليم الثانوي من الصف العاشر إلى الثاني عشر ، كلية المجتمع أو الجامعة ، وتتوفر في المنطقة المدارس الخاصة أيضا .

وكان الدكتور سامر قد تيسرت له فرصة عمل في مقاطعة كيبك الجزء الأكثر فرنسية في كندا قبل تخرج زهيرة ، فلذلك عندما تخرجت زهيرة انتقلوا كليا لتلك المقاطعة ، وكان سامر قد استأجر شقة منذ رحل إليها ، وكان يقضي عطلة الأسبوع في نوفا سكوشا حتى تخرجت زهيرة فاستقروا جميعهم في كيبيك في مقاطعة مونتريال ، وعملت زهيرة في نفس مستشفى زوجها المستشفى العام في المقاطعة ، وأخذت هي الأخرى تستعد لنيل الاختصاص في طب الأسرة والنساء .

فبعد استقرارهما في أحد المباني الكبيرة ذات الطوابق الكثيرة على جبل مونتريال ، واستقرت الفتاة في مدرسة ابتدائية حكومية أخذت زهيرة تستعد لحمل جديد ، وحدث ذلك الحمل بصعوبة بعد عدد متكرر من الإجهاضات ، ورغم تطور الطب وحداثته لديهم كسائر الدول الصناعية الكبرى في العالم تأخر الحمل وجاء المولود بعد حين ذكرا سمياه مجدا .

وبعد ولادته بشهور أصيب والده سامر بوعكة صحية ، قضى بسببها عشرة أيام في المستشفى العام الذي يعمل به تحت العلاج والمراقبة الذي بدأ كالتهاب في القصبات الهوائية ، وتطور لضيق نفس قاتل ومشاكل في الرئة ، ولما تعافى وتماثل للشفاء ، طلب منه طبيبه المعالج والمشرف على صحته أن يأخذ إجازة لمدة شهر يقضيها في مناطق دافئة ، ورشح له هالفياكس كما رغب سامر لأن صيفها جميلا معتدلا ، وفعلا بعد أيام من خروجه من المشفى رتب أمور الفتاة شمس مع الخادمة التي رحلت معهم من نوفا سكوشا الولاية الأطلسية ، وهم ارتاحوا معها ، والقانون في كندا يمنع بقاء الأطفال دون الثانية عشرة من البقاء في البيت وحدهم ، فهناك مراكز لرعايتهم ومتابعتهم ، وقد أخذت زهيرة إجازة من عملها لمرافقة زوجها في رحلة الاستشفاء والنقاهة ، وبواسطة أصدقائهم في تلك المنطقة حصلا على شقة مفروشة لمدة شهر واحد ، وفي هذه الإجازة القاهرة فقد الولد مجد ، فقد فارق الحياة بعد مرض لم يمهله كثيرا ، وهو أصلا قد ولد عليلا ، وقد أخبرهم طبيب الولادة أنه قد يعيش إذا تقدم به العمر ، وتتلاشى العلة مع تقدم العمر .

فأصيب الزوجان بالغم والكدر مع هذه المصيبة ؛ ولكنهما كمسلمين استسلما لقدر الله عز وجل وعادا لكوبيك يغمرهم الحزن ، وبكت الطفلة ذات العشر سنوات شقيقها الصغير عندما رجعا بدونه ، وأخذ سامر يرغب زهيرة بالعودة للوطن بعد أن نالا حظهما من العلم والشهادات في هذه البلاد الشاسعة ، فهي ثاني أكبر بلد مساحة في العالم يسبقها الاتحاد السوفيتي ، وتحسن له زهيرة البقاء في هذه الأرض الجميلة ، وقد تعودا وتكيفا على مناخها وطقسها وجمالها وبحارها وأنهارها ، وهو بالمقابل يزيد الضغط عليها للعودة للوطن والشمس الساطعة والمناخ المعتدل ، وهي تأخذ بالتوسل إليه للبقاء في كندا ، وتخلل ذلك المحاولة للحمل من جديد بالدعاء إلى الله تعالى ، والاستعانة بخبرتها بالطب وزملاء المهنة حتى مضت سنة على وفاة مجد دون فائدة ، فقال سامر متنهدا بعمق : اشتقت لأمي يا زهيرة .. فلنذهب لزيارة أهلنا.. ألم تشتاقي لأمك بعد عشر سنوات أو إحدى عشرة سنة ؟

ـ اشتقت ، وفي الأسبوع أتحدث معها مرة أو مرتين .. وقد زارتنا أمك قبل خمس سنوات ، وأنت

تتحدث معها في الأسبوع مرتين أو ثلاث .

ـ أنا جئت للدراسة فحسب ، لم نأت لقضاء كل العمر عند هؤلاء .. أتريدين أن ترين شمسا تمشي بالشوارع بالشورت والثياب القصيرة ؟ .. إنها تكبر وتدخل سن المراهقة ، وقانون حماية الأسرة يمنعنا من فرض شيء عليها .. فنحن نرى أبناء العرب والمسلمين يقلدون أهل البلاد في كل الأشياء ..هذه دولة ليبرالية .. لا يمكنك منع شمس من ذلك .. فهي في سن التمرد .



الدكتور سامر طغت على قلبه فكرة العودة للبلاد سواء كان ذلك شوقا لأمه وأهله كما تحدث يوما لزهيرة أم خوفا على ابنته الوحيدة من عادات وتقاليد البلاد أم غير ذلك من الحجج والأعذار ، وبعكسه كانت زهيرة ، فهي سعيدة بحياتها في كندا ، سعيدة بعملها في قسم النساء وطب الأسرة في المستشفى العام في المدينة وغيرها من مراكز الطب والعلم ، وسعيدة بأصدقائها العرب وغير العرب من العاملين معها وغير العاملين ممن تعرفت عليهم خلال العلاج والمراجعة .

وعلينا أن نعرفك أيها القارئ الكريم على تلك المدينة ، كما تعرفت على مدينة نوفا سكوشا .

يقولون إن كيبك هي أكبر مقاطعة كندية من ناحية المساحة ، والثانية من ناحية التقسيم الإداري بعد إقليم نونافوت ، تقع في شرقي كندا ، تحدها الولايات البحرية من الشمال والشرق ، وتحدها من الغرب مقاطعة أونتاريو، خليج جيمس وخليج هدسون إلى الشمال عن طريق مضيق هدسون وخليج **Ungava** ، ومن الشرق خليج سانت لورانس ومقاطعات نيوفاوندلاند ولابرادور ونيو برونزويك ، ومن الجنوب تحدها الولايات المتحدة ماين ونيوهامبشير وفيرمونت، وولاية نيويوركما تشارك الحدود البحرية مع نونافوت وجزيرة الأمير إدوارد، ونوفا سكوشيا .

وبالنسبة للمناخ ينقسم في ولاية كوبيك إلى قسمين، في الشمال يسود الشتاء الطويل البارد حيث يسيطر التجمد ، وتتدنى درجة الحرارة فتصل إلى ما دون الصفر، والصيف قصير دافئ ، وتنتشر بالإقليم الغابات الصنوبرية.

وأما سكان كوبيك فهو الأكثر عددا بعد أونتاريو ، يعيش معظم السكان في المناطق الحضرية بالقرب من نهر سانت لورانس بين مونتريال ، وهي أكبر مدنها، ومدينة كوبيك ، أما المناطق الوسطى الشمالية من المقاطعة فهي قليلة عدد السكان ، ويقطنها في المقام الأول شعوب أميركا الأصليين ، تلعب القومية دورا كبيرا في السياسة في المقاطعة ، كما تحاول الأحزاب الثلاثة السياسية الرئيسية الحصول على قدر أكبر من الحكم الذاتي والاعتراف للشعب الكويبيكي كأمة.

قد عرفت أول اكتشافها بفرنسا الجديدة ، أو كندا ، وذلك في سنة ١٥٣٤ م حتى ١٧٦٣ م ، ثم عرفت باسم مقاطعة كوبيك حتى سنة ١٧٩٠ م ، ثم عرفت بعد ذلك باسم كندا الدنيا ، ثم كندا الشرقية ، وبعد انضمامها للاتحاد الكندي أطلق عليها مقاطعة كيبيك ، وجرت محاولة لفصلها عن كندا في سنة ١٩٨٠ م في استفتاء عام .

عاصمتها مدينة كيبك تحمل نفس الاسم ، وأهم مدنها مونتريال واللغة الرسمية في مقاطعة كيبك هي الفرنسية، من جانب لغتها وثقافتها ومؤسساتها ، فإنها تشكل دولة داخل كندا.

وكيبك من ناحية التاريخ مستعمرة فرنسية حملت اسم فرنسا الجديدة بحكم تابعيتها لفرنسا الأم ، ثم مستعمرة تابعة الإمبراطورية البريطانية ، كيبك سيتي هي أهم تجمع حضري بشرق كندا ، ويأتي موقعها بالمنطقة المأهولة بولاية الكيبك على ضفاف نهر سان لوران ، تعتبر المدينة الأكثر استقرارا في البلد من بعد أدمونتون وكالجاري ، ومعدل البطالة بها هو ثالث أقل نسبة في كندا ، القطاعات التي في نمو هي السياحة والمعامل وعلوم الحياة والصحة والتغذية ، وقطاعات التأمينات والتكنولوجيا التطبيقية ، لدى كيبك الميناء الثالث الأكبر بكندا ، كيبك مشهورة بتاريخها ومتاحفها ومعاهدها الثقافية ، وتلقب بمدينة المسرح ، لها ثمان بلديات .

والذي اكتشف موقع كيبك هو الفرنسي جاك كارتييه ١٥٣٥، هو ورجاله اكتشفوا قرية تسمى ستادا كوني، وكان في استقباله دونا كونا، قائد هذه القرية (الذي التقاه كارتييه في أول رحلة في ١٥٣٤) ، على الرغم من الترحيب الحار وتحذير دونا كونا قرر كارتييه بعد يومين على مواصلة الطريق إلى النهر، حيث مات مرافقوه بسبب الإسقربوط ، فقرر العودة إلى ستادا كوني لدى عودته وجد أن الرجال يقومون ببناء قلعة سانت كروا ، وموقعها الحالي يقع بالقرب من جسور كيبك وبيار لابورت .

مدينة كيبيك تأسست رسميا من قبل صمويل دو شامبلان بتاريخ ١٦٠٨ م على الموقع الذي يقع بالقرب من قرية ستادا كوني ، الموقع الذي يعرف الآن بالمكان الملكي فأصبح مهد الفرنكوفونية في أمريكا الشمالية .

في نهاية الحكم الفرنسي، كانت المدينة محاطة بغابات وحقول شاسعة ويقطنها حوالي ٨٠٠٠ شخص ، وامتازت بطابعها المعماري الفريد ، وأسوارها العالية ؛ لكن رغم حضريتها ومكانتها كعاصمة ، ظلت كيبك مدينة صغيرة مرتبطة بفرنسا كثيرا . في عام ١٧٥٩ احتلتها القوات البريطانية ، وباتت حدثا مهما في حرب السنوات السبع لكنها أصبحت خرابا.

وبعد ثلاث سنوات معظم الممتلكات الفرنسية في أمريكا الشمالية تصبح بحوزة بريطانيا. في أعقاب المؤتمر القاري الثاني في ١٧٧٥ ، قبل الثورة الأمريكية ، تتعرض الحامية البريطانية لمدينة كيبك للهجوم من قبل القوات الأمريكية دون جدوى بقيادة بنديكت ارنولد في معركة كيبك (١٧٧٥).

بعد خمس سنوات من الكونفدرالية الكندية في ١٨٧٢ ، قرر الحاكم العام لكندا ، اللورد دوفرين ، إنشاء المقر الرسمي للقلعة في كيبك ، لدى وصوله إلى كيبك، أراد اللورد دوفرين أن تكون مدينة كيبك مدينة سياحية ، فأمر بإعادة بناء الجدران ، حيث كان سكان كيبك قد أخذوا من الأسوار أجزاء لبناء المباني، وأمر بإقامة الشرفة التي لا تزال تحمل اسمه.

طوال القرنين التاسع عشر والعشرين ظلت مدينة كيبك الوجهة الرئيسية لعدد متزايد من

المهاجرين إلى كندا ، الذين غادروا سنويا الجزر البريطانية قادمين إلى أمريكا الشمالية ، وذلك بسبب موقعها على نهر سانت لورانت ، الذي كان الممر المائي الرئيسي في أمريكا الشمالية ، وهكذا ، وإلى سنة ١٨٣٠ ،استضافت مدينة كيبك متوسطا سنويا بـ ٣٠٠٠٠ من المهاجرين الجدد ، وكان ثلثاهم من إيرلندا.

كيبك كانت عاصمة كندا من ١٨٥٩ إلى ١٨٦٥ ، وآخر عاصمة قبل أن يتم نقلها إلى أوتاوا .



قصر فرونتناك

تم في ١٩١٧ بناء جسر كيبيك الذي يربط كيبيك الواقعة في الضفة الشمالية لنهر سانت لورون بليفيس الواقعة في الضفة الجنوبية ، وهو ليومنا هدا أطول جسر في العالم ، إلى يومنا هذا كيبيك هي عاصمة ولاية كيبيك ، والتجمع الأضخم بكيبيك من أفضل المواقع المعمارية يقع شرق أسوار المدينة في كيبيك القديمة والساحة الملكية ، تتميز تلك المواقع بطابعها الأوروبي القديم حيث المباني الحجرية تمتد على طول الشوارع لتصل إلى المطاعم الفخمة والمتاجر ، أهم البوابات هي بوابة سانت لويس وسانت جون ، تصل منهما إلى وسط المدينة الحديثة ، إلى الغرب من الجدار يوجد مبنى البرلمان ومقاطعة سهول إبراهيم.

المدينة العليا ترتبط بالمدينة السفلى عبر سلالم كسر الرقبة وكيبيك القديمة، وتشمل هذه المواقع على كنيسة نوتردام دام دي فيكتوار والمنطقة التاريخية بيتي شمبلن ومنطقة الميناء ومتحف الحضارة ، المدينة السفلى تمتلأ بالشوارع الأصلية والهندسة المعمارية والتصاميم، والتي يعود تاريخها إلى بدايات المدينة ، الجدران والتماثيل تبرز أيضا ، للمدينة السفلى أيضا تشكيلة واسعة من المحلات، وتتضمن العديد من السلع اليدوية الحرفية.

أفق مدينة كيبك يهيمن عليه فندق قصر فرونتناك الضخم ، والمعلق فوق جبل الألماس ، ويقع الفندق بجانب شرفة دوفورين ، وجسر للمشاة على طول الحافة .



كنيسة نوتردام دام دي فيكتوار بالمدينة السفلى

قرب قصر فرونتوناس توجد كاتدرائية نوتردام دي كيبك ، وهي الكنيسة الأم لأبرشية الروم الكاثوليك بكيبك ، وهي أول كنيسة في العالم الجديد التي تصبح كاتدرائية .

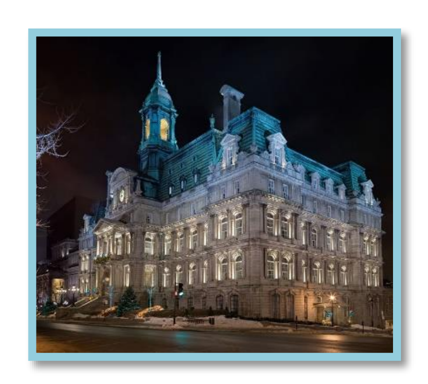


لنتعرف على مونتريال بما أننا مع السيدة زهيرة في ربوع كندا ، والتي عاشت بها الدكتورة سنوات بعد هاليفاكس .

مونتريال مدينة كندية مهمة ، وهي أكبر مدن مقاطعة كيبك ، وأكبر مدينة كندية حتى سنوات ١٩٧٠، مونتريال تنافس تورونتو كأكبر مدينة في كندا ، تقع في مقاطعة كيبك ، وهي كبرى مُدن العالم المتحدثة بالفرنسية بعد باريس ، ثلثا السكان في مونتريال من ذوي الأصول الفرنسية ويتحدثون الفرنسية ، تعتبر مونتريال واحدة من أكبر موانئ العالم البحرية الداخلية ، والمركز الرئيسي للنقل في كندا ، وهي

أيضًا مركز رئيسي للأعمال الصناعية والثقافة والتعليم الكندي. تم تشييدها على جزيرة بين نهري ريفيير دي بريري شمالا ، وسانت لورانس جنوبا ، أما ميناء مونتريال فيقع في نهاية ممر

سانت لورانس سيواي البحري.



ويُعدُّ موقع مونتريال فريداً من نوعه ؛ فهي تقع على جزيرة داخل نهر سان لوران ، بنيت حول جبل مون رويال بالفرنسية **Mont Royal** وهي المدينة الكندية الكبرى الوحيدة التي بنيت حول جبل ، تغطِّي مونتريال حوالي خمسي مساحة جزيرة مونتريال في مكان يلتقي فيه نهرا سان لوران ، وأوتاوا في كيبك الجنوبية . يبلغ ارتفاع جبل مون رويال ٢٣٣م وتغطيه الأشجار، ويوجد اليوم في قلب المدينة.

يُحاذي مونتريال القديمة نهر سان لوران بين شوارع بيري ومكغيل، وتقف كثير من مبانيها القديمة جنبًا إلى جنب مع المباني العالية الحديثة ، وتغطي المطاعم الساحرة والمنازل التاريخية والمتاجر الصغيرة شوارع المنطقة الضيقة ، وكثير من هذه الشوارع مرصوفة بالحجارة الكبيرة.

بني برج مونتريال تايلور عام ١٩٧٦، وهو أعلى برج مائل في العالم ، يرتفع إلى ١٧٥م ، وينحدر إلى ٤٥ درجة وهو موقع سياحي .

تبلغ مساحة مدينة مونتريال نحو ١٧٠كم٢، أما كمجمع حضري فتزيد مساحتها على ٣٠٠٠كم مربع ، وينتمي مناخ مونتريال إلى نموذج المناخ البارد والرطب ذي الصيف القصير والشتاء الطويل الذي تتساقط فيه الثلوج بغزارة ما بين شهري تشرين الثاني ونيسان ، والصيف القصير لطيف الحرارة ، متوسطها في شهر تموز (أحر شهور السنة) ٢١°م ، أما متوسط حرارة أبرد شهور السنة كانون الثاني فهي ١٢°م تحت الصفر.

وتعد منطقة مونتريال الكبرى ثانية أكبر منطقة حضرية في كندا بعد تورونتو ، ويعيش حوالي ١١٪ من سكان كندا في مونتريال الكبرى ، تتكون منطقة مونتريال الكبرى من حوالي ٧٥ مدينة وبلدة ، يعيش حوالي ٦٥٪ من سكان هذه المنطقة خارج المدينة .

ويعتبر الكنديون ذوو الأصل الفرنسي أكبر مجموعة في المدينة ؛ حيث تظهر أكثر اللافتات في



سوق جون تال

جميع أنحاء المدينة باللغة الفرنسية ، وقد وُلدَ حوالي ٢٠٪ من سكان مونتريال خارج كندا ، ويشكل سكان كندا من السلالة البريطانية ثاني أكبر مجموعة ، وقد استقر في المدينة مئات الألوف من المهاجرين من أوروبا والشرق الأقصى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥ ، تعيش جالية عربية كبيرة في مونتريال تقدر نسبتها بِـ ٥٪ من إجمالي السكان .

أُسِّس نظامُ الدراسة في مونتريال على أساس اللغة والدين ، تتم الدراسة بالفرنسية أو الإنجليزية وتوجد مدارس الرومان الكاثوليك والبروتستانت ضمن كلِّ مجموعة لغوية ، ويوجد في مونتريال أيضًا أربع جامعات أشهرها جامعة مونتريال وجامعة مكغيل

واستولت القوات الإنجليزية على مونتريال عام ١٧٦٠م ، وأصبحت كندا ـ بالتالي ـ مستعمرة بريطانية وفقاً لاتفاقية باريس الموقعة عام ١٧٦٣م ، وسرعان ما تطورت مونتريال إلى مركز تجاري بريطاني ، وتركزت المصالح الفرنسية على الزراعة ، أُنشئ معرض عالمي في مونتريال في عام ١٩٦٧م (إكسبو ٦٧) ، وقد استضافت المدينة أيضاً دورة الألعاب الأوليمبية الصيفية في عام ١٩٧٦م .

الطلاق

لم يهدأ سامر بأمر إنهاء خدماته في كندا ، بل بدا مصرا ومصمما على العودة للبلاد ، فكان يتكرر الحوار بينهم كلما اجتمعا وأتيح لهما النقاش ، أحيانا هادئا وأحيانا أخرى حادا عاصفا ، فقال لها بعد أن خلا البيت من زوارهم ، وذهبت شمس إلى حجرتها وغرفة نومها ، وانصرفت الخادمة المستأجرة أيضا للنوم وخفت الأضواء في الحجرات : ماذا فعلت بالنسبة للعودة للديار أنا لم تعد لي طاقة للبقاء .. جئنا للدراسة ، وقد وفقنا الله ، ودرسنا وعملنا .. نحن أتينا في طلب الطب ، ونلنا ذلك .. ألا يكفي كل هذه السنوات من الغربة ؟!

كانت زهيرة تسمع ذلك ، وقد سمعته من قبل ، ولا يكاد يخلو مجلس بينهم من الحديث حول العودة للبلاد حتى الأصدقاء سمعوا بذلك ، فردت بعد صمت : أليس هناك شغل كهذا ؟.. سنقضي عمرنا ومصيرنا بين المستشفيات والعيادات .. فما الفرق يا سامر ؟

تطلع في عينيها للحظات وقال : عجبا من حديثك ! .. وجزء من كلامك صحيح .. ولكن هناك بين أهلنا وإخواننا ، نفرح معهم ، ونحزن معهم .. الأصدقاء هنا لا يغنون عن الجلوس مع الأشقاء مع الأم .. أبي مات ولم أره إلا ميتا .. الدكتور ماهر صديقنا مات ، ولم نشارك في جنازته .. لا أستطيع أن أصبر حتى أرى شمسا تعانق كنديا ؛ كأنها تعانق أخا لها أو عما .

ـ لست أدري ما الذي يعجبك في بلاد العرب ؟ حروب .. واحتلال .. وفقر .. هذه بلاد قد استقلت من مائتين سنة فقارنها بأي بلد عربي من المحيط للخليج ، ستجد أنها بلاد شامخة .. شعوب تريد الحياة .. التطور الكبير والجمال واستغلال الموارد .. كل شيء مثير للحياة هنا .. لماذا لا نظل فيها ؟!

ـ أليس لديك رغبة برؤية أمك بعد كل هذه السنين ؟!

ـ أمي عند زوجها .. طول عمرها مع أزواجها .. وكنا نلتقي على الهاتف .. وأحيانا تزورني أو أنا أزورها .. واليوم نلتقي على الهاتف ، ونسمع صوت بعضنا ، ونعبر عن مشاعرنا نحو بعضنا وإذا عدنا سيستمر أكثر ما بيننا على الهاتف .. لا فرق كبير بين هنا وهناك .

ـ هذه أفكارك وحياتك ، أنا صممت على العودة ، فكري جيدا بعلاقتنا وحياتنا .. يظهر أن صديقك هنري مؤثر عليك بأفكاره وشخصيته

ـ جميل منك قولك صديقك هنري! .. هنري مجرد صديق مستشفى ، أحبنا يا سامر ، وهو صديقنا جميعا

ـ إنه هو الذي يشد على يدك للبقاء في جنة كندا ، ولقضاء عمرك هنا .. وأنت تعرفين سمعة زوجته السيئة في المستشفى وفي الجامعة .. وغيرتهم على نسائهم وبناتهم تختلف عن غيرتنا .

ـ أنا لا أعتقد أنها تمارس الزنا أو الحب كما يسمونه .. إنما هي إشاعات هي قالت لي ذلك ، وقالت أيضا إنهم يثيرون هذه الأقوال ليحدث الطلاق بيننا ، هناك ممرضة ذات علاقة خاصة به ، وتطمع بالزواج منه لا تريد أن تبقى العلاقة بينهما علاقة صداقة فقط

فقال : على كل ليس لنا دخل في حياتهم الخاصة ؛ ولكنني سمعته كثيرا يهمس لك حاثا على البقاء في بلاده ، وعدم الإصغاء لي في هذا الأمر .. لم يبق لي صبر .. ألسنا جئنا للتعلم ؟ وتعلمنا وسنمارس عملنا في بلدنا ونخدمه كما خدمنا هذه البلاد .. فعليك أن تحسمي أمرك وقرارك .

ـ لكن الناس هنا أرقى والتعامل معهم أحسن .. وأنت لم تترك لي أي خيار .

قال بضجر وتأفف: الناس ناس في كل مكان وزمان ، لكل قوم ثقافتهم وتاريخهم .. نحن هاجرنا إلى هنا ليس من أجل المال .. كثير من المهاجرين يتركون بلدانهم من أجل الثروة والمال وبعضهم هربا من الاضطهاد والظلم..فالحياة الاقتصادية الفضلى مقصد للأفراد والشعوب والدول .. الحمد لله أنه جاء كلانا من أجل العلم الحديث في بلادهم كغيرنا من الطلاب والمبتعثين من بلادهم .. فلسنا فقراء ، وقد كسبنا ثروة كبيرة خلال هذه السنوات الماضيات .. ولسنا مضطهدين سياسيا وثوريا لنبق هنا .. أرجو أن تفكري جيدا بالسفر معي لا أريد أن نخسر بعضنا البعض بعد هذه السنوات الجميلة الطيبة بيننا

ولما رآها لم تعقب بل تنظر إليه مشدوهة تابع قائلا : أنت تعرفين ظروف زواجنا .. تعرفنا عن طريق المرحوم الدكتور ماهر طه لتحقيق مصلحة لك ومصلحة لي .. والشكر لله أنني حققت

ما أصبو إليه من التخصص في جراحة العظام والكسور .. وأنت حققت التخصص بالأمراض النسائية والتوليد وطب الأسرة .. وتلقين محاضرات علمية في كليات الطب ، ومراكز الطب ، ومحاضرات ثقافية في مراكز وجمعيات عربية وإسلامية .. فيمكننا أن ننشئ مستشفى صغيرا في بلادنا ، ونخدم البلد الذي ولدنا وترعرعنا فيه، أليس له حق علينا ؟

قالت : لهم حق يا سامر .. أنت تحكم العاطفة في أمور مهمة .. ولا تنس أن هذا المال الذي نجنيه من هنا يستفيد منه الأهل .. والمشاريع التي تتحدث عنها يمكننا أن نقدمها للبلد ونحن هنا.. ولك ولي مساهمات مالية في شركات هناك مع بعض إخوتك .. والبلد لا تخلو من الكوادر الطبية والعلمية .. فلسنا نحن أول من يتعلم ليخدم بلده من الهجرة .

ـ العيش مع الأهل والأقارب له محاسنه .. ولا تجعلي عقدة ابن عمك تكرهك أهلك الآخرين واحد سيء من بين عشرات من الطيبين .. لا أريد أن تموت أمي وأنا هنا .. أصل وأجدها ميتة كما حصل عندما سافرت عند مرض والدي فلما وصلت كان ميتا .. ألا يحق أن أعيش معها وبقربها باقي العمر ؟ أرجوك وافقي على العودة لنبق أحبابا وأزواجا

ـ سأفعل وأفكر وأحسم الأمر .. أعلم عظم شوقك لإخوتك وأخواتك وأمك قبلهم .. أنا لا أهل لي يا سامر اشتاق إليهم .. مات عادل عمي دمعة لم تخرج من عيني عليه .. ليس ذلك بيدي لم يهزني موته لم أحبه يوما ما.. هم أعمام بحكم الولادة .. ومات غيره لم أحزن .. سأفكر بمصيري يا حضرة الدكتور العزيز على قلبي .

ترك سامر زوجته تفكر بمصيرها معه ، وأما هو فباشر بفك التزامه مع المستشفى العام في مونتريال مقدما استقالته للإدارة ، وأخذ بإجراءات الانفكاك وإبراء الذمة من دوائر المشفى ، والدوائر الطبية ذات الاختصاص ومن صحة المقاطعة ، وسعى إلى أخذ الشهادات والخبرات اللازمة للحياة .. وذات ليلة قالت زهيرة : يقول السيد هنري إنك قدمت استقالتك من المستشفى

ـ أنا لم أقل لك .. أنا آسف يا عزيزتي .. أنا حسمت أمري ، كما تعلمين مللت وكرهت كل

الغربة .. عليّ أن أعود لأمي .. كلما نتكلم تقول متى ستعود ؟

ـ وأنا ؟!

قال بحزم : أنت إما أن ترحلي معي لنكمل المشوار معا في ربوع الوطن أو ننفصل عن بعض بالمعروف والحسنى .. وكل له طريقه وحياته ، وسنبقى أصدقاء ، فبيننا شمس .

ـ وشمس ؟

ـ قانون هؤلاء يسمح لها بالبقاء معك إلا إذا تنازلت لي عنها .. لن افرق بينك وبينها .

فقالت ساخرة : أتتركها هنا للضياع كما تزعم ؟

ـ إذا بقيت هنا ستبقى معك .. لا أستطيع أخذها ، فهي ابنة هذه البلاد كما يقولون حتى تبلغ سن الرشد فتستطيع الاختيار .. وأنا مناي أن تذهبي معي لتذهب الفتاة معنا ..

قالت بعد هنيهة : سامر إذا كنت بحاجة لزواج تزوج هنا ، طلقني وتزوج فأنت بحاجة لمزيد من البنين والبنات .. أنا أدرك حقا أنك راغب بالذرية أعرف شعورك وحاجتك لذلك بعد كل هذا الصبر والانتظار .. أنا امرأة مريضة لا تستطيع الإنجاب .. ابق وطلقني وتزوج ولنبق أصدقاء .

ـ صحيح لدي رغبة بالأولاد ، وهذا حق لي أليس كذلك ؟ وهنا التعدد ممنوع وكان بإمكاني طلاقك ، وإنهاء العلاقة الشرعية التي بيننا .. لكن صدقي أنني أرغب بالعودة اليوم قبل غد .. أنا بحاجة فعلا للعودة لبلادنا والحياة فيها

ـ أنا أعرف من سقطات لسانك رغبتك بالزواج ، وإنك لن تحقق ذلك هنا ..وإذا كنت تراني عائقا لزواجك للبقاء هنا فطلقني ولا تهتم

ـ لن أتزوج هنا يا زهيرة .. نحن لن نعدم العلاج في بلادنا وأرضنا ، وستنجبين بإذن الله

ابتسمت وقالت : أنا طبيبة نسائية يا دكتور وأخصائية نساء فأعرف أنني عاجزة عن الإنجاب لديّ عدة مشاكل في الجهاز التناسلي وقد يطول العلاج .. فإذا كان هذا سبب رغبتك بالعودة فأنا مستعدة لطلب الطلاق والانفصال بكل صدر رحب أو غير رحب .. وأما إذا عدت معك

وطلقتني فستكون كارثة بالنسبة لي ولمشاعري وشماتة الأقارب .. هنا حياتي !

قال مشجعا : عودي معي ، ولن يحصل الطلاق وسنبقى متزوجين ويكفينا شمس

ـ عندما ترى أبناء إخوتك وأخواتك وأنت بدون ولد يحمل اسمك ...

فقال مقاطعا : عادات قديمة

ـ أنت كما قلت كان زواجنا زواج مصالح ؛ لأنني لا أستطيع الهجرة للغرب بدون زوج أو محرم حسب تقاليد بلادنا المحافظة

ـ هذا صحيح ؛ ولكنك تعلمين علم اليقين أنني أحببتك ، ولم يجبرني أحد على الزواج منك، وإن كان فيه لفتة إنسانية ، وزواج المصالح ليس محرما في شرعنا .. وأنا لست طامعا بثروتك ومالك ، وها هي سنوات طوال مرت علينا دون أن اضغط عليك لأخذ مال منك ، إنما مساهماتك ـ وأشكرك عليها ـ كانت برغبة منك وحسب عادات هؤلاء الناس .. والزواج كان بترتيب من صديق الوالد الدكتور ماهر الوصي عليك ، وكان حريصا عليك ، ويسعى لسعادتك وعلى طهارتك .. والكثير من الفتيات يسافرن اليوم وقبل اليوم بدون محرم شرعي أو زوج ، ولا يفكرن بهذا الأمر .. لكن الدكتور لما رأى رغبتك بالهجرة ، ولديك إصرار خاف عليك من أخطار وأضرار الغربة خاصة في بلاد تقاليدها وعادتها تختلف كثيرا عنا .. ففضل زواجك .. وأنا متأكد أنك يمكنك الحياة والعيش هنا بمفردك خاصة بعد هذه السنوات من معاشرة القوم ..

بعدما صمت همست زهيرة : أسبوع واحد ، وسأضع بين يديك القرار النهائي .

ـ أسبوع .. تحتاجين أسبوعا من التفكير .. عجيب هذا ! .. الأمر لا يحتاج إلا إلى دقائق .. نعم أم لا .

زهيرة كما رأينا من خلال صفحات حياتها في وطنها ، لم يكن لها ارتباط وجداني بأحد سوى أمها هناء ، وربما أدركنا أنها لم تكن تلك العلاقة الحميمة بينهما ، فكانت زهيرة ترى أن أمها لم تضح من أجلها بشيء .. فهي ما زالت تتخيل ليلة وفاة أبيها غاضبا على أمها ، لم تنس تلك

الدقائق الخطيرة ، ما زالت ذاكرتها تذكرها بها .. وعايشتها أرملة ، وعايشتها عندما تزوجت ثانية في بيت الدكتور مروان شقيق الوصي .. وربما لمست لها العذر لتقاليد المجتمع بتزويج الأرملة أو المطلقة ؛ لأنهم يرون من الأفضل للمرأة الحياة مع زوج بدلا من أخ أو أخت .. وسنوات أمها مع مروان كانت سنوات سيئة بالنسبة لزهيرة ؛ لكثرة مشاكل أمها مع الرجل من أجل الولادة والحمل .. ثم انحراف أمها حتى طلقت ، ثم تزوجت ثالثة بعد وفاة أبيها .. فقد تسببت بموت أبيها ، ومن قبل أبيها مجدي .. فلم تغدق عليها من الحب والحنان الكثير ، كانت تريد البنين والبنات .. وحتى في أيام تقدمها للتوجيهي كانت تعيش زهيرة مع جدتها .. فالحرارة بينهن لم تكن بتلك القوة المعروفة بين الأم والبنت .

كانت الدكتورة تفكر بتلك السنوات التي قضتها بين الأهل والأقارب ، وهي تفكر بالقرار الذي وعدت سامر باتخاذه .. تذكرت حياة أمها في بيت الطبيب مروان الذي شجعه الوصي على الستر عليها .. كانت مشاكل حادة تدور في البيت دون مراعاة لمشاعرها ووجودها ، حتى يئس الرجل وتركها تتصرف بحياتها كما تشاء ، وسمح لها بالعمل حتى أثيرت حولها الشكوك والأقوال المبهمة بشباب يعملون معها .. وكانت زهيرة مستاءة من أمها تلك الأيام .. ثم حدث الانفصال وقد زاغت أمها عن الخط المحافظ ، وأخذت تسكر وتسهر وتتعاطى الحشيش وغيره وتعلقت بشاب أصغر منها بعشر سنوات ، وكانت تطارده للزواج منه .. يا لها من أيام ! هكذا همست لنفسها وهي تستعيد تلك الأيام من ذاكرتها .. لقد صعقت يومها من مراهقة أمي ، وقلت كل هذا من أجل أن تلد ولدا ! .. وعلى أثر موت والدها محمد استيقظت من غفلتها وانحرافها ، وتابت وآبت ، ثم قبلت بالزواج من رستم الضابط المتقاعد .. وبقيت هذه المرة في بيت جدتها، رفض رستم أن تعيش معها في بيته لأنها صبية .. عاشت مع الخادمة الآسيوية التي كانت تنفق عليها من مالها الخاص ، لم يتطوع عم أو خال أو أم ليدفع راتبها ونفقاتها من هدايا وكسوة .. مالها الذي دفع كل هذا .. ولولا وصاية الوصي ـ رحمه الله ـ لشجعتها أمها على الزواج للخلاص من أي مسؤولية اتجاهها وربما زوجتها من ميلاد .. فعلاقتها الوجدانية مع

الأعمام والأخوال ضعيفة مراسم ومناسبات .. فلا يجذبها لبلدها ووطنها إلا الجاذب الحنيني لمسقط رأسها كما يفعل سمك السلمون الذي يعشق الموت في موطنه الأول .. ثم تذكرت أنها ولدت في الخليج العربي من ناحية الولادة .. الحنين الجذري لموطن الآباء والأمهات .. قضية معقدة .. لماذا تعود ؟ الحياة هنا كما هي هناك .. والموت هنا كما هو هناك .. لا أعرف الفروق التي يكتب عنها العلماء والأدباء والشعراء .. فليس هناك ما يجذبها للعودة حتى بعد أن نالت حظها من العلم .. ولها أصدقاء وصديقات ومرضى وعمل ونشاطات ثقافية واجتماعية .. وهي تدرك إدراكا تاما أن سامرا يسعى للعودة ليس من أجل الشغل ، فالمال هنا أكثر بكثير من بلد نام كما تسمى بلاد العرب والمسلمين هذه الأيام .. فهو يسعى للعودة للروابط القوية بينه وبين أهله .. فترده الاتصالات الكثيرة والرسائل الكثيرة .. من الأخوة والأخوات وأبنائهم .. وهو جاء كما قال للاختصاص ونيل شهادة الطب من الغرب لأهمية ذلك في بلاد العرب هذه الأيام وإلا فأن هناك مجالا لنيل الاختصاص .. فشهادات هذه البلاد تؤهله للعمل في كل الدول المتحضرة والمتطورة .. فهي تعرف الأثر النفسي الكبير الذي تتركه هذه الشهادات من أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية عندما يقال جراح من جامعة كذا وكذا .. وألم تتحمس وتسعى هي نفسها لطلب الشهادة من بلاد الغرب ؟ عندما فتح لها العميد ذلك الباب من التشجيع لم تصبر لتأخذ البكالوريوس من بلدها .. ألا تتلقى استشارات من شتى المدن في الغرب ومراكز البحث في مسائل الطب والعلم ؟! وهي تعلم أن الرجل يريد الذرية .. وما محاولات علاجها المستمرة والمتكررة إلا من أجل هذا المقصد .. وكم كان حزينا عند موت ابنه مجد !.. فرغم صغرها لم تحمل حملا كاملا إلا مرتين، وولد مجد عليلا ضعيف البنية ، ثم مات .. ورغم تقدم الطب هنا لم يفعلوا لها شيئا يذكر .. تركوا ذلك للزمن ، وتعالجت ، ولم تنجح في الحمل لمشاكل طبية تعرفها جيدا .

تركت العمل لعدة أيام ، وبعد عقد عدة جلسات تفكير مع نفسها ، حسمت أمرها ووصلت للحل المناسب لها ، فعقدت مع شريكها اجتماعا بعيدا عن شمس فقالت : من حقك أن يكون

لك ذرية يا سامر .. لقد كنت أرى أمي وهي تقاتل من أجل الذرية .. من أجل أن يكون لها أبناء مثل أمها وأخواتها وسائر إخوتها .. ولم يقدر لها ذلك من أبي ، ومن مروان شقيق ماهر رحمه الله .. وقد ينعكس الأمر عليّ .. أنا لا أستطيع أن أحمل لأمراض تعرفها في الجهاز التناسلي وأنا لا أستطيع أن أعيش زوجة ثانية ، فأنكد عليك وعلى زوجتك .. فسنرتب أمر الطلاق والانفصال .. وسوف نوضح لشمس القضية بأيسر السبل ، وهي التي تختار بيننا بملء إرادتها وحريتها ، لن أوثر عليها عاطفيا أو عقليا .. وأرجو أن يبقى لي في قلبك شيء من الحب والود وأخذت تمسح دموعا سالت على وجنتيها فقال : هذه هي الحياة يا أم شمس .. صدقي أنها أجمل سنوات العمر .. نعم الزوجة والصديقة ، ولا أنسى الاحترام الكبير الذي وجدته منك لشخصي وأهلي ، ولدي سبب وحاجة وقد حققتها .

بعد ذلك اللقاء المهم اختارت السيدة زهيرة الطلاق والبقاء في مقاطعة كيبيك الكندية حيث أحبت الإقامة فيها منذ سنوات قليلة ، وبواسطة محامي قانون الأسرة تم الطلاق بينهم ، رغم أن القانون لا يجري الطلاق إلا بعد سنة من انفصال الزوجين عن بعضهما ، لأن الزواج في كندا كأغلب الدولة الغربية إن لم تكن كلها يكون زواجا مدنيا ، ثم يذهب كل فريق إلى طائفته ، وينشئ عقد زواج ديني إذا شاء .. فالمسلم عند الموثق الشرعي ، والنصراني كذلك ، والبوذي نحوه ، والذي لا يريد له ذلك .. ولكن المحامي كما في الحالات الاستثنائية استطاع إجراء الطلاق المدني ، وخاصة أن الدكتور سامرا سيقدم طلب التنازل عن جنسيته الكندية التي حصل عليها خلال فترة الدراسة .. والبنت الوحيدة بينهما رتبت أمورها .. فأسقط سامر جنسيته الكندية في المحكمة ودائرة الهجرة ـ مع جواز الاحتفاظ بجنسيته في القانون الكندي للجنسية ، وكذلك القانون لبلده يجيز الجنسية المزدوجة للمواطن ، ولكنه لحاجة في نفسه تخلى عنها ـ وراجع الدائرة التي تهتم بشؤون المسلمين ووثق عقد الطلاق .. وخلال شهر واحد انتهى ما بين زهيرة وسامر .. وكانت البنت لما شرح لها أمر الانفصال ، اختارت البقاء حيث ولدت مع أمها ، فأوصى الرجل الأم على ابنتها ، ووعد بالمساهمة ماليا في تربيتها وتعليمها وحاجتها ، فعفته

الأم من ذلك وقالت إذا احتجنا استعنّا بك ثم قالت المهم أن نبقى أصدقاء ، فشمس ما زالت تربط بيننا ، وأتمنى لك السعادة والتوفيق في بلدك .. ليس هناك شيء يشدني إليها، ولعلي أغير ذلك في يوم من الأيام .. ولست جاحدة لوطني أرجو أن تفهم هذا يا سيد سامر

ـ أتمنى أنا لك أيضا كل خير وتقدم ، وعسى أن نبقى أصدقاء .. وسأتصل بكم ـ إن شاء الله تعالى ـ دائما

ـ سامحني يا أخ سامر .. سنوات جميلة جمعت بيننا

ـ بل أنت سامحيني ، ولا تعتبريني تخليت عنكما ، وأنت في أي لحظة فكرت بالعودة للبلد ، سنذهب في اليوم التالي للمحكمة لعقد الزواج من جديد .. إنني لا أنسى السعادة التي وفرتيها لي خلال السنوات الماضيات من عمرنا .. وسنبقى أصدقاء من أجل تلك الذكريات الجميلة والثمينة من سر حياتنا ، ومن أجل شمس ، وأرجو أن تبقى عفيفة وطاهرة مثل أمها في مثل هذه البلاد التي تغمرها الإباحية والهوس الجنسي والشذوذ .. قانون يسمح بزواج المثلين .. وعلى كل حال كل أمه وشعب له تقاليد وعادات يحافظ عليها .

ـ سلم لي على أمك العزيزة سلاما خاصا ، ولتسامحني يا أخ سامر .. وسلم على أخواتك وإخوتك وعماتك وخالتك .. وعلى الجميع ، لهم مني كل التحيات .. ما زلت اذكرهم منذ خطبنا وتزوجنا ، ولا أنسى ودهم وعطفهم عليّ .. ولسوف أتحدث معها عندما تصل وأعتذر لها عن اختياري الطلاق .. وكن لها صديقا يا سامر

ـ أشكرك ، وستبقى في عيوني، وستظل محبة لك

وكان سامر بعد إعلان الطلاق الرسمي يقضي ليله في أحد الفنادق ، وبعد هذا الحوار غادرهم جوا من مطار سان لوج إلى مطار المدينة العاصمة أوتاوا ، وقام ببعض المعاملات الخاصة به ، وتحويلات ماليه ، ولما اتصلت به شركة الطيران تعلمه عن موعد سفره إلى مصر ؛ لأن حركة الطيران إلى مصر سريعة ومتكررة بسبب السياحة النشطة لمصر ، وحب الغربيين لزيارة الأهرامات والأقصر وأسوان ، وكذلك وجود جالية مصرية كبيرة إلى حد ما في كندا ، فأنهى

حجزه في الفندق واتجه إلى المطار في الموعد المناسب .

وكان لسامر رغبة بقضاء أيام في ربوع مصر وميادينها لذكرياته فيها ، فهو قد نال شهادة الطب الأولى من جامعتها العريقة القاهرة أول جامعة حديثة بمصر ؛ كأنها شيدت في عهد الملكية والخديوية .

كان سامر يصل مصر في أقل من يوم ، ويستقر في أحد الفنادق المصرية الحديثة ، مصر مليئة بالفنادق السياحية لنشاط هذا القطاع عالميا ، فمصر مليئة بالآثار الفرعونية والمصرية والإسلامية ، خاصة القاهرة القديمة والجامع الأزهر ، فهي مهوى السياح من شتى أقطار الدنيا فالسياحة والآثار لها وزارات وشركات وطيران ومكاتب .

وبعد أيام قضاها فيها حجز تذكرة طيران على الخطوط المصرية المسافرة للبلد ، وفي مطارها الحديث كان في استقباله أحد أشقائه بسيارته ، ولما أخذ جوازه بعد تدقيقه وختمه ، وحصوله على حقيبته ، التقى بأخيه ، وتعانقا بعد طول غياب ، واطمئنا على بعضهم وعلى أمه ، انطلقت بهما السيارة إلى بيت أمه حيث ظلت تعيش وحدها بعد وفاة زوجها ، ورفضت ترك بيت الزوج الميت ، ورفضت الحياة في بيوت أولادها ، وبقيت تعيش مع الخادمة العاملة معهم من سنوات طوال وكان شقيقه يقول : كانت أمك تحلم بلقاء وحيدتك .. قد تألمت عندما علمت برفضها المجيء لرؤية أقاربها .

ـ لا استطيع إجبارها للمجيء معي ، خاصة أن أمها بقيت هناك ، فهي كندية أكثر مني .. فبالحسنى حاولت ؛ ولكنها رفضت

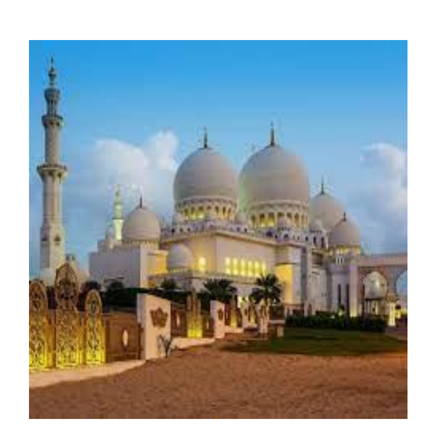
ـ نعم، أسمع عن قوانين هؤلاء الناس .. فهم يأخذون الأبناء من والديهم إذا أسأوا لهم بالضرب والتعذيب ، ويدفعونهم لأسرة نصرانية تعنى بهم .. إذا لها نصيب قد تراها في المستقبل الله يحميها

فقال سامر باكيا: لها الله يا غازي !

وأخذ بالبكاء والنشيج فجأة ، وأخذ غازي يهون عليه الفراق ، ويدعوه للتعوذ من الشيطان ،

وقل قدر الله وما شاء فعل ، والحافظ هو الله .. وقال : أرجو أن توفق السيدة الفاضلة زهيرة من تربيتها وتوجيهها للطريق المستقيم ، وتحسن رعايتها .. لا أدري ما يجبب الناس في العيش في تلك البلاد !

جفف سامر دموعه وعاد له الهدوء فقال : الحياة الطيبة .. الرفاهية والتساوي أمام القانون والحقوق والواجبات ، لا محاباة باسم المنصب والقرابة والقبيلة .. وكذلك العناية الكاملة من الدولة للإفراد .. لكن حريتهم أحيانا تزيد عن حدها فالسلطة الأبوية ضعيفة ، وسلطة الرجال على النساء هالكة .. إنهم سواء بل لا سلطة لأحد على الآخر ..



سامر

لم يجد صديقنا الطبيب سامر الأخصائي العائد من أمريكا الشمالية صعوبة في الحصول على وظيفة في مستشفيات القطاع العام والخاص، وإنما فضل العمل في مستشفى خاص ، ومن ثَم سيسعى للعمل محاضرا في أكاديميات الطب على مستوى الجامعات التي بدأت تنتشر مع قرب بداية الألفية الثالثة .

فعمل في مستشفى خاص تابع لإحدى كليات الطب ليجمع بين التدريس والعمليات الجراحية فكان في أقل من شهرين يمارس وظيفته الدنيوية .

وقد اعتاد الاتصال يوميا أو يوما بعد يوم بطليقته وابنته شمس ، وكان الاتصال قصيرا عن الحال والصحة .

أما زهيرة فبعد رحيله أحست بالفراغ الذي تركه سامر في حياتها الخاصة ، ففقدت جمال الحياة الأسرية رغم ظروف عملهما كأطباء وسهر ومناوبات ودورات ورحلات .. كانت اللحظات اللواتي يلتقيان بها حميمية ومثيرة وممتعة لعواطفهم ومشاعرهم ودنياهم .. شعرت بالوحدة وذهاب الأنس مع وجود شمس ومع وجود الخادمة القديمة التي رافقتهم الحياة منذ أيام هاليفاكس .. حلت عليها الكآبة حتى اضطرت بعد شهرين وأكثر أن تزور العيادة النفسية ، فشجعتها طبيبة العيادة النفسية على الاختلاط بالناس والأصدقاء والإكثار من السهر خارج البيت حتى لا تشعر بالوحدة الجسدية ، وأن فقدان الزوج سيزول بعد عدة أشهر .. لكن أين ستسهر زهيرة ؟ هي كانت تستقبل الزوار وعائلاتهم لوجود سامر معها ، ويذهبان معا غالبا لزيارة تلك العائلات ، وهي التي اعتذرت لزميلها هنري ، وطلبت منه عدم زيارتها بعد انفصالها عن سامر وقالت له : أنا وحيدة يا دكتور ، فعرض عليها أن يتردد عليها بصحبة جنفيفاف زوجته ، والعاملة أيضا معهم في المستشفى ، فهي طبيبة في قسم الأطفال ، فرحبت بها وحدها بدونه ، فلذلك خفت زيارة العائلات لها ، وأكثر أصدقائهم عائلات .

وأدرك هنري المحنة التي تمر بها زهيرة ، وأدركت زهيرة كم فقدت بطلاقها ! وأن سامرا ترك

فراغا كبيرا في البيت وكيانها ، وتمنت لو أنها فكرت جيدا بمثل هذه الوحدة ؛ لربما سافرت ، ثم تقول لنفسها كان يريد الزواج عليها .. فات الأوان يا زهيرة .. هل يا ترى تزوج الآن؟

لم يتزوج سامر بعد رغم إلحاح أمه الشديد فيقول : فلنصبر يا أمي لعل زهيرة تراجع نفسها وتعود بالبنت .. هي لا تطيق الضرة هذا ما لمسته من أحاديثنا

كان أخوته كلهم يلحون عليه بالزواج والتعجل فيه من أجل الذرية ، فهو يقترب من الأربعين وليس له إلا بنت واحدة ، وربما لا تعود فيرد باسما : لما ألتق بابنة الحلال قد أتزوج

ـ قلة فتيات في الجامعة والمستشفى

ـ أحب الزواج من فتاة هذه المرة من خارج القطاع الطبي والصحي

فترد عليه أخته أسماء : هذه أسهل .. لدي فتاة لم تتزوج بعد ..عمرها ثلاثة وثلاثون عاما، تعمل في قطاع المال مؤسسة مالية كبيرة .

ـ عانس هي ؟

ـ عانس بعد ، كادت تتزوج أكثر من مرة ، وتحدث ظروف فيفشل الزواج ، وقد حكت لي بعضها

ـ أصديقة لك ؟

ـ لا ، تعرفت عليها عن طريق أخت لها طبيبة مثلي ، تعمل معنا في العيادة

ـ على كل حال اصبروا عليّ بعض الوقت ، ولست بعجلة يا جماعة الخير

فقال غازي : أنت تكبر يا رجل .. والأيام مكسب والصحة لا تدوم

ـ أنا فعلا قد مرضت هناك مرضا حادا ، حتى طلب مني الطبيب المختص العيش في منطقة أكثر دفئا من مونتريال لبعض الوقت .. فترة نقاهة كما نقول ، وبعيدا عن ملوثات المدن الكبرى فقضيتها في نوفا سكوشا ، وهي أصلح من كوبيك قليلا

لما استوعبت زهيرة نصيحة الطبيبة النفسية أخذت إجازة طويلة إلى حد ما ، وقررت المشاركة في رحلة سياحية داخلية في التنقل بين مقاطعات كندا الغربية حيث المحيط الهادي ، وتركت

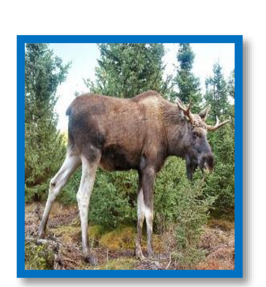
شمسا بصحبة الخادمة كما هو المعتاد بالنسبة للأمهات العاملات ، وطلبت من الخادمة الرد على تلفونات سامر ، وتعتذر له برحلتها وجولتها الداخلية ، وعلمت أن رحلتها تستغرق ستة أسابيع بين الطبيعة والحدائق والمتنزهات والمتاحف والماء والأسواق ..

بدأت رحلة الدكتورة من مطار مونتريال الدولي - واسمه الرسمي مطار بيير إيليوت تروداو مونتريال ، يخدم مدينة مونتريال أكبر مدن مقاطعة كيبيك ، ويقع في جزيرة مونتريال على بعد ٢٠ كم من وسط مدينة مونتريال في مدينة دورفال وسانت لورين - باتجاه المحيط الهادي حيث مقاطعة كولومبيا البريطانية إلى مدينة فانكوفر وهي أكبر مدن بريتش كولومبيا ، يستطيع المرء مشاهدة أكبر محيطات العالم ، ومشاهدة الجبال والغابات والمتاحف وقاعات الفنون عدا الأسواق ومجمعاتها الكبيرة ، وكانت شركة السياحة قد حجزت لهم في فندق مستوى ثلاث نجمات لقضاء عشرة أيام في تلك المدينة والمقاطعة ، فسيقومون بجولة على متاحف ومنتجعات وحدائق ، منها متحف فانكوفر ، ومتحف فانكوفر البحري، ومتحف شرطة فانكوفر، ومزرعة الأطفال ، ومنتزه سايبريس ، ومشاهدة جسر كابيلانو المعلق ، ونقطة مراقبة فانكوفر، وممشى كول هاربور البحري ، وسوق جرانفيل آيلاند، وعالم العلوم، ومفرخة كابيلانو للسلمون(سمك مشهور) ، وملاذ جورج ريفل للطيور المهاجرة ، ورحلة لجبل جروس ، وبحيرة لوس تلاجون، وبروسبيكت بوينت ، والحدائق الصينية ومنتزه لابت هاوس بارك ، ومنتزه لين كانيون بارك ، وحديقة **UBC** النباتية.

كان البرنامج حافلا بالزيارات والجولات والنشاطات في تلك المدينة البحرية ، وهذه أول مرة تزور الدكتورة هذه المقاطعة التاريخية ، لذلك استمتعت في هذه الرحلة واستفادت معنويا وثقافيا .

بعد مضي عشرة أيام في منطقة كولومبيا رحلوا إلى مقاطعة البيرتا لقضاء أسبوعين ، وذهبوا في البداية إلى منتزه بانف وجاسبير في بلدة بانف ، فهو يقع على جبال روكي ماونتز ، وقد تأسس عام ١٨٨٥ ، ويضم الحقول الجليدية ، والجبال الثلجية ، والغابات الكثيفة، والمركز الثقافي في

بلدة بانف ، ويأوي المنتزه ما يزيد عن خمسين نوع من الثدييات الدبة والوشق والذئاب وابن عرس ، ويوفر للرواد لعبة الجولف والتزلج وركوب الخيل ، ورحلات التسلق ، والسير والتخييم ، ويمكن للزائر ركوب عربة بانف جوندلا المعلقة ، وفي البلدة عدد من المتاحف والبحيرات ، بحيرة باتريشا ليك ، وبحيرة بيراميد ليك ، شلالات مالين كانيون فولز ، وادي جونستون كانيون ، بحيرة لين مالين ، وليك مورين.



بعد قضاء بضع ليالي في بانف انتقلوا إلى مدينة كالجاري التي تتمتع بأجواء مشمسة أكثر من غيرها من مدن كندا ، وتقع في منطقة جراس لاندز البيرتا وتنتشر حولها المنتجعات الجبلية ، بالإضافة لنهر بو ريفر المثالي لصيد السمك ، وتأوي جبالها وسفوحها الدب الأسود والموظ والغزلان ، وتحتوي عددا كبيرا من المنتزهات، كندا الأوليمبي ، وفيش كريك بارك ، نوز هيل بارك ، ناهيك عن حصن كالجاري التاريخي ، وبرج كالجاري ، ومتحف تسوتينا للثقافة ، والمتاحف الحربية ، ومركز كالجاري للثقافة الصينية ، وحديقة حيوان كالجاري ، وعالم تيلوس العلمي ، وعددا من المجمعات التجارية الكبيرة ، وسوق اوكلير ، ومجمع ماركت مول التجاري

انتقلوا إلى بلدة ادمون تون على نهر نورث ساسكا تشوان ريفر ، وتحيطها أخصب الأراضي الزراعية ، وتعد المدينة مركزا حكوميا وتربويا وثقافيا ، وتستضيف المدينة ما يزيد عن ثلاثين مهرجانا دوليا على مدار العام ، وفيها أكبر متحف تاريخي كندي ، وتحتوي قاعات الفنون الكثيرة ، وتضج بالفعاليات المسرحية ، فسميت مدينة المهرجانات ، وسمي ديناصور ادمون توسورس تيمنا بها ، تكثر فيها المنتزهات والحدائق ، ومركز يوهان جانزين للطبيعة ، ومحمية موتارت للنباتات ، ومتحف البيرتا للسكك الحديدية ، ومتحف البيرتا الملكي ، وتجد فيها مجمعات تسوق عالمية ، ومركز وايت مود التعليمي للخيل ، وعالم تيليوس للعلوم ، وحديقة حيوان فالي زو .

تركوا البيرتا إلى أونتاريو لقضاء عشرين يوما أخرى ، فهذه الرحلة الترفيهية تستغرق ستة

أسابيع ، سيقضون في مدينة نياجرا أياما لمشاهدة الشلالات المشهورة ، وقد رأتها الدكتورة من قبل ، لكن هذا من ضمن برنامج الرحلة للشركة ، ويشاهد هنا شلالان على نهر نياجرا ريفر الذي يمثل الحدود بين كندا والولايات المتحدة ، والذي يستقطب ملايين الزوار سنويا لهذه المدينة ، شلال أمريكان فولز ارتفاعه ٢٥ م ، والآخر هورس شو فولز الذي ارتفاعه ٥٣م ، ومن مشاهد السياحة في نياجرا عربة ويرلبول ايروكا الهوائية ، ورحلة جورني بيهايند ذا فولز ، وزيارة محمية نياجرا جلين الطبيعية ، وحدائق نياجرا باركس النباتية ، وحقول كونيكا مينولتا وبرج سكايلون تاور، والمحطة الأخيرة كانت في تورونتو التي تقع في الجهة المقابلة لمدينة نيويورك الأمريكية على بحيرة ليك أونتاريو ، وتجمع خليط من السكان من أمريكا الجنوبية وآسية وأوروبا ، فهي مدينة متعددة الثقافات واللغات ، وينعكس ذلك على الأحياء والضواحي والمتاحف والأطعمة والأسواق ، وفيها أحراش سباديناكي ، ومتحف ريد باث للسكر ، ومتحف باتا للأحذية المشهورة عالميا ، ومتحف جورج جاردينر لفنون السيراميك ، ومتحف الشرطة ، وسوق سانت لورانس ، ومنتزه سنتر فيل الترفيهي، وقرية الرواد الأوائل ، ومرصد ديفيد دانلوب ، ومتحف أونتاريو الملكي ، ومتحف النسيج ، والبلدة الصينية ، ومتحف تورونتو للفضاء ، ومنطقة يوركفيل للتسوق ، وحدائق تورونتو النباتية .

كل شيء في كندا جعل للسياحة ، الأرض الجبال الأنهار السكان ، وقضت رحلتها بسلام ، وعادت بعدئذ لمونتريال حيث العمل والمرضى .

فلندعها تستمع بسياحتها وجمال الطبيعة ، ونعود حيث التقى ميلاد بحميد ابن عمه ، وكان والد كليهما قد مات ، وورث كل منهما ثروة لا بأس بها عن أبيه .. ورجع ميلاد بعد موت الوالد للحياة في البيت بعد أن وعد من جديد بالتخفيف من السكر ، وشغله ما زال ضعيفا ومتقطعا لا يصلح عنده إلا السكارى وزعران الحارات ، وأغلبهم يتملص من دفع الأجرة ، ويعد بحفل شراب وحشيش .

قال ميلاد لحميد وهما يجلسان على مقدمة سيارة تخضع للتصليح أمام محطة حميد للتصليح : هل

صحيح أن ابنة عمنا طلقت ؟

فترك حميد الجلوس ووقف على الأرض وتبسم ، وقال : كل الناس تقول ذلك يا ميلاد .. لقد انفصلت عن زوجها الدكتور سامر ، وبقيت في تلك البلاد البعيدة في آخر العالم .. والبقاء هناك سبب طلاقها ، رفضت العودة للبلاد ، وابنتها رفضت مرافقة أبيها .

ـ سأسعى للسفر إليها من جديد

قهقهة حميد وصاح : بعدك مجنون ! ومتعلق بأحبال الهواء والوهم يا مسكين.. يا رجل ابنة عمك أصبحت دكتورة كبيرة ومهمة .. هل تراها تقبل بك وأنت حفتري ؟!

ـ حفتري ! ما معنى حفتري يا فصيح ؟ وهي مطلقة وأنا عانس بعدي .

استمر حميد بالضحك بصوت عال ، ونادى على ابنه عماد وقال : هات شايا لعمك ميلاد يا عماد كيف امرأة عمي اليوم ؟

ـ بخير ، كلما تصحا من غيبوبة سكر تقول تزوجت يا ميلاد ؟ أشقاؤك من امرأة أبيك يتزوجون فأرد عليها لن أتزوج إلا زهيرة .. ولما قلت لها سمعت أنها طلقت .. صدمت لم تصدق حتى قال أخي حسن يسخر مني فرصتك يا سبع الغاب

استمر حميد بالضحك مرة أخرى وقال : صرت مسخرة يا ميلاد لكل الأجيال الصاعدة .. فهذا عماد ابني ـ وكان يقدم لهما الشاي ـ يقول لماذا لم يتزوج العم ميلاد لليوم ؟! .. فأقول له عمك ميلاد عشق فتاة قبل عشرين سنة ، ولليوم يحبها ، فيقول ولماذا لم يتزوجها ؟! فأقول له طارت فتبسم ميلاد وقال لعماد وهو يأخذ منه الشاي : شكرا على الشاي يا عماد .. كيف حالك ؟ أأنت في المدرسة أم تركت ؟

فرد الفتى : ما زلت في المدرسة ، وبعد الدوام آتي لمساعدة الحاج .. فهو لم يجد مساعدا لليوم .

فعلق ميلاد : الشباب اليوم لما يتعلم فك البرغي وينفخ العجل يفكر أنه صار معلما ويسعى لفتح محل .

ضحك حميد وقال : هذه حلوة منك .. كيف ستسافر لكندا يا معلم ؟ لقد قدمت جواز سفرك

قبل سنوات للسفارة والهجرة فرفضوك .. لطفرك .. فهل تغيرت قوانين الهجرة اليوم؟

ـ يقدمون أصحاب المواهب وأصحاب الثروات ؛ لكني سأحاول من جديد ، ربما لو رأتني زهيرة بعد هذه السنوات حزنت عليّ وأشفقت على شبابي الذابل وقبلت بي زوجا .. ما زلنا صغارا يا حميد .

ـ الشيوخ الكبار يتزوجون يا ميلاد .. المهم أن ترضى بك هي بديلا عن والد ابنتها.. لقد حاول الدكتور سامر العودة بها وابنتها ، فاختارت البقاء، فيبدو أنها ما زالت مرعوبة منك .

ـ مرعوبة! ولماذا مرعوبة ؟!

ـ إنك أبغض إنسان على قلبها .. مع أني أكاد أن أصدق أنك تحبها ، فهي تبغضك ، ولا تطيق الأرض التي تمشي عليها

ـ سأصبر سأصبر حتى يطلقني الصبر .



اتصل سامر بشقة مطلقته كالعادة التي يمارسها منذ استقر في العاصمة وفي شقة أمه ، فردت عليه الخادمة فليز دو ، فبعدما حياها طلب الحديث مع الأم ، فأخبرته بسفرها في رحلة طويلة بناء على نصيحة طبيبتها النفسية ، فاستغرب للوهلة الأولى ، ثم فكر لحظات وسأل عن البنت فأعلمته عن غيابها عن البيت لحضور حفلة ميلاد لإحدى زميلتها في المدرسة ، وأكدت له أنها لم تسافر مع أمها لطول وقت الرحلة ، وفضلت البقاء في البيت من أجل المدرسة ، فانزعج سامر لتصرف الأم أو لطول الرحلة ، وأدرك ما لازم الأم من ألم نفسي بسبب الطلاق والوحدة ، فشكر فليز دو ، وأمرها بالسلام على البنت عندما تعود من حفلة عيد الميلاد.. وشمس عندما حصل

الطلاق كانت في الصف السابع الأساسي في المرحلة الأولى للتعليم الابتدائي ، فقد قبلت في الصف الأول قبل إكمال الست سنوات .

وكان الدكتور هنري وجنفياف زوجته يهتمان بشمس خلال فترة الغياب ، كما وعدها بذلك ، وكان هنري قد رافقها للمحطة التي ستحملها في برنامجها السياحي ، وهو أيضا الذي نقل شمسا لمكان الحفل ، ووعدها بالمجيء عند انتهاء الحفل عند منتصف الليل لإعادتها للبيت.

وكان سامر يعرف طبيعة المجتمع الكندي،فالمناسبات كثيرة ، والسهرات أكثر ، والمهرجانات متعددة ، فحفلات عيد الميلاد للصغار والشباب لا تنتهي على مدار السنة ، وقد شارك في عدد منها بحكم المجاورة .. وكويبك منطقة تغلب عليها الكثلكة لفرنستها ، وقبعت تحت الحكم الفرنسي قرنا ونصف ، ثم انضمت للاتحاد الكندي ، وما زالت مهوى الفرنسيين المهاجرين، وكما أن فرنسا مهوى الكنديين من جذور فرنسية ، وسميت فترة بفرنسا الجديدة .

وعندهم مناسبات وطنية يحتفلون بها ، ويعطلون لها ، منها احتفالات أول السنة الميلادية في الأول من يناير (كانون الثاني) ، ويوم الجمعة العظيمة ، ويوم الفصح ، وهذه أعياد نصرانية مشهورة عند الأمم النصرانية في أنحاء العالم ، ويحتفلون بيوم فيكتوريا، ويكون يوم اثنين قبل ٢٥ مايو (أيار) ، وأهم عيد وطني يوم كندا ، ويكون في الأول من يوليو (تموز) ، وله ترتيب معين عندهم ، ويحتفلون بعيد العمال في أول اثنين من سبتمبر (أيلول) ، ونحن العرب نحتفل به في الأول من أيار ، ويوم الشكر ثاني اثنين من أكتوبر(تشرين أول) ، لأن أيام الآحاد عطلة رسمية باستمرار ، وفي ١١ نوفمبر عيد الذكرى .

يُحتفل ببعض أيام العطل الرسمية في كل كندا ، والبعض الآخر فقط على مستوى المقاطعات أو إقليم محدد . من مظاهر العيد لديهم إغلاق المدارس الرسمية ، والمكاتب الحكومية ، والبنوك ومكاتب البريد ، ومحلات بيع الخمور ، ومعظم الشركات الأخرى تغلق أبوابها أيام العطل ، أما المعالم السياحية والمطاعم والمتاجر الصغيرة فالعديد منها يبقى مفتوحاً.

أذكر هذه الأعياد والمناسبات لتعلم عظمة الإسلام في تقليل الأعياد والمناسبات ، وأيضا للثقافة

والتعرف على شعوب العالم الجديد ، وأيضا لأن صاحبة القصة وزوجها عاشوا في تلك البلاد ، وشاركوا واحتفلوا مع هؤلاء الأجانب ، وأخيرا لتقارن بين أعياد تلك الأمم وتقليد العالم الإسلامي والعربي لهم في بعض أعيادهم ومناسباتهم ؛ لترى ضعف الأمة المغلوبة والمقلدة .

يحتفل بعض الناس في كندا في الأول من يناير بيوم رأس السنة الجديدة بمناسبات تدعى ليفي والليفي هو نوع من الاستقبال الفريد لكندا والذي يعقد من قبل الحاكم العام ، وحاكم المقاطعات ، والعسكر وغيرها ، وذلك بمناسبة بدء عام آخر ، ولإتاحة الفرصة للناس للتحية تفتح العديد من المراكز الاجتماعية والحانات في الأول من يناير ، لتقديم حليب الموظ (شراب البيض والروم) من الصباح الباكر حتى وقت متأخر من الليل .

يحتفلون بيوم عيد ميلاد كندا وبتشكيل دولة كندا بالحفلات الموسيقية والألعاب النارية والأطعمة ، تجتمع العائلات والأصدقاء معا للشواء ، ويتم تنظيم احتفالات في جميع أنحاء البلاد .

يوم الولادة يوم العطلة هذا هو للاحتفال بـ 'أعياد ميلاد' نوفا سكوشا وجزيرة الأمير إدوارد كمحافظات ، ويقع نهار الاثنين الأول في أغسطس ، يطلق الناس عليه في بعض الأحيان اسم ' عطلة الحكومة الفيدرالية' ويتم إغلاق مكاتب الحكومة الفيدرالية والخدمات مثل مكاتب البريد وخدمات كندا.

يحتفل بعيد الشكر في كندا ثاني يوم اثنين من شهر أكتوبر ، في نهاية موسم الحصاد ، هذا هو اليوم الذي يقدم فيه الكنديون الشكر للأشياء والناس في حياتهم ، يحتفل أهل البلاد بتناول وجبة خاصة مع العائلة والأصدقاء ، وعادة ما تتضمن الوجبة ديك الحبش ، البطاطا المهروسة الخضار وفطيرة اليقطين .

يوم الذكرى يتذكر ويكرم الكنديون المحاربين القدامى ، وأفراد القوات المسلحة ، ويحتفل بهذا العيد في الحادي عشر من نوفمبر وهي الذكرى الرسمية لانتهاء الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٨ . عيد ميلاد يسوع هو احتفال مسيحي ، ويزعمون أن رسالته الرئيسية هي 'السلام على

الأرض ومع ذلك فقد أصبح أيضا احتفال تبادل الهدايا بين أفراد العائلة والأصدقاء ، وهو العطلة الأكثر إثارة خلال السنة للكثير من الكنديين. تنظم العديد من الشركات والمنظمات حفلات لتبادل المواد الغذائية والتمتع في فترة عيد الميلاد. تضع العائلات شجرة الميلاد في المنازل ويتم تزيينها بالأضواء والزخارف احتفالا بالعيد ، كما توضع الزخارف أيضاً في الخارج ، بالإضافة إلى الأضواء الملونة والشخصيات الموسمية في المنازل والساحات.

المسلمون المتأثرون بهم المقلدون لهم الذائبون في هواهم يظهرون مثل هذه الأضواء والهلال والفانوس في رمضان والأعياد ، بل البلديات تهتم بمثل هذه الزينة علامة للاحتفال والاهتمام يعتقد الأطفال النصارى أن بابا نويل سيجلب لهم الهدايا عشية عيد الميلاد إذا أحسنوا التصرف خلال العام ، فيكتبون رسائل إلى سانتا كلوز الرجل الثلجي ، الذي يعتقدون أنه يعيش في القطب الشمالي ، ويطلبون منه تقديم الهدايا. وفي صباح يوم عيد الميلاد تتجمع الأسرة حول شجرة عيد الميلاد وتفتح الهدايا.

بوكسينغ داي هو يوم ما بعد عيد الميلاد ، كان هذا اليوم في الأصل ، يوم استراحة بعد احتفالات عيد الميلاد وزيارة العائلة والأصدقاء ، ولكنه اليوم أصبح يعرف باسم عطلة التسوق حيث يتم تنزيل الأسعار بشكل كبير لزيادة المبيعات ، وعادة ما تكون المحلات مغلقة في السادس والعشرين من ديسمبر (كانون الأول) ، تبدأ المبيعات الكبيرة في اليوم التالي ، وتستمر حتى رأس السنة الجديدة.

يحتفل بعيد الحب في ١٤ من فبراير ، يحتفل هذا اليوم بالحب والمودة ، حيث يعبر الأزواج عن الحب لبعضهم البعض ، ويتبادلون البطاقات والهدايا كالزهور والحلوى على شكل قلب أو مربعات الشوكولاتة والتذكارات ، ويذهبون في مواعيد ، يتبادل الأطفال في الكثير من الأحيان بطاقات عيد الحب في المدرسة. وفي بلاد المسلمين ينتشر إهداء الورد الأحمر والقلوب الحمراء بين المراهقين في مناسبة هذا العيد إنه التقليد الأعمى !

عيد القديس باتريك في ١٧ مارس ، كان هذا اليوم في الأصل تكريما لقديس إيرلندا سانت

باتريك ، أما اليوم فأصبح حدثا اجتماعيا للاحتفال بالثقافة الايرلندية ، يرتدي الكثير من الناس في هذا العيد الملابس الخضراء ، ويحملون نباتات النفل ويعتمرون القبعات الايرلندية ، ويفرطون في الشرب (تقاليد سيئة من الفولكلور الايرلندي في هذا اليوم) ، وبعض المسلمين يحتفلون بميلاد الأولياء كما يزعمون .

عيد الأم الأحد الثاني من مايو ، يكرم الناس الأمهات في أسرهم بالبطاقات والهدايا ، وقد أصبح تقليدا لتقديم وجبة الإفطار للأم في السرير ، أو البرنش (الفطور أو الغداء في وقت متأخر) في أحد المطاعم ، ووفي بلادنا يهتمون بعيد الأم في آذار .. أرأيت التقليد ؟!

عيد الأب يكون يوم الأحد الثالث من يونيو ، هذا اليوم هو احتفال لتكريم الآباء، وهو يكمل عيد الأم.

الهالويين في ٣١ أكتوبر ، يستند هذا اليوم على تقليد وثني كوقت الأشباح ، العفاريت ، والسحرة ، فقد أصبح يوما لتمتع الأطفال بارتداء الملابس والسير على الأقدام من باب إلى باب في أحيائهم ، قائلين 'ترك أور تريت' للحصول على الحلوى ، تزين المنازل بأوراق الشجر الملونة واليقطين المنحوت ، وفي بعض الأحيان بالمخلوقات المرعبة المضحكة الشكل.

يتمتع الشباب والكبار أيضا بالهالوين من خلال تنظيم وحضور الحفلات والتنكر بالملابس في الأيام التي تؤدي إلى ٣١ أكتوبر.

هذه أعياد ومناسبات كندا الرئيسة ، وإلا المهرجانات والمسارح والرياضة الصيفية والشتوية لا تنقضي لكبر مساحة كندا وتعدد مناخاتها .

قضت زهيرة رحلتها غربا وجنوبا حسب خطتها وتعاقداتها مع شركات سياحية شائعة في تلك البلاد ، فكندا أكبر دولة مساحة في العالم بعد الاتحاد السوفيتي الذي اختفى وتمزق دولا ، وما زالت روسيا تحتل المرتبة الأولى مساحة في العالم ، وقد عادت مسرورة من تلك الرحلة الشاقة وأخذت تستعيد حويتها ونشاطها ، وقد تلاشى شريك حياتها بعد هذه الرحلة رويدا رويدا .. حتى أن جراح الولادة في المستشفى هنري رئيسها ، لاحظ تلك السعادة والحيوية التي عادت

إليها ، ولاحظ همتها في العمل والمعالجة ، فسألها عن آثار تلك الرحلة ، فقالت سعيدة : الآن أدركت أنني أخذت القرار الصائب .

ـ وهو ؟

ـ البقاء هنا .

ـ أنسيت سامرا ؟

ـ لم أنساه ، فهو والد شمس ، إنما نسيت السنوات التي عشناها سوية .. لقد أصبحت ذكريات

فقال ضاحكا : إذن تزوجيني ما دمت قد نسيته .

تبسمت في وجهه وقالت : أتزوجك ؟! كيف ؟ أولا أنت متزوج ، وثانيا أنا مسلمة .

ـ ولماذا أنتم تتزوجون منا ؟!

ـ هكذا يقول الدين يا هنري .. المسلمة لا تتزوج إلا مسلما.. والدين يجيز للرجل المسلم الزواج من نصرانية أو يهودية ، وتسمى في القرآن عندنا كتابية .. أنت ثقافتك عن الإسلام جيدة كما أخبرتني ذات مرة .

ـ بل مرات ، وأنا أعرف عن الإسلام ودين الإسلام أكثر من كثير من المسلمين هنا .

ـ هؤلاء مسلمون بالوراثة يا هنري .

قال : رغم أن المجتمعات في كل العالم لا تخلو من الزنا والفواحش؛ لكن المجتمعات الإسلامية أفضلها وأقلها زنا .. بل علمنا أن في بعض المدن العربية والإسلامية تقتل النساء باسم الشرف إذا فجرت .. نحن إذا بلغت الأنثى العشرين سنة ، ولم تعرف المعاشرة والجنس تصبح أضحوكة وسخرية للجنسين ، لابد لها من المصاحبة والمواعدة وممارسة الحب في سن المراهقة ، وتعتبر غير ناضجة إن لم تفعل ذلك

ـ لاحظت ذلك .. وما أكثر عمليات الإجهاض في بلاد الغرب حسب زعم الصحف والمجلات وإذا كانت ممنوعة بالقانون ، فنحن نعالجهم بعد عملية الإجهاض .. هل قمت بعمليات إجهاض ؟

ـ الكثير يا زهيرة وهذه مهنتي ومهمتي .. مع استخدامهن الوقاية من الحمل يقع الحمل .

ـ في مستشفيات خاصة

ـ خاصة وغير خاصة .. ألا تريدين الزواج مني يا زهيرة ؟

ـ مجنون أنت !

ـ أعلن إسلامي إذا قبلت بي .

ـ وجنفياف !

ـ عشاقها كثر ، وستقبل بالطلاق .



الدكتور هنري

هنري تيدي جوليانز جراح مهم في قسم الولادة في المستشفى العام ، وهو من أصول فرنسية ، فهو كندي أصيل كما نقول ، لما عملت زهيرة كطبيبة نساء وتوليد وفي عيادات طب الأسرة ، التقت به بحكم الوظيفة ، وكان بينه وبين سامر معرفة سطحية بحكم عملهم في مستشفى واحد ومع عمل زهيرة في نفس المستشفى ازدادت المعرفة ، وتعرفوا على زوجته العاملة في المستشفى الطبيبة جنفياف بوكر ، كندية ومن جذور فرنسية مثل هنري ، فتعمقت المعرفة والصحبة ، وصار بينهم تبادل الزيارات والتهنئة بالأعياد الإسلامية والنصرانية والوطنية الكندية ، ولهنري بنت واحدة مادلين ، عند طلاق زهيرة كانت تدخل سنتها الأولى في الجامعة وكلا الزوجين من أتباع المذهب الكاثوليكي ، المذهب الذي يتبع كنيسة روما .

وهذا الرجل كغيره من الغربيين مغرم بزيارة الشرق كمصر والعراق وسوريا وإيران وفلسطين فلهم جولات سياحية في الإجازات إلى تلك البلاد ، كان في بعضها يرافق زوجته وأحيانا كثيرة وحده .

وللرجل اهتمامات بالصحافة وثقافة الشعوب ، فهو يكتب في الصحف الكندية والأمريكية خاصة صحف نيويورك وواشنطن ، والمجلات العلمية والطبية .

كاشفت زهيرة الطبيبة جنفياف بوكر موريسن بكلام زوجها ورغبته بالزواج منها فقالت لها : ليتك تفعلين ذلك ! هنري أصبح مملا وعجوزا لا يصلح للنساء ، ولكنه كاثوليكي من الصعب أن يغير دينه .. وهو منذ أيام سامر يرغب فيك كزوجة ، ويحلم بالاقتران بك ، حدثني عن ذلك صراحة .. فالرجل يشتهيك منذ عهد بعيد ، لا تتألمي من صراحتي .. فقد تمناك أمامي أكثر مرة زاعما أنه يحلم بالزواج من امرأة عربية ، فأقول له أكثر العربيات مسلمات ، ولا يتزوجن المسيحيين، فيقول أكفر بديني وأعتنق دينها .. وقد فرح بطلاقك من سامر ، وربما كان أفرح الناس بذلك .. هو طبعا يجعل اعترافه مزحا ومغيظا لي ونوعا من الفكاهة .

كانت زهيرة تسمع هذا الكلام المفاجئ ، وتتعجب منه ومن صحته ، فلم يحاول هنري رغم

سنوات عملهما معا مغازلتها وإثارتها ، مع أنه كان أحيانا يتلفظ بألفاظ فاحشة ، لكن ليس أمامها وحدها ، بل أمام عدد من العاملين ذكورا وإناثا .

لذلك تساءلت زهيرة في نفسها هل هذه المرأة صادقة لصراحتي معها أم مقهورة غاضبة ؟! أنا كنت أظنه مازحا معي مشفقا .. يشتهيني اللعين .. هذه هي نتيجة الاختلاط بالرجال

واستمرت جنفياف تكشف عورات زوجها حتى ملت زهيرة ، وغادرتها لمكان عملها في المستشفى ، فلما جلست ترك هنري الساعة وقال وهو يتركها : فضحتني جنفياف أمامك لم تبق عليّ سترا .

ـ أكانت تتكلم معك ؟

ـ نعم ، هل هذه امرأة ؟!

ـ كيف تزوجتها يا هنري ؟!

ـ هي بالطبع ليست أول امرأة في حياتي ، أنا صاحبت الإناث منذ سن المراهقة ، وهذا عندنا أمر طبيعي ، ليس كالشرق عندكم .. هنا في هذا المستشفى التقيت بها ، ولما تزوجتها طبعا لم تكن عذراء ، فهذا غير مهم عندنا ، فالعذرية عيب .

ـ أسمع عن ذلك

ـ تعارفنا يا مدام زهيرة ، وعشنا مدة سنة كأزواج ، ولما حملت بمادلين عقدنا الزواج ، لم نحب أن تلد طفلتنا غير شرعية ولو شكلا ، ولما ولدتها وعملنا فحص **DNA** استمر الزواج ، فالبنت مني أنا ، وأنا أعرف أصدقاءها ، لا تظني أني مغفل ، وأنا نفسي لي عشيقات وصديقات ، فالخيانة الزوجية أمر مباح بيننا .. ربما لو تزوجت شرقية قد يحدث الاستقرار لديّ .. فكري بعرضي عليك إلا إذا ما زلت تحنين لزوجك الأول ، فالشرقيات عندهن مثل هذا الهاجس ، تترمل المرأة صغيرة وتظل طول عمرها أرملة بحجة الأولاد ، وإذا وافقتي على زواجنا سأطلق امرأتي ، وهي لا تمانع ، ستفرح بذلك وقد ترقص سعادة وتحتفل، فهي تعتبرني عجوزا ، ثم أشهر إسلامي في المركز الإسلامي في عاصمة كندا أوتاوا ، ونتزوج على طريق الشرقيين ،

وسنقضي شهر العسل في أي مكان تختارينه من العالم .

ـ عندي مشاكل في الجهاز التناسلي ، فأنا غير صالحة للحمل والولادة .

ـ ليس مهما ، بل أحسن ، أنا أبحث عن الاستقرار النفسي ، والاطمئنان عندما أنام أن لا يدخل رجل بيتي ، وينام في حضن امرأتي على مسمع ومرأى مني ، يعاشر زوجتي وأنا مطروح كالدابة بالله عليك أن تفكري جيدا .

ـ ألا تزعل جنفياف مني ؟

ـ ستشكرك أنك خلصتيها مني ، ومن بعض الغيرة التي تبدو مني .

ـ معقول !



فصار هنري كلما يلتقي بزهيرة في العمل والمكاتب أن يكون حديثه حول الزواج والطلاق ، ويسألها ملحا هل فكرت بأمرنا ؟ إني أبحث حقيقة عن الدفء العائلي والاستقرار العاطفي والأمان على شرفي

فتبتسم له زهيرة : صدق أنني أفكر جديا بها تردد ، وإنها عاداتكم تختلف كثيرا عن عاداتنا وطباعنا يا دكتور هنري ، وأنت نفسك اعترفت لي بتكرار خيانتك الزوجية .. فأنا لا أطيق هذا الوضع كما تقبله جنفياف ؛ لأنني لا أسمح لنفسي بالخيانة لأغيظ زوجي والمعاملة بالمثل .. وليس المهم يا دكتور الذهاب للمركز الإسلامي وإشهار إسلامك ، فالإسلام التزام حق ، وليس كما ترى الكثير من المسلمين هنا أو حتى في بلاد الإسلام .. سكر وخمر وزنا وفجور .. فهؤلاء مسلمون بالاسم والله أعلم ..

وبعد صمت عميق من هنري تابعت زهيرة قائلة : هل تستطيع يا هنري أن تبتعد عن الخمرة والنساء ؟ ستقول ها هم المسلمون يسكرون ويزنون .. هل كل النصارى يمارسون الدين

والطقوس النصرانية ؟ قد يكون من أتباع لينين وماركس والناس تعده من النصارى .. عندما نقرأ في ملف بلاد أو مدينة سكانها كاثوليك إنجيليون أقلية مسلمة نظامها الحكم الشيوعي .. كم عدد هؤلاء الشيوعيين ؟ هذه كوبيك فيها أحزاب ، وأحدها يطالب بالانفصال والعودة لدولة مستقلة تابعة لفرنسا الأم .. فأرى أن نبقى أصدقاء .. فالإسلام يا دكتور ليس ورقة واعتراف من الجامع بأنك مسلم .

ـ قد أصير مسلما حقيقيا على يديك .

عاودها الابتسام قائلة : عندما تصير مسلما حقيقيا ؛ لعلي أقبل بك زوجا بلا تردد .. اقرأ عن الإسلام ، وتعرف عليه بصورة حقيقة ، ولا تتعرف على الإسلام من الناس ، كان معي في الجامعة مبعوثون من بلاد إسلامية ، لا يعرفون شيئا عن الإسلام .. تعلموا في مدارس علمانية لا تعلم شيئا عن الدين ، ولا أظن أنهم مسلمون إلا بالاسم .

فقال هنري بضيق : عقدت الأمور يا زهيرة !

فردت زهيرة : اسمع إذا كانت عقدتك الزواج من عربية فحسب ، فيمكنني أن أسعى لك بذلك ، فهنا أسر عربية مهاجرة من سوريا ولبنان والعراق ومصر ولا يعترضون على مثل هذا الزواج .

ـ أنا رغبت فيك أنت .. ولي صديقات من مثل هذه الأسر ، وقضينا ساعات وشهوات ، وهم مثل بنات الأمة الكندية .. فيك شيء يجذبني إليك .. رغم أنك لست بالحسناء التي يتغزل بها الشعراء .. لا تغضبي .

ـ أنت تدفعني لأرحل من هنا ، وأغير مكان عملي .

ـ أرجوك ألا تفعلي ، سأفكر بالإسلام الذي تتحدثين عنه .. لنبق أصدقاء كما كنا .. ستسمعين قريبا خبر طلاقي ، قد تحدثنا في الأمر ولم تعترض وقالت الأمر سيان عندي يا هنري! .. أرأيت أنها غير متمسكة بي درجة واحدة ؟!.. فلها عشاقها !

ـ أكثر العاملات هنا متخذات أصدقاء .. زواجهم (بوي فرند) كما تسمونه شركاء المنزل ..

كل هذا حتى لا يتحمل الرجل النفقة على المرأة وعلى أولاده.

ـ ولماذا ينفق عليها وهي تعمل معه ومثله ؟! هل تقضي وقتها في البيت وترعى أولاده ؟.. ويلجأ الناس لهذا الزواج أو العلاقة حتى لا يتقاسما الثروة عند الانفصال والطلاق القانوني ، ولا يرثا بعضهما .. فعند الخصام والشقاق يذهب كل في طريقه ، ويبحث له عن أنثى جديدة، وهي تفعل مثله .. وإذا كانت لديها شقة فستجد الذكر سريعا .

ـ وهل هذا زواج ؟!

ـ يسمى زواجا ، وما هو بزواج .. هو وقت لقضاء الشهوة مثل الكثير من الحيوانات .. هو شبيه بالزواج .. ظاهره أن المرأة لرجل واحد ، وكذلك الرجل له امرأة واحدة .. وهناك من يبغضونه وأمامهم دور البغاء ، وحانات الدعارة والمومسات .

بعد حين لم يكن طويلا سمعت زهيرة انتشار نبأ طلاق هنري مدير قسم جراحة النساء في المستشفى العام بالمدينة من زوجته جنفياف موريسون ، ومغادرته إلى الولايات المتحدة في إجازة فلما التقت زهيرة بجنفياف سألتها عن صحة الخبر ، فأكدت الدكتورة جنفياف صحته ، وقالت: أنا منذ زمن بعيد طلبت الانفصال ، بعد ولادة مادلين بخمس أو ست سنوات ؛ لأننا تزوجنا قانونا بسبب حملي بمادلين ، فلم يحب هنري أن تلد ابنته ابنة غير شرعية ، مع أن هذا ليس مهما في بلادنا .. لا تظني أنك سبب طلاقنا ، فنحن زوجان بالاسم ، فهو له صديقاته ، ولي أصدقائي .. الحمد لله انتهيت من هذه القضية .. وأنتما متى ستتزوجان ؟

ـ نتزوج ؟! لن نتزوج يا جنفياف ، الحياة معه لن تكون سهلة حتى لو أشهر إسلامه كما زعم فطباعنا نحن الشرقيين غير طباعكم أنتم الغربيون .. زواج لو حصل لا أعتقد دوامه .. أنا لا أحتمل أن أراه مع عشيقته أو خليلته.. فسأبقى بغير زواج .. خير لي ذلك .. وعملي كما ترين يستغرق وقتي .

تفاجأت المرأة بذلك الجواب فعقبت تقول : أنا ظننت أنه أسرع بالطلاق ليتزوجك بعد إشهار إسلامه .

ـ تحدثنا عن ذلك الزواج والرغبة بالإسلام ، ولكنني قلت له الإسلام ليس مجرد كلمة وانتهى الأمر والموضوع .. الإسلام تحقيق والتزام بمقتضى ومراد تلك الكلمة .. وهؤلاء المسلمون الذين يعيشون هنا لا يمثلون الإسلام الحقيقي .. رأيت مساجد في بعض المناطق الكندية لا أظن أنها تستخدم إلا أيام الجمع والأعياد الدينية .. لا أدري كيف بنيت وهي مهجورة ؟

ـ قد تكون بنيت في ظروف معينة ، وانتقل المهاجرون والوافدون لضاحية أو مقاطعة أخرى والغريب يا زهيرة أن هنري بعدما كمل الطلاق سافر إلى الولايات المتحدة .

ـ لماذا ؟!

ـ لم يقل لي شيئا .. قال اهتمي بمادلين ومصروفها وعندما أعود سأدفع لك .

فقالت زهيرة : في الأيام الأخيرة قبل سفره المفاجئ ، كان الرجل يكثر من الصمت والتفكير والبحلقة فيّ ؛ كأنه يسعى لغور وسبر أعماقي .. فقلت لنفسي ماذا أصاب الدكتور هنري؟! وأخذ يتملص من مرضاه ، ويحولهم لي أو لزميلنا إدوارد .

ـ المهم بالنسبة لي يا دكتورة زهيرة أنني أخذت حريتي ، وارتحت من غمزه ، فكلما يعلم أنني سهرت مع صديق أو زميل أو قضيت ليلة خارج شقتنا ، فلما يراني فيقول من صاحب الحظ السعيد الذي قضيت ليلتك بين ذراعيه ؟ ؛ كأنه نظيف شريف .. وبعد لحظة صمت تابعت : هو له صديق مهم في نيويورك ، زارنا عدة مرات ، وأعتقد أنه طبيب مثلنا ، التقيا في رحلة سياحية وتصاحبا بعد تلك الرحلة ، ويتزاوران ، فعندما يذهب أمريكا يلتقي به ، والآخر عندما يأتي هنا يجتمعان ، وصاحبه هذه يحب الرياضة ومشاهدة مباريات كرة السلة سواء في مونتريال أو نيويورك وحتى لوس أنجلوس .. وقد عمل هنري فترة من حياته معالجا لإحدى فرق السلة في الولايات المتحدة .. ، فقد تكون هناك بطولة عالمية أو محلية فذهب لمتابعتها بعد تحرره من قيد الزواج .. وهنري محب لعمله كما تعلمين ، ويمارسه بإخلاص مع أنه قد يبدو للعاملين معه كأنه يلعب .. فإجازته كما فهمت شهرا وقابلة للتمديد ؛ لعله ذهب لمشاهدة تلك البطولة ولهنري كما تعلمين شركة في نيويورك مع عم له .. وقد سمعته قبل شهر ـ أتذكر ذلك الآن ـ

يقول إن عمه مريض ويفكر بزيارته وعمه من سكان تلك المدينة .

تبسمت زهيرة لها ـ فهي فعلا قد سمعته يتحدث عن تلك الشركة أكثر من مرة ـ ثم قالت :

عندما يعود سالما نعرف سبب هذه الرحلة السريعة بعد الطلاق الذي لوح به من شهور .

ضحكت جنفياف وقالت : شهور ، لا ، بل من سنين ، منذ تزوجنا .. فهنري حقيقة أنه طبيب جيد ، وللأسف لا يصلح للحياة الزوجية المستقرة .. وغير ناضج للمعاشرة الزوجية .. مبارك عليك يا زهيرة .

ـ عليّ ! هو نصراني

ـ سيسلم إذا قبلت به .. الزواج حاجة بشرية

ـ لما يسلم فسوف نفكر .



كان السيد حميد أبو محمد قد تعلق بجماعة التبليغ الإسلامية الهندية المنشأ ، وكما هو معروف تاريخيا بعد سقوط آخر دولة خلافة إسلامية ١٩٢٤ ، بدأت تنشط وتكبر الجماعات الإسلامية في دول العالم الإسلامي ، وأخذت الجمعيات الدينية تزداد وتنتشر .

فنحن وجدنا صدى كبيرا لتلك الجماعات والجمعيات وارتداداتها في العالم الإسلامي .. كانت بلدان المشرق العربي داخل كيان واحد ، فأمست دولا شتى ، سواء في الشام والعراق والجزيرة العربية .

والتاريخ يذكر أن الشام أصبح بعد سقوط الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ أربع

دول ، سوريا ، لبنان ، فلسطين ، الأردن لأنها شرق نهر الأردن .

ومن الجماعات التي نشطت في بلادنا العربية أو بعضها بعد حرب حزيران ١٩٦٧ جماعة التبليغ ذات الجذور الهندية ، ثم الباكستانية بعد انقسام الهند كالشام لعدة دويلات بعد الحرب الكونية الثانية ١٩٤٥ .

ووجدت هذه الجماعة قبولا بين المسلمين في بلاد الشام ، وربما أنشطها حركة ودعوة فرعهم الأردني ، فتكّون لهم مركز مهم في الأردن .

وهذا الجماعة مرحب بها على المستوى الرسمي والشعبي في بعض الدول العربية ، فسمح لها بالنشاط في المساجد شمالا وجنوبا ، لأنهم يبتعدون عن السياسة والاقتصاد والحكم والاحتجاجات والصحافة ، ولا هدف لهم إلا دعوة الناس للتوبة والصلاة في المساجد جماعة ، والخروج معهم في جولات بين الأحياء والمناطق والمدن بما يطلقون عليه الخروج في سبيل الله .

ومعظم نشاطهم الدعوي بعد صلاة العصر ، ثم يجلسون في المساجد بعد أداء صلاة المغرب لبيان الصفات الستة التي يدعون إليها الناس المصلين ولهم جولات محلية لأعضاء منهم يسكنون في حي واحد أو أحياء متقاربة أو شارع كبير أو مدينة صغيرة ، وهذا الاجتماع يسمونه جولة مقامية ؛ لأنهم يتجولون حيث سكناهم وبيوتهم ، يدربون أنفسهم، ويُقوون إيمانهم كما يدعون ، وتكون الجولة المقامية مرة واحدة في الأسبوع ، وبعد صلاة المغرب يلقي أحدهم موعظة على رواد المسجد الذي تجولوا حوله ، وهناك جولة انتقالية ؛ لانتقالهم إلى حي آخر لدعوة الناس لصلاة المغرب جماعة وسماع الدرس الديني حول الدعوة والصفات الستة المشهورة بينهم ، وعندهم ترتيبات للخروج لمناطق بعيدة عن مساكنهم تكون بترتيب من المركز الرئيسي للجماعة ، فيخرجون في الشهر ثلاثة أيام ، وفي السنة أربعون يوما ، وفي العمر أربعة أشهر ، لكن خارج البلد إلى دولة يوجهون لها ، واليوم لهم مراكز كثيرة منتشرة حول العالم حتى العالم الغربي وأمريكا اللاتينية .

التقى حميد بهم ابتداء في مسجد الحي المقيم فيه ، وجلس يستمع لدروسهم ومواعظهم ، ثم

أصبح يشاركهم جولاتهم في الحي خاصة يوم الجمعة ؛ لأنه هو اليوم الذي يتوقف فيه عن العمل ، ورغم أن السبت عطلة رسمية في بعض البلاد العربية وبعضها الأحد ، فكان هذا يعتبر فقط للموظفين الحكوميين والمؤسسات الكبيرة ، أما أصحاب المهن والحرف لهم عطلة الجمعة فقط ، وقد تعمقت علاقة حميد مع رجال الدعوة كما يسمون أحيانا .. ويسمون بالأحباب ، أسماء تتردد ولكنها لجماعة واحدة ، ثم التحق مع الوقت بالجماعة ، فصار يشاركهم في الخروج ثلاثة أيام في الشهر ، ويذهب لمركزهم الرئيس في أطراف العاصمة .

ولما تأت جماعة منهم للحي فكان يشاركهم الاعتكاف ليلا بعد تركه شغله مساء ، ويكرمهم بالطعام وما يسمى بالإكرام ، وقد أطلق حميد لحيته بعد حين من الالتزام معهم وبمبادئهم ، ويلبس القميص الطويل (الدشداشة) ، وتوقف نشاطه معهم داخل البلاد فحسب ، وكان صديقا ومحبا لهم رغم وجود جماعات وتيارات إسلامية أخرى في ذلك الوقت ، لكن الأمر الذي لم يتيسر له برفقتهم هو الخروج لمدة أربعين يوما ، والخروج الخارجي الأربعة أشهر .

ولكل جماعة أو حزب عادة محبون ومبغضون ، فالمبغضون يتربصون العيوب والآفات ، ويضخمونها للتشويش على الحزب والجماعة ، والتشكيك بمبادئها وغاياتها ، وهذا الوصف موجود أيضا في الفرق والأحزاب التي تعمل للإسلام .

يعود تأسيس جماعة التبليغ والدعوة كما هو مشهور إلى الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ، ولد في كاندهلة ، قرية من قرى سهارنفور بالهند ، ومركزها في دلهي ، ويذكر أن الجماعة تأسست ١٩٢٦ م وقيل ١٩١٩ م حيث كان مؤسسها محمد إلياس أول أمير لها حتى وفاته ، ثم خلفه ابنه محمد يوسف حتى وفاته عام ١٩٦٥ م ، ثم الشيخ محمد إنعام الحسن ١٩٩٥ ، وهذه الجماعة معدودة ومحسوبة على أهل السنة والجماعة.

انتشرت الجماعة سريعا في الهند ، ثم في باكستان وبنغلاديش، وانتقلت إلى العالم الإسلامي والعالم العربي ، وبعد ذلك انتشرت دعوتها في معظم بلدان العالم، ولها جهود في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في أوروبا وأمريكا .

وهم يعتقدون بأنهم إذا أصلحوا الأفراد ، فرداً فرداً، فإن المنكر سيزول من المجتمع تلقائياً ، وأن الخروج والتبليغ ودعوة الناس هي أمور لتربية الداعية ولصقله عملياً ؛ إذ يحس بأنه قدوة وأن عليه أن يلتزم بما يدعو الناس إليه ، فالخروج عندهم ليس هدفا ؛ ولكنه وسيلة لتعلم اليقين وزيادة الإيمان ؛ ولتعلم أصول الدعوة وآدابها.

وهم يبتعدون بقوة ظاهرة كل البعد عن الخوض في الخلافات المذهبية والسياسية اتقاء الجدال والانقسام والعداوة والبغضاء، ولا يتكلمون في السياسة ، وينهون أفراد جماعتهم عن الخوض فيها، وينتقدون كل من يتدخل فيها، ويقولون بأن السياسة هي ترك السياسة .

لهذه الجماعة الدينية أصول للعمل تعارفوا عليها وتوافقوا على تطبيقها في مجال الدعوة في الحضر والسفر ، ولم يكتبوها في كتب خاصة ؛ ولكنهم تواصوا بها وتوارثوها جيلا بعد جيل ؛ وكأنها مكتوبة ومدونة والعمل عليها ؛ وتقوم على ما يلي : إذا خرجوا للدعوة أمّروا عليهم أحدهم داخل الحي أو خارجه ، فليس لديهم مناصب محددة ؛ ولا وظائف دائمة ، تنتدب مجموعة منهم نفسها لدعوة أهل بلد ما ، حيث يأخذ كل واحد منهم فراشاً بسيطاً ، وما يكفيه من الزاد ، والقليل من المال على أن يكون التقشف هو السمة الغالبة عليه.. وعندما يصلون إلى البلد أو القرية التي يريدون الدعوة فيها وخرجوا إليها ينظمون أنفسهم ؛ أولاً بحيث يقوم بعضهم بالخدمة ، وبتنظيف المكان الذي سيمكثون فيه ، وآخرون يخرجون متجولين في أنحاء البلدة والأسواق والحوانيت ، ذاكرين الله داعين الناس لسماع الخطبة أو البيان كما يسمونه ، وإذا حان موعد البيان وعادة يكون بعد صلاة المغرب التقوا جميعاً لسماعه ، وبعد انتهاء البيان يطالبون الحضور بالخروج في سبيل الله ، وبعد صلاة الفجر وبعد موعظة الفجر يقسّمون الناس الحاضرين إلى مجموعات يتولى كل داعية منهم مجموعة يعلمهم الفاتحة وبعضا من قصار السور حلقات حلقات ، ويكررون ذلك عدداً من الأيام ، وقبل أن تنتهي إقامتهم في هذا المكان يحثون الناس على الخروج معهم للتبليغ والدعوة ، حيث يتطوع الأشخاص لمرافقتهم يوماً أو ثلاثة أيام أو أسبوعاً أو شهراً ، كل بحسب طاقته وإمكاناته ومدى تفرغه ، والجماعة تحدّد طريقة

لترتيب الخروج أن يكون ثلاثة أيام في الشهر ، وأربعين يوماً في السنة ، وأربعة أشهر في العمر على الأقل ، وهذا لتسهيل عملية السفر والتنقل ، وهي ليست بشرط لازم ، بل يمكن أن تكون المدد أقل أو أكثر ، لا ينزلون ضيوفا على أحد ، ويقيمون في المساجد لا يعتمد بعضهم على بعض في النفقات ، بل كل واحد منهم ينفق على نفسه من ماله الخاص في السفر والحضر ، فلا تكاد تجد واحدا منهم يعيش عالة على أخيه ، وهم يتعاونون ويكرمون بعضهم البعض ، يعتمدون بصفة كبيرة على قيام الليل في طريقتهم في الدعوة ، والتضرع والبكاء بين يدي الله حتى يهدي الله من دعوهم في النهار ، فهم يُعرفون بقيامهم الليل ، وأنه ركيزة في الدين.

هذه مرتكزات هذه الجماعة ، وبيانهم ومواعظهم تدور حول ما يسمونه الصفات الستة التي سيأتي ذكرها في ثنايا القصة ، واعلم أن جماعة الدعوة نشأت بالهند في عهد الاستعمار الإنجليزي لتلك البلاد العظيمة ، قد يكون هذا السبب الذي دفعهم لتحوير معنى الجهاد الإسلامي للخروج في سبيل الله ، فهي حركة سلمية مسالمة تبتعد كثيرا عن السياسة ، ومشاكل الأمم والشعوب ، وتختلف بذلك عن جماعة الإخوان المسلمون التي ظهرت بمصر بعدها بسنوات قليلة والتي خاضت غمار السياسة لما اشتد عودها ، وانتشر فكرها ومبادؤها ، وشاركت بالمجالس النيابية والحكومات في أقطار شتى .

وللتاريخ والثقافة قاد الجماعة بعد الشيخ محمد الياس الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي ١٩١٧ ـ ١٩٦٥ م ، وهو ابن الشيخ محمد إلياس وخليفته من بعده ، ولد في دهلي ، تنقل كثيراً في طلب العلم أولاً ، وفي نشر الدعوة ثانياً ، زار السعودية عدة مرات حاجاً ، والباكستان بشطريها ، كانت وفاته في لاهور ، نقل جثمانه بعدها ليدفن بجانب والده في نظام الدين بدهلي ، حيث مركز الجماعة الأول وحيث قبور الآباء والأجداد .

بويع بعده الشيخ إنعام الحسن وهو قريب للشيخ محمد الياس المؤسس ، وعديل الشيخ محمد يوسف ، وهو الأمير الثالث للجماعة إذ تولاها بعد وفاة الشيخ محمد يوسف ، كان صديقاً للشيخ محمد يوسف في دراسته ورحلاته فهما متقاربان في السن متماثلان في الحركة والدعوة .

قرر المؤسس لهذه الجماعة ستة مبادئ جعلها أساس دعوته ، وتسمى الصفات الستة بين أنصار الحركة ، ويحصرون الحديث فيها في مؤتمراتهم وبياناتهم العامة ، ويدندنون حولها وهي الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، إقامة الصلوات ذات الخشوع والخضوع ، العلم والذكر إكرام المسلمين ، النية والإخلاص واليقين ، الخروج في سبيل الله أي الدعوة .

ويرون بأن التقليد في المذاهب واجب ، ويمنعون الاجتهاد معللين ذلك بأن شروط المجتهد الذي يحق له الاجتهاد مفقودة في علماء هذا الزمان. متأثرون بالطرق الصوفية المنتشرة في بلاد الهند ، وعليه فإنه تنطبق عليهم جملة من الأمور التي يتصف بها المتصوفة من مثل : لابد لكل مريد من شيخ يبايعه ، ومن مات وليس في عنقه بيعة ، مات ميتة جاهلية ، وكثيراً ما تتم البيعة للشيخ في مكان عام ، تُنشر على الناس أردية واسعة مربوط بعضها ببعض مرددين البيعة بشكل جماعي ، ويُفعل ذلك في جمع غفير من النساء كذلك.

ولديهم المبالغة في حب الشيخ ، والمغالاة كذلك في حب الرسول صلى الله عليه وسلم ، مما يخرجهم في بعض الأحيان عن الأدب الذي يجب التزامه حيال النبي الكريم عليه الصلاة والسلام . إقامة المنامات مقام الحقائق حتى تكون هذه المنامات قاعدة تبنى عليها أمور تترك أثرها على مسيرة الدعوة ، يعتقدون أن التصوف هو أقرب الطرق لاستشعار حلاوة الإيمان في القلوب ، وهذا شائع في العجم منهم

تقوم طريقتهم على الترغيب والترهيب والتأثير العاطفي ، وقد استطاعوا أن يجذبوا إلى رحاب الإيمان كثيراً من الذين انغمسوا في الملذات والآثام وحوّلوهم إلى العبادة والذكر والتلاوة . ومن المعروف والمشهور أنهم لا يتكلمون في السياسة ، وينهون أفراد جماعتهم عن الخوض في مشاكلها وهمومها ، وينتقدون كل من يتدخل فيها، ويقولون بأن السياسة هي أن تترك السياسة ولعلّ هذه النقطة هي جوهر الخلاف بينهم وبين الجماعة الإسلامية الباكستانية التي ترى ضرورة التصدي لأعداء الإسلام في القارة الهندية.

الكمال لله وحده كما نقول ، وذكر السلبيات يدفع لإزالتها أو التخفيف من آثارها ، ومما أخذه

عليهم الآخرون أنهم لا يهتمون ببيان ونشر عقيدة السلف والتوحيد الخالص بين أتباعهم ؛ بل يكتفون بالعموميات التي لا تغني في دين الله شيئًا ، كذلك لا يُنكرون الشركيات والبدع التي تعج بها بلاد المسلمين ؛ لاسيما الهند والباكستان حيث منشأ الجماعة .

وإنهم يتوسعون توسعاً أفقياً عدديا لا نوعيًّا ؛ إذ أن تحقيق التفوق النوعي يحتاج إلى رعاية ومتابعة ، وهذا ما تفتقده هذه الدعوة ، ذلك لأن الشخص الذي يدعونه اليوم قد لا يلتقون به مرة أخرى، وقد يعود إلى ما كان عليه تحت تأثير مغريات الحياة وفتنتها ؛ ولذلك فإن تأثيرهم لا يدوم طويلاً أمام التيار المادي الجارف ؛ إذ لا بد لمن غرس غرسة أن يتعاهدها.

ويأخذ عليهم خصومهم أنهم لا يضمهم تنظيم واحد متسلسل ، بل هناك صلات بين الأفراد وبين الدعاة تقوم على التفاهم والمودة ، ويؤولون أحاديث الجهاد على الخروج مما يكاد ينسي فريضة الجهاد في سبيل الله الحقيقية ، ويتساهلون كثيراً في رواية الأحاديث الضعيفة مع الإكثار من ذكر الكرامات التي تحصل لأتباعهم ولغيرهم من الصالحين.

يلجأون إلى النوم والأكل في المساجد تقليلاً للنفقة ، وينتقدهم البعض لهذا المسلك، وبخاصة في البلاد الأجنبية ، ولكن هذا المسلك لا يعيبهم طالما أنهم لا يغادرون المساجد إلا بعد أن تكون أكثر نظافة وأحسن ترتيباً.

ولذا لا يكفي عملهم لإقامة أحكام الإسلام في حياة الناس ، ولا يكفي لمواجهة التيارات الفكرية المعادية للإسلام التي تجند كافة طاقاتها لحرب الإسلام والمسلمين ، ولا ينكر أن أسلوبهم البسيط يترك أثره بشكل واضح على رواد المساجد من المسلمين ، أما أولئك الذين يحملون أفكاراً وإيديولوجيات معينة فإن تأثيرهم عليهم يكاد يكون معدوماً.

ومع ذلك أخي القارئ ينبغي أن لا يُغفل ما لهم من جهود وحماس وحركة مثيرة للإعجاب لهذا الدين ، فقد دخل على أيديهم خلق كثير إلى الإسلام في جميع قارات العالم ، وترك آخرون من المسلمين على أيديهم سبل الغواية والرذيلة ، بل استطاعوا أن يخترقوا قبل غيرهم الستار الحديدي الذي فرضته الشيوعية على بعض البلاد كالقوقاز .

قبل العودة لإبطال الرواية نذكر الجذور الفكرية والعقائدية لهذه الجماعة لتكمل الصورة المرجوة عنهم للقارئ الطيب .

فاعلم أنها جماعة إسلامية ، عقيدة مؤسسيها وكبار علمائها ودعاتها في شبه القارة الهندية هي نفس عقيدة الماتريدية ، على أن مذهبهم الفقهي هو المذهب الحنفي.. وهو مذهب القارة الهندية وتلك الأمصار ، تأثروا بالمتصوفة من مثل الطريقة الجشتية في الهند ، ويقيمون اعتباراً خاصاً لأعلام المتصوفة في التربية والتوجيه ، هناك من يعتقد بأنهم قد أخذوا أفكارهم عن جماعة النور في تركيا (أتباع النورسي بديع الزمان) ، ولا أظن أن هذا صحيحا ، إنما جاءت طريقتهم بالتدرج من جولاتهم الشائعة في نظام الملك دلهي ومناطقها .

يعتمدون في اجتماعاتهم ومحاضراتهم في البلاد العربية على القراءة من كتاب رياض الصالحين وكتاب حياة الصحابة للكاندهلوي ، وفي البلاد الأعجمية على القراءة من كتاب تبليغي نصاب وهو كتاب مليء بالخرافات والأحاديث الضعيفة.

ويطالبهم العلماء بالإقلاع عن اللجوء إلى كتابة التمائم المملوءة بالطلاسم ، وترك الأوراد والأذكار البدعية ، والاعتماد على الرؤى والأحلام كمصدر من مصادر الاستدلال والاهتمام بالعلم الشرعي وبخاصة علم التوحيد .

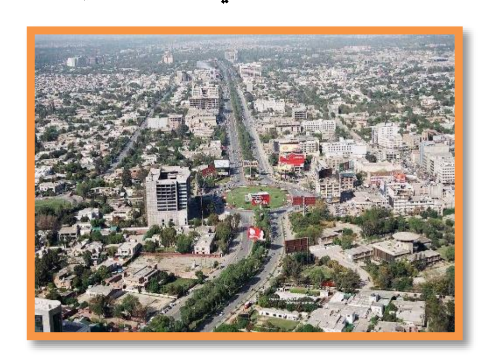
بدأت دعوتهم في الهند، وانتشرت في الباكستان وبنغلاديش، وانتقلت إلى العالم الإسلامي والعالم العربي حيث صار لهم أتباع في سوريا والأردن وفلسطين ولبنان ومصر والسودان والعراق والحجاز ، وانتشرت دعوتهم في معظم بلدان العالم في أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا، ولهم جهود مشهود لها في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في أوروبا وأمريكا.

مركزهم الرئيسي في نظام الدين بدهلي ، ومنه يديرون شئون الدعوة في العالم ، التمويل المالي يعتمدون فيه على الدعاة أنفسهم، وهناك تبرعات متفرقة غير منظمة تأتي من بعض الأثرياء مباشرة أو بابتعاث الدعاة على حسابهم الخاص.

إن جماعة التبليغ هي إحدى الجماعات الإسلامية السنية ، وتعتبر سندًا عاطفيًّا واجتماعيًّا لمسلمي

شبه القارة الهندية، وهي رمز من رموز الدعوة إلى الله في أوروبا والأمريكيتين ، وتقوم الدعوة عند هذه الجماعة، على أساس الكلمة الطيبة والخشوع في الصلاة والعلم والذكر وإكرام المسلمين والإخلاص والخروج في سبيل الدعوة ، ويمتاز دعاتها بالزهد، ولكنهم يعتقدون أن التصوف (بمفهومه القائم) هو أقرب الطرق لاستشعار حلاوة الإيمان ، مع ملاحظة ما عليها من مؤاخذات سبق التنبيه على بعضها ، نتمنى من عقلاء الجماعة تداركها ؛ ليحسن عملهم ويتوافق مع الكتاب والسنة .

انتقل الثقل ثقل الجماعة بعد انفصال الباكستان عن الهند إلى كراتشي بباكستان ، وقد تمددت الحركة إلى جميع قارات العالم وبلدانهم ، وللجماعة أمير كبير ، وفي كل دولة للجماعة رئيس معنوي ، وفي كل مدينة مندوب للتعاون والتنسيق في توزيع الجماعات على المساجد في الأحياء والدول تسمح لهم بالنشاط الدعوي لم عرف وشاع عن سلميتهم وبعدهم عن السياسة ، ولهم شبه بحركة التنصير العالمية في نشر المذاهب النصرانية ، ولهم أكثر من اجتماع سنوي ، يحضره مناصرون من أنحاء العالم ، ولهم اجتماعات أسبوعية ليلة الجمعة خاصة في المراكز الكبيرة .



تعرف حميد نبيل على الجماعة عن طريق مسجد الحي جامع الراشدون ، وأخذ أفراد الجماعة يترددون على محله لتصليح سيارتهم ؛ لأنه صديقهم ، وهو متسامح معهم بحكم الصداقة والجيرة لبعضهم ، وهم من باب الأخوة يرون التصليح عنده أولى ، فذات نهار كان حميد يصلح سيارة لأحد شيوخ الجماعة والزملاء ، فمر عليه ميلاد كما يفعل في بعض الأيام ، ورأى عنده جماعة منهم فقال متهكما : هل عندك اجتماع للمشايخ يا أبا محمد ؟ وضحك ، وضحك حميد والشيوخ ، فقال حميد : أهلا بابن العم ميلاد ، هؤلاء أصدقاء الدنيا والآخرة بمشيئة الله ، والتفت حميد لأحدهم وقال : يا شيخ حسن محمد هذا ابن عمي ومن سني ، لليوم يرفض الزواج لأنه أحب امرأة قبل عشرين سنة ..

ما رأيكم أن تجتهدوا عليه ؛ لعل الله يهديه على أيدكم الطاهرة .

فقال ميلاد متضايقا ومتأففا : أرجوكم لا تجتهدوا عليّ .. لي ديني ولكم دينكم .

فقال حسن : ألست مسلما ؟ فرد: بلى، أنا مسلم .. هل تراني يهوديا ؟

ضحك الجميع وتابع ميلاد : ولكنني لن أمشي معكم للجامع ولن أصلي

ـ لماذا ؟ من أجل امرأة تخسر آخرتك.. ومن أجل امرأة تخسر الزواج وتهجره .. ألم تفكر بالنار يوما ؟ وماذا جنيت من حبك المزعوم؟

فقال ميلاد : ما هذه الورطة يا عم حميد مع هؤلاء الشيوخ !

فقال حميد : المشايخ بركة الدنيا .. يريدون مساعدتك للخروج من ذكريات الماضي الأليم .. للخروج معهم يوما واحدا في سبيل الله لعلك تتغير

وأخذوا يتحدثون عن النار والعذاب ، وأن الخاسر الحقيقي هو الذي يخسر الجنة ، ويخسر الحور العين ، ولم يكفوا عنه حتى وعدهم بمرافقتهم إلى مسجد تنزل فيه إحدى الجماعات، وبين لهم أنه جنب ، ولا يعرف الطهارة ، فأكدوا له أن سيتعلم الغسل من الجنابة ، ووعدهم بالتوبة .

ودلهم حميد على بيته ومحله في السوق ، فصاروا يترددون عليه بين الفينة والفينة حتى استطاعوا أن يجروه للمساجد ، ويستمع لمحاضراتهم ومواعظهم .. فارتاح الشاب لمصاحبتهم ، وبعد حين أخبر ابن عمه حميد بأنه يفكر بالخروج معهم أربعين يوما ، فسر حميد للخبر وشجعه على فعل ذلك ، ورتب له خروجا مع الشيخ حسن محمد ، وخلال الخروج ترك الرجل لحيته ، وقد تمكن خلالها من ترك الخمر ، وقلص من عدد السجائر التي يدخنها ، وبالطبع ترك الدعارة بسبب توبته وتنقله بين القرى والأرياف ، وأخذ يفكر بالإسلام بشكل آخر ، وبشكل جديد ، مما أسعد كل من حوله وعرفه ، وتمنوا له الخير من أم وأخ وقريب ، وعندئذ أدرك الوهم الذي كان يعيش فيه ، فأخذ يتأثر بالقوم تأثرا كبيرا ، وبدا يتخيل نفسه داعيا كبيرا من دعاة الدعوة عندما يشاهد الشيوخ والرجال القادمين من كل بلاد الدنيا ليتعلموا الدعوة والصبر وقيام الليل ثم ينطلقون لكل بقاع الدنيا ، وقد سمع قصص شباب الدعوة وما كانوا فيه من زيغ وانحراف

وكيف حفظوا القرآن أو سورا كثيرة منه ؟ وكلما سمع ذلك يرتفع الحماس في قلبه.. فقد وصلت الدعوة والجماعة إلى أوروبا وأمريكا وروسيا .. وكان يسمع عن اجتماع يحضره الملايين من أنصار الدعوة في باكستان وبنغلاديش.. فيتحمس للخروج أربعة أشهر لتلك البلاد ، وحضور مثل هذه الاجتماعات الحاشدة والتي بدورها تدفع وتشكل آلاف المجموعات والجماعات للخروج والانتشار في بقاع الأرض .

فلما يسمع ذلك يلتهب قلبه شوقا للخروج الخارجي ، فأخذ يستيقظ من سباته ووهمه وجهله فأخذ يتعلم قراءة القرآن وتلاوته ، ولم تكد تمضي عليه سنتان معهم حتى أصبح شيخا مثلهم ، يقف أمامهم يحدثهم عن الصفات الستة ، ويدعوهم للخروج في سبيل الله ومناصرة الدعوة .. وتفاجأ الأقارب بمشيخته ، ومن الانقلاب الذي حدث له ، وعجبوا أكثر عندما علموا بسفرته لباكستان وبنغلاديش لحضور مؤتمرات الجماعة السنوية ، وقضى أربعة أشهر يدعو في تلك البلاد يدعو العصاة للتوبة والعودة للإسلام .

ولما رأى حميد صلاح ابن عمه وتوبته أعاد الشراكة التي كانت بينهم ، وظل يشجعه على الخروج الطويل ما دامت نفسه ارتاحت إليه .

لاهور ودكا

قد يكون الشيخ حميد أكثر الناس سرورا بتوبة ميلاد ، وعودته إلى حظيرة الإسلام الصالح ، حتى أنه سمع بعضهم يطلبون منه أن يخفف من تشدده نحو العصاة ، وأن ينكر المنكر بلطف ورفق ؛ فلذلك كان حميد كلما جاءه ميلاد من رحلة دعوة أو خروج في سبيل الله ـ كما يسميه هؤلاء القوم ـ يرغبه بالنكاح والاقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال من رغب عن سنتي فليس مني فيرد ميلاد : سوف أتزوج ، أريد أن أشبع من الدين ومن الندم .. قاتل الله الجهل !.. أنا أرغب بالزواج تأسيا بالحبيب ﷺ ؛ ولكنني في عطش وجوع للتوبة والدين ، لا أريد امرأة تشغلني عن السفر والدعوة إلى الله ، والسياحة في أرض الله .

ويأخذ ميلاد الذي ولد من جديد يسرد على مسامع حميد قصص الناس الذين رآهم والتقاهم

في الهند والباكستان وشرق أفريقيا .. فقد خرج للصومال رغم وطيس الحرب ـ فقد ألم بها حرب أهلية وصراع قبائل ـ فيستمتع حميد بقصص التائبين والناس ، وقد اعتاد على صنع وليمة خاصة لميلاد وبعض المشايخ كلما رجع ميلاد من رحلة خارج البلد أو خرج أربعين يوما داخل البلد وكان ميلاد يلبي الدعوة ، وكذلك الشيخ حسن محمد وغيرهم من شيوخ الحي حي الشيخ حميد.

وكان المشايخ مسرورين من انتقال ميلاد من حياة الفجور إلى حياة أهل السعادة والخير ، ويرجون أن يختم لهم بحسن الخاتمة ، والموت على التوبة والإسلام ، وقد ماتت أم ميلاد وهي سعيدة بتوبة ابنها ، وكانت تودع الدنيا وهي تقول كان مناي أن أرى أولادك يا قرة العين وماتت وهي راضية عنه ، وهي تدعو له بالثبات بعد أن صار مرتادا للمساجد بدلا من الخمارات وأصبح الرجل مثلا للناس في الحي ، وتروى سيرته الفاسدة والحسنة ، فلم يكن أحد يظن أن ميلادا الذي مات ووالده عليه غاضبا ناقما مطرودا أن يتحول إلى المساجد ، فقد كان الشيطان الرجيم في الحي ، فهو من ملهى لآخر ، ومن فسق إلى فسق ؛ ولكن القلوب بين يدي الرحمن الرحيم يقلبها كيف شاء ، فصار اليوم بين الجولات والمساجد ، فحتى حميد شريكه من جديد لم يعد يطالبه بالعمل والدوام ، ويقول له يكفينا دعاؤك يا شيخ ميلاد ، ولتعلق ميلاد بالخروج رتب لحميد راتبا شهريا يتقاضاه نهاية كل شهر ، ويتقاسمان الأرباح بالسوية ، فرضي حميد لقسم ميلاد على هذا الاتفاق ، ولتهديده بفسخ الشراكة إن يوافق حميد فوافق .

وفجأة اهتز العالم لحادث رهيب ، فقد تعرضت أقوى دولة عسكرية في العالم الحديث لاعتداء عجيب وغريب وغامض ، فقد أصاب الولايات المتحدة الأمريكية ضربة قاسية موجعة ، فقد ضرب البنتاغون مقر وزارة الدفاع بطائرة مدنية مخطوفة ، وتعرض برجي نيويورك للتدمير بطائرتين أمريكيتين مدنيتين ، فانهارا انهيارا كاملا ، وزعموا أن ذلك من منظمة إسلامية متشددة سموها القاعدة ورأسها المدبر في أفغانستان .

وقع ذلك الحادث الغريب في الحادي عشر من سبتمبر أيلول عام ٢٠٠١ ، وقد بث الحادث

مباشرة على فضائيات العالم التي غمرت سموات المدن منذ عقد من الزمان ، وعلى أثر هذا الحادث الرهيب الذي حمل للإسلاميين ، ثم أضيف للمتشددين الإرهابيين غزت الولايات المتحدة وحلفاؤها بلاد الأفغان في أواخر العام نفسه ، وأصبح الحديث عن الإرهاب العالمي ذا شجون ، وشددت الإجراءات الأمنية مجددا على المطارات ، ورحلات الطائرات ، وعلى الموانئ والحدود البرية والبحرية والجوية .. واستمرت جماعة التبليغ الهندية في نشاطها وتحركها في أقطار العالم رغم ما وجه لها من إشاعات وشبهات ، والجماعة لم تتأثر بشيء ؛ وكأن الأمر لا يعنيها ، واستمر الخروج والتنقل ، وكأن لم يحدث في العالم زلزال أمريكا .. بل زاد نشاطهم في عقر أمريكا نفسها ، وسمعنا تهافت الناس على الإسلام ومعرفة الإسلام ، وسمعنا أن المكتبات نفق ما فيها من تراجم لمعاني القرآن الكريم .

ورغم الإعاقات التي وضعتها بعض الدول لمنعهم من الدخول إليها ، تدفق دخولهم ونشاطهم وزادت مراكزهم الدعوية في أمريكا اللاتينية والإفريقية ، ومع إغلاق مؤسسات مالية إسلامية وإغاثية استمر الغيث ينهمر .

تعقد جماعة التبليغ والدعوة مؤتمرات سنوية لأعضائها ومناصريها، فهناك اجتماع سنوي في مدينة رايوند قرب لاهور ، وآخر يعقد في دكا في مطلع السنة الهجرية من كل عام ، يجتمع الدعاة في اجتماع عام لسماع المحاضرات والدروس ، ثم يبدأ توزيع التشكيلات أي المجموعات الدعوية داخليا وخارجيا ، ولهم اجتماع سنوي مهم في جيبوتي شرق أفريقيا ، وآخر في اليمن ونحوه في الأردن ، فكان السيد ميلاد محبا لحضور هذه الاجتماعات في باكستان وبنغلاديش لكثرة ما يسمع عنها من مشايخ التبليغ .. وقبل أن نروي ما جرى للسيد ميلاد في تلك الديار نقرأ باختصار وصف أحد العلماء لتلك الاجتماعات .

ويعرف هذا التجمع الذي تنظمه جماعة التبليغ والدعوة منذ ستينيات القرن الماضي بـبيسوا ليتيما حيث يتجمع الملايين من المسلمين في بنغلاديش في ضاحية تونغي قرب ضفاف نهر توراج على بعد نحو عشرين كيلومترا جنوبي العاصمة دكا، يتدارسون القرآن الكريم ويستمعون لعلماء

الدين . ولا يسمح فيه بأي مناقشات سياسية .. وينتهي التجمع بالدعاء وصلاة جماعية عادة ما يحضرها كبار رجال الدولة في بنغلاديش.



وصف أحد الشيوخ الرحلة قائلا : فواصلنا سفرنا إلى كراتشي (مقاطعة باكستانية)، فأخذنا نغط في نومنا ولم نشعر إلا حين أعلن أننا على مقربة من مطار كراتشي فاستيقظنا ، فحمدنا الله تعالى على الوصول بالسلامة ، فدخلنا مدينة كراتشي قبيل صلاة الفجر ، فصلينا الفجر في منزلنا في الفندق . وبعد أن استرحنا زمنًا كافياً للراحة بعد صلاة الفجر ، تبادلنا الرأي بالنسبة للسفر إلى (لاهور) قبل السفر إلى (دكا) كما هو المقرر .. فقضينا يوم الأربعاء في محل الحجز إلى دكا ليوم الخميس، ولكننا علمنا أن السفر إلى دكا عاصمة (بنغلاديش) لا يتم إلا يوم الجمعة بالنسبة لمن لم يسافر يوم الثلاثاء والذي وصلنا فيه إلى كراتشي ، هما رحلتان فقط ، رحلة لطائرة باكستانية يوم الثلاثاء ، ورحلة لطائرة بنغلاديش يوم الجمعة لا ثالثة لهما .

فحجزنا في طائرة يوم الجمعة فسافرنا فيها بعد صلاة العشاء بإذن الله، وصلنا مطار (دكا) في وقت متأخر من الليل ، والمسافة بين مطار (كراتشي) ومطار (دكا) تستغرق ثلاث ساعات ونصف ساعة ، وكان في استقبالنا نحن وجميع الذين وصلوا معنا لحضور اللقاء لجنة مرابطة بالمطار لاستقبال الوافدين ، ومعهم عدد من الأشخاص الذين بيننا وبينهم معرفة سابقة من السودانيين وبعض الباكستانيين، فقاموا بجميع إجراءات المطار ، وللوافدين لحضور الاجتماع إجراء خاص ، حيث أنهم لا يفتشون بل لا تفتح شنطهم ؛ وإنما تكتفي بالإشارة عليها بالتباشير الملون فقط ، بينما يفتّش غيرهم تفتيشاً دقيقاً ، ثم نقلونا إلى مسجد لهم بجوار المطار ليوزعوا الضيوف من هناك على منازلهم في المخيم المهّيأ لهم بجوار مقرّ الاجتماع ، فتم توزيعنا قبل صلاة الفجر ؛ بل هجعنا قليلاً قبل الأذان ثم أذن فصلينا في ذلك المسجد القريب وهو عبارة عن صالون كبير أقيم على مساحة من الأرض تقدّر بـ (كيلو ونصف في كيلو) ليّسع لآلاف من

الناس ، ويصلي العدد الكبير الذي قدروه بما يقارب المليون خلف إمام واحد دون استخدام مكبّر الصوت ، بل يُكتفى بعدد كبير من المبّلغين موزّعين في المسجد على أماكن مرتفعة حيث يسمع كل مصلٍ مهما بعد مكانه عن الإمام صوت المبلغ فيّتبع الإمام ولست أدري ما السبب في عدم استخدام مكبر الصوت في الصلاة ؟! علماً أنهم كانوا يستخدمونه في المحاضرات والتوجيه والتعليمات اللازمة !

وأما كيف تم ذلك التنظيم الدقيق والإعداد العجيب ؟ فأمر يعجب الإنسان عن وصفه وصفاً دقيقاً فقد بني المسجد ومنازل الضيوف من مواد بناء خفيفة تستخدم ، ثم ترد لأصحابها في حوانيتهم ، وهي لا تزال صالحة للبيع والاستعمال وهذه المواد عبارة عن زينكو وعيدان الخيزران والخيش والحبال دون استخدام المسامير لئلا يتلف شيء من مواد البناء إذ قد تبرع بها التجار وأصحاب المصانع ، وقاموا بأنفسهم بالبناء والتركيب فإذا ما انقضى الاجتماع فسوف يقومون بحلّ الحبال ونقض البناء بسهولة كما كان التركيب والبناء بسهولة من قبل . في هذا المسجد الغريب من نوعه في ذلك الجو الإسلامي الهادئ يبعث على الخشوع والطمأنينة وبعد الصلاة أخذ المصلون يعقدون جلسات موزعة في المسجد ذلك الذي يشبه مساجد المسلمين في أيامهم الأول عندما كانت المساجد إنما تقصد للصلاة والعبادة فقط لا للتباهي بها وزخرفتها... والله المستعان.

فأخذت الجماعات الموزعة في المسجد تتدارس القرآن حفظاً ، وكانت التلاوة قاصرة على السور القصار التي يحفظها غالباً جميع المصلين أو أكثرهم حتى تطلع الشمس ويحين وقت تناول طعام (الفطور) فبعد الفطور تُعدّ المحاضرات ، وفي ضحى ذلك اليوم .. حضرنا محاضرة ألقاها في طائفة ذلك المسجد فضيلة الشيخ ... باللغة العربية ، وهي محاضرة تخصّ العرب فقط ، ولقد كانت قيّمة ومفيدة أجاب فيها على كثير من الشبهات التي تدور حول نشاط الجماعة ووضعية دعوة الناس إلى الخروج ، والغرض من الخروج وخلاصته تغيير البيئة للدعاة والمدعوين، لأن الذين يخرجون ليسوا كلهم دعاة بل أكثرهم ممن يُراد إصلاحهم وترغيبهم في الإسلام وحُبّه ،

وتعليمهم ما يجهلون من أمور دينهم ، وقد أثبتتْ التجربة أن ذلك لا يتم للإنسان إلا إذا خرج تاركاً مشاغل الحياة المتنوعة وانتقل إلى بيئة صالحة للإصلاح ...الخ وبعد محاضرته أعلن لجماعة العرب أنهم يحضرون محاضرة .. بعد صلاة الظهر وطلب من أحدنا أن يقوم بهذه المحاضرة العامة ، فلبيّنا الطلب طبعاً فألقيتُ المحاضرة بعد صلاة الظهر، فتُرجمت فوراً إلى عدة لغات .. فكنّا نحضُرُ بعد كل صلاة محاضرة مترجمة من الأردية إلى العربية .

هذا ! وقد كان محل الاجتماع بعيداً عن العاصمة ، وهذا مما ساعدهم على إيجاد الهدوء ومواظبة الناس على صلاة الجماعة ، بل ملازمتهم للمسجد مدة الاجتماع.

أما نحن فغادرنا بالسفر يوم الثلاثاء بعد انتهاء الاجتماع مباشرة للقيام بزيارة بعض الجهات في باكستان .

وأما غيرنا فبادروا بالخروج في سبيل الدعوة إلى الله، فكانوا يُشكّلون جماعات متعددة بعد كل محاضرة ، ويوم الثلاثاء كان يوم توجيه للدعاة وتبصيرهم ووداعهم، وهو يوم امتزج فيه الفرح بالبكاء الذي يدل على ما يكنّه القوم من التّحابُب في الله والتفاني في حب الله والتجرد للدعوة إلى الله وتعليق قلوب العباد بالله وحده دون الالتفات إلى ما سواه.

هذا ملخص ما يُستفاد من محاضرات القوم وحديثهم وتصرفاتهم وزهدهم المتعدد ، خلافَ ما يَذكُرُ من لم يعرفهم حق المعرفة أو يتجاهل حقيقة القوم لغرض .

ومما ينبغي التنويه به أن الجماعة تتمتع بما لا تتمتع به الجماعات التي تدعو إلى الله ، وهو الصبر مع من يريدون إصلاحهم وهدايتهم وحسن السياسة معهم ، صبرٌ يشبه صبر الأم الرؤوف على طفلها الحبيب. وقد هدى الله بهم خلقاً كثيراً من مختلف الجنسيات ، وفي مقدمتهم شبابنا الذين نبعثهم للدراسة إلى أوروبا وأمريكا ثم نهملهم ونتركهم وشأنهم دون رعاية أو تربية ، وقد قيّض الله لكثير منهم هذه الجماعة فهداهم الله بها ، بعد أن كادوا يمرقون من الإسلام متأثرين بحياة الجهة التي يدرسون فيها، ولديّ مشاهدات وقصص يطول سردها .

أذكر على سبيل المثال قصة قصيرة عن شاب عربي حضر اجتماع دكا ضمن مجموعة من شباب

في أمريكا بعد أن أنقذه الله من الجاهلية التي تورّط فيها ، بسبب هذه الجماعة ، وهذا أبدى لي رغبة في أن يعتمر ولعل العمرة تُكفّر عنه سيئاته وتذهب بأمر الجاهلية. فشجّعته على ذلك طبعاً بعد أن ذكرتُ له فضل التوبة، وأنها تجبُّ ما قبلها، فقال: وهو يحسُّ بالخجل والاستحياء باد على وجهه - يا أخ أريد أن أعتمر ، ولكن ما أدري كيف العمرة ؟ وماذا أفعل إذا وصلت مكة لأني نسيتُ كل ما درسته في المرحلة الثانوية قبل أن أذهب إلى أمريكا ! وضيّعتُ كل شيء...... قال هذه الجملة وهو متأثر، وأنا بدوري تأثّرت فقلت له : فتعال بنا إلى بعيد عن الناس لكي أشرح لك أعمال العمرة إلى أن قال : هل تسمح تُسجّل لي ؟ قلت : لا مانع إذا لديك مسجل وشريط، فأحضر المسجل فسجلتُ له بالاختصار ، فشجّعته على زيارة المسجد النبوي بالمدينة المنورة ، وزيارة الجامعة الإسلامية لكي تُزوّده الجامعة بالكتب والرسائل النافعة والأمر الذي أريد أن أخلص إليه في هذه القصة وما قبلها أن لجماعة التبليغ مكاسب يطول سردها ليست لغيرها من الجماعات التي تدعو إلى الله في العالم الإسلامي وغير الإسلامي ، وهي مكاسب ملموسة لمس اليد ، لا يقدر أحد إنكارها عدواً كان أو صديقا .

وسرُّ المسألة أن الجماعة جعلت الدعوة إلى الله ومحاولة إصلاح الناس هدفها في هذه الحياة ، ولم تمسك الدعوة باليد اليسرى والتعيش باسمها باليد اليمنى، بل مسكتها بكلتا اليدين، ثم أنها ابتعدت عن التطلع إلى حب المدح والثناء عليها ؛ بل استوى عندها المدح والذم ، حتى أصبحت الحياة رخيصة عندها .

وأكتفي بهذه الإشارة ؛ لأن الأمر واضح ، ولأن أثر دعوة القوم واضح كما قلت والعاملون يستدل عليهم بآثار أعمالهم وبمكاسبهم ، والله ولي التوفيق، وفي ذلك الجو الذي ذَكَّرنا حياة الدعاة الأولين الفطريين... قضينا ثلاثة أيام

ويتابع الشيخ المعجب بهذه الفرقة : ومما يلاحظ أن جماعة التبليغ ليس لها اسم رسمي ، وإنما يُسمّيها الناس بهذا الاسم الذي تدل عليه دعوتهم وعملهم وهو التبليغ والتذكير وأن المِرَانَ على الدعوة والتنظيم والاجتماعات المتكررة كل ذلك أكسبهم دقة التنظيم في أمورهم دون أدنى

تكلّف أو ملل ، وفي إمكان الجماعة أن تعقد وتُنظّم لأكبر اجتماع الذي لو قامت للإعداد له جهة غيرهم لتكلّفت نفقات باهظة ، واحتاجت لزمن طويل جداً ، أما جماعة التبليغ فلا تتكلف في مؤتمراتها ولقاءاتها شيئاً يُذكر، إلا ما كان من قِرَى الضيف بالنسبة للوافدين من جهات بعيدة بل أفراد الجماعة يعتبر كل واحد نفسه مسؤولاً عن المؤتمر، فكل واحد منهم يقوم بعمل يخصّه، ويحضر ما في استطاعته أن يحضر ثم يباشر العمل بنفسه فكل واحد منهم يحاول أن يخدم وينفع غيره مما جعل مستوى التحابُبِ عندهم مرتفعاً جداً [٣]

دعوة عالمية وجهود جبارة تقوم بها جماعة إسلامية مثل جماعة التبليغ تعجز الدول الإسلامية الكبرى في إقامة هذا الجمع الكبير لخدمة الدعوة الإسلامية في عموم دول العالم .

وقال آخر : على مدار ستة أيام استضاف مركز الجماعة في مدينة (رايوند) قرب لاهور باكستان أكثر من مليون داعية دون ضجيج إعلامي وصحفي وبكل هدوء ، حجزت له كل القطارات من جميع أنحاء باكستان ، ونفدت كل التذاكر قبل أيام من بدء الاجتماع كما ذكرته الصحف الباكستانية ، اجتمعوا من كل مكان في حب الله والتعاون على البر والتقوى .

أكثر من مليون رجل صلوا الصلوات الخمس خلف أمام واحد على فترتين ، وذلك في ميدان فسيح ، وحضروا حلقات العلم ، وتلوا ما تيسر من القرآن ، وسمعوا بيانات مشايخ كلها تنصب في تعظيم الخالق ، وأهمية إتباع النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا ، والمحافظة على الصلاة ، والعلم وذكر الله، وأهمية أداء حقوق المسلمين وإكرامهم ،وإخلاص العمل لله ، وإن الحاضرين قد أكرمهم الله وشرفهم بحمل أمانه الدعوة للعالم أجمع ، فلا نبي بعد نبينا محمد ﷺ ، ولا أمه تحملت أعباء الدعوة بعد نبيها إلى يوم القيامة غير أمة الإسلام.

وهم يرون أن الدعوة إلى الله وظيفة كل مسلم موحد قائم بالفرائض والسنن، سواء كان عربيا أو أعجميا ، أسود أو أبيض ، عالما أو متعلما ، ضريرا أو بصيرا ، ذكرا أو أنثى ، شيخا كبيرا أو

[٣] – محمد أمان بن علي الجامي عميد/ كلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية

شابا صغيرا ، حافظا للقرآن والعلوم ، أو حافظا ما تيسر منه ، طالب علوم عصرية أو علوم إسلامية ، فالميدان الدعوي يسعهم جميعا ، ولكل منهم نصيب في الدعوة ، والكل محتاج لعلم التقوى والخوف من الله ، والعمل بما يرضي الله عز وجل ، ومتى جاء في المرء علم التقوى احتاج للبحث من العلماء عن علوم الفتوى ؟ ومتى نُزع من المرء علم التقوى وعدم الخوف من الله ، ضرب بعلم الفتوى عرض الحائط ، ولو كان على علم تام بالحكم الشرعي في المسألة ، جموع بشرية هائلة أتوا من كل حدب وصوب ، لمرضاة الله وخُتم الاجتماع بدعاء لله عز وجل بأن يحفظ الإسلام والمسلمين ، ويريهم الحق حقا ويرزقهم إتباعه ، والباطل باطلا ويرزقهم اجتنابه ثم أهم ما في الأمر من هذا الجمع السنوي المبارك عند مشايخ التبليغ ، هي ثمار هذا الجمع ، والخروج من الميدان للدعوة إلى الله ، وكم جماعة خرجت للدعوة ونشر الدين من ذلك الميدان فهم جزاهم الله خيرا لا يهتمون بالأعداد التي حضرت بقدر ما يهتمون كم جماعة خرجت للدعوة من قدماء وجدد ؟

وبعد شهر تقريبا من اجتماع رايوند ودكا تراهم على موعد في جيبوتي العربية لاجتماع حافل للتبليغ والدعوة في شرق القارة الإفريقية ، وبعده بأيام وفي جنوب جزيرة العرب وفي مدينة الحديدة باليمن لهم اجتماع العرب ، في اليمن السعيد ، في بلد أهل الإيمان والحكمة كما أخبر بذلك نبي الرحمة عليه السلام ، وهم يتجهزون لاستضافة مائة ألف داعية في ميدانهم ، ويستقبلون آلفا من إخوانهم العرب والقادمين من دول الخليج والدول المجاورة والبعيدة ، يريدون تجسيد حديث النبي حقيقة فيهم وفي هذا الزمان .

واعلم أن بين اجتماع اليمن وجيبوتي أسابيع قليلة ، ويفصل بين المجمعين الدعويين بحر القلزم (البحر الأحمر) ؛ ولكن القلوب موحدة والمنهج الرباني والنبوي هو الرابط بين كل هذه الاجتماعات التي تتم في دكا ورايوند والحديدة وجيبوتي وبهوبال بالهند وماليزيا وإندونيسيا وفنلندا وفي عموم عواصم العالم.

يقولون إنها اجتماعات (لا تسمع فيها لاغية) لا شتم ولا سب ولا لعن ولا تحقير لأهل

الإسلام ، ولا تنقيص لجهد المسلمين ، بعيدون عن الغيبة والنميمة ، تسمع سلاما سلاما ، فهي أمة واحدة موحدة بعثت كما نبيها رحمة للعالمين .. يجتمعون لحبه ويتفرقون على دينه ، ودعوة الخلق للخالق ، وتوجيه القلوب من الفاني للباقي ومن الدنيا للآخرة .

وجدت هذه الاجتماعات التي تعقد في كراتشي ودكا قبولا وحماسا لدي ميلاد عادل فيجتهد سنويا للذهاب إليها في موعدها وموسمها ، وذات موسم وهو يحضر اجتماع لاهور في رايوند التقى بداعية مسلم من كندا اسمه أو تسمى بالشيخ عبد الصمد ـ واجتماعات هؤلاء القوم يحضرها العرب والعجم والإنجليز وجنسيات مختلفة انضوت تحت لواء الجماعة أو متأثرة بها ، قد وصل الدعاة منهم للبيرو واليابان ـ فتذكر ميلاد ابنة عمه زهيرة مجدي ، وذكر الماضي وكان الرجل الكندي يحسن العربية ، ولاحظ تغير الرجل ، فظن أنه خرج إليها ؛ لأن جماعة التبليغ لها نشاط قوي وجدير بالاهتمام في كندا ، فربما هي أكثر الجماعات أتباعا ومساجد في كندا فقال مشجعا أذهبت إليها ؟!

فعاد ميلاد لنفسه وأجاب : لم أخرج جهة أمريكا وتلك البلاد ، وربما الخروج اليوم بعد أحداث نيويورك صارت أموره معقدة ..

ـ ما زال التبليغيون ينشطون هناك رغم كل المعوقات .. فالجنسيات البنغلادشية والباكستانية كثيرة هناك ، ولديهم قبول للقاء الجماعة .

ـ المهم عندما ذكرت أنك عبد الصمد الكندي ذكرتني بأقارب لي هناك هاجروا من سنوات وسنوات ، ولم أرهم منذ ذلك الحين

ـ كندا بلد واسع يا شيخ ميلاد العربي ، وسكانها قريب من الثلاثين مليونا ، وتستقبل سنويا أعدادا كثيرة من المهاجرين من شتى بلاد الأرض، وأكثر الوافدين من أصحاب المال والشهادات والطلاب للعلم والجامعات .. ونشاط الدعوة جيد في تلك البلاد ، ولكنهم موجودون بين الجاليات الآسيوية كالهنود والإندونيسيين .. وأنا مستعد لتنظيم زيارة لك إلى هناك لترى أقاربك .

ـ أيمكن هذا ؟!

ـ يمكن ؛ ولكنه يحتاج لوقت بسبب الأمن والإرهاب .

ـ وهل يسمحون لي بدخولها ؟

ـ هناك تسهيلات لجماعة التبليغ والدعوة ، فيمكن ترتيب رحلة خروج إلى هناك ترافق مجموعة خارجة من باكستان او بنغلاديش لأمريكا وكندا وغيرهما .. وعندما تدخل البلاد يسمح لك بزيارتهم .. فكندا بلد يشجع السياحة سواء كانت دينية أو دنيوية .

ـ سأفكر بذلك شيخ عبد الصمد .. كلام جميل اسمعه .. مرحبا بك .. أنت تأتي هذا الاجتماع كل سنة ؟

ـ منذ ثلاث سنوات فقط ، ذهبت في أكثر من رحلة سياحية لمصر والأردن ولبنان والعراق .

فكر ميلاد وهو يتعرف على الشيخ عبد الصمد الكندي بالذهاب لكندا ليقول لابنة عمه زهيرة مجدي أنا تبت إلى الله يا زهيرة ! وأنا نادم للإساءة التي ألحقتها بك ، نادم لأني حاولت قتلك عند زواجك ، أنا الذي صدمت سيارة زوجك في لحظة جنون واستسلام للشيطان .. أريد أن تغفري لي ، وتسامحيني يا ابنة العم .. أتوسل إليك أن تعودي للبلاد ، ولن تري مني شرا.. كنت أضحوكة للشيطان .. يا لجهلي ! .. كنت موهما نفسي بقيس ليلى وقيس لبنى

كل هذا راود فكر وذهن ميلاد ، وهو يحاور الشيخ عبد الصمد الكندي، ولما أخذ عنوانه ورقم موبايله الدولي قال : هل تعلم يا سيد عبد الصمد لو أوصلتني لكندا ستكون عملت عملا عظيما معي .. لا يذهب بك الظن أني سأذهب للشغل والهجرة إلى هناك .. إنما لرؤية قريب لي ، وقد هاجر إليها من زمن بعيد ، وأرغب بمقابلته لنتصالح ونتسامح .. أيامها كنت ضالا وعاقا فأحب لقياه ليغفر لي ذنبي وإجرامي معه ، وأسأله العفو والصفح ؛ ولكني هذه المرة غير جاهز للسفر لتلك الديار في أقصى غرب الأرض .. لنبق على اتصال بحكم التقائنا هنا على غير ميعاد عليك مساعدتي يا شيخ عبد الصمد .. ألك زمان في الإسلام ؟

ـ حوالي خمس سنوات شيخ ميلاد

ـ الله يتقبلكم ..أنتم بإسلامكم تذكروننا بأيام الصحابة ، وقصص إسلامهم كبلال وخباب وسلمان .. هل وجدت صعوبة ورفضا لإسلامك ؟

ـ من ناحية الأهل .. فلا ؛ لأننا نعيش بعيدين عن بعض .. وكل يعتمد على نفسه .. وأهلي ليس لديهم تعصب ؛ لأنهم بعيدون عن الدين .. نحن لما نكبر سنا يعيش كل واحد مع نفسه الأسر علاقاتها علاقة مناسبات وزيارات .. أنا ذهبت لمصر وتعلمت العربية في معهد لغة يتبع جامعة الأزهر العريقة في بلاد المسلمين ، ثم أشهرت إسلامي في الجامع الأزهر أمام لجنة من المشايخ ، وأعطوني صكا بأنني أصبحت مسلما ، وتسميت بعبد الصمد وهو اسم مشهور لأحد القراء للقرآن الكريم ، ثم التقيت بمشايخ من جماعة التبليغ المصريين ، ولهم مركز في الجيزة وأكثر في بلدان مصر ، ولهم نشاط دعوي كبير .. مصر بلد كبير وسكان كثير .

ـ أكثر الدول العربية سكانا وبشر .

ـ وأصبحت مترجما لهم في بعض مناطق دول أمريكا خاصة الناطقة بالفرنسية والإنجليزية .. وأنا على استعداد لخدمتك للوصول لخصمك حتى تتصافى أنت وإياه وتعود المحبة بينكم .. لكن عليك معرفة عنوان قريبك هذا .. وأين يوجد في كندا ليسهل الاتصال به واللقاء ؟

ـ إن شاء الله السنة القادمة إذا قدرت لنا الحياة نلتقي هنا على هامش الاجتماعات ودراسة الأمر ونرتب لرحلة دعوية إلى كندا ندعو ونسعى للقاء الشخص الذي ظلمته .

وهمس لنفسه هل تسامحني زهيرة بعد كل هذه السنوات ؟.. لقد كنت سببا لفرارها وهجرتها



فلما رجع الشيخ ميلاد من بلاد الهنود بعد شهوده مؤتمر رايوند ودكا كان في جعبته لقائه الغريب لعبد الصمد الكندي ، واعلم أن مؤتمر دكا السنوي فهو يعقد منذ عام ١٩٦٦ قبل انقسام

باكستان لشرقية وغربية ، فهو يعقد في المحرم من كل سنة غالبا ، لقد تقسمت الهند لعدة دول بعد جلاء الاستعمار الإنجليزي بعد الحرب الكونية الثانية .

فأول دعوة يتلقاها عندما يعود من سفره الدعوي تكون من شريكه وصديق عمره حميد نبيل ويحرص حميد على أن يكون من أول مستقبليه في الوطن ، ليسمع منه أخبار رحلته ونشاطه خلال تلك الشهور ، ويستمتع بقصصه التي أتى بها من تلك البلاد العجيبة المليئة بالبشر ، الهند وباكستان وبنغلاديش ربما فيها خمس أو سدس العالم ، فمدينة نظام الدين في دلهي ما زالت تستقطب تاريخ الدعوة .

وعندما يسمع حميد أخبار الجماعات التي تخرج يصاب بالدهشة والإعجاب ، ويزداد الأمل في قلبه بعودة الإسلام للعصور الأولى .. وكان أغرب شيء سمعه منه عام ٢٠٠٣ لقاءه بالشيخ الكندي عبد الصمد ، فقال ميلاد والتقيت هذا الموسم جماعة قادمة من كندا يا أبا محمد .. فلم عرفت أنهم كنديون راحت روحي لتلك البلاد وإلى ابنة عمي زهيرة .

خفق قلب حميد وهمس : ويحك !!

ـ أرجوك لا تسيء الظن بي ، أنا تبت إلى الله سبحانه في علاه يا رجل

ـ جميل ! أنت يلزمك الزواج ؛ لتذهب زهيرة من روحك ونفسك إلى الأبد .. والله منذ طلاقها لم نعد نسمع شيئا معروفا من أخبارها .. كيف رضيت أن تعيش هناك بدون أهل وأقارب ؟! سامحها الله في علاه

ـ بل سامحني الله أنا يا أبا محمد .. أنا أجرمت في حقها ، لقد كنت سببا في حبها لتلك الهجرة ، واتخذت الدراسة حجة .. أنا الوحش الذي كانت تخشاه !.. كم أبكي ندما وأسفا؟! آه يا حميد سأفشي لك سرا لم أبح به لنفسي إلا اليوم

ـ سر ! أثرت فضولي

أخذه البكاء والنشيج والحزن وقال باكيا معتصرا لقلبه: سعيت لقتل زهيرة يا حميد

قال حميد : ماذا؟!

ـ نعم ، أرجو أن يغفر الله لي تلك المحاولة .. قبل أن تسافر بأيام صدمت سيارة زوجها سامر وهربت ..

عادت ذاكرة حميد لحادث سيارة سامر قبل سفرهم ببضعة أيام ، تبادل الرجلان النظرات وعاد ميلاد يقول نعم ، قد جننت ، كان يجب أن يموت أحدنا يا حميد .. لم أعتقد أنها ستكون زوجة لغيري ، ولم يخالجني شك بأني سأكون زوجها في النهاية .. كنت مهووسا بحبها والحياة معها كما تذكر .. الحمد لله أنها نجت ، ولم تصب بأذى ، وإلا مت كمدا

وبعد صمت عميق وعدم تعليق حميد بشيء عاد ميلاد للكلام فقال : المهم عندما التقيت بهؤلاء الكنديين وخاصة الشيخ عبد الصمد الذي تعلم العربية بمصر وأسلم فيها قبل مشيه مع الأحباب رغبت بالذهاب إلى هناك لأطلب منها أن تسامحني يا حميد بعد أن أقر لها بجريمتي ، وأطلب منها المسامحة وإبراء الذمة ؛ لعل الله يقبل توبتي ، وأرجوها أن تعود للبلاد ، ولن أمسها بسوء.. الندم يقتلني ويؤرقني يا حميد

قال حميد : صدق أن هذا جميل منك ! الحمد لله الذي نجاها من الموت ومن الحادث وإلا قضيت عمرك قابيل

ـ يا الهي! رأيت الزنا والسكر يهون أمام شروعي بالقتل .. المهم تحمست للخروج إلى كندا وأمريكا .. ويقول الرجل إن كندا شاسعة جدا ، وسكانها قريب من الثلاثين مليون

ـ من الضروري معرفة المحافظة أو المدينة أو حتى القرية التي تعيش فيها أم شمس.. إذا كان عندهم قرى .. كيف ستعرف ذلك ؟

قال : فكرت في هذا أثناء وجودي في تلك البلاد .. إما من زوجها سامر ولا أعتقد أنه سيصدق شيئا مني ، وأن قصدي المسامحة .. وإذا صدق الحال ربما يعطيني رقم تلفون لها .. وقد يؤدي التلفون الغرض .. ولكن التلفون لن يقنعها بتوبتي وندمي وتثق بالكلام وترجع .. وقد تغلق التلفون في وجهي كما كانت تفعل هنا

ـ والحل الثاني

قال : أن تتعاون معي امرأة عمي هناء ، وتعطيني اسم المكان أو تشجعها للقبول بالحديث معي لأطلب منها العفو

ـ للآسف امرأة عمي ما زالت تكرهك ، ولا تصدق أنك تغيرت وتبت .. وهي تعتبرك السبب الرئيسي في هروب زهيرة .. أنت وأبوك العم عادل ـ رحمه الله ـ ترفض مسامحتكم لليوم .. رغم زواجها تجعلك سبب التفريق بينها وبين بقاء ابنتها هنا .. وإذا طلبت عنوانها فلا أعتقد أن تبخل به عليّ للمودة بيننا .. فأمي ما زالت صديقة لها منذ أيام حياة عمنا رحمه الله وزوجتي تزورها وهي تزورنا .. وزهيرة طيبة قد تسامحك على الهاتف .. ولكن لابد من اللقاء بها لترى أنك ميلاد غير الذي عرفته ، وتطمئن وتعود للبلاد وتتشجع لذلك .. فهي وحيدة هناك مع ابنتها ، ولليوم لم تتزوج مرة أخرى

ـ عزباء بعد طلاقها .. نسأل الله لها السلامة .. وسامر هل تزوج ؟

ـ تزوج بعد عودته بسنة ، وعنده أولاد كما علمت من أم زهيرة في إحدى الزيارات .. والرجل لا يصبر على ترك الزواج كالنساء .. عنده بنت وولد .. وهو يتصل بأم زهيرة سائلا عنها وعن صحتها .. عليك أن تجد حلا لتسامحك الأخت زهيرة ؛ لأنك قسوت عليها تلك الأيام السوداء

قال : لن يرتاح لي بال حتى تسامحني وتغفر لي الإساءات والظلم .. الظلم ظلمات يوم القيامة الجهل في الدين قاتل .. غفر الله لأبي الذي أوقع هواها في قلبي

ـ كله جهل .. جهل



ذهب حميد وزوجته في زيارة لامرأة عمه هناء محمد ، ولم تكن أول مرة يزورها ، فهو الوحيد من أقارب زوجها مجدي الذي يتفقدها ، ويتفقد أحوالها ، وكان يعتبر ذلك من الواجب عليه حيالها

وطاعة لأمه التي ما زالت تحافظ على الصداقة القائمة بينهن ، فأحيانا يأخذ أمه ، وأحيانا أخرى امرأته ، يمرون على هناء ، ويجلسون معها ، ويطمئنون على صحتها ، وترافقها أم حميد لمراجعة مستشفى أو طبيب أو عيادة ، ورحبت المرأة بابن سلفها ، وكانت السيدة قد ترملت منذ سنة ونصف تقريبا ، وظلت تعيش في بيت رستم الذي ورثت جزءا منه ، واستقرت فيه ، ورغبت بالتنازل عن حصتها فيه للأولاد ، فرفضوا ذلك وطلبوا منها البقاء فيه وفاء لأبيهم ، وبعد حياة طويلة تمنوها لها سيدفعون بحصتها فيه لابنتها وورثتها .

فلما شُرب الشاي ، وتناولوا بعض الفواكه المبردة ـ وكانت خادمة زهيرة روجا التي انتقلت بعد وفاة أم هناء للعمل عند هناء ما زالت حية وتعمل مع العائلة ـ وتبادلوا الحديث وأخبار العائلة المريض والميت والحي ، قال حميد جئت إليك هذه المرة يا أم زهيرة في حاجة أرجو أن تساعديني فيها

ظهر الفرح والسعادة على وجه هناء أم زهيرة وقالت : هذا يوم سعد أن أخدمك بشيء يا سيد أبي محمد

قال : لي صديق يريد السفر لكندا حيث تعيش الدكتورة أم شمس .. فتذكرت زهيرة وحياتها هناك قلت قد يستفيد من وجودها هناك بمساعدة .. والذاهب لأول مرة لتلك البلاد سيكون كالغريق يحتاج لقشة ينجو بها .. فلو أعطيته عنوان الدكتورة وتلفونها نكون قد خدمناه وساعدناه في أول وصوله لهناك

رحبت هناء بالمساعدة والمعروف وقالت : لا بأس يا بني .. فقبل أيام تحدثت معي زهيرة وهي تسلم عليكم جميعكم .. وستسر بهذه الخدمة لأني دائما أذكركم بكل خير أنت وزوجتك وأمك وكلما نتكلم أحثها على زيارتنا فتقول أنت تعالي وانظري الدنيا .. أنا نسيت البلد .. وعنوانها عندي لأني أرسل لها بطاقات التهنئة بالأعياد .. الفطر والأضحى

قال : هي لم تتزوج بعد ؟

قالت : لا ، لم تتزوج ، وابنتها على وشك الدخول في الجامعة ، وعلمت منها أن حياة ابنتها

المنفتحة على عادات تلك البلاد صعبة وتعاني معها .. فهي متمردة على عادات الشرقيين ، فتخرج سافرة وبالبنطال القصير الشورت إنها كالأجانب .. فلم تستطع تربيتها على الثياب المحتشمة .. حال لا يسر ؛ ولكنها لا تستطيع إجبارها على شيء أو منعها من شيء .. فهي فتاة بالغة وفي آخر سنوات المدرسة الثانوية

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله .. هذه مآسي الحياة في الغرب .. الحرية المطلقة والأخلاق الفاسدة هذا ثمن تلك الحرية المزعومة .. لا الأب يسيطر على الابن والبنت ، ولا الأم تستطيع ذلك .. هداها الله

وبعد صمت قال : لو أعطيتني عنوانها وهاتفها

مشت هناء ، وأحضرت رسالة أو مغلف رسالة عليه عنوان زهيرة ، فنقله حميد على ورقة احضرها خصيصا لذلك ، وكتب رقم هاتفها وكانت هناء تقول : هي تعيش في مقاطعة كبيرة من تلك البلاد تعيش في مدينة مونتريال كوبيك .. وهي تعمل في مستشفى كبير في تلك المدينة العالمية .

شكر حميد امرأة عمه ، ودعا لها بالصحة والعافية ، واستأذنا بالانصراف والمغادرة ، وبادلتهم المرأة التحية والشكر ، ورافقتهم حتى انطلقت بهم السيارة لبيتهم .

نحن نعلم مقدار صداقة حميد لميلاد ، فهي بدأت منذ الطفولة وخفت قليلا بسبب انحراف ميلاد عادل ، ثم عادت قوية بعد توبة ميلاد واستقامة أمره في الحياة الدنيا ، وهو محب بأن تصفى الأمور بينه وبين الفتاة التي دفعها للهجرة ، والبعد عن كل العائلة ، وتختار الهجرة للغرب ، وها هي ابنتها الوحيدة تضيع في متاهة الغرب وتقاليده وتهاونه في مسألة الجنس والعلاقات خارج الحياة الزوجية ، ولما اتصل حميد به بعد عودته من عند امرأة عمه غمرت السعادة الشيخ ميلاد وعقب : عليّ أن أخرج من هذه الدنيا وقد غفرت لي زهيرة ظلمي لها

ولما أخذ عنوان الدكتورة ورقم هاتف بيتها ، فكر بالاتصال بها فورا ؛ ولكنه تراجع قائلا سترفض الحديث معي ، ولا أستطيع مصارحتها بمحاولة القتل على الهاتف

وأخذ يفكر بالحديث مع الشيخ عبد الصمد ؛ ولكنه كما علم منه أن مكان عمله في نيويورك وليس في كندا وإنما يتردد على كندا زائرا لأسرته أبيه وأمه وابنته الوحيدة ، فهو غير مرتبط بزوجة منذ غير دينه .

وكان ميلاد قد تبادل أرقام الخلوي مع عبد الصمد والكثير من الشيوخ حتى إذا زاروا بلده أو زار بلدهم يسعون للقاء بعضهم البعض .

وفكر ميلاد جديا بالاتصال بعبد الصمد الذي طابت الصحبة بينهم أثناء وجودهم في مؤتمرات الأحباب في رايوند قرب لاهور ، وفي دكا عاصمة البنغال ثم أمهل نفسه أسبوعا ، وكان يقول لنفسه : هل من فائدة ترتجى من الذهاب لكندا ؟ .. فعبد الصمد رجل قدير ، وهو طبيب بشري كما حدث .. ألا أستطيع تكليفه بالحديث مع زهيرة ؛ ليشفع لي عندها ، وقبولها الحديث معي لتسامحني .. هل تقبل هي بالحديث معه في مثل هذا الموضوع الحساس والخاص ؟ .. بعد أيام اتصل به من عند حميد من بيت حميد .

اتصل من بيت حميد برقم عبد الصمد ، ولم يرد عليه أحد .. وعبد الصمد يحسن العربية ، قد تعلمها بمصر ، وأعلن إسلامه فيها ، وأعطى الرقم لحميد وقال : حاول كل ليلة حتى يرد عليك وعرفه بنفسك حين يرد ، وحدد موعدا لأتصل به .. فهو يحسن العربية ويتقنها أحسن منا ، ولكن لكنته تميزه بأنه غير عربي .

استطاع حميد بعد عدة أيام سماع صوت شخص على الخط الآخر ، وعرفه بنفسه وسمع الصوت نعم ، أنا عبد الصمد ..أنت قريب للشيخ ميلاد .. اذكره .. ليس لنا إلا أسابيع مفترقون .. كيف حاله؟

ـ بخير ، وهو راغب بالحديث معك مباشرة من أجل أقاربه في كندا

ـ جيد ، ميلاد شيخ طيب مسكين

اتفقا على موعد للاتصال ، فقال ميلاد لحميد وهو يتلقى منه موعد الاتصال : هل من فائدة يا حميد من مقابلة زهيرة مباشرة ؟ خاصة بعد كل هذه السنين

ـ إنها ابنة عمنا ، ورحم لنا ، وأنا أشجعك على اللقاء بها ، وفتح صفحة جديدة بينكم ؛ لعلها تتشجع وتعود للبلاد ، وتعيش بجوار أمها ما بقي لهم من الحياة ، فالأعمار بيد الله عز وجل .. وأيضا لتطهير نفسك .. فاليوم درهم ودينار وغدا ـ كما تعلم ـ لا درهم ولا دينار حسنات وسيئات .. ومن كان عنده لأخيه مظلمة فليتحلله منها اليوم كما أخبر الرسول ﷺ هذا ثانيا .. نحن قصرنا معها أيام الشباب .. وإذا أنت لا تفكر بالسفر إلى هناك للمشقة والمال .. فشفع ذلك الكندي بالاتصال بها واللقاء بها والتعرف عليها ؛ لتقبل بالحديث معك إذا أحسن الرجل نقل الصورة عنك إليها .. لا أعتقد بعد كل هذه السنين بقاء حقدها عليك وكرهها لك

ـ أحسنت يا حميد بكل ما تفوهت به ! وقد راودني فعلا طلب شفاعة الشيخ عبد الصمد .. أنت رجل عاقل يا حميد .. هل صحيح أنك ستزوج ابنتك ؟

ـ أنا ألم أقل لك بعد ؟!

في اليوم الموعود والوقت المحدود جرى الاتصال بعبد الصمد ، كان الاتصال ، وكان الكلام بينهم بحرارة وذكريات تجمع التبليغين في لاهور ودكا ، وقد توعدا يومها على اللقاء في الاجتماع القادم ، وطال الحديث بينهم في الذكريات وحميد يؤشر له بالدخول في الموضوع ، ولما سأله الرجل لمَ يحتاجه ؟ عاد ميلاد لسبب هذا الاتصال فقال : أتذكر عندما عرفت أنك كندي وتعارفنا أنني ذكرت لك عن أقارب لي في بلادكم ؟ .. وذكرت لي سعة البلاد وكثرة سكانها ، وطلبت مني معرفة مكان سكن أقاربي ليسهل اللقاء بهم .. وذكرت أن دائرة الهجرة الكندية قد تساعد في معرفة مسكنهم بشكل عام .. أو معرفة عنوانهم من المراسلات

بعد صمت قال عبد الصمد : أجل يا شيخ تحدثنا عن طريقة الوصول إليهم .. وقد ترافقنا في عدة جولات داخل باكستان بسبب هذه المعرفة .. هل عرفت أماكن تواجدهم؟

ـ نعم ، في الحقيقة هي ابنة عم لي ، تزوجت ، وهاجرت مع زوجها لكندا قبل خمس عشرة سنة ذهبت بصحبة زوجها لدراسة الطب ، وهو عاد وهي ظلت هناك بعد انفصالهم عن بعض .. ولها بنت واحدة حسب معلوماتي ..

قال باسما : مليئة كندا بالأطباء والطبيبات من شتى الدول .. ماذا شكلها ؟ مكان عملها ؟ مكان سكناها ؟

ـ تعلمت عندكم وأصبحت طبيبة وتعمل في مستشفى في مدينة كويبك

ضحك الرجل على الهاتف وقال : هذه مدينتي أنا ، ولدت فيها في كيبك العاصمة ، ثم عملت في مونتريال وهو إقليم تابع لكويبك وشبه مستقل .. وأنا كما تعلم طبيب وجراح يا شيخ ميلاد عرفني عليها أكثر قد أصل إليها بسرعة ما هي صفاتها البدنية واسمها ؟

ـ هي متوسطة الطول ، بدينة إلى حد ما كما اذكرها .. عليها لمسة سمار ، ليست بيضاء ، اسمها عندما كانت هنا زهيرة مجدي حسن

صاح عبد الصمد دهشة : ماذا قلت اسمها ؟!

ـ ما بك ؟

ـ كرر الاسم ؟

أعاد ميلاد تكرار الاسم فقال عبد الصمد : قلت إنها ابنة عمك .. يا شيخ هذه أعرفها حق المعرفة ، وكانت تعمل معي في مستشفى مونتريال العام في قسم جراحة النساء وعمليات التوليد وكانت زوجة للدكتور سامر ماجد جراح في قسم العظام .. وكانوا من أعز الأصدقاء والزملاء

ـ عبد الصمد أراك تعرفها أكثر مني .. هذه المرأة هي ابنة عمي يا شيخ عبد الصمد .. أبي شقيق أبيها .. ومات عنها طفلة سنة أو سنتان .

ضحك عبد الصمد وقال : يا لله ! أتعلم أنها سبب هدايتي يا شيخ ميلاد .. هي التي دفعتني لفهم الإسلام وحقيقة الإسلام .. أهي قريبة لك ؟!

ـ أجل ، يا سبحان الله !

ـ ماذا تريد مني يا شيخ ميلاد ؟

ـ أرغب بلقائها يا شيخ عبد الصمد

ـ لابد أن نلتقي ..سأسعى لك عند السفارة والخارجية ؛ لتسافر لكندا ، ونلتقي في أوتاوا عاصمة

الاتحاد الكندي .. قريبتك امرأة محترمة

ـ شكرا ، سأتصل بك مرة أخرى .. على نفس الرقم الذي أعطيته لحميد

ـ نعم اتصل عليه دائما .. ورقم حميد ابن عمك هو رقمك الأرضي

ـ أجل ، بعد يومين اتصل بك ثانية ، وداعا يا شيخ عبد الصمد .

ربما زاد الاتصال عن ساعة ، فقال ميلاد وهو يضع السماعة لحميد : الفاتورة عليّ

ضحك حميد وقال : توكل على الله .. حصل مفاجأة مهمة من الكلام بينكم

قال ميلاد متعجبا : يا إلهي ما أصغر الدنيا رغم سعتها يا حميد! .. يقول إنها السبب الذي دفعه للإسلام ، ولم أعرف التفاصيل طبعا ؛ ولكنه يحترمها ويعرفها جيدا ، وعمل معها في أحد مستشفيات كوبيك أو كيبيك لا أعرف كيف تلفظ ؟

ـ سبحان الله !! سبحان الله فعلا !! كانا يشتغلان في مستشفى واحد .. وماذا سيفعل لك ؟

ـ سيسعى لي على تأشيرة لزيارة لكندا .. ولكني كما قلنا صرفت نظرا عن السفر .. هل أسافر يا حميد ؟

ـ سأساعدك ماديا إذا قررت السفر .. سافر يا ميلاد قدم اعتذارك شخصيا .. أنا راغب جدا أن تعود ابنة عمنا لبلادنا وديارنا .. فهي تعيش مع ابنتها فقط ، لا زوج ، ولا خلفة ، وإنها تعاني من مشاكل مع ابنتها كما فهمت من الزيارة لأمها لأخذ عنوانها .. تلبس ملابس الغرب العري وتختلط بالشباب ، فربما إذا تقابلتم غيرت رأيها ، وعادت للبلاد

بعد صفون وتفكير: أخشى يا ابن العم أن يلعب الفأر في عبي كما يقال عند رؤيتها ، ويعود الحنين لها ، وأخسر آخرتي .. النساء من إحدى الفتن التي حذر منها الرسول الأكرم ﷺ .

ـ أمعقول هذا يا شيخ ميلاد ؟! أبعد هذا التقدم في الإيمان أن تنتكس ؟

ـ لا يأمن مكر الله إلا القوم الكافرون والخاسرون .. النساء فتنة الأمة .. وأنت تعلم كبر علاقتي بزهيرة

ـ إنها ابنة عمنا ، وليس لها اليوم إلا نحن .. وهي كما علمت من أم محمد غير قادرة على الإنجاب

عندها مرض يعيق ثبات الحمل في رحمها .

ـ يبدو أن لهذا الدكتور حكاية معها

ـ هل هو متزوج ؟

ـ أذكر أن له ابنة ، وقد ترك زوجته قبل رحيله لمصر .. فهو كما علمت منه في الباكستان بدون امرأة .



عندما رجع ميلاد تلك الليلة لبيته من عند ابن عمه ، وقد تعشيا معا استغرق في تفكير عميق ، وكان متحمسا للسفر عندما تعرف على عبد الصمد للقاء قريبته التي يؤنبه ضميره نحوها ، وهو موقن أنه أحد أسباب رحليها للهرب منه ومن أسرته ؛ وهو اليوم في غاية التردد والقلق والخوف .. فهل تقبل زهيرة العودة للبلاد بعدما قبلت الطلاق لتبق هناك؟! ألم يقل له حميد مثل هذا الكلام قديما عندما طلقت ورجع زوجها وحيدا منها ومن ابنتها ؟! وإنها اختارت الهجرة هربا وخوفا منه ومن أفعاله معها ؟ حادث السيارة ربما أدركت أنه من فعلي وجنوني .. ولو طال البقاء ألم أكن أفكر بتكراره ؟ وهل يمكنني مقابلتها والاعتراف لها وطلب مسامحتها ؟!.. الأمر يحتاج لشجاعة .. فهل تراها تسامحني وقد جنيت على ابنتها كما أخبر حميد الليلة من انحلالها ؟! ما أجهل الإنسان ! لقد أردت قتلها تلك الأيام .. عجيب أمرك يا مولاي العظيم ! .. من بين أولئك الملايين ألتقي بعبد الصمد لأتذكر ابنة عمي التي أحببتها وتمنيتها زوجة لي .. اليوم أخشى اللقاء بها خشية تجدد الماضي .. فعلا إني أخشى الضعف الحيواني في نفسي .. الرغبة في نكاحها .. الدكتور الكندي يقول إنها سبب تعرفه على الإسلام ثم الدخول فيه .. فحج لمصر وتعلم الإسلام والعربية وأسلم ، وسافر مكة وحج البيت العتيق .. سأسجد لله مستخيرا عدة أيام .. وعندي خروج كما وعدت آخر الشهر الهجري لجنوب البلد .. سأدعو دعاء الاستخارة

هل أسافر إلى هناك أم لا ؟ لعل الله يحدث أمرا .

عاود ميلاد الاتصال بعبد الصمد عند الموعد المضروب ، واختار ميلاد السفر لرؤية ابنة عمه زهيرة ، فقال عبد الصمد لما أكد له الرجل الرغبة بالسفر : حسنا يا شيخ ميلاد سأقدم لك طلب زيارة .. فلي صديق يعمل في وزارة الخارجية الكندية تعرض لحادث سير ، وكنت طبيبا له من ضمن فريق العلاج .. معذرة يا شيخ لسؤالي التالي .

ـ تفضل يا صاحبي .

ـ هل لك علاقات قديمة قبل المشي مع جماعة الأحباب بجماعات إسلامية أخرى جهادية أم غير جهادية ؟ الأمر مهم خاصة بعد أحداث سبتمبر في أمريكا .

ـ كانت بدايتي وتوبتي كما قلت لك ونحن في الهند على يد رجال الدعوة وعلى يد الشيخ حسن محمد الذي عرفتك عليه ونحن في رايوند .. فحسن مرشدي الأول ومنقذي بعد الله طبعا من الضلال والغي .. ولا أهتم في السياسة ولا الاقتصاد .. بدأت مع التبليغين وما زلت معهم بفضل الله

ـ جيد ، سأتحدث مع هذا الموظف في الخارجية فأرسل لي صورة جواز سفرك صفحة الصورة والمعلومات المهمة فقط عن طريق الفاكس وسأعطيك عنوان فاكس لترسل الصورة إليه .. ثم أتصل بك لتراجع السفارة الكندية في بلدكم .. فعندما تأتي الموافقة ، وتستعد للسفر إلى أوتاوا عاصمة كندا ، سيكون بيننا ترتيب لنلتقي في المدينة أو في المطار أو فندق حسب الظروف ، ونذهب معا لمقابلة الطبيبة زهيرة سامر .. آ هي تخلصت من سامر .. فقد اتصلت بزوجتي المطلقة أم ابنتي ، وعلمت منها أن زهيرة ما زالت تعمل في نفس المستشفى ، ومطلقتي تعمل أيضا في نفس المكان ، وتعيش قريبتك في نفس الشقة مع ابنتها .. فأنا يا شيخ ميلاد منذ تركت العمل عندهم لم أتصل بزهيرة ولا مع معارف المستشفى ، وهي أيضا لم تفعل

ـ أنا خارج مع الجماعة لمدة ثلاثة أيام ، وبعدما أعود بإذن سأتحدث معك على نفس الرقم ، وسأكون قد أرسلت صورة الجواز لك

ـ خذ هذا الرقم ، هو رقم في المستشفى المتعاقد معه .. وإذا اعتذرت الوزارة عن دخولك البلاد الكندية سنلتقي باجتماع دكا .. وسنحاول ترتيب خروج مع المجموعات المتجهة إلى أمريكا الشمالية وكندا .. سلم على ابن عمك حميد .

أرسل ميلاد صورة الجواز الخاص به إلى العنوان الذي أخذه من عبد الصمد ، وطلب من حميد الاتصال بالرجل ليتأكد من وصول صورة الجواز ، وانطلق ميلاد مع الجماعة ، فهؤلاء القوم أهم شيء لديهم هو الخروج المتكرر كل شهر لمدة ثلاثة أيام .

ويسمون هذا العمل بالتشكيل والتشكيلات فهم يشكلون الجماعات من عشرة أفراد تزيد أو تقل واحدا ، وتشكل الجماعات على مستوى العالم وعلى مستوى البلد ، وأكثر دول العالم تسمح لهم بالنشاط في بلادهم ، وبعضهم يشجع شباب البلد المسلم بالالتحاق بهم لبعدهم الشديد عن السياسة ، وشعارهم من السياسة ترك السياسة ، فمركز الجماعة في كل بلد هو الذي يتابع التشكيلات الداخلية ، وأما التشكيلات الخارجية فيتم التنسيق بين المركز الرئيسي للجماعة وبين المركز الخاص لكل بلد ؛ ليسهل تنقلهم بين المدن والقرى والمساجد المنتشرة في البلاد .

وحتى بعض المدن النشطة في الدعوة قد تعمل تشكيلا خاصا من أهل المدينة ، ويذهبون في خروج إلى مدينة أخرى أو قرية ، وذلك بتنسيق عام مع المركز الرئيسي .

لهم نشاط مستمر ودؤوب ، داخل البلد وخارج البلد ، جولات تنقلية مقامية وانتقالية ، ينشطون في الصيف والشتاء ، وللشباب هوس بالذهاب لمراكزهم في بلاد الهند .

الخروج الشهري أصبح تقليدا للمنضوي تحت ظل الجماعة ، فهم يتشاركون الطعام ويضعون شخصا أو آخر معه للخدمة اليومية ، ويقضون ليلتين أو ثلاث في المسجد الواحد ، ويكون على رأس كل تشكيل أمير مقتدين بالرسول ﷺ ، وبعد الفطور الصباحي يعملون حلقة للخارجين حول الصفات الستة ، وآخر عشر سور من القرآن يحفظونها عن ظهر قلب ، ويحفظون مع كل صفة آية أو حديث .. يقرأون على المصلين بعد صلاة الظهر بعض الأحاديث من كتاب رياض الصالحين ، ويدعونهم لمؤازرتهم بعد صلاة العصر في الجولة على دكاكين ومحلات وبيوت الحي

وهم يجعلون أنفسهم متشبهين بالمهاجرين وأهل الحي أو الشارع بالأنصار ، فيرافقونهم في جولتهم المسائية ، ودعوتهم الناس لصلاة المغرب جماعة ، واستماع البيان أو الموعظة حول الصفات الستة التي يحفظونها عن ظهر قلب .. والعصر ربما يقومون بموعظة صغيرة والتأكيد على أهل الحي لمؤازرتهم في الجولة التي تكون قبل المغرب بساعة ، ويتركون أحدهم في المسجد للذكر والدعاء لهم بالتوفيق وهداية الضالين والعصاة حتى يعودوا من دعوتهم للناس في البيوت والمحلات والشارع .. ثم يجتمعون بعد الصلاة مغربا لسماع الدرس والبيان ، وينهض أحدهم بعد سلام الإمام مباشرة طالبا من الناس الانتظار والمكث والصبر وقتا قليلا لسماع كلام الدين والإيمان بعد السنة أي صلاة سنة المغرب .. ويوضع للمختار مقعدا قبالة الناس لبيان الموعظة ، ويجلس على الكرسي ، ولما يبدأ الناس بالخروج والانتهاء من السنة .. يبدأ المختار بحمد الله والصلاة على النبي ﷺ وشرح الصفات الستة بالأسلوب اللائق به .. وآخر الصفات الدعوة والخروج ، فيشجع السامعين على الالتحاق بالجماعة ؛ ليتعلم معهم الإيمان والصلاة وغيرها .. ويشجعونهم على الخروج يوما أو أكثر .. وأحيانا يسجلون أسماء المتحمسين للخروج .

وميلاد منذ ارتاح للمشي معهم وفي ركابهم ، وهو يواظب على مشاركتهم داخل البلد وخارجه لأنه أعزب ، والشيخ حميد كفاه مشقة الشغل ، ويقاسمه الأرباح آخر كل سنة .. وأصبح مثل حسن معروفا للمشايخ ، ويناقش أحيانا في مسائل فقهية عويصة ؛ ولكنه كان شجاعا ، ولا يتحدث إلا بما يعرف ويفهم وحول الدعوة .. ووضع على رأسه عمامة الجماعة .. واتخذ عصا يتوكأ عليها ويعظ بها .

اتصل حميد بعد خروج ميلاد لجنوب البلاد بعبد الصمد الذي طمأنه على وصول الفاكس ، وأنه يسعى له بدخول كندا ، وأنه سيمر على سفارة بلاده في أمريكا ويقدم طلبا لسفر الشيخ ميلاد ، وإذا لم يتيسر الأمر في الولايات المتحدة سيزور بلده بنفسه لتقديم طلب زيارة .

ودعاه حميد لزيارتهم فقال : أنا أعرف بلدكم ، وربما أسعد بالخروج إليها . وتبادلا التحية

والسلام .

لاحظ رفاق ميلاد في جولته الدعوية الأخيرة انشغال باله ، وكثرة سرحانه مما دفع الشيخ حسن محمد الذي يجتهد ميلاد في مرافقته في الداخل والخارج أن يسأله عما يشغل فكره فأجابه بعد تردد : أفكر بالسفر إلى كندا !

ـ ماذا ؟! كندا .. دولة كندا ؟!

ـ نعم ، يا أبا صلاح كندا التي عند القطب الشمالي .. أفكر بالسفر إلى كندا لأريح ضميري من قضية تشغله وتؤرقه .

ولخص للشيخ قصته مع ابنة عمه أيام الجاهلية والضياع ، فعلق حسن بعد سماع القصة : ما شاء الله ! ضمير حي يا شيخ ميلاد ! هل تعلم كم ستكلفك هذه الرحلة ماديا ؟

قال : قال الشيخ حميد تحتاج إلى ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف دينار .. بين تذاكر وفنادق وذهاب وإياب .. ليس مهما المال يا حسن فإن ابن عمي حميد جزاه الله كل خير سيوفر لي المال والدعم

قال حسن : حميد أبو محمد رجل كريم ، وهو محب لك كثيرا ، ودائما يدعو لك بالخير .

ـ نعم ، كرهني إخوتي أيام جاهليتي وابتعدوا عني ، وكان حميد يعاتبني ويحثني على الصحيان وترك الشراب والفجور .. بلطف ، وقسم الشركة بيننا للضغط عليّ أيضا لترك الفجور .. كنت جنديا للشيطان استحوذ اللعين عليّ

تبسم حسن وقال : الحمد لله الذي أنقذك من الشيطان والجاهلية .. وهل اتخذت خطوات عملية للذهاب لتلك البلاد ؟

ضحك ميلاد وقال : حاولت قديما السفر للانتقام وفشلت ، واليوم أحاول السفر لطلب العفو والصفح .. ولعلك لاحظت في رحلتنا الفائتة لدكا ، وخاصة عندما تعرفت على الشيخ عبد الصمد الكندي .. الطبيب الكندي

ـ إني اذكره جيدا ، وقد حدثنا عن إسلامه ، وكيف التحق بالجماعة في مصر ؟ المركز العالمي للدعوة الإسلامية في قرية طموه القريبة من الجيزة

ـ أجل ، وعدني الرجل بالمساعدة ودخول كندا للقاء قريبتي .. والمفاجأة أنهم قد عملا معا مع ابنة عمي المهاجرة عندما كان يشتغل طبيبا في كندا ، لأنه منذ أسلم يعيش في نيويورك ، وأخبرني أنها هي التي شجعته لفهم الإسلام .

ـ هي ، كيف ذلك ؟!

ـ الدنيا فيها الغرائب والعجائب .. كما أخبرتك هاجرت ابنة عمي للدراسة في كندا مع زوجها الذي طلقها فيها بعد وعاد للبلاد وحده .. ولما اشتغلت في المستشفى تعرفت عليه هي وزوجها والفتاة أحبت الطب يا حسن لأن والدها الذي توفي عنها كان طبيبا فأحبت الطب مثله ، وأنا طبعا لم أفهم هذا وصممت على الزواج منها ، فاضطرت للهرب نحو الغرب ، فزوجها الوصي لطبيب مثله قبل سفرها ، وهي ظلت هناك بعد نيل الشهادات الطبية ، وعاد زوجها إلينا وتزوج بعد سنة من عودته .. وهي ظلت هناك مع ابنتها التي ولدتها هناك .. لماذا بقيت ؟ لست أدري لا أقارب ، لا أهل ، وحتى لم تتزوج مرة ثانية .. المهم رفضت العودة وبقيت .. ربما من ذكرياتها السيئة عنا ، وقد تخلينا عنها وعاشت عند أخوالها .. يا الهي! لقد حاولت قتلها واغتيالها ذات يوم .. كنت مجرما لا أحسن التفكير .. وحميد يشجعني لمقابلتها إذا أمكن لتسامحني ؛ ولعلها تعود للبلاد .. وسيساهم ماديا في رحلتي إلى هناك .. وقد تكون بحكم صحبتها للدكتور عبد الصمد شجعته على الإسلام ، فتحمس وسافر لمصر وتعلم العربية والإسلام وأسلم .

ـ أهي تصلي ؟

ـ عندما كانت هنا كانت تصلي ، وزوجها السابق كان مصليا أيضا ، وتلبس ثيابا حشمة ، لم أرها سافرة أو متبرجة عندما كانت هنا .. المشكلة اليوم ابنتها فهي ابنة الغرب ابنة عاداته وتقاليده .

السفر

عندما عاد ميلاد للعاصمة توجه لمكان العمل ، فوجد حميدا وابنه عمادا في انتظاره ، وبعدما تعانقا وقدم الشاي الساخن لميلاد أعلمه حميد أن الرجل يسعى له في السفارة ووزارة الخارجية وقال : إن الأمر يستغرق وقتا ... شهر شهران .. فتصريح السفر ليس سهلا لأنه ليس هناك اضطرار ولا يأخذ صفة الاستعجال لعدم وجود ضرورة كميت أو مريض أو دراسة

فقال ميلاد : الأمر لله ، لولا تلك المحاولة الجنونية لما فكرت بالسفر.. أنا وقفت ضد زواجها لأتزوجها.. أنا طمعت بذلك .. ولما تزوجت رغم أنفي فقدت صوابي .. ولا أظن أنها ستعود يا حميد.. فهي تخلت عن زوجها من أجل البقاء في تلك الدنيا

ـ أترى أن لا حاجة للسفر لمقابلتها ، وأن لا أمل في عودتها ؟!

ـ قضيت أيام خروجي الأخيرة أفكر بذلك .. أفكر بهذه الرحلة حتى أن الشيخ حسنا والمرافقين لنا انتبهوا لانشغال ذهني فصارحت حسنا بكل التفاصيل

ـ وما رأيه في سفرك ؟

ـ لم يعترض عليّ .. بل دعا لي بالتوفيق وحسن الضمير ، وسألني عن التكاليف لهذه الرحلة وسكت ولما فكرت بتخليها عن زوجها ، قلت لنفسي أيمكن أن تعود معي أو تعدني بالعودة ؟ فهي منذ غادرت لم تأت بزيارة واحدة حتى لأمها التي ليس لها إلا هي .. ترملت أمها يا حميد وما جاءت

ـ صحيح أنها لم تحضر ؛ ولكنها تتحدث معها دائما يا ميلاد .. ولا تنس أن لها ابنة هناك .. وأما تخليها عن الزوج .. فكما علمت من أمها أنها تركته ؛ لأنه كان يفكر بالعودة للزواج والإنجاب لم تقبل أن تعيش ضرة وزوجة ثانية .. وثانيا ابنتها رفضت المجيء إلى هنا ، فهي كما تعلم ولدت هناك ، وحملت الجنسية الكندية منذ ولدت ، فكان على زهيرة أن تبقى مع فلذة كبدها الوحيدة وأنا شجعتك للسفر ليس لتعود بها ، إنما لتطهر نفسك أنت ، وتحمسها للعودة .. ولتعلم صدقك بالتوبة نحوها ، خاصة عندما تراك وأنك تعتذر عما سبق من مضايقتك لها .. ونشعرها

أننا مقصرون نحوها ؛ ولعلها بعد هذا الاعتذار والأسف تغير أفكارها .. وتعلم أننا نكن لها الود والحب والتقدير .. فيا أخي الفاضل إذا كنت غير متشجع لهذه الرحلة فاصرف النظر عن السفر .. وحاول بالتلفون أو كاشف الدكتور عبد الصمد بسبب سعيك لزيارتها ؛ وليقوم هو بهذه المهمة عندما يعود لوطنه ، وأن يقنعها الرجل بأن تسامحك ما دام صديقا لها واشتغلا معا وقد تقبل بالحديث معك على الهاتف ..

بعدما رجع ميلاد من خروجه الدعوي الأخير ولقائه في الصباح التالي مع ابن عمه حميد حسم الأمر ، وقرر ألا يذهب لكندا ، فكتب رسالة يعتذر فيها لزهيرة من سوء سيرته معها ، ويطلب منها أن تسامحه وتغفر له وتقبل اعتذاره ، وأن تتصل به على بيت حميد نبيل ..وإذا شاءت أخذت رقم هاتف المنزل من والدتها .

ولما راجع الرسالة بشكل جيد اتصل ذات ليلة بعبد الصمد في شقته بنيويورك ، ولم يجده في البيت ، وبعد عدة محاولات اتصل بهم عبد الصمد بناء على موعد تركوه له ، فقال ميلاد بعد التحية والسلام : يا أخ عبد الصمد .. آسف جدا لإزعاجك معي .. وأنا قد صرفت نظري عن السفر لكندا .

ولما سأله الرجل عن السبب تعذر بالتكاليف المالية ، وأنه يفكر بالزواج بالمبلغ الذي سينفقه على هذه الرحلة ثم قال : بما أنك زميل سابق للدكتورة زهيرة ، وبينكم معرفة كما أخبرتني في مكالمات سابقة ، سأكتب رسالة خاصة سأرسلها إليك ، وعندما يقدر لك العودة لموطنك ، أرجو أن تسلمها لها ، وتتشفع لي لديها وتحثها على الاتصال بي على الرقم المذكور في الرسالة .. وأريد منك أن تطلب منها أن تعفو عن الأخطاء والإساءات التي ارتكبتها بحقها أيام الجهل والعصيان .. وعندما نلتقي باجتماع الدعوة آخر السنة أرجو أن تكون وفقت في شفاعتك بيننا وإذا حدث الاتصال سأعتذر لها بنفسي .. وأطلب صفحها ، ولكن أعتقد أنها سترفض الحديث مباشرة معي .. كانت علاقتنا معها سيئة للغاية يا دكتور عبد الصمد أنا وأسرتي.

تنهد عبد الصمد ، ولما استوعب رسالة ميلاد قال : أنا قدمت طلب موافقة لك على دخول

كندا كضيف وزائر .. وأنا خلال شهر أو شهرين سآخذ إجازة لأزور أهلي والبلاد لمدة أسبوعين فعجل بإرسال الرسالة .. اكتب صندوق البريد الخاص بي هنا .

ولما وضع ميلاد السماعة قال لحميد بانكسار : أرى أن هذا الحل الأمثل في هذه المرحلة يا عم حميد ..فلا أعتقد أني إذا قدمت اعتذاري ، وقبلته ستعود فورا .. فقد كانت تبغضني أشد البغض وأنا كنت راغبا بالزواج منها أشد الرغبة .. فأنا لما سمعتك تقول إنها تخلت عن زوجها للبقاء وحيدة بين تلك الملايين ، فهذا يؤشر أنها ما زالت تكره ميلاد بن عادل .. وأذكر أنها لم ترسل برقية تعزية في وفاة عمها عادل ، ولا امرأة عمها

ـ ولا عمها نبيل .. أمها عزت عنها ، وزارت امرأة أبيك قريبتها معزية

تنهد ميلاد بعمق وقال : المهم أنها نسيتنا .. فهل إذا قلت لها سامحيني يا ابنة العم ؟ .. أنا آسف أنا نادم ستحمل حقيبتها وتعود .. وكذلك لا تنسى أن ابنتها تتعلم هناك .. فهل تترك المدرسة لتعود بها ؟ .. فأمر مجيئها أراه صعبا ، وربما مستحيلا .. والذي يهمني من الاتصال بها فقط العفو وأن تغفر لي ظلمي لها .. وإذا قدر لي الخروج في سبيل الله في يوم من الأيام لتلك البلاد سأسعى للقاء بها والسلام عليها

فقال حميد : وهل حقا ستتزوج كما سمعتك تقول لعبد الصمد ؟!

ـ الشيخ حسن مصمم على زواجي .. عندما التقينا في مركز الدعوة ليلة الجمعة أعلمني أنه تحدث مع أحد مشايخ الدعوة في هذه الموضوع ، والرجل شاور ابنته فقبلت بي دون أن تراني .

فقال حميد فرحا : والله هذا تطور جميل ! ولا أظنها طبعا ترفض شيخا مثلك .. يا ما تمنيت أن أراك زوجا وأبا .. لقد تأخر زواجك كثيرا ..

فضحك ميلاد وقال : ألم يتزوج عمي مجدي على الأربعين؟ فأنا أحاكيه

ـ أوه !! نحن وصلنا فوق الأربعين يا شيخ ميلاد ..

ـ لما تأكد لشيخنا حسن صرف فكري عن السفر لكندا قال معقبا خلاص فلوس كندا تحول لزواج الشيخ ميلاد .. ودع أمر ابنة عمك للقدر .. وهي لم يصبها شيء من الحادث كما قلت ،

والتائب من الذنب كمن لا ذنب له

ـ جميل هذا من الشيخ أبي صلاح ! ولكنه حق عباد !

ـ وهذا الذي يؤرقني يا حميد .. حق زهيرة

ـ رحمته واسعة وقريبة من المحسنين .



تلقى السيد عبد الصمد الكندي رسالة الشيخ ميلاد الذي عرفناه قديما بهنري جوليانز الطبيب بالمستشفى العام في مدينة مونتريال ، وتركناه وقد طلق زوجته الكندية ذات الأصول الفرنسية متجها إلى الولايات المتحدة في إجازة ، ثم ظهر بعبد الصمد في رايوند الباكستان مصاحبا للشيخ الجديد ميلاد عادل ، أخذه الحماس لإيصال الرسالة لزهيرة التي لم يرها منذ ذلك الفراق ، فرتب أموره لقضاء أيام في كندا ، واستقل الطائرة من مطار لاغوارديا في مدينة نيويورك إلى مطار مونتريال .. إلى المدينة التي ولد ونشأ فيها ، وتعلم في إحدى جامعاتها الطب والجراحة ، وكما تفاجأ ميلاد وحميد بمعرفته بقريبتهم ، هو أيضا عجب لتصاريف القدر ، فأوجد ذلك حماسا وهمة لرؤية زهيرة سامر ، هكذا عرفها في المستشفى .

والغربيون يحبون إذا اعتنقوا الإسلام أن يغيروا أسمائهم إلى أسماء عربية إسلامية عميقة على أسماء الصحابة ، والعلماء ، فتسمى هنري بعبد الصمد المقرئ المصري المشهور عبد الباسط عبد الصمد .. لا تستغرق الرحلة من نيويورك إلى كندا سوى ساعات يسيرة ، فكندا والولايات مشتركون في حدود طويلة ، فوصل ليلا ونزل في فندق فخم يحب النزول فيه كلما عاد للمدينة فهو كان شريكا لزوجته جنفياف في شقة ، يدفعان أجرتها بالمناصفة ، قضى ليله في غرفته في الفندق .. ولم يتصل بأحد إلا بأمه مخبرا له أنه سيمر مسلما عليها ، ويتناول معها الغداء ، ثم يتعشى مع والده المنفصل عن أمه منذ سنوات طويلة ، وكان يتواصل مع أخته وأخيه بالهاتف

فقط ، وله أخت من أبيه من أم أخرى أو عشيقة بالأحرى ، ثم اعترف أبوه بها بعد خلاصه من أمها .. ووالداه من أتباع المذهب الكاثوليكي ، ومتعصبان له بشدة رغم عدم معرفتهما بالتدين كما يقول هنري عنهما ، وبعد مشاركة أمه الغداء اتصل بمادلين ابنته معلما لها بوجوده في المدينة إذا أحبت رؤيته والحديث معه ، فأخبرته أنها ليس لديها وقت هذا اليوم فترك لها رقم الفندق والغرفة .. وفي الليل ضاف والده وجلس معه وقتا يسيرا ، ثم مر على بعض معارفه من الأطباء الذين ما زال يتواصل معهم ، وعاد لفندقه عند منتصف الليل ، وجلس في الصالة يشرب القهوة واتصل عدة اتصالات .. وقضى ليلته الثانية في الفندق الذي اعتاد أن ينزل فيه كلما قدم المدينة وقبل الظهر خرج في جولة في المدينة



ينتشر في مونتريال وأحيائها عدد من المساجد ، في سان لوران مسجد الإسلام والروضة ، والمدينة ، والرابطة ، ومسجد كلية فانيير، ويوجد في منطقة لافال مسجد خالد بن الوليد والأنصار ، ومركز الثقافة ، ومسجد عقبة بن نافع وفي منطقة الدو بارك مسجد الإحسان ، والسنة النبوية ومسجد الأمين ، ومسجد عثمان بن عفان وفي منطقة كوت دينيج مسجد بلال الإسلامي ، ومعاذ بن جبل ، والفلاح ، وطيبة ، ومسجد جامعة مونتريال ، وأبو بكر الصديق ومنطقة شمال مونتريال وسان ليونارد مسجد نور الإسلام والشورى ، مركز بدر الإسلامي السالم ، الفاروق ، وللطائفة الشيعية مساجد خاصة بهم وخاصة مهاجري العراق

أدى صلاة الظهر في مسجد السنة النبوية ، وبعد أن غادر المسجد دخل مقهى في نفس الشارع واتصل بمستشفى مونتريال العام حيث تعمل الدكتورة فأخبر أنها غادرت العمل قبل وقت يسير ، فاتصل ببيتها على الرقم المعروف له ، وقد علم من بعض رفاقه أنها لم تغير سكنها ، فردت عليه الخادمة وهي كما يذكر فتاة من أمريكا الجنوبية من غواتيمالا ، هكذا كان يهمس لنفسه وقال ما زالت لديها نفس الخادمة .. لا أعتقد أنها نسيتني بعد خمس سنوات .. فذكرها بنفسه فعرفته

ورحبت به ، ثم أخبرته أن المدام زهيرة لم ترجع للبيت بعد ، واتصلت بها عند مغادرة المستشفى وأخبرتها أنها في السوق ، وأنها سوف تجتمع بابنتها للغداء في المدينة .. فأخبر بأنه سيتصل بها ليلا ، ولتعلمها بهذا ، وغادر المقهى وهو يقول : لماذا لم أخذ رقم الموبايل الخاص بزهيرة ؟! تمشى نحو المسجد من جديد فوجده مغلقا ، فتعجب ثم تذكر أن أحداث نيويورك وواشنطن جعلت الإدارة الكندية تغير من نظام فتح وإغلاق المسجد ، وكندا فيها جالية إسلامية لا بأس بها ، وإن كان عددهم بالنسبة للسكان الأصليين ضئيلا ، فجلس على مقعد أمام المسجد لدقائق ثم دخل كوخا صغيرا يبيع الكتب الإسلامية والأشرطة وأقراص الكمبيوتر واشترى كتابا دينيا ومر على عيادة طبية لزميل له يعمل فيها ، وهي خاضعة لإحدى الجمعيات ، فتصافحا وقال زميله : أنت شيخ مسلم بحق يا هنري ! .. قلت لي إنك تحمل اسم صمد حمد .. عبد الصمد .

ـ نعم ، يا جون .. هذا اسمي العربي .. يا الله يا جون ! عندما ترى نفسك واحدا بين ملايين المسلمين في مجمع واحد من أقطار العالم تصاب بالذهول

وطفق يحدثه عن اجتماع دكا السنوي في بلاد الهنود في وسط آسيا بإعجاب وإسهاب ، ولما سكت قال جون : أو ليس هؤلاء هم الذين فجروا أبراج نيويورك ؟ أو ليسوا هم مسلمين ؟!

تبسم هنري لخبث جون وغمزه وقال : ليس كل المسلمين واحد ، كما ليس كل النصارى واحد الذي فجر أوكلاهوما لم يكن مسلما يا جون .. إرهاب في المسلمين إرهاب في الشيوعيين إرهاب في المسيحيين .. ولا تنسى أن عددا من المسلمين قتل في أحداث نيويورك في أحداث مبنى التجارة العالمي .. وأنا عند الأحداث تلك كنت في المدينة أعمل في أحد المستشفيات الكبيرة

ـ فعلا هنري ، لماذا تركت مدينتك هذه للعمل في نيويورك؟! .. أيدفعون لك أكثر من هنا ؟

ـ لا ، أنا ذهبت للإسلام .. نيويورك مدينة مليئة بالمسلمين والعرب والهنود .. وأجور الأطباء هنا كما هي في أمريكا بشكل عام .. وهناك تفاوت بسيط بين ولاية وأخرى .. تنتشر في نيويورك آلاف المطاعم التي تبيع الطعام الحلال والرخيص أتصدق هذا ؟!..

تفاجأت زهيرة مفاجأة حقيقية لما أعلمتها خادمتها باتصال هنري تيدي والد مادلين ، فهي منذ

طلاقه لزوجته وتركه العمل في المستشفى لم تره ، ولم تسمع صوته ، علمت بخبر سفره ، وانتشار خبر إسلامه في الوسط الطبي ، ماذا يريد مني بعد كل هذه الغياب ؟! فأخذت ذكرياتها مع هنري وأسرته تتوارد على ذهنها وخيالها .. عادت بها الذكرى لقسم المواليد في المستشفى العام بمونتريال حيث التقيا أول مرة .. فهو الجراح النسائي الماهر والذي كان يقوم بعمليات قيصرية وولادة متعسرة ..

فعندما كان رئيسها كانوا يتبادلون الزيارات العائلية ، وذلك قبل طلاقها وطلاقه .. وتذكرت أنها لما انفصلت عن زوجها لم يعد بينهما سوى لقاءات وحوارات المستشفى أثناء العمل ودقائق الاستراحة .. لم يعودوا يذهبون للحدائق والمتنزهات المنتشرة في منطقة مونتريال .

ولم تقض زهيرة هذه السنوات في راحة وسعادة مع أنها كانت تسافر هنا وهناك لتغيير الجو والخروج من رتابة العمل وجدران البيت .. فكانت تأخذ إجازات العمل وتتجول في البلاد ، وشاركت بعدد من الرحلات السياحية الداخلية .. وكانت تصحب ابنتها في بعضها ، وبعضها ترافق شمس زميلاتها في المدرسة والنوادي التي تتردد عليها .



وكانت زهيرة في لهفة واضحة لسماع صوت الدكتور هنري خاصة بعد إشهار إسلامه ، وفي شوق لمعرفة لماذا قطع علاقته معها كل هذه السنوات ، لذلك كان الترحيب بينهم حميما وحارا وبعدما اطمئن كل منهما على صحة الآخر قال : كيف سنلتقي ؟ ما رأيك بعشاء في مطعم عام وعال الجودة في وسط المدينة قرب الحي الصيني .. فهناك أكلات عربية وإسلامية .

ـ أنا عندي إجازة غدا ؛ فليكن غداء يا دكتور هنري في نفس المطعم .

وسط مونتريال يوجد فيه الأبنية المرتفعة والفنادق والمسارح ومراكز التسوق على جانبي المنطقة وهناك محلات الألبسة والمطاعم ، ومجمعات المكاتب والشقق الخاصة ، ومراكز المؤتمرات ،

والحانات المخصصة للدعارة وحيث تنتشر فتيات الليل والمومسات حتى ماين وقرية الشاذين ويمتد شارع ماين من الحي الصيني وموازيا بولفار سان لوران .. وشارع ماين يعتبر مركزا للمحلات والمطاعم الصغيرة والمقاهي الرخيصة .. بينما يعتبر شارع سان شريانه التجاري ، ويعتبر شارع ماين وسط المدينة خليطا ثقافيا ، ففيه معظم اللغات والجاليات العرقية ، تتجاور فيه المحلات الإيطالية والبرتغالية واليونانية والبولندية والصينية ، وتمتد معه صعودا من الميناء حتى الجبل ، وكان شارع ماين محطة استقبال المهاجرين الرئيسية للشقق الرخيصة فيه ، فيأتي الغرباء لماين لصفقات شراء بالجملة ، ووجبات طعام رخيصة ، وعقاقير غير قانونية .

التقيا في المطعم المعروف لهما منذ زمن ، فلما رأته زهيرة ذهلت وهتفت ببشر : هذا أنت شيخ بحق ! لحية ودشداش عربية وعمامة..! أراك مثل شيوخ بلادنا أتمشي بشوارع كندا بمثل هذه الثياب ؟!

ابتسم ورحب بها ، واعتذر عن مصافحتها كما تعودا ذلك قديما ، ولما جلست شكرته وقالت : والله أنت شيخ جميل يا هنري !

ـ غيرت اسمي صرت عبد الصمد .. مرحبا بالدكتورة العزيزة والصديقة القديمة ومحررتي من الكفر والضلال .

كانت تسمع ذلك ، وهي في دهشة مما يردد ، فتابع : أنا لبست هذه لمقابلتك بها ، ولكني ألبسها في بلاد المسلمين .. وعند الصلاة .. كيف ابنتك يا زهيرة ؟

ـ الحمد لله .. حدثني عن نفسك أيها الإنسان ؟

ـ الحمد لله رب العالمين يا دكتورة .. ما أخبارك ؟

ـ كما هي على افترقنا عليه عمل .. عمل .. نوم .. قليل من الرحلات .

ـ أما زلت بدون زواج ؟

ـ أتزوج ؟! ومن يتزوجني يا هنري عفوا عبد الصمد ؟ .. لست بالحسناء والمثيرة للرجال .. ومؤسسة الزواج عندكم شكلية .. لا الرجل يخلص لزوجته ولا الزوجة الشابة تخلص لزوجها

إننا نسمع حكايات غريبة لكبار السن .. زواجكم معقد .. زواج بدون زواج .. وهذا لا يوافق تقاليدنا كما تعلم .. لم يحدثني أحد عن الزواج بعد انفصالي عن سامر إلا أنت ، وذلك قبل سنوات لعلك تذكر ذلك .

ابتسم لها وقال : وهل أنساه ؟!

قدم لهم النادل الطعام الذي طلبه هنري ، ولما بدآ يأكلان قال هنري : صدقي يا دكتورة أنني كنت تلك الأيام راغب بالاقتران بك على دين محمد ﷺ ، كنت سيدة فاضلة في نظري وما زلت وأنا معجب بالوفاء عند النساء العربيات والإسلاميات في مجتمعهن وحتى في المجتمعات الغربية ، رغم ما يشوب ذلك اليوم من الانفلات والضياع .. ولا يخلو مجتمع من فسق وفجور أما أن يصبح الفجور أمرا طبيعيا فهذا مأساة .. كنت أرى حياتكم أنت وسامرا ، فأعجب من اكتفاء كل واحد منكم من الآخر .. نحن أزواج بلا زواج .. عندما يدخل الرجل شقته ويجد ويرى بين أحضان امرأته رجلا من الشارع .. سيسكت .. وسيعالج المشكلة بإحضار عشيقته للبيت أو بنت هوى .. فهذا يحارب هذه وتلك تحارب هذا شيء مؤلم ! .. ما زلت في نفس المستشفى ؟

همست وهي تمسح يديها وفمها بمناديل المائدة قائلة : أجل ، الحمد لله على النعم .. شكرا على هذا ـ وأشارت للطعام ـ وبارك الله فيك .

ـ شكرا على تلبية الدعوة .. لم تأكلي كثيرا .. لكنني أعرف عادتك هذه ..

ـ وأنت لم تتزوج بعد ؟

رد وهو يبلع لقمة وضعها في فمه : تعرفت على ممرضة في مستشفى نيويورك .. تريد علاقة بدون زواج ، ولما علمت أنني مسلم حقيقي رفضت الزواج البتة .. وتركت الأمر لليوم .. فأني أقضي وقتا طويلا من السنة في الترحال .. وقد مللت الجنس والحياة الزوجية ..

ولما نظف يديه وفمه بمناديل المائدة الرطبة قال : فكرت أن أعود إليك خاطبا بعد إعلان إسلامي بمصر وأخاطبك قائلا ها أنا عدت إليك مسلما حقيقيا .. ليس مسلما من أجل الزواج

فقد تعرفت على بعض المسلمين من جماعة يسميها الناس جماعة التبليغ والدعوة ولهم مركز نشط في قرية طموه قرب الجيزة في القاهرة .. فرغبت بزيادة إيماني ونشر الإسلام بين الناس الضالين خاصة أن الدعوة تحتاج لناس يتقنون اللغة الفرنسية والإنجليزية والعربية فتشجعت وتحمست والتحقت بهم .. فسافرت الهند والباكستان وبنغلاديش وإندونيسيا وماليزيا والنمسا وبلغاريا وروسيا .. بعضها نمكث فيها أسابيع وبعضها أياما .. وبعضها أشهر كالباكستان ودكا .. ولما عدت لأمريكا تيسر لي عمل في أحد مشافي نيويورك .. وهي مدينة عظيمة وتاريخية فعلا .. كل أجناس العالم تقطنها .. ومن كل ولايات أمريكا يفدون إليها للسياحة للعمل .. وخرجت إلى تشيلي كمترجم مع جماعة من الباكستان .. لمدة عشرة أيام .. وغادروا للبيرو وعدت لعملي .. وهكذا تمضي أيامي بفضل الله .. فلم تشغلني قضية الزواج بعد دخولي الإسلام لولا أنها سنة النبي محمد ﷺ ..

فتممت زهيرة بالصلاة والسلام على نبي الإيمان والإسلام ، وهي مستغرقة في التفكير في هذه المخلوق الذي عرفته ماهرا في الطب ، وماجنا مع الموظفات ومع المريضات ، وعاد يقول : حياة ممتعة لإنقاذ الناس من الجاهلية والكفر .. هيا نخرج ونجلس في إحدى الحدائق .. ألا تحبين هذه العادة ؟

ضحكت وهما ينهضان ويغادران المطعم وقالت : جميل منك هذا يا عبد الصمد ! .. ما زلت تذكر أشياء أحبها .. فقد قدمت لي الطعام الذي أحبه .. وها أنت تدعونني للمكان الذي أحب الجلوس فيه ..

ـ فهنا حديقة قريبة .. فلتبق سيارتك مكانها .. أم ترغبين بالانصراف

ـ لا ، بل أنا مسرورة بلقائك .. وكنت بشوق لمعرفة أخبارك يا هنري .. فنحن قضينا عمرا نعمل فيه معا .. فأنت زميل له ذكريات حسنة في قلبي ونفسي .. كيف أسلمت بالتفصيل ؟

مشيا إلى تلك الحديقة التي يعرفها هنري وزهيرة منذ زمن بعيد .. فحدائق مونتريال كثيرة ومنتشرة في كل أحياء وشوارع المدينة ، وجلسا على مقعدين منفصلين مقابل بعضهم البعض

وطلبا شايا من أحد باعة الشاي: أنت جميل يا هنري بهذه اللحية الشقراء وبهذا الدشداش العربي !

ـ هذا بفضلك يا زهيرة .

قالت متعجبة : بفضلي .. لا .. هذا بفضل الله أولا .. وأنت كنت بحاجة للإسلام لتنقذ روحك بعدما شبعت من الشهوات شهوات الجسد .. كنت تبحث عن شيء يملأ روحك .. فرأيتني فظننت أن راحتك الروحية بالزواج مني ..وأنك بمجرد التلفظ بالشهادتين سيسهل الزواج من زهيرة

ـ نعم .. أعرف أن كلامك حق .. أنا لم أفكر بالإسلام يومذاك كدين حقيقي .. مسلم كما رأيت كثيرا من المسلمين في بلادنا ..لا يصلون لا يصومون .. يسكرون يرتادون الحانات ودور البغاء لكنك كنت تختلفين عن الآخرين أنت وسامر .. أرى صلاتكم ومعاناتكم في رمضان .. بعدكم عن الخمر والزنا .. لم أرك تكشفين ساقيك وشعرك ككثير من بنات العرب والمسلمين هنا .. تجتهدين حتى لا يرى ذراعيك أثناء العمل .. فهذا جميل وجميل ! ولا تهتمين بمعاكسات الأطباء وغيرهم .. فأعجبت بك حقا ، ولما طلقت رغبت بك زوجة حقيقة يا دكتورة .. ولكنك أدركت أن إسلامي من أجل شهوة .. وليس من أجل الدين .. ولما عرفت الإسلام ورأيت المسلمين في الباكستان وبنغلاديش .. أدركت الفرق بين إسلامك وإسلامهم أدركت أنك لم تكوني متدينة بمعنى التدين الملتزم .. معذرة يا دكتورة

ـ اعرف يا هنري .. الملتزمات في بلدي حق الالتزام يلبسن الملابس السميكة ، يسمونه الجلباب ولكن لباسي هذا يعتبر محتشما ، ولا يعتبر سافرا كما ترى في فتيات التعري ، وكشف الشعر والشورت .. حدثني عن رحلتك الإيمانية .

ـ كلامك عن الإسلام الحقيقي دفعني للرحيل والبحث عن الإسلام الحقيقي .. راجعت بعض المراكز الإسلامية في نيويورك .. فنصحني أحد الأئمة بالذهاب لمصر ، وتعلم العربية وفهم مبادئ الإسلام ثم إشهار إسلامي .. وأخذت بنصيحته وأنهيت خدمتي في مونتريال ..

وسافرت لأعرف الإسلام الحقيقي الذي تتحدث عنه زهيرة العربية .. أنا كما تعلمين تعاملت مع المسلمين هنا سواء عربا أم غير عرب .. من خلال العمل .. من خلال الصحف الكندية والمجلات .. من خلال الشارع .. ورفاقي المسلمون من العرب والهنود كلهم أيد كلام ذلك الإمام .. فرحلت إلى مصر أم الدنيا كما يقول أهل مصر .. ذهبت للأزهر .. ووجدت تشجيعا من كل من التقيت بهم ، ورغبوا إليّ الإسلام ، وكذلك بعض علماء الأزهر .. والتحقت بمعهد تعليم العربية لغير الناطقين بالعربية .. ومن سمع حكاية وسبب هذه الرحلة يثنون عليك خيرا وقالوا إن تلك المرأة ناصحة .. الإسلام ليس فقط لفظ الشهادتين وانتهى الموضوع .. وأخذت أقرأ عن الإسلام باللغة الإنجليزية والفرنسية .. وبعضها جميل ، ويكتب عن الإسلام بإنصاف وآخر يكتب بتشنج وتعصب نصراني .. فبعضها بنفس علمي وتاريخي ، وبعضها بنفس استعماري مشكك .. وبعد أشهر تعلمت الكثير من العربية ، واستطعت قراءة بعض كتب تعرف بالدين الإسلامي بشكل موجز موجه لغير المسلمين .. ثم أشهرت إسلامي في مكتب خاص بجامعة الأزهر .. ومنحوني وثيقة رسمية بأني أصبحت مسلما وعليّ أن اتبع تعليمات وأحكام الإسلام ، وأعطوني كتبا أو كتيبات عن الصلاة بالعربي وبالإنجليزي .. وتسميت بعبد الصمد على اسم مقرئ مصري مشهور سمعت بعض قراءته اسمه الشيخ عبد الصمد .. وبدأت أقرأ الكتب العربية .. والتقيت كما قلت لك بجماعة نشطة في القاهرة والريف يتأسون لباسا وزهدا ودعوة بالرسول ﷺ والتحقت بهم وبنشاطهم .. وهي جماعة نشأت بالهند قبل عقود واشتد عودها بالباكستان ونشاطها على مستوى العالم ، وخرجت معهم في مصر ، وبعد أكثر من سنة عدت لأمريكا ، وعملت في مستشفى في مدينة نيويورك في كوينز لوجود أصدقاء درسوا معي في كلية طب كويبك .

استمعت زهيرة بقلب منفتح لرحلة إسلام هنري وبكل تأن وصبر وإعجاب ، وعجبت لكلمة خرجت من فيهها قلبت كيان هذا الجراح ، ولما صمت الرجل ، ونظر في عينيها منتظرا كلاما منها قالت :إنسان عظيم يا هنري ! عفوا يا عبد الصمد !

ـ لا بأس بأي الأسماء ناديتني فهو مقبول .. ومنذ ماشيت جماعة التبليغ وأنا أحرص على الذهاب للاهور ودكا للمشاركة في أهم اجتماعات الجماعة .. هناك أعلم هيبة هذا الدين يا دكتورة .. ملايين تحضر هذين الاجتماعين .. مثل الحج لمكة .. دعاة من قارات العالم يتوافدون لسماع المحاضرات الدعوية ، ثم تخرج الجماعات الصغيرة إلى أركان الأرض المعمورة للدعوة لدين الإسلام .. هذه هي حياتي الجديدة يا دكتورة زهيرة ..

ـ إذن حججت يا هنري .

ـ نعم ، ذهبت وأنا في مصر لأداء عمرة بعد دخولي الإسلام .. ثم حججت في موسم الحج .. المشهد مهيب ومثير .. أدعية بشتى اللغات واللهجات .. الحج ركن عظيم من أركان الإسلام وقد قرأت بعض رحلات الرحالة في زياراتهم للديار المقدسة .. ولدي رغبة بالعودة إليها في يوم من الأيام .. ونحن الغربيون لنا معاملات مميزة في دول الخليج أو باكستان وبنغلاديش .. فالناس يعجبون من دخولنا الإسلام .. والدنيا مفتوحة لنا ، فكيف نترك الدنيا إلى الإسلام؟! فالمسلمون لديهم كنز عظيم العالم بحاجة إليه .. رغم ما رأيته من فقر وحاجة للناس في الباكستان ودكا، فهم سعداء يعيشون كأنهم يملكون الدنيا .. فأنتم يا دكتورة لأنكم ولدتم مسلمين لا تشعرون بما نشعر به عند إسلامنا .. فتتقمص فينا أحاسيس مرهفة .. نشعر كأننا ولدنا من جديد .. نشعر بلذة أثناء أداء الصلاة والعبادات .. وأعجب من جهل المسلمين بإسلامهم .. وابتعاد الناس عنه والبحث عن مذاهب وديانات أخرى .. هم يرون محاسن الغرب فقط ، لا يرون أو يغضون النظر عن مساوئ وسيئات حضارتنا .. الحياة المادية والشهوانية حياة الجسد .. فمنذ وعيت وتركت زيارة الكنيسة أيام المراهقة ، كانت حياتي حياة شهوات وجنس ، والبحث عن الملذات من الأكل والشراب واللعب واللهو والمخدرات .. حياة مادية .. ورغم لذتها لكن زوالها سريع .. وكم من معارفنا هلك بالإيدز ؟.. بالموت بجرعة زائدة من المخدرات .. التعرض لحادث سير أثناء حالة سكر .. الزنا مباح بصور وأشكال مختلفة وأنت لك سنوات تعيشين بيننا ، ورأيت من المشاكل .. وكم عالجنا نساء حوامل يتعاطين

الكحول والمخدرات وهن غير مباليات بحياة الأجنة؟ .. ولماذا يقبلن بالحمل وهنّ راغبات بقتله؟! .. زنيت باسم الحب ، وامرأتي كانت تزني باسم الحب والحرية الشخصية .. أليس هذا حمقا وسفاهة؟ ..

ـ عندكم العلم !

ـ هو هذا الذي يخفي عن أعين الناس حياتنا الماجنة .. عندنا التكنولوجيا والصواريخ .. فجرت أمريكا بطياراتنا .. فاخترعوا الإرهاب العالمي ليمنعوا الناس من الإسلام .. ولكن الناس أخذت تسأل عن الإسلام .. ولماذا جرى هذا الحادث بهدم الأبراج ؟

ـ إننا نحمل جنسية كندية .. ومع ذلك فنحن نعاني من هذا الحادث .. فأصولنا الإسلامية تطاردنا .. ويسخرون منا ويعتبروننا قنابل مؤقتة ..

ـ زوبعة في فنجان ..إنهم يريدون مسلمين بلا إسلام ، لهم الأسماء فقط ؛ ليقولوا بلادنا تجتمع فيها جميع ملل العالم ، وهي تعيش بسلام ووئام .. لا يريدون المزيد من المساجد ..والمراكز الإسلامية .. أما التبشير فمسموح به في بلاد المسلمين بالتطبيب بالتعليم بالأفلام .. طال مقامنا في هذه الحديقة ، سأذهب للصلاة في المسجد القريب .. هل تذهبين للصلاة ؟

قاما وقالت : أكرر أنني سعدت وسعيدة بلقائي هذا يا حاج عبد الصمد .. وفرحة بإسلامك وأتمنى لك الثبات .. هل يطول بقاؤك هنا ؟

ـ لا ، أيام معدودة .. أسبوعان فقط .. وصدقي أنني جئت لأقابلك شخصيا .

خفق قلبها وقالت برعشة : لعلك ما زلت تأمل بالزواج مني ، من مسلمة عربية ؟!

تبسم لاضطرابها وقال : لا ، الحق لا ، مع رغبتي لذلك

عجبت زهيرة وقالت : لم أفهم ؟!

كان يتابعان الحديث ، وهما يمشيان للمسجد القريب من تلك الحديقة العامة ، فرد هنري قائلا : لما طلقت من الدكتور سامر أحببت الزواج منك ؛ لمعرفتي الكبيرة لك .. لأنني كنت أبحث عن الاستقرار العائلي .. وأحسست بشفقة وعطف نحوك .. لأنك عدت وحيدة في هذا البلاد

فتحمست للزواج منك ، والخلاص من جنفياف ، وكنت مستعدا لإشهار إسلامي ليتم الزواج ولكن صمودك القوي أمام اندفاعي ، ورغبتك في أن يكون إسلامي جديا وحقيقيا دفعني للتعرف على الإسلام بحق .. وتعمق فكري بنصيحتك .. وقبل أن يدخلا المسجد قال : آسف لم أسالك عن شمس كيف هي اليوم ؟

ابتسمت له وقالت وهي تكاد تدمع : سيئة يا هنري فشلت في تربيتها .. المجتمع البيئة جرفتها تعرفت على شباب مستهتر ، وتسافر معهم وترافقهم ، وتزعم لي أنها ما زالت عذراء .. طبعا أنا لم أصدق ذلك ، وجدت معها حبوب منع الحمل ، ولا أستطيع أن أطلب منها الكشف عن عذريتها.. بكت زهيرة فجأة ، مما حرق قلب هنري ، فهو يعرف أهمية العذرية عند العرب والمسلمين خاصة المحافظين ، وأخذ يخفف عنها وقال : لا أدري ما الذي دفعني للسؤال عنها للأسف كنت أتوقع لها ذلك .. هي ابنة تقاليد هذه البلاد .. رغم سنها الصغير كانت متمردة حتى مع وجود أبيها هنا وأذكر أني قلت لكم يوما إنها ابنة هذه البلاد فانتبهوا لها

مسحت دموعها وهمست : لم أنس ذلك يا هنري .. إنما كنا عاجزين عن فعل شيء ، كنا بين دراسة وعمل .. والخادمة ماذا ستفعل لها ؟! ليس باليد حيلة في مجتمع منفتح كهذا .. الحكومة مع الانحلال باسم الحرية .. والإقناع لم نوفق فيه معها .. فما كان أمامي إلا الصمت والدعاء بالهداية وأن تحس بالمسؤولية .. البيئة قاتلة خاصة عندنا نحن المسلمين الذين نزعم أننا محافظون وهذا أحد أسباب تحمس سامر للعودة للوطن قال البنت تكبر يا زهيرة ، ولا طاقة على تربيتها كما تربينا .. وعندما ترى صاحباتها وزميلاتها سواء في الثانوية أم النوادي يتحدثن عن الحب وممارسة الحب والجنس وتسمع عن تجاربهن مع الشباب والطلاب .. فستقلدهن وتحاكيهن .. والمجتمع معها ويهون عليها أي اتصال خارج قانون الزواج ..

ـ على كل أنت فعلت ما عليك.. لكل بيئة محاسنها ومساوئها .. يبدو أن الأذان اقترب ، فها هو المؤذن يدخل المسجد .. وأما عدم رغبتي بالزواج فهي باختصار أن الظروف تغيرت .. وأنت أخبرتيني بمشاكلك الصحية من ناحية الإنجاب .. ولي اليوم رغبة بالإنجاب ذرية مسلمة

ـ نعم ، أذكر ذلك يا هنري

ـ هذا سبب صرف نظري عن الزواج منك .. رغبة بالذرية الصالحة ، والإسلام يرغب بالولد الصالح والذرية .. فآمل بامرأة تلد لي إن شاء الله .. معذرة يا زهيرة .. لم يعد الزواج لديّ قضاء الشهوة فحسب ، كما هو حال الناس في هذه البلاد .. ولد واحد أو اثنان فقط .. ثم تصبح الحياة للجنس والملذات .

بعدما خرجا من المسجد التقيا ثانية ، واتجها إلى سيارة زهيرة ، فقالت بعد صمت : كأنك ذكرت لي قبل الصلاة أنك جئت المدينة لتراني شخصيا .

ـ نعم ، أخذت هذه الإجازة لأرى السيدة الفاضلة زهيرة .. لم تنسي الدكتور هنري رغم السنوات الخمس التي مضت على فراقنا .

ضحكت وهي تستدير ناظرة في عينيه وقالت : أنساك ! لقد كنت من أفضل زملاء المستشفى وأصدقاء العائلة .. ماذا جئت تطلب مني ؟

ابتسم ، وتابعا المشي وقال : كلفني أحدهم بتوصيل رسالة إليك باليد .

توقفت زهيرة وعادت تنظر في وجهه ووجدته جادا فقالت : رسالة ! .. جئت من أمريكا لتوصيل الرسالة .. لم أفهم يا دكتور ؟!

ـ رسالة مكتوبة بالحبر .. قريب لك شيخ التقيته برايوند باكستان ، وصحبته لدكا ومناطق أخرى في البلدين .. فالشيخ لما عرف أنني كندي تذكرك وتحمس لي وظللنا على اتصال .. ولما عدنا ظل الاتصال بيننا ، وكان يفكر بالسفر إلى كندا بواسطتي للقائك ، ويعتذر إليك عن إساءات ألحقها بك قديما ، عندما كان ضالا في غياهب الجاهلية .

لم يمشيا طبعا ، تقابلا وجها لوجه وهو يذكر لها سبب مجيئه إليها خاصة فهمست : ضال .. ضال!! ما اسم هذا القريب الذي أساء إليّ والتقيته بباكستان ؟!

ـ هو يزعم أنه ابن عمك .

هتفت دهشة : ميلاد .. اسمه ميلاد عادل !

ـ نعم ، اسمه شيخ ميلاد عادل .. وهو من مشايخ الدعوة في بلادكم .. هو شاب طيب ومتحمس للدعوة .. هل عرفتيه ؟

كانت مذهولة زهيرة وهي تردد في نفسها ميلاد شيخ .. ميلاد شيخ

فلما سمعت سؤاله ضحكت ملء فيهها وقالت : أعرفه ؟! كيف لا أعرفه؟! .. كان أحد أسباب خروجي والتفكير بالخروج من بلدي ..

ـ التقينا في بلاد الهنود وتصاحبنا .. وهو تحدث معي في هذا المعنى ، وهو يشعر بتأنيب الضمير بعدما هداه الله للتوبة والإسلام .. وصارحني بما تفوهت به الآن .. وحدثني بأنه كان طامع بالزواج منك قبل أن تصبحين دكتورة .

هزّت رأسها تعجبا وكررت : ميلاد أرسلك لي برسالة ؟!

وفصل لها حكايته مع ميلاد وابن عمه حميد ، وحدثته بدورها عن حكايتها مع ميلاد ، وقال هنري وهو يدفع لها برسالة مغلقة : هذه هي رسالته إليك ، وهي التي جئت من أجل توصيلها لك .. وذكرتني بزميلتي زهيرة والسعي لمقابلتها هذا اللقاء الطويل .. وميلاد الذي حدثتيني عنه غير ميلاد الذي حدثتك عنه .. فاليوم ميلاد شيخ يهاجر في نشر الدين والإسلام شرقا وغربا وربما يصل هذه البلاد داعيا ومرشدا .. ولا يوجد إنسان كامل يا زهيرة .. هو كان يسعى للسفر لمقابلتك وطلب العفو منك لتغفري له وتسامحيه حتى يلقى ربه بريئا من حقوق العباد .

عادت للبكاء والدموع ، وهي تعود بذاكراتها للبلد والوطن ، ومشت وقالت : أنا آسفة من جديد يا هنري! بكيت أمامك اليوم أكثر من مرة .. لنجلس في السيارة أعصابي تعبت .. ولما جلسا في السيارة قالت : هل تحب أن أقرأ الرسالة على مسامعك .

ـ لا ، لا ، أنا أفهم ما فيها ، فالرجل أخطأ في حقك ، فلما هداه مولانا العظيم أدرك كبر جرمه فندم ، وراغب بإصلاح ذات البين .. وقد ألغى السفر الذي كان سيكلفه خمسة آلاف دولار ؛ ليتزوج بها ، فهو لليوم لم يتزوج .. وإذا أحببت الاتصال به مباشرة فستجدين في الرسالة رقم تلفونه الخلوي .. وإذا أحببت أن أنقل له أنك سامحتيه أفعل .. والآن اسمحي لي بالانصراف ،

وقبل مغادرة المدينة سأتصل به .. مودعا

فقالت : كنت أرغب بدعوتك للبيت لأشكرك ، وترى شمسا ؛ لعلك تقدم لها نصيحة ، ولعلها لما تراك ترى عظمة الإسلام وكيف غيرك ؟ ولكن عند طلاقي لم أسمح لرجل أجنبي كما يسمى عندنا بدخول بيتي .. وأنا لن أنساك يا هنري .. هل تحب أن أنقلك لمكان ما ؟

غادر المقعد وقال : أبدا، سأتمشى بالمدينة وأعود لفندقي .. ودفع لها رقم الغرفة وتلفون الفندق وأغلق الباب ، وأشار بيده مودعا ومشى ، وقد بلغ الرسالة وطلب منها قبول شفاعته .



عادت زهيرة لشقتها مع غروب الشمس ، فوجدت ابنتها في الشقة على غير عادتها ، فهي تعود متأخرة في أغلب الليالي ، فبعد الجامعة تنطلق مع صاحباتها وأصحابها للسمر في الملاهي والمقاهي والنوادي والشوارع ، فقالت لأمها : تأخرت يا أمي .. هل رأيت العم هنري ؟

كانت على علم بأن أمها ذهبت للقاء الدكتور هنري ، وهي ما زالت تذكره ، وتذكر امرأته وابنته مادلين ، وليلة أمس عندما اتصل هنري بالبيت ردت عليه هي أولا ، ثم دفعت السماعة لأمها التي كانت تنتظر المكالمة بشغف ؛ لأن الخادمة أخبرتها بذلك ، وكانت الأم بلهفة للحديث مع هنري ، فهو منذ غادر كندا لم يلتقيا ، فكانت بشوق لمعرفة أسباب اختفائه ، لذلك لما عادت للبيت تفاجأت بوجود شمس في البيت بمثل هذه الساعة المبكرة من الليل ، ولما جلستا في غرفة المعيشة قالت شمس : كيف عمي هنري ؟

ـ بخير، ويسلم عليك ، وهو بشوق لمشاهدتك بعدما كبرت ؛ ليرى كيف صرت بعد هذه السنوات ؟

وفاجأت شمس أمها قائلة : هل اتفقتم على الزواج ؟

دهشت زهيرة لسؤال ابنتها ، فحدقت بها استغرابا ، وارتبكت وهي تردد : الزواج !! وبعد صمت بينهما قالت : وهل كنت ذاهبة للزواج ؟

ـ ألم تحدثيني قديما أن الدكتور هنري يطلب منك الزواج ؟ ولماذا بعد هذه السنوات من القطيعة تذكرك ؟

قالت زهيرة بحدة : أنت حمقاء !

فوقفت شمس وترد قائلة :أأنا حمقاء يا أمي ؟! لأني صريحة .

ـ أي صراحة ؟! .. أنت لماذا عدت مبكرة الليلة على غير ما عودتيني ؟ سمعتك أمس تتحدثين مع أحدهم أنكم ستدخلون المسرح الذهبي .

ضحكت شمس وقالت : أريد التخلص منه .. جاك مزعج وثقيل الدم .. وهو يغار من روني صديق في النادي .. أتبكين يا أمي ؟ ما الأمر ؟! أساء لك العم هنري ؟

فصاحت زهيرة في وجهها : ابكي عليك يا شمس ! .. كيف غيرت جلدك ؟

صاحت شمس : قلت لك ألف مرة نحن أبناء كندا لسن أبناء العرب .. عليك أن لا تنسي ذلك ماذا يربطني ببلادك وأهلك؟! .. نحن أهلنا هنا .

ومشت غاضبة إلى حجرتها ، ولما شبعت زهيرة بكاء نهضت وغسلت وجهها ، وطلبت كأس ماء وفنجان قهوة من العاملة لديهم ، ودخلت حجرتها غرفة نومها ، وما زالت تضع صورا فيها لسامر ، وما زالت تحتفظ بالسرير المزدوج ، لم تغيره .. ربما لأن شمس بعد طلاق أمها كانت تنام معها ؛ لأنها كانت صغيرة بعد ابنة إحدى عشرة سنة ، فقالت وهي تجلس على حافة التخت هل كان بإمكاني العودة مع سامر ؟! وعادت بها الذكريات لميلاد وسامر وماهر الوصي وإلى بيت جدتها وزيجات أمها ثم همست أمي لي فترة لم أسمع صوتك

ولما دخلت الخادمة ووضعت القهوة والماء وخرجت اتصلت بأمها وهي تشرب الماء .. وردت عليها خادمة أمها فأخبرتها أن أمها في المستشفى ، فأخذت رقم المستشفى ، فردت عليها ممرضة

وأخبرتها أن أمها مستغرقة في النوم بسبب المنوم بعد عملية متوسطة في الصدر ، فشربت القهوة وقامت للصلاة .. وبينما هي تصلي فتحت شمس الباب ، وأطلت برأسها ، ولبثت دقائق ثم انصرفت ، فلما قضت صلاتها نادت الخادمة وسألتها : ماذا تريد شمس ؟

جاءت شمس عندما أخبرتها الخادمة أن أمها أنهت صلاتها ، وكانت زهيرة تقول لنفسها لابد أن هناك رحلة أو مشوارا وتريد المال

قالت شمس : مرحبا أمي! .. تقبل الله منك الصلاة

ـ شكرا .. ألا تعلمين يا شمس أن لك أخوة في الوطن ؟

صاحت بضيق : أعلم وأرسل لي أبي صورا لهم .. وحثني على زيارة بلده .. أريد أن أغيب عن البيت يومين أو ثلاثة

ـ أين هذه المرة ؟

ـ ليس مهما أين هذه ؟ المهم أني أخبرتك حتى لا تبلغي البوليس .

ـ مع السلامة أرجو أن لا تعودي

ـ أنت تكرهينني يا أمي

ـ اخرجي اخرجي

فصرخت شمس في وجهها: يبدو أن الدكتور هنري لغى موضوع الزواج

ـ ليس بيننا موضوع زواج .. مع السلامة .. أنا قد أغادر إلى بلادنا يا شمس .. عليك تدبير حالك .. هل سمعت ؟

ضحكت شمس وقالت : أنت التي كرهتيني في تلك البلاد .. كنت تقولين هذه بلادنا وتقولين إنها أبغض البلاد .. ومن أجل ذلك قبلت الطلاق والانفصال عن أبي .. ماذا لك في البلد ؟

ـ أمي .. أمي مريضة في المستشفى

ـ وهل هذه أول مرة تمرض أمك ؟

ازداد بكاء زهيرة مجدي وقالت : يا إلهي !!

الأم وابنتها

لقد كانت علاقة زهيرة بابنتها سيئة وزادت سوءا عندما التحقت البنت بالمدرسة الثانوية ، ففقدت السيطرة عليها تماما ، لذلك لما خفت البكاء كما تفعل عادة بعد كل حوار حاد ألقت بنفسها على السرير وقالت : ما الفائدة من المال وقد خسرت ابنتي؟! .. لمن سأجمع المال ؟ لم لا أعود لأمي ؟.. لي قريب من عشرين سنة لم أرها منذ غادرت البلاد ، منذ أن تزوجت ، وها هي شمس في سنتها الأولى في الجامعة .

وبينما هي تفكر بزيارة لأمها واتخاذ القرار المناسب ، تذكرت رسالة ميلاد وقصته مع هنري ، وإرساله شفيعا له ، فقالت ميلاد عادل يطلب الصفح والعفو .. ميلاد أصبح شيخا يدعو الناس للتوبة والإسلام .. يا الهي! هل تمسي شمس شيخة ؟!

فنهضت عن سريرها إلى حقيبة اليد وأخرجت رسالة ميلاد فقرأتها مرة وثانية ، فالرجل يطلب العفو والغفران ، ويقر بأنه أساء إليها بحمقه وجهله وضيق تفكيره ، ويعترف بندمه ، ويود ويتمنى أن تتحدث معه ليسمع منها صوت العفو والصفح .. فأخذت تتذكر ابن عمها عندما كان يزورها مع أمه وأبيه ، وكيف كان يختلس إليها النظرات ؟ وهمست مسكين كان ضحية والديه! .. أقنعوه بالزواج مني من أجل المال الموروث ؛ لكن زهيرة أحبت العلم على الزواج .. أحبت أن تكون طبيبة لتكمل رسالة والدها في علاج المرضى .. فقد ترك لها والدها مالا لتتعلم وتعيش عيشة طيبة .. حاول الشاب مرة أخرى بعد الثانوية العامة .. ولما قبلت في كلية الطب أصيب بالصدمة والخيبة ورأى أن المسافة بعدت بينهم .. فازداد عنفا وحمقا .. هو ترك المدرسة في الإعدادية واتجه لتعلم حرفة يقتات بها .. وزهيرة ستصير طبيبة .. لجأ للتخويف .. نعم ، لقد خفت منه حقيقة .. وكنت واثقة أنه عاجز عن فعل شيء لأنه يعيش في بيت ، وأنا أعيش في بيت وللبيوت حرمتها عند الناس .. لقد كتب لي رسالة معلنا رغبته بالزواج مني ، وأنه يتابع حركتي في الجامعة .. وها هو اليوم يكتب رسالة أخرى يطلب العفو والصفح ويعلن ندمه .. تذكرت أيام الطب في البلد ، عندما كانت تجلس مع ولديّ خالتها نزار ولمياء .. وقريبتها سمر

أصبح نزار مهندسا ، ودخل عالم السياسة عن طريق النقابة .. نزار الهادئ الوديع تزوج من ابنة عم له وعنده خمس أطفال .. صاروا اليوم فتيانا .. كما أخبرتني لمياء باتصال قديم .. أما سمر فقد تزوجت شابا من خارج العائلة كأنه أستاذ مدرسة وعندها خمسة أبناء .. آه ! اشتقت لرؤيتهم والجلوس معهم .. كان الاحترام بيننا كبيرا .. لمياء تزوجت ابن جار لهم ، وولدت ثلاثة أطفال ظلوا أحياء ، ومات لها اثنان .. وهي حامل كما قالت في آخر اتصال .. هؤلاء هم أصدقائي وأهلي في الوطن .. حميد ابن عمي نبيل .. كان يحاول كبح جماحه نحوي .. هكذا كانت تتحدث أمه صديقة أمي .. وهم ما زالوا يترددون على أمي كما تخبر أمي .. ترك شركته مع ميلاد ليصرفه عني .. هل هو الذي حاول قتلي قبل سفري ؟

لم يذكر في رسالته هذه الحادثة .. كان لديّ شعور أنا وسامر أنه هو الفاعل .. ربما لو طال بقاؤنا هناك لعرفنا الحقيقة .. لكنه لم يذكر شيئا في الرسالة .. هل أساء إليّ الرجل فعلا كما يعترف ؟ إنها تصرفات حمقاء تصدر من عقل ضعيف .. هل أتحدث معه وأسمع كلامه ؟ دنيا عجيبة فعلا هنري عبد الصمد صديق للسيد ميلاد .. سبحان الله ! أمر لا يخطر على بال !

طرق الباب ففتحت زهيرة فرأت ابنتها بالباب تدخن فقالت : ألم أقل لك دعيك من هذا الدخان ؟

ـ هذه ليست دخانا إنها سيجارة ماريجوانا .

ـ ماذا تريدين ؟

ـ لعلك هدأت

ـ أهدأ وأنت تضعين مني

ـ كل واحد حر في نفسه يا دكتورة لست طفلة .. لما أتخرج من الجامعة سأترك لك البيت للأبد

ـ ولماذا تنتظرين كل هذه السنوات ؟!

ـ أنا قلت سأغيب عن البيت ، وأنا بحاجة لبعض المال

ـ بعض المال وما هو بعض المال عندك ؟

ـ خمسمائة دولار

ـ بس

ـ بس يا أمي

ـ هلا حدثتي أباك عنها

ـ رفض تحويلها .. فقال ما دام ندفع فلوس الجامعة لماذا خمسمائة دولار ؟

ـ هلا أجبته لماذا ؟

ـ على التلفون اخبره .. عيب يا أمي .. هل أقول له سأذهب مع أصدقائي لمكان كذا ؟ .. عيب

ـ أنا آسفة يا شمس .. عليك أن تعملي وتنفقي على نفسك وعلى الماريجوانا .. نحن علينا مصروف الجامعة وثمن المحاضرات .. الرفاهية والسهرات والرحلات والمخدرات لا دخل لنا بها

ـ كيف لا دخل لكم بها ؟

ـ أنا مللت من دلعك .. لم أعد أطيق رؤيتك

ـ هل أقتل نفسي حتى لا تريني ؟

ـ لم تعد تهمني حياتك بعد أن فقدت كل شيء

ـ فقدت كل شيء .. ماذا تقصدين ؟

ـ أنت تعرفين ماذا أقصد ؟

ـ صدقي أنني لم أفهم قصدك .. لا أحد ينام معي

ـ حبوب منع الحمل لماذا تستعملينها ؟

ـ وهل إذا وجدت معي حبوب منع الحمل يعني أنني استعملها حتى لا أحمل ؟ لو فعلت ذلك لست قلقا من ناحيتك يا أمي .. وأنت تعرفين ذلك .. ألست حرة بما أفعل ؟ وأنت حرة بما تفعلين ؟

ـ هناك أخلاق !

ـ وهل زميلاتي اللواتي يمارسن الجنس مع شباب الكلية بدون أخلاق ؟ .. هذه عقدة الشرقيين ينظرون للجنس نظرة تعصبية وجريمة ..

ـ هنا ينظرون للاغتصاب جريمة .. والخيانة الزوجية لا تعتبر جريمة .. وإذن لماذا تحملين حبوب منع الحمل؟ .. أليست لممارسة الجنس الأمن كما يزعمون ؟

ـ اليوم الشباب يستخدمون الواقي الذكري لممارسة الجنس .. وهو أكثر أمنا لهم من ناحية عدم حمل الفتاة ووقاية صحية .. فهم لا ينتظرون أن تستخدم الفتاة الحبوب .. حتى لو حملت فعيادات الإجهاض موجودة .. أريد خمسمائة دولار .

ـ أين ستذهبين بها ؟ أين ستنفقينها ؟

ـ سنذهب في رحلة إلى جزيرة تشرشل

ـ تشرشل مرة واحدة عند الدببة

ـ نعم

تروج مدينة تشرشل الكندية لنفسها على خريطة السياحة العالمية بأنها معقل الدببة القطبية في العالم ؛ حيث يتمكن السائح خلال جولته في منطقة التندرا من الاقتراب من هذه الحيوانات الضخمة ذات الفرو الأبيض بشكل لا مثيل له ، ولا يخرج السياح في هذه المغامرة التي تحتبس لها الأنفاس إلا برفقة حراس مسلحين لحمايتهم من الأخطار التي ربما تحدق بهم عند مواجهة وحوش الجليد وجهاً لوجه.

وتذكرت زهيرة رحلتها وسامرا مع عدد من الأطباء وعائلاتهم إلى تلك المدينة وأثناء الانطلاق في هذه المغامرة ، قال المرشد السياحي بصوت خفيض عند رؤيتهم لإحدى الدببة :هذه هي الدبة الأم ، يكفي الاقتراب منها بهذا القدر ، ورأوا في تلك اللحظات هذه الحيوانات المفترسة ذات المخالب السميكة تقف في مواجهة بعضها البعض ،وظلت على هذه الحالة لفترة طويلة .

ولم تمثل المسافة الفاصلة بين الدببة القطبية والسياح ، التي كانت تبلغ حوالي ٣٠ متراً أي مشكلة على الإطلاق ، لكن المشكلة ظهرت عندما اقترب دب صغير من السياح ، فبدأت الدبة الأم في

التثاؤب ، وهنا همس المرشد السياحي لهم قائلاً : التثاؤب يعبر عن قلق وتوتر الدبة الأم وحرصها على سلامة صغيرها.

وقد نصح المرشد السياح من قبل بضرورة التواجد في مجموعات حتى يكونوا في مأمن من هجمات الحيوانات القطبية المفترسة ، ويؤكد على أن الفرار من أمام الدببة القطبية لا يمثل وسيلة للنجاة منها ؛ لأنها تجري على الجليد أسرع من الخيول .

وفتش المرشد السياحي في جيب سترته عن بعض الأحجار الصغيرة التي يرميها من وقت إلى آخر في وجه الدببة لإبعادهم عن مناطق تواجد السياح ، هنا انطلق الدب الصغير مسرعاً صوب الدبة الأم مرة أخرى، وهدأت حدة الموقف وزال الخطر.

وتمثل الإقامة في الأكواخ الخشبية وسط منطقة تندرا بمقاطعة مانيتوبا الكندية ، تجربة فريدة من نوعها بكل ما تحمل الكلمة من معان ، على الرغم من بساطة تجهيزات الإقامة.

وتذكرت أن من الأمور المثيرة في هذه الرحلة السياحية وجود حراس مدججين بأسلحة الصيد كذلك ظهور صغار الدببة القطبية، التي لم يتجاوز عمرها عامين، أمام الأكواخ الخشبية التي يقيم بها السياح ، ويوضح هذا الموقف مدى التناقض في هذه الرحلة ، التي تُمثل وضعاً معكوساً لحديقة الحيوان، حيث تتجول الحيوانات في الخارج بحرية كاملة ، بينما يظل السياح محتجزين داخل الأكواخ.

وتتيح المنطقة المحيطة بمدينة تشرشل بمقاطعة مانيتوبا الكندية للسياح فرصة مشاهدة الدببة القطبية عن كثب، بشكل يندر وجوده في أي مكان آخر في العالم ، ويتدفق في هذه المنطقة نهران يصبان في البحر الواقع على حافة خليج هدسون، لكنهما يتجمدان مبكراً بسبب المياه العذبة، لذلك فإن العديد من الدببة القطبية تنطلق خلال فصل الشتاء لصيد حيوان الفقمة في هذا الخليج المتجمد.

وأضاف المرشد السياحي : تركيز وانتشار الدببة القطبية في هذه المنطقة يعتبر من أعلى المعدلات عالمياً، ولا يمكن مقارنتها إلا مع منطقة الملك كارل النرويجية بالقرب من أرخبيل سبيتسبيرغين

وجزيرة وانغيل الروسية التي تقع شمال سيبيريا ، لكن لا يتمكن السياح من الوصول إلى الدببة القطبية في هذه المناطق إلا بصعوبة بالغة ، وسمعته يخبر ويصل عدد الدببة في خليج هدسون الغربي ما بين ٩٠٠ و ٩٥٠ حيوان، في حين أن عددهم كان ١٢٠٠ حيوانا قبل عشر سنوات ، وأضاف المرشد السياحي : في أحد أيام الصيف بلغت درجة الحرارة في هذه المنطقة ٣٧ مئوية، لتصبح أكثر المناطق سخونة في كندا.

وتشتهر مدينة تشرشل، التي يوجد بها ٩٠٠ نسمة، بأنها المعقل العالمي للدببة القطبية ، ويُعد هذا الاسم تكريماً لهذه الحيوانات التي بدونها ستتحول مدينة تشرشل إلى مدينة أشباح ، وقد شهدت حقبة الثمانينيات من القرن الماضي إغلاق القاعدة العسكرية في هذه المنطقة ، والتي تم إنشاؤها خلال الحرب العالمية الثانية، وهو الأمر الذي دفع كثيراً من السكان إلى ترك مدينة تشرشل؛ لأن تجارة الفراء لم تعد تجني كثيراً من الأموال ، وبالتالي حدث تدهور اقتصادي.

ويتعامل المرشد مع الدببة القطبية باعتبارها وسيلة من عوامل الجذب السياحي، في حين يضطر الحارس في مدينة تشرشل إلى التعامل مع الدببة المشاكسة ، ويحكي أحد الحراس للموارد الطبيعية بمدينة تشرشل قائلاً : لقد اضطررنا مؤخراً إلى إطلاق النار على دب يبلغ وزنه ٢٧٠ كيلوغراما. ويضيف هذا الحارس الذي يحمل مسدس ٩ مللم : لقد حاولنا إبعاد هذا الدب عن المدينة بواسطة سيارة بيك آب ، لكنه ركض باتجاه السيارة وخشيت أن يصل هذا الحيوان المفترس إلينا من النوافذ الجانبية.

ويؤكد الحارس الذي يبلغ من العمر ٤٩ عاماً، أن إطلاق النار على الدب يعتبر هو الحل الوحيد في مثل هذه المواقف الخطرة ، وعادة ما يتم تخدير الدببة القطبية ، التي تفضل التجول في الشوارع ليلاً، ثم يتم نقلها بعد ذلك إلى مكان احتجاز الدببة القطبية ، وفي هذا المبني الفريد من نوعه في العالم والذي يقع على أطراف المدينة، تم احتجاز ١٠ دببة، وفي مرة أخرى بلغ عددهم ٣٠ دباً. وتظل الدببة القطبية في مكان الاحتجاز حوالي ٣٠ يوماً، ولا يتم تقديم أي طعام لها خلال هذه الفترة سوى الماء، ثم يتم نقلهم جواً بعد ذلك ، ويقوم الحراس باحتجاز الحيوانات والامتناع

عن تقديم الطعام لها، ليتم ردعها ولكي تبقى بعيداً عن المدينة.

وكان لانتشار الدببة القطبية في المنطقة المحيطة بمدينة تشرشل تأثير إيجابي على الحياة الاجتماعية للسكان ؛ لأن الدببة القطبية تجبر السكان على الانتباه والحذر إلى أقصى درجة ممكنة وهو ما يستدعي وجوب التواصل بين الأشخاص بعضهم البعض.

وأوضح المرشد السياحي : نحن نثق في بعضنا البعض، لذلك فإننا لا نغلق أبواب بيوتنا أو سياراتنا، حتى يجد المرء مأوى بسرعة إذا شعر بالخطر عند مقابلة الدب القطبي في الطريق.

وقد لاحظ المرشد السياحي بعض السلوكيات الغريبة على الدببة القطبية ، ويقول : تظهر الآن بعض التصرفات غير المعتادة على الدببة؛ حيث إنها تتناول مثلاً التوت البري من شدة الجوع ، وهو النبات الذي لا يأكله سوى الدببة الحوامل.

وبينما كان المرشد يتحدث عن الأخطار المحدقة بالدببة القطبية جذب انتباه السياح شيء آخر، حيث ظهر الدب الصغير وهو يتقلب على ظهره ويرفع مخالبه في الهواء، ويدس أنفه في الجليد، بينما تقف الدببة الأم إلى جواره وتنظر إليه في سعادة غامرة، ولا يظهر عليها علامات التثاؤب ، لأن هناك مسافة كبيرة تفصل بين السياح وهذه الحيوانات المفترسة.



رحلة للوطن

تحدث هنري مع زهيرة وهو يغادر المدينة ، وكانت أثناء المكالمة تعمل في المستشفى فقال : هل اتصلت بالرجل ؟

ـ لم أفعل يا هنري .. أين أنت الآن ؟ .. هل يمكن أن نلتقي ؟

ـ لماذا ؟! أنا أجلس في صالة المطار أنتظر إعلان الركوب .. هل من شيء يضطرني لتأجيل الرحلة

ـ لا ، كانت لديّ رغبة بالجلوس معك ثانية .. فلنبق على اتصال يا هنري .. ربما أسافر إلى للبلد وأقابل الرجل .. فأنا ليس بينه وبيني شيء هو مجرد كلام وزعل ، ونسيته لما وضعت قدماي في هذه البلاد .

ـ جيد ، إذا فكرت بالسفر ربما أفكر بمرافقتك لزيارة الشيخ ميلاد .. وأزور مركز الدعوة عندكم .. لنكن على تواصل يا دكتورة .. ما أخبار شمس ؟

ـ ليتني لم أنجبها .

ـ ستعود لأصلها إنها أيام طيش .. أنت عملت ما استطعت ، وما قدرت عليه ، ولا تزر وازرة وزر أخرى .. أليس هكذا يقول القرآن ؟ .. إقرائي القرآن يا دكتورة ستهبط عليك السكينة .

ـ أنت شيخ صحيح يا هنري! شكرا لك مع السلامة يا دكتور

لما رجعت لبيتها عاد إليها التفكير بالسفر لرؤية أمها ولقاء ابن عمها وفتح صفحة جديدة مع الأهل والأقارب .. فالرجل قد تغير وهداه الله ، ولكن كيف ستترك ابنتها مع الخادمة كما اعتادت فعل ذلك في إجازاتها ؟ ثم قالت : وهل بقائي يفيدها ؟ فهي تنتقل من رحلة لأخرى ألم تذهب مع شباب كليتها لترى أبراج أمريكا المدمرة ؟ أصبح المكان ساحة سياحية .. وتنهدت وهي تقول ومن لي هناك إلا أمي ؟ هناك من بقي حيا من أخوالي وخالتي وأبنائهم .. كانوا يتعاطفون معي ويودونني .. حتى بعض أعمامي خاصموا عمي عادل من أجلي .. إنني أذكر يوم الوليمة .. التي خرجت منها غاضبة .. لو قابلت سامرا وأعتقد أن هذا سيحدث ـ فبيننا شمس ـ فعندما يسألني عن ابنته التي كان يقول لي البنت كبرت .. البنت تنضج بسرعة ..

عاداتنا غير عادات هؤلاء الناس .. ولكنها هي التي اختارت البقاء هنا وذلك أمام القاضي والمحامي .. اختارت لأنك باقية هنا .. لو عدت لعادت معك .. لو عادت وهي ابنة إحدى عشرة سنة أو اثنتي عشر سنة لما صبرت يوما واحدا .. والجامعة والمدرسة تعودت على المدرسة هنا .. كيف ستدرس في البلد ؟ .. لم تكن محبة للعلم مثلي .. لو أحبت العلم مثلي لاستقرت من الفوضى التي تعيش فيها .. لابتعدت عن الكثير من الشباب والشابات الذين لا هم لهم إلا الشهوات والموبقات باسم الحرية .. آه ماذا أفعل يا ربي ؟ أنا ضعيف .. هل لو بقي سامر لما فسدت ؟ .. المجتمع قاهر .. ماذا سيفعل لها ؟ لقد حاولت الاندماج كليا معهم .. الكثير من العواجيز يترددون على الكنائس صباح الأحد لسماع ما يسمونه القداس حتى شمس رافقت بعض الفتيات لمثل هذا القداس ، ولم استطع منعها حتى لا تقول عني معقدة ومتشددة .. يا لها من تجربة ! يا لها من حياة قاسية !! أعصابي تعبت لم تعد تتحمل .. تشرب كأس الخمر كأنه كأس ماء .. تدخن المخدرات .. وتستغرب مني لعدم شربي الخمر وتعاطي المخدرات رغم طول مكثي هنا .. عليّ أن أذوب ذوبانا كاملا مثلها .. إنما هي جرعة صغيرة !

طرحت زهيرة الحيرة جانبا، واتخذت قرارا بالسفر والزيارة لبلدها ؛ لعلها تدرك أمها حية .. فهي تذكر كلمات أمها عندما تحدثت معها وهي في المشفى هل أموت قبل أن أراك يا زهيرة ؟ وأمتع عيناي بك ، ذرفت دموع الحزن والشوق وقالت قريبا سأكون عندك يا أمي ! أرجو من الله أن يمد في حياتك حتى أقبلك .. كلي شوق وحب لمعانقتك ولمس وجهك ويديك .. أقسم على ذلك يا أمي إني بحاجة لحضنك والتزامك

تذكرت هذه الكلمات بينها وبين أمها في آخر اتصال ، فقالت لنفسها كم مرة تركت شمسا وحدها مع الخادمة ؟! .. مرات ومرات .. لماذا أنا خائفة عليها؟! إنها بالغة سن الرشد وطالبة في الجامعة .. وهي حرة ومستقلة مستغنية عني ، ولا تسمع لي.. بعدما حسمت أمر السفر.. اتصلت بهنري .. على تلفونه الخلوي فرحب الدكتور بها ، وقال بعدما سمع رغبتها بالسفر لزيارة أمها المريضة .. قال : هذه الأيام لا يمكنني أخذ إجازة يا دكتورة .. وبما أن أمك مريضة

فتوكلي على الله وحده .. وإذا تيسر لي اللحوق بك نلتقي هناك .. أنا لديّ رغبة فعلا بزيارة بلدكم .. فقد زرتها مرة كسائح .

ولما قفلت شمس من رحلتها إلى جزيرة تشرشل الكندية حيث الدببة القطبية ، وتركت رفاقها ودخلت البيت أعلمتها أمها بقرار السفر لقضاء شهرين في بلاد الآباء والأجداد لرؤية أمها المريضة ، وعرضت عليها اللحاق بها عندما تنهي فصلها الدراسي لترى والدها وإخوتها من أبيها وجداتها ، ثم ختمت كلامها اتصلي بي إذا وجدت هوى في السفر

ورغبتها بالسفر وهناك تتعرفين على العاصمة التي ترعرعت فيها والصحراء العربية

ـ قرأت عنها نعم ، لي رغبة في مشاهدتها .. أمك مريضة شفاها الله .. لم تسأليني عن الرحلة ؟

ـ ولماذا أسألك يا شمس وأنت لا تقولين الصدق ؟!.. أنا أعرفك جيدا

ـ صدقي يا دكتورة أنني كنت في تشرشل ورأيت الدببة الكبيرة والصغيرة .. ومعي صور كثيرة معها .. أنت لا تثقين بي

قالت الأم : منذ دخلت الجامعة أصبحت عدوة لك .. ألم تقولي لي هذا ؟ ولما صرت في الثانوية قلت مثل هذا .. على كل حال أتمنى لك السعادة يا شمس وخلال يومين سأسافر .. لقد حجزت تذكرة على الهاتف ، وغدا سأمر على الشركة شركة الطيران لتأكيد الحجز ودفع ثمن الرحلة .

ـ أتمنى لك رحلة سعيدة يا أمي .. وسلمي لي على أبي إذا التقيت به ..

ـ إن شاء الله .. أرجو يا شمس كما اتفقنا قديما أن لا تسمحي لأحد من أصدقائك الذكور دخول البيت ..

ـ حاضر يا أمي .. أوامر أخرى

ـ سلامتك .



علم هنري بسفر زهيرة فور ركوبها الطائرة إلى الشرق الأوسط ، فاتصل بالشيخ ميلاد مخبرا له بسفر ابنة عمه زهيرة ، وأنها في الطريق إليهم ، ففرح ميلاد فرحا عظيما ، وكاد يطير من شدة الفرح لهذا الخبر ، فكلف حميد بالاتصال بامرأة عمه يسألها عن وصول زهيرة .. فدهشت من الخبر وقالت : من قال لك ذلك ؟! هي قالت ستأتي .. وهي لم تصل .

فاستغرب حميد وسألها عن صحتها ، ووعدها أن يزورها هو وامرأته قريبا للسلام والترحيب بالدكتورة أم شمس .

وكان حميد قد وضع نفسه تحت أمرها ، وأدخلها المستشفى هو وامرأته وبعض بنيه ، واعتبر ذلك من الوفاء لعمه الميت مجدي ، ولوصية أبيه أيضا الذي حثهم على برها ومساعدتها ، وحثه على رعايتها لنهاية العمر، وكان أبناء أشقائها وشقيقتها يترددون عليها ، ولكن حميدا أخذ نصيب الأسد .. ولقوة الصداقة بين أمه وهناء ، فرحبت بتعاونه واعتبرته كابن لها ؛ لذلك كانت تناديه في بعض الأحيان يا أمي يا ابني ، وهي تعاني من أمراض السكر والضغط ومشاكل في القلب .

وبعد أن ترك حميد الهاتف بساعات دخلت زهيرة على أمها التي احتضنتها باكية وتعانقتا بشدة وشوق وهي تهمس زهيرة حبيبتي آه ! لقد عشت ورأيتك .. آه! يا حبيبتي أنت دنياي .. لم تخبريني لأرسل لك حميدا أبا محمد يستقبلك في المطار .

ـ لقد تعودت يا حبيبتي على السفر والرحلات العلمية والترفيهية .. أنا مشتاقة إليك جدا يا أمي كم أحبك ! .. كيف صحتك كيف حالك ؟

تعانقتا من جديد وموجة أخرى من القبل المعبرة عن الود والحب بينهم ، ولما انفصلتا تقدمت الخادمة الآسيوية إليها مسلمة ومعانقة ، ولما سألتها عن صحتها وحالها عادت زهيرة وأمها للجلوس تحدقان في بعضهما وقالت هناء : قبل ساعات اتصل بي حميد ابن عمك يقول هل

وصلت الدكتورة زهيرة ؟ فاستغربت من سؤاله فقال لابد أن الطائرة ما زالت في الطريق هل تتحدثين معه ؟

ابتسمت : أبدا يا أمي .. منذ سافرت لم أتحدث إلا معك وبضع مرات مع المهندس نزار وأخته لمياء ..

ـ وكيف عرف إذن ؟!

ضحكت زهيرة وقالت : أعرف كيف عرف؟ .. لي صديق طبيب يعرف بسفري لابد أنه هو الذي اتصل به أو بميلاد فهو صديقه .

قالت هناء : ميلاد الذي عرفتيه وعرفناه قبل سفرك غير ميلاد اليوم

ـ أعرف يا أمي، كتب لي رسالة يطلب الصفح والعفو عن الماضي .. وربما كانت رسالته هي التي عجلت باتخاذي قرار الزيارة لك يا أمي ؛ ولذلك حكاية كتبها القدر .. فالدكتور صديقي صار صديقا لميلاد وهما في الباكستان ..

وسردت عليها قصة ميلاد والطبيب الكندي كما فهمتها من هنري ، فعقبت الأم قائلة : أنا أسمع من حميد عن رحلات ميلاد في داخل البلاد وخارجها

ـ هل زارك ميلاد يا أمي ؟

ـ منذ تاب إلى الله تحسنت أخلاقه ، وقد ترك الشراب والدخان .. في البداية رفضت استقباله ، ولكن مع إلحاح حميد رحبت به وسامحته .. وهو يزورني بصحبة أبي محمد .. وهو كما أعلم يبحث عن عروس أو أن الزواج سيكون قريبا فهناك شيخ سيزوجه من كريمته .. أو شقيقته .. فتاة ترملت وعندها ثلاثة أطفال .. وابن عمك حميد رجل فاضل وأمه ما زالت صديقتي رغم ما تعاني من أمراض السن، وزوجته ترافقني إلى مراجعات العيادة والمستشفيات

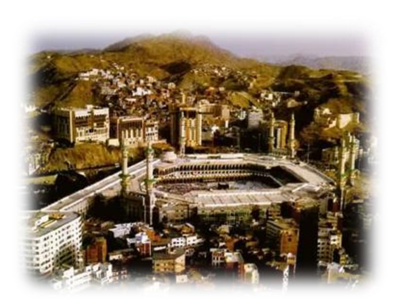
طلبت هناء من الخادمة أن تطلب لهم عشاء من المطعم فقالت زهيرة : أتشترين الطعام ؟

ـ أحيانا .. والخادم تصنعه بعض الأيام .

رن جرس الهاتف فردت الخادمة وقالت : الشيخ حميد يا سيدتي .

أخذت هناء الهاتف وقالت وهي تبتسم : آ يا أبا محمد .. نعم دخلت قبل زمن قليل .. سلمك الله شكرا لك .. بارك الله فيك .

ومدت الهاتف لزهيرة التي رحبت بابن عمها .. وشكرته على الاهتمام بها وبأمها وقالت : شكرا يا أبا محمد بما تقدمه لأمي .. يسرني اللقاء بك وبزوجتك .. على الرحب والسعة البيت بيتك .. قبل قليل طلبنا من المطعم العشاء.. شكرا يا سيدي .. أرجوك لا تحلف .. سنقبل دعوتك .. فنحن أهل .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



ساقت زهيرة أمها إلى مستشفى خاص ، وطلبت من مدير المستشفى إجراء فحوص واختبارات كاملة لأمها ، وتابعت علاجها لمدة أسبوع حتى اطمأنت عليها ، وقد رافقهم السيد حميد كسائق لهم خلال هذه الأسبوع ، وذات يوم وهم سائرون لإجراء فحص قالت : ابن عمك تغير تغيرا كبيرا يا أبا محمد .. لقد عرفته شيطانا واليوم يتشبه بالملائكة .

أجاب حميد فقال : ميلاد مسكين! .. أنا يا دكتورة كنت لا أضع اللوم عليه .. كنت أضع العتب على عمي عادل رحمه الله .. رغم ثقافة عمي كانت تقاليد وعادات مسيطرة عليه ، يرى حياة المدينة كحياة القرية التي جاءوا منها للعاصمة .. يرون أن بنات العائلة أولى من بنات العائلات الأخرى .. فعلى ابن العائلة أن يتزوج من قريباته .. وميلاد ظل يحمل مثل هذه التقاليد السائدة والأخ ميلاد نادم فعلا ، وأدرك حجم الإساءة التي ارتكبها نحوك .. بزعم تلك التقاليد الهالكة فهي كانت تصدر عن غباء وحمق وسذاجة .. وصدقي أنني نصحت له من هذا الهبل .. حتى اضطررت لفصل الشراكة القائمة بيننا لأضغط عليه ليستيقظ من جنونه وانحرافه بزعم الحب

ـ لقد سامحته يا أبا محمد .. ونسيت كل شيء فعله ضدي

ـ وأنا سامحيني يا دكتورة ربما شاركته في بعض المواقف من باب العاطفة والقرابة والشفقة .. نحن بشر .. ونحن عشنا أصدقاء ، وتركنا المدارس شبابا صغارا ، فحظنا من التعليم والثقافة ضئيل .. ثقافتنا تقاليد وثقافة شعبية .. ثم تعلمنا مهنة تصليح السيارات وتشاركنا في محل واحد .. ولما تزوجت شجعته على الزواج ونسيان كلام أبيه وأمه من الزواج من زهيرة .. فأخذته كما يقال العزة بالإثم .. وعاند وركب رأسه .. وظل الجهل مسيطرا عليه .. حتى العم عادل لما التحقت بالجامعة قبل الهجرة .. اعترف له بخطئه وطلب منه أن يبحث عن فتاة يتزوجها .. فعاند ، وأخذ يشرب الخمر زاعما أنه يفعل ذلك لنسيانك .. طبعا هذا كلام فارغ

ـ أخبرني مرة أنه دفع ناسا للتجسس عليّ في الجامعة

ضحك حميد وقال : كان لي دور في هذه القضية .. لأنه زعم أيامها أنك ترفضينه لعلاقة لك مع شاب من الجامعة .. كما نسمع عن بنات الجامعات تلك الأيام .. فأحببت أن أبين له كذب هذه الادعاء ..

ـ كيف أنت ؟

شرح لها حميد دوره في تلك القصة ، وختم قائلا : وأكدت له أنا وذلك الشاب وشقيقه كذب هذا الادعاء ، وأنك بريئة مما يشيعه حولك من كثرة قوله أرغب أعرف من هذا الذي سرقها مني فأقول له يا رجل زهيرة رفضتك قبل أن تصل الجامعة .. فكان عليّ أن أقنعه بالكف عن هذا الاعتقاد .. وفعلا جاء الشاب بعد أن تأكد من طهارتك من هذا العبث وذكر له ذلك وأنك فتاة محترمة ، وأنك تلتزمين حدود الأدب والأخلاق ، وأنك ترافقين بعض أقاربك .. وأنا لما وصفهم الشاب عرفتهم على الفور خاصة الشاب لأنني التقيت به في مناسبات .. وأنا قمت أيضا بتأكيد ذلك .. كل هذا فعلته ليكف عن إطلاق الإشاعات ونسيان الأخت زهيرة ولكنه للأسف عنيد ومخه جامد تلك الأيام .. ثم قدر الله لي أن أسلط عليه بعض المشايخ من أصحابنا فردوه للدين ، وتعلق بهم ورافقهم ، وصار شيخا أكثر مني .

ـ عرفت ذلك الشاب اسمه أحمد .. وكان طالب كلية التمريض

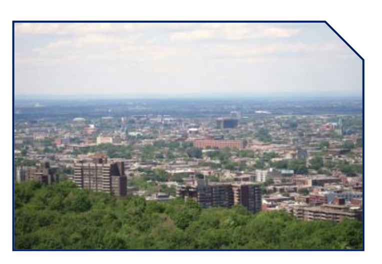
ـ أحسنت ! نعم هذا اسمه .. ورغم أنه أقنع ميلادا بأن لا أحد في حياتك الخاصة .. وحثه على الزواج ورغبه فيه .. وبين له الفارق العلمي الذي بينكم .. فقال له أنت أعمى أو تتغاضى عن ابنة عمي

عندئذ وصلا المستشفى فصف السيارة في كراج المستشفى ، وقاد هو والدكتورة السيدة هناء إلى العيادة المنشودة ، ولما دخلا قالت زهيرة : نحن نعتذر لك يا أبا محمد للإزعاج وتعطيلك عن العمل .. أمي تحبك وتقدر عطفك الكبير نحوها وبرها

فرد بحياء : هذا واجبنا يا دكتورة .. الناس لبعض .. فهي زوجة عمنا المرحوم مجدي .. فوالدك ترك بعض المال .. فقد ورثته إخوته كما ورثتيه .. ونحن ورثناه عن أبينا .. فجميلكم سابق .. ونحن أهل ، فأنت ابنة عمنا وهي أمك .



أقام الدكتور سامر مائدة عشاء في أحد الفنادق الراقية إكراما لزوجته الأولى زهيرة ، ودعا إليها الدكتورة وأمها ، ورافقهم في هذه الدعوة السيد حميد ، وهو يعرف الدكتور منذ عهد بعيد عندما تزوج زهيرة ، ولم يكن بينهم مجاملات وزيارات لقصر حياتهم في المدينة عندما تناكحا ، وحضر بصحبة الدكتور زوجته الثانية وأولاده منها وجرى التعارف بينهم ، وكان الدكتور قد تلقى هاتفا من زهيرة تخبره بوصولها لزيارة أمها ، فرحب بها ، ورتب لهذه الدعوة ، وقد قبلتها زهيرة وأثناء الطعام سألها عن شمس ولماذا لم تأت معها ؟ فأخبرته بأن وقت الدراسة لم ينته ، وأنها رفضت المجيء ، واعترفت له صراحة أن شمسا ابنة الغرب ، وأنها متمردة ، ولا تسمع النصيحة والكلام .. وكان سامر لما علم بوجود زوجته في البلد قد اتصل بشمس ، وطمأنته على نفسها ، وذكرت له سفر أمها لزيارة أمها .. وفي نهاية اللقاء دعته لزيارة كندا لرؤية ابنته وتعريف أبنائه



على شقيقتهم .. ولتشجيعها بزيارة مسقط رأسه بعد إنهاء جامعتها .. فوعد الدكتور بالتفكير في ذلك وقال : من يقبل الحياة هناك عليه أن يتحمل نارها فنحن هنا اليوم لم نعد نسيطر على أبنائنا .. الانفتاح كبير والشرخ كبير

فأجابته زهيرة بنوع من الضيق : كنت أعمل ، وأنت كنت تعمل ، وأنت تعلم أن العمل هناك لابد منه للحياة والإنتاج .. إذا عملت أكلت ونمت .. والقوانين الدارجة لا تستطيع محاربتها خاصة إذا كنت أجنبيا .. إذا أسأت للصغير وعلمت الحكومة فيأخذونه منك .. ليس أمامي إلا اللين والكلام .. فاستخدام العنف والضرب لا يجوز .. فهم لا يسمحون لك بترك الطفل دون الثانية عشرة وحده في البيت يا سامر .. وأنا لم أعرف العنف يوما .. وما ضربت شيئا .. غضبي في لساني والهجر .

ـ أسأت فهمي ، آسف يا عزيزتي .. أنا لا ألومك بشيء .. أنا أعرف شدة وجدة ذلك المجتمع في العمل وتساهله في الأخلاق .. بارك الله فيك .. المسؤولية لا تقع عليك وحدك .. للأسف العلم الذي عندهم هو الذي يشدنا إليهم .. وهذه ضريبة العلم .. أنا أتشاجر معها على الهاتف في الغالب ننهي مكالمتنا بزعل .. وأنا لم أتهرب من أي مسؤولية نحوها .. لكن ماذا أفعل لها ؟! وأنا تركتها لك لأنها هي أرادت البقاء .. سأفكر جيدا في رحلة قصيرة لتلك البلاد .. لا تغضبي يا دكتورة .. هل تفكرين بالبقاء هنا ؟

قال حميد الذي كان يسمع الكلام كغيره : طلبت منها يا دكتور البقاء بيننا

فاستدارت إليه زهيرة باسمة وقالت : صعب يا أبا محمد .. عملي هناك وابنتي هناك .. فلو تجيء شمس وتستقر هنا فربما أفعل مثلها .. سأمكث شهرين إن شاء الله .

فقال سامر : سأبذل جهدي بإقناع شمس للمجيء والحياة معنا .. سأظل اضغط عليها خلال السنوات الباقية لها في الجامعة .

كان حميد كلما زار بيت امرأة عمه ، ويلتقي بالطبيبة يضغط عليها للعودة إلى البلد والبقاء بين

الأهل والأقارب ، فتعتذر بعملها وابنتها وتضيف : أنا أعلم أن أمي بحاجة إليّ في هذه السن ، ولكن مصيري تقرر هناك يا أبا محمد، وليس فقط ابنتي تربطني بتلك البلاد .. أنا قبلت الطلاق من زوجي حتى أبقى في كندا .. ارتاحت روحي لتلك البلاد لا أدري سر هذا !

ـ يا أختي الفاضلة .. الإنسان يتخذ قرارات مصيرية ثم يتراجع عنها .. لا سمح الله عندما يتوعك الإنسان يجد أهله وأصدقاءه حوله

ابتسمت قائلة : وأولئك يفعلون ذلك .. الإنسانية موجودة عند جميع الناس يا حميد .. ما فعل ابن عمنا بزواجه ؟

ضحك حميد لتغيير الموضوع وقال : تلك الأرملة .. نعم .. الأمور تسير سيرا طيبا .. والمرأة قلقة من ناحية الأولاد .. هي متعلقة بهم فهي أم .. ولها رغبة بالزواج ، وتخشى أن يأخذ أهل زوجها الأولاد بسبب الزواج .. فأمها ميتة .. وجدة الأبناء من جهة الأب حية ؛ فكأن القانون يجيز لها طلب الحضانة إذا تزوجت الأرملة .. وهي متمسكة بهم .. هم ثلاثة أطفال دون العاشرة من العمر .. ووالد الفتاة شيخ من شيوخ الجماعة .. وشقيقها رفيق وصديق لميلاد أو الأدق صديق الشيخ حسن الذي اهتدى ميلاد على يده وهم جميعهم أصدقاء .

ـ أبكاني ميلاد وهو يعتذر لي .. كان يطلب السماح وهو يذرف الدمع .. كانت لحظات مؤثرة في وجداني

ـ ميلاد القديم مات يا دكتورة .. حتى أن أمك ظلت فترة لا تصدق أن ميلادا تغير .. حتى عاد مرة من بلاد العجم ، فقبلت اللقاء به ومسامحته .. سبحان الله مغير الأحوال .. كل يوم هو في شأن !

ـ ألا يشتغل معك ؟

ـ منذ هدايته أصبح شريكا في الربح .. وأصبح لي راتب شهري مثل العمال معنا وأصبح المشغل كبيرا .. وحتى أصبحنا نبيع السيارات المستعملة .. فأمك لما ضعف بصرها وضربت مرة طفلا ولم يصب إصابة كبيرة ، وتعافى سريعا ، بعت لها السيارة التي هي سيارتك .. فعملنا جيد بفضل

الله ، ومعي ولدان لي يعملان في المحل .. أحدهما في معرض السيارات ، والآخر ميكانيكي مثلي فعملي باليد قليل هذه الأيام ..والأخ ميلاد متعلق بالخروج في الداخل والخارج .. وهو كما تعلمين لا أب ولا أم ولا زوجة ولا أولاد .. حر عصفور طليق بعد .. وقد ورث عن أبيه ثروة كبيرة .. وعقارات عمي عادل كما تعلمين كثيرة .. كان غنيا على عكس ما كان يظهر أمام الناس وميلاد يقطن بيت العم ولا يدفع إيجارا .. وحتى فواتير الكهرباء والماء والهاتف الأرضي يدفعها أشقاؤه الذين يسكنون البيت .. فهو يتكلف مصاريف الأكل والشرب الخاص به .. وكثيرا عندما يصدف وجوده في البيت يقدم له أخوته الطعام خاصة الغداء .. وهو متحمس من الزواج من تلك الأرملة لتربية الأولاد والإنفاق عليهم رغبة بما عند الله من أجر كفالة اليتيم في الإسلام فستعيش المرأة في بحبوبة من العيش معه .. ونساء أخوة ميلاد أغلبهن من أقاربنا .. فأم ميلاد كما تعلمين ابنة عم لعمي عادل .. تزوجها قبل الرحيل للمدينة للعمل كمعلم هنا .. ووالدك درس الطب .. وكل أعمامك متعلمون ويحملون شهادات .. كان جدي حسن محبا لتعليم أبنائه ووفق إلى ذلك .. نحن الأحفاد قصرنا في متابعة الدراسة .. والأخ ميلاد ربما يتكلف سوى الطعام والشراب بعض الثياب عند السفر ، ونفقات الخروج وهي مبالغ بسيطة داخل البلاد .. وفي الخارج ثمن التذكرة .. بل ينفق ماله على رفاق الخروج ويتصدق على الفقراء

ـ وهلا فعلت مثله ؟

ـ ذهبت مكة عدة عمرات ورافقت أمي في فريضة الحج .. ورافقت ميلادا في رحلات دعوة داخل المملكة .. لليوم لم يتيسر لي الخروج خارج البلاد .. وعندي ولد تعلم وأنشأ سوقا تجاريا مع ابن خال له ، وساهم فيه ميلاد .. وابني محمد أنهى الثانوية العامة ؛ ولكنه لم يكمل الجامعة أو حتى المعهد فهو يعمل مع خال في شركة بحرية في اليونان وهو متزوج وعنده طفلان ..

ـ كأنك عرفتني به

فقالت هناء التي كانت تأكل الفواكه وتشرب العصير طول هذه الحديث : هو شاب محترم ويعرف الأصول .. فأبو محمد من أحسن أقارب والدك المرحوم مجدي حسن .

ـ لست هذا يا أمي.. وأنا ممنونة لك يا شيخ أبا محمد .. وأنا فعلا عاجزة عن شكرك .. وبارك الله فيك وفي ذريتك

ـ بل نحن آسفون قصرنا معكم يا أم شمس .. ربما كانت ظروفنا وسننا هما السبب تلك الأيام وكان العم عادل كبير العائلة ـ رحمه الله ـ ما زال في عقلية القرية فوتر الأمور .. وكان رجلا متعلما ، فكنا نظن أنه كان يقوم بالواجب الاجتماعي نحو زهيرة ..



استمتعت زهيرة بإجازتها بأرض الوطن ، واستقبلت الكثير من أقاربها من جهة أبيها ومن جهة أمها ، ومن جملتهم المهندس نزار رفيقها أيام الجامعة ، وأخته لمياء وأمهما وهي خالتها .. ورأت سمرا التي سعت لرؤيتها لما علمت بزيارتها للبلد .. فكانت لقاءات الأقارب هذه المرة تختلف عن الصورة التي تركت البلاد عليها .. وتعمقت صداقتها بابن عمها حميد وأولاده وزوجته خلال هذه الزيارة ، الذي لم تكن تراه إلا في الأعياد عندما يصحب والده وأعمامه للمعايدة عليها وزارت أمه عندما دعاها حميد وأمها للغداء في بيته .. ومضت الأيام سريعا ، وودعت من ودعت وأوصت حميدا مجددا على أمها ، لما أدركت ارتياح أمها له ولأسرته ، وغادرت البلاد إلى مهجرها مباشرة ، ولما دخلت الشقة صباحا مع شروق الشمس لم تجد شمسا في البيت ، ولما سألت الخادمة اللاتينية قالت لها لها أسبوع خارج البيت .. لم أرها منذ أسبوع

ـ تحدثت معها من يومين ، وكانت في غاية الشوق والسعادة لقرب عودتي .. أين هي ؟!

ـ لم تخبرني يا سيدتي .. وإنما سمعتها قبل غيابها تتحدث على الخلوي مع أحدهم لا أدري ذكرا أم أنثى .. يتحدثون عن السفر لنيويورك لمشاهدة شيء لم أعرفه ، ربما فيلم جديد أو عرض أزياء .

ـ نيويورك .. ماذا يوجد هناك ؟ ذكرى سبتمبر.. هل تهتم شمس بمثل هذه الاحتفالات ؟!

بدأت أقرف من هذه البلاد .. وهناك ماذا سأفعل ؟ أمي .. غربتي ابنتي .. غربتي وابنتي.

دخلت الحمام واغتسلت وصلت الفجر ، فقد أذن والطائرة تقترب من أجواء مونتريال .

قدمت لها الخادمة القهوة بالحليب كما اعتادت على ذلك وسمعت الخادمة تقول : الدكتور جيرارد كنت اتصل فأخبرته بسفرك لبلدك الأصلي .

ـ شكرا ، سأتصل به اليوم ، وأخبره بعودتي وأنني غدا سأباشر عملي .

ولما قضت شرب القهوة دخلت مخدع النوم ، وفي المساء اتصلت بالدكتور جيرارد المحاضر في كلية الطب ، وتحدثت معه عن مشروع الكتاب الذي يكتبه لطلبة كلية الطب ، وشاركت معه في الكتاب عن أمراض الولادة والحمل ، وأخبرته أن المادة جاهزة ومكتوبة على الكمبيوتر ، وتحتاج للمراجعة والتدقيق ، وأنها سترسلها له قريبا ، وأنها ستباشر عملها غدا في المستشفى ، ووعدها بالمرور عليها للاحتفال بعودتها ، والغداء معها ، وسماع أخبارها، وأخبار رحلتها فرحبت بدورها به .

وفي الصباح ركبت سيارتها ـ في كندا مقود السيارات على اليمين ـ متجهة للمستشفى العام بمدينة مونتريال الكندية ، وباشرت العمل المعتاد ، وأخذت تستقبل المريضات من النساء .

وبينما هي تباشر عملها بأيام سمعت هنري يتحدث معها ويطمئن عليها قال ضاحكا : أرسل لي الشيخ ميلاد الشكر لنجاح شفاعتي لديك .

ولما شكرته وصمتت قال : عندي خبر سيء لك .

جفلت ـ ولأنه حدثها عن ميلاد ـ قالت : ماذا ؟ هل مرضت أمي ؟

ـ أمك! .. لا .. لا .. الخبر عن ابنتك .

ـ ابنتي! .. عدت يا هنري ولم أجدها في البيت .. لها أكثر من أسبوع خارج البيت ، ولا ترد على الخلوي

ـ هي هنا في نيويورك .. لقد جاءت مع عدد من طلاب كليتها وجامعتها لزيارة المدينة .. ومشاهدة بعض العروض السينمائية الجديدة .. هنا فيلم يعرض لأول مرة .

ـ لم تقل لي الخبر السيئ يا هنري !

ـ الخبر السيئ أن ابنتك في المستشفى

ـ عندك ؟

ـ لا .. في مستشفى آخر

ـ أفصح ما الأمر قلبي يدق بعنف؟!

ـ الأمر يا سيدتي أن ابنتك تعرضت للاغتصاب من عصابة مكونة من ثلاثة رجال كما قالت .. تعرضت للجريمة هي وصديقة لها في أحد شوارع المدينة .. وبعد اغتصابهنّ طعنوهنّ بالسكاكين .. فصديقتها ماتت ، وشمس أغمي عليها ، فظنوها ميتة .. وألقت شرطة نيويورك القبض على الجناة .. ولما استيقظت شمس وأصبحت قادرة على الكلام اتصلت بي ، وعلمت قصتها منها ومن شرطة المدينة فإذا أحببت المجيء



ـ طبعا سأجيئ الآن

فذكر لها عنوان المستشفى الراقدة فيه في منطقة بروكلين وقال : اتصلي بي عندما تصلين ، فأنا أعمل في كوينز حيث مطار كنيدي .. وأنا تحدثت مع مدير المستشفى ليسهل سفرك .. أنا بانتظارك .

ـ أنت صديق عزيز يا هنري

ـ هذا واجب عليّ .. أليس ديننا يحث على مساعدة الضعفاء والمحتاجين ؟

ـ إلى اللقاء يا سيدي الدكتور .

جريمة

فتحت شمس عينيها فرأت أمها تنظر إليها وهي تبكي فبكت هي الأخرى وقالت : إنهم وحوش يا أمي ! .. كنا نقف جميعا أمام السينما سخروا منا وقادونا إلى شارع شبه معتم قرب الكوبري وحديقة صغيرة ، وأوثقونا واغتصبونا ، ثم طعنونا بالسكاكين .. كنا معهم في السينما ووثقنا بهم وظننا أنهم يقودونا لمطعم قريب من الكوبري .. خدعة .. هل سأموت يا أمي ؟

جرائم الاغتصاب كثيرة جدا على مستوى أمريكا وكندا ، وقد تقع ربع مليون جريمة اغتصاب سنويا في أمريكا ، وكندا يقرب من عشرين ألف جريمة اغتصاب سنويا ، ولديهم مراكز كثيرة لمعالجة المغتصبات ، استمرت زهيرة في البكاء ، فكم من الفتيات عالجت بسبب الاغتصاب في كوبيك ، ويدهشها هذا .. فالجنس ودور الدعارة والحانات مفتوحة لمثل هذا ولماذا يغتصبون النساء ؟! وتذكرت أنها كانت تفحص وتعالج نساء كبيرات في السن عواجيز تعرضن للاغتصاب .. لماذا يغتصبون النساء والدعارة متيسرة ؟ هل بسبب تعاطي المخدرات ؟ أم أمراض نفسية ؟ وقرأت العديد من الأبحاث والدراسات حول جريمة الاغتصاب .. وهذه الجريمة تعني إجبار الأنثى على ممارسة الجنس دون رضا وقبول من طرفها .. الإكراه والتهديد هما أحد أسباب انعدام الرضا في جريمة الاغتصاب ويكون الإكراه ماديا باستخدام العنف ، وقد يكون الإكراه معنويا بالتهديد بالقتل أو الفضح بإفشاء سر خاص بالأنثى ، وينعدم الرضا إذا كانت الأنثى فاقدة للوعي بسبب المسكرات المخدرات المنومات ضعف عقلي جنون .. رغم إباحة الزنا في الكثير من دول الغرب والشذوذ ، ولو بشكل غير رسمي ، تكثر فيها هذه الجريمة المقززة لذوي الأذواق السليمة ، وعلى الفطرة الطبيعية .. وأرقام الإحصاء في تلك البلدان مخيفة فتساءلت زهيرة لماذا كل هذه الإباحية الجنسية ؟!

وعادت شمس تقول لأمها : أمي حبيبتي أرجوك لا تبكي .. هل سأعيش يا أمي ؟

هزت زهيرة رأسها ثم همست : ستعشين إن شاء الله .. الله معك يا ابنتي .. الحمد لله على السلامة .. هنري صديق طيب .. كيف عرفت الاتصال به ؟

ـ آسف يا أمي .. لقد سببت لك الحزن والألم

ـ هذه الحياة يا شمس

ـ أخذت رقمه من مادلين التقينا قبل السفر ، ولما علمت أنني سأزور نيويورك .. أعطتني رقم والدها حتى إذا احتجت لمال أو مساعدة منه فسيقدمها لي .. سبحان الله! جولي ماتت يا أمي !

ـ نعم ، ماتت جاءت طعنة مباشرة إلى قلبها.. كانوا متعاطين للهيروين.. كيف تمشون مع هؤلاء الشباب ؟

ـ التقينا في السينما قبل بداية الفيلم .. كانوا شبابا أمريكيين طيبين .. مزحنا مع بعض .. هكذا بدوا لنا .. ولما خرجنا من الصالة .. عرضوا علينا توصيلنا لمحطة المترو من طريق مختصر .. وصدقناهم .. ولما اقتربنا من أحد الجسور هجموا علينا هجوما خاطفا وصاعقا .. وفعلوا بنا ما فعلوا ثم شرعوا في قتلنا

ـ كنتم متعاطيين يا شمس مثلهم .. هكذا قالت فحوص الدم

أغمضت عيناها للحظات ثم فتحتها وقالت : نعم ، أعطونا جرعات .. ظننا أنهم طيبون وليسوا غادرين .. وكنا فرحين بصحبتهم داخل السينما فهم أمريكان .. وصاروا وحوشا عند الجسر والحديقة .. ونحن مغفلات

ـ حدثني ضابط التحقيق بكل أقوالك .. وهم الآن بأيدي رجال الشرطة ، وكانت نجاتك سببا للوصول إليهم بسرعة ، فهم معروفون لرجال الشرطة ولهم سوابق .. وقد يحكم عليهم بالسجن المؤبد .. عندما تتحسن صحتك سيعرضون عليك للتعرف عليهم .. أنت عرفتيهم عن طريق الصور

عادت تقول : سأعيش يا أمي

ـ أرجو ذلك .. فالدكتور هنري في انتظاري .. فهو صديق كريم

ـ هو شيخ حقيقي يا أمي ..

ـ نعم ، قد أسلم ، واعتنق ديننا الإسلامي ، فهو يصلي ويصوم ..

ـ لما أخرجوني من غرفة العمليات .. وصحوت تماما من البنج .. أخذوا أقوالي عن الحادث .. وذكرت لهم رقم العم هنري الموجود على الموبايل .. فهم بعد الاعتداء علينا لم يفتشونا .. وتقول الشرطة إنهم تركوننا عندما سمعوا أصواتا تقترب من المكان .. كأنهم هربوا .. واتصلت بالعم هنري ولبى النداء .



شفيت شمس من الجرح البدني ، وبقي الجرح النفسي ، وبعد قضاء أسبوعين في المستشفى تعافت وخرجت إلى أحد فنادق مدينة نيويورك .

مدينة نيويورك هي المدينة الأعلى في الكثافة السكانية في الولايات المتحدة الأمريكية ، وتعد المدينة أكبر المدن في ولاية نيويورك ، وفي الولايات المتحدة الأمريكية ، والأكثر تأثيراً في مختلف المجالات كالتجارة والمال والإعلام والفن والأزياء والعلوم والتكنولوجيا والتعليم والترفيه ، كما تعتبر مدينة نيويورك أحد أهم مراكز التجارة والمال في العالم ، فهي عاصمة اقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية ؛ لكثرة الشركات والبنوك العالمية فيها، ويوجد فيها مقر الأمم المتحدةوسوق الأوراق المالية ومؤشر الداو جونز الصناعي .

من أشهر أحيائها: مانهاتن وبرونكس وبروكلين وكوينز وستاتن آيلاند ، فيها شارع مشهور يدعى شارع برودواي ، تقام فيه العديد من العروض المسرحية ، وسنترال بارك إحدى أكبر الحدائق العامة في العالم .

يوجد فيها ١٧٠٠٠ مصنعا تعمل في مجال الملابس ، وتنتج نيويورك سدس إنتاج الولايات المتحدة من الطباعة والنشر ، كما تنتج الأغذية والمواد الكيميائية ، والأثاث والورق والمنسوجات

ويعد ميناء نيويورك من أكبر الموانئ التي تعمل في مجال الاستيراد والتصدير، حيث يعمل به ٢٠٠٠٠٠ عامل ، لكن مكانته تدهورت قليلا بعد فتح الموانئ الأخرى على البحيرات العظمى ونهر سانت لورنس ، أما شركات المال والتأمين والأسهم والعقارات ، فيعمل بها نحو ٤٩٥٠٠٠ عامل ، وأشهرها بورصة نيويورك.

تخدم النشاط الاقتصادي في المدينة شبكة ضخمة من وسائل النقل ، حيث يستخدمها يوميا ثلاثة ملايين ونصف مليون فرد ، وتعد نيويورك أيضا أكبر مركز للاتصال في الولايات المتحدة ، حيث يوجد بها العديد من شركات الاتصال والطباعة والنشر ، وبها نحو ستين محطة للإرسال الإذاعي والتلفاز.

كما تعد نيويورك من أكبر المراكز الثقافية في العالم ، حيث يوجد بها العديد من قاعات الفنون والمسارح والموسيقى والمتاحف والجمعيات الثقافية الشهيرة على شارع برودواي ، كما ينتسب إليها بعض الشعراء والكتاب والممثلين والفنانين المشهورين ، أدى أغنياء المدينة دورا مهماً في دعم النشاط الثقافي .

تضم نيويورك مبانٍ من مختلف التصاميم حيث توجد فيها مبانٍ خشبية مصممة على هيئة صناديق بطابق أو طابقين وسقف مائل ويُرى هذا النمط من المنازل في منطقة بروكلين التي تعود إلى العام ١٦٥٦ كما توجد في المدينة مبانٍ ذات تصميم أكثر حداثة كناطحات السحاب التي تتميز بها مدينة نيويورك وخاصةً مانهاتن حيث الأبراج التي دمرت عام ٢٠٠١ ويعد مبنى امباير ستايت أطول مباني نيويورك وأكثرها أهمية. يوجد في نيويورك ما يقارب (١١٠) كم٢ من الحدائق و ١٤ ميل من الشواطئ العامة ،ومن حدائق نيويورك : سنترال بارك وبلهام باي بارك التي تعد أكبر حدائق نيويورك .

تواجه المدينة عدة مشاكل اجتماعية مثل : الفقر والجريمة والمخدرات والتفرقة العنصرية ؛ ففي نيويورك وحدها نصف مدمني المخدرات في الولايات المتحدة ، كما أن بها أربعة ملايين مواطن يعيشون على إعانات الضمان الاجتماعي .

تعتبر السياحة واحدة من أهم الصناعات في مدينة نيويورك ، وتشمل الوجهات السياحية للمدينة مبنى امباير ستيت ، وتمثال الحرية ؛ وجزيرة إيليس ؛ وعروض مسرح برودواي ؛ وأيضا المتاحف مثل متحف المتروبوليتان للفنون ؛ وكذلك المساحات الخضراء مثل سنترال بارك وحديقة واشنطن سكوير ، ومركز روكفلر ، وتايمز سكوير بالإضافة إلى مراكز التسوق الفخمة على طول شارعي الخامس وماديسون ، ومن العوامل التي تجذب السياح أيضا المناسبات مثل عيد القديسين في قرية غرينتش ، عروض عيد الشكر لدى مركز مايسيز، ومعرض اليوم في سانت باتريك ، ناهيك عن ذكر الأنشطة الموسمية مثل التزلج على الجليد في حديقة سنترال بارك في فصل الشتاء ، ومهرجان ترايبيكا السينمائي ، والعروض المجانية في سنترال بارك في سمرستيج وكذلك حديقة حيوان برونكس ، كوني آيلاند، وحديقة نباتية جديدة في نيويورك وغيرها . هذه مدينة نيويورك المدينة ، أما نيويورك الكبرى فهي مقاطعات كثيرة ربما تزيد عن خمسين مدينة .

سمحت السلطات بسفر شمس لكويبك موطنها الكندي ، وسيتابع العم هنري تحقيقات الشرطة والمحكمة عن طريق مكتب محاماة كلف بمتابعة القضية وتوابعها ، ولما استقرت زهيرة في بيتها لم تتحدث مع ابنتها عن الحادث وأسبابه وآثاره ، وكانت تقول لنفسها : حياة صعبة في هذه المجتمعات ذات الحرية الجميلة ؛ ولكنها تحطم النفس .. وعلى الذي يعيش فيها أن يدفع الضريبة اللازمة للغربة ويتحملها .

وشمس نفسها لزمت الصمت حيال الموضوع ، وبعد ذهابها للعمل أخذت البنت للعيادة النفسية الكائنة في المستشفى العام بالمدينة ، وشرحت للطبيب الجريمة التي تعرضت لها ابنتها باختصار ، وأعطته تقرير الطبيب النفسي الذي اطلع على حالتها وعلاجها النفسي بمستشفى نيويورك ، والذي أكد لها أنه عليها متابعة العلاج النفسي لشمس حتى يذهب أثر جريمة الاغتصاب عنها ، ولا تفكر بالانتحار أو المزيد من تعاطي الكحول والمخدرات .. ويذهب أثر مقتل صديقتها جولي ، وأثر محاولة اغتيالها هي نفسها ، ولما غادرت شمس العيادة وجدت أمها

تنتظرها في صالة الاستقبال ، فخرجتا معا فسألتها زهيرة وهما تركبان السيارة : هل ستذهبين للجامعة أم لا ؟

قالت وهي تشعل سيجارة : طلب مني الطبيب أن أمارس نشاطي كالمعتاد .. أن أذهب للجامعة ولا أفكر بمقتل جولي ، ولا فيما حصل معي ، وقال بعد حين ستنسين الألم ، وستسير الحياة ، فالأيام أحسن دواء للمصائب .. ونصحني بدواء .. وأعطت أمها وصفة طبيبة ، وتابعت: وعليّ أن أمر عليه في الأسبوع القادم لجلسة أخرى

قالت أمها وهي تأخذ الوصفة : عليك يا شمس متابعة العلاج النفسي مع الدكتور .. وسأشتري لك هذه الحبوب المكتوبة هنا .. وعندك في الجامعة عيادة الطب النفسي لو جلست مع أطبائها لن تخسري شيئا .. فأنت بحاجة لعلاج النفسي حتى تخف عنك الأحلام والكوابيس التي تزعجك في الليل .. وعليك بعد هذه التجربة الاهتمام بجامعتك وطلب العلم .. لتصيري دكتورة في الاقتصاد .. اليوم أنت أصبحت ناضجة وواعية للمجتمع والحياة ومستقبلك يا شمس في العلم والدراسة ، وإذا فعلت ذلك ستنسين هذه الجريمة الكبرى في حقك .. أنا لست باق لك .. كلنا سيذهب يا فتاتي .. اهتمي بنفسك وصحتك .. وعليك أن تخففي من الرحلات والرقص والسهرات كما نصحك أطباء نيويورك .. حتى يشفى الكبد والرئة مائة بالمائة

ـ دعوت الله أن أشفى يا أمي .. دعوت الله أن يرحمني يا أمي .. كانت أيام إصابتي الأولى مرعبة وكنت عصبية .. كنت أصرخ رعبا وخوفا من الموت .. فاستجاب الله لي وشفاني .. عليّ شكره فكيف اشكره يا أمي ؟

ـ جميل جدا ما اسمعه منك ! هل كنت صادقة فيما دعوت الله به؟

ـ رأيت الموت يا أمي .. قلت يا الهي لا أريد أن أموت ما زلت صغيرة .. إني أحبك يا ربي .. وها هو يهبني الحياة من جديد لكني ضعيفة ، وأجد نفسي بعد الشفاء ضعيفة أمام الشهوات ساعديني يا أمي

ـ آه يا حبيبتي !.. سأساعدك بكل ما أملك .. ماذا تريدين أن أفعل لك ؟ نجاتك يا شمس حياة

لي .. ونجاحك كذلك حياة لي .. نجاحك سيعيد لي كياني وحياتي يا حبيبتي

ـ سأنجح يا أمي سأهتم بدراستي ..

ـ عليك أن تفهمي المجتمع أكثر ..وتعرفي الناس أكثر .. ونجاحك وحياتك هم أهلك وأقاربك هنا .. نحن كما تعلمين لا أعمام لنا هنا ولا أخوال ولا أصدقاء بمعنى الصداقة العميق المعارف والزملاء ليسوا أصدقاء .. فأنا منذ طلقني أبوك قد خفت علاقتي بهم .. صلات عمل ومناسبات دينية واجتماعية .. حياتي العمل كما ترين .. والصديق الوحيد لنا بحق هنري ، وهو صديق بعيد عنا .. فإذا تقدمت في العلم وأنهيت الجامعة ، وصرت دكتورة اقتصاد ستكبرين .. فالعلم أهلك وعمك وخالك .. وستنسين جرحك الدامي وموت جولي وينسى الناس ذلك إني احبك يا شمس وأريد أن تصيري عظيمة بجد وحق .. وهذا الذي يرفعك في مثل هذا المجتمع ، هم يحترمون العلماء في جميع الاختصاصات .. وهذا سيكون فخرا لأمتك العربية ، وأننا باستطاعتنا أن نصير مثلهم .. عليك بتحديد الهدف والغاية بكل وضوح ووعي .. والسير نحوهما .



حياتي في الغرب

قبل أن ينصرم العام تحدث هنري مع الدكتورة مستفسرا عن حال شمس بعد الحادث الذي أصابها في مدينة نيويورك فردت عليه قائلة : إنها تتعافى رويدا رويدا من آثار الحادث الرهيب ، فقد جعلها الحادث تهتم بجامعتها أكثر .. وأخذت تبتعد عن الأصدقاء الجامعيين الشباب خاصة .. تراهم وحوشا وشهوانيين .. وهؤلاء بادلوها البعد والجفاء .. يبدو كما قال الطبيب النفسي في المستشفى إنها تعقدت من جنس الرجال ، وترى أن علاقتهم بها فقط من أجل قضاء الشهوة .. فهي تتحدث عنهم برهبة وقسوة

فعلق هنري فقال : لقد كانت صدمة كبيرة عليها .. كانت جريمة بشعة .. اغتصاب وقتل من شباب كانت تظنهم أصدقاء ومرحين فانقلبوا لصيادين ووحوش .. وكذلك موت جولي رفيقتها الخاصة .. صدمة كبيرة يا دكتورة .. شفاها الله منها .. أنا حزين من أجلها .. الموقف ليس سهلا

ولما رأى أن زهيرة لزمت الصمت أو أنها تبكي بصمت تابع قائلا : أتصل بك هذه المرة لأخبرك بشيء جد على حياتي يا دكتورة قد أتزوج قريبا هل أدعوك لحفل الزفاف أم لا وقت لديك ؟

ـ شكرا هنري العزيز.. نجح مشروع زواجك الذي حدثتني عنه ونحن في كوينز

ـ تيسر الأمر ، وقد وصلت الفتاة إلى المدينة تقابلنا ، وعمرها اثنتان وثلاثون سنة ، طبيبة أطفال

ـ مبارك يا هنري ! وإني سعيدة بما أسمع .. وعندما تحتفلون أرجو أن أتمكن من الوجود بينكم وفقكَ الله يا أخي هنري أنت صديق عزيز لنا في هذه البلاد .. وأنا نفسي بدأت تراودني العودة لبلادي .. وإنما شمس تقلقني مع أن لا سيطرة لي عليها ، وهي ترى أنها قادرة على الحياة وحدها وتحمل مسؤولية نفسها .. مع أنني لا أرى ذلك صحيحا .. وعد والدها بزيارة لها ، ولعله يستطيع إقناعها بالعودة معه وذلك بعد إنهاء الجامعة ..

سأل هنري من باب الفضول البشري : وهل علم بالحادث ؟

ـ لم أقدر أن أحدثه بذلك ، تركت الأمر لها .. ولا أعلم هل أعلمته شمس بذلك ؟ وأنا كلامي

معه قليل سوى التحية والسلام .. ولكنه يطيل الحديث مع ابنته

ـ عندما يتعين وقت الزفاف سأخبرك .. وأنا أنصحك إذا حللت مشكلة شمس أن تعودي لأهلك خاصة أنك بلا زوج يا دكتورة .. معذرة للتفوه بذلك .

تركت زهيرة الجهاز ، ورددت بانزعاج واضح بدون زوج! .. ومن أين يأتي الزوج ؟ ومؤسسة الزواج هنا شكلية .. والجنس متيسر في كل زاوية من زوايا المدينة ، ولديهم قرى للشواذ .. ويقرون ويعترفون بزواج المثليين .. وهل هذا زواج ؟!.. ولماذا يتزوج الرجل ويتحمل مسؤولية امرأة وأولاد ؟ .. عشيق صديق .. شهر ، شهران ، سنة .. وكل يأخذ طريقه .. لا حقوق ولا واجبات .. غابة .. زواج حيوانات ..

أخذت شمس تعود مباشرة للبيت بعد سماع محاضرات الجامعة ، ولما حيت أمها قالت : هل علمت أن العم هنري سيتزوج ؟

تطلعت زهيرة بعيني ابنتها وقالت بدهشة : من قال لك ذلك ؟!

ـ مادلين ابنته .. رأيتها اليوم أمام الجامعة فقالت لي كنت أظن أن أبي طلق أمي ليتزوج من أمك اتصل بي ليخبرني أنه سيتزوج امرأة باكستانية

فقلت لها : امرأة باكستانية .. ولماذا باكستانية ؟

تذكرت زهيرة أنها لم تسترسل مع هنري بالحديث عن المرأة التي ينوي الزواج منها ؛ لأنها تملك بعض المعلومات عنها ، عندما تواجدت معه في نيويورك .

فقالت شمس : سألت مادلين عن ذلك .. فقالت : لا أدري .. لماذا باكستانية ؟ .. ربما لأنها مسلمة ، وأمريكا مليئة اليوم بالمسلمات .. إنما اتصل ليعلم هل أرغب بحضور حفلة الزفاف التي ستقام بنيويورك .. هل علمت بذلك ؟

ـ نعم ، اليوم اتصل بي أيضا يعرض علينا الحضور لحفل الزفاف عندما يتحدد وقت العرس .. وحدثني عن هذا الزواج عندما كنت معك في نيويورك ، أخبر ذات يوم ونحن حول سرير الشفاء إنه قد يتزوج ، فقد التقى بطبيبة باكستانية تعمل في المستشفى ، وحدثها عن رغبته بنكاح

امرأة مسلمة ، فأعلمته أنها متزوجة ولها شقيقة في البلاد غير متزوجة ، وهي طبيبة مثلها وسعت له في ذلك ووافق أهلها عليه وقبلوه ، وجرت المراسلات ، وها هي وصلت للنهاية ، ويجري الإعداد لحفل الزواج ، وسوف يدعونا لهذا الحفل أنا وأنت.

ـ أنا مثل مادلين ظننت أن هنري عاد ليتزوج منك يا أمي .. هل أنت حزينة يا أمي لأنه لم يتزوج منك ؟

لم ترد فورا بل وجمت قليلا ، ثم تبسمت وقالت : لست حزينة يا شمس .. وإن وقع في قلبي قديما أننا قد نتزوج يوما ما ، والرجل خطبني عندما تركني أبوك .. وبينت له أن المسلمة لا يجوز أن تتزوج من نصراني، فوافق على الإسلام واستعد للإسلام ، لكنني دعوته ليعرف لب الإسلام وحقيقة الإسلام .. فذهب لمصر وتعلم العربية والإسلام ، وأشهر إسلامه في الجامع الأزهر ، وتسمى بعبد الصمد .. واتجه إلى جماعة إسلامية نشأت في الهند ، وما زالت تحمل هم الإسلام والدعوة .. ولما عاد لم نتحدث عن الزواج مني ..

قالت شمس وهي تنهض نحو المطبخ للغداء حيث دعتهم الخادمة لذلك : لقد كان صديقا طيبا أثناء الحادث الرهيب

ـ هنري مسلم طيب ، ويحب الضعفاء ومساعدة المحتاجين

ولما جلستا تأكلان قالت زهيرة : يا شمس أفكر بالعودة إلى بلدي الأول

فقالت شمس بدهشة : تعودين لبلدك .. تعودين لأبي ؟!

ـ أعود لبلادي وليس لأبيك .. أبوك تزوج ، وله أولاد منها .. لقد مللت هذه البلاد .. وما زلت أحس بأني غريبة فيها .. لقد صدمت جدا لم حدث لك .. ولا آمن أن يحدث لي مثل هذا

ـ حدث لي ذلك في أمريكا .

ـ الصحف تنشر مثل هذه الأحداث هنا .. وأنا عالجت الكثير من جرائم الاغتصاب .. ولا يربطنا شيء مهم في هذه البلاد .. نحن جئنا للعلم .. وليس للبقاء .. ولدى الإنسان حنين لبلاده وأهله .. رغم الجفاء والعداء

ـ الانحلال يا أمي موجود في كل بلاد العالم ، والإجرام لا تخلو منه مدينة

ـ أعرف ، وهو قليل في بلادنا.. فما زالت محطات التلفزة تنقل لنا أخبار الجرائم البشعة والعصابات المنظمة الكبيرة .. وأنا لليوم لم استطع أن أذوب في هذا المجتمع .. ما زلت أجد نفرة من أهل البلاد الأصليين لنا أثناء العمل .. ويضيقون منا خاصة بعد أحداث أمريكا قبل أكثر سنة .. ويعتبرون كل المسلمين قنابل إرهابية.. والعرب خاصة.. لأن الذين دمروا أبراج أمريكا شبانا ذوي أصول عربية .. والتحرش الجنسي في العمل شائع ولا حرج .. والانحرافات الجنسية كثيرة .. أخذت أقتنع أن بلادنا خير لنا من الحياة هنا .. ونحن لا أهل لنا .. نحن نعيش وحدنا يا شمس .



وأجلت أم شمس العودة للوطن حتى تتخرج شمس لتقرر مصيرها بنفسها ، للبقاء في كندا أو ترحل مع أمها إلى بلاد العرب ، لقد أوشكت أن تنهي خدماتها في المستشفى وستطلب التقاعد المبكر من العمل .

كانت زهيرة تتحدث مع أمها على الهاتف كما اعتادتا فعل ذلك ، فنقلت إليها خبر وفاة ابن عمها ميلاد ، فتفاجأت زهيرة للوهلة الأولى وانزعجت ، فقالت : ماذا قلت يا أمي ؟

ـ نعم ، كما سمعت يا زهيرة .. مات في بلاد بعيدة

فكررت زهيرة : ميلاد عادل مات ! .. هل خلفت زوجته ؟

ـ نعم ، ولدت ولدا ذكرا .. منذ يومين جاءنا الخبر .. فقد كان مع جماعة من أصحابه جهة روسيا الباردة والجليد .. فمرض ثم فارق الحياة قبل أن ينقل لأي مستشفى .

استرجعت زهيرة وترحمت عليه ، وتذكرته وهو يصدم سيارة زوجها سامر، ثم رددت : رحمه

الله رحمه الله يا أمي .. أكيد الشيخ حميد حزين عليه ..

ترحمت هناء عليه وتابعت : أهله والشيخ حميد راغبون بنقل جثته للبلد ودفنه هنا بمقابر البلد ورفاقه الشيوخ يلحون بدفنه في تلك البلاد ليبق شاهدا وذكرى لهم ، ولمن يأت تلك البلاد

ـ رحمه الله يا أمي وغفر له .. وأنت كيف حالك ؟

ـ بخير ؛ ولكني حزينة لزوجته التي ها هي تترمل من جديد مرة ثانية ، وحزينة لابنه رفاعة .. سمى ابنه رفاعة .

هزّ الخبر كيان زهيرة كما أثر بأمها ، فقد كان هذا الرجل عدوها وخصمها العنيد أيام شبابها .. ولم تلبث أن سمعت صوت هنري معزيا لها بابن عمها .. فقالت : وقد عرفت !

فقال: نعم ، واتصلت بقريبه الشيخ حميد وعزيته بقريبه ، وأنا أقدم لك التعازي يا دكتورة .. كنت أظن أنك ستعودين للبلاد .

ـ قريبا ، شهور قليلة .. اقترب تخرج شمس من جامعتها ، وعليها أن تحسم أمرها ، إما البقاء وإما السفر مع أمها.

ـ نعم ما تفعلين يا دكتورة ..أريد أن أقدم مساعدة لأسرة شيخ ميلاد .. فأنا أعلم أنه ترك ولدا وزوجة لديها ثلاث أطفال من رجل سابق

ـ أتريد إرسال مال لهم ؟

ـ سأقدم لهم مالا .. ولكن أريد أن أدرج اسم ابنه عن طريق جمعية أو مؤسسة تعتني بالأيتام حتى يكبروا .. فهناك جمعيات عالمية تهتم بهؤلاء الأطفال

ـ جمعية هنا في كويبك ومونتريال

ـ نعم ، جمعية تقدم مساعدات في أنحاء مختلفة من العالم .. تحدثت مع حميد ؛ ولكنه اعتذر وقال سنهتم بالأمر .. بالولد وأم الولد .. والرجل ترك ثروة لا بأس بها .. لكن هذه الجمعية ستهتم به ماديا ومعنويا ، وسيدرس إذا كبر في الجامعة على نفقتها ، فهم يهتمون بتدريس الفقراء على مستوى العالم .. فلهم علاقات على مستوى العالم بجمعيات خيرية ومؤسسات خيرية دولية

ـ سأهتم بالأمر .. وإن أرى أن الطفل له أقارب كثر سيهتمون به .. فأشقاء ميلاد يزيدون عن عشرة ذكورا وإناثا والشيخ حميد شريك ميلاد في العمل والآن كيف أنت وعروسك الهندية ؟

ـ رائعة ! هي على وشك الوضع .. أكرمني الله بفضله وكرمه بذرية منها كيف شمس اليوم ؟

ـ أحسن حالا بكثير من أيام نيويورك .. لقد كان الحادث صدمة كبيرة لها يا هنري .. ما زالت تعاني من آثاره .. وتستيقظ فجأة أثناء النوم وتصرخ .. وتأت للنوم بجواري باقي الليلة

ـ خفف الله عنها ، لم يكن الحادث سهلا عليها .. تحياتي القلبية لها .. وإذا جئت البلاد عند ولادة نورا سألتقي بكم إن شاء الله سبحانه

ـ شكرا لك يا دكتور هنري.. كنت نعم الأخ والصديق لنا في هذه الغربة

ـ إلى اللقاء

وضعت زهيرة سماعة الهاتف وتنهدت وقالت : جميل ! سيصبح هنري أبا من جديد يا الهي ! هنري يحقق حلمه بالمولود المسلم والزوجة المسلمة .. لكنها هندية لم تكن عربية !



عودة زهيرة

تخرجت شمس أخيرا من الجامعة بنجاح وتقدير جيد ، فهي ذكية من ناحية الدراسة ، وإنما كانت تحب العبث واللهو والسهر والرحلات حتى تعرضت للحادث المرعب في أحد شوارع مدينة نيويورك ، فانكمشت على نفسها رغم تعرضها لجلسات طبية وعلاج نفسي ، وذلك بعد تعرضها للموت بالطعن بالسكاكين التي شوهت صدرها .

وزهيرة أنهت خدماتها في المستشفى ، وحصلت على تقاعد الضمان الاجتماعي من المؤسسة التي اشتركت فيها منذ دخولها كندا أيام دراستها في هاليفاكس .

جلستا تتناقشان في مصيرهما ، فكانت زهيرة قد اكتفت وشبعت من الغربة كما قالت لابنتها وهي عازمة على العودة لبلدها بعد كل هذا الغياب فهمست لها : أنا اعلم أنك منذ وجدت على هذا الكون قبل ما يزيد عن عشرين سنة وأنت هنا ، ولا أستطيع إجبارك على الحياة معي .. ولا أحب بقاءك وحيدة هنا يا شمس .. وأنت لك الحرية في حياتك .. فسافري معي لتتعرفي على إخوانك وأقارب أمك وأبيك .. ثم احسمي أمرك إما البقاء معي أم العودة إلى هنا .. بضعة شهور .. تغيير جو .. رحلة للشرق .. وها هي الشقة موجودة ، وستبقى الخادمة فيها إذا أحببت البقاء ، وسندفع إيجار الشقة وراتب الخادمة حتى تصلي للقرار المناسب.. إذا لم يطب لك البقاء تعودين .

احتضنت شمس أمها وقبلتها ، وذرفت الدمع أثناء ذلك ، وقالت وهي تضع رأسها على كتف أمها : فكرت فكرت يا أمي .. عليك أن تذهبي وحدك .. فإذا طاب لك المقام بين قومك وعشيرتك فابق بينهم .. وإذا لم يطب المقام فأنا هنا بانتظارك .. قريبا سأعمل بشركة قدمت لها أوراقي ، والجامعة ستساعدني في الالتحاق بالعمل .. عذرا يا أمي أنا تعودت على الحياة في المجتمع الغربي بسلبياته وإيجابياته .. وربما جئت إليك سائحا في يوم من الأيام .. نحن لن نبقى معا طويلا .

ـ إذن فكرت جيدا في مستقبلك وحياتك .

ـ لي شهور أفكر وأفكر وقد حسمت الأمر.. أنا مكاني هنا .. تعودت على حرية هذه البلاد وطبيعتها .

ـ ولكنك رأيت بنفسك ما جنت حرية أولئك الناس .. ومن ناحية اللباس لا يتدخل بشأنك أحد .. وليس كل الناس يلبسون الثياب التقليدية في بلاد العرب والمسلمين .. فلبس الجلباب أو العباءة حرية شخصية اليوم في بلاد المسلمين .. فأنت هنا اليوم ترين فتيات ونساء يلبسن الثياب الشرعية ويغطين شعرهنّ .. وأنا منذ وعيت لأهمية اللباس في حياتنا وأنا ألبس الثياب المحتشمة وأغطي شعري كاملا واكشف وجهي .. ودرست سنة في الجامعة في بلدي وكنت أرى الكثير من السافرات والمتبرجات ولابسات البنطالات

ـ هل يسمحون لي بلبس الشورت البنطال القصير في شوارع المدن العربية ؟

ـ الأجانب يمشون بشوارع المدن العربية منذ عهد بعيد باللباس القصير ، ومن النادر أن يعترض أحد عليهم .. لكن الذوق العام لأهل البلاد لا يتقبل ذلك .. فها هي قرى الهنود الحمر هنا تتزين النساء والرجال بزي تقليدي لأجدادهم .. كما هو الحال في بلاد المسلمين ..

ـ أعدك يا أمي بزيارة عندما أباشر العمل واستقر فيه .. توكلي على الله ، وعودي لأهلك وأمك وسيكون الاتصال دائما بيننا .. هل علمت أن مادلين ستنتقل للعمل في نيويورك في نفس المستشفى الذي يعمل فيه والدها .

ـ قال لي هنري ذلك

ـ كنت أتمنى أن يقترن بك هنري لتبقين هنا

ـ هنري ليس هنا أنه في أمريكا

ـ كلها بلاد واحدة ، وإن فصلت بينها حدود

كانت الدكتورة زهيرة مجدي قد رتبت مع ابن عمها حميد نبيل بأن يبتاع لها شقة أو فيلا في أرقى أحياء العاصمة ، فوعدها بحجز عدة فلل وشقق ريثما تستقر في البلد وتختار المناسب واللائق بمقامها .

فلما هبطت الطائرة الكندية بمطار العاصمة مع صباح ذلك اليوم من كانون الثاني ٢٠٠٨ .. وكانت على اتصال بحميد الذي رتب على استقبالها ، فلما ختمت جواز سفرها واستلمت حقيبتها من الجمارك التقت بحميد وزوجته في صالة الاستقبال ، وبعد الترحيب والدعاء انطلق بها حيث بيت والدتها التي كانت مستيقظة في انتظارهم ، احتضنتها أمها وتعانقتا على عادة الشرقيين ، فلما انفصلتا عن بعضهما صافحت أم زهيرة زوجة حميد ، وحيت حميد وشكرته فرد لها الشكر وقال : يا دكتورة الحمد لله على السلامة .. وأهلا بك ببلدك العزيز .. والبيوت جاهزة للمشاهدة شقق وفلل .. عندما تجهزين لذلك سنقوم بجولات خاصة إليها .. ثم يتم نقل ملكية البيت الذي تختارينه من صاحبه إليك .

أثنت عليه الثناء الجميل فقال : أرجو أن نخلص من ذلك .. فهذا واجب علينا يا دكتورة .. نحن أهل .

وقبل أن يغادر البيت ويغلق الباب هتفت وراءه : أبا محمد

فتوقف واستدار إليها مستفهما وكذلك زوجه ، فقالت : أريد أن أرى ابن ميلاد ابن ابن عمنا

ـ سنفعل هو الآن مع أمه ، وشكرا لك على المال الذي أرسلتيه له ولأمه .

ـ هو ليس كله مني ، فبعضه من هنري الشيخ عبد الصمد

ـ بارك الله فيكم .. والرجل ترك لابنه ثروة كبيرة .. وأنا قد عملت قسمة للشركة ليأخذ الابن والزوجة حصتهما يتقاسمونها حسب الشرع .. لكن الزوجة ووالدها طلبا أن يبقى المال في السوق .. كما كان أيام ميلاد .. ولما انتهى توزيع الميراث حسب الشرع فأخذت حصة الأم وأشركتها في شغلنا .. أما مال رفاعة فحول لمؤسسة الأيتام لرعايته وتنميته لأنه قاصر .. فهي زوجة طيبة ومسكينة .. السلام عليكم للحديث تتمة ما دمت قد أمسيت جارة لنا .

ـ وعليكم السلام .. سلم على أولادك .. أعود وأشكرك يا أبا محمد .. شكرا أم محمد .

ردت أم محمد بصوت بدا متعبا فقالت زهيرة : آسف .. ما بك يا أم محمد ؟! كأنك مريضة !لم انتبه إلا الآن .

فرد حميد : نعم ، إنها متعبة ، وسنقوم بفحوصات جديدة خلال هذه الأيام .. لما يدخل علينا البرد تبدأ أم محمد بالتعب والمعاناة .. ولما تستريحي ستتكلم عن مرضها ونسمع نصائحك فأنت أخصائية في أمراض النساء .

ـ أنا في خدمتكم ، وفعلا إني في شوق لتقديم شكر عملي لكم .. معروفكم مقدر عندي .. ألف سلامة يا أم محمد .. لم انتبه لمعانتك إلا الآن .

خلال أسابيع تمكنت الدكتورة من ابتياع فيلا في إحدى ضواحي المدينة ، وتم تأثيثها بأحدث طرازات الأثاث والفرش والستائر وأدوات المطبخ وفرن الغاز والبراد (الثلاجة) وغسالة الملابس ، وغرفة نوم خاصة بها ، وغرفة خاصة بأمها وغرفة خاصة بالخادمة .. ولم كمل التأثيث رحلت وأمها وخادمة البيت للفيلا الجديدة .. اشترت سيارة من آخر موديل .. ولما استقرت بالبيت استعانت بخادمة أخرى .. فالبيت الكبير يحتاج لأكثر من خادمة .. وكانت الخادمة الجديدة تحسن الطهي لتقوم بهذه المهمة في البيت .

وأكثر الخادمات في بلدنا من جنسيات آسيوية الفلبين سيريلانكا .. إندونيسيا .. بنغلاديش .. عرفت زهيرة من حميد أن امرأته تعاني من مرض السرطان سرطان الثدي ، وقد استؤصل أحد أثدائها .. ولكنها ما زالت تعاني من المرض .. فقدمت ما تستطيع من نصائح ، وأهمها استمرار المتابعة والمراجعة في المراكز المعالجة الخاصة .

وفكرت زهيرة بإنشاء عيادة خاصة تمارس بها العمل الذي هو حياتها كما تردد وكما تعودت .. وفي النهاية قررت العمل في مستشفى خاص لتتعرف على البلد وطبيعة العمل في البلد بعد غياب طويل عنه .. والدكتورة لديها خبرة كبيرة وشاركت في تأليف كتب طبية أثناء إقامتها في مونتريال باللغة الإنجليزية والفرنسية .. وما زالت على اتصال بمراكز البحث العلمي والطبي التي نشطت بالعمل معها ، ولديها خبرة عملية كبيرة في المستشفيات وكانت تساعد زوجة حميد في مراجعة المستشفيات المختصة .

حميد منذ وضع نفسه تحت خدمة امرأة عمه هناء محمد ، وهو يتصل بها كل يومين أو ثلاثة أيام

سائلا عن حالها وصحتها وحاجتها ، وحلف عليها إذا احتاجته في أي وقت أن تتصل به أو بزوجته ، وكذلك عود نفسه ليزورها في الشهر مرة أو مرتين مساء الجمعة.. برفقة زوجته أو أمه .. ويرافقها إلى مراجعة طبيب أو طبيبة أو مختبر طبي .. أو مركز صحي الحكومة لاستلام دواء الضغط والسكر الذي تحتاجه شهريا.. وعندما يرافق المشايخ بخروج دعوي .. يكلف أحد أبنائه خاصة عماد الذي يعمل معه بالاهتمام بامرأة عمه .

وكان حميد دون إخوته أكثرهم رعاية لامرأة عمه عن وصية أمه خاصة بعد أن طلق مروان السيدة هناء ، وتزوجت الضابط رستم .. وسفر ابنتها بعد ذلك .. ولاحظت الأم أم سالم ضعف علاقة أبناء رستم بزوجة أبيهم .. وتقبل حميد هذه المهمة بروح طيبة ، وكذلك وصاه والده عند موته بالاستمرار على بره وصلته لها ، وتعمقت علاقة زوجته أم محمد بهناء.. وقدرت هناء هذه الصلة للرحم .. وهذا الود بينهم ، وكانت تألفهم أكثر من أبناء إخوتها وأخواتها .. وكانت تتألم لما أصاب أم محمد من مرض السرطان .. وتدعو لها في كل صلاة بالشفاء والعافية.. ولما ترقد في المشفى تذهب لزيارتها والاطمئنان عليها برفقة أولاد حميد .. لأنها باعت السيارة عندما ضعف بصرها بسبب السكري.. ودعست طفلا ، وكانت إصابته ـ بفضل الله ـ خفيفة .. ولم يصاب بكسر إنما خدوش ورضوض .

واستمر هذا النمط من المساعدة والصلة حتى بعد عودة زهيرة ، رغب أبو محمد بالاتصال الدائم بأم زهيرة ، لم يسع لتغيير ما عود امرأة عمه عليه بحجة عودة زهيرة .. فكان يزورهم بين الحين والآخر .. اجتهد ألا يضعف ما عود امرأة عمه عليه من عادات .. وغالب الحديث الهاتفي يكون بينه وبين هناء الأم .

وفي الآونة الأخيرة كان يصحب ابنته معه الطالبة في الجامعة.. فالزوجة ازداد وضعها الصحي تدهورا .. وأمه أخذت تكتفي بالحديث الهاتفي بينها وبين هناء فالسن أخذ مجراه عليها ، فهي من سن هناء تقريبا ؛ ولكنها تزوجت نبيلا في سن مبكرة ، كان عمرها دون العشرين .. ومرات يأخذ زوجة ابنه محمد التي تعيش معهم .. فبناته الكبيرات متزوجات من أقاربهن .. ومحمد

تزوج قبل مجيء زهيرة من كندا بزمن يسير .. والذي يصغره بسنة تزوج قبل محمد لظروف معينة ، ويسكن مستقلا عن والده ، وعماد الذي يعمل معه في محل التصليح يسعى لتزويجه ، فقد خطب له ابنة خاله ، وهو صديق للشيخ حميد ، ورفيقه في الجماعة ، ويسكن قريبا من بيته ، ويعيش معه في نفس البيت الذي بناه .. وبقي عنده حليمة التي تدرس في الجامعة .. وولد واحد أعزب في المرحلة الثانوية .. فصار يصحب ابنته أو كنته نصف أو ساعة في الزيارة ، ثم يعود للبيت ، وغالب زيارته تكون ليلا بعد صلاة العشاء في فصل الشتاء والخريف ، وفي الصيف بعد العصر أو بين صلاتي المغرب والعشاء

وبعد مجيء زهيرة قليلا ما يلتقيان ؛ لأنها تواظب على عملها في المستشفى الخاص ، وتكون في مراقبة ومتابعة حالة خطيرة أو عملية ولادة ، فأحيانا تعود للبيت بعد منتصف الليل .

فهي تشرف على عمليات الولادة أو تساعد جراحا في عملية قيصرية .. فالولادة الطبيعية تقوم به القابلات العاملات في المستشفى أو ممرضات ذوات خبرات خاصة .



ذات ليلة كان حميد تصحبه كنته زوجة محمد في بيت هناء وزهيرة ، وقد جاء ليطمئن على صحة الأم ، فقد كانت في الصباح عند الطبيب لارتفاع الضغط الدموي ، وحدث لها تشويش في الأذنين ، وعزت الطبيبة ارتفاع الضغط أنها تعشت عشاء فيه نسبة زائدة من الأملاح .. فذكرت لها أنها أكلت أقراصا محشوة بخضار السبانخ ، وبعضها باللحم المفروم .. وشربت كوبا من الشاي به القليل من السكر .

ولما شربوا الشاي وأمامهم الفاكهة ، قالت هناء : سمعنا يا أبا محمد أنك تسعى للزواج على أم محمد .

تضاحك وهو يتطلع في وجه كنته وقال : أم محمد أخبرتك .

تبسمت النساء الثلاث وقالت هناء: نعم ، تحدثت معي لما رجعت من العيادة لتسأل عن صحتي ، وجاء حديث الزواج .

قالت زهيرة : التعدد عند الشيوخ سنة النبي ﷺ ويرونه أمرا طبيعيا

ضحك حميد وقال: التعدد في الإسلام شيء طبيعي ، وقرأ آية النساء (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا) .. وأنا حقيقة يا امرأة عمي عندي سبب للزواج ثانية فأم محمد كما تعلمون اشتد عليها المرض منذ أشهر ، وهي مريضة منذ سنوات .. فلم تعد تصلح كزوجة لأنها تتعب .. والرجل لا يستغني عن المرأة .. والحلال حلال ولا يصير حرام .. فهذه القصة

فقالت زهيرة : ورأي أم محمد في الموضوع ؟

ـ أم محمد منذ مرضت ، وهي تحثني على الزواج .. فلان له زوجتان .. وفلان تزوج الثالثة .. فزوج أختها عنده ثلاث نسوة .. وتحملت من أجل خاطرها يا أم شمس .. وأملت بشفائها التام ، ولكن أمر الله فوق كل أمر (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)

ـ يعني أم محمد راضية بزواجك عليها

ـ هي تريد هذا ، وتدفعني إليه ، وها هي كنتها تعيش معنا .

وتحدثت كنة الشيخ ، وأيدت كلام أبي محمد ، وبينت أن حماها وافق هذه الأيام على البحث عن زوجة تقبل به ، وهو في الخمسين من العمر .. وقالت: ونحن نبحث له عن امرأة صالحة تقبل به .

فقال مؤكدا ما تفوهت به كنته : امرأة صالحة تقبل بي في هذا العمر .

فقالت زهيرة مستفهمة : لم تبلغ الخمسين بعد يا أبا محمد .. أتريد خلفة من جديد ؟

ـ ليس شرط هذا .. هذه تعود للعروس .. لي أكثر من عشر سنوات بدون خلفة.. والولادة والحمل كله بأمر الله تعالى .. أنا الله أعطاني سبعة بين ذكر وبنت .. والتي سأقترن بها ستكون

دون الأربعين في فكري .

وفجأة قالت هناء وبدون مقدمات : لماذا لا تتزوج ابنة عمك ما دام الخلفة غير مهمة عندك ؟

التقت عينا حميد بعيني زهيرة التي أحمر وجهها لمفاجأة أمها ، وبعد لحظة صمت قالت زهيرة : ومن قال لك يا أمي إنني أريد أن أتزوج ؟!

قالت هناء : أنا أعلم أنك منذ تركت سامرا ، لم تتزوجي ، ولم تفعلي ما فعلت أمك قديما ، قبلت بالزواج من المرحوم مروان ـ رحمه الله ـ الذي مات بحادث سيارة مخيف .. ثم رستم .. واليوم أنت تعيشين معنا ، ورضيت بالحياة هنا ، فالشيخ حميد رجل ومفضال كما تعلمين .. وأولاده يحبونك وحتى أم محمد تحبك وتقدرك .. والأعمار بيد الله .. فكري بما سمعت يا زهيرة .

قالت زهيرة : وهل يرضى بي أبو محمد زوجة ؟

ضحك حميد ، ونظر لكنته وقال : هذا أمر يرجع إليك يا دكتورة .. أنا لم تطمع نفسي بالزواج منك ، ولا أقدم خدماتي لكم من أجل ذلك أو طمعا بذلك .. أنت لك شهور بيننا ، لم تعرفينا بشكل جيد يا أم شمس .. وموضوع الزواج قديم وجديد ولست مستعجلا عليه .. إنها مغريات الدنيا كثيرة كما تعلمون .

قالت زهيرة بشكل مفاجئ : ما دام الأمر لي .. فإذا قبلتني يا أبا محمد زوجة فإني أقبلك .. أنا عرفت طيبتك من الزيارة الماضية كما تذكر .. وأنا لما طلقت صرفت نظري عن زواج جديد .. وربما كما تقول أمي الوضع هنا غير هناك ..فإذا تراني أصلح لك زوجة فعلى الرحب والسعة

ـ أنا غير مصدق لمَ أسمع يا ابنة العم !

تفاجأ حميد والأقارب بقبول زهيرة الزواج من حميد ، ورد بعضهم ذلك ليأسها من وجود زوج من مستواها الاجتماعي والطبي ، وأيضا لكبر سنها .. وليأسها من الإنجاب ؛ لأنهم يعلمون من أسباب انفصالها عن زوجها الأول ضعف قدرتها على الحمل .

جرى حفل زواج متواضع لزفاف حميد وزهيرة حيث انتقل للحياة والعيش في بيت زهيرة ، وقدم لها مهرا متواضعا ورمزيا ، وقد غيرت زهيرة أثاث غرفتها لتصبح غرفة نوم بسرير مزدوج

وخزانة ثياب كبيرة .

وقد كان الاتفاق بينهم أن يكون مصروف البيت مناصفة لأن حميدا رفض أن تتكفل زهيرة بمصروف البيت ، وطابت الحياة لزهيرة بزواجها ، وعادت إليها أنوثتها وروحها الغائبة ، وعادت النضارة لوجه زهيرة وحب الحياة ، ورأت أن الحياة الزوجية سعادة ومهمة ومودة وسكينة ، والشيخ حميد سلوكه وكلامه دائما عن الدين والإسلام والجنة والنار، وهذه أشياء افتقدتها زهيرة في حياتها الزوجية الماضية ، وفي الغرب ، وهي اليوم امرأة ناضجة ، ولها تجربة شرقية وغربية ، وشاء مولانا العظيم أن يتم سعادته عليها بأن حملت من زوجها حميد ، فكادت لا تصادق ذلك ، لولا أنه حق وواقع ، وقد أثبتت الفحوصات الطبية والمخبرية الحمل ، وهو حمل طبيعي ، فكانت تقول لزوجها : رغم حملي بشمس ومجد وولادتهما بسلام لم أسعد كما أنا اليوم .

ـ الله عظيم ورحمته كبيرة !.. ونياتنا خالصة لله .. فنحن نذكر الله عند كل جماع كما علمنا الرسول ﷺ لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا – فإن قضى الله بينهما ولدا لم يضره الشيطان

ـ كلام عظيم من نبي عظيم !

ولدت زهيرة ولدا كاملا سليما ، ولما تشاورت على تسميته ، اقترح حميد أن يسمى مجديا على اسم والدها مجدي حسن ، وبعد تردد يسير قبلت وسمته مجديا ، وعلى أثر الحمل والولادة تركت زهيرة العمل في المستشفى ؛ لتتفرغ للمولود الغالي تفرغا كاملا .

وكان حميد منذ سنوات يشرف على العمل إشرافا بسيطا ، سواء مشغل تصليح السيارات أو معرض بيع السيارات المستعملة .. فكان قليلا ما يعمل بيده ، وكانت السيدة هناء سعيدة برؤية أول حفيد لها بعينيها ، فهي لليوم لم تر شمسا ، فكان حميد يقول : غمرتنا السعادة بولادة مجدي الصغير .. وكانت زهيرة طيبة معي لأقصى درجة ، فلا أحس أنها دكتورة ، ولا أنا فني تصليح سيارات ، لم يكن لهذا ذكر بيننا ، إننا نحيا كزوجين سعيدين .. وهي حقيقة طيبة وواقعية

وصبورة ، لم يحدث بيننا منذ زواجنا أي شجار ، فعندما نتناقش حول شيء وأقول لا ، تنسى الموضوع ، فكانت نعم الزوجة .. وكانت تحثني على الذهاب إلى أم أولادي والمبيت بينهم ، وهي تقول اقسم بننا كما يأمر الشرع والدين فابتسم لها وأقول صحيح هذا يا أم مجدي ، وأم محمد عفتني من القسمة لمرضها وسقمها وكنت أذهب بصحبتها لزيارة أم محمد والبيت القديم ويرحب بها الأولاد وزوجتي الأولى ؛ كأنها أخت لهم وأم ، ونتعشى مع أم محمد والأولاد كأنهنّ أخوات ، بل تعاتبها لعدم سماحها بمبيتي عندها فتقول أم محمد أنا ما صدقت وهو يتزوج .. المرض هدني ، وأنت أعرف الناس بالأمراض



شمس

كانت زهيرة وشمس تتحدثان مع بعضهما في الأسبوع مرتين على الأقل ، وكان قد جرى بينهن بعد زواج زهيرة بفترة هذا الحوار ، قالت لها شمس : سمعت أنك تزوجت ، لم تخبريني بذلك ولم تدعوني لحفل الزواج ؟

ـ وهل إذا دعوتك ستلبين الدعوة ؟! فهذا شأن خاص بي ، ولم أرغب بإزعاجك به .

ـ يبدو أنك حذفتني من حياتك !

ـ أنت حذفت نفسك ، واخترت الحياة وحدك رغم علمك بأنني قررت العودة لبلدي والمكث فيه حتى الموت .. أبوك الذي أخبرك ؟

صاحت بغضب : طبعا أبي ، وقد دهش لجهلي ذلك .. وهو قليل الاتصال بي منذ تخرجت ورفضت العودة معك .. مرة واحدة في الشهر .. هو يطمع أن اتصل به أنا .. لا أدري ما هذا الأب ؟ ـ وأخذت تقلد والدها ـ كيف أنت يا شمس ؟ .. تمام .. موفقة .. مع السلامة .. ينغص عليّ حياتي باتصاله القاتل .. ومرات أقطع الاتصال قبل أن يكمل أسطوانته ..

ـ لم تباركي لي بالزواج !

ـ آسف يا أمي .. حياة طيبة وزواج سعيد .

ولما ولدت زهيرة ، وعلمت شمس بذلك استغربت ؛ لأنها كانت تعلم عجز أمها عن الحمل ، وأنها كانت تجهض كثيرا ، فهنأت أمها على سلامة الوضع ، وفي إحدى المكالمات قالت مداعبة لأمها: أرى أن إخواني يكثرون ! كم لي من جهة أبي ؟! ثلاثة أو أربعة .. ولي من جهة أمي واحد .. جميل أن يكون للمرء أخوة كثر !

فقالت زهيرة بسعادة : والثاني على الطريق .. ألم تجدي زوجا في بلادك ؟

ـ عجيب أمرك يا أمي! .. ولماذا لم تلدي من أبي إلا أنا ؟! .. آ .. وهناك طفل قد مات .

ـ الله يريد أن أنجب من هذا الرجل ..

فعادت شمس تجيب عن سؤال أمها الأخير : لم أجد الزوج المناسب .. من أعرفهم يريدون

زواجا غربيا بدون وثائق .. علاقة جنسية وصداقة .. كرهت كل الرجال .. رأيت صديقك هنري .. ذهبت بمهمة للشركة في نيويورك ، وقبل زيارتي إليه .. ودعاني للعشاء معه ومع زوجته الهندية وابنته مادلين وصديقها الأمريكي .. وبارك لي الشقيق الجديد .. فهو على معرفة بأحوالك أكثر مني ..

ـ ما زال يتصل بي بين الفترة والأخرى .. وهو يفكر بزيارتنا كسائح .. لماذا لا تسأليني عن جدتك وعن زوج أمك؟!

ـ شيء لا يهمني يا أمي

ـ إذن لماذا أحدثك عن حياتي الخاصة ؟! لم تسأليني كيف تعيشين ؟ هل تعملين ؟ كيف حياتك؟

قطعت شمس الاتصال ، فلم تكترث زهيرة لذلك التصرف ، فهي بدأت تتعافى من عقدة الهجرة .. ورأت الحياة بمنظار الدين والتقوى.. وهي قد اعتادت على الجفاء من شمس منذ زمن بعيد .. فهي لم تكن تتعامل معها كأم حنون .. إنما هي مجرد امرأة ولدتها .. ولا يربط بينهم رابط عاطفي ..



فعلا وجدت زهيرة نفسها تحمل من جديد ، فما كاد مجدي يقترب من النصف سنة حتى شعرت بالحمل الثاني ، فحمدت الله وشكرته .. فهي خاضت علاجات كثيرة في كندا ، وكانت نتائجها أن لا أمل لها بالحمل السليم .. فهي قد حملت أكثر من مرة بعد وفاة ابنها من سامر ، وكانت خلال شهر أو شهر ونصف تسقط الحمل .. حتى أيقنت بأنها أمست عاقرا .

وزاد ارتباطها بالله والتسليم له استسلاما كاملا ، وأن دعاء زوجها لها خير كبير .. ورأت أثر الاستغفار بتحقيق الشهوة للولد والأمومة .. وأحبت حميدا حبا كبيرا ، وليس أنه مجرد زوج لها فهو إنسان طيب وسهل .. وكله حنان وعطف عليها وعلى أمها التي تكاد أن تطير من الفرح

لميلاد مجدي الصغير ، وتعتقد أنها هي التي ولدته .. وزهيرة تعلم رغبة أمها الشديدة بالولادة ، وتذكر الحرب التي خاضتها من أجل الولادة .. وتكرر زواجها .. فكانت أمها لا تفارق مجديا إلا عند النوم في الليل ، وعند الرضاعة من صدر أمه..

وكانت هناء تظن أن زهيرة ضعيفة الحمل مثلها ، وظنت أن الوراثة سبب ذلك .. فبان لها هذا الوهم.. ومشت الأيام ، وجاء المولود الثاني حسب المقدر له بميعاده ، وولدت زهيرة في مستشفى خاص كالمرة الأولى.. وسمته محمدا على اسم الرسول ﷺ ولقب بمحمد الأصغر .. فكانت تقول لحميد بوله ومنة : جزاك الله خير الجزاء.. فقد أعدتني للحياة من جديد .. ظننت أن دور الأمومة انتهى في حياتي ..

ـ هذا فضل من الله وحده ..

ـ للأطفال حلاوة يا أبا محمد وشعور بالحياة من جديد

ـ الشكر لله أولا وأخرا .. والأولاد هبة ربانية .. وبتقدير من الله كما جاء في آية سورة الشورى (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ(٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ(٥٠))

ـ الشكر لله، نعم ، الشكر لله .. أنا كان أحد أسباب انفصالي عدم قدرتي على الحمل .. كان عندي مشاكل في الدم .. فزعموا أنها تؤثر على عدم ثبوت الحمل وتؤدي للإجهاض المتكرر .. وأنا راجعت تحاليلي بنفسي ، واقتنعت بما كتب في تلك التقارير .. فلما أخذ زوجي الأول يحن للأولاد والعودة والغرب .. وافقت على الطلاق بسهولة ، وتمنيت له السعادة

ـ قصص الحمل والولادة من أعاجيب القدر .. فمنها يا أم مجدي كان رجل متزوجا من امرأة ، وقضيا سوية عشرين عاما بدون إنجاب .. وتعالج في القدس عند اليهود .. وعند العرب .. وبعد عشرين سنة من الزواج أقنعها بالفراق .. بعد أن رفضت كل هذه السنوات .. وتزوج هو وتزوجت هي .. وولد له وولد لها .. هذا مصداق الآية .. يهب لمن يشاء .. وقتما يشاء .. ولا يعني هذا أن لا يطلب الناس العلاج والطب والأنابيب

ـ فحتى الصديق هنري عبد الصمد الذي تعرفه أخصائي نساء وجراحة نسائية .. أكد لي أن الحمل صعب بسبب مشاكل الدم .. وقد طلبني للزواج قبل إسلامه ، ولكنه لما أسلم طمع بالذرية والولد الصالح ، وذكر حديث أني مباه بكم الأمم

ـ حديث كثرة المواليد تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم .. وشرع التعدد في الإسلام لغايات وحكم كثيرة .. ومنها حتى لا تبقى المرأة العاقر بغير زوج وحياة أسرية والعرجاء تتزوج والعمياء كذلك.. ونساء المسلمين المتعلمات المثقفات يجاهرن بالعداء للتعدد فزادت الفاحشة زادت العوانس .. صرنا نسمع بزواج عرفي وسري وسياحي .. وندوات ومؤتمرات تعقد لتحريم التعدد .. وإباحة الإجهاض والزنا .. وانتشرت دور الدعارة في بلاد المسلمين سرا وعلنا فيقال لنا الإباحية في الغرب منتشرة بصورة فظيعة ، والانحرافات الجنسية لا حد لها .. وبعضهم يبيح زواج المثلين والسماح بالشذوذ قانونيا .. ونسمع أن رجلا وامرأة يلتقيان كأنهم زوجان وليس بينهم رابط قانوني ..

فعقبت زهيرة : من ناحية الجنس، فهو مباح عندهم بأكثر من طريقة .. فالمرأة تعاشر الرجل عشر سنوات قبل كتابة العقد بينهم .. وربما أكثر ، وممكن أن تنجب ، ولا يعترف به ابنا شرعيا التحرش الجنسي حدث عنه ولا حرج .. زواج الرجل لرجل مباح في بعض المناطق محرم في غيرها .. ويناقش هذا في برلماناتهم وأثناء حملاتهم الانتخابية .. في مونتريال حيث كنت كانت هناك قرية للشاذين .. يجتمعون فيها لممارسة الشذوذ في شقق وأبنية خاصة بهم .. عندهم فساد ولكن عندهم احترام خصوصية الناس .. والحكومات والأنظمة قوية .. فالدولة هي الأسرة والأم والأب .

ـ ونحن عندنا حرية .. حريتهم مزيفة .. ماذا صنعت حريتهم بالعراق وأفغانستان وفلسطين حرية مزعومة ؟

دخلت أم محمد المستشفى من جديد ، ولم تلبث أن فاضت روحها لبارئيها ، وفاضت الدموع

على روحها من أحبابها ، وتقبل الرجل العزاء فيها من أهله وأهلها .. وترحم الجميع عليها ، وتصدق حميد عنها بالمال والطعام ، وفعلت زهيرة نحوه ، وكانت أم محمد توصي زهيرة على أولادها ، وخاصة الشاب وأخته اللذان ما زالا يعيشان معها ، فوعدتها خيرا .

لذلك بعد انتهاء العزاء نقلت زهيرة البنت والشاب للحياة في بيتها معها ، وكان ذلك بعد تردد ورفض ، ثم رضخا لضغط أبيهم وزوجة أبيهم .. وإنها تفعل ذلك عن وصية لأمهم .. وكانت تقول فأنتم في عيوني وقلبي ، ووالدكم أغلى إنسان عندي

وظل محمد وحده في البيت مع أسرته ، وقال محمد : نحن نعتز بك يا أم مجدي ، وفضلك على رؤوسنا ، وأولادك في قلوبنا ، وهم أخوتنا .. وصدقي أن أمنا كانت سعيدة بزواج أبي .. بل كلنا أصابتنا الدهشة لهذا الزواج منك .. فكانت تراك أما لنا

ـ إني أفخر بكم ، وأنتم كفلذات كبدي حقيقة ، وعاطفتي تسعكم جميعا .. وأحببتكم قبل زواجي من أبيكم ، وكنتم أقول لنفسي وربما لأبيكم أنك ربيتهم تربية عظيمة يا حميد ، ولم تدرس في جامعة ولا تربية وعلم نفس .. وأرجو أن تسعد حليمة ومالك بالحياة معي ، وتدرك أنني أم لها مثل أمها .

وكانت زهيرة قد جهزت غرفة للبنت بما يلزمها من سرير وخزانة ومكتب ومكتبة صغيرة ، وفعلت مثل ذلك للشاب ، وكانت قد أخذت هي وحميد بالاستعداد لتشييد طابق ثاني للفيلا رغم سعتها ، وأبت أن يساهم حميد بشراء أي أثاث للأولاد ، وقبل حميد تلك الهدايا ممنونا وشاكرا لله ثم لها .. نحن نعلم أن زهيرة جمعت ثروة كبيرة من خلال وجودها في كندا ، وهي تحصل على راتب جيد من مؤسسة الضمان الكندية ، فمنذ أن يهبط الإنسان الوافد كندا يحصل على اشتراك في مؤسسة الضمان الاجتماعي .. وقضت زهيرة أكثر من عشرين عاما كما يعرف قارئنا العزيز في كندا ؛ لذلك قالت لحميد عندما رأى سخاء زهيرة : نحن أهل يا حميد .. وأعلم أن الله أعطاك ووسع عليك .. إنما أريد أن أشعر أنني قدمت شيئا ماديا لإخوة أولادي يا أبا محمد .

ـ أنت بركة حلت علينا .. ما كنت أحلم في يوم من الأيام أن ألمس يدك !.. لذلك صعقت لما تكلمت امرأة عمي عن زواجنا من بعض .. فاعتقدت كما يقال إن ليلة القدر فتحت عليّ .. وتعجبت من قدر الله تعالى

ـ النصيب يا ابن العم .. وأنا مثلك عجبت لاقتراح أمي .. فأمي بعد موت أبي كرهت كل عائلتكم .. إلا أمك وزوجتك .. ورغم الأيام ظلت العلاقات بينهم طيبة لم تتأثر بأحداث العم عادل والمرحوم ميلاد .. وأنا كما تعلم لم يكن لدي اعتراض على الزواج ثانية أصلا ؛ لكن لم يحصل ذلك إلا من الصديق هنري .. عندما خطبني ، واعترضت باختلاف الدين ، وقال سوف أعلن إسلامي في العاصمة وأطلق زوجتي .. فطلبت منه أن يتعرف على الإسلام بحق وليس فقط مجرد تلفظ بالشهادتين والحصول على وثيقة إسلام .. ولما عرف الإسلام لم يراجعني بالزواج أبدا .. قضى حياته في مدينة نيويورك .. وقد تزوج فتاة هندية ، وأخبرني أنها أنجبت له ثلاثة مواليد ، وهو يعيش حياة سعيدة معها ومع أطفاله .. وهؤلاء الأجانب ذوي الأصول الأوروبية يكتفون بولد واحد أو طفلين ..

ـ جزاك الله خيرا .. والأولاد كما تعلمين يعتبرونك أما وأختا لهم .



انتهوا من العشاء في غرفة الطعام ، وانتقلوا لصالون الفيلا حيث الدفء والأرائك الوثيرة يتسامرون ، وبعد قليل انصرفت البنت حليمة وأخوها مالك فهما طالبان في الجامعة ، وحليمة في السنة الأخيرة من الجامعة ، ومالك في كلية الهندسة الإلكترونية ، فهو الوحيد الذي تابع دراسته من أبناء حميد الذكور الأربعة .. وكانت هناء تحتضن محمدا ، ومجدي يجلس بجوار أمه فهو قد أصبح يمشي بشكل جيد ، فقد تجاوز السنة من العمر .. وبينما هم يتسامرون ويشربون

القهوة قال حميد لزوجته : ألا تريدين تزويج شمس ؟

تطلعت فيه وقالت بدهشة : كيف لا أريد ؟! وهل تكتمل سعادة الأم يا أبا محمد إلا بزواج ابنتها وابنها ؟.. هناك الزواج مدني .. يسجل في السجل المدني .. ثم يوثقه المرء حسب دينه وطائفته .. والطلاق مدني ، ويوثقه الإنسان حسب دينه ومذهبه .. ويحتاج الطلاق لمحامي الأسرة .. والزواج المدني سهل الانفكاك منه .. وقد لا يترتب على الزوج التزامات مالية .. الفتاة تتخذ صديقا لها يعاشرها معاشرة الأزواج دون الالتزام بنفقة لها ودون الالتزام بالأبناء وعندما يجد فتاة جديدة يترك تلك ، فالكثير يبعد عن الزواج الرسمي خاصة في فترة الشباب فالزواج الرسمي يترتب عليه عند الانفصال أخذ الزوجة نصف ثروة الرجل ليتم الطلاق .. أو أي مبلغ يتراضيان عليه .. لذلك اخترع الزواج المدني للتخلص من التبعات المالية وعدم الطلاق .. زواج شكلي صوري صورته زواج

ـ ربما لو أتت هنا تيسر زواجها التقليدي

ـ شمس كما تخبر يا أبا محمد ولدت في كندا ، بعد وصولنا إليها اكتشفت أنني حامل .. فهي ابنة كندا ، واندمجت في الحياة الكندية اندماجا كاملا ، فليس عندها اعتبارات لعاداتنا وتقاليدنا ..

رن جرس الهاتف فقامت زهيرة إليه ، فلما تكلمت وسمعت قالت : سبحان الله إنها شمس .. الخلوي في غرفتي ، كنا نتناول العشاء وكنا في سيرتك الآن

ضحك حميد وقال لامرأة عمه وزوجته معا : سأدخل أتوضأ وأمشي للمسجد هل يلزمنا شيء فتممت هناء بلا أدري ، وهزت زهيرة رأسها بنعم ، فدخل المرحاض ، وكانت شمس تقول بعد التحية : هناك مشروع زواج جديد ، والعم هنري طلب مني الحديث معك ، وأتشاور معك وها أنا أفعل .

ـ حياتك هذه وليست حياتي .. بارك الله في العم هنري .. قبل لحظات كان عمك حميد يتحدث عن زواجك

ـ هذا أنا مهمة .. هل لديكم عريس ؟

ـ عندما تأتين يتوفر العريس

ـ وهل يقبل عريسكم بفتاة تعرضت لاغتصاب من ثلاثة شبان وشوهوا صدرها ؟!

ـ المطلقات يتزوجن وكذلك الأرامل

ـ نعم ، ليست كل النساء أبكارا .. كيف صحة إخواني مجدي ومحمد ؟

ـ الحمد لله ، مشتاقون لأختهم الكبيرة

ـ معقول هذا ! هل يعرفون أني أختهم الكبيرة يا أمي ؟ هل يتكلمون؟

ـ مجدي يقول بعض الكلمات

ـ مجدي .. هذا اسم جدي أبوك

ـ رحمه الله

وكان حميد قد توضأ فقالت له : سأتصل بك عندما تغادر المسجد

فحياها وغادر فتابعت زهيرة الحديث مع شمس فقالت : آيا شمس ما حكاية العريس ؟ عريس العم هنري .

ـ العم هنري صديقنا الوفي ما زال يهتم بي أكثر منكم .. على كل حال كما تعلمين أن مادلين تعمل معه في نفس المشفى .. فهناك طلب صديق له ابنته لابنه ، ومادلين لا تريد الزواج من مسلم تريد زوجا ملحدا كما قال لي ، فذكر له بنت صديقة له في كندا مسلمة وصارحه بمأساتي والجريمة التي تعرضت لها ، والرجل يسعى للزواج من فتاة تحمل جنسية أمريكية أو كندية ليحصل على جنسيتها والمواطنة الأمريكية أو الكندية.. فالرجل إندونيسي مهاجر .. أخبرني بذلك وطلب مني الحديث معك في هذا الموضوع .. فالعم هنري ما زال صديقا للعائلة

ـ هل رأيت الرجل ؟

ـ أنا ما زلت في كندا لم أر أحدا .

ـ حسنا ، رأيي أن تتوكلي على الله .. ليس للزواج الإسلامي مثيل في العالم .. فالبيت هو السكن الحقيقي للإنسان

ـ شكرا أمي



اتصلت زهيرة بهنري على رقمه الدولي فبعد الاطمئنان على الصحة والحياة والأولاد والشيخ حميد وابن ميلاد رفاعة قالت : ما حكاية الزواج يا دكتور عبد الصمد ؟

ـ جميل ! إذن تحدثت معك شمس، كنت أظنها لا تفعل فهي غاضبة عليك بشدة ، وتزعم أنك تركتيها للذئاب .. كيف أطفالك ؟

ـ الحياة عجيبة يا دكتور! كنا على وشك الزواج كما تعلم ، ولولا كلمات تفوهت بها أخذتها بحمل الجد والصدق ، فهاجرت لمعرفة الإسلام في بلاد الإسلام خاصة مصر .. وأنت تزوجت وخلفت ، وأنا تزوجت وخلفت .. وأكرمني الله بزوج رغم كهولته كأنه شاب .. صحة وعافية بفضل الله الحاج أبي محمد صديق صاحبك ميلاد ..

ـ هل حج زوجك حقيقة يا دكتورة ؟

ـ نعم ، حج مع والدته وزوجته قديما .. ذهب محرما لأمه ، فأبوه كان ميتا .. وأنا أفكر بالحج مع أمي إن شاء الله .. عندنا ترتيب معين للحج في بلادنا .. رحلة بالطائرة

ـ تستطيعين الحج عن طريق كندا .. فأعداد الحجاج ضئيلة فيتاح لكل من يتقدم بالحج

ـ حدثني الآن عن الإندونيسيين الذين خطبت لهم شمس

ـ هذا إندونيسي جاء للعلاج هو وزوجته ، ورافقهما ابن لهما ، فلما عرفا أنني كندي مسلم سرهما ذلك ، ورأيا مادلين معي ذات نهار ، ووقعت عين الشاب عليها فاستحسنها رغم أني بينت لهم أنها مسيحية .. فقال العجوز دينا يا دكتور يبيح الزواج من الملل الأخرى، ويحدث ذلك عندنا في إندونيسيا ، ولكنه قليل .. فهم يريدون تزويج ابنهم فتاة أمريكية أو كندية ليستقر في أمريكا أو كندا للحصول على الجنسية الأمريكية والاستقرار في هذه البلاد .. رفضت مادلين الزواج

من مسلم وقالت سأتزوج في يوم ما ملحدا .. لا أحب الأديان كلها .. فتذكرت شمسا ، وشرحت لها القصة ، وطلبت منها الحديث معك .. فالشاب يريد الزواج للبقاء هنا وهو أستاذ في بلده .. وهو رافق والده سعيا للبقاء هنا .. ما رأيك بهذا الزواج ؟

ـ أنا لا مانع لدي من زواجها .. إنما الرأي المهم لشمس .. ماذا ردت عليك ؟

ـ لم ترد عليّ بعد .. عندما أنهي مكالمتي معك سأتكلم معها .. إنها فرصة لا تفوت بالنسبة لفتاة مسلمة ولو شكليا يا دكتورة .. شمس كما تعلمين وأعلم ليس لها من الإسلام .. إلا أن أباها وأمها مسلمان .. لا صلاة .. حتى العربية ثقيلة عليها ..

ـ استفادت من عربيتنا عندما كانت صغيرة ، وعندما كنا أنا وأباها

زوجين ، ففي داخل البيت كنا نتكلم العربية .. وفي الخارج الفرنسية والإنجليزية وحتى الخلط بينهما .. وأرجو أن توافق يا دكتور ؛ لعلها تتخلص من عقدة الاغتصاب .. فهي من ذلك اليوم وهي تتحدث عن الرجال ببغض وقرف

ـ أحسست بذلك من حديثي معها عدة مرات .. أرجو أن تسلمي على الشيخ حميد .. واهتموا بابن الشيخ ميلاد

ـ أبو محمد ما زال يتواصل مع أمه ويتفقدها ، ويعطيها ما فيه النصيب باستمرار مع أن الطفل خاضع لمؤسسة رعاية الأيتام ، وهي مؤسسة جيدة وترعى الأيتام وأموالهم خاصة .. حتى أن أحدهم عرض عليها الزواج ، فرفضت حتى يكبر أولادها من الزوجين ، ثم قد تفكر بالزواج من جديد .

قد لا تعلم شمس أن أمها ستكون أسعد امرأة بزواجها من ذلك المسلم الإندونيسي .. لقد راودها كثيرا من الأفكار الرديئة أن شمسا قد تتزوج نصرانيا أو يهوديا أو ملحدا ، فشمس لا تعرف الإسلام كعمل وعبادة .. وهذا شأن عدد كثير من المسلمين أو ذوي الأصول الإسلامية هؤلاء يحملون أسماء ذات صبغة إسلامية .. وكأي أم لديها معرفة بالإسلام أو تربت على شيء منه ، ترى ذاك مزعجا ومرعبا مع أنها تدرك تماما أنها في بلد غربي ، ولا تستطيع منع هذا الزواج

أو تلك العلاقة .. لأن القانون الوضعي يمنعها من التدخل في حياة ابنها أو ابنتها .. وزهيرة نشأت في بيئة محافظة إلى حد ما .. وكانت تمارس الصلاة والصوم .. منذ نعومة أظفارها .. وتهتم بالمظاهر والشعائر الإسلامية حتى وهي أثناء الغربة كانت تهتم باللباس المتوافق مع الإسلام بدون تشدد أو تساهل .. اللباس المحتشم .. وتحتفي بمناسبة العيد الأول والثاني كسائر المسلمين .. فهي كما مر في ثنايا الكتاب كانت تشك في عذرية ابنتها .. فهي كانت منفلتة ولا تطيع توجيهات ونصائح أمها .. فترافق الشباب والشابات وتدخن الماريجوانا الحشيش والدخان ، وتشرب الكحول .. ولا تعرف الصوم الإسلامي ، ولا الصلاة خاصة بعد دخولها ما يسمى بسن المراهقة .. وأغلب رفيقاتها من النصارى واليهود .. لذلك فكرة زواجها من مسلم بس مسلم وجد لديها ارتياحا نفسيا وقبولا طيبا .. فابنتها لا يهمها الدين والعبادة .. الحياة للحياة .. وهذا مقبول عند أولئك .. فهم لا يرون الدين شيئا مهما في حياة الفرد ، إنما هو أمر شخصي .. ذهبت للمعبد لم تذهب فهو سيان .. فالبيت في بلادهم شركة .. فالزوجة تنفق على البيت كما ينفق الزوج .. لا يحق لها أن تمنعه من الزنا خارج البيت ، وهو لا يمنعها من ذلك خارج البيت .. لذلك فشى بينهم زواج المثلين .. فدعاة الشذوذ ينشطون في بلاد الغرب وأستراليا .. لقد انحرفوا عن الفطرة السليمة .

دخل حميد البيت عصر يوم للمشاركة في تناول الغداء ، وزهيرة منذ اقتربت ولادة مجدي تركت العمل في المستشفى ، وقد طلب مدير المستشفى منها الاستمرار في العمل ولو لساعات محدودة أو حالات طارئة ، فكانت ترى السعادة بالحياة مع ولديها وأن لهما حقا عليها .. خاصة أنها ليست بحاجة للمال ، إنما العمل لطرد الملل ولخدمة الناس .. فلما قاموا عن المائدة ، وانتقلوا لغرفة الجلوس حيث جهاز التلفزيون وجهاز نقل الفضائيات التي ملئت الكون في هذا الزمن

قال حميد : أتكلمت معك حليمة حول زواجها ؟

ـ نعم ، قالت إن صديقا لك يطلبها لابنه

ـ نعم ، ابن الشيخ إدريس نوح ، صداقة قديمة قائمة بيننا ، خدم موظفا سائقا في الحكومة ، ولما

تقاعد عمل كسائق في إحدى الشركات الخاصة لقريب له .. وحدثني عن ابنه كزوج لحليمة ، وأجلته حتى تنتهي من الجامعة ، ولما علم بتخرجها حدثني سريعا بذلك فقلت له على بركة الله وتحدثت مع حليمة بشأنه وطلبت منها أن تتشاور معك ليعد الصالون لاستقبال الضيوف بعد صلاة العشاء .. لنجتمع هنا لنتفق ما دام حليمة وافقت على الزواج

ـ هل رأى حليمة ورأته ؟

ـ فهي قد رأته ، وتعرفه فهم جيران لنا في حيينا القديم .. وهو يعرفها حق المعرفة بحكم الجيرة وبحكم الدراسة في جامعة واحدة أيضا .. فصبر حتى تنتهي من الجامعة .. قد حضر عرسنا على ما أذكر .. وكان يأتي مع أبيه للمباركة بمجدي ومحمد .

ـ لم أصدقه .. وكلمتني حليمة باختصار بالموضوع .. فقلت عندما نجتمع على مائدة الغداء نتحدث ..

ـ سيأتي والده يا عمتي ـ مشيرا لأم زهيرة التي تجلس معهم ، ولا تتكلم كثيرا عادة ، تسمع وتتطلع إلى التلفزيون وتقلب الجهاز بين المحطات الكثيرة ، ويكون محمد على حضنها أو مجدي يجلس في حجرها ـ وعمه وأمه وامرأة عمه وبعض عماته وخالته .. خالد شاب محترم يا دكتورة زهيرة خبرته منذ صغره وهو متخرج من نفس الجامعة التي درست فيها حليمة يعني متعلما ، ويعمل في شركة كبيرة شركة صناعية في المعادن وأنابيب المياه

قالت زهيرة : أنا قلت لحليمة وها هي تسمع .. يا سيدي ما دامت تراه أهلا لها فعلى بركة الله وهذه سنة الحياة .. وها هي شمس أيضا على وشك الزواج . واختصرت له قصة هنري وزواج شمس .

ـ الله يستر عليها وعلى بنات المسلمين .. ألف مبارك يا حضرة الدكتورة

وهنأتها أمها هناء وحليمة .. وأما مالك فقد كان في معرض السيارات يعمل مكان أخيه الذي ذهب في معاملة قانونية .

ـ شكرا لكم جميعا .. مبارك يا حليمة ونهضت تعانقها مهنئة ، وتقدمت حليمة من أم زهيرة ،

وعانقتها وتقبلت مباركتها بابتسامة صافية .

وقالت زهيرة : ربما أسافر وإياك لحضور زواج شمس .

ـ جميل أن أرى كندا ! .. على الرحب والسعة .. وربما قابلت الشيخ عبد الصمد .. صديقكم هنري .. فمن كلامك عنه أعجبت به .. وكذلك المرحوم ميلاد كان كثير الكلام عنه .. ويكثر من مدحه والثناء عليه .. والله حسيبه ولا نزكي على الله أحدا .

ـ رجل شهم منذ عرفناه حتى وهو على دين آبائه ، وعملت مساعدة له في المستشفى كان يحترمني ويحترم أني مسلمة .. رغم ما عرف عنه من شهوات وقصص قبل إسلامه .. لم يحاول أن يتحرش بي جنسيا .. وكان يطيب له مناقشتنا والدكتور سامر حول الإسلام والإرهاب عندما يزورنا في البيت أو نترافق في رحلة .. لكن سامرا كان يغار منه ، وربما شك بأن بيني وبينه شيئا سيئا ؛ لكثرة قصصه مع الموظفات والمراجعات .. ولم يمزح معي مزحة سيئة حول الجنس والعري .. مع أنه كان يفعل ذلك مع غيري .. وكان يحدث عن مشاكله مع زوجته الكندية جنفياف ومغامراتها مع الأطباء وخيانتها الزوجة

ـ واحدة بواحدة .

ـ هكذا هم ! من أراد الانتقام يفعل ما يفعله الطرف الآخر .. معاندة .. والحمد لله لما أسلم تغير كليا واستقر في البيت ، وأصبح داعية كما تعرف ، وأصبح مترجما لهم في دعوتهم في أمريكا الشمالية والجنوبية .

ـ أتمنى له الثبات على هذا الدين ، وأن يموت عليه إن شاء الله ..

ـ هل يلزم شيء لهذه الليلة من طعام فواكه قهوة مرة ؟

ـ تحدثت مع محمد ليحضر الفاكهة معه من البرتقال والموز والتفاح .. وبعض صناديق العصير وسيحضر خالد العصير أيضا ، والكنافة العربية للاحتفال بهذه المناسبة يا حليمة.. فنحن أهل وجيران .. فسيحضر أشقاء حليمة مع نسائهم وبعض أعمامي وإخواني ، وأعتقد أن صالة الاستقبال ستسع كل هؤلاء الأحباب والأعزاء .

حضر أبناء حميد جميعهم في هذا اللقاء الاجتماعي الخاص ، وشارك شقيقه الأكبر سالم وباقي إخوته وأحد أعمامه من الذين ما زالوا أحياء ، واستقبلهم حميد وزوجته خير ترحيب ، وأعربوا عن سرورهم بوجودهم معهم ، وبعد صلاة العشاء أقبل الضيوف والعريس ، ومعهم بعض أقاربهم ، واجتمعت العائلتان ، جلس الرجال في صالة الفيلا ، وجلست النساء في غرفة الجلوس التي يجلسون فيها بعد تناول الطعام عادة .. وكان حميد يستقبلهم أمام مدخل الفيلا ، وبعضهم استقبلهم على مدخل بوابة الفيلا الخارجي قرب الرصيف .. وكان حميد يحيي النساء مشيرا بيده ، فهو لا يصافح النساء ، وزهيرة بعد زواجها كفت عن مصافحة الرجال .. وكانت زهيرة تفعل كزوجها تستقبل النساء وترد على تحية الرجال الذين يشكرونها ، ويأسفون لإزعاجها ، فتنظر لهم نظرة تعبر على أنها تتضايق من هذه المداعبة ، وأن البيت لها ولحميد .. وقد تفاجأت زهيرة وهي تستقبل الناس مع أبي محمد برؤية الرجل الذي عرفته شابا أيام دراستها في الجامعة السيد أحمد فذكرت مطعم كلية الطب ، فتذكرته ، وحدقت به طويلا مما لفت نظر حميد ، فابتسم وهو يعانق أحمد ، وأدرك أحمد أن زهيرة عرفته وتذكرته ؛ فلذلك قال باسما : كيف حالك يا دكتورة زهيرة ؟

ابتسمت له وقالت : أهلا وسهلا .. أين رأيت هذا الوجه من قبل ؟!

فاقترب منها أكثر وقال : وكيف لا تعرفينني وقد قضيت فصلا جامعيا وأنا أتردد على مطعم كلية الطب .. كيف أنت يا دكتورة عساك بخير ؟

ـ أهلا وسهلا .. أنت عم العريس ؟!

ـ نعم ، دنيا يا دكتورة .. لكني لم أسيء إليك يوما والأخ حميد يعلم ذلك

ضحكت وقالت : أهلا وسهلا ، وقد تصالحت مع الشيخ ميلاد قبل وفاته ونسينا الماضي .

ـ بارك الله فيك ، وبارك الله في أبي محمد .. صدقي أننا نصحناه بترك عناده

ـ عندما جئت زائرة قبل سنوات التقينا وتسامحنا

ـ أخبرنا أبو محمد أنك جئت لتسامحيه

فقال حميد : أبو عيسى مدير قسم التمريض في مستشفى ...

تبسمت زهيرة وقالت : نعم ، كنت طالب كلية التمريض حياك الله

فقال حميد : تفضل فأغلقنا الطريق على الآخرين

نظر خلفه وقال باسما : كلهم يستمعون . . كم تعجبنا لهذه الدنيا أنا وحميد عندما سمعنا بهذا الزواج الرائع ! .. سامحيني يا أخت أم مجدي .

ـ هذا من لطفك .. مرحبا بكم في بيت أبي محمد ..

ـ عقبال ما تفرحين بمجدي ومحمد .. فأولادك معجزة كما يحدثنا أبو محمد

ضحكت وقالت : فعلا إنها معجزة بالنسبة لي أنا !

ـ زواجكم معجزة وأولادك معجزة .

قال حميد : مشيئة الله وقدرته

لا تخلو حياة الإنسان من المنغصات ، من مشاكل اجتماعية، من فساد ، من أمراض عارضة أو دائمة .. الزكام والأنفلونزا بأنواعها تستمر أياما ثم تذهب ، والشيخوخة لها أمراضها ، من مرض السكري والضغط والكولسترول وضعف البصر وهشاشة العظام والروماتزم والمفاصل ، وهناك أدوية تعالج وتخفف من آلام تلك الأمراض ، وتشيع أمراض مؤلمة كأمراض القلب والأورام والكبد .. ومع تلك الأسقام الكثيرة ، فالحياة بيد الله والصحة من الله تعالى .. وكما مر بنا فأم زهيرة كانت تعاني من أمراض مختلفة كالسكري والضغط ارتفاعا وتصاب بغيبوبة السكري ، وتنقل للمستشفى للعلاج والمراقبة ، وربما تقضي ليلة أو أكثر ، ثم تنكشف الغمة وترجع للبيت .

وكانت زهيرة تفكر حقا بأخذ أمها وزوجها في رحلة حج بواسطة الطائرة والذي أجل ذلك في أحد المواسم ولادة محمد .. وها هو مشروع زواج شمس من الشاب الإندونيسي الذي رافق والديه في رحلة علاجها يتطور إلى الأمام .. فقد ذهبت شمس لنيويورك لمقابلة الشاب ،

والتقت به على مائدة هنري ورافقتهم مادلين على ذلك العشاء ، وأبدى الشاب قبوله واستحسانه للعروس الكندية ، وأنها راقت له ولأهله ، وقبلته شمس وقنعت بالزواج منه ، وترتب على هذا اللقاء أن تسافر أسرة بايك إلى مونتريال لإبرام الزواج وعقد القران ، ليتحدد وقت الزفاف بأسرع وقت ممكن ، ليبدأ عبد رحيم بتقديم أوراق الهجرة لكندا ، ويطلب الجنسية الكندية لزواجه من فتاة تحمل جنسية كندية.

أخبرت شمس أمها بكل ما جرى لها من ذهاب للعم هنري ، ومقابلة سيد عبد رحيم وأسرته وقالت : شاب جميل آسيوي ، وقبل بي زوجة له .. شكله مقبول .. عمره خمس وثلاثون سنة يا أمي .. والزواج لابد منه .. ولكني لا أدري هل أكون معه سعيدة أم شقية ؟!

ـ هذا من الغيب يا شمس سلمي أمرك لله .. ويسرني أن أبارك لك هذا الزواج

ـ قبلت تهنئتك ، هل ستأتين أنا وحيدة يا أمي في هذه الدنيا . وغصت باكية وفعلت أمها مثلها وقالت : طبعا سآتي ومعي عمك حميد

وصاحت : ولماذا حميد ؟!

ـ ألا تحبين أن يشارك في زواجك ؟ متى سيكون الزواج ؟

ـ خلال أيام .. سنذهب لتسجيل الزواج ، ثم نحدد يوم الزفاف

ـ هل يعلم والدك بهذا الزواج ؟

ـ أخبرته ، ووعد مثلك بالحضور يوم الاحتفال به

ـ ألا يريد شهود العقد ؟

ـ لا ، ويقول إن هذا التسجيل لا يهم المهم ما يكتب عند القاضي ووعد بالسفر هل ستأتين ؟

ـ نعم ، متى تحبين أن أكون عندك ؟

ـ لو سافرتم اليوم لا بأس

ـ حسنا

راجعت زهيرة السفارة الكندية ، وقابلت السفير لأنها تعتبر أحد الرعايا الكنديين في البلد ..

فالبلد يسمح بازدواجية الجنسية .. فسهل السفير سفرها بصحبة زوجها وابنته حليمة وابنها الصغير محمد ، لما علم الغاية من هذه السفرة ، واشترت التذاكر لها ولزوجها ولحليمة ومحمد الصغير ، وكانت شمس والعم هنري وقرينته الهندية في استقبالهم بمطار مدينة مونتريال الدولي وعانقت شمس أمها بحرارة وبكاء وفرح وصافحت زوج أمها ، وقبلها بدوره من خديها ، وأحبته من أول نظرة ، وخاصة لما رأت عناق هنري له وترحيبه الحار به .. وسلمت على حليمة وقبلتها ، وأخذت أخاها الصغير وقبلته من وجهه قبلا لا عدد له ، وهي تقول : من الرائع عم هنري أن يكون للإنسان أخ .. وسلموا على زوجة هنري ، وتعرفوا عليها ..

ورحب بعضهم ببعض ، وعاد حميد يرحب بشمس ويقول : أهلا بك يا ابنتي الغالية ، فأرادت أن تقبل يده على عادة الشرقيين ، فسحبها وقال باسما : هذه عادة حسنة يا شمس ونوع من البر للآباء .. وأنا سعيد برؤيتك .

والتفت لهنري وصافحه من جديد : تحياتي لك يا شيخ عبد الصمد وجزاك الله خير الجزاء بما قمت به نحو الشيخ ميلاد والعزيزة زهيرة

وقبل أن يرد هنري ، قالت شمس وقد عادت لحمل محمد الرضيع : هذا أخي يا عم هنري .. أرأيت صار لي أخوة .. رائع هذا الطفل يا أمي ! .. ما رأيك أن تهبيه لي .. إنني أحبه .. ما أروع ابتسامته !

وعادت لتحضنه وتأخذ بعناقه ثم التفت لأمها وقالت : كم أحبك يا أمي !

بارك هنري لحميد وزهيرة بحياتهم ، وركب هنري وزوجه بسيارته ، وحميد بسيارة أجرة مع أسرته ومعهم شمس إلى الفندق الذي ينزل فيه هنري وقرينته .

وتناولوا العشاء في الفندق .. وانطلقت شمس بأمها وأخيها وحليمة إلى سكنها لترتيب أموره والذهاب لشراء ثياب خاصة بالزواج وحفلة العرس .. لأنها ستبقى تعيش مع زوجها بنفس الشقة حتى يتيسر له العمل ، وبعدها يفكران بتغيير الشقة .

وسألتها زهيرة عن والدها وموعد حضوره ، فقالت بغضب : لا يريد أن يحضر فهو مريض ،

وهو في المستشفى .

فقالت : كأننا سمعنا بذلك .. قال ذلك أحمد عم خطيبك يا حليمة

فقالت شمس لحليمة : كيف أنت وأمي ؟

ـ عل خير ما يرام

ـ أنت وأمي على خير ما يرام ؟!

ـ ما الغريب في نظرك ؟! .. أمك إنسانة طيبة وعظيمة، ولم نر منها إلا كل خير .. صدقي هذا وهي كأمي معنا .

ـ أنت التي خطبت قبل مجيئك ؟

ـ نعم ، وقريبا سنتزوج

حليمة تحسن الكلام بالإنجليزية ، فقالت شمس لحليمة: ما رأيك بالهجرة لهذا الدنيا ؟ فالشيخ هنري يستطيع تدبير أمر هجرتكم إلى هنا فله أصدقاء في وزارة الخارجية .

ـ ليس كل الناس يحبون الهجرة يا أخت شمس .. الحياة في الغربة صعبة ومرة كما يقال عندنا الغربة مرة .. والناس يحتاجونها مضطرين بسب السياسة أو الحاجة الاقتصادية .. فها هي أمي زهيرة تغربت عشرين سنة وأكثر ، ولم ترتاح في الغربة .. أليس كذلك يا أمي ؟

قالت زهيرة : من ناحية الراحة النفسية الإنسان مع أهله وأحبائه أفضل خاصة عند الملمات والشدائد .. وأما من الناحية المادية فالمال والثروة هنا أفضل .. البلاد جميلة ، والقانون على الجميع ، والجميع يحسب حسابه .

وساق هنري حميدا إلى وسط مونتريال ليتفرج على المدينة ، ويسمعان أخبار بعضهم ، وكان جل حديثهم عن ميلاد ولقائه في ربوع رايوند ودكا ومدن أخرى من تلك البلاد .. وقال : الإنسان يصنع حياته .. ونحن نرى الجهل الكبير في مدن العالم ، كلهم يركضون حول الشهوات .. المال والفاحشة .. والناس بسطاء لكن الجهل كما قلت يركبهم ، لا يفكرون بجنة ونار ويوم قيامة وحساب .. وفريق في الجنة وفريق في السعير .

قاما بجولة بسيارة هنري المستأجرة في شوارع المدينة وساقه إلى أحياء شرقية وأماكن عربية ولبنانية .. ومصرية وصينية .. وأراه بعض مساجد كندية ، ولكنها كانت مغلقة لانتهاء صلاة العشاء من وقت طويل .. ورأى الحدائق الكثيرة والجميلة .

قالت زهيرة لما دخلوا شقة شمس الشقة التي ستتزوج فيها : هذا يا أبا محمد بيتي قبل عودتي للوطن .. أنا لم أدرس الجامعة الأولى في مونتريال .. درست في مقاطعة أخرى اسمها نوفا سكوشا .. سكنت هنا عند العمل ، ثم تركتها لشمس عروسنا الجميلة .

فقالت شمس : آه يا أمي! أتمنى أن أعيش السعادة وأحس بها

احتضنت الأم ابنتها وقالت البنت : ليتني سافرت معك .

ـ يا حبيبتي يا شمس وأنا رغبتي أن تعودي معي ؛ ولكن الحال قد تغير اليوم كيف عبد رحيم

ـ طيب ، وقليل الكلام وهو غامض

فقال هنري وهم يستريحون على المقاعد في غرفة الاستقبال : لي سنوات لم أجلس هنا يا أم محمد منذ انفصالك عن الرجل .. كانت لا تسمح لأحد من الرجال بزيارتها لما حدث الانفصال يا أبا محمد .

رد أبو محمد باسما : الدكتورة تعرف الأصول وحرمة البيوت ..

وقال هنري لشمس : وأما غموض عبد الرحيم يا شمس فهكذا الناس الذين يأتون بلادنا يحيطهم الغموض حتى يحتكوا في المجتمع ، فتذهب عنهم الريبة والخوف من المجهول .. والزواج في النهاية تجربة .. قد تنجح وقد تفشل .. فلا تقلقي إذا لم ترتاحي معه .. فالطلاق بالنسبة لكم أنتم المسلمون أسهل من كاثوليكيتنا التي كنت عليها .. توكلي على الله يا شمس .. أنا سأنصرف أيها الأصدقاء .. وغدا سيكون الغداء بدعوة مني ، فقد حجزت للجميع في مطعم نحن أخوة في الدين ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ .. الدكتورة زهيرة تعرف المطعم في وسط المدينة ..

وسيكون الاحتفال بالزواج مساء الخميس ، وهو احتفال صغير دعونا له الأحباب والأصدقاء وفيه بعض رفيقات شمس .. لم ندعو ذكرا واحدا من معارفها سواء في العمل أو في الجامعة .. شكر الجميع جهود هنري معهم ، وهنري كان يخدم العائلتين ، واعتبر نفسه مسؤولا عن العروس والعريس ، وغادرهم هنري باسما .

قال حميد بعد مغادرة هنري الشقة : سنصلي أيها الناس الطيبون ، ثم نجلس مع عروسنا بعض الوقت ، ثم تذهبون للسوق أو الأسواق لشراء ما يلزم العروس الجميلة شمس

قالت زهيرة : ليلة أمس اشترينا بعض الأشياء

قالت شمس : أنا لم ابتاع شيئا قلت حتى تحضري .. وأنا أقدر حضورك يا أمي لمشاركتي هذا الزواج ..

ـ هذا واجب عليّ يا شمس .. فأنا أكون سعيدة بسعادتك .. وسترافقنا طبيبة صديقتنا .. تعرفينها نوسي فهي ماهرة بالمشتريات، والتنقل بين المتاجر

هتفت شمس بفرح : رائع !! .. لقد ابتاعت لي الكثير من الأشياء .. لي عهد لم أرها يا أمي ؟

ـ ذهبت المكسيك منذ سنوات للعمل في مستشفى هناك .. وعلمت أني هنا وأنا أتحدث مع زميلة لي في العمل .. وأخذت رقمها وتحدثت معها فرحبت ..

ـ صديقتي ليزا ستنتظرنا في شارع ... ومعها سيارتها

ـ لا بأس يا شمس.. سترافقينها وأما سيارتي التي استأجرتها فستقل حليمة ونوسي .. وأبو محمد سيعود للفندق .

بعد العصر خرج الجميع من الشقة بعد تناولهم الغداء ، وترك حميد أمام الفندق فجلس في صالة الاستقبال وطلب فنجان قهوة .. ثم صعد لغرفته وغرق في النوم ولم يستيقظ إلى على رنين جرس الموبايل ، وكانت المتصلة زهيرة لتخبره أنها ما زالت تتسوق ، وربما تتأخر في السوق لنصف الليل .. فعجب من حب النساء للسوق والشراء، فدعا لها بالتوفيق والعودة سالمة ، وأعلنته أنها ربما تقضي ليلتها هي وحليمة في شقة شمس .

نهض عن السرير ، وصلى المغرب ، وتلقى اتصالا من هنري الذي ينزل في نفس الفندق مع زوجته وأطفاله ، واتفقا على اللقاء في فناء الفندق ليصليا العشاء في أحد مساجد المدينة ، فرحب حميد بذلك وأخذ يستعد للنزول لمدخل الفندق .

وقضيا ساعات طيبة في شوارع المدينة ، وصليا العشاء في مسجد وتعشيا في مطعم وجبات سريعة ، ثم قفلا عائدين للفندق ، وقدم حميد الشكر الجزيل للدكتور ، وتخلل مشوارهما الحديث عن الدعوة وميلاد وحماسه وحبه للخروج ، والإسلام في كندا ونشاط جماعة التبليغ .

فاعلم أن الوجود الإسلامي في كندا مثله مثل الوجود الإسلامي في كل بقعة من بقاع الأرض، فالمسلمون هنا منتشرون في أنحاء كندا ، وإن كانوا يتركزون في تورونتو ومونتريال على الأخص فهم يحاولون أن يحتفظوا بهويتهم ، ويتمسكوا بإسلامهم ، في ظل ظروف صعبة للغاية.

فالمسلمون هنا إما ممن لا ينتمون إلى تجمعات و جماعات (مستقلون) ، وإما من لهم انتماء جماعي سواء لمسجد أو لجماعة إسلامية من الجماعات العاملة في الحقل الإسلامي العالمي ، كـ الإخوان المسلمين، وجماعة التبليغ والدعوة، و حزب التحرير، و السلفيين، والصوفية. أما الإخوان فلهم وجودهم ولهم نشاط حركي أكثر منه فكري، ليس لهم رأس معروف أو قيادة متميزة ، أما جماعة التبليغ والدعوة فهم منتشرون بشكل كبير ويسيطرون على عدد من المساجد ، ونشاطهم كما هو معروف يتلخص في الخروج في سبيل الله وتبليغ الأمر لأكبر عدد ممكن ، أما عن السلفيين فهؤلاء يعملون فرادى بشكل عام ومن خلال مساجد معينة معروفة ، وينشطون أكثر ما ينشطون بين الشباب وبين الملونين من الكنديين والأمريكيين. وهناك عدد من التجمعات الضخمة لجمعيات إسلامية مثل جمعيتي (ISNA) و (ICNA) وهي جمعيات إسلامية ضخمة لها مراكز ومدارس إسلامية ومكتبات ومؤتمرات ، مما لا وجود لمثله في شرقكم العربي .

وهناك تجمع إسلامي ضخم في الجامعات يعرف بـ (MSA) ، وهو تجمع شبابيّ في أمريكا الشمالية ، والإخوان لهم نشاط فيه، وكذلك بقية الاتجاهات ، كذلك تجد في كندا الصوفية وتجمعهم من أكثر الجماعات انتشارا هنا، ولهم مراكز عديدة ومؤتمرات مشهورة.

موقف الدولة منهم يتوقف على الجماعة ذاتها ، وإن كان هناك الآن قاسم مشترك من العداء مع الدولة لهم جميعاً إلا الصوفية، فالدولة تشجعهم وتعاونهم ، خاصة في أمريكا، أبرز هذه الأنشطة هو العمل من خلال المدارس الإسلامية ، التي تتبع عادة مقررات كندا ، ثم تضيف اللغة العربية والقرآن ، ثم المؤتمرات التي تكون بمثابة نشاط اجتماعي أكثر منه إسلامي.

هناك مساجد تخضع بشكل كامل لجماعة التبليغ والدعوة، وهناك مساجد تخضع لأهل السنة وغيرهم ، وهناك مساجد معروفة لجمعيات – **(ISNA)** أكبر جمعية إسلامية في أمريكا الشمالية– و(**ICNA**) ، وهي جمعيات مسئولوها عادة من المسلمين الباكستانيين.

لما التقى بزوجته وابنته وشمس ، وسألته زهيرة كيف قضى ليلة أمس ؟ حدثها عن تجواله برفقة هنري في الشوارع القريبة من الفندق ، حيث صليا في أحد مساجد المدينة ، وقال معقبا : شيخ طيب هذا الطبيب.. الحمد لله الذي هداه لدين الإسلام ـ ما شاء الله ـ لحيته الحمراء جميلة !

فقالت شمس: أنتم لماذا لا تحلقون لحاكم ؟

فرد حميد باسما : تشبها بالنبي محمد ﷺ ، فقد كان ذا لحية كثة يا شمس ، ومن أحب شخصا حاكاه وشابهه في زيه وأخلاقه وسيرته ، وأمك عندما تلبس العباءة تلبسها تأسيا بنساء المؤمنين في زمن الصحابة رضي الله عنهم .. فالإسلام بين تفاصيل اللباس الشرعي والأكل والشرب .

ـ عبد رحيم بغير لحية ؟!

زادت ابتسامته وقال: كثير من المسلمين بغير لحية.. هناك بعض المشايخ والعلماء في هذا الزمان يشوشون على الناس بفتاوى تجيز حلق اللحية .. ورغم كلامهم فالذي يلتزم بهدي النبي ﷺ يطلق لحيته .. فكما يجب أن ينام على سنة النبي ﷺ ، ويأكل على سنة النبي ﷺ ، ويلبس على هدي النبي ﷺ ، فليعف لحيته على هديه ﷺ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

فتمتمت شمس : قوى الله إيمانك يا عم حميد

ـ وإيمانك يا ابنتي ، وإن شاء الله بعد زواجك نراك في بلادنا ضيفة علينا ؛ لتري أخاك مجديا وأهل أمك .

فهزت رأسها وقالت : سأفعل إن شاء الله .. أليس هكذا تقولون ؟

ضحكوا ورد حميد : بلى ، دائما على المرء أن يقول إن شاء الله

فأكدت وكررت من جديد : سأفعل إن شاء الله .. وسيأتي عبد رحيم الليلة للشقة للتعرف عليكم يا أمي

فقالت زهيرة : أهلا وسهلا به ..

جرى حفل زواج شمس على خير ما يرام ، حضره أمها وزوجها وحليمة ، والدكتور هنري وقرينته وأطفاله ، ونوسي وليزا ، وبعض صديقات شمس في العمل والجامعة أيام الدراسة .. وبعض زملاء هنري وزهيرة في مستشفى مونتريال العام ، ومادلين وأمها جنفياف ، كان حفلا بهيجا متواضعا بغير رقص وخمر، قدمت فيه الحلوى العربية والإندونيسية الشائعة هناك ، وعلب العصير ، واستمر الحفل ساعة ونصف ، فقد قدمت فرقة أناشيد ذات أصول آسيوية أناشيد بإحدى لهجات جنوب شرق آسيا ، ورتب هذا هنري مع شاب شرقي متخصص في تنسيق مثل هذه الحفلات ذات الطابع الإسلامي والشرقي .. ويوجد في كندا نوادي عربية تستطيع تقديم حفلات عربية وموسيقى عربية ورقص عربي .

عند انتهاء الحفل اصطحب عبد رحيم زوجته شمس بسيارة زينت حسب التقاليد الإندونيسية إلى المطار حيث سيذهبون إلى منطقة سياحية في كندا لقضاء ثلاث ليال فقط ، ثم سيعودون لشقة شمس التي هيئت لتكون مخدع زواج العروسين وعشا لهما .

وودع هنري العروسين قبل سفرهما ، وبارك لهما ، وتمنى لهما السعادة ، وودع حميدا وزهيرة ووعدهما بزيارة خاصة لهما ، وفي الصباح غادر المدينة بصحبة زوجته وأطفاله ومادلين ابنته .

ووالد ووالدة عبد رحيم سينتظران عودة ابنهما وعروسه من الليالي الثلاثة ، ثم ينصرفان لنيويورك ومتابعة العلاج .

وحميد وزهيرة وحليمة سينتظران أيضا عودة العروس ، وسيذهبون في رحلة لمدة يومين إلى مدينة الدببة في تشرشل .. وهذه فرصة ربما لا تتاح لحميد ثانية في بلاد المحيطات الثلاثة.. وبعد

عودة العروس سيقضون يومين أو ثلاثة معهم ، ثم يعودون لبلادهم العربية .

أخذتهم زهيرة برحلة بحرية بعد عودتهم من مشاهدة الدبة القطبية في موطنها الأصلي رحلة لمشاهدة الحيتان من مونتريال إلى نهر (ريفيير ردي لوب) رحلة تستغرق ثلاث ساعات على الأقل لرؤية الحوت والفقمة ، وزاروا الحديقة النباتية وبيت الحشرات ، وبعض المتاحف المتخصصة كقبة مونتريال الفضائية والمركز الكندي للمعمار ، ومتحف التاريخ والآثار ، وسوق جون تالون للتسوق وشراء الهدايا ، وغيرها من معالم المدينة ، وختمت برحلة نهرية إلى (لوي جوبيه) حيث مشاهدة شلالات مونتمورنسي .

وبعد زفاف شمس بأسبوع غادروا بلاد كندا لبلاد العرب والشرق الأوسط بها يحملون من ذكريات وهدايا لأحبابهم ، وقد اشترت زهيرة الكثير من الملابس للعروس حليمة ، فكانت في الواقع تكسي شمسا وحليمة ، ورفضت اعتراض حميد وحليمة ، فسكت حميد وسكتت حليمة وكان الوداع حارا بينهم ، وقد بكت شمس وهم يفارقونها ، واحتضنت أمها طويلا وقالت لها زهيرة : هذه هي الحياة يا شمس لقاء وافتراق ، وأتمنى لك الخير والتوفيق في حياتك الزوجية وزوجك شاب طيب ومحترم فحافظي عليه .

فقالت شمس : كنت أتمنى أن تبقي بعض الوقت هنا ؛ لكن مجدي الصغير بحاجة لك أكثر مني لعلي أراه .

ـ سترينه إن شاء الله

فقالت شمس : أحس أنها آخر مرة ستأتين لهذه البلاد .

ـ العلم عند الله ..(وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ)

ـ لو أحس أن الحياة عندكم ممتعة ٥٠٪ لسافرت معك قديما يا أمي .

ـ الإنسان يصنع حياته ، ويبرمج نفسه للأفضل ، فلنتواصل على الأنترنت والاميل ، ولنبق أصدقاء يا شمس .. ولن أنساك أنت قطعة من كبدي وروحي .

ورغبها حميد بالتعرف على الإسلام والصلاة ؛ لتكون قدوة للمسلمات في بلاد الغرب .

ووعدته خيرا ، ووعدته بتعلم الصلاة والإسلام ، فزوجها يعرف هذه الأشياء ، ولغته الإنجليزية جيدة .

الرحلة الجوية بين كندا والوطن تستغرق وقتا طويلا ، وتهبط الطائرة الكندية في لندن للتزود بالوقود الخاص بالطائرات ، وقد ينزل منها ركاب ، ويصعد آخرون متجهين إلى بلدهم . ومدينتهم شرق غرينتش الخط الدولي للمواقيت الدولية ، زاعمون أنه وسط الكرة الأرضية طوليا ، وتبعد عنه البلد ساعتين شرقا ، وكندا غربه بخمس ساعات .

بعد رحلة طويلة حطت الطائرة في مطار المدينة العامرة بأهلها ، ووصلوا مع الفجر ، وكان محمد حميد في استقبالهم بسيارة أبيه ، وكانت زهيرة قد لاحظت أن محمدا كاد أن يهم بكلام معها ، فأشار له والده بالصمت وقال : عندما نصل .

نظرت زهيرة لحميد باستغراب وأحست بشيء في قلبها ، وتظاهرت بأنها لم تلتفت لهذه الحركة، ومشت السيارة في شوارع المدينة الخالية من السيارات ومن البشر في هذه الساعة من الفجر ، وعندما نادى المؤذن لصلاة الفجر كانوا قد اقتربوا من فيلا زهيرة ، ولما رأت زهيرة عددا غير معتاد من السيارات يقف أمام الفيلا ازداد خفقان قلبها ، وأحست بحدوث شيء أخفي عنها ، فالتفت لحميد وقالت باضطراب : أولادك هنا ، والوقت مبكر يا حميد !

ـ كل شيء بأجل مسمى يا أم مجدي .. عظم الله أجرك في أمك .

كانت السيارة تقف ، فهتفت بلوعة ودهشة : أمي ماتت ؟!

ـ لله ما أخذ ولله ما أعطى .. رحم الله السيدة هناء أم زهيرة .

بكت وكما تبكي النساء والناس عند الموت .. الموت له هيبة في النفوس .. فتح حميد باب السيارة الخلفي ومسك بيدها وهو يردد كلمات العزاء والمغفرة .. وتقدموا نحو المدخل الداخلي بصمت ودموع تتساقط ، ولما استقرت في جوف البيت كانت نسوة في انتظارها وعانقنها وعزينها بأمها وتقدم أولاد زوجها معزين لها وداعين للميتة بالمغفرة .. فمشت إلى غرفة أمها ، وهي تستنشق الهواء والحزن ، وجلست على السرير باكية ، ورافقتها بعض النسوة وحميد ، ثم تركها جالسة

على سرير أمها تبكي ، وعاد يسلم على أولاده ويعانقهم كعادة العائد من السفر ، وكانت زهيرة تخاطب من معها في الغرفة : متى ؟ وكيف ؟

ـ بعد سفركم تعبت ، ونقلت للمستشفى ، وبعد يومين فارقت روحها بدنها ، ماتت وهي تدعو لك بطول العمر والفرح بمجدي ومحمد كما فرحت هي بك .. رحمها الله .

عاد حميد للغرفة ثانية وكرر العزاء فقالت : هل عرفت يا حميد بموتها ؟

ـ بعد وصولنا بأيام قليلة أخبرني الأولاد ، ولم يكن أمامي إلا الصمت ، فنحن ذاهبون لفرح شمس ، فما وجدت إلا كتمان الخبر حتى نعود .. لتفرحين بشمس وتبتهجين بزواجها .. والأجل قد انتهى .

ـ شكرا أبا محمد .. كلما أتصل يقولون نائمة شربت الدواء ونامت .

ـ علينا أن نستعد للعزاء يا أم مجدي .. هذه عادة الناس .. رغم العزاء الذي أقامه الشباب لأمك عند دفنها .. سيتجدد العزاء من أجل خاطرك .. رحم الله أمنا وتغمدها في رحمته وجنته

وغادر لصالة البيت ليشرف على الترتيبات التقليدية ، فخصصت حجرة وأكثر لاستقبال النساء المعزيات ، وهيئت صالة الفيلا لاستقبال الرجال .. وكان هناك مكان وسط بينهما لمقابلة زهيرة المعزين من الرجال كأخوالها وأبنائهم وسائر الأقارب من الذكور .

وكان حميد عندما أخبر بموت حماته هناء ، طلب من الأولاد أن يكون العزاء في بيته القديم حيث يسكن ابنيه محمد عماد .

وكانت القهوة السادة المرة قد جهزت قبل وصولهم ، وكذلك ما يقدم في العزاء من مشروبات وتمر ، ووصلت الكراسي البلاستكية ، ووزعت على الغرف المناسبة ، وقالت حليمة لزوجة أبيها : أراك متعبة يا أمي .. هل نطلب لك الطبيب ؟

ـ لا ، يا حليمة أنا بخير .. لكن صدمة الموت هزتني رغم أنني فقدت ابنا لي في كندا ؛ ولكنه كان صغيرا .. كنت أدعو أن أبقى معها لآخر لحظة عندما هممت بترك كندا ؛ ولكن الله يريد أمرا آخر .. قدر الله الزواج وولادة مجدي ومحمد .. وكم غمرت أمي السعادة بحياتها ؟! أعلم

شغف أمي بالمواليد .. رحمك الله يا أمي .. والشكر لكم يا أولاد وبنات حميد .. نعم الأهل أنتم

قالت إحدى النسوة : الأمر لله يا أم مجدي .

ـ سأكون جاهزة بعد دقائق ، وأصلي الفجر الذي ذهلت عنه .

بعد شروق الشمس بساعات يسيرة توافد المعزون لبيت زهيرة ، فهي فتاة من العائلة يفتخر بها فقد تعلمت ودرست وكافحت وتغربت ، وهي زوج الشيح حميد رجل العائلة بعد وفاة أبيه وعمه عادل ، وكان يقوم بكل الواجبات الاجتماعية المهمة للعائلة في الأفراح والأتراح .. تجدد العزاء في بيت زهيرة ، ورحبت بالمعزين بأمها والمهنئين بزواج ابنتها شمس .. وعلمت أن حميدا أمر محمدا بالتصدق بألف دينار عن روح أمها .. وترجاها الرجاء الحار أن تتقبلها بقلب مفتوح فسكتت ، وقدم حميد الطعام لزائريهم على نفقته الخاصة وبإصرار ، وقال لها : هذا واجب يا أعز النساء .. لولا كلمة خرجت من فمها ما تزوجنا يا أم مجدي ..

قالت : صدقت .. لقد أدخل أولادك السرور على قلبي كثيرا بهمتهم

ـ إنهم أولادك يا أم مجدي ..

وكانت ممتنة غاية الامتنان لتصرف حميد بإخفاء موت أمها عنها ، وهي تشارك ابنتها فرحها ، وربما لو علمت لفكرت بالعودة لتر جثة أمها كما يفعل الناس .

لذلك قالت له بعد انتهاء العزاء الثاني : غمرتني بإحسانك يا أبا محمد .. أريد أن أقدم لك شيئا

ـ على ماذا ؟

ـ على ما تقوم به من أجلي !

ـ أولا أنت زوجتي وأم مجدي ومحمد الصغير .. وهذا أحلى شيء تقدمه المرأة لرجلها .. وثانيا أمك صديقة لأمي وزوجتي الأولى وزوجة عمي مجدي .. الذي كان يودنا ويأتينا بالهداية ونحن أطفال .. وثالثا نحن أهل وأولادي أولادك .. ويكفي أنك دكتورة كبيرة وقبلت بالزواج من كهل مثلي لا يحمل ثانوية عامة .. وأزعم أنني أحسنت تربية أولادي وحرصت على إطعامهم الحلال من المال .. ولما اقصر معهم في تعليم وزواج وبناء .. بروا أبنائكم قبل أن يبروكم ورابعا

يا أم مجدي إني أساعد كل العائلة قدر الإمكان بالنصح والمال اليسير .. وها أنت بدأتي تشاركيننا تلك المساعدات التي نسأل الله أن يتقبلها منا .. ونحن نكفل ابن ميلاد وغيره من أيتام العائلة .

ـ أنت رجل شهم ! وصاحب مروءة يا أبا محمد .. مع أنك لست كبير العائلة سنا .. فالكل يحب مشاورتك في شأن العائلة وقضاياها ..

ـ هذا من فضل الله .. ربما عملي في تصليح السيارات أتاح لي اللقاء بعدد كبير من الأقارب والحديث معهم وسماع همومهم ..

ـ النساء يحسدنني عليك

ـ من باب المجاملة .. العائلة فيها المهندسون والمدرسون والأطباء اليوم

ـ يا أبا محمد أرجوك رجاء حارا ألا تجعل وفاة أمي عائقا لزواج حليمة .. أرجوك .. أرجوك لا تقل الأربعون .. السنة .. فهذا أمر الله من قبل ومن بعد هكذا تعلمت منك

ـ هذا من لطفك وكرمك علينا يا أم مجدي .. وأنا من أجل هذا الرجاء سأكلمهم برغبتك بأن يكون الزفاف كما عين له .. فوالد خالد حدثني عن تأجيل يوم الزفاف وترتيبات الحفل ، فقلت اصبر بعض الوقت حتى أستطيع أن أتحدث مع الدكتورة

ـ نفذوا ما اتفقتم عليه .. وهذا سيكون من دواعي سروري .

ـ أصيلة يا ابنة العم .



كل إنسان له قصة تبدأ من قبل ميلاده ، من حين زواج امرأة ورجل ، ثم يولد ليلا أو نهارا صيفا أو شتاء وتولد قصته .. له حكايات ومشاهد يتذكرها أو ينسى أكثرها .. يرى حلو الحياة ومرها يرى الصحة والسقم .. ويعيش سعيدا أو شقيا أو بين بين .

وهذه قصتنا أفلت على الغروب ، ككل شيء له شروق وغروب ليل ونهار .. كانت السعادة

الدنيوية ترفل على بطلة قصتنا الدكتورة الوديعة.. رغم ما رأت من ألم .. وهي صغيرة ذاقت بؤس اليتم .. ورأت صراع أمها مع الحياة من زوج لآخر حتى ترملت ثانية ، فسكنت في حجرة تنتظر الساعة ، ولما جاءت الابنة لتعيش معها ساعاتها الأخيرة أو ترحل هي قبلها للأمر المقدر كانت زهيرة تفرح بابنتها في تلك البلاد التي هجرتها بعد طول سنين في قارة أمريكا الشمالية كانت أمها تموت في الشرق الأوسط للعالم .. هذه حكاية القدر ، خلق الموت والحياة للابتلاء والاختبار .. حياتنا لا تخلو من كدر سواء على الفرد أم المجتمع أم الأمة .

عاشت فتاتنا يتيمة ، وجدت نفسها بدون أب يساعدها ويحبها في هذه الحياة ، لقد رحل في سن مبكر من حياتها .. ومرت عليها لحظات صعبة أثناء مراهقتها عندما غرقت أمها في اللهو واللعب ، ثم تداركتها الرحمة الإلهية على أثر وفاة الجد محمد ، فاستيقظت الأم ، وفطنت أنها في مجتمع يستقبح الاختلاط والمخدرات.. ثم أتى الخطيب يطلب يد ابنتها ، فالتمست الأم العذر بصغر سنها ، وكانت قد حسمت أمرها لا زواج من أقارب زوجها لها ولابنتها .. ثم اعتذرت بدراسة الفتاة في كلية الطب .. وجاء الأجيال الجدد ، وهربت الفتاة لجنة الغرب بزوج يعرف الإسلام دون تعمق ، ودون مذهب يتعصب له ، ودون منهج يلتزم به .. ولما حقق الأماني كلا الفريقين ، فكان الفراق من أجل الذرية .. وقد ولد لهما مولود واحد ، وبعد حين تغيرت الجنة في نظر بطلة قصتنا ، ونضجت الفتاة فعادت إلى الحضن الوحيد لها في هذه الدنيا حضن الأم ، لا زوج ولا أولاد ولا أب ولا أم .. وجاء الرجل البسيط المحدود الثقافة في مقياس الشهادات العليا ؛ ليكون هو الزوج اللائق بها ، الزوج الذي وجدت سكينة الزواج عنده والرحمة والعطف والمودة ، ثم الأمومة بعد يأس وانقطاع أمل .. كان الشيخ حميد نعم الفارس ونعم القرين .. الحياة إن كان لها منتصف .. أو نهاية .. لا ندري بالضبط .. كانت حائرة للغاية كيف ترد الجميل لحميد الذي قام برعاية وخدمة أمها سنوات وسنوات ؟ .. ثم تزوجته بدون تردد رغم أن له زوجة ، وخشيت العودة مع سامر ؛ لأنها تعلم وتدرك أنه يريد الزواج والأولاد .. وتزوجته وله أولاد .. لم يكرهها أولاده ، ولا نظروا أنها ضرة لأمهم وخصم وسارقة لأبيهم .. كانت أما لهم

وقبل بعضهم العيش في بيتها كأبناء لها.. اعتبروا الأمر طبيعيا ، بل بعضهم اعتبرها منقذة لأمهم وأبيهم ، فأمهم كانت مريضة عاجزة عن تحقيق رغبة أبيهم الشرعية والإنسانية .. إنها الحياة الأبيض والأسود.. الليل والنهار.. الفرح والحزن



الفصل الماضي من هذه الحكاية مع أنه مؤلم كان فيه الخير والسعد للدكتورة زهيرة مجدي أخصائية الولادة والأمراض النسائية .. بل زاد إيمانها وفهمها لمسألة القضاء والقدر .. ولتدبير الله لهذا الكون العظيم .. عندما سافرت زهيرة لكندا لحضور زواج شمس حدثت زوجها أثناء الرحلة عن الجريمة الكبيرة التي تعرضت لها شمس أثناء رحلة لها لمدينة نيويورك .. ومقتل صاحبتها وكيف تعقدت نظرتها للرجال والمعاشرة الزوجية؟ فتألم حميد لما سمع .. وسالت دمعات على خده حزنا وأسفا .. وساءت حالة الفتاة النفسية نحو الرجال والزواج .. لذلك هي مسرورة جدا لزواجها وزوال تلك العقدة النفسية .. لأنها تأمل أن تكون أسرة فتاتها طيبة وهادئة .. وعطف حميد بطبعه الذي عرفناه على الأم والفتاة .. وكانت شمس بعد الحادث تعتبر الرجال وحوشا ومجرمين ليس لهم هم إلا قضاء شهواتهم الحيوانية من الفتيات وصدمت بإباحية حضارة الغرب .. وقد علمت من العم هنري أن الشباب تعرضوا لحكم قاس من القضاة .. لكن ما الذي استفادته هي من هذا الحكم القاسي .

وسر السيد حميد لما علم ذلك التفصيل من هذا الزواج ، وعبر لزهيرة عن هذا الشعور والعطف.. وحمد الله أنها ستتزوج رجلا من المسلمين ولو كان أعجميا ، وسعد لسعادة زوجته التي كانت تخشى أن تتخذ ابنتها صديقا بدون زواج وبدون رباط ، كما هو شائع في تلك البلاد حياة حيوانية فقط .. وكانت تقول لحميد لو فعلت ذلك لا أحد يمنعها لا أم ولا أب .. ستعيش

هي وإياه في أي مكان ، ولا تتحدث مع أبيها ولا أمها

والأسر المسلمة المتحررة تفرط كثيرا في مثل هذا الاجتماع ، وتقف عاجزة حياله وصامتة .. لذلك تجد بعض العائلات وهم قلة لما تشب بناتهم يرسلونهم لبلدانهم الأصلية للحياة مع الجدات العمات الخالات خشية الحياة مثل هؤلاء ، حياة بهيمية .

قدم عبد رحيم أوراقه لدائرة الهجرة الكندية للحصول على الجنسية الكندية حسب ترتيبات الهجرة الكندية .. والقانون يسمح بالحصول على الجنسية قبل مرور السنوات الثلاث لمن يتزوج امرأة تحمل الجنسية الكندية .. فكندا بلد يستقبل عددا كبيرا من الوافدين والمهاجرين فهي بلد كبير وأرض شاسعة تحتاج لبشر كثير ، وتقدم كسائر الوافدين للفحص الطبي الخاص بدائرة الهجرة .. وكذلك لدائرة الأمن .. ووجدت صحته جيدة وخالية من الأمراض السارية والمعدية وليس له انتماءات حزبية وسياسية في بلده إندونيسيا جزيرة سومطرة ، وإنما تكشف لهم أنه متزوج في بلده ، وله زوجة وأطفال ، وما زالت امرأته وهي ابنة عمه على ذمته أي لم يطلقها ، ولا يستطيع الحصول على الجنسية حتى يطلقها قانونيا .. لأنهم يرفضون التعدد في الزواج ، ولما تصل الأوراق رسميا من وطنه الأول .. فاضطر لما صدم بهذا العائق أن يكشف الأمر لشمس التي صدمت بداية وقالت بحدة معروفة فيها : أنت أخبرت الدكتور هنري أنك تزوجت وطلقت ولا أولاد عندك .. ورد سفارة بلادك اليوم يخالف ما صارحتنا به وقد تتعرض للسجن بسب الجمع بين الزوجات ، فالقانون هنا يمنع ذلك .. لماذا لم تكن صادقا منذ البداية ؟!

قال بصوت خفيض معتاد منه : آسف يا شمس .. لم أكن أدرك أن التعدد ممنوع هنا .. ولم أستطع قول ذلك .. لي خمسة أطفال منها .

ـ آسف آسف .. ماذا تفيد آسف اليوم .. لابد من الطلاق ، إما أنا وإما هي ؟

ـ ألا يسمح ديننا بالزواج من أكثر من واحدة في آن واحد؟

ـ هذا في بلادك وبلاد أمي .. وهل أنت متدين ؟ أحيانا أراك تصلي .. وأحيانا لا تصلي .. وثانيا قانون هذا البلاد يعتبر الجمع بين امرأتين بعقدين زواج باطل وجريمة .. عليك أن تختار بيننا

إذا اخترتني ستقطع صلتك في بلدك للأبد .. هل سمعت ما قلت ؟

ـ ألا يوجد حل آخر ؟.. أن أتظاهر بطلاقها وتمشي حياتنا حتى أحصل على الجنسية وأطلقك كما تحبين وتشائين.

ضحكت شمس وقالت : أنت سخيف .. كما تشائين .. لا أدري ما أقول .. فهمت كل حيلتك من هذا الزواج .. اسمع مع أن زواجنا كان واضحا الغاية منه وهو حصولك على الجنسية الكندية .. فأنا كنت آمل أن يستمر على الأقل بضع سنين .. سأعمل فحوصا طبية لبراءة الرحم من الحمل ويكون الانفصال .. لن أبقى على ذمتك ، ولن تحصل على الجنسية التي تسعى إليها إلا بطلاق امرأتك الإندونيسية أو قضاء ثلاث سنوات هنا ، وبما أنك وصلت فستحصل عليها بدون شمس.

وقضيا أكثر من شهر يتجادلان حول بقاء الزواج ، وكان ينام خارج الشقة ، وأمام إصرار السلطات على وضوح موقفه طلق شمسا ، وغادر البلاد بعد أن حجز بضعة أيام لدى الشرطة علمت زهيرة بهذه الحكاية من الدكتور هنري الذي تحدث معها ، وهو اطلع على حكاية عبد رحيم ؛ لأن والده اتصل بهنري طالبا المساعدة ..

وقال لها هنري : لا تحزني ما قدر الله يحصل .

صدمت زهيرة وتألمت وبكت لما علمت بطلاق شمس بعد زواج لم يكمل السنة .. ووافق القاضي على الانفصال سريعا ؛ لأن الرجل ثبت لدى دائرة الهجرة أنه متزوج امرأة في بلده وعلى ذمته ولم تكن مطلقة .. اتصلت زهيرة بشمس وواستها ، ودعتها لقضاء شهر زمان عندها في المدينة .. لتزول آثار صدمتها بزوجها الإندونيسي ، والتعرف كذلك على بلاد الآباء والأجداد فبعد تفكير عميق رتبت أمورها في زيارة للشرق الأوسط .



أرسل حميد ابنه محمدا وزوجته أم مجدي لاستقبال شمس ، وكانت شمس قد أخبرتهم أنها ستقضي أياما في مصر .. لزيارة الأماكن التي كانت تسمع عنها من الذاهبين للسياحة في مصر العربية كالأقصر والجيزة ، وكانت قد رافقت حملة سياحية كندية إلى القاهرة مباشرة .. فقضت عشرة أيام مع الرحلة .. التي ستتوجه لفلسطين بعد مصر ، وهي ستتوجه لموطن والديها ، وكانت هي قد اتفقت مع الشركة السياحية أن تكون رحلتها لمصر فقط .

استقبلت زهيرة ابنتها في المطار بالدموع زاعمة أنها دموع الفرح واللقاء .. ورحبت بمحمد وتعرفا على بعض .. وكانت شمس متعبة ويظهر عليها إرهاق ونسبته لرحلتها في جنوب مصر وتعب السفر .

فقالت وهما في السيارة : أبعيد البيت ؟

ـ أقل من ساعة .. أنذهب بك للمستشفى ؟

ـ إرهاق يا أمي .

استقبل حميد شمسا بالحنان والعطف والمواساة ، وانصرف محمد وهو يقول : سنمر عليكم ليلا أنا وأم حسن .. الحمد لله على سلامة شمس يا أم مجدي .

ـ الشكر لك يا محمد .. مرحبا بكم في أي وقت .

أحنت له شمس رأسها محيية ، ودخلوا الفيلا ، ولما جلسوا يرحبون بها ، حدثتهم بخداع عبد رحيم لها ، وأخذت تبكي حزنا وخيبة ، وشاركتها أمها بالدموع والأسف ، وجهزت لها الخادمة الحمام كما طلبت أمها .. وقال حميد : الحمد لله على السلامة .. وقبل أن تذهب بها أمها لحجرة جهزت لها ، قدمت لها الخادمة القهوة العربية فقالت وهي تنظر في الفنجان في قاعه قليل من القهوة : ماذا هذا يا أمي ؟

ابتسمت الأم وقالت : قهوة تقدم في استقبال الضيوف .. فهم يرحبون بالضيوف بالقهوة العربية والتمر .. عادة عربية .

تناولت الفنجان وشربته وهي تبتسم وقالت زهيرة : تعالي لتشاهدي غرفة نومك وحمامك ..

وسيأتي الغداء من المطعم اليوم احتفالا بك .. مع أن لدينا طاهية رائعة يا شمس

ولما خرجت من الحمام عادت للجلوس معهم وقالت : رفض أن يطلق زوجته لبقاء زواجنا ، واعتقل بضعة أيام ، ثم غادر البلاد رغم أنه يجوز له البقاء بعد طلاقنا .

وتحدثوا عن القدر ، وعن الغدر والخداع ، ومواقف من حياتهم حتى استطاعوا التخفيف من الهم والحزن المخزن في قلب شمس ، ثم طلبت النوم بعض الوقت ، فرافقتها زهيرة للغرفة التي أعدت لها ، وهما يسيران إليها اقبل محمد الصغير الذي استيقظ من سباته ، فأخذته شمس من الخادمة وقالت وهي تعانقه : هذا أخي محمد .. أين مجدي يا أمي نسيته ؟

ـ نائم ، عندما خرجت للمجيء بك كأنه نام ..

ـ دعيني اقبله

أخذتها أمها، تتبعهم الخادمة إلى حجرة الأطفال .. وتقدمت شمس إلى سرير مجدي الذي أخذ يستيقظ على صوتهم ، ففتح عيناه ، وكان ينظر إليها في شمس باستغراب .. فأخذت أمها محمدا من يديها وهمست : صباح الخير يا مجدي .. هذه شمس أختك التي حدثتك عنها .

انتشلته شمس من سريره وراحت تقبله بقوة وحنان وهي تهتف : هل ستحبني يا مجدي أنا أختك الكبيرة ؟.. محمد يحبني أكثر .. ماله مكشر

ـ صاحي من النوم .



توافد أبناء وبنات حميد ليلا للسلام على شمس والترحيب بها ، وشمس كما نعلم تتكلم العربية وإن كان في لسانها ثقل ، فكانت زهيرة تكلمها بالعربية أثناء وجودهم في البيت معا .. فلديها مفردات تحسن فهمها.. ورحبت بحرارة بأولاد حميد وزوجاتهم وأطفالهم وتعرفت عليهم ،

ورددت أسماءهم رويدا رويدا .. حتى حفظتها ، وقضوا سهرة ممتعة ، سرت منهم شمس ، كما صرحت بذلك في نهاية السهرة .

وكانت شمس تلعب مع الطفلين فقد أحبتهما ، وأحست بالعطف نحوهما ، والطفلان تعلقا بها فورا خاصة مجدي ، فقد اقترب عمره حينئذ لثلاث سنوات ، وكان قادرا على المشي بسهولة ونطق الكلمات .

وفي اليوم التالي اتصلت بأبيها بعد ضغط من أمها وزوجها حميد مخبرة له بوصولها لبلده ، وأنها في بيت أمها وزوجها أبي محمد ، فرحب بها ، وأعلمها أنه سيرسل لها ابن أخيه ليحضرها ليراها لأنه طريح الفراش .. فالدكتور تعرض لحادث سير قبل زواج شمس بأيام ، وأصبح عاجزا عن المشي ، فقد أصاب حوضه كسر ، وبعض عظمات العنق كسرت ؛ ولكنها التئمت فكان يعاني من ذلك الحادث .. وكانت أمها قد شرحت لها وضعه الصحي ، فدعت له بالشفاء وقالت له : سأطلب من ابن زوج أمي بتوصيلي إليك .. شفاك الله يا أبي ..

ـ أنا قصرت معك يا شمس

ـ لا وقت للعتاب يا أبي عندما نلتقي نتكلم .. أنا بشوق لرؤيتك والاطمئنان عليك .. رغم الجفاء أنت أبي.. لي سنوات لم أرك .

عند العصر قام حميد بنفسه بتوصيلها لمنزل أبيها ، فهو عندما تزوج سكن في بيت خاص به ، ثم عاد للحياة مع والدته لمرض أقعدها الدار ، فأحب أن يبقى بقربها ليقدم لها الإسعاف الفوري فقبلت الأم بهذه الحجة .. وبعد أن دخل وسلم على الطبيب سامر قال لها وهو يغادر : عندما تريدين العودة اتصلي بي أو بأمك ..

وتلقى الشكر من الجميع وغادر ، وكانت شمس تقبل وجنتي أبيها وتعانق زوجة أبيها وتعرفت على إخوتها الثلاث البنت والولدان .. وبعدما انتهى الترحيب والمجاملات ، ذهب بها أحد أخواتها وزوجة أبيها للسلام على أم أبيها التي ترقد في حجرة خاصة بها ، قال سامر المطروح على سرير طبي بعد عودتهم إليه : قصة زواج فاشلة .. وحدثته عن أسباب الطلاق ،

وإنها جاءت لإلحاح أمها ، وطلبها منها تغيير الجو ، والخروج من العالم البارد الثلجي ، فلبت الدعوة ، وقضت عشرة أيام في ظلال مصر والقاهرة والصعيد مع شركة سياحية

وشاركت العائلة العشاء الجاهز ، ولما فكرت بالعودة لبيت حميد وزهيرة أقسم سامر على مبيتها الليلة عندهم ، ووافقت على مضض ، وتحدثت مع أمها حول ذلك ، فتمنت لها ليلة سعيدة ، وخلال السهرة رغبها أبوها وزوجته بالبقاء في ربوع الوطن والشمس الساطعة فقالت : لابد من العودة يا أبي .. طاب لي العيش هناك .. هل يستطيع السمك أن يعيش خارج الماء وأنا كذلك فلي عمل ووظيفة هناك



ـ الناس هنا يعملون .. وأهلك هنا أمك وأبوك .. وإخوانك .. وحتى لا تخدعي بزوج آخر .

ـ الحياة تجارب .. وأنا قبلت الزواج منه ، وقد صارحني أنه يسعى لأخذ جنسية بسرعة .. ودائرة الهجرة هي التي فضحته ، ورفضت منحه الجنسية قبل طلاقه لامرأته الآسيوية .. فاختار امرأته أم أولاده .. هو دخل الأراضي الأمريكية مرافقا لوالديه في رحلة علاج بمستشفى أمريكي .

الوطن

رافق محمد حميد وزوجته أم حسن شمسا في جولة في سيارة أمها في شوارع العاصمة تنفيذا لرغبة والده وزوجة أبيه .. وذهبوا بها في جولات سياحية .

ولما اقترب سفرها بانتهاء إجازتها قالت لها أمها : كيف رأيت بلاد أمك وأبيك ؟

ـ جبال وزحمة سيارات ووجوه بائسة .

ضحكت زهيرة وقالت : أتصور أن جبال كندا أكبر من جبالنا .. وزحمة السيارات عند الغروب سيئة في وسط مونتريال .. والبرد والثلج على مدار السنة .. ولعلك أنت البائسة ، فظننت أن كل الناس بائسون .. تفاءلي بالخير تجدينه .. لماذا لا تبقين عند أمك ؟

ـ وعند أبي .

ـ هل طلب منك البقاء يا شمس ؟

ـ مجاملة لا أكثر

ـ أنا لا أقولها مجاملة ورفع عتب .. فعلا ومن عمق قلبي أريدك أن تبقي

ـ وماذا سأفعل هنا ؟ هل أترك عملي لأكون عالة عليك وعلى أبي ؟

ـ حقك أن ننفق عليك حتى تقترني برجل ينفق عليك .. المرأة هنا لا تنفق على البيت إلا تطوعا وتعاونا .. وسنبحث لك عن زوج صالح ؛ لعل الله أن يهبك طفلا .. فأنت تحبين الأطفال كما بدأ لي .

فقالت بتمن : والله إني أحلم بأن يكون لديّ أطفال ألعب معهم .. ليتني أصير أما مثلك يا أمي وأنا قبلت بعبد رحيم طمعا بالولد لا طمعا به .. ولكني حمدت الله أنني لم أحمل منه .

ـ إذن ابقي هنا ، وسأدبر لك زوجا طيبا مثل عمك حميد .. فعمك يساعد بتزويج الشباب من بنات العائلة أو من بنات جيرانه قبل أن ينتقل لهذا الحي .

ـ والعمل ؟

ـ المال كثير يا ابنتي .. وهذه الفيلا أبني لك فوقها دورا كاملا .. مرة كنا نريد فعل ذلك وأجلناه

لعدم لحاجتنا لذلك رغم حماسي يومئذ .. وستجدين عملا أنت تحملين شهادة كندية والدول الغربية شهادتها شبه عالمية .. والشركات الأجنبية لها فروع يا شمس في بلادنا .

ـ حسنا ، كم اصبر يا أمي ؟

ـ الليلة سأتحدث مع زوجي الغالي ، وهو الذي يقدر الوقت اللازم .. وأنت عدة طلاقك حسب شرع الله لم تنته بعد .

ـ سوف تنتهي يا أمي .

ـ الليلة سأفاتح أبا محمد .. إن شاء الله سنفرح بك هنا هذه المرة وتستقرين بيننا ونسعد بك معنا

فاتحت زهيرة حميدا بما دار بينها وبين شمس عصر هذا اليوم ورغبة شمس بالزواج طمعا بالذرية فقال حميد مسرورا ومشجعا : لا بأس ، ونعم الزواج سترة للبنت .

وللمقدر كان حميد مشغولا بما صارحه به ابنه محمد من رغبته بالزواج مرة أخرى ، فأخذ يفكر بما طلبته منه زهيرة ، وهناك مالك سيقبل بشمس ؛ لكنه يصغرها بسنوات ، وكان حميد يصبر محمدا بالصبر ، وإن قيادة الزوجتين ليس هينا رغم اقتناع المجتمع بصحة هذا الزواج .. وهذا الكلام تحدث به حميد ومحمد منذ سنة .. وعند صلاة الفجر كاشف حميد زوجته برغبة محمد بالزواج على امرأته ، وكشف لها أن زوجته تسعى له بذلك ، فقالت دهشة : أنتم عائلة عجيبة يا أبا محمد .. ولكن امرأتك رحمها الله كانت مريضة لتسمح لك بالزواج ..

قال حميد : امرأة محمد في غاية الصحة .. أمام شمس الآن محمد الأكبر منها سنا ، ومالك الأصغر منها سنا .. ولسوف يقبل بها إذا وافقت .. ولو طاعة لأبيه اذا لم ترغب بالتعدد .. تشاوري معها وإذا لم تحب الزواج من أحدهم .. فاستعين بمعارفنا الكرام لكن ذلك سيأخذ وقتا .

ـ أنت ما رأيك ؟

ـ محمد جيد وطيب مثل أبيه .. وعمله في شركة خاله جيد وراتبه معقول .. وما دام أن شمسا ستسكن معنا فلن يتكلف إيجار بيت .. وربما إذا رأينا من المناسب نتشارك في الوجبات ..

ومالك سيتخرج من كلية الهندسة قريبا .. وسنه قريب من سن شمس .. لكن المشكلة أنه قد لا يقبل ، ربما لرغبته بالزواج من فتاة بكر .. ومع ذلك يمكن إقناعه بقليل من الضغط .. فشمس غالية عليّ ، وأنا أتعاطف معها ، ومن حقها أن تصبح أما.

ـ عندما تستيقظ سأتناقش وإياها.. وأنت جس نبض أبنائك .. ويسعدني أن تنكح أحد أولادك فسنبقى عائلة واحدة وأسرة واحدة .

ـ سنجد إن شاء الله الزوج الصالح لها .. ضعي حملك عليّ

ـ أنت تاج على رأسي يا أبا محمد .. يبدو أن في أحشائي طفلا آخر

صاح دهشة : يا الهي ..!!

لما رجع من المسجد بعد الصلاة اتصل بمحمد الذي كان مثله قد عاد من الصلاة في الجامع القريب من بيته ، وطلب منه التبكير إليه ؛ ليتحدثا في موضوع هام وخطير ، فدهش محمد ، فهو قد كان معه ليلة أمس في ضيافة عم لحميد .

فلما حضر خلا به هو وزهيرة في غرفة المكتبة ، وشرح له والده سبب هذا الاجتماع ، وأنهما يسعيان لتزويجها للبقاء بينهم ومعهم ، ولما رأى محمد أن الكلام أمام زهيرة فهذا يعني أنها مؤيدة لهذا الزواج .. وختم قائلا : اذهب الآن وشاور أم حسن ، واتصل بي بعد ذلك .. كنت اليوم سأذهب لمساعدة عماد، وقد أجلت ذلك .. فقد طلب مني أمس المرور عليه .

عماد درس في التدريب المهني ، وتعلم التصليح في كراج أبيه ، واستلم الشغل عن والده ، فرد محمد فقال : أم حسن لا ترفض ، وأنت تعرف ذلك يا أبي منذ أن تزوجت أنت ، وهي ترغب لي ذلك حتى اقتنعت وتحمست للفكرة ، ولولا تأجيلك لي فلربما تزوجت منذ أكثر من عام وقد سعت لخطب قريبة لها لي ..

ابتسم حميد وقال : ذكرت ذلك لأم مجدي عند صلاة الفجر .. اذهب وتحدث معها بشكل جدي حتى نفاتح شمسا بالموضوع .. وشمس مازالت في عدة الطلاق .. أنت موافق طبعا .

ضحك محمد وقال : المهم أن تقبل شمس .. أنا لا أرفض

قالت زهيرة : بارك الله فيك يا محمد .. ابن أبيك .. ستسكن هنا

ـ هنا ؟!

ـ سنشيد دورا لشمس

ـ السلام عليكم .



وعندما خرج محمد من المكتبة فوجئ بشمس تجلس في صالة البيت بثوب النوم وفوجئت به

فهتفت : محمد نمت هنا ؟!

ابتسم وقال : معذرة .. لم أنم إنما جئت مبكرا .. إلى اللقاء ، وتابع خروجه .

وكانت زهيرة وحميد يخرجان من المكتبة بدورهما ، فرأيا شمسا مستيقظة مبكرا فقالت لهما :

ماذا هناك يا أمي ؟! محمد خرج من المكتبة منذ ثوان !

ـ لا شيء ، محمد جاء مبكرا .. وكلفه والده بمهمة صغيرة .. هيا نشرب القهوة .

فانتقلوا لغرفة الجلوس ، وقدمت لهم الخادمة قهوة الصباح وقال حميد وهم يرتشفونها : هل

تعلمت الصلاة يا شمس ؟ أذكر أننا قبل شهر تحدثنا عن أهمية الصلاة في حياة المسلم الحقيقي

ضحكت شمس وقالت : أذكر تلك الليلة الحامية في بيان أهمية الصلاة في حياة المسلم ..

ووعدتك بتعلم الصلاة وأن أمي ستفصلها لي

فقالت زهيرة : ونفذت ما عليّ يا شمس .. أنا حدثت عمك أبا محمد في الموضوع

ـ أي موضوع ؟ .. المواضيع كثيرة يا أم مجدي

ـ موضوع زواجك

ـ نعم ، تحدثنا حول هذا الأمر ..

ـ وهذا الصباح سنعرف النتيجة

ـ بهذه السرعة ..

ـ يقولون خير البر عاجله .. كم بقي لعدة الطلاق ؟

ـ أنا لم أحسب .. لأنني لم أفكر بالزواج سريعا .. ولا أفهم في هذه العدة يا أمي

ـ أعرف أنك لا تفهمين في مثل هذه القضية لأن ثقافتك الدينية ضحلة صفر .. في الإسلام هناك شيء اسمه العدة .. من العدد الإحصاء ، وتعني مكث المرأة زمنا بدون زواج ومعاشرة حتى ينقضي هذا الزمن .. يبدأ العد منذ إعلان الطلاق عند القاضي أو نائبه

قالت شمس ضاحكة : أذكر تاريخ جلسة إعلان الطلاق .، وأذكر أنني سمعت هذا الكلام عند طلاقك من أبي .. من سيكون العريس؟ .. أنا راغب بالاستقرار معكم ؛ لعل الزواج يهيئ لي الفرصة يا عم حميد .

قال حميد : إن شاء الله .. ساعات ويحضر العريس ؛ لأن الكلام الفصل لك .. القبول والرفض منك أنت .

ـ هل أعرفه ؟

ضحكت زهيرة وقالت : ظننتك عرفتيه .. وأبو محمد لن يخبئ عليك .. عرض الأمر على محمد

قالت باستغراب : محمد حميد يتزوجني وله زوجة .. هل يجوز ذلك ؟

ـ يجوز ، لست محرمة عليه يا شمس .. وزوجته لا تمانع ؛ لأنها سعت قبل ذلك في زواجه لولا اعتراض عمك حميد .. فالأمر لك .. ومحمد دخله المادي ممتاز جدا .. اشتغل فترة مع خاله في البحر ، ثم فتح سوقا تجاريا خاصا به ومعه ابن عم له شريك .. وبالإمكان تكبير المتجر بمزيد من المال .. وأنا سأبني لك دورا فوق هذه الفيلا كما حدثتك سابقا .. وإذا وافقت سيكون هناك شقتان لك واحدة ولأم حسن واحدة ..

نظرت شمس لعم حميد وقالت : ماذا رأيت يا عم حميد ؟

ـ كما قالت أمك .. وقد ذهب أبو حسن محمد ليتشاور مع حليلته ، ولا أظنها ترفض .. القول الفصل لك أنت .. فكري انظري .. شاوري أباك .. فنحن نحب بقاءك بيننا بدل تلك البلاد

البعيدة والبقاء مع أمك الحبيبة الغالية .. وستجدين عملا تتسلين به .. وبالنسبة للتعدد قوانين بلادنا لا تمنعه .. المهم أنت تقبلين .. وسنسعى لحصولك على جنسية بلدنا لأن هذا حق لك ولأن والديك يحملان هذه الجنسية .. وقوانيننا تسمح بازدواجية الجنسية خاصة الغربية .. والإنسان يخضع لقوانين البلد التي يعيش فيها .. وإذا لم يطب لك الزواج والحياة بيننا فالأمر سهل .. الطلاق والسفر بالمعروف ، كما الزواج يكون بالمعروف .

رن جرس الخلوي رفعه حميد وقال : محمد .. وقال : آ ، يا محمد هل وفقت بمهمتك ؟رحبت بذلك جميل .. أكيد دون ضغط عليها .. على بركة الله .. ها نحن نتحدث مع شمس بالقضية

بعد انتهاء العدة الشرعية لشمس حضر كاتب عقد الزواج ، وذلك بعد مراجعة المحكمة الشرعية ، وأحضر معه الأوراق اللازمة لكتب العقد ، وكانت زهيرة قد شرعت بالبناء عندما وافقت شمس على الاقتران بمحمد ، وأن تكون زوجة ثانية ، ولما كمل البناء رحلت أم حسن للسكن الجديد ، وكان الزواج بحفل بهيج حضره الأهل والأصدقاء ، وفي العام التالي كانت شمس تحمل بين يديها مولودها الأول ، وكانت تضمه لصدرها بحب وقوة ، وتعانقه بين الفينة والأخرى ، وتقول لأمها التي تقف معها في الغرفة وهي في غاية الحبور : هل هو جميل يا أمي

ـ أجمل شيء للمرأة فلذة كبدها حتى لو كان دميما .. مبارك يا محمد ابنك الجديد .

ـ مبارك على الجميع .. ماذا تريدين أن نسميه يا أم مجدي ؟

ـ هل تسمحون لي بتسميته ؟

قالت شمس بسعادة ذهبت معها آلام الوضع والولادة : نعم ، يا أمي .. أخيرا عرفت السعادة الصادقة .. عرفت الحب الصادق ..!!

{ تمت بحمد الله }

جمال شاهين

١	ليلة العرس	٢	شمس عمري
٣	أيتام الحداد	٤	صديق أمي
٥	الأخ شريف	٦	أستاذ الفرنساوية
٧	غربتي وابنتي	٨	حي أبو خروف
٩	الشقق السوداء	١٠	حياتي قبل الحياة
١١	الحفل بالقط الأسود	١٢	امرأة نزيه
١٣	رهاب الطلاق	١٤	

غربتي وابنتي



٢٠١٢


حكايات
الحي أبو خروف
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

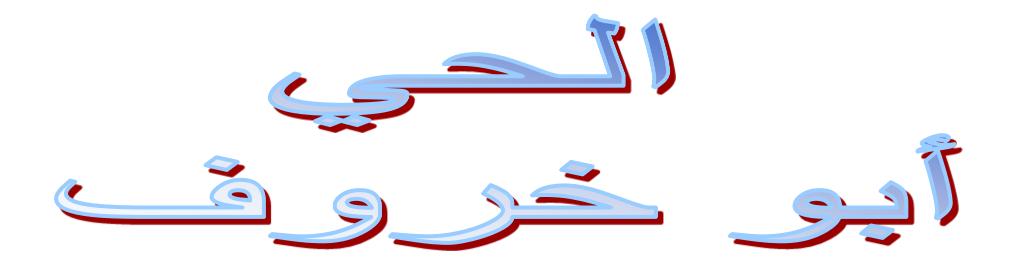
٢٠٢٣/ ١٤٤٤

روايات اجتماعية

جمال شاهين

الحي أبو خروف

جمال شاهين



تحياتي لك أيها القارئ الفاضل

هذه قصة فتاة غرر بها فوقعت في علاقات آثمة

باسم الغرام والحب وبيع الوهم فكانت النهاية

مأساوية وصعبة . . فمن الملام ؟ !

الأب الأم الأخوة الجيران الحي البيئة

هذه أول حكايات حينا حي أبو خروف

جمال

العائلة

١٩٧٠

العائلة

الأحياء السكانية كالأفراد لها حكايات ، وهي مسرح ومكان أشخاص الحكايات ، وهي قد تكون أصدق الشهود لو لها لسان ناطق ، فهي تشهد الخير والشر ، يقال إن هناك بشرا يفقهون كلام الجمادات كالبيوت والشوارع هل هذا حق ؟!

حكايتنا من حكايات الحي أبو خروف ، سنعيش ردحا من الأيام مع أسرة تقطنه وتحيا فيه وبالتأكيد وبدون شك سنرى أسرا أخر ، ولكنها ليست محل اهتمامنا إلا بقدر حاجة الرواية هذه لها ! فكل إنسان لديه قصص وحكايات منها ما يذكر ، وأكثرها يدفن مع صاحبه عند موته .

لماذا سمي الحي بحي أبو خروف ؟ لا أحد يعلم بذلك على وجه التحديد إنما هي تخريصات وتهويمات وقيل وقال ؛ فإن حيوان الخروف كان يتوفر في أغلب أحياء الناس القديمة ، فهو حيوان مطعوم ، فيربى بين الأسر .. فهناك سبب مجهول لاشتهار هذا الحي بهذا الاسم ، وعادة البلديات عندما تنظم الشوارع والأحياء تحاول إبقاء الاسم الشائع عليها

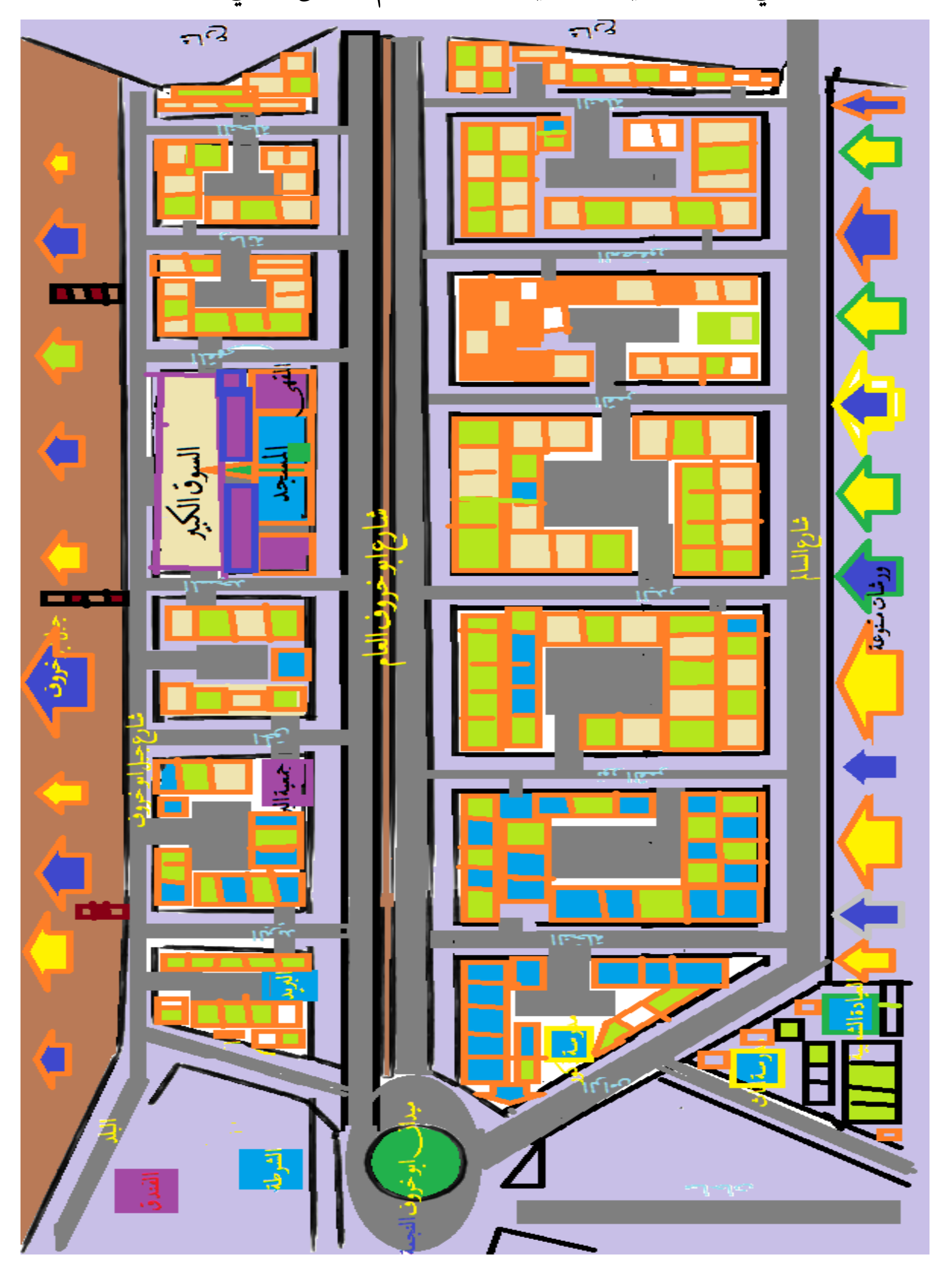
وحي أبو خروف من أحياء العاصمة الواسعة ، ويشقه شارع عام إلى قسمين شرقي وغربي بطول كيلو ونصف إلى اثنين كيلو متر ، ويبدأ الشارع والحي بميدان أو دوار ، فهو حي واسع جملة وتفصيلا ، وهو حي قديم بقدم المدينة .

ويفصله شمالا عن حي آخر شارع رئيسي يشكل قوسا للحي من الجهة الشرقية فجزء منه بين شارعين رئيسيين ، والجزء الغربي من الحي خلفه جبل ، ومع الوقت نشأت بنايات على ظهر أو صفحة ذاك الجبل ، يصعد الناس لبيوتهم بسلالم وأدراج إسمنتية ، فكلما كنت أقرب للحي كانت الدرجات لبيتك أقل .

والحي يقسمه شوارع فرعية تجعل القسم الكبير أقساما عدة حسب الشوارع ، وكلها متصلة بالشارع العام ولها أسماء ، والشارع العام من الجهتين كله محلات ومتاجر ومؤسسات ، وفي وقت ما أصبح فوق هذه المحلات مكاتب شركات ومكاتب محاماة وعيادات طبية ؛ وذلك مع حركة التطوير والتحديث والبيع والشراء للمباني .. وظلت أسر تسكن في العمارات والشقق

المبنية فوق المتاجر .

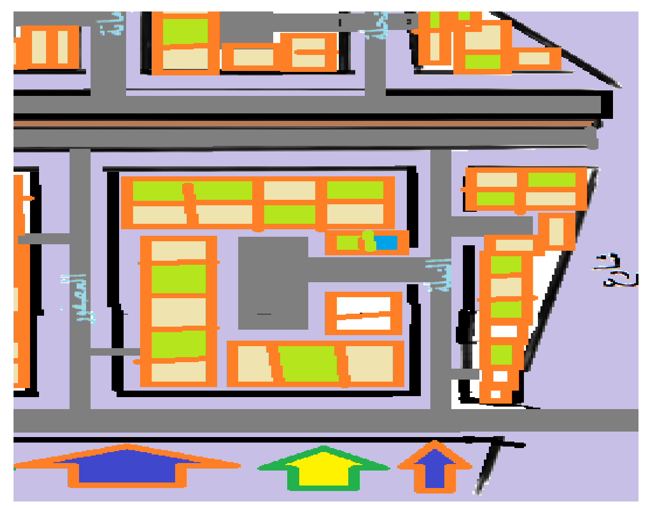
والحي تتوفر فيه الخدمات المدنية كالكهرباء والماء والصرف الصحي ، وذكرت لكم أن الشوارع الفرعية قطعت الحي لأجزاء كبيرة وصغيرة ، وهذا رسم متخيل للحي .



الأحياء لا تخلو من مسجد أو اثنين أو ربما أكثر إذا كانت كثيرة السكان أو كانت مساجدها صغيرة المساحة ، مسجد أبو خروف كان مسجدا واحدا يقع على يمين الشارع فهو في القسم الغربي ، وبجواره بل ملاصق له مقهى الحي لصاحبه الحاج مهران شامري ويحمل المقهى اسم مقهى أبو خروف ولا يكاد المقهى يخلو من رواده إلا عندما يغلق عند منتصف الليل بأمر من الحاكم الإداري للمنطقة ، ويفتح أبوابه مع آذان الفجر ، المسجد يرتفع فيه الآذان ، والحاج مهران يفتح المقهى قبل مجيء عمال تقديم الطلبات والخدمة للزبائن ، يأتي خدم المقهى لنظافته ، ويبدأون بغلي الماء الخاص بالمشروبات الساخنة ، ولما يعود مالك المقهى من الجامع يكون العمال على وشك إنهاء تنظيف المقهى من الأوساخ وأعقاب السجاير ومناديل الورق والأوساخ الأخرى ، وتنظيف المراحيض ، ويبدأ رواد المقهى الكبار في السن يأتون للسلام على الحاج مهران الذي سبقهم ليتابع العمال في عملهم بعد أداء الصلاة.. وما يكادون يجلسون حتى يكون الشاي الساخن قد جهز وقدم لهم على حساب الحاج ، فهم رفاق الدرب منذ عهد بعيد ويبدأون بالثرثرة حول الأسعار صعودا ونزولا ، الجرائم التي حدثت ليلة أمس وسمعوا بها عندما عادوا لبيوتهم ، فالمقهى هو مكان نقل الأخبار والإشاعات والفضائح، وحكايات الناس سواء فضائح أم بطولات .

ففي حي أبو خروف كان بيت الطاعة مجاورا لبيت اللهو واللعب والشيطان ، وكان يقابل المسجد والمقهى مطعما شعبيا كبيرا وقديما ، ربما كما يقول أحدهم من العهد التركي ، تتوفر فيه المأكولات والمشروبات ، وكما ذكرنا المحلات منتشرة ومتراصة على جانبي الشارع ، فهناك باعة الخضار والفواكه ، باعة البقالة العامة ، محلات صناعة الحلويات ، مكتبات الطلاب والمدارس لأنه في أول الشارع الجانب الشرقي تقع مدرسة للإناث الصغار ، وهناك مدرسة خاصة صغيرة ربما لأطفال الروضة والصف الأول والثاني ، ويقع في خلف أبو خروف قريبا من الشارع الرئيسي الذي يشكل قوسا لحي أبو خروف محلات بيع الملابس والثياب ، وورش تصليح السيارات والحدادة والنجارة والسمكرة ، وتركيب

هوائيات التلفزيونات، وتأجير الدراجات.. وغير ذلك من أصناف المهن والحرف .



وفي الجزء الشرقي يقع بيت السيد كمال البرغم بين شارع النملة وشارع العصفور ، وقال لي بعضهم إن أصلها برغل طعام معروف يؤخذ من الحبوب ، ولكن يلفظها أهل السيد كمال البرغم ، وعلقت بهم مع الوقت والزمن ، فأصبحوا عائلة البرغم ، هذا الشخص أحد شخوص هذه الحكاية التي دارت في حي أبو خروف ، كان للرجل بيت صغير في ذلك الحي يتكون من غرفتين وصالة استقبال صغيرة ومطبخ ومرحاض وهو حمام في نفس الحين ، وكان يعلو البيت غرفة شيدها الشباب لما كبروا ولها حمام وهو مرحاض فحسب ، فكمال البرغم اقترب من الستين عند سرد هذه الأحداث في مطلع السبعينيات من القرن الماضي القرن العشرين ، فهو رجل أتعبه الزمن والركض وراء لقمة العيش ، ويمكن أن نقول رغم فقره أنه مستور الحال، ولو تعرض لنكبة من نكبات الدنيا ، ربما كشفت عواره وضعفه ، كان متزوجا من سيدة اسمها فاطمة ، ولدت له صالحا الذي يكنى به ، وجابرا .

ولما ماتت أم صالح تزوج من أرملة ، ولم يكن لديها ذرية من زوجها الأول ، فولدت ثلاثة أنفار كان أولهم فريدا ، وبه تكنى فيقال أم فريد ، واسمها بسيمة عبد القدير ، والثاني ناجح والثالث فتاة اسمها فريدة ، ولما أخذت الحكاية مجراها كانت تدرس في الثانوية العامة سنتها الأخيرة ؛ لتنتقل إلى الجامعة أو معهد دبلوم متوسط .

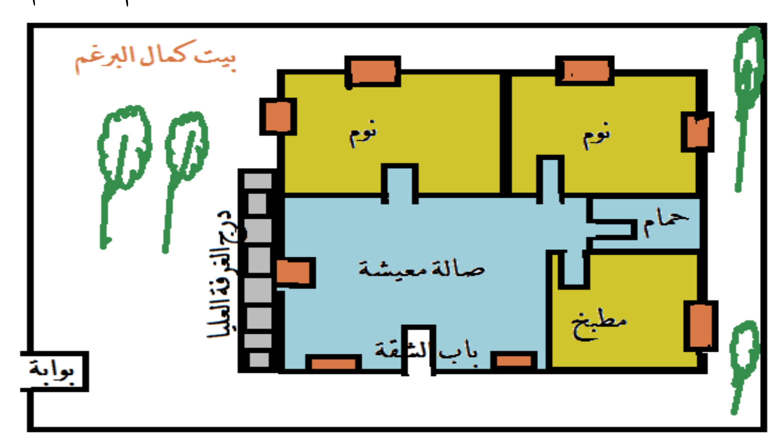
والرجل يخبر أنه يسكن هذا الحي منذ وعى على الدنيا ، وقد بلغ من السن ما بلغ في حي أبو خروف.. فالحي فيه الفقراء ، وفيه الأغنياء ، فيه أصحاب الأملاك والمحلات ، وفيه الذين يسكنون منذ زمن بعيد بالإيجار ، وربما توارث أبناؤهم مساكنهم إيجارا .. أرزاق يا دنيا

والسيد برغم احترف الكثير من المهن والأعمال ، ولما بلغ الأربعين اتخذ دكانا صغيرا في الشارع الرئيسي الذي يقسم الحي ، وهي في القسم الغربي من أعلاه يبيع فيها الأطعمة والألبان والأجبان المعلبة ، محل بقالة يسمى اليوم .. ويبيع الجرائد المحلية واليومية وعلب التبغ والخبز وعلب السردين والمخللات وأطعمة الأطفال من الحلوى والبسكويت ، فهو اليوم سمان ، والسجائر يبيعها للمراهقين وطلاب المدارس بالسيجارة والسيجارتين ، كانت متجرا صغيرا ولكنها سترته من العوز ومد يده للناس .. بل استفاد من متجره أكثر من كل المهن والأعمال التي عمل بها طول حياته ، فهي تصرف عليه وعلى أسرته ، وساعدته في تزويج أولاده والخلاص منهم كما يزعم ، مع أنه عندما بدأت القصة لم يكن متزوج من ذريته إلا ولدين .. وله عشرون عاما يعمل بقالا سمانا ، فلما ترمل تزوج أرملة ، فصالح لم يستطع إكمال الدراسة فخرج صبيا من المدرسة ومثل غيره من الأطفال تنقل عمله مع أصحاب الحرف والمهن حتى بلغ السن التي تسمح له بقيادة السيارات فتعلمها ثم أصبح يعمل سائقا ، واستقر في النهاية في العمل سائق سيارة أجرة على خط سير من خطوط سير العاصمة ، ثم تزوج الرجل واشترى بيتا كبيت والده في الحي ، يفصله عن بيت أبيه شارع فرعي واحد ، فيخرج صالح في الصباح ويعود بعد صلاة العشاء إلا إذا كانت عليه مناوبة ليلية على الخط ، وهذا قليل لأن العاصمة أو قلب العاصمة يهدأ بعد العاشرة ليلا ، لا يبقى إلا رواد المقاهي والمسارح والسينمات، فأغلب المتاجر والمحال تغلق أبوابها بين العشاء ومنتصف الليل حتى الصباح التالي .

وولد لصالح أطفال ثلاثة لحتى الآن أكبرهم ابن سبع سنوات، وأما شقيقه جابر فهو يصغره بعامين ابن إحدى وثلاثين سنة ، وقد تزوج قبل سنوات ولم تلد امرأته بعد ، وهو الآخر لم يتقدم في التعليم كشقيقه صالح ، فهو يعمل في قسم الزراعة في البلدية حيث يقوم بسقي الزرع

والأشجار التي تزرعها البلدية على الأرصفة والشوارع لتلقي بظلالها على المارة ، وتجمل الشوارع وتنقي البيئة من التلوث ، فخصصت له الدائرة العناية بعدد من الأشجار حتى تشب وتكبر ، فينقل لمكان وشارع آخر ، فهو عامل زراعة وهو أيضا شريك أخيه في البيت الذي اشتراه فالأول له الطابق الأول القديم ، وقام جابر الذي ساهم مع أخيه في شراء البيت ببناء طابق صغير خاص به ، وعمل له مدخلا مستقلا عن مدخل أخيه ، والسيد جابر كان يعود من عمله مبكرا مع صلاة الظهر أو بعدها بقليل ، فلذلك بعدما يعود من شغله ويقترب الوقت من صلاة العصر يذهب للعمل في دكان والده كمال ، فبعدما يتغدى ويشرب الشاي يذهب للشغل مكان أبيه ، الذي يذهب بدوره للمقهى مقهى أبو خروف الذي حدثناكم عنه قبل صفحات ، وهناك له شلة أو مجموعة يلعبون الشدة أو الورق أو الكوتشينة كما تسمى في بعض البلاد ، ويبقى حتى تغلق القهوة (كما يسميها العوام) أبوابها ، وهذا كل يوم منذ عهد طويل .

ويطلق بعض الناس على مقهى مهران مقهى (العم عزب) بدل مقهى أبو خروف ، فعنوان كمال البرغم بعد العصر مقهى عزب ، فيغرق الرجل في لعب الورق والثرثرة حتى ينتصف الليل ، فيعود للبيت إما فرحا بانتصاره على أصحابه وإما حزينا يتوعدهم إلى اليوم التالي .



فلما يصل منزله يوقظ زوجته أو هي تستيقظ على صوت وحركة دخوله وفتحه الباب الخارجي فتقدم له أم فريد طبق طعام ، أحيانا تسخنه له ، وأحيانا كثيرة تقدمه له على حاله بدون تسخين فيأكله ، ويدخل في فراشه نائما ؛ لأنه يأكل في غرفة النوم إذا جاز تسميتها بذلك ، وثانيا هو ينام

على فرشة على الأرض مباشرة ، ليس لديه سرير أو تخلص منه بعد زواجه بزمن يسير ، هذا نشاط السيد كمال البرغم اليومي .. يستيقظ فجرا يشرب الشاي ، ويأكل بعض الطعام كالفول المعلب أو الحمص ، ثم يمشي لدكانه حتى العصر ، فيستلم جابر العمل ويجريان بعض الحساب بينهم ، ثم ينتقل لمقهى عم عزب كما يحب تسميته ، ثم آخر الليل يعود للنوم ، وهكذا دواليك ذكرت لكم أن السيدة أم فريد (بسيمة) ولدت للرجل فريدا وناجحا وفريدة ، فالأول تعلم بعد نجاحه في الثانوية في معهد وزارة الصحة مهنة طبية مساعدة ، فهو يصلح آلات طبية ، وأجهزة طبية ، فهو يعمل في أحد مستشفيات الدولة في قسم صيانة وتصليح تلك الأجهزة ، وقد بلغ من العمر اثنين وعشرين سنة ، ربما تزيد أشهرا ، وهو موفق في شغله وعمله

والذي يليه السيد ناجح ، ترك المدرسة وعمل مع أحد أخواله في البناء والمقاولات ، ويحصل دخلا جيدا ، وأصغر أبناء السيد كمال فتاة اسمها فريدة ، وهي قد بلغت الثامنة عشرة من عمرها وهي قد استقرت في الثانوية العامة للمدرسة ، ونحن اليوم في شهر سبتمبر أيلول من عام ١٩٧٠ م .

وكانت حياة هذه الأسرة كحياة الكثير من الأسر التي تعيش في مثل حي أبو خروف ، الأسرة المستورة الأسر التي تحيا على الهامش ، تعمل لتأكل ، حياتهم أكل وشرب ونوم ، والقليل من اللهو بين سينما وأفلام .. قد ينشغل الشباب بتشجيع بعض الأندية الرياضية خاصة أندية كرة القدم ؛ لهوس بعض الناس بذلك التشجيع فحسب .. ومن مهمات بعض الناس نقل الأخبار والإشاعات ، وقصصهم كقصص الكثير من الناس لا إثارة فيها ، وربما تنقلب قصة أحدهم لحكاية يتطاير بها الركبان ، وتصبح قصة نجاح مثيرة للتساؤل أو مأساة عنيفة أو خفيفة سنعيش مع تلك الأسرة بضعة شهور ؛ لعلنا نرى فيها صورة من صور الحياة ، حياة الفقراء والبسطاء .

عمل يومي متتابع لتجميع مال للزواج لولادة أسرة جديدة ، أو لتقوم ببناء بيت أو شرائه للزواج هذه هي الأهداف العظمى للناس البسطاء ، ولكن الذي حرك الأحداث التقليدية الرتيبة في أبو خروف وخاصة أسرة كمال نزو وجود مستأجر جديد في الحي ، ودائما الناس تنتقل من

بيت إلى آخر ، والمستأجرون في المدن لا ينتهون ، ولكن الذي حدث أن المستأجر الجديد في حي أبو خروف شاب عازب غريب في الثلاثين من عمره ، وهذا لم يعتد في البناية التي سكن فيها الشاب ، فمنذ بنيت واستخدمت للإيجار ، يسكنها عائلات متزوجة أو عرسان جدد .

المستأجر الجديد

تحركت الأحداث في الحي أو في بيت أبي صالح عندما سكن في الحي شاب استأجر شقة أرضية صغيرة في عمارة تبعد عن بيت أبي صالح حوالي أربعين مترا، بينهم مبنيان ، تنزل إليها بدرج ، وهي عبارة عن غرفة نوم واحدة وغرفة أخرى عبارة عن مطبخ وحمام وصالة ، ولا تكاد تدخلها الشمس أثناء النهار إلا من نافذة عالية تلتصق بالسقف ، هذه الشقة كانت عند إنشاء العمارة كمخزن ثم حولت لغرفة لبواب كان حارسا للبناية أثناء الإعمار ؛ ولكنه مرض من العيش فيها وتركها ، وبقيت العمارة دون بواب كأكثر مباني الحي إلا من الحارس الليلي العام ، كان هذا الشاب مجهولا لسكان الحي ، خاصة الذين سكن بينهم ، وكان ظهوره في أواخر سبتمبر (أيلول) من ذلك العام ؛ لذلك أثار هذا دهشة الناس ، واهتم الناس والجيران بالمستأجر الجديد لأنه أعزب دون عائلة ، فهم لم يعتادوا سكنى أعزب غريب عنهم في الحارة أو هذا القسم من أبو خروف ، وشاع بينهم أنه من حي آخر ، وهو مطرود من قبل أبيه ؛ لأنه يرفض الزواج ، وقد بلغ من العمر ثلاثين سنة ، وهذه سن يجب أن يكون لكل شاب أسرة وزوجة ، وأيضا شاع أنه طرد لرفضه العمل والشغل .. هذا ما شاع عنه في أول الأمر ، وتقبله الناس على مضض بأنه بطال وأعزب ، وعلى الفور تعرف على البقال العم كمال كما يردد ، فكان يمشي للشارع العام ويقطعه حيث دكان الرجل ويشتري منه الخبز والطعام المعلب والسردين والفول والجبنة الصفراء والدخان علب السجائر والبيض ، بمعنى آخر أنه أصبح أحد زبائن العم كمال في خلال أيام معدودة ، وكان يدفع للرجل فورا ونقدا ، فكلما اشترى شيئا نقد الرجل ثمنه ، مما أظهر للعم كمال أنه يملك المال ، فيتساءل ها هو يشتري ويستأجر ، فلماذا طرده والده ؟! لابد أن هناك شيئا آخر ، ولكنه في الأسبوع التالي أخذ يسجل ما يأخذه على الدفتر دفتر الديون ، فتململ العم كمال فبدأ يسأله عن طبيعة شغله ، فيزعم أنه يعمل في الأعمال الحرة .. فما هي الأعمال الحرة ؟ يوم يشتغل ويوم لا يشتغل .. لما يطفر يعمل مع بنّاء مع سباك مع نجار يعمل جابي مال في حافلة نقل عمومي .. ولما يصير معه المال يترك العمل ، هكذا فسر الأعمال الحرة

للشيخ أبي صالح ، فصار يدفع كلما تيسر ، وكان لا يرى إلا مشعلا سيجارته ، يجلس في المساء أمام العمارة في الشارع ، يشرب الشاي يدخن يأكل المكسرات الرخيصة ، ثم تعرف سريعا على أولاد العم كمال من المجاورة من الشراء من الدكان من الجلوس في الشارع ، ثم سمح لفريد وناجح بدخول شقته الأرضية للسهر ومشاهدة التلفزيون ولعب الشدة وشرب الشاي والدخان، وكان ناجح يشاركهم بعض الليل بعض السهر بعد عودته من سهراته الخاصة في قلب المدينة، وكان الجو يتوتر في الشقة عند مشاهدة بعض المباريات المحلية والدولية ، فيبدأ الشد والرخي ، ثم تعرف صالح الابن الكبير للعم كمال عليه ، وكان جابر قد عرفه من تردده على الدكان ، فأصبح خلال شهر صديقا للعائلة جميعها ، أم فريد وابنتها فريدة حتى أن المرأة أصبحت توده بصحن من الطعام ، عندما تطبخ طبخة شهية ، وكانت الآنسة الشابة فريدة تذهب بالصحفة لجارهم العازب الجديد ، فيتناولها منها عند الباب الخارجي للشقة مظهرا لهم وللمراقب وللمار أنه يراعي الأصول والعرف ، ويقدم الشكر والامتنان عندما يرى أم فريد أو الشباب ، وأنه يتعبهم معه .

استطاع فراس خلال وقت يسير كسب جيرانه وأنه إنسان صالح وإنما يكسل عن العمل الدائم فأصبح بيته مقرا للشباب الراغب في السهر ولعب الورق ، وفصل الشتاء عادة في بلادنا ليله طويل ، فيحب الناس فيه السهر واللهو ، فأصبح الشباب يمدونه بالمأكولات الخفيفة ويتعشون معه ، وبعضهم يقضي كل ليله معه ، وينامون في بيته ، فهو شاب عزب فلا حريم في البيت ؛ ليسبب لهم النائم حرجا وضيقا .

ولا أنسى أن أخبركم أن الخمر أخذت تتسلل إلى شقة فراس ولو سرا عن أعين الفضوليين ، وبالطبع ليس فراس هو أول شرير في الحي ، فهناك أشرار آخرون ، وليس هو أول شارب خمر في حي أبو خروف فآخرون يتعاطونها أفرادا وشللا .

فجأة اختفى فراس من الحي دون سابق إنذار مما شكل صدمة لزبائنه المقربين ، حتى أن أحدهم قفز عن السور ودخل الشقة عنوة خشية أن يكون الرجل ميتا في شقته ، فهو لم يظهر طول النهار

ولم يره أحد من أيام ، ولما أصبح القافز في جوف الشقة ، وجد السرير الأثري خاليا من صاحبه وقشر البزر ملقى في جميع أنحاء الغرفة ، وكذلك أعقاب السجاير وعلب الدخان الفارغة وأعواد الثقاب المحروقة ، وورق تنظيف الأنف ، وأكواب القهوة والشاي منتشرة في فناء الحجرة ؛ كأنها لم تنظف منذ فارقوه آخر ليلة ، فخرج الشاب بعد ذلك دون أن يفكر بتنظيف الغرفة ، وأخبر الشباب أنه غير موجود وحالة الشقة عفنة يرثى لها ، فذهب أحدهم إلى مالك الشقة يسأله عن السيد فراس هل ترك الشقة ؟ فأخبره المالك أن الرجل لم يخل الشقة ، وهو لم يدفع إيجار الشقة إلا مرة واحدة منذ سكنها ، ولولا تدخل رجل عزيز عليه ما أجرها لشاب هامل ، ولكن الوسيط رجل مهم عنده وختم كلامه : لعله مسجون .



ـ مسجون ؟!

ـ مالك دهشت ؟ فهو سجين سابق..

ألم تعرفوا ذلك عنه ؟

ـ سمعنا ذلك ؛ ولكنه نفى ذلك وقال هذه إشاعات يصدرها أبي ليتخلَ عني أمام الناس وأقاربه وحتى يصدقه الناس ويعذرونه في طردي .

وعاد السائل للحي وهو متوجس خيفة مما علم وهو يقول : هل هو حقا سجين سابق ؟! ولماذا سجن ؟! سوف أسأله إذا أتيحت لي فرصة .

ولما رجع فراس للحي قال للشباب الذي سروا بعودته : كنت في مدينة مسعاد ، لي بعض المال عند أحد الأصدقاء .

عندما يستلم جابر الدكان من أبيه عصرا ينصرف العجوز كمال للمقهى المجاور لمسجد أبو خروف ، وغالبا يصل إليه عندما يكون رواد المسجد قد أدوا صلاة العصر جماعة ، فيسبقهم أحيانا بالجلوس في زاويتهم المعتادة والمعروفة لرواد المقهى جميعا فلا يقربها إلا مشاكس ، وأحيانا

أخرى يسبقونه ، وكثيرا ما يلتقي بالخارجين من المسجد بعد أداء الصلاة ، فلربما رآه غريب فيحسبه من رواد الصلاة ، ومع بلوغه السن الكبيرة ما زال مصرا على ترك الصلاة والتقاعس عنها .

وفي المقهى يلتقي بالشيوخ الذين من سنه أقل أو أكثر ببضع سنوات ، فهم مجموعة اعتادت اللهو واللعب والسمر والسهر في مقهى مهران ، فهم من قدامى الزبائن ، وكلهم من سكان الحي يعرفون بعضهم من عدة عقود ، فهم يمارسون لعب الورق ، ويلعبون لعبة شائعة بينهم يسمونها الهاند أو الهند بفتح الهاء ، لا أدري أصلها، ومن أين أتت وانتشرت؟! ولكنها معروفة في المقاهي العربية ، ولها بضعة قوانين تراعى أثناء اللعب لا مجال لسردها لأنني أجهلها ، وفي المقهى تجد الشاي الساخن والقهوة واليانسون والقرفة ، ولهم معارف من حارات أخرى مجاورة يلتقون بهم، يلتقي أصحاب المهن والحرف للاتفاق على عمل وشغل ، وفي المساء أول الليل تجد المقهى يفيض بزبائنه ، بعضهم يلعب، وبعضهم يتفرج على اللعب ، وبعضهم يثرثر وينم ويستغيب ، وآخرون يتفرجون على التلفزيون الجديد على البلاد صامتين أو معلقين ، وآخرون يأكلون الساندويتشات المشتراة من المطعم المقابل للمقهى .

فالعم كمال بعدما يسلم دكانه لجابر يأخذ أغلب الغلة معه ، ويترك بعضها ويعده عليه ، ويغدو للمقهى ، ويتخذ زاوية يتجمع بها رفاقه، ثم يبدأ اللعب بينهم ، وبعضهم يتفرج حتى يأتي دوره في اللعب، وخلال أدوار اللعب يثرثرون ، ويتبادلون الأخبار السيئة والحسنة .. وهذا دأبهم منذ سنوات .. فلان مرض ، فلان رحل ، فلان ترمل .. فلان تزوج ، زوج ابنته أخته .. أسعار الخضار واللحم والسكر والأرز .

فهم مجموعة مكونة من سبعة أشخاص ، أبو صالح وقد عرفناه ، وقريب له يدعى أبا عدنان وآخر يكنى بأبي العبد ، ورشيد أبو أحمد ، وسلمان وشقيقه نعمان أبو نوح ، وسابعهم غانم السيمي .. وكلهم من سكان أبو خروف ما عدا غانم السيمي قريب من الحي المذكور .

يلعب أربعة منهم ؛ لأن اللعبة تستوعب أربعة أنفار فما دون ، وثلاثة يمارسون النظر والثرثرة

ويشربون الشاي واليانسون .. وعندما يرتفع صوت المؤذن ينسحب سلمان وأبو نوح ورشيد أبو أحمد للصلاة ، ويبقى الآخرون لمواصلة اللهو ، فهم رغم كبر أعمارهم يتقاعسون ويكسلون عن الصلاة سواء جماعة أم فرادى .. وأحيانا يصلون الجمعة .. لأن الحاج مهران يأمر ساعتها بوقف اللعب لسماع الخطبة ؛ لأن إحدى سماعات المسجد معلقة على جدار المقهى الأمامي .

وكان السيد نعمان أبو نوح كلما ينهض للمسجد يدعوهم لتلبية النداء بأخذ استراحة من اللعب فيسخرون منه ، فيصيح في وجوههم ألستم مسلمين ؟ الدواب تسبح ربها

فيرد أحد المتقاعسين متهكما هل بقي أحد يصلي لليوم ؟ الناس كفرت وملت

فيقول سلمان بعصبية يا عالم اتقوا الله ساعة لربك وساعة لدنياك .. هناك نار جهنم .. الجمعة حدثنا الشيخ عن النار حتى كادت قلوبنا تخرج من صدورنا رعبا وخوفا .. هيا انهضوا ، الصلاة خير من اللعب .. وقت اللعب لا ينتهي

فيرد: خلال صلاتكم نكون كسبنا لعبة .. هذا شيخك شيخ مهوي

فيخرج الرجال الثلاث سلمان ونعمان ورشيد للمسجد يدعون لهم بالتوبة والهداية .

كانت مجالسهم سوى اللعب واللهو نقل الحكايات والأخبار .. فلان طلق امرأته .. فلان ضربها وتركت له البيت .. فلان أصيب .. فلان ابنه حرامي ويشرب الخمر .. فلان ضرب أباه وآخر رحل .. أبو فلان ابنته هربت مع شاب ..فلان خطف بنت أبي فلان .. كل له مصادره الخاصة

وصل أبو صالح وجلس حولهم ينتظر دوره في اللعب .. انتهت اللعبة ودخل أبو صالح ليشارك في لعبة جديدة ..عادة يلعب كل لاعبين متقابلين كفريق واحد .. وعند الخسارة يضع كل شخص اللوم على شريكه .. وعند النصر على عبقريته وشطارته .

وفجأة دون مقدمات قال أحدهم : من هو الجار الذي يجتمع الأولاد عنده يا أبا صالح منذ أسابيع ؟ أتعرفونه ؟ ولماذا سكن في حارتنا ؟!

فيرد أبو صالح بفتور: شاب غلبان .. شكله مطرود من بيت أبيه .. جوعان .. فحسب علمي لا يعمل ، ولا يجد عملا يناسبه هكذا يزعم

علق أحدهم ساخرا : إذن معه شهادة وزير !

فقال أبو صالح : ليس معه شهادة وزير ولا شهادة حمير.. اشتغل في متجر ملابس .. واستغنى عنه الرجل بعد شهور .. لم يعجبه شغله .. ثم اشتغل في سينما .. كلما جاء الدكان يسرد عليّ فصلا عن أعماله .. مرة بائع خضار مع سيارة نقل صغيرة .

فقال سلمان بحزم : ولد هامل صايع أزعر.. خذ بالك منه يا عم أبا صالح .. شكله شكل حرامي .

فصاح أبو صالح مستنكرا الوصف : حرامي ، حرام عليك يا رجل! .. أكثر مشترياته عندي على الدفتر ، ويسد ، لم يقصر ولو مرة واحدة بالسداد ..غلبان ..واندمج مع الأولاد .. ومرات أم فريد ترسل له مع البنت صحن طبيخ .. عايش على البيض والجبن والفول .

فقال أبو نوح : مرة رأيت فريدة فعلا تقدم له صحنا من الطبيخ .. بس يا أبا صالح الرجل عزب ليغوي البنت ..لا تسمحوا لها بالدخول عليه .. شكله كما قال سلمان شكل لص وسراق .. احترس ألا يغدر بالبنت .

فقال أبو صالح : نحن حريصون جدا.. وكثيرا ما تبقى أمها تنتظرها أمام الدار .. والله الذي يستر .

الشبح

ظهر فراس في الحي من جديد كما اختفى فجأة ، رجع إلى شقته بعد غياب أزعج واقلق رفاقه الجدد ، وزعم لهم أنه كان في رحلة عمل قصيرة ، فعاد السهر لحجرته وبيته الصغير.. وفي العادة ينصرف الساهرون بعد منتصف الليل لبرودة الجو ، فطقس الشتاء بارد في أكثر الليالي حتى أن أحدهم تبرع له بمدفأة كاز ، ولكنها في أغلب الليالي لا تشتعل لعدم توفر مادة الكاز (الكروسين) أو لعدم شراء هذه المادة بحجة بعد محطة تزويد الحي بمثل هذه المواد البترولية والرجل لا يملك سيارة .. ويتحمس بعض الساهرين فيذهب مشيا على الأقدام أو بسيارة أجرة أو بسيارة صديق له .. فيحضر تلك المادة .. فتشتعل تلك المدفأة لبضع ساعات أو أيام حسب كمية الكاز التي توفرت .. وعندما يحاول فراس تقديم القيمة التي دفعها المتطوع يعتذر الآخر عن قبولها بحكم السهر والجيرة والشهامة .

أخذ يتكرر غياب فراس عن الحي يختفي ليلتين أو ثلاث .. فيزعم أن ذلك بسبب الشغل .. بسبب العودة لبيت أبيه وأنهم تصالحوا .. فيبرر غيابه بحجج لا نهاية لها .. ويصمتون لأنه هو صاحب البيت .. ويزعم بعض هؤلاء لتبرير تعلقهم به أو اهتمامهم بوجوده وغيابه أنهم أحبوه واستمتعوا بصداقته .. فعندما يرون ـ أصدقاء الحي ـ بيته في ظلام دامس يحسبون أنه خارج البيت .. فيتسكعون في الشارع شوطا أو شوطين ثم يلجئون لبيت أحدهم أو يمشون للشارع الرئيس حيث مقهى عم عزب .. والحقيقة التي تكشفت فيما بعد أن البيت قد يكون خاليا فعلا من فراس ، وأنه في مرات أخرى يتظاهر بهذه الحيلة لقضاء ليلة خاصة مع بنات الهوى .. أو يترك البيت لصديق يمارس فجوره على ضوء شمعة .

ذات ليلة باردة كان فريد عائدا من المقهى الذي أغلق أبوابه عند الثانية عشرة ليلا .. حسب الأنظمة المرعية في المدن .. وربما تأخذ عملية الإغلاق ربع ساعة نصف ساعة .. وبينما السيد فريد كمال يقترب من بيته لمح شبحا يدخل بيت فراس .. ويبدو أن الشبح لم يلمح فريدا ، وهو يدخل الشارع باتجاه دار أبيه .. لعجلته أو لعدم اكتراثه بمن يراه .. والذي أثار فريد أنه قبل

ذهابه للسهر في المقهى طرق باب فراس عدة مرات ، ونادى عليه تحسبا لنومه ..ولما يأس من وجوده تمشى إلى مقهى أبو خروف .. لذلك لم وصل بيته .. فكر قليلا وسأل من هذا الشاب الذي دخل بيت فراس ؟! .. وهو قد لاحظ من فترة وجيزة تردد شبان من غير الحي إلى بيت فراس بزعم أنهم رفاق له من أحياء أخرى مجاورة لـ أبو خروف .. وتعرف على واحد منهم يدعى عسودا .. كان هذا العسود ينام عند فراس في بعض الليالي .. توقف ينظر للبيت الذي ما زال معتما رغم دخول المتسلل .. فقال لنفسه أأطرق الباب؟!.. لم يشعل الكهرباء !.. لعلي واهم برؤية أحدهم يتسلل للبيت .. رأيته رأيته .. لا يخدعني البصر .. كأنه شبح فتاة .. يبدو أن صاحبنا ملّ من الشباب فصار يستقبل الفتيات في أنصاف الليالي .. كانت ثيابها ثياب أنثى .. حسنا يا فراس ويا عسود

دخل البيت وصعد لحجرته في الطابق الثاني للبيت الصغير .. بنى والده هذه الغرفة لصالح وجابر لما كبر سنهما .. فالشابان عازبان وكبيران .. وهو قد تزوج الأرملة التي أمست أم فريد.. ولما تزوجا ورثها فريد وناجح .. وصداقة فريد لفراس صداقة حارة وشارع واحد .. ورغم تعارفهما وتصاحبهما كان منزعجا من صداقته ومن وجوده في الحي .. وخاصة لما علم أنه قضى زمنا في السجن الحكومي .. فسأل نفسه مرارا وليس مرة واحدة لماذا جاء يعيش في هذا الحي ؟ وصاحبه ليكشف سره أو أسراره ؛ ولكنه لم ير شيئا مخيفا .

لذلك لما رأى شبح أنثى يتسلل إلى بيته المعتم اشتعل قلبه نارا ، وهمس لنفسه بعد أن خرج من المرحاض ووقف عند الشباك ـ شباك غرفته المطل على الشارع حيث مدخل بيت فراس ـ يراقب باب شقة فراس صحيح أنه يسقينا الشاي والقهوة ، ويقدم لنا الخدمات ونلعب الورق في بيته ولكنه يسكر ويجلب الخمر للبيت .. وأغلب رفاقه يشربون ويدخنون .. وبعيدون عن الدين .. والآباء لا يهتمون ، وعلاقات الشابات والشبان منتشرة في شوارع الحي ولا يكاد يمضي شهر أو شهران في الحي حتى تنتشر فضيحة أخلاقية يهتز لها أبو خروف ثم تنسى وينشغل الناس بغيرها .. فبدأنا نرى وجوها من أحياء أخرى .. وهؤلاء لماذا يأتون ؟! للحب والغرام والليالي

الملاح .. ذهبت الأخلاق .. فسدت أخلاقنا وشاع الاستهتار بالمحرمات .. الصبيان يدخنون ويكفرون .. ويذهبون لمدارس البنات ليحبون ويعشقون .. ويتبادلون الرسائل والهدايا .. والكبار لا يحركون ساكنا .. ثم تذكر أخته فريدة شقيقته فهمس بخوف وانقباض : أتفعل مثلهم ؟ من تصاحب فريدة ؟ أليست بشرا مثلهم ؟ نعم ، إنها بشر كسائر البشر والبنات .. إنها تتأثر بفعل صويحباتها .. ألم يطلعني باسم على عشرات الرسائل والتذكارات من البنات ؟! بزعم أنه بطل رياضي والمعجبات به كثر .. لكنها فترة مراهقة عصفت بنا وكبرنا .. فريدة رغم اهتمامي الخفي بها لم أعرف لها صاحبا أو معاكسا ..

اشتغل فكره برؤية فتاة تتسلل لبيت فراس بالأخلاق الدنيئة التي تشيع في الحي وبين بنات الحي وهو بين الحين والآخر ينظر لبيت فراس ينتظر خروج المتسللة .. وفعلا بعد ساعة أو أكثر وهو يراقب في العتمة لاحظ فتح الباب .. خرجت فتاة كما توقع فهمس بنت .. من هذه ؟! .. هل اتبعها ؟ وماذا نهاية المتابعة ؟

كان مترددا في متابعتها حتى اختفت من أمام ناظريه .. ثم شاهد شبحا آخر يخرج من بيت فراس ليست أنثى .. شاب هل هو عسود ؟ .. ها هو قد أشعل سيجارة .. أصبح بيت فراس وكرا للدعارة .. من تلك الأنثى ؟ بنت من ؟ .. فضيحة جديدة على الأبواب .. يظهر أنها من فتيات الحي .. ثم تذكر فتاة مشهورة بالفجور قد تكون مزيود .. إنها امرأة لا تهتم بأحد ولا تكترث لأهل أو أب أو أم أو أخ .. لكنها تمارس فواحشها في أماكن أخرى خارج الحي .. لا أدري لماذا هي هكذا ؟! منذ وعينا ونحن نسمع أنها امرأة فاجرة تمارس البغاء والزنا مع الرجال المنحرفين زاعمة أنها متحررة .. وضحك لكلمة متحررة .. إذن جعل بيته مخدعا للعشاق .. يتركه لأهل الغرام .. هل هو في البيت ؟ ودخلت الفتاة عليهما الاثنين .. هذا لا يستغرب من مزيود .. انتشر لها حكايات شنيعة في المعاصي والفجور .. ولها سجلات أمنية في دوائر الشرطة والمحاكم .. من سيتزوجها ؟ لقد فسدت وأصبحت لمن هب ودب .. أضحى فراس مزعجا .. هو مزعج منذ سكن بجوارنا ..

ظل يفكر بفراس وعسود ومزيود وقال : مزيود لا يهمها ليل ولا نهار لتمارس فجورها .. في أي وقت تصطاد ذكرا تذهب معه .. ألم تحاول مرة إغوائي عند باب سينما ؟ كنت أتفرج على لوحات ورسوم الفيلم الذي يعرض وقالت كيف حالك يا فريد ؟ أبوك سمح لك بالمجيء للسينما .. وأخذت معها في الحديث ، ثم دعتني لقضاء ليلة أو نهار معها .. يا لها من مومس !



لم يعد فريد يطرق باب فراس بعد رؤيته لتلك المرأة الماجنة تخرج من بيته ؛ لأنه أدرك أن فضيحة على وشك الظهور في الحي ، فالذي شاهده ربما شاهده غيره ، ولابد من تكرار مجيء المرأة نفسها أو غيرها لوكر فراس .. لذلك لما تقابل الرجلان في الشارع الرئيسي العام الذي يشق حي أبو خروف لحيين كبيرين قال فراس متظاهرا بالقلق على غياب صاحبه عن بيته : يا سيد فريد يا جاري العزيز لم أعد أراك ساهرا معنا ؟!

ـ مرحبا سيد فراس .. أنا أحب السهر كما تعلم في المقهى .. كنت أحيانا أطرق بابك بحكم الجوار والشباب

ـ صحيح ، لكنك كنت تمسي علينا كل الليالي .. أأغضبك أحد من الشباب ؟

ـ أبدا لم يغضبني أحد .. ولقد لاحظت في الفترة الأخيرة كثرة تغيبك عن البيت .. واغلب الأيام الضوء مطفي .. وربما يخرج لنا زملاء لك من غير حينا

ـ هؤلاء يا صديقي زملاء عمل .. ويحبون السمر وقضاء بعض الليل

عندي .. عيب أن يطردهم الإنسان .. أنا أعزب لا أستطيع طردهم بأي حجة

ـ لا ، عيب طردهم .. أتمنى لكم التوفيق

ـ هيئتك تدل على الزعل والضيق .. حتى أمك لم تعد ترسل صحن الطبيخ مع الأخت الفاضلة فريدة .

ـ صدق لا أدري.. سأمر عليك الليلة لتعلم أنني غير زعلان من حضرتك لكن ...

انتبه فراس للكن وقال مرتبكا : لكن ماذا ؟!

ـ لكن سمعت أن بنات يترددن على منزلك

ـ بنات .. أعوذ بالله من غضب الله .. من قال لك هذا ؟! .. أنا أكره جنس البنات وسيرتهن

ـ ربما عندما تترك البيت لأصحابك وزملاء العمل ، وتنام عند أهلك كما تقول .. يأتين هؤلاء الفتيات للسهر معهم .. رغم كثرة البنات في الشوارع وفي الحارة ..احذر يا صاحبي من تحويل بيتك لوكر دعارة .. الناس بدأت تتكلم

تظاهر فراس بالجهل رغم الغضب في قلبه : يا رجل هذا أمر خطير .. على كل حال طال الوقوف في الشارع .. سوف أتحدث مع الأخوة، وأمتنع عن إعطائهم المفتاح ..هذا أمر لا أحبه شكرا على تنبيهك .. المرء يثق بإخوانه .. بنات اليوم يرغبن باللعب واللهو مثل الشباب .. الأفلام والمجلات الماجنة تنتشر بين الشباب من الجنسين .. ألا تريد أن تخبرني بمن قال لك لأتأكد مما رآه ؟

ـ أنا سمعت يا سيد فراس ، لم أسمع من شخص محدد .. على القهوة سمعت حديثا أن بيت فراس أصبح لبنات الهوى ، يتسللن إليه في أنصاف الليالي .. حتى أن إحداهن عادت لبيت أهلها ثملة سكرانة من الشرب .. ولما ساقوها للطبيب الشرعي ثبت لهم أنها امرأة منذ سنوات قد زالت بكارتها .. باختصار فاجرة !

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله .. خرجت من بيتي سكرانة .. هذا شيء لا يجوز السكوت عنه .. صدق يا أخ فريد أن أبغض الناس إليّ النساء والزنا .. أما الشراب فهو مشكلتي العويصة .. وأصدقاء الشراب شهيتهم للنساء مفتوحة ..اليوم تشير بإصبعك نحو فتاة فتلبي النداء .. ثم لقاء أو لقاءات فتصبح لك امرأة ؛ وكأنك كتبت كتابها في حضرة القاضي .. الأفلام ..أفلام الحب والجنس تحرق الشباب حرقا يا أخ فريد ..سأدبر الأمر ، وأطلب من هؤلاء الإخوة قطع الِرجل عن الحي .. أنا لا أحب أن تتلوث سمعتي

فقال فريد : أحسن لك .. غدا تسمع الشرطة ، وتضطر لسين وجيم .. وأنت تسكن في بيت إيجاره رخيصا ، فلا تخسره

ـ معك كل الحق يا أيها الجار الغالي .. سامحني السلام عليكم

لم يقدم على بيته أحد خلال الأيام التالية .. وحتى اعتذر عن استقبال شباب الحي الذين اتخذهم خلانا زاعما لهم أن بعضهم استغل طيبته ليستقبل عشيقاته في بيته عندما يقضي أياما في بيت أمه وأسرته .. أو يسافر في قضاء عمل خاص به .. ولا أحد يعلم من سكان الحي بالضبط مهنة وعمل فراس .



قصة

استلم جابر الدكان من أبيه الذي أخذ الغلة ، وترك له مبلغا بسيطا يتعامل به مع الزبائن ، واتجه الرجل كعادته إلى مقهى عزب ، فما كاد يجلس مع جماعته حتى أقبل باقي الجماعة من الجامع وهم رشيد أبو أحمد وسلمان أبو يوسف ونعمان أبو نوح .. وبدأ اللعب أربعة يلعبون وثلاثة يتفرجون ويثرثرون .. وبعد حين تصل المطلوبات من مشروبات ساخنة ، ويبدأ الرشف ، وأثناء اللعب ذكر أبو أحمد خبرا انتبه له أبو صالح ، فالتفت لأبي أحمد وقال : أمعقول هذا يا أبا أحمد ؟!..هربت مع أحد الفاسدين

فقال أبو أحمد : كما تعلم قد شوهدت خارجة من بيت جارك الجديد الذي زعم أنه ترك المفتاح مع بعض أصدقائه ، وذهب في عمل خارج العاصمة .. وقد رجعت الفتاة سكرانة تلك الليلة لأهلها .. ثم تبين لهم بعد كشف الطبيب عليها ، وتدخل الشرطة أنها امرأة غير صالحة .. تمارس البغاء سرا .. وادعت أن أهلها يجهلون أفعالها .. مع أن سيرتها النتنة تملأ الحي .. منذ سنوات وأنا أسمع بمغامراتها الدنيئة .. مشاهدتها مع الشبان معروفة .. على أبواب السينمات والملاهي وشوارع وسط المدينة .. أهلها لا يعرفون أسمعت يا رجل ؟.. شر البلية ما يضحك .. اختفت من الحي ، وأهلها يقولون إنها هربت مع أحد الأشرار لرغبتهم بتزويجها من شاب مثلها هامل وفاسد قريب لأمها .. سيدفعون له مالا ليستر عليها أمام الناس .. لا تريده يا أبا صالح لا تبتغي الستر ـ ستر الله على نساء المسلمين ـ فهربت مع أحد الأشرار

علق سلمان فقال متهكما: دنيا .. يدفعون للعريس !

فرد أبو صالح بحدة وسخط كأنه من بقية أهلها : كلام فارغ .. هم ربما قالوا هذا الكلام لما اختفت .. ليبرروا هربها .. ليقول الناس إنها هربت بسبب الضغط عليها لتتزوج قريبها .. كلام فارغ .. زواج بالقوة .. هي بنت فاسدة منذ عهد بعيد.. إذا كان الكلام صحيحا عرضوا عليه أن يتزوجها شهر زمان ثم يطلقها ..

فقال أبو نوح بأسف وألم : ما دام البنت فجرت وفسدت ما الذي سيصلحها ؟ .. أعوذ بالله من

الزنا والفجور .. هذه لا يمكن أن تقتنع برجل واحد صدقوني .

فقال أبو صالح : هو ما قلت يا أبا نوح .. هذه نهايتها العمل في نادي ليلي أو خمارة .. لا يوجد في البيت رجال .. أنا أعرف الكثير من خفايا وماضي العائلات .. أنا أعرف أباها قبل أن يستقر في أبو خروف .. كان شيطان زمانه .. وتزوج أم البنت بقوة القانون

ـ استر يا رجل بدون فضائح

ـ أستر ماذا ؟! هذا معروف للناس .. الزمان يعيد نفسه .. كان يعمل موظفا في منطقة ووقع على أمها وفجر .. ولما انكشف المستور اجبروه على الزواج منها ولملموا القصة .. وها هي البنت على نفس الشاكلة

فقال أحدهم بغيرة : طيب يا عم أبا صالح انتبه لبنتك .. أقولها بصراحة .. إياك أن تسمح لها بالذهاب لبيت فراس بصحن طبيخ .. انسوه

ـ ابني فريد حذرهم من تقديم أي شيء له

فقال أحدهم : أنا رأيت ابنتك تقف معه أمام البيت .. بيتك

ـ ربما يسألها عن فريد عن ناجح .. ففريد خفت رجله عن بيته.. منذ بدأنا نرى أولادا غرباء عن الحي يترددون على قصره الشامخ ، نصحت الأولاد أن يبتعدوا عنه .. المحير من أين يأتي بالفلوس ؟ لا تنقطع عنه الفلوس .. يستلف من الدكان لحد مائة دينار ثم يدفعها مرة واحدة

ـ لما يسرق يسد !

ولما عاد أبو صالح للبيت بعد إغلاق المقهى فقد أيقظ زوجته وصاح فيها : سمعت أن فريدة كانت تتحدث مع جارنا فراس السيئ الذكر في نصف النهار

ـ فريدة .. اتق الله يا رجل .. أنا من يوم ما أخبرني فريد بمشاهدته امرأة تخرج من بيته ، وأنا أمنعها من الحديث والكلام معه .. ومنعت عنه صحن الأكل .

كان فريد يجلس في مقهى مهران حيث يجلس والده وشلته ، وإنما يجلس مع شباب من جيله أو أكبر منه بقليل .. وبينما هو مستغرق كغيره في اللعب وشرب الشاي دخل شقيقه صالح

المقهى ، واتجه إلى حيث يجلس والده ورفاقه ، فسلم عليهم وصافحهم فردا فردا ، وسحب مقعدا وجلس بجوارهم وكان الوقت بعد العاشرة ليلا ، فقال له أحدهم : تركت الشغل مبكرا الليلة

ضحك صالح وقال مداعبا : الدنيا نصف ليل يا عم

فنظر الرجل إلى ساعة المقهى المعلقة على إحدى الواجهات ورد باسما : فعلا ..أنا فكرت الدنيا المغرب بعد .. أهلا وسهلا بك يا صالح

فقال سلمان : المغرب ! .. لو أنك تصلي مثلنا يا بطل لعرفت أننا صلينا العشاء قبل ساعة .. هل أنت تصلي يا صالح ؟

ـ لا أحد يصلي اليوم يا عم إلا الختيارية

ـ معقول .. أبوك اختيار لا يصلي إلا على الأموات .. إذا حضرت جنازة للمسجد أراه يدخل المسجد ، ويصلي الصلاة ثم على الجنازة وهو اختيار مثلنا

فرد صالح قائلا : الله يصلح الجميع يا عم سلمان

كان فريد يتابع صالحا بطرف عينيه ، فبينهما موعد في المقهى بناء على اتصال هاتفي جرى بينهما

وعاد سلمان يقول : أبوك سماك صالحا لتكون صالحا يا صالح

ـ أنا صالح ، هل رأيتني أسرق ؟

ـ لم أسمع بذلك ؛ ولكنك تتشاجر كثيرا مع زبائن الخط

ـ لو السائق رفع صوته مرة على أحدهم ، يعتبر هذا شجارا يا عم سلمان

فقال نعمان أبو نوح : مرة يا صالح .. أكثر من واحد سمعته يتحدث مع أبيك عن سوء معاملتك للزبائن !..لا يوجد فكة .. يا ناس احملوا فكة .. من أين آتي لكم بفكة .. الذي لا يعجبه أن يركب معي ينزل .. هذه أخلاق سائق يا صالح يا ابن أبي صالح .. أنت رجل كبير متزوج ، وعندك أولاد حسن أخلاقك ومعاملتك مع الركاب

ـ هؤلاء أناس يحبون اللطم والشكوى .. يريدون أن يركبوا بدون مقابل .. لما الشخص يعطيك

عشرة دنانير على الصبح والأجرة خمسة قروش .. هذا يريد أن يدفع .. هو السائق قاعد على بنك فكة يا عم أبا يوسف .. من الغالب الليلة ؟ يبدو أن أبي مغلوب لم أسمع صوته منذ حييتكم

التفت إليه أبوه وقال : فعلا أنا مغلوب اليوم يا ولد .. الكل يشبح عليّ أم أن وجهك وجه نحس

فقال رشيد : أنت مغلوب من قبل أن يحضر المعلم صالح ، لا تتحجج في الولد .. والحظ اليوم ضارب معي

فقال أبو صالح : اذهب لأخيك فهو ينظر إليك

ـ أعلم ؛ فأنا جئت بناء على اتصاله بي .. أنا لا أحب السهر في المقاهي ..

هل تعلم يا عم أبا صالح أنني اليوم ركبت جارك فراسا ، وكانت معه امرأة .. مزيود .. وتفاجأ بي

فقال أحدهم : بنت الليل مزيود مع فراس .. كملت يا جماعة الخير كملت .. لما شاع عن ترددها على بيته زعم أن أحد أصحابه استغل طيبته .. كمل يا صالح

ـ ركبوا وتحدثت مع مزيود فأنا أعرفها ، وهي تعرفني حق المعرفة ، واضطرب فراس من الخوف والرعب .. كأنه شريف قبض عليه في دار زنا .. فلما نزلوا دعتني لسهرة ماجنة من سهراتها المشهورة .. وفراس كان مثل السعدان قد لزم الصمت طول الطريق .. وحياني فقط ، فسمعتها تقول له مالك خائف يا معلم ؟ صالح ولد عاقل أزعر مثلك .. جعلتني الملعونة أكبر قواد في البلد .. يا لها من شريرة ؟! ـ أين ذاهبون ؟

ـ لا أدري ، ولم أسأل ، ولم أسمع ؛ لأن الكلام طول الطريق دار بيني وبينها .. نزلوا في وسط الطريق في منطقة المطاعم والأسواق .. يبدو أنها سيطرت عليه

فضحك أبو نوح وقال : هو أزعر بن أزعر .. خريج سجون يا صالح

ـ هو يا عم أبا نوح إذا نام الرجل أسبوعا واحدا عند الشرطة أصبح خريج سجون .. لو ضربنا ولدا بالسيارة لا سمح الله ربما نقعد أسبوعا أو أكثر في بيت الشرطة .

ـ سجن عن سجن يختلف .. يوسف عليه السلام قضى بضع سنين في سجن عزيز مصر .

شجار

يعلم قارؤنا الفاضل مما سطر في صفحات سابقة أن فريدا وناجحا شقيقه يسكنان في حجرة فوق بيتهم وطابقهم الأرضي ، وقد ورثاها عن شقيقيهما الكبيرين صالح وجابر ، استيقظ فريد صباحا على صوت صراخ عال قريبا من بيتهم ، صوت يملأ الحي أو منطقتهم بالذات ، ونهض من نومه جافلا منزعجا ، فرأى ناجحا يقف إلى النافذة يشاهد الشارع ، فالتفت إليه ناجح وقال : صحوت ! .. شجار مع صاحبك فراس .

انزعج لوصف فراس بصاحبه وقال بضيق : ومن أين أتت الصحبة ؟ هو جار لا أكثر .. ولماذا هذا الصياح ؟

ـ مثلك صحوت على صوت عال ، فوقفت هنا ، فرأيت أخوة (فاتن) يحاولون ضرب فراس على الريق .. وارتفع صراخهم وتهديدهم .. يظهر أن أحدهم رفع عليه سكينا.. فصرخت أمه لمنعه ، وفراس يصيح أنا لا أعرف أين ذهبت ابنتكم العاهرة؟ فرد عليه أحدهم آخر مرة خرجت من بيتك سكرانة يا نذل .. فحمل فراس عصا ، وهجم عليه فاشتد الصراع والصراخ وتكاثر أهل الحي .

قام فريد وسار نحو النافذة حيث أزاح له شقيقه فسحة لينظر للشارع وتجمهر الناس ، وبعضهم يفرق ويحجز بين المتشاجرين ، وبعضهم تعصب لفراس .. فكبر الشجار ، وكثر التقافز بين المتشاجرين ، والصراخ يزيد ، وأخذ أحدهم السكين من شقيق الفتاة .. ثم حصل لكم ورفس وسب ، وعاد الفزيعة للتفريق بين الخصوم ، وسمعوا أحد رفاق فراس يصيح : ابنتكم لا تريد الزواج ممن اشتريتموه بالمال .. كل الناس تعلم لماذا هربت ؟ لا تريده .

فقذفه أحد أشقاء البنت الهاربة بحجر فجاء بصدره ، فصرخ ألما ووقع على الأرض ، فهجم بعض أصحابه على القاذف ولكمه بسرعة بعدة لكمات فطرحه أرضا ، واشتد الضرب والقفز على بعضهم البعض وأغلق بعضهم البيت على فراس وصاح أحدهم : الشرطة في الطريق لقد اتصل بهم أبو محمد

لم يكترث أحد لهذا النداء ، واستمر اللكم والمطاردة والسباب البذيء وصراخ النساء والبنات فقال فريد : يبدو أننا سنتأخر عن العمل اليوم بسبب هذه المعركة الصباحية .. ناس بقر .. هل حضرت أمك الشاي ؟

ـ أمك وأبوك يقفان أمام البيت يتفرجون مثلنا.. وكذلك يقف أهل البيوت يتفرجون مثلنا .. وأسطح المنازل انظر إليها عليها الصبايا والناس .. فِلم حي ..

أخرج فريد رأسه من الشباك ونظر لتحت فرأى أمه فقال : أمي أمي

فرفعت أمه رأسها لأعلى وقالت : الشاي جاهز .. انزل افطر أنت وناجحا .

نظر فريد لناجح وقال : أمك تعرف واجبها .. وهذه ليست أول معركة في الحي .. رغم كل المفاسد المنتشرة في حي أبو خروف ، لكن انطلق الفساد والشر منذ جاء هذا الفراس لعنه الله كله شر .. الفساد والشر شائع ومنتشر بين الشباب والكبار والصغار سكر زنا

فقال ناجح : غرائز وقد خرجت من عقالها .. فلتت .. الناس يتهاونون في التصدي لها .. ويغضون الطرف عنها .. فاستفحلت وشاعت ، عندما أذهب لشارع الغرام الشارع المعروف خلف مدرسة البنات التي في آخر حي النجمة أول حينا

ـ أعرفه وما أنا إلا ابن الحارة.. شارع طلاب المدارس.. كم زرته وتمشيت فيه قبل الوظيفة !

ـ عندما اذهب إليه لأرى سلمى أحس أنني في أحد شوارع باريس .. أغلب الفتيات والمراهقين يتسكعون فيه .. فصرنا نبتعد أكثر .. صويحابتك يترددن إلى هناك .. اللواتي حدثتني عنهن

ضحك فريد وقال : مراهقة ..أغلبهن تزوجن يا ناجح .. وبعضهن رحلن مع أسرهن .. ولكن كان حبي شريفا طاهرا

ـ ليتني أعرف ما هو الحب الشريف الطاهر .. شاب تعرف على فتاة وعمره خمس عشرة سنة أو ست عشرة سنة وهي مثله.. هل سيتزوجان ؟! ما هو لا يملك ثمن تذكرة سينما أو عشاء.. ثم البنات يكبرن بسرعة ، وأغلبهن يتزوجن قبل العشرين .. فلأول طارق يزوجها أهلها .. ما هو الحب الشريف يا ابن أبي صالح ؟

ـ الحب الشريف بكل اختصار يا أخي .. هو البعد عن الزنا .. قُبل .. مداعبات ذهاب إلى المطعم معا أو سينما رسائل .. أشرطة .. ورد .

ـ هذا هو الحب الشريف .. قاتل الله الجهل .. الشاي أكيد عاد ماء !



ينتهي عمل ناجح عصر كل يوم عمل .. لا يعود للبيت مباشرة ، إنما يدع أخواله الذين يعمل معهم متجها لوسط المدينة حيث المطاعم الزرقاء ، وأخذ يتمشى أمام هذه المطاعم المشهورة في وسط المدينة ؛ لأنه على موعد ؛ وكأنه لم يكن أول موعد فنظر لساعته ، وهو يتلفت في جميع الاتجاهات ، فلما صافحته قال : تأخرت يا زهرة !

ابتسمت له ورفعت شعرها عن صفحة وجهها : المواصلات .. كيف حالك ؟

ـ مشتاق .. هيا ندخل المطعم.. اليوم تركت الأكل مع العمال لآكل معك قبل الذهاب للسينما سمعت أن فلما رائعا يعرض في تلك الصالة

ـ نعم ، قرأت عنه في الجريدة .. وهذه المرة الحفلة على حسابي

ضحك وقال معاتبا : أليس هذا عيبا في تقاليد العشاق ؟

دخلا المطعم وصعدا للطابق الثاني حيث تجلس عادة العائلات في هذا المطعم الأزرق ، وجلسا إلى مائدة خالية ونظيفة فأقبل نحوهما لما استراحا للحظات عامل الخدمة فطلبا دجاجا مشويا على الفحم ، وبعض السلطات ، وطبقا من الأرز ، وعلبتي عصير البرتقال .

ولما ابتعد عامل الخدمة قال لزهرة : الحلوى في مطعم آخر .. فهزت رأسها بالموافقة فتابع .. أهلا وسهلا هل تابعت الحفلة اليوم ؟

نظرت إليه بدهشة ، ولم تفطن لم يشير إليه فهمست : أي حفلة ؟!

ضحك وتمتم : حفلة جارنا العزيز فراس وأبناء ...

ضحكت هي الأخرى وقالت : قصدك معركة الفجر .. مهزلة .. وصلنا خبرها .
ـ فعلا مهزلة ومسخرة .. الفساد في حارتنا زاد
ـ الفقر زاد ، والمخدرات زادت
وضع الطعام على المائدة فقال لها : تفضلي يا عزيزتي ..الواحد من سكان الحي قبل أن ينهي المدرسة أصبح عربيدا وخبيرا في شرب الخمر والدخان ..وبعضهم الحشيش
ـ وماذا كانت نهاية المعركة ؟
ـ لا شيء.. حتى الشرطة لم تأت.. أخذوا المصابين في سيارات خاصة للمشافي .. واستمر التهديد والوعيد .. والمؤسف حقا أن بعض أبناء الحي وقفوا مع المدعو فراس .. وفراس ادخلوه بيته وألزموه بالبقاء فيه حتى تهدأ المعركة .. بعدما دخل بعضهم وفتش دار فراس ، وأكد هؤلاء لأهل البنت أن لا أحد مختبئ في بيت الرجل .. وإنما هي هربت من الزواج ممن يريدون فرضه عليها .. وهل هذا حب يا زهرة ؟!
ـ الجنس حب! .. هذا زواج .. أنا لا أدري كيف تسلم فتاة نفسها لشاب بدون عقد زواج ؟! غلطة واحدة يتبعها غلطات .. عندما تستسلم الأنثى لصاحبها فماذا بقي بينهم ؟ .. شهر شهران ثم يبحث عن غيرها .. فهو سيتوهم أنها سلمت نفسها وبدنها لغيره وغيره ..ولما يهجرها بالتأكيد ستبحث عن عاشق جديد .. الحب الصحيح هو مثل حبنا .. نظر .. قبل.. حفلة سينما أو مسرحية.. مسك يد ..مداعبة بريئة.. طعام.. رحلة .. ثم زواج
كانوا يتكلمون ويأكلون فقال : زواج .. وهل ينتظر أهلك لنتزوج؟ .. إنهم عند أول طارق سيزوجونك .. وتنسين الحب وناجحا .. ما سمعنا في أبو خروف عاشقا تزوج من معشوقته
ابتسمت وقالت : فليبق الأمل في قلوبنا .. ونعيش هذه الصداقة والأيام التي قد لا تعود .. مشكلة الشباب العاشق أنهم لا يستطيعون الزواج وتكاليفه المادية .. والزواج غير الحب .. لقاء مع فتاة لا يكلف كثيرا كما يكلف فتح بيت .. العشاق الصغار لا مال ولا ثروة ولا عمل .. والسن متقارب يا ناجح الغالي .. والأهل يرفضون مثل هذا الزواج .. ويعتبرونه لعب أطفال

ومراهقين .. والأهل يا حبيبي لا يصبرون حتى يصبح العاشق قادرا على تحمل المسؤولية خشية أن تضيع الفرصة على الأنثى .. وأنا ليس أمامي لأعطيك فرصة إما أن نتزوج بأقرب وقت أو أدرس جامعة أربع سنوات ..

ـ وعندما تحملين شهادة الجامعة .. هل يقبل أبوك العزيز ناجحا البناء عريسا لابنته ؟

ـ ولماذا لا يقبل ؟ أنت موظف في شركة تعهدات كبيرة .. ومعك ثانوية عامة .. عندما تجمع مالك سيقبل أبي وأمي وعمي وخالي .. أما إذا جئت فارغا فلن ترى وجهي ؟

ـ أين الحب ؟

ـ ماذا أفعل حينئذ؟! .. أنهرب كما هربت ... ؟! إلى أين المصير بعد الهرب ؟

ـ لنحيا ساعات الحب هذه .. وندع الفكر الأسود .. وقبض على يدها وهو يقوم ويقول : هيا هيا إلى صندوق الحساب .

دفع الشاب ثمن الطعام والشراب ، ولما أصبحا خارج المطعم قال : عندما نخرج من السينما يا أحلى حبيبة سنتناول أحلى حلوى في المدينة .. هيا اقترب موعد الفلم . وأمسك بيدها كعادة العشاق ومشيا نحو دار السينما ، وعندما عاد من حجز التذاكر رأى زهرة تتحدث مع شاب ، وكانت هي تشير له بالابتعاد ولم يفهم قصدها واشارتها ، فاقترب وقال : من هذا ؟

تطلع فيه الشاب غضبا وقال : من هذا ؟! أنا ابن خالها ومن أنت ؟

لزم ناجح الصمت وقد رأى الرعب على وجه فتاته ، وفطن للتغير الذي رآه أثناء عودته فقال ابن خال الفتاة : من هذا يا زهرة ؟

فقالت بصراحة : صديقي .

فبحلق ابن خالها في وجهها وصاح حنقا : أوه صديقك !

وقبل أي تفكير صفعها على وجهها صفعة لفتت أنظار الناس إليهم ، وقبل أن ينتبه ويستوعب ناجح ما حدث جاءته صفعة أخرى على وجه ، ودفعة أوقعته أرضا يتألم غضبا ، ونهض قائما ، وتماسك الشابان يلكمان بعضهما ، والتم الناس حولهما ، وقد ابتعدت زهرة عن المعركة بعد

الصفعة التي تلقتها على وجهها ، وكانت الدموع تنهمر من عينيها كالمطر وتقول لنفسها لماذا لم نولد في أوروبا ؟!

ولما استطاع الناس حجزهما عن بعض ، مشى إليها ابن خالها وقال بنبرة حادة ساخطة : هيا يا ابنة عمتي .. هذا نتيجة دلع البنات والسماح لهن بالخروج من البيوت بعد المدرسة .. هذه آخرة ترك الحبل للنسوان .. هذا صديقك .. صار لك أصدقاء تمشين معهم في وسط الشوارع وأمام دور السينما .. سيموت صديقك .

فصاحت في وجهه وقد أعماها الغضب والقهر : انصرف يا نذل .. لو كنت شجاعا ما عملت لي هذه الفضيحة .. واحد نذل وماذا تفعل أنت على باب السينما ؟!.. اغرب عن وجهي قبل أن ألم الناس عليك يا نذل !

وتركته واتجهت نحو ناجح الذي كان يرقبهما بغضب وثورة وقالت : أنا آسفة .. كنت أريد تجنيبك هذا الموقف .. لكنك لم تفهم إشاراتي .. ربما الغيرة هيجتك .

ـ لا ، لم انتبه .. ظننت أن أحدهم يسألك شيئا عابرا

ـ هيا ندخل ألم تقطع تذاكر الحفلة ؟

ـ نعم، أنا آسف أيضا يا زهرة .. ندخل ؟

ـ نعم ، سندخل وليفعل ما يشاء النذل .. سنحضر الفلم أين التذاكر ؟

اخرج التذاكر من جيب قميصه فقالت : يهدد بقتلك الجبان

ـ هل نتزوج ؟

ضحكت وهما يدخلان باب دار العرض وقالت : بطل !!

سرقة

بعد أيام من حادث باب السينما التقى فريد بشقيقه ناجح فقال له متهكما: ويلك ما الذي حدث لك يا ولد ؟ في المقهى كانت ريحتك فايحة .. ضربك قريب أبي فواز لأنه رآك أمام السينما مع بنت عمته .

ـ هو يضربني ! .. أنا أضرب عشرة مثله ، هو غدر بي في أول ضربة بس ، ثم مسحت فيه الأرض ودخلنا السينما رغم أنفه .

ـ هل قابلتها بعد تلك الليلة ؟

ـ لا ، علمت أنها محبوسة في البيت ، وتعرضت لأذى شديد

ـ ممن عرفت ؟

ـ من البنات من أختها الصغرى

ـ أرى أن تبحث لك عن جو آخر

قهقهة ناجح وقال : موجود الجو يا حبيبي .. هي كانت تخرج معي في الأسبوع يوما واحدا .. بس هي أحسن فتاة التقيت بها .. كنت أتمنى لو أتزوجها .

ـ وما يمنعك من الزواج منها ؟!

ـ أنت في طريقي .

ـ أنا في طريقك لأني أكبر منك سنا .. إذا معك فلوس يا بطل تزوج فورا .. أنا لست في طريقك أنا لحتى الآن لم أجد الأنثى التي تقر عيني بها .. فتيات اليوم يردن ملابس كثيرة صالونات تجميل يوميا .. على كل حال كان أبوها في المقهى يشكوك للعم أبي صالح .. وسبك أبو صالح وسب أمك لما شبع .. وطلب منه أن تبتعد عن طريقها حتى تعود للمدرسة ، ولا تضيع عليها الدراسة

ـ أنا لا أذهب لها عند المدرسة والطريق مفتوحة .. كنا نلتقي بوسط المدينة .. وأنا كتبت لها رسالة أن تنساني إن استطاعت .. يا رجل صديقتي أسمهان رآني أبوها معها وتظاهر بأنه لم يرنا

فضحك فريد وقال : أسمهان لا تدرس ، تتعلم الخياطة .. فأبوها ينتظر العريس بفارغ الصبر

ليزوجها ويخلص منها .. ربما غرمت بعشر قبلك .. من أجل هذا غرش عنك

حك ناجح ذقنه وسكت للحظات ثم قال : بالك لهذا السبب سوّى نفسه أعمى وأدار رأسه عنا .. حتى هي لم تكترث .. عريس عريس الهنا .. جميل .. ألف جميل .. جن أبو أسمهان .. أنا أتزوج أسمهان! .. ربما أنا العاشر كما قلت .. هي لها يوم الأحد من كل أسبوع .. نتعشى في المدينة ، ونتمشى في شوارعها وأحيانا شوارع الضواحي مع حبات الترمس الأصفر والفستق والعصير ، وينتهي الحفل بأحلام وخيالات .. زواج حقيقي لم نفكر فيه بعد يا عم فريد .. وأخوها مروان شيخ العشاق .. في حي أبو خروف كذا مرة لقطته مع فتيات المدارس .. هو يفكر أن لا أحد معه سيارة إلا هو .

ـ هو أوقح إنسان عرفته ؛ ولكن كيف تقبل الفتيات المشي معه؟! .. على كل حال جهز نفسك لحفلة صاخبة من العم أبي صالح ، فلقد تعهد لأبي فواز أن يربيك من جديد ، وكيف لا تحافظ على عرض جيرانك ؟ فنحن لنا عرض فالذي يحافظ على عرض الجيران يحافظ على عرضه

قال: إنها تزعم أنني حبها الأول والأخير .. وتكتب أجمل الكلمات .. كلمات الحب .. وتبعث لي بأشرطة الحب الأغاني الجميلة .. أغاني الحب .. لماذا لا يمتع الإنسان نفسه منهنّ قبل أن يصير رب أسرة وأولاد وزوجة؟ .. الحياة صغيرة يا فريد .. سمحت لي بالزواج قبلك .

قال فريد : من الصبح .. اخرج مالك من تحت البلاطة وتزوج .. كم ألف معك ؟

ـ ولا ألف

قال متشككا : كله على البنات

ـ لا ليس كله .. كل أسبوع بنطلون وقميصه .. وكل شهر أو شهر ونصف حذاء .. الطعام الدخان بعض الخمر .

ـ أنت وعدت بترك الخمر

ـ لم يستيقظ ضميري بعد .. قبل أيام قابلت الشيخ خالدا، فقال لي يا ناجح متى ستصير ناجحا؟ فضحكت فقال المسجد مكان جميل خاصة للشاب لعلي أرى أحدا من أبناء أبي صالح فيه ..

يداوم على الصلاة .. رأيت فريدا يوما على صلاة الفجر .. ففرحت له وقلت بزغ الإيمان أخيرا في بيت أبي صالح الذي يعبد أوراق اللعب أكثر من عبادة الرب .. قلت له الله يهدينا يا سيدي الشيخ .. ما أخبارك ؟ فقال أنا قاض صغير في محكمة شرعية أنهى الماجستير ويشتغل بالدكتوراه

ـ هذا احتمال أن نراه وزيرا في يوم من الأيام .. وزير أوقاف!



استيقظت أسرة أبي صالح على صياح وطرق شديد على بوابة البيت وذلك بعد صلاة الفجر ، وكان الطارق ينادي بصوت مرتفع : أبا صالح يا أبا صالح .. افتح أنا روحي الفران .

نهضت بسيمة أم فريد وقد ركبها الفزع والخوف ، ومشت للباب الخارجي وهي تقول بصوت عال والنوم غالب عليها : يا عم روحي الدنيا ليل ..

فرد عليه بصوته الصاخب : الدنيا الظهر .. زمان صلينا الفجر ..أين المعلم كمال أبو صالح ؟

ـ نائم

ـ نائم ..أيقظيه ، الدكان أصبحت مسروقة .. الحرامية كسروا أقفال الدكان .. وأنا أضع الخبز على طاولة أمام الدكان رأيت قفلا مطروحا على الأرض .. والباب مفتوح للأعلى قليلا .. قلت الحرامية سرقوا أبا صالح .. أيقظيه فورا

وكان أبو صالح بدوره قد استيقظ على صوت روحي الفران موزع الخبز .. ولما سمع الرجل يتحدث بصوته العالي عن سرقة نهض مسرعا وسمع آخر الكلام وصاح بغضب : ماذا قلت يا روحي ؟

ـ أسرع يا أبا صالح الدكان مفتوحة .. الأقفال مكسورة .. أحدهم سرق بقالتك .

هرع أبو صالح وفريد وناجح نحو الدكان الذي يقع على الشارع الرئيس ، وطول الطريق يولول أبو صالح ويصرخ : أين الشرطة ؟ أين الدورية ؟ أين الخفير الذي يأخذ كل شهر نصف

دينار من كل محل لحراسة وحماية الدكان .. أين ..؟

وجدت الدكان مكسورة الأقفال ومفتوحة الباب ، ووجدوا صندوق الغلة نظيفا ، وهي بعض الفكة التي يتركونها عادة للاستعمال ، فأغلب الأموال يأخذها معه أبو صالح وهو منصرف للمقهى ، ثم عندما يغلق جابر الدكان بعد صلاة العشاء بساعة أو نصفها ـ وذلك يرجع للطقس ، والنظام الإداري الحاكم والمنظم للإغلاق والفتح للمحلات والمتاجر .. ـ يمر جابر على الوالد ويعطيه باقي المال ، ولما يسلمه جابر المال يدفع له ثمن عمله ..

حضرت الشرطة وعاينت مسرح الحادث وطريقة سرقة الدكان وقال أحد الضباط : ماذا سرقوا منك يا أبا صالح ؟

ـ كل صناديق السجاير .. والمرتديلا .. وبعض المعلبات من الجبنة والفول والحمص والبازيلاء

قال الشرطي: سجل المسروقات بقائمة ، وعندما يقبض على اللص سيرد لك كل شيء .. فالسرقة حادث يومي متكرر بالنسبة لنا .. وهذا شغل مراهقين عاطلين عن العمل .

فقال شرطي آخر : أتشك في أحد يا أبا صالح ؟

فصاح أبو صالح : أشك ! .. أشك في كل الناس .. هذه الأيام مشاكلنا كثيرة .

فقال الضابط : أتتهم شخصا أو أشخاصا معينين ما دامت مشاكلك كثيرة ؟

ـ هي مشاكل نسوان .. مع السلامة يا عمي ، عندما تقبضون على الحرامي الله يفرجها .

ـ هذه إحدى وظائفنا .. القبض على المجرمين والسارقين .. والسجن ما زال فيه وسع للصوص إذا كنت تتهم أحدا تتعجل برد أموالك

ـ لا يا عمي.. أنا لا أتهم أحدا .. حرام

لما اختفى رجال الشرطة قال أبو صالح متندرا : لصنا جوعان .. سطى على الأطعمة .. فقد أخذ زجاجة بيبسي ، وأخذ ما تبقى من الخبز ، ثم كوش على علب الدخان يبدو أنه يدخن من جميع الأصناف ..

فقال فريد : لا يا أبي يبيعها .. يدخن بعضها ويبيع أكثرها .. لأنه سيسرق مرة ومرة .. السرقة

وظيفة اللصوص .. كم كرتونة سجاير سرق ؟

ـ كان لدينا ثلاث ماركات حوالي عشر .. الله يهلكه ويموت منها .



كان فريد يستعد للانصراف من المقهى عند انتهاء دور اللعب الذي يلعبه ، فهمس جرسون المقهى في أذنه هناك سيد ينتظرك في الخارج

ـ ألم يقل اسمه ؟

ـ بلى ، اسمه فراس

ـ فراس ، من فراس ؟ جارنا يا ترى ؟! قل له ينتظر الدور في أخره يا معلم سليم .

وبعد انتهاء الدور دفع فريد ما عليه من مبالغ لرفاق اللعب وقال ماذا يريد فراس أفندي ؟!.. ولماذا لم يدخل المقهى ؟ .. تصبحون على خير يا شباب ؟ وغادر المقهى فوجد فراسا يدخن تحت شجرة من أشجار الرصيف فالتفت إليه مناديا وهو يمشي إليه : مرحبا فراس .. لماذا لم تدخل ؟

ـ لا أحب هذا المقهى السيئ الذكر .. لي يومان متغيب عن الحي .. وفوجئت عصر اليوم عندما وصلت بسماع خبر سرقة دكان الوالد .. فانزعجت لما حدث للعم أبي صالح .. فجئت اسأل ما دام الأخ فريد هجرنا بلا سبب بين .

ـ معذرة يا أخ فراس .. أنا قضايا النساء قلت لك قديما لا أحبها .. فلما تيقنت أن النساء الفاسدات تتردد عليك فضلت الانسحاب والابتعاد

ضحك فراس وقال : عجيب أمرك! .. الذي يسمعك يظن أنك غير صياد للنساء

ـ صياد نساء لكن خارج الحي

ـ وما الفرق كلهن نساء ..؟

ـ وأنا مرة رأيت مزيود تخرج من بيتك ، وأنا منصرف من المقهى .. فظننتها مع عسود صاحبك

وبعدها بأيام ركبت أنت وإياها في سيارة صالح

ـ صدق من غير يمين أنها كانت مع عسود ولما رآنا صالح كنت ذاهبا بها إليه .. وهي امرأة كما تعلم غير سوية .. وقد تكون مريضة بالسفلس كما أسمع .. المهم دعنا منها ومن عسود ..جئت أعرف ما الذي جرى للعم أبي صالح .. أرجو أن لا تكون خسارته كبيرة ؟ وماذا فعلت الشرطة

ـ هل أنت عائد للبيت لنتحدث في الطريق ؟

ومشيا باتجاه مربعهم في حي أبو خروف قال فريد : الخباز روحي يأتي مع الفجر ، ويضع بعض أربطة الخبز أمام المحلات على الطاولات التي تظل خارج الدكان التي تصفف عليها صناديق الخضار والفواكه .. فوجد القفل على الأرض .. والباب نصف فتحة .. فأدرك على الفور أن المحل تعرض لسطو .. ففزع إلينا وجاءت الشرطة وحصرنا المسروقات ، ويبدو أن اللص لص جوعان وعطشان وحشاش .. حتى أنه أكل داخل المحل قبل أن يأخذ ما أخذ .. وأخذ الفكة لأننا لم نبق شيئا في المحل .. والشرطة تطارد عمنا اللص .. وأنا اشكر اهتمامك بنا .. وإذا اختفت سيرة النسوان اللواتي يترددن على بيتك ستعود الصداقة إلى ما كانت عليه.. قضايا النساء تثير الخوف .. وقبل فترة رأيت أهل البنت الهاربة ماذا فعلوا في الحي ؟ .. مع معرفتهم أن ابنتهم فاسدة .. صاروا أشرافا ..وربما قد سمعت بحكاية ناجح وابنة أبي فواز

هز فراس رأسه وقال : اخبرني بها الزوار .. قالوا تعرض للرفس والصفع أمام السينما .. البنت كانت جدعة ووقفت معه .. وساقته للحفلة رغم أنف ابن خالها .. هذه بطلة وشجاعة

ضحك فريد وقال : والله ما ادري ما هي الشجاعة التي تتحدث عنها؟! .. هل إذا رأيت البنت تتسكع في الشوارع ليلا تكون شجاعة ؟! هذه نذالة وقلة تربية .

أخت ناجح

جلست مجموعة العواجيز في زاوية المقهى المعتادة لهم ، فهم منذ سنوات يتفيؤون تلك الزاوية من المقهى ، ربما منذ أنشئت تلك المقهى .. بدأ اللعب بين أربعة منهم ، وأخذ الثلاثة بالفرجة على اللعب ، واشتغل نقل القصص والأنباء، قال سلمان : آ ، يا أبا صالح ، هل قبضت الشرطة على الحرامي الذي اعتدى على دكانك ؟

تنحنح أبو صالح وترك الورق على الطاولة واستدار لسلمان وقال عشم إبليس في الجنة .. أتسمع بهذا المثل ؟

ضحكوا وقال أحدهم : كلنا يسمعه ويعرفه.

وقال آخر : أنت لا أمل عندك في عودة ما سرق .

فقال أبو نوح : عمري ما سمعت أن أحدا سرق طعاما ودخانا وأعاده .. فهي قد دخلت البطون وربما خرج أكثرها .

فضحكوا قليلا وقال أبو صالح : معك حق .. والعجيب والغريب كما يقول جابر إن الرجل سرق دفتر الديون .. دفتر الديون اختفى ..

فصاح أحدهم : هذا لص مديون لك

ضحك أبو صالح وقال : ربع أو ثلث الحي مديون لي .. بعضهم خمسة دنانير .. بعضهم عشرة دنانير .. بعضهم خمسون دينارا

ـ كيف ستعرف ديون الناس آخر الشهر ؟ وآخر الشهر على الأبواب يا صاحب الدكان ؟!

فأجاب كمال نزو : سأترك الأمر لضمائر الناس .. وضحك

رفع ورقه عن الطاولة وعاد اللعب فقال نعمان مداعبا : أبو صالح يظن نفسه في زمن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وعن كل الصحابة .. أين الضمير ؟

فسخر أحدهم وقال : لعله ضمير قواعد اللغة العربية .. أيام المدرسة أذكر كانوا يعلموننا ضمير الرفع والنصب والمتصل والمنفصل والظاهر والمخفي .

فعلق سلمان : ما شاء الله! .. تصلح لتعلمنا قواعد العربية ..

ـ كنت أشطر طالب في اللغة العربية .. لا تنسى يا سلمان أن تعليم أيام زمان أقوى من تعليم هذا الزمن .. اللغة أصبحت معقدة عند الطلبة .. كرهوها لهم

فقال أبو أحمد : يا رجل لا يحسنون الكتابة ..خرابيش دجاج كما يقال .. أخي الأستاذ المعروف لكم أبو حمزة .. يقول عندما نصلح أوراق التلاميذ نحتاج لوقت ونحن نترجم الخط .. تظن نفسك تقرأ لغة صينية أو هندية .. رسم ..

فقال أبو صالح : لغة عربية .. لغة صينية .. ليس أمامنا لتحصيل حقوقنا إلا الضمير الذي في وجدان الإنسان .. سواء ضمير الدين ضمير العربية

قال أبو سلمى غانم : أبو صالح بعد سرقة الدكان أصبح يجيد الظرافة والمزح .. يبدو أن اللص حسن أفكار أبي صالح .. أمس صلى العشاء معنا ، وطول الصلاة وأنا مشغول مع إبليس اللعين لماذا صلى أبو صالح العشاء؟ .. لا ميت في المسجد ليصلي عليه .. وفي النهاية قلت .. لعله تاب والعصر لم أره .. يدخل الجامع إلا إذا صلى في دكانه أو في الطريق

ضحك القوم ، وقال أبو احمد : وحدث لي ذلك يا أبا سلمى

وقال نعمان المحب للمزح : احتمال أن أبا صالح صار يصلي حتى يحمي الدكان من اللصوص بالتقوى .

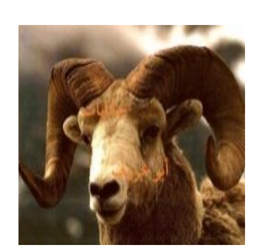
وقال سلمان : لعله بالصلاة يكشف عن السارق

فقال أبو صالح : أتريدون معرفة سر صلاتي العشاء ليلة أمس ؟ ذهبت لمراحيض الجامع ، ولما خرجت منها رآني شيخ الجامع أقف أمام دورة المياه فاستحييت منه فتوضأت ، وقد وقف يتحدث معي عن سرقة الدكان ويسألني عن الشيخ خالد غزي الذي بيني وبينه طرف قرابة ، فقلت له يا عمي الشيخ هو يجلس على كرسي القضاء في إحدى المحاكم المختصة بالزواج والطلاق .. قاض شرعي وطلب مني توصيل السلام إليه وقال لقد درسنا في كلية الشريعة معا فهذا الذي جعلني أصلي العشاء معكم ، ليشغل إبليس قلب أبي أحمد وأبي سلمى ويغفل القوم

عن صلاتهم .

فقال أبو أحمد ضاحكا : أنا ظننت أن الضربة أيقظتك من غفلتك ومن الدنيا .. الآخرة تحتاج للعمل .

ـ الله يهدني للصلاة .. العب يا ...



عرفنا أن ناجحا بعد مغادرته وظيفته في شركة مقاولات ينصرف لوسط المدينة حيث يلتقي بصديقاته ، وبينما هو يتمشى في شارع من شوارع المدينة الصاخبة التقى بشاب من حيه ويعرفه حق المعرفة ، وبعد السلام والترحيب قال الشاب سلمي : أحد رفاقي شاهد أختك فريدة تتمشى مع شاب هامل .

نظر إليه ناجح متشككا: أمتأكد أنها أختي يا سلمي ؟

ـ هو قال لي ذلك ، وهو متأكد سألته نفس سؤالك .

قال : من أجل هذا عندما رأيتني قبل يوم أخبرتني أنك تريدني بأمر خطير؟!.. صاحبك رأى شقيقتي مع شاب هامل في قلب المدينة هذه ؟!

ـ أجل ولما سألته كيف عرفتها ؟ وأنها أخت صاحبي ناجح .. قهقهة وقال عيب يا سلمي .. نحن أبناء منطقة واحدة .. فأعرف كل بنات حيكم .. وذهبت للشوارع التي حول مدارس الإناث عشرات المرات .. وأنا أعرفها وأعرف أهلها وهي تعرفني .. ولما حدقت إليها النظر أدارت وجهها ، وقالت للشاب أسرع هكذا فهمت وفعلا أسرعا .

فقال ناجح بغضب مكتوم : والشاب قال لك كل ذلك.. وهل عرفتم الشاب الساقط ؟

ـ نعم ، يا ناجح .. هو شاب من نفس الحي .. وبيته في جبل حي أبو خروف .. خلف المسجد والمقهى .. قال لي صاحبي بعد ضغط عليه اسمه فادي

هزّ ناجح رأسه وقال بتوتر : لي صديق يحمل هذا الاسم في تلك النقطة من الحي .. فادي شيك

صاح سلمي : نعم هذا اسمه الكامل .. هو صديقك .

اهتز غضبا وسخطا : خائن ! ملعون .. أحد معارف المدرسة أيام المدرسة .. لم يجد إلا أختي ليصاحبها .. اللعين سوف يرى عاقبة الغدر والخيانة .

فقال سلمي بخبث : عليك أن تتأكد قبل فعل أي شيء

فقال ناجح : أتأكد ! .. ألم تقل لي قبل لحظات أن صاحبك يعرفه ويعرف اسمه ويعرف أختي اللعينة ؟

ـ ربما أخطأ أو بينه وبين شيك ضغينة وحقد

تطلع في عينيه وقال : جائز .. حسنا يا فريدة .. صرت تمشين مع الشباب وأنت في سنة الثانوية العامة .. تريد أن تدرس في الجامعة كما تطلب من أبي .. شكرا يا سلمي أرجو أن تسمع أخبارا سارة عن فادي شيك ، وأخذ يقذفه بالسباب والشتائم حتى نفس عن نفسه أمام سلمي الذي قال : أين ستذهب بعد أن كشفت لك السر ؟.. أنا فعلت ذلك لأنك عزيز عليّ يا ناجح ..حتى يرتاح ضميري نحوك .. لا تزعل مني .

ـ ابدأ ، أنا شاكر لك هذه الشهامة .. سأعود للبيت مع السلامة .

ابتعد سلمي وهو يبتسم من أعماق فؤاده ، قضى على غرور ناجح الذي يزعم أمامهم أن لكل يوم عنده حبيبة .. يقضي معها ساعات المساء ، وابتعد ناجح وهو يقول بسخط : يا ويلك يا سلمي إن كنت كاذبا بهذا الخبر !.. قبل سنة كانت أخته إحدى صديقاتي .. قبل أن تتزوج .. وهي التي قالت لي إن سلميا رآنا أكثر من مرة .. هل ينتقم مني اللعين بهذه القصة ؟! ..أو ليست فريدة أنثى في حارة فاسدة ؟! وأسرة فاسدة .. ماذا أفعل عندما تأتي سمر؟.. نتعشى اليوم فقط ونعود .. الحجج كثيرة .. وسأراقب فريدة .. يا ويلك يا سلمي إن كنت ماكرا مخادعا منتقما

استقبل سمر والغضب يخيم على وجهه وتصافحا وقالت : أين الابتسامة الحلوة التي ترسمها

على وجهك عندما تراني ؟

فرد بحزن : تعبان .. سنتعشى يا سمر العزيزة وسأعود للبيت .. لا سينما الليلة .. أين صاحبتك التي قلت سترافقنا في هذا المساء ؟

ـ نوال جاء صديقها وانصرفت معه

ـ كم صديق لها ؟

ـ هي تعترف باثنين ، وأنا أظن أنهم على عدد الأسبوع .. إنها تأمل أن تكسب أحدهم في النهاية ويتزوجان ، واحد سيكون زوجها الشرعي

ـ لماذا يحب الشباب الزواج ؟ أليس أن نبقى هكذا أحسن ؟! .. المرأة مريضة .. المرأة حامل .. المرأة ولدت .. المرأة مرضع

ضحكت وقالت : هذه هي الحياة بالنسبة للمرأة .



أصابته الحيرة في الطريقة التي عليه أن يتبعها للتأكد مما أوحى له سلمي نحو شقيقته الوحيدة فريدة ، وللهروب من تبعات ما ألقي إليه يردد قائلا أليست هي كباقي عالم حواء ؟ لها قلب وعواطف ..لازم أن تحب البنت قبل الزواج وهل يلزمنا أن نحب ونعشق قبل تكوين أسرة ؟ فساد في فساد ، لماذا لا يقبل الشاب لنفسه ما يقبله للآخرين ؟ .. عندما اعتدى عليّ قريب زهرة غضبت وثرت .. ولم أرضى تدخله في شأننا .. وسررت بموقفها معي .. ضد ابن خالها .

أخذ يفكر ويتذكر ذلك اليوم الذي صفعه ابن خال فتاته زهرة .. ثم المشاجرة الحادة بينهما .. وبعد حين عاد يهمس في جنبات بدنه: كيف سأكشف الطابق ؟ هل أفتش غرفتها وانحرافها وهل تكفي الرسالة لإدانتها ؟ وإذا واجهتني وقالت ما عدد الفتيات التي تسهر معهن في شوارع المدينة؟! بماذا سأرد عليها أمام العائلة ؟ سأضربها كفا أو لكمة .. هل أشرك فريدا بالموضوع

ليتحمل المسؤولية مثلي ؟ أم أعالج المشكلة بمفردي ؟..هل أترك العمل أياما لمراقبتها ؟ أم أذهب لفادي وأواجهه بما سمعت عنه ؟ واجبره على خطبتها حسب الأصول .. وهل فادي يحب فريدة حقا ؟ أم عابث بها ..أليس له فتيات مثلي ؟.. ولماذا تغار؟ وأنت تزعم حب عدد من البنات ؟ أتغار على محبوباتك ؟ يا الهي لم أفكر بمثل هذه الورطة من قبل! .. وهل بناتنا ملائكة ؟ والله كبرت يا فريدة .. لابد من اقتحام غرفتها بحجة البحث عن شيء .. عن ماذا ؟ وهل ستترك المحروسة رسائلها أمامي ؟ لابد أن أحاول .. حسن وإذا وجدت رسائل الغرام والهيام ماذا ستفعل يا جبان ؟! الأفضل أن تغض الطرف كأنك لم تسمع بشيء .. هذا سلمي خبيث حاقد .. النمس لم ينس قصة حبي لشقيقته قبل سنوات قبل زواجها .. كانت إحدى حبيباتي .. وأخذ يتخيل قصة حبه لشقيقة سلمي بضع دقائق ، ويتذكر لقاءاتهما وحبهما الموهوم ثم قال : سمعت أنها ولدت ، أضحت أما .. ليتني أراها وأرى زوجها السعيد بها .. ولماذا أتمنى ذلك ولماذا ؟! وردد قائلا: الذي يتطلع على عورات الناس تتطلع الناس على عوراته .. أليس هناك شعر قرأته بهذا المعنى ..؟

لسانك لا تذكر به عورة امرئ فكلك عورات وللناس ألسن

وعيناك إن أبدت إليك معايباً فدعها وقل يا عين للناس أعين

هل سأخبر فريدا وأبا صالح بقصة عشق أختنا ؟ .. فادي شيك يغدر بي هل له أخوات ؟ أذكر أن له أختا فاتنة .. ولكنها تزوجت .. وله أخوات صغيرات ، سيكبرن .. وأنا لهن بالمرصاد أي مرصاد ؟ ستظل عازبا حتى يكبرن .. قد يكون فادي غير عالم بأنها شقيقتي أم هو يريد الانتقام مني .. لقد صاحبت بنت خالته شهرا من الزمان .. ثم بصقت على وجهي .. عندما انحنيت لتقبيلها .. قاتلها الله .. ما هو الحب ؟ هل ما نحن فيه يعتبر حبا ؟ هذا ما هو حب .. إنه عبث لهو تسلية .. كما قال أحد الزملاء نقلا عن مدرس .. قال معيبا علينا هذا الشغف بملاحقة المراهقات هذه علاقات مراهقون زائفة واعتبرنا سخفاء جهال ، وحدث عن حب قيس وليلى وعنتر وعبلة وغيرهم ، وذكر له أحدهم حب امرؤ القيس شاعر المعلقات السبع .. فاطمة

وعنيزة .. وغيرهن .. ألم يكن حبّيب مثلنا ؟ .. نسي أستاذنا حب عمر بن أبي ربيعة شاعر بني أمية المخزومي .. نسي حب أبي نواس شاعر العصر العباسي .. النماذج التي تمثلنا كثيرة وكثيرة .. وفريدة من أي طائفة حبها لفادي شيك ؟.. قد يخطبها إني أعرف أنه شاب جاد إنه فاسد .. كيف أحبها ؟ ولماذا فريدة ؟ وأين رآها ؟ ربما عن طريق فتاة راسلها .. فقد سمعت أنه كاتب رسائل حب وغرام لا مثيل له .. فبعض الشباب يستفيد من موهبته في كتابة الرسائل لمعشوقاتهم .



حيرة

اضطر ناجح كمال إلى إلغاء كل مواعيده الغرامية النسائية المسائية ، ويرجع للبيت عند انتهاء الدوام عصرا ، مما لفت نظر فريد الذي كان لا يراه إلا عند نصف الليل يدخل البيت مع رجعته من المقهى الشعبي ، فيجده يكمل سهراته على التلفزيون ، وأحيانا يراه عند الاستيقاظ في الصباح للاستعداد للانطلاق للعمل ، وكذلك أيام العطل الرسمية وغير الرسمية ، فلما أخذ يراه عصرا ومغربا ولمدة ثلاثة أيام فقال : يا ولد لم تعد تسهر مع الصبايا والأفلام .. صرت تعود مبكرا .

ابتسم وقال : ما انتبه لذلك إلا أنت !

ـ لأنني شريكك في هذه الحجرة .. الجو ملوث عندك هذه الأيام .

ـ جدا جدا .. أوقفت سهراتي النسائية .. توفيرا للمال ..هناك مشكلة تؤرقني هل عندك وقت لسماعها؟ .. إنني أراك تتجهز للخروج ..أم إلى المقهى ؟

قال: مشوار لصديق يسعى لتزويجي من أخته لأكف عن البصبصة والتلصص والحب .

ـ يعني هذا أنك لم تر العروس أخت الصديق بعد !

ـ اليوم سأرى أخا العروس .. فهو تحدث معي من أيام في موضوع الزواج وقال بعدك تطارد المراهقات يا رجل .. لم تكبر .. صاحبنا مازن رآك تمشي مع فتاة عمرها ستة عشر عاما في حديقة النور .. فحزن عليّ وحدثني عن رغبته بمصاهرتي لأكبر .. سأحدثه عن ظروفي المادية الضعيفة فإذا وافق الهوى هواهم سنسعى لرؤية المدام .. ونرسل الأم والأخت .

فتمتم ناجح : الأخت ؟!

ـ أليس هكذا العادة ؟ ومعهم خالتي أم ريان أنت لك ثلاثة أيام تعود من الشغل للبيت لماذا ؟ هل تغير برنامجك الجزئي .. أم أن الفقر ضرب عليك ؟

قال متسخطا : أبدا .. هل عندك وقت للسماع ؟

ـ إذا القصة طويلة أجلها لصباح الغد .. لأنني بعد المشوار الخاص سأذهب لمقهى العم عزب

ـ المقهى .. ألا تتعبون من قعدة الكراسي الأثرية ؟
ـ تعودنا عليها .. السلام عليكم .. سأساعدك في حل المشكل قبل الخروج للعمل .. غدا صباحا ذكرني
ـ لعلي أفعل .. سلم على صاحبك الذي يرغب بمصاهرتك
هبط فريد الدرج ولحقته عيون ناجح حتى اختفى بدنه وصوت نعله ، ووقف بجوار النافدة فشاهد فراسا يقف أمام البيت مع شاب فقال لنفسه : هذا الوجه ليس غريبا عني .. من هو ؟ آ تذكرته هذا من حي (السعادنة) حضرت له معركة ضرب موسا وضُرب موس .. فها هو قد شفي منه وتعافى .. ما اسمه يا ناجح ؟ ينادى بالصرصور .. لماذا صار صرصورا ؟ لأن صوته يشبه نغمة صوت الصرصور .. ولماذا هو هنا ؟ هذه أول مرة يجيء إلى هنا .. ربما جاء قبلا ولم تره .. فأنت تعود مع نصف الليل مع آخر الفِلم .. بس هذا الصرصور كما علمت حراميا .. سراق .. هل له يد في سرقة دكاننا ؟ .. دكاننا صغير .. الذي يريد أن يسرق يسرق محلا كبيرا .. ارتد لسريره للحظات ، ثم نزل الطابق الأسفل متظاهرا بالبحث عن كتاب : إني لا أرى فريدة يا أم فريد ؟
ـ ذهبت لبيت خالتها أم ريان تأخذ درسا في الإنجليزي .. فابنة خالتك مدرسة إنجليزي .. فابنة خالتك جارة لأمها في آخر حي النجمة أول أبو خروف عند الدوار .
دخل الحجرة الخاصة بفريدة تطلع يمينا وشمالا .. نظر مكتب فريدة الصغير ..اقترب من خزانة الثياب فقال لنفسه أين نبحث ؟.. وهل ذهبت حقا عند خالتي أم ريان؟ استدار نحو الباب وقال لنفسه سأذهب إلى هناك زاعما أنني مار من هناك ورغبت بالسلام على خالتي وقبل الخروج من الغرفة تابع البحث بعينيه عن مكان قد تخفي فيه رسائلها السرية .. ألا أتلقى الكثير من الرسائل والأشرطة الكاسيت ؟ .. وآخذ الشريط من هذه وأعطيه لتلك .. اقترب من طاولة القراءة .. والتي عليها مسجل (آلة التسجيل) وبجواره عدد من الأشرطة .. قلبها وقرأ أسماء المطربين .. أسماء معروفة بالغناء العاطفي العربي والغربي وقال أتسمع فريدة هذه الأغاني ؟

أغاني معروفة ويكثر تردادها في الإذاعات والتلفزيون .. وماذا يسمع الناس هذه الأيام ؟.. أشرطة الشيوخ .. ماذا تسمع الفتيات وحتى النساء المتزوجات ؟

وهو خارج قالت أمه : أوجدت الكتاب ؟

فالتفت إليها وقال : لا ، سأذهب أبحث عنه عند أحد الزملاء .. وعندما ترجع فريدة قد أسألها عنه إذا لم أجده عندهم .. لي مشوار قرب الدوار عند بيت خالتي أم ريان ، وقد أمر عليها ، وأسلم عليها ، وأرجع مع فريدة

ـ مع السلامة سلم على خالتك وزوجها أبي ريان

اتجه إلى الشارع العام ومنه نحو جهة دوار حي أبو خروف الجنوبي ، ورحبت به خالته أم ريان وسألته عن أمه وأبيه وإخوته وهل قبض على الحرامي؟ ولما انتهت أسئلتها وسماعها أخبار أسرته ، سألها عن فريدة قالت : جاءت وقضت بعض الوقت مع ميمونة ، ثم ذهبت لبيت صديقة لها ومعها في المدرسة قريبة من هنا.

شرب الشاي وهو يكاد يغص به من سوء الظن بفريدة ، ولما انتهى منه استأذن ، وطلبت منه أن يسلم على أمه وأبيه ، وطلب منها أن تسلم على أبي ريان وريان وميمونة والأسرة كلها وخرج حانقا ذهبت تزور صديقتها في المدرسة ، ولما أصبح في الشارع أشعل سيجارة وقال أين هذه الصديقة يا معلم ناجح ؟ هل هذه الصديقة فادي شيك ؟ إلى منزل فادي شيك .

اتجه إلى الجبل المحيط بغرب أبو خروف الذي يقع خلف المسجد والمقهى وصعد الدرج الموصل لبيت فادي شيك طرق الباب وخرج له شاب عرفه وقال دهشا : ناجح يا أهلا بك ..

ـ كيف حالك يا رامي ؟ كبرت .. أريد فاديا بكلمة قصيرة .

ـ فادي.. قبل ربع ساعة خرج أو نصف ساعة .. هل تتفضل ؟

ـ لا ، أريده شخصيا

ـ إذا لديك رسالة معينة أوصلها له

ـ سوف آمر عليه ثانية .. ألا تعرف أين ذهب ؟

ـ لم يخبر بشيء .. ربما عند جبران النسر

ـ جبران النسر



لما دخل البيت سألته أمه عن خالته وزوجها أبي ريان فزعم لأمه أنه لم يرها وطلب منها إبريقا من الشاي ، وصعد ناقما إلى غرفته ، وطرح نفسه على السرير وقال : يبدو كلام سلمي صحيحا ساعة مع الدرس وساعة مع الحب والعشاق ، وناجح يتسلى في وسط المدينة .. وعامل نفسه ديك الشباب .. وفريد ملزق بالمقهى يلعب القمار .. وأبو صالح جالس يستغيب أهل الحي ، وينهش لحمهم .. وفريدة ماذا تفعل ؟ هو الحب حلال للرجال .. وحرام على النساء .. ماذا تفعل أختك لهذا الوقت ؟

نادت عليه أمه لينزل لأخذ الشاي ، نهض قائما فوقف أمام الشباك ينظر الشارع ساحة الحي أو مربع بيتهم ، ووجد فريدة تتحدث مع فراس أمام البيت .. فتضايق جدا وقال : ماذا يريد منها هذا اللعين ؟ هل يشحد صحنا من الطبيخ ؟

فتابع المشهد بعينيه حتى رآها تتجه لباب البيت فنزل الدرج ، ولما دخلت الدار قال بغضب واضح على وجهه : أين كنت يا فريدة ؟

نظرت إليه باحتقار وقالت : أنت تسألني هذا السؤال ؟ ألم أقل لك لا تسأل مثل هذا السؤال منذ سنوات ؟

قالت الأم التي كانت تقف أمام باب حجرتها : كيف خالتك يا فريدة ؟

فرد ناجح بسرعة: لم تكن الأخت النابغة عند خالتها يا أم فريد لما كنت هناك

فقالت فريدة بحدة : إلى ماذا تريد أن تصل يا بطل النسوان ؟ ما هي أخبار بنت أبي شادي ؟ وبنت أبي نبيل ؟

أدرك أن قصصه مكشوفة ومعروفة فقال : هذا أنت تعرفين أسراري الخاصة

ضحكت بسخرية : أسرارك الخاصة .. وهل لك أسرار يا بطل ؟ .. لقد تطوعت بعضهن بإهدائي رسائلك .. يا بطل النسوان

فاشتد غضبه وضيقه وصاح : مع من كنت من الرجال عفوا العشاق .. مع فادي شيك

فقالت وهي تضحك : فادي شيك زمان بطلت عنه .. هذا ولد بخيل

فصاحت الأم لهذه الفضائح : ما الذي أسمعه يا أولاد ؟!

ردت فريدة متهكمة : نتحدث عن حبيبات ناجح ، الفتيات اللواتي يتعشى معهن في المطاعم الزرقاء، ويذهب برفقتهن للسينما والحدائق

نكس ناجح رأسه ، وأخذ الشاي الذي ما زالت أمه تحمله منذ نادت عليه ، وصعد ، وهو على نصف الدرج التفت لفريدة وقال : وماذا يريد منك فراس الحرامي ؟

فردت بوقاحة : يطلب يدي ، يريد الزواج مني

ضحك ضحكة خاطفة وقال: زواج ! هذا يصلح للزواج ؟

ـ أو ليس رجلا مثلك ؟!

ـ لسانك طويل يا فريدة .. سوف أقتلك في يوم من الأيام

ـ تقتلني .. ولماذا تقتلني؟ .. هل رأيتني ... ؟ وحتى لو فعلت ذلك لا دخل لك فيّ .. ربّ نفسك قبل أن تربي غيرك

ـ أنا رجل يا فريدة .. لا أسبب أي عار للعائلة

ـ اسمع أنت أبغض الناس إليّ .. لا تتكلم معي يا شريف .. طهر نفسك قبل أن تتحدث عن العار والشرف .. أمي وحدها التي يحق لها أن تتكلم معي .. حتى أبي لا دخل له بي وكانت الأم تلزم الصمت ، فهي تعرف لسان فريدة أكثر من ناجح ، وتابع ناجح صعوده وهو يقول : مبارك عليك فراس الحرامي .. تزوجي من عشيق مزيود

=+=+=+=

أدرك ناجح أنه ضعيف أمام أخته الثائرة على أخلاقه وسيرته ، أخذت صورة قديمة عنه ، فقد رأته أيام المدرسة وهو يحتضن طالبة مثلها ، ويقبلها في يوم ماطر ، عندما دخلت دكان أبيها بوجبة طعام أرسلتها أمها بها ، وقال لها : إننا نحب بعضنا يا فريدة .. ثم صرف الفتاة ، وأخذ يبرر لفريدة موقفه باسم الحب ، وأخذت فريدة بعض الأشياء للبيت ولها وانصرفت .. فظل الريب والحذر بينهما ولا يتحدثان معا ، وبعد زمن عادت فريدة متأخرة للبيت ، فسألها عن سبب تأخرها فقالت : كنت في الدكان . مشيرة لتلك الحادثة فغض بصره ولزم الصمت ، وحذرته يومها أن يسألها مثل هذا السؤال فصاح لنفسه قائلا ولكني كبرت كبرت اليوم كبرت اليوم يا فريدة لست ذاك الفتى الغر .. أنا أعمل ولي مال .. ولكني خائن .. خائن لكل الفتيات يعرفن أنني عابث بهن .. يعرفن علاقاتي مع الأخريات .. على فريد أن يعرف ويتدخل .. أنا ضعيف جبان .. ملوث .. قضى ليلة على جمر .

ولما استيقظ صباحا أيقظ فريدا وكشف له ما سمعه عن فريدة .. ولما صمت قال فريد : أصحيح ما تفوهت به ؟!

ـ هذا ما نقل لي .. ولا أدري كيف أتحقق من كذب وصدق هذا الوشاية ؟ .. ما موقفنا من هذا أنا جبان .. لا أستطيع أن أفعل شيئا .

قال فريد بتفكر : اهدأ يا غلام .. علينا أن نتحقق من صدق الخبر .. سأسعى لمقابلة فادي شيك وسأعرف منه الحقيقة ..

ـ قالت إن فراسا عرض عليها الزواج .

ـ كيف ؟!

حكى ناجح لحظة وقوفه غروب أمس على الشباك ، ومشاهدتها تتحدث مع فراس ، ولما سألها ماذا يريد منها الحرامي فراس ؟ قالت طلبني للزواج ، وختم كلامه فقال : اذهب وتحقق منها إذا لم تسرِ للمدرسة .

هتف فريد دهشة : المدرسة أي مدرسة ؟! .. اليوم الجمعة .. لماذا أيقظتني أصلا ؟

ـ صدق أنني لا أدري أن اليوم الجمعة ..آسف لإيقاظك .. نحن نسمح لأنفسنا بالحب لبنات الناس .. وتدب فينا الغيرة عندما يحدث هذا الحب لأخواتنا .. بدأت أعذر ابن خال زهرة بتلك الصفعة .. وتحسس خده

ضحك فريد بصوت عال : اذهب واعمل لنا إبريقا من الشاي لنحسن التفكير وننشط المخ المتلبد .. فأمك اليوم في إجازة بسبب العطلة

ـ أنا أعتذر مرة أخرى

ـ لا ينفع النوم بعد هذا الاستيقاظ .. وبعد سماع هذه الأخبار السامة .. اليوم عندنا نزهة جميلة إلى مدينة (البحرية) لشم الهواء النقي .. بما أنك متوتر ما رأيك بمرافقتنا وما دمت قد أخذت إجازة من فتياتك ؟ ..

قال: والبرد ؟ قال فريد : نلبس ملابس البرد .

ـ من سيرافقك ؟

ذكر له عدة أسماء فوافق على المرافقة في هذه النزهة الشتوية إلى بيت صديق لهم له مزرعة جميلة وسأل عن الكلفة المالية ، فقال : مبلغ بسيط أجرة الطريق .. أسقنا الشاي .

نزل الدرج ودخل المطبخ الصغير وصنع إبريق شاي ، ولما صعد بالشاي وجد فريدا مغمضا عينيه فأيقظه ففتح عينيه وقال : سهت عيناي .. أمس سهرنا طويلا .. ذهبنا لبيت سامي بعد مغادرة المقهى

تناول الشاي وشكر شقيقه وقال : على العاشرة سنكون في بيت مروان .. ثم نشتري أغراض الرحلة .. من لحوم وخضار وفواكه .. ربما يذهب بعضنا لسوق الخضار الكبير .. وسنأخذ فطورا خفيفا نقضمه أثناء الطريق .

زواج فريدة

كان فادي شيك يجلس في حديقة عامة عند غروب شمس أحد الأيام .. وكانت تجلس بجواره فريدة كمال ، وكانوا يأكلون البوظة رغم الجو البارد فقال لها : إخوتك عرفوا بأمرنا ما العمل ؟ فقالت : أتخافهم يا فادي ؟

ـ ليست القضية يا فريدة قضية خوف وشجاعة .. زارني فريد بالبيت ، وسألني عن علاقتي بك فاعترفت له بحبنا الشريف العفيف

ضحكت فريدة ساخرة: حبنا العفيف ، ونحن زوجان بعيدان عن بعضهما .. آ يا شريف يا عفيف .. أكمل .

ـ المهم وعدته بالزواج منك بأسرع وقت ممكن

قالت بنفس اللكنة الهازئة : قصدك الزواج الشرعي

ـ آ .. ولكن لا أملك تكاليف الزواج .. كيف سنتزوج ؟

ـ كما يتزوج البشر .. أنا استسلمت لك وملكتك جسدي لأنك وعدتني بالزواج بأسرع وقت ممكن .. ولي أشهر انتظر .. أخشى من الحمل كما حصل سابقا .. ولكنه سقط بسبب شرب بعض الأدوية والقفز كما قلت لي ..

ـ أنت لو استعملت الحبوب التي أعطيتك إياها لما حملت .. أو لعلها فاسدة .. الأمر انكشف لإخوتك

ـ هل علمت أن فراسا يعرض عليّ الزواج ؟

ـ فراس جاركم ..

ـ فراس جارنا .. يرغب بالزواج مني .. إذا أنت لا تريدني سأقبل به .. أنت أوقعتني في شباكك يا فادي ، عليك أن تحسم الأمر قبل أن يصل الأمر للطب الشرعي وننفضح

ـ عليّ تدارك الأمر .. كيف سنتزوج بدون مال ؟

قالت : تفاهم مع فريد .. واذكر له حبك الكبير لفريدة ، وقلة المال بين يديك ، وأنني الفتاة

الوحيدة التي آمل الزواج منها .. وسيساعدك .. وأنا من جهتي سأقبل بمهر ضئيل

ـ والثانوية العامة

ـ سأتركها .. لم أعد استوعب شيئا .. لا أريد تقديم الامتحانات .. الحياة الزوجية معك أفضل لقد فضلتك على الكثير من شبان الحي وأنت تعرف ذلك

قالت معترفا : أدرك ذلك .. ولا أنسى مطاردات فوزي لك .. وسلمان وغيرهم ورضيت بفادي وهو رضي بك وتخلص من الأخريات .. عليّ أن أتفاهم مع الأخ فريد .. ليتك لم تستسلمي لي وقاومت شهوتي .. غلبتنا الشهوة .. قهرنا الشيطان

ـ لماذا ؟

ـ أخشى أن يرفض فريد التفاهم

قالت : اعترف له بأننا زوجان ، ضعه تحت الأمر الواقع

ـ قد يقتلني ، جاءني وهو يحمل مسدسا

ـ فريد مثلك له حبيبة أو أكثر وناجح كذلك .. جاءك به للتخويف ، ولتقبل بالزواج مني .. هو جبان .. وهو على وشك زواج كما سمعت من أمي

ـ عليّ أن أفعل لقد تورطنا في الجنس ، لم نشبع من القبل واللمس .. الإنسان ضعيف أمام الشهوة والخلوة والإغراء .. لم نقاوم كثيرا

ـ لأنني أحبك أكثر مما تحبني .. فما كان أمامي إلا أن أرضيك ، ولتعلم كم أهواك وأنا أقدم أغلى ما أملك .. يبدو الندم عليك

ـ الندم على ضعفي

ـ وهل أنا أول فتاة تمارس معها الجنس يا فادي وتركب سيارتك .. أنا فقط آخر حبيبة حسب علمي .

غض بصره وقال : المشكلة أنت تعرفين عني كل شيء .. لم أزعم أنك أول حبيبة .. نعم أنت آخر حبيبة .. رسمت في نفسي أن تكوني زوجتي .. ولكن صراحة لما سلمت نفسك لي .. أعدت

التفكير .. فريدة هل أنا أول رجل جامعك ؟

ـ كجماع الأزواج أنت الوحيد يا فادي لأنك غلبتني على نفسي ..

وصراحة لم تكن أنت أول حبيب .. حتى لا تظن أنني أسخر منك .. وأنت تعرف أنني صاحبت صاحبك راميا .. صاحبني قبل سنة فترة وجيزة وتشاجرنا

ـ أعرف .. ولما سألته عن سبب ابتعاده عنك ؟ قال أحبتك يا فادي .. مجنونة فيك .. الحل الزواج

ـ أجل



لم يكن أمام فادي إلا أن يغامر ويعترف لفريد بالعلاقة الجنسية التي بينه وبين فريدة ، وأنه لتصحيح الوضع قبل بالزواج منها ليستر على نفسه وعليها ، وأعلمه أن شقيقته طلبت منه أن يعترف له فيما بينهم من علاقة حميمة ، وليكن الزواج قبل الفضيحة للطرفين ، في البداية لم يستوعب فريد هذه الاعتراف وظنه محاولة للضغط عليهم لقبول الزواج .. وقد استغرب استسلام أخته للغواية بهذه السرعة .. قد تستسلم الفتاة العاشقة للقبلة للمداعبة والغزل ، أما الجماع وتسليم جسدها بسرعة فهذا أدهشه وضايقه وجعله في حيرى .. فبعد تفكير عميق بينه وبين نفسه صعق فقال للشاب وهو يتأمل في وجهه : هل تملك مهر الزواج ؟

ـ لا أملك شيئا .. ولو كنت أملك شيئا لما صارحتك بما بيننا لفعلت كما يفعل غالب البشر بالدخول من الباب .. عليك بتدبير الأمر وترتيب الزواج .. سأدبر أربعمائة إلى خمسمائة دينار ونسلك الموضوع .. وتنهد وتحسر وقال : لا أدري لماذا سلمت لي نفسها ؟!.. أنا تفاجأت من رضوخها لشهوتي الجنونية .

تطلع فريد في عينيه ودهش لوقاحته وقال بحدة : أخذتها لغرفة فارغة ، وأغويتها بكلامك

الفارغ ، والآن تقول لماذا سلمت نفسها لي ؟ يا رجل أنت قليل الحياء .. أنا لولا هذا الاستسلام لوضعت في رأسك خمس طلقات .. لكن هي فضيحة لابد من سترها .. احضر المبلغ وأنا سأدبر القضية ، وسأزعم أمام الناس أننا قبضنا ألفا.. وأنت ادع ذلك ، ولتأت أمك للحديث مع أمي بذلك ، ثم يجري الزواج أمام أهل الحي .. الحي القذر .. عليك أن تتحمل المسؤولية بسرعة يا فادي .. ولتعلم أن هذا ليس أول زواج يحدث في أبو خروف بهذه الطريقة .. فلان عاشر فلانة وظهر عليها الحمل فتزوجا .. وفلان تزوج فلانة بعدما شاعت علاقتها المحرمة بين أهل الحي .. والحالات في حينا القذر كثيرة .. وها أنت أضفت إليهم .. عليك التعجل في أمرك ، فالأخ فراس عرض علينا الزواج منها .. ولو لم نسمع هذه القصة ربما صرفت نظرا عنك لابد أنه يعلم سركم ، فهو يضغط علينا من أجل هذا السر .. المبلغ الذي تملكه في البيت أم البنك .. لنسرع قبل ظهور الفضيحة التي ستضر بنا وبأهلك الطيبين .. أنا لم أكن أظن أن فريدة تافهة بهذا الشكل

ـ أنت وناجح أليس لكم مغامرات مع البنات ؟ .. فريدة ذكرت لي ذلك السر وقالت لقد قرأت كثيرا من رسائل الحب التي تتركونها في الغرفة والأشرطة وكلمة الإهداء من ...

ـ هذا الذي قواها علينا ، كاشفة أسرارنا السيئة .. وأنها كاشفة عيوبنا .. مباركة عليك فريدة.. وصدق أني أتمنى لكما زواجا سعيدا بحق

لم يمض أسبوع واحد على هذا اللقاء الخطير حتى احتفلت الحارة بزواج فادي شيك من فريدة كمال .

وتنفس فريد الصعداء ، وقال ناجح المطلع على تفاصيل العلاقة بين فادي وفريدة : أحسنت صنعا يا فريد !

ـ إنهما زوجان قبل الزواج .

ـ ويحك !

ـ لم يكن ما بينهما علاقة عاطفية ..اعترف فادي بأن أختك أعطته جسدها قبل شهور في شقة أو

بناية لم تكتمل في الهواء الطلق

ـ يا الهي ! أصدقت ذلك ؟!

ـ كل أسرارنا ومراسلتنا تقرأها فريدة يا شاطر ..

ـ لعل هذا فِلم من أجل أن يتزوجا ؟

صفن فريد لثوان وقال : فِلم! فكرت بذلك .. ليس من السهل عرضها على الطبيب الشرعي كان لابد من الستر .. أختك فاجرة .. ليس فِلما .. لو لم يكن بينهم أمر قبيح ما تزوجها فادي شيك بهذه السرعة ، وما الذي يجبره على القبول بها ؟ .. مشوا مع بعض في الشارع .. فهي كمزيود وغيرها من زانيات الحي القذر .. وفراس ما كان يعرض عليها الزواج إلا أنه يعرف سرها وأنها امرأة .. أختنا باعت شرفها .. وهل ترى أن يعمر هذا الزواج؟!.. لا أظنه سيطول يا سيد ناجح .. لابد أن ندفع الثمن من أعصابنا ومالنا وحياتنا .

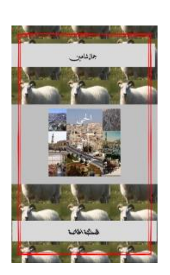
}}}}{{{{

سؤال هل ينتهي الإنسان من المشاكل بزواج أخته من فارس أحلامها ؟! هذا سؤال سأله ناجح لنفسه على أثر الزواج العاصف والسريع لأخته ، فقد اكتشف أنه شريف بالنسبة أو بالمقارنة مع أخته .. فهو رغم صداقته مع العديد من الفتيات لم يجازف ويغامر بارتكاب الفاحشة .. حبه بهنّ بريء على فهمه .. أخته عمرها ثمانية عشر عاما .. وهي تعتبر كبيرة ، ويمكنها أن تكون أما ولكنها تدرس في الثانوية العامة .. السنة التي ستنقلها إلى الكليات والجامعات .. كيف سقطت ذلك السقوط المريع ؟!.. حتى أنه اضطر ليسأل نفسه هل افترسها فراس قبل فادي؟! .. فبيته أصبح مرتعا لبنات الليل والساقطات .. وشاع ذلك في الحي .. وفريدة جارة له ، وليست محصنة ضد إغراءاته وفنونه في الفتنة .. أتراه كان يخدعنا ؟ ولماذا اختار هذا الحي ليسكن فيه؟.. ولماذا اختار هذا الجزء من الحي ؟ .. والحي واسع ربما تعيش فيه أكثر من ألفي أسرة .. وشرق وغرب فكره وذهنه بحالهم وقال : هل انتهينا من مشكلة فريدة التي كنت أحسبها أعقلنا وأحسن منا أم بدأت المشاكل ؟ هل يمكن أن تسلم الفتاة نفسها لحبيب بسهولة ؟.. لقد صاحبت عشرات

الفتيات .. ما وصلت بنا الأمور لقضاء الوطر .. ولم تحاول إحداهن إغرائي للوقوع عليها .. وكلهن من نفس مستوانا الفكري والاجتماعي .. وهل صحيح ما سمعناه عن علاقات قبيحة تجري في الحي من قبل نساء متزوجات أو مطلقات وأرامل ؟! لقد انتشر الكثير من الشائعات حتى أن أبا صالح شاع قديما أنه يتردد على بيوت بعض المطلقات والأرامل .. نعم أبي ..الحياة تكشف لنا أسرارا قذرة .. أسرة فاسدة أخلاقها سيئة تعيسة .. لما نحن هكذا ؟! ما الذي يمنع أبو صالح أن يزني إذا راودته أنثى لعوب ؟ فأي أخلاق تردعه؟ .. ربما يتعذر اليوم بالسن ، يضعفه عن مثل هذه الشهوة .. لما لا نغير من أخلاقياتنا الفاسدة ؟ كل تفكيري ووقتي في الحب واللقاءات والشهوات .. أنت عندك عقدة الخوف من أمراض الجنس .. عندما علمت بمرض (فهد) بسبب الزنا ، ظل الخوف يركبك .. إنك لا تزني لخوفك من الله إنما لخوفك من الأمراض ألا يكفي المداعبة واللمس والغزل والرسائل ؟! فريد هل وقع في هذا الإثم ؟ ولماذا لا يقع ؟ فصالح .. تورط مع امرأة .. نجا منها بأعجوبة ، ثم أسرع أبي بتزويجه .. أما جابر رجل الزراعة فقد صاحب فتاة واحدة حسب علمنا ، ثم تزوجها .. ثم استقر في العمل مع الوالد بعد عودته من عمل الزراعة .. أما فريد فكان امرئ القيس البيت ..قصصه أيام المدرسة كثيرة .. وبدأت تخف وتضعف مع الكبر والعمل ، وها هو يسعى للزواج من أخت صديقه ليفتح صفحة جديدة مع الحياة .. وأنت منذ كشف لك سر أختك تركت الفتيات دون مقدمات والمطاعم والسينمات .. هل تفكر بالزواج حقا يا ناجح ؟! فريدة تزوجت .. ولن يعيرك أحد بعارها ..

وقضى ناجح أياما ، وهو يراجع حياته وحياة أسرته.. وتراوده الخطرات السوداء حتى ضعف التفكير بفريدة وزواجها الاضطراري لستر عورتها وفاحشتها .. عندما يتذكر ذلك يصيبه القرف منها ومن العائلة الفاسدة .. ثم قال هذا هو النموذج الصحيح في مثل هذا الحال .. فالكل منحرف في هذا البيت .. أبي رغم كل المصائب غارق في الشهوة ولعب الورق ، ولا يمل من التربع في مقهى عزب كأنه كرسي من كراسيها .. بل العم مهران يغير الكراسي بعد خرابها واهترائها .. ونحن نطارد الغزلان ونشرب الخمر والكؤوس .. وأحيانا نسوغ لأنفسنا

التحشيش .. لماذا لا نتوب ؟ لماذا لا نصلي مثل المصلين ؟ هل حياة الانفلات أفضل ؟ أرى أن حياتنا شقاء في شقاء .. وهل الصلاة والدين للشيوخ الكبار في السن فقط ؟ هل الشباب مثلنا معفوون من العبادة والصوم ؟ في البيت هموم .. في الحي هموم .. وفي الشغل هموم .. وفي الحب هموم .. عجيب أمرنا في هذا البيت .. أم فريد لا تعرف الصلاة ، وخالتي أم ريان شيخة وعالمة في الدين .. لماذا لا تتعلم الفاتحة أمي وتصلي ؟ هل هذه التعاسة التي تحل بنا بسبب بعدنا عن الله ؟ (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا).. أتنطبق هذه الآية علينا ؟!



اختفاء

بعد زواجها بأربعين أو خمسين يوما شاعت في الحي إشاعة مفادها أن السيدة فريدة طردت من بيت زوجها فادي شيك ، وهو يهدد ويتوعد بطلاقها ، ومكثت فريدة ببيت أهلها خمس ليال ، ثم أعادوها لبيت زوجها ، وشاع أن سبب طردها أن الرجل ضربها ضربا مبرحا ، وهو في حالة سكر شديد ، وانهال عليها لطما وصفعا، وآخر الأمر طردها من بيته.. فحملت نفسها صباحا وتركت بيت الزوجية ، وقضت أياما عصيبة مع أمها وأهلها.. والناس تتهامس بحثا عن السبب الحقيقي للمشكلة، فضرب الزوجات والأبناء شائع في الحي ، ولا يعتبرونه سببا مهما لحرد وهجر البيت ؛ فلذلك عندما جلس أبو صالح في مقهاه كعادته التي لم تتغير من عشرات السنين ، ورغم المشكلة الكبرى التي عصفت به ما زال يتردد على المقهى ؛ كأن لم تهجر فريدة بيت الزوجية ، وأن الحياة لابد أن تمشي وتسير كما تشرق الشمس من المشرق ، وتغرب في الغرب منذ زمن بعيد ، لا تتغير ولا تتبدل .

فقال نعمان أبو نوح : عادت لبيت الزوج ليلة أمس يا أبا صالح ، ومنذ أن أزعلها ابن شيك وأنت لا تتكلم في شأنها.. ألسنا أصدقاء ونشير على بعض ؟

فنفخ سيجارته وقال : البنات هم حتى الممات .. أنا كلها بنت واحدة ..

الله يعين الذي عنده خمس ست بنات.. صدقوا أن الأمر غريب .. عروس لم تكمل شهرها تتعرض للصفع والضرب والركل .. المسكينة تشوه وجهها .. حتى من شفقتي عليها فكرت بتطليقها منه والخلاص من آل شيك

قال رشيد : المشاكل دائمة يا أبا صالح .. نحن كبار السن ونتعامل مع النسوان والبنات بصعوبة والحياة الزوجية في أولها صعبة

فقال أبو سلمى : سمعنا أنهم تزوجوا عن حب

فصاح سلمان : أي حب؟! .. لقد سمعت أنهم تزوجوا بالغصب .. بس أبو صالح لا يحب الكلام .. مع أنه كل الناس في الحي يتكلمون .. هل يخبأ شيء في أبو خروف؟!

وأخذ القوم يكشفون عورات الناس ، وقصص الناس ، وفلانة نال منها فلان وزوجوهما سترة للعائلتين .. وفلان تزوج من تلك بعد افتضاح ما بينهم .. وفلانة خرج من بيتها فلان .. وفلانة فعل بها فلان ليقبل أهلها الزواج منها .. كل أدلى بدلوه .. غيبة نميمة فساد فتشجع أبو صالح وقال : هذه الحارة الكل يتجسس على الآخرين ..لا سر فيها .. صدقوا يا أخوان أنا تفاجأت مثلكم بزواج فريدة .. كنت أظن أنها مهتمة بالمدرسة والجامعة مثل بنات خالتها أم ريان .. ولكن فريدا فاجأني بقصة فادي شيك ، ولما حاولت تأجيل الزواج لبعد المدرسة والتوجيهي فقال الولد بكل وقاحة البنت امرأة وإنها باعت شرفها ، وهي راغبة بالزواج .. والزواج سترة حاولت أن أغضب فلم استطع فوافقت .. وهل أرفض ؟ وماذا عليّ أن أفعل في هذه السن ؟!
فقال أبو نوح : الحق عليك يا أبا صالح .. أنت لم تحفظ حق الله ليحفظك .. كم سمعنا وسمعنا سيدنا الشيخ يقول في خطبه أو مواعظه احفظ الله يحفظك
قال أبو صالح : هذا الذي جرى .. فبنات اليوم لا يعرفن الشرف والعرض .. يفهمن في الفجور والسفور
فقال أحدهم : وقصة ضربها قبل أيام .. وأرجعتموها لهم بسرعة !
ـ البنات يوجعن القلب يا أصحابي ..أنا لا أفشي سرا ، فالحي لا يخفى فيه سر .. فهذا الرجل رغم زواجه الحديث .. شهر .. شهر ونصف .. أتى بامرأة ليفجر بها في البيت دون خجل يا عالم ، فقالت له فريدة أعرف أنك فاجر يا فاجر، وأنا غلطت لما صدقت أنك تحبني ، وسلمت نفسي إليك ، وأنت تحب الزنا ؛ ولكن ليس في بيتي فغضب ، وكما قال والده إن صوت الشجار وصل لشقتهم فخرج أخوه رامي وأمه ليروا سبب الصراخ والصوت العالي ، فهم كلهم في نفس العمارة .. وسمعت الأم القصة ، ورأت العاهرة في بيت ابنها ، وكان ثملا للغاية ، فطردوا الفتاة ، وقام أخوه بضربه بمكنسة ، ولما خرجت أمه وشقيقه وتركوه مضرجا بدمه ، فقام بالانتقام من فريدة ، وأراد ضربها بالسكين لولا أن هربت للأسفل حيث شقة شيك ، ونامت باقي تلك الليلة عندهم ، ثم صارت إلينا ، وقصت علينا الحكاية المرة ، فقال لها ناجح شامتا :

هذا ما جنيت على نفسك عندما سلمت له نفسك مثل بنات الليل ، واشتعلت النار في البيت وتناثرت الفضائح من هذا ومن هذا .. فوجدت نفسي أعيش في مزبلة .. كرخانة .. وعصب الشاب وضرب فريدة ، وأرادت أن تذهب لمركز الشرطة تشتكي عليه .. لولا الأم وفريد ، ثم جرت بيننا وبين آل شيك وساطات وشفاعات ، ولملمنا الموضوع .. والكلب لا يستقيم ذيله الأعوج .. وأتصور أن ذلك سيكون إلى حين .. فهذا الولد فاجر ، وأبوه أفجر منه .

فقال نعمان أبو نوح : وأنت عليك التوبة يا أبا صالح ، وابعد عن الزنا والخنا .



ارتفع الآذان بين يدي خطيب المسجد مسجد حي أبو خروف وقد امتلأ المسجد عن بكرة أبيه فهو المسجد الوحيد في وسط الحي ، ولما انتهى المؤذن من رفع آذان الخطبة وقف الشيخ الإمام أمام المصلين وحمد الله حمدا كثيرا كما هو مقرر شرعا ، وأثنى على الله ثناء عظيما هو أهل له ، وذكر الشهادة التي سيلقى الله بها كل مسلم يوم القيامة ، وثنى بالصلاة على سيد ولد آدم ولا فخر ، وبالثناء المستحق له رسولنا العظيم ﷺ ، ثم بين الشيخ الإمام لأهل الحي أهمية نعمة الإيمان في حياة الناس ، ووضح لهم نعمة الإسلام إذا عمت بين أفراد وجماعات الحي ، وبين لهم أهمية نظافة وطهارة المجتمع من الفواحش ما ظهر وما بطن .. ثم أعلن أن سورة النور نور للأمة الإسلامية والحي ككل ، ودعاهم للاهتمام بها وفهمها ، والعمل بما فيها من طهارة وأخلاق حسنة وقرأ آية النور { الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ }

أرأيتم أيها الناس أيها المسلمون؟ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة .. أفراد يتهاونون في أمر العلاقات الجنسية خارج شرع الله .. فيتشبهون بالكفار الضالين .. وحرم ذلك على المؤمنين .. يسمحون لبناتهم ونسائهم بالخلوة والاختلاط بغير المحارم .. فماذا ستكون النتيجة ؟ إنهم

يشاهدون الأفلام المثيرة للشهوات والغرائز الجنسية .. يجلسون يتفرجون على مسلسلات الحب والغرام الأب والأم والأولاد والبنات .. ماذا ستكون النتيجة ؟! .. التقليد .. الحب الآثم .. الجنس المدمر للأمم والشعوب .. وتحدث الشيخ الإمام عن أخطار العلاقات المحرمة على الفرد والأسرة والحي .. وبين لهم أخطار الزنا والانحراف وراء الشهوات الجنسية غير الصحيحة .. هناك أناس يزعمون أنهم مسلمون يرتفع الآذان عاليا إلى السماء مناديا عليهم لتلبية النداء ، وهم لا يزالون يلهون ويلعبون ويغفلون عن إجابة النداء الخالد الله أكبر قال الله { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ }

المصائب التي تقع علينا بكسبنا وفعلنا.. علينا بتطهير المجتمع من الفساد أو نزيل أكثره حتى تخف عنا النكبات والويلات.. اسمعوا أيها الناس.. الفجور قد زاد في حيكم ، والقصص المرعبة زادت قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }

أيها الأخوة .. إني لكم ناصح أمين ..عليّ بتذكيركم بسبب اللطمات التي تحل ببعض العائلات سببها الاستهتار بالمحرمات وترك أمر الله .. استيقظوا قبل أن تسحقوا وتذهبون إلى الفراق قال تعالى { لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } إذا جاء الموت فلا رجوع ولا حياة .. انتبهوا من غفلتكم وحب الدنيا .. واعلموا أن ما أصابكم من أنفسكم .

وعاد الشيخ ليؤكد لهم أهمية الابتعاد عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاجتهاد في طهارة المجتمع ونظافته

وفي الخطبة الثانية ركز على مصائب اللواط والشذوذ الجنسي الآخذ بالتفشي ، وحذر من الاستهتار بالعلاقات الاجتماعية السليمة ، وحث عن البعد عن الفجور والشرور .

وغادر الناس الجامع وهم متأثرون من كلام وموعظة سيدهم الشيخ وحديثه في هذا الأمر الدقيق والحساس ، والكل في نفسه بيت وأسرة أبي صالح وشيك .. لذلك لما التم رفاق أبي

صالح عصرا في المقهى كعادتهم الدائبة ، قال أحدهم : كأن الخطيب اليوم يتمثل مأساتك .. فتحدث أن الزانية ينكحها زان .. فتخيلت أن قصة فادي وفريدة وصلت للإمام الخطيب .

فرد أبو صالح بسؤال : هل يدفع الأبناء ثمن جريمة الآباء ؟ .. كنت ضعيفا أمام مراودة النساء ماذا أفعل ؟

فأجاب أبو نوح : لا شيء .. فقط أعلن توبتك أمام الله وصلي وصم .. أنت لم تصم ربما في حياتك كلها ..

ـ لم أعرف الصيام منذ أيام الصبا .. غرقت بالشهوات .. وأولادي مثلي في الملذات .. وكيف أتوب وقد مشيت في المعاصي ؟

ـ باب التوبة مفتوح ، وحسب ما أسمع أنه لا يغلق إلا عند الموت .

=++++=

وكما هي عادة البشر يتأثرون ليوم أو ساعات بكلام الواعظ أو الخطيب أو أثناء السماع فحسب والخطبة التالية تنسي التي قبلها ، وهكذا ينسى الناس المواعظ ؛ لذلك رغب الإسلام بالتكرار والتذكير بين وقت وآخر .. ورغم انتشار خطبة شيخ أبو خروف حول الزنا والانحرافات الجنسية في بيوت الحي وإعجاب السامعين له وكثر التعليق عليها.. استمرت قصص الانحراف والزيغ نحو الرذيلة ، واستمر ضعف إقبال الشباب على مسجد الحي ، لا يمتلأ جوف المسجد إلا يوم صلاة الجمعة .. واستمر الواعظ في نصحه وتذكيره والدعوة للفضيلة والنجاة والدعوة للبعد عن الفجور .. واستمر دعاة الفجور أيضا في دعواهم وفسادهم .. واستمر أبو صالح في المعصية والآثام ، ونسي قصة فريدة وطريقة زواجها ، ونسي خطبة الشيخ كغيره من رواد المسجد فالقصص والحوادث بعضها ينسي بعضا .. ومضت الأيام كما تعود عليها منذ عقود وعقود .

انتشر خبر رغبة فريد بالزواج في المقهى والحي.. وكنا قصصنا أن فريدا رغب بالزواج قبل زواج فريدة ، وقصة زواجها أوقفت المشروع لأجل غير مسمى ، ولما هدأت العاصفة أعلن فريد لرواد المقهى والأصدقاء أنه سيتزوج ، واحتفلت الحارة وخاصة أهل القسم الذي يسكن فيه

والده احتفالا بهيجا دعي إليه الراقصون والمغنون ، وقضى أهل الحي ليلة طرب يصفونها بالجميلة ومن الأيام المعدودة في حيهم ..لأن الزواج مشى حسب الأصول وعادات الناس ، ولم يكن زواج تسليك حال ودرء فضيحة .

استأجر فريد بيتا في الحي ، وانتقلت زوجته إليه ، وهي من أسرة متدينة إلى حد ما ، ولم تكن من سكان أبو خروف .. كانت تصلي وتحرص على المحافظة على الصلاة بوقتها .. وصلاتها هي التي شجعته على التمسك بها ، وقد وعدها ووعد شقيقها من قبل بالالتزام بهذا الواجب الديني في الوقت المناسب والقريب .. وقد ترك الخمر كما اتفق مع بشير شقيق الفتاة .. ومنذ خطبها لم يدخل خمارة .. ولم يشتر زجاجة مسكر .. ولكنه حنث ليلة الدخلة والحفلة التي أقامها رأى أنها تحتاج لخمر .. ولم يشرب كثيرا كما قال لناجح .. ولما عاد لعمله بعد إجازة الزواج .. أخذ بالصلاة وترك لعب الشدة إلى حد ما .. وصار يدخل المسجد مع سلمان وأبي نوح وأبي أحمد .. وقلّ جلوسه في المقهى ، وإذا جلس يلعب دورا واحدا أو اثنين وينصرف .. فصار يصحب الزوجة لزيارة أهلها والسهر معهم أو يزور بشيرا صاحبه .. وتعرف على أزواج شقيقات زوجته أكثر .. ويتبادل معهم الزيارات العائلية .. ووجد لديهم قبولا وترحيبا ، وهم يشاركونه الزيارات ، ووجد أحدهم شيخا بمعنى الكلمة .. فرغب بتعميق معرفته به ؛ ليستفيد مما عنده من العلم والثقافة، مع أنه لم يتخرج من جامعة شريعة ، إنما تعلم من القراءة والجلوس مع العلماء والمشايخ .. وعجب أن الناس تأتيه للإفتاء ، ويقبلون فتواه وكلامه .. فطابت لفريد صحبته ، والرجل اعتبره صديقا وقريبا ، وسمح له بمناقشته والحوار معه ما دام راغبا في الفهم وزيادة الإيمان ، وكان الشيخ ماجد متفهما لظروف أسرة فريد وبعدهم عن جو الدين منذ الصغر ، ولسوء سمعة حي أبو خروف في الغالب .. وكان يشجع زوجته بالاهتمام بهم ، وتشجيعه على الثبات على طاعة الله بكثرة زيارة أختها ، وهي بدورها تشجع زوجها ، ووجد ذلك قبولا لدى فريد ، وأحس برعاية ماجد له ولزوجته ، وبدأ يدرك كم كان تافها أيام المراهقة ؟ .. أيام مصاحبة المراهقات والعبث بهن وإفسادهن .. فأخذت هذه الصور التي كان يراها السعادة

والفتوة تكبر في خياله فيشعر بالندم والحزن على نفسه وحاله وأهله .. وكيف كان مستغرقا بشهوات الجسد ونسيان أمر الله؟ وأخذ يذكر والده بالتوبة وترك لعب الورق قبل فوات الأوان ، وفاجأه أن أباه طلب منه عدم الحديث معه في مثل هذا الكلام ، وألا يعمل نفسه أبا نوح وسلمان وأبا أحمد .. فهم يصلون في الجامع الصلوات الخمس ويجلسون على مائدة اللعب فيقول : افعل مثلهم صل واجلس على المقهى .. أن تموت مصليا خير من أن تموت مقامرا .



لم يكد السيد فريد كمال يضع قدميه على بساط التوبة ، ويعرف الإسلام حتى كان خبر صاعق ينزل على دماغه ، فقد هربت فريدة من بيت زوجها لمكان مجهول .

جاء فادي إلى بيت والديه يسأل عن زوجته المتغيبة عن بيته من يومين ، وقد زعمت له وهي خارجة إنها ذاهبة لبيت أهلها .. ولما جاء ليعود بها ويتأكد من غيابها ؛ لأنها عندما كانت تذهب لبيت أمها تعود للمبيت في شقتها ، فنادرا ما تقضي ليلتين عندهم ، فأخبرته حماته عندما سأل عن فريدة أنها لم تأت منذ شهر ، ولم تطأ أقدامها البيت منذ عودتها إليه ، وزواج فريد ، فقال بصراحة واتهام صريح : لابد أنها هربت مع أحد عشاقها يا أم فريد .. لأنها كانت تهددني بذلك منذ تصالحنا آخر مرة عندما هربت إليكم .

فقال ناجح ساخطا من اتهامه الصريح لأخته بأن لها عشاقا : لابد أنك أعدت الكرة وأحضرت بغايا للبيت . ثم لطمه على وجهه وصاح فيه : نذل .. حقير كنت أيام المدرسة أجبن فتى في المدرسة .

فصاح فادي وهو يرفع يده ليضرب ناجحا وقد أمسك الآخر بيده : أتضربني يا ناجح ..

وأخذت الأم تبعدهم عن بعض فقال ناجح : سأقتلك .. أنت الذي جعلها تهرب .. عندما تحضر البغايا لبيتك ..

ـ أختك امرأة قبل أن أتزوجها ..أنا كنت آخر ضحاياها .. اسأل جارك فراسا .. لقد افترسها منذ حط رجله هنا يا بطل .. هو قال لي ذلك

ـ ولماذا قبلتها زوجة يا نذل ؟

ـ اشتهيتها وأحببتها .. فلم يكن أمامي إلا الزواج بها .. خاصة لما واقعتها فظننت نفسي أول رجل ينام معها .

ـ حسنا أيها المجرم .. أين ذهبت ؟

كانت أمها تسمع هذا الكلام وتبكي فقط ، فبدا لناجح أن أمه تعرف بعلاقتها بفراس ، وأنها لذلك لزمت الصمت ولم تتكلم .. كان يذهب للشغل وفريد مثله وهي إلى المدرسة .. وهل تذهب فعلا للمدرسة ؟ ..

فرد فادي وقال : لا أدري.. كرهتها بعد الزواج بأسبوع واحد .. صارت أبغض النساء لقلبي ورفضت الطلاق .. والتنازل عن المتأخر من مهرها .. فريد جعل عليّ متأخرا قدره خمسة آلاف حتى لا أفكر بالطلاق بعد يوم أو يومين أعرف هذا .. هددتها بتحويل البيت لماخور .. لبيت دعارة قالت متحدية افعل وتحديتها وبدأت ادخل بنات الهوى للبيت .. ففضحتني أمام أسرتي بالقصة التي تعرفها ، فضربني شقيقي الأصغر مني ، وتعدى عليّ ومعه أمي .. وعادت إليكم فريدة .. بضعة أيام وتصالحنا .. ولما رجعت اتفقنا على ترتيب أمر الطلاق ولكن بعد حين .. وانشغلتم بزواج فريد .. وقبل أيام تناقشنا بأمر الطلاق ، فرفضت تنفيذ الاتفاق ، وزعمت بأنها حامل مني .. ثم تبين كذبها .. فعدت لجلب بنات الهوى للبيت من جديد ، فانزوت في حجرتها وقالت افعل ما تشاء ليكن البيت بيت دعارة وخمارة ثم هددتني بأنها ستفعل مثلي فقلت افعلي ما تشائين .. ولا تظني أنني صدقت أني أخذتك بكرا ولم يقربك غيري.. أنا أعرف بعلاقتك بفراس جار دار أبيك .. فقد حدثني هو نفسه بعلاقته معك .. لكني تورطت معك وعليّ ترقيع الأمر .. أنت لم تكوني عفيفة قبل معرفتي بك .. ولا أظن أن عشاقك تخلو عنك .. وقلت لها بصراحة .. لا تزني في بيتي .

ـ أما أنت فتسمح لنفسك بالزنا في بيتك ..

ـ أنا أتكلم معك بصراحة .. وقد تعتبرها وقاحة حتى تفهم أختك على حقيقتها .. ربما لم يحدثك فريد بشيء مما كان بيني وبين فريدة .. المهم أنها أخبرتني بأنها سوف تهرب مع أحدهم في يوم من الأيام .. وأدركت أنها تخطط لفعل ذلك .. لما أخبرتني أنها ستذهب إليكم لأن أمها مريضة صدقت ذلك .. فالناس تمرض .. ولما لم تعد ليلا قلت ربما مرض أمها شديد ، واضطرت للبقاء عندها .. ليس لها إلا فريدة .. ولما مضت الليلة الثانية جئت لأرى .

ـ رغم الألم الذي أسمعه من هذا الكلام الجارح .. لقد عرفنا أختنا في النهاية يا فادي .. ولما كنت أنت غير مقتنع بالزواج منها لفسادها كان عليك ألا تتزوج .

ـ قلت لك أحببتها بصدق .. وندمت على استسلامها لي .. وعاتبتها في ذلك .. وقلت لها كان عليك أن تقاومي شهوتي .. ولكني اليوم أعلم أن ذلك كان مدبرا ووقع عليّ الاختيار ، لأكون كبش الفداء والزوج القواد

ـ بمن تشك ؟

ـ أعرف لها أصدقاء قبل العلاقة التي بيننا ، وصدقت أنها تركتهم لأجلي .. ولكن أعتقد أن فراسا هو الذي هربت معه .

ـ فراس ! فراس الحرامي يهرب بها

ـ كانت تذكره كثيرا ، وهما صديقان منذ سكن هنا .. وكان يطمعها بالزواج .

كان ناجح ينظر إلى أمه بحقد ، ويعرف أنها كانت تخفي عنهم علاقتها بفراس .. لقد كانت وحشا .. فقد خاف هو منها عندما حدثه سلمي عن علاقتها بفادي ، وهو يتسأل الآن لماذا صارحه بذلك وعن فادي خاصة دون الآخرين ؟ .. وقد تبين له أن لها عددا من العشاق .. وكان يظن نفسه ديك النسوان .. كل يوم يسهر مع فتاة .

وأخذ يتذكر اهتمام فريدة بجارهم الجديد ، وكان يتحمس لتقديم أمه له صحن الطعام .. يا لنا من مغفلين! .. شفقة .. كانا يرتبان مواعيد الحب والعشق .. وما سكن هنا إلا من أجل فريدة..

وأوهمنا بصداقة مزيود وغيرها . قال ناجح لفادي: اغرب الآن .. اذهب وبلغ الشرطة عن اختفاء زوجتك وهربها مع عشيق .. اتهم من شئت .. لم يعد الستر مطلوبا اليوم فلا تستر علينا ولما استدار الرجل خارجا أكمل لنفسه يا فريد ماذا ستفعل بتوبتك بعد هذه الفضيحة المدوية؟!



الزوجة الطيبة

صعق فريد كما ذكرنا لسماع الخبر، وأخذ ينتحب وينشج عدة دقائق ، وطفقت زوجته تهدئ قلبه وتقول : هون عليك .. هذا أمر متوقع يا فريد ، وأنت نفسك توقعت أن الزواج فاشل؛ لأنه لم يقم على قواعد سليمة وصحيحة .. ولما قصصت عليّ قصة أختك، قلت يا سيدي ..الله يهديها للصواب .. والأخطاء سيتبعها أخطاء .. أخطاء بدأت وتتابعت ، وزواج لم يكن موفقا فاصبر ولا تتحدث عن عار وشرف .. فالقضية خرجت عن هذين الوصفين.. ومن قصة الأخ ناجح .. زوجها دفعها لهذا الخيار.. واتخاذ هذا القرار .. ما دام يأتي بالغواني لبيته .. ليفجر بهنّ أمامها.. لو كان فعله القبيح خارج البيت ربما غضت الطرف عن فسقه .. أصبحت معركة شيطانية بينهم .. ودور أهله سلبي وضعيف مع ثنائك عليهم .. فربما عرفوا بالسبب الحقيقي من زواج فادي لفريدة ، وأن هذا زواج غير طبيعي كعادة الناس.. وأنه علاج لفضيحة.. فلزموا الصمت .. عليك أن تتعامل مع القضية بواقعية وعقل .. الانفعال والغضب ليس وقته الآن .. البنت خرجت عن الطريق الصحيح ، وهي عالجت مشكلتها بمشكلة أخرى .. واليوم لها زوج عليه أن يتحمل المسؤولية أيضا ..

كان ناجح يسمع كلام نوران بدهشة وانبهار، وأدرك أن فريدا تزوج فتاة جيدة وقوية ، ولها شخصية وقدرة ، وسمع فريد بعد أن بكى تلك اللحظات يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله .. لم نسمع عن أسرتهم أي انحلال .. إلا عن فادي ، لم نسمع لهم حكايات قذرة .. لكن موجة الانحلال غمرت البلاد .. جرفت الشباب ، ولم يصمد لها الشرفاء .. تيار جارف يا نوران .. ألا يمكن أن نتحدث مع ماجد في هذه الفضيحة ؟

ـ سأتصل بأختي .. فكلام ماجد سيكون دواء لك إن شاء الله .. لقد اختارت أختكم دربا مؤلما وقاسيا .. طريق كله عذاب .

وعاد يبكي ويقول : هل هناك أمل بإصلاحها ؟

وعاد يقول من بين دموعه : الوالد قصر جدا في تربيتنا على الأخلاق الحسنة .. وشببنا على

التمرد والفخر .. لم ينهنا يوما عن معاكسة الفتيات ويقول عيب هذا يا ولد .. هؤلاء جيران .. أهل .. كان الأمر طبيعيا ، وربما فخر بمغامراتنا وشكوى الناس له من سلوكنا نحو بناتهم .. والأم مثله .. لا تهتم ولا تكترث تخاف من الجميع .. لا تستطيع أن تسأل فريدة أين كنت ؟ ولماذا تأخرت ؟ .. لا زاجر لنا .. قبل زمن يسير شكى له أحدهم من ناجح وها هو يسمع .. فقال يا ولد يا ملعون دوّر على غيرها.. هذا ما يتفوه به.. لكن لم أتوقع منها أن تفلت هذا الفلتان كنت أتوقع أن أسمع عنها كما أسمع عن زميلاتها .. من رسائل غرام .. محاولات حب .. أما الانزلاق السريع للفواحش.. فكان صدمة لي .. وكان عليّ ترقيع الأمر والزواج .. كما يحدث في حينا بين فترة وأخرى .. عمري أنا ولا ناجح جلبنا فتاة لبيتنا ، كنا نمارس الجهل في خارج الحارة كان نشاطنا الفاجر خارج الحارة .. بعيدا عن الحي كنت أرى الزواج هما فاشلا .. كنت أراه مسؤولية فارغة.. أبي يترك الدكان لجابر ويظل لنصف الليل في المقهى ، وهذا شأن اعتاد عليه منذ قدر لنا الحياة .. لقد صدمنا بانحراف فريدة القاتل .. عرفنا صحبة النساء والفتيات ؛ ولكن لم نمارس البغاء ، أما فريدة فتهاوت سريعا في آتون الفاحشة .. كل هذا من جار السوء الخبيث فراس.. آسف لما أقول .. أغلب الظن أنه هو أول من ضاجعها بالحرام وضحك عليها وعلينا.. كانت تدفعنا للشفقة عليه وتقديم بعض الطعام له .. والمعلبات.. والفواكه .. وكانت هي التي تذهب لتوصيلها .. نظن أنها شفقة ورأفة .. نذهب للعمل ، ونحن نعلم أن البنت تذهب للمدرسة .. كنا نحس بشيء ولم نكن نراه .. لا ينفع الندم اليوم .. ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما .. سامحيني يا نوران على هذه الكلمات أمامك وأمام هذا القرد .. لا تتخلي عني لسوء سيرتنا وسمعتنا حتى لو رأيتني أضعف أمام الشهوات .

ـ سأكون معك يا ابن العم .. سأذهب وأتصل بأختي نور لنزور الأخ ماجدا .. وتسمع منه بعض الكلمات الرقيقة .. فماجد كما تقول شقيقتي .. يحترمك ويحترم تفكيرك .. ويرى لك حماسا قويا اتجاه الدين والعلم .. وأنك تتقدم في تعلم التلاوة الصحيحة .

ـ أخشى الضعف بعد هذه الضربة !

قالت: قضية فريدة الآن عند الشرطة .. وستعود فريدة لعقلها ، وتصير امرأة صالحة إن شاء الله لقد جرفها الهوى والغزو الانحلالي .. في التلفزيون في الشارع .. حكايات التائبات والنادمات كثيرة في تاريخنا وحياتنا .. تحمل واعلم كما قال تعالى (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)

تنهد وقال : صحيح ؛ ولكن علينا مسؤولية أدبية نحوها .

قال ناجح الذي ظل صامتا سامعا لهم : ماذا سنفعل ؟ هي اختارت هذا الطريق القذر .. فالسيد فادي سيطلقها بعد هذه الفضيحة .. ولا أعتقد أن يفعل سوى ذلك .. هو الذي يمنعه من الطلاق المؤخر المرتفع بالنسبة إليه .. وإذا قبلت الطلاق دون المال أو تتنازل عن جزء منه فسيحدث الطلاق بسرعة .. وسيتزوجها الخاطف إذا قبلها .

فقال فريد بسخط : يا للعار !!

قالت نوران: أي عار يا رجل ؟! أأنت قلت لها افعلي كذا وكذا ؟ العار على الفاعل نفسه .. الرجل في عمله ووظيفته ، وامرأته تزني .. ما ذنبه وأي عار يلحقه ؟! .. العار يلحقه إن صدق ولم يطلق .. وسينسى الناس .. ولن يلومكم أحد .. هي هربت من بيت زوجها .

قال ناجح وهو ينهض للانصراف : أنت زوجة رائعة يا أخت نوران !! حافظ على هذا الكنز يا فريد .. علينا بالصبر .. ليست كل النساء واحد .



رغم ألم هذا الحادث الصاعق ، فالسيد كمال نزو لم يكترث له كثيرا ، عندما رجع ليلا سمعه ، سب وشتم ونام ، ولما يُسأل عن آخر أخبار ابنته الهاربة من بيت زوجها ، فيتحدث كأنه يتحدث عن ابنة أحد الجيران أو فتاة من فتيات أبو خروف .. هل مات قلبه ؟! أم الغيرة اختفت من ذاك القلب؟ لا ندري .. لذلك عندما دخل المقهى كعادته ، وجلس في الزاوية المعهودة والمفضلة له وقد التمت الشلة ، كان أول سؤال يُسأل عنه هل من جديد يا أبا صالح ؟

أشعل سيجارته ، وسحب عليها كم نفس ، ثم يطلقها في الهواء ، ثم يتمتم قائلا : لا جديد .. الشرطة تقول إنها خرجت بنفسها وليست مخطوفة .. وفراس الجار الملعون ما زال مختفيا .. فيظهر أن كلام الشيطان فادي صحيح بأنها هربت معه .. أنا الذي ـ ويرفع سبابته من يده الخالية من السيجارة ويشير لدماغه ـ يحيرني لماذا قبلت بالزواج من فادي ما دامت رغبتها بفراس اللعين وهو كلمنا بذلك ورفضناه لما رأينا هواها مع فادي .. اليوم نسمع أنها كانت خليلة له .. كانوا يضحكون على لحانا .. هل نلطم لستر شرفنا ؟ هل نقتلها لغسل العار ؟ فالعار لو قتلناها سيبقى ملازما لنا .. حتى لو شرب من دمها ناجح كما صرخ .. فهل يذهب عارها عنا ؟.. والله لا تستحق الفاجرة دمعة تذرف عليها ، ولا حبة زعل .. ولا حتى تمد اليد إليها بصفعة أو بصقة وهي ليست أول امرأة تفجر في التاريخ ، ولن تكون الأخيرة .. فالبلد مليء باللواتي على شاكلتها ـ اتق الله يا رجل .. البلد فيها خيرات حسان وشيخات .. هذا الخلق فيه الطيب وفيه الخبيث.. مثل المعادن فيها النفيس وفيها الخسيس .. هل أصابعك نفس الشيء ؟

قال أبو صالح : أنا قلت لناجح إياك أن تمسها إذا عادت .. وتخسر حياتك في السجن من أجلها إذا عادت قلت له سنطردها وتعيش كما تريد على حل شعرها ، لا أريدها ، ولا أعرفها .. ما دام لها بيت وزوج وقبلت به لماذا تهرب ؟ خليه يحضر لبيته من شاء من الزانيات ما دمن قبلن بالمجيء معه .. هل تظنون أنه بهربها تأثر؟ بل ربما رأى السعد وقد خلى له البيت .. بل هو فرح بذلك ، وسمعنا أنه يسعى في طلب طلاق غيابي بعد أن بلغ عن غيابها واختفائها من بيت الزوجية ، واتهامها بالخيانة الزوجية فسيسهل أمر الطلاق .. أرأيتم فجور الناس ؟ الخيانة الزوجية .

فقال أحدهم متعاطفا : الله يعطيك الصبر .. والده رجل محترم ومسكين ومغلوب على أمره بالنسبة لزوجته .. هي التي تسيطر على البيت منذ عهد بعيد وما زالت .. وهي كانت رافضة لهذه المصاهرة ، ولما أدركت أن الزواج لتغطية فضيحة سكتت وقبلت على مضض .. مواعظ الشيوخ لم تعد تؤثر في سكان حي أبو خروف

فقال أبو نوح : وهل يسمعها أولئك ؟ فهم لا يأتون المسجد .. فالمصلون هم الذين يسمعون هذه المواعظ .. الكلمة حقا قد تغير بلدا .. وهتلر حارب العالم بخطاباته .

ـ هتلر ، من هو هتلر هذا ؟!

ـ يا رجل هذا هتلر زعيم العالم في أوروبا .. ألم تسمعوا بهتلر ؟

فقال أبو أحمد : ما هو هتلر صاحبك خرب الدنيا.. وأهلك الرجال ورمل النساء وزاد الفجور والفسوق بسبب حروبه الدامية .

فقال نعمان : يا رجل الفسوق موجود من أول الدنيا .. ألم تقرأ في القرآن عن أهل سدوم قوم لوط ؟ .. فالفاحشة موجودة بوجود الحياة .. لم تأت من هتلر ولا أبي هتلر .. والحروب موجودة من قبل هتلر ومن بعده .. ها هي أمريكا تخوض غمار الحروب في فيتنام .. ويقال إن الناس تموت بالآلاف .

قال سلمان : يا عالم دعونا من مآسي العالم ، ولنبق مع مأساة أخينا أبي صالح .. ماذا ستفعلون للبحث عن البنت ؟

ـ الشرطة تقول إنها سترجع وحدها كما خرجت وحدها .. إلا إذا ظهرت مقتولة فتتدخل الشرطة .



الطلاق

بينما ناجح عند الغروب يرتدي ملابسه ليسير إلى المقهى الذي أصبح من رواده ، بعدما ترك الذهاب لوسط المدينة لمقابلة صديقاته ، ويتعشى معهن ، ويسهران في سينما أو مسرح أو حديقة أو يمشيان في شوارع وسط المدينة ، فقد كان مذهولا ومصدوما من أحوال شقيقته وعاجزا عن فعل شيء ضدها .. وقد اعتاد أن يقف عند النافذة ، وهو يلبس ، وبينما هو يفعل ذلك ليمشي لمقهى عزب شاهد سيارة نقل صغيرة أمام بيت فراس ، ورأى شابين ينقلان أثاثا من داخل البيت ، ويحملونه في السيارة ، فنزل مسرعا إلى السيارة وسأل السائق عن سبب نقل الأثاث فقال السائق : أرسلنا صاحب العقار لتفريغه من الأثاث .. فمستأجر هذه الشقة سلم المفاتيح للرجل ، وطلب منه بيع أثاثها وأخذ إيجاره .. وسيسكن ساكن جديد فيها أحد الطلاب العزاب فقال ناجح : هل صاحب العقار هو أبو حسام الفار ؟

ـ نعم ، هو نفسه .

تابع ناجح إخلاء المأجور ، بل دخل للشقة ووقف يراقب الحمالين وهم ينقلون الأثاث القليل للسيارة النقل ، ومع آذان المغرب تحركت السيارة ، وودع السائق ناجحا الذي أكرمهم بإبريق شاي ، وأعلم السائق ناجحا أن امرأة ستأتي لتنظيف الشقة بالماء والمنظفات .

وأعاد الشاب الشاي والكاسات للبيت ، وأخبر أمه بإخلاء الشقة من الأثاث ، وسيأتي ساكن جديد .. وختم قائلا : وهذا يؤكد أن ابنتك مع ذلك اللعين فراس .

ـ هل قالوا لك ذلك ؟

صاح فيها : هؤلاء جاءوا من قبل صاحب العمارة .. وفراس الخائن سلم المفتاح لصاحب الدار وأمره ببيع الأثاث وأخذ الأجرة الشهرية منه .. وكلام فادي صحيح .. والله أعلم إن البنت عنده

قالت : سمعت أنه قدم طلب طلاق للمحكمة .

فصاح هائجا : ولماذا يبقيها على ذمته ؟ خزاها الله

ـ كلنا مخطئون يا ولدي .. كلنا مستهترون .. نحن أشفقنا عليه وحزنّا عليه .. ولم نعلم أنه خائن

وغادر .. قدمنا له بعض الطعام شفقة وعطف

ـ هل أصدق أنك ما كنت تعلمين ما بينه وبين فريدة ؟

ـ لو أحسست ما الفائدة اليوم ؟!

ـ معك حق.. يقولون الأم أدرى بابنتها.. وكما قلت لو أحسست ما الفائدة اليوم؟! الملعونة كرهتني في جنس حواء .. كستنا بالعار .. إلى الأبد ..

ـ يا ولدي كما قال أبوك لا تخسر حياتك من أجلها .. فالعار يلحق بها وحدها .. نحن لم نقصر معها في شيء .. ثياب .. مدرسة .. مصروف .. كانت تستغفلني.. وأنا للأسف كنت واثقة منها .. لم يعد لي بنات

ـ أمعقول يا أمي ؟! إنك أمها .. وكيف سنتركها للشارع ؟

ـ تعيش وحدها تشتغل وتصرف على نفسها

ـ كلام فارغ .. وحبسها في البيت لا يحل الإشكال .. أبي لا يكترث لها ولفسادها

ـ أنا معكم يا ولدي .. كنت مصدومة فاقدة للوعي لما أسمع وتكشف لي .. أنا ما قلت لها افجري .. ولا قلت لها أن تخون زوجها ولو كان أفسد الناس .. أو تخونكم أنتم

ـ أنت طيبة جدا يا أمي .. لا تفهمين باللف والدوران .. أنت مسكينة .. أنا سائر للمقهى .. لعلي أجد فريدا هناك .. ففريد وجد في الدين والتوبة سلوته وقضاء وقت فراغه .. وصالح لا يهتم كأن العرس عند الجيران .. وجابر ما تفوه بكلمة .. تقولين كأنها ليست أختا لهما .. وكأن الحادث في أمريكا أو في الصومال .

ـ المساكين ماذا يفعلون يا ابني ؟ الكل من داخله مجروح ومهموم .. وأقول ما قاله أبوك لا تستحق أن يلوث أحدكم دمها بيده .. إنها الآن في جحيم الخوف والهوى ..

ـ أصبحت الحياة قذرة ومذلة .. خزتنا ووطت رؤوسنا أمام الخلق .. كنا نعد أنفسنا ديوكا .. نتسلى ببنات الناس.. أما اليوم فغمرنا بالخزي والعار

تلقى فادي شيك اتصالا هاتفيا من فراس يخبره فيه أن زوجته عنده ، وأنها ترغب بالطلاق

بأسرع وقت ممكن ، وطلب الاجتماع به سرا لتدبير الأمر .

التقى الرجلان في وسط المدينة أمام أحد المقاهي الشعبية ، وفي داخل المقهى قال فادي دون تمهيد : كيف تحبون أن يكون الطلاق ؟ .. ومباركة عليك العروس .

ـ شكرا يا عم فادي .. لا تريد أن يعلم أهلها ولا أحد بطلاقها الآن .. أنت سعيت لديها لتقبل الطلاق منك ، ورفضت هي كما أخبرتني .. وأنت أيضا سعيت لدى المحكمة بالطلاق غيابيا ، ولم توفق بسبب غيابها عن بيت الزوجية والمتأخر من المهر .. فالبنت تقول ستقبل الطلاق إذا دفعت لها ألف دينار وتسامحك بالأربعة الأخرى .

فصاح فادي : من أين سأدفع الألف؟ .. أنا لو معي الألف لتزوجت بها وأبقيتها على ذمتي .. أنا يوم تزوجتها لم يكن معي إلا خمسمائة دينار وهي تعلم ذلك .. وأنا ليس لي إلا راتبي الشهري والبيت لأبي

ـ خفف من صوتك أولا ، وثانيا خذ من أبيك أو أمك من البنك دبر نفسك

ـ لا أستطيع يا رجل ، نحن لنا بضعة شهور متزوجون .. سأدبر نصف الألف .. أقنعها بذلك يا فراس يا حبيبي .. أرجوك أن تقنعها بذلك

ـ يا رجل أنا أقنعتها أن تكتفي بالألف .. على كل حال سأتصل بك ثانية إذا قبلت وسنرتب أمر الطلاق .. اغرب الآن عن وجهي ..

غادر فادي المقهى وهو يقول : تريد الملعونة .. ألف دينار لتعطيها لك .. أنا لا أدري كيف رضيت بالزواج منها ؟!.. هل حقا خفت من تهديد أخيها أم خفت من هذا الرجل ؟ أنا عرفتها قبل أن تعرف فراسا .. أكانت تعرفه قبل رحيله لحي أبو خروف؟ .. لا .. الرجل كان في السجن خرج من السجن ثم سكن في أبو خروف .. كيف ستعرفه؟.. تعرف عليها واتخذها خليلة .. ثم زعمت أنني حبيبها الأول ، ووهبتني جسدها للتدليل على حبها لي .. وصدقت ذلك .. لأنها تخلت عن الصرصور ، وصدقت أنها أحبتني لما رأتني أول مرة والتقت بي وهجرت الصرصور.. لعنها الله ما أفجرها!.. استغلت عاطفتي نحوها .. لقد فتنتني بجمالها ورأيتها أجمل

فتيات الحي ، وأجمل من التقيت بهنّ .. إنها فاتنة .. كانت تريد زوجا لتخفي أسرارها وعريها كله تخطيط من هذا الشيطان .. وتظاهر أمام أهل الحي أنه راغب بالزواج منها .. صفقة خاسرة سأدبر الألف إذا اضطررت .. ساعة سيئة التي قبلت بها زوجة .. أحاطت بي ظروف لم تدع لي التفكير السليم .. لقد اشتهيتها بقوة .. هل سيتزوجها هذا اللص ؟ .. سيعملون فِلما جديدا.. كل كم شهر يحصلون على ألف أخرى .. حيلة كنت أنا بطلها .. فراس لص ماكر .. يتاجر بكل أهله ليصل للمال .. وربما سيطردها شر طردة بعد أن يأخذ نصيبه من المال .. وأعتقد أنه هو الذي استولى على دكان العم أبي صالح .. وقد يكون ذلك بالتواطؤ مع تلك الخنزيرة .. هناك أشياء فهمتها بعد الزواج .. فليست أول امرأة أفسدها على زوجها .. الصرصور يعرفه جيدا ، وسجن معه عدة مرات مصيرهم السجن من جديد هل أكتب رسالة للشرطة عنهم ؟ سيقتلونني إذا عرفوا يوما أنني وشيت بهم للشرطة .. رسالة من مجهول .. كيف ستثبت السرقة عليهم بعد هذه الشهور؟!.. فالأطعمة قد أمست في كروشهم .. والدخان دخنوه أو باعوه .. اللهم اكفني شرورهم .. وشر فريدة .. لماذا سمح لي الصرصور بالذهاب معه عند لقائه لفريدة ذاك اليوم ؟.. ثم تظاهرت بأنها معجبة بي من وراء الصرصور .. لعبة شيطانية .. بعد أن اغووها بالزنا .. لبسوني إياها .. إن اللعبة تتكشف لي اليوم .. كنت مغفلا .. وهي كان عليها أن تنفذ مخططهم بعدما باعت جسدها لهم .. أنت جنيت على نفسك يا فريدة مع هؤلاء الأشرار .. وأنا مثلك حمار مغفل .. من أين سأدبر الألف أو حتى نصف الألف .. عليّ أن أنجو منهم .. ربما لو كان معي الخمسة آلاف لنقدتها إياها لأخلص منها ، وهي وهم سيتقاسمونها بينهم .. فلما يئست عملوا لعبة الهرب من البيت .. والآن يكتفون بألف .. فكل راتبي اصرفه على الدخان والنسوان والمخدرات .. لابد من الخلاص منها .. إذا حملت منهم سينسبون الولد لي ، فهي ما زالت تحمل اسمي .. هؤلاء ناس لا ضمائر لهم ، سيقولون هربت وهي حامل .. لقد أشارت في الأيام الأخيرة إلى الحمل .. اللعنة على اليهود .. سأكلم أمي سيدة البيت .. دخل بيت الأسرة مكشرا غاضبا ، فلمحت أمه ذلك عليه فقالت : مالك ؟! مثل الذي قتل القتيل ومشى في جنازته

ـ أنا في ورطة عويصة يا أمي

ضحكت أمه وقالت : طول عمرك في ورطات ، ولا تسمع النصيحة والمشورة .. ما هي الورطة الجديدة ؟

ـ أريد أن أطلق المرأة سرا دون علم أهلها .. يريدون ألف دينار بدل المتأخر الذي كتب عليّ

ـ لما نصحتك لا تقبل بخمسة آلاف قلت حبرا على ورق .. لما يحدث الطلاق نتفاهم

ـ وها نحن تفاهمنا على ألف

ـ هل قابلتها؟

ـ لأ ، قابلت عشيقها الرجل الذي هربت معه

ـ فراس ؟

ـ نعم فراس ، وهل غيره يستطيع إقناعها بالهرب ؟ بس الذي يحيرني متى تعرف عليها ؟ وقد التقيت بها عندما كان في السجن .. فهو خريج السجون .. لص ومحتال معروف .. وقضى أياما في بيت أمه الأرملة ، ثم رحل لأبي خروف وجاور أبي صالح .. وتعرف عليها بعدي .. إنهم يريدون ألفا مقابل الطلاق .

قالت أمه : الخلاص منها غنيمة ، سواء عرفتها قبل فراس أم عرفها قبلك .. أنا منذ حدثتني عنها وأنا لم استسغها .. فتاة قوية متكبرة رغم جمالها الفاتن .

ـ هو جمالها الذي قضى عليها .. لما رأيتها مع الصرصور وقع هواها في قلبي ..

ـ دعنا من هواك .. كل الشرور فيك يا فادي .. ولكنك ابني .. كم تملك حضرتك ؟

ـ لا شيء سوى راتبي

ـ دبر خمسمائة ، وأنا سأدبر مثلها .. البعد عن فريدة غنيمة ولو دفعنا مليونا .. والمرة أنا التي ستزوجك .. وإياك وإحضار المومسات للبيت .. إنهن مريضات .

ـ من أين سأدبر يا أمي ..أبي لا يقرضني إياها

ـ دعك من أبيك ..أبوك يريد تزويج رامي .

جاءه تلفون آخر من فراس يستفسر فيه عن تدبير المال ، فوافق على اللقاء في حديقة النور حديقة تعرفها فريدة حق المعرفة .

وفي اليوم المحدد التقت فريدة وفراس بفادي ورامي الذي تعرفه حق المعرفة ، وافق فادي على دفع المبلغ عند القاضي ، وسيكون المبلغ معه عند إعلان الطلاق ولم يتكلم فادي مع فريدة بكلمة واحدة ، وكان كلامه كله مع فراس .. وأمام المحكمة التقوا في اليوم الموعود ، وقدموا طلب الطلاق .. وبعد سؤالها من قبل القاضي هل أخذت متأخرها ؟ قالت نعم ، وعلى أثر ذلك أعلن القاضي حكم التفريق بينهم ، وأخذت فريدة وثيقة بذلك وفادي مثلها ، وقد أخبرها كاتب القاضي أن تنتظر ثلاثة قروء قبل التزوج من جديد .. وانصرف الجميع من قاعة المحكمة ، وكل يحمل عقد الطلاق بيمينه.. وانصرف فادي ورامي بدون أن يكلما فريدة جملة واحدة .

وانصرفت فريدة وفراس إلى أحد المطاعم ، وأعطته مائة دينار نظير جهوده ، وتغديا معا ، وقالت وهما يغادران : بقي عليك تنفيذ الجزء الثاني من الخطة .. دبر مبلغا بسيطا ، وأنا سأدبر الأمر مع الأهل بمجرد انتهاء العدة سنتزوج .

ـ ولماذا ننتظر لانقضاء العدة ؟

ـ القانون والشرع

ضحك فراس لتلفظها بكلمة الشرع وقال هازئا: وأين كان الشرع وأنت عندي في البيت؟! .. أي شرع وأي قانون؟! الشرع في الجامع فقط .. فلتبق عندي ، ولما تنته العدة أو يقرب انتهاؤها تعودين لهم لنكمل المشوار.

ـ العدة من اليوم تبدأ .. تلك الأيام كنت زوجة هاربة في نظر فادي والناس .. ولي شهر ونصف مغادرة بيت فادي .. ألم تشبع مني بعد ؟

ـ وهل يشبع من النساء الجميلات ؟

ـ عليك أن تصبر ونتزوج حسب الشرع حتى لا يتدخل أحد في حياتنا ، وإذا ولدت يكون الولد شرعيا .. إنما هي شهران ونصف أو ثلاثة .. القانون لا يعقد لنا قبل مضي ما يسمونه العدة

الشرعية

ـ ألا تخشين من العودة إلى البيت ؟

ـ لا ، لا تخشى عليّ منهم .. كلهم أنذال يلبسون بدلات

ـ ولكنّ فريدا أصبح شيخا يتردد على المساجد

ـ أجبنهم فريد .. وأبي لا يهتم بي ولا بغيري .. بل هم شامتون بي .. وعلينا أن نتزوج حسب الأصول .. ليس من أجل الجنس ، بل من أجل الأولاد يا فراس .. وحتى لا يطلق على أبنائنا أبناء غير شرعيين

ـ أراك تحرصين على القانون ! وما زلت دون العشرين

ـ السماع والقصص .. جهز نفسك وأنا في انتظارك

ـ أخشى إن ابتعدت أن تغيري رأيك

ـ يا رجل أنا صرت ملكك من أجل الخلاص من فادي ، فأنت حياتي منذ جئت حارتنا ، صرت الأول تركت كل من صاحبت لحبي لك .. ولو وافقت حقيقة على الزواج مني لما نال فادي مني شيئا ؛ ولكنها كانت خطتك

ـ كنت أخشى الارتباط بك يا فريدة ..وأنت تعلمين ظروفي بالتفصيل .. وأنا رجل خارج من السجن ، وما زالت الشرطة تبحث عني لقضايا لا تنتهي .. فالارتباط كان صعبا يا حبيبتي .. وشجعتك على الزواج منه حتى إذا وقعت في أيدي الشرطة .. لا تظهر عليك الفضيحة .. فكان عليّ أن أقبل شريكا لي في جسدك والغيرة تنهشني .. وقلت اظهري أمام أهلك رغبتي بالزواج منك ليقبلوا بزواجك من فادي .. فهم يفضلونه عليّ .. وقد وافقت على هربك لأنني مغرم بك هذا ولد مجنون حقا كيف يأتي بالنساء المومسات لبيته وأنت معه ؟ والعجب أن أهله سكتوا .. ولو هربت لأهلك مرة أخرى لأعادوك إليه .. هم يريدون الخلاص والفكاك منك .. فكان لابد من إخفائك لفترة .. حتى يقبل الرجل بالطلاق .. خاصة أنه لن يدفع المؤخر كاملا لطفره .. والألف لا بأس بها .. صدقي يا فريدة لو كان صاحبنا يملك الخمسة آلاف لدفعها ليخلص

منك .. وأنا تحريت عنه وعرفت أنه لا يملك إلا راتبه .. فمنه يسكر ويحشش أحيانا ويزني ..

ـ أنا في انتظارك يا حبيبي

ـ المال الذي معك أين ستذهبين به ؟

ـ سأعطيه لأبي ليصمت ، ثم آخذه منه عند زواجنا .. لن اتركه لفريد وناجح

ـ أفضل أن يبقى معي يا فريدة .. وعندما أتقدم للزواج منك ادفعه لك

ـ دبر مبلغا بسيطا مائتين دينار .. أو احتفظ بالمائة التي أعطيتك إياها ، وسيكون زواجنا شكليا وسيكون المقدم دينارا واحدا .. والمتأخر أنت وكرمك .. وبعد الزواج سأسحب المبلغ من أبي ونفتح دكانا أو محلا لتعمل فيه .. ونبدأ حياة هادئة ؛ لعل الله يرزقنا ذرية نفرح بها .. ماذا كنت تعمل قبل سجنك آخر مرة ؟

ـ عملت أعمالا كثيرة .. سنفتح مقهى أو مطعما فإني عرفت هذه المهن

ـ جيد .. فلنفترق على أمل اللقاء الأبدي يا حبيب القلب ..لا تنساني

ـ ألا من لقاء قبل انقضاء العدة ؟

ـ إذا وجدت البيت جحيما سأتصل بك عند ذلك البقال .. إني أحفظ رقمه صافحها بحرارة وقال : إلى اللقاء يا حبيبتي

ـ مع السلامة .. إلى اللقاء أيها الحبيب

ـ آه من الحب والهوى !

زواج ناجح

لما توارى فراس عن نظرها مشت نحو الشارع الرئيسي في المنطقة ، وفتشت عن أحد البنوك ، وأودعت مالها بحساب خاص فيه ، وكانت قديما قد باعت قطع الذهب التي حصلت عليها عند زواجها من فادي ، ووضعت المال في أحد البنوك ولما سألها فراس يوما عنها زعمت أنها أنفقتها على البيت من أجل استمرار الحياة الزوجية.. وظلت تتسكع في شوارع المدينة ، وقد اشترت ثيابا جديدة ولبستها في نفس المتجر ، ولما هبط الليل دخلت مطعما تناولت فيه الطعام ، ثم دخلت السينما ، ولما انتهى الفِلم أخذت سيارة تكسي إلى حي أبو خروف وطرقت البيت ، وكانت تتوقع وجود أمها وناجح .. فتحت الأم الباب ولما رأتها صاحت دهشة : فريدة !

أزاحت أمها عن الباب وزلفت داخلة ، وأغلقته خلفها وقالت : نعم فريدة .. مساء الخير .. كيف حالك يا أمي ؟

ـ كيف حالي ؟ حالي سوداء بعدك

قالت : انسِ يا أمي ها أنا قد عدت ، وقد حصلت على ورقة الطلاق اليوم

ـ هل طلقت ؟!

ـ نعم ، يا أمي انتهى ما بيننا

كان ناجح قد سمع الطرق الليلي ، فهو لم ينم بعد ، فنزل وسمع الحديث الدائر عند مدخل البيت ، فقال ساخرا : أهلا فريدة .. الحمد لله على السلامة كيف الغربة ؟!

لم تلتفت إليه وقالت : هل حجرتي ما زالت تنتظرني يا أمي ؟

فقال ناجح بحدة وغل : هل شبعت من الرجال ؟

ـ لم اشبع بعد .

ـ عاهرة ! .. أصبحت عاهرة .. ألم تجدي خمارة تحويك ؟

فصاحت بغضب وحقد : اخرس يا ولد .. هذا جسدي وأنا حرة فيه .. إن لم تلزم حدك سأذهب الآن للشرطة وأتهمك بالاعتداء عليّ

صفق بيديه وقال : أعلم أنك تفعلينها .. ولماذا جئت إذن إلينا ؟! لا أعتقد أنك تبت عن المواخير

صاحت من جديد : اخرس يا ولد .. أنا أشرف منك .

ـ أنت أشرف مني .. والذي خلقك ما زنيت قط .

قهقهت وقالت وهل أصدقك يا ولد ؟! أنا التقيت ببعض فتياتك

ـ كلهنّ كاذبات .. مفتريات .. صحيح أنا كانت لي صداقات مع فتيات ؛ لكنها بريئة من الجنس والزنا ، وندمت عليها منذ عرفت أنك عاهرة !

ـ اخرس لا تقل هذه الكلمة على لسانك

قال متهكما: وإلا ماذا تسمين غيابك هذا الشهر عند فراس ؟

ـ لو عدت إليكم لرددتموني لفادي النذل ، فكان الهرب معه هو الحل .. وسنتزوج قريبا .

صاح ناجح : آ ، ستتزوجون .. ألا تعلمين أن فارسك الجديد لص حقير؟! .. وعندما سكن هنا كان خارجا من السجن من أيام قليلة

ـ أعرف ، ولم تأت بجديد .. والمسجون أليس إنسانا وبشرا ؟ وهذه دار أبي فلما تكون دارك تطردني منها

ـ لست نذلا لأطردك .. فها هي حجرتك لم تسكن من بعد .. تزوج شقيقك فريد ورحل ، وسأتزوج أنا وأرحل قبل أن تنتهي عدتك .. هذا بيت جحيم .. بيت خزي وعار

قالت بهدوء : ارحل .. ولماذا لم ترحل بعد ؟!

ـ كنت أعلم أنك ستعودين كالكلبة الجرباء .. واحد مثل فراس هذا لا ترضيه امرأة واحدة .. فهو يتنقل بين عدد من النسوة الماجنات مزيود وغيرها .. فهو بهيمة حيوان .. مثل تيس الغنم سأرحل يا سيدة فريدة ليخلوا لك البيت .

أخذت فريدة بالبكاء من القهر من الطلاق من الكلام الجارح ، ودخل أبو صالح والبكاء يسمع فقال : ماذا هناك صوتكم في الشارع ؟!

هتف ناجح قائلا : عادت ابنتك يا أبا صالح .. عادت رافعة رؤوسنا للسماء

تطلع فيها أبو صالح وقال بسخرية : عدت يا فريدة .. أين قضيت شهر العسل ؟

ـ أهلا أبي .. سامحني يا أبي .. أغواني الشيطان .. فقدت عقلي

ضحك ناجح لمكرها وقال : أنت الشيطان

صاحت في وجهه : اخرس هل تريد مني أعيش في الشوارع ؟

فقال أبو صالح : أين كنت تعيشين كل هذه المدة عندما تركت بيت الزوجية ؟

ـ حصل اليوم طلاقنا فجئت لبيت أبي وأمي .. سأتزوج بعد انقضاء العدة

ابتسم كمال وقال : العريس جاهز

فقال ناجح : لديها عرسان ليس عريس واحدا .. سيصير فراس أفندي صهرك يا أبي .

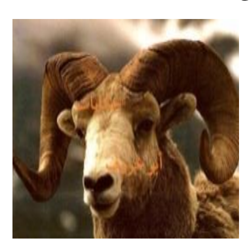
فهاج كمال وصاح : اللص .. الحرامي .. جار السوء

ـ آ يا أبي ، البنت فهمت من كلامها أنها رتبت أمورها مع اللص فراس

فقال كمال : وكيف رضيت به يا ملعونة ؟

قالت بنبرة التحدي المعروفة فيها : وهل اللص لا يتوب يا أبي ؟ هل شارب الخمر لا يتوب يا أبي ؟ هل الزاني لا يتوب يا أبي ؟ هل لاعب القمار لا يتوب يا أبي ؟

قال كمال : كبرت يا فريدة .. تعيرين أباك بجرائمه !



العادة السائدة لأبي صالح كما لاحظتم لا تتغير مهما كبرت وصغرت أحداث أبو خروف ، فدخل المقهى في موعد صلاة العصر ، وجلس على كرسيه المعتاد وطلب الشاي الثقيل ، وأشعل هذه المرة غليونه الإنجليزي ، كما يردد لرفاقه أنه استورده من بلاد الإنجليز ، وسحب ونفخ عدة مرات ، وقال له أبو نوح : أصحيح أن البنت رجعت يا أبا صالح ؟ أم الأولاد أخبرتني ذلك الخبر عند صلاة الفجر قالت البنت الليلة عادت لدار أبيها كيف هي ؟

ـ عجيب أمر الناس !.. على صلاة الفجر كان الخبر يمشي بين الناس ..

اخرج الغليون من فمه وتابع : عادت كما تعود بنات الناس .. البنات الهاربات .. أنا قلت إنها لن تعود مثل بنت ... ولكنها عادت مطلقة .. طلقت صباح أمس وعادت للبيت ليلا .. وقلنا كم كلمة وانتهى الموضوع .. البنات خزي وذل

ـ التربية سيئة يا أبا صالح.. أنت قصرت في تربيتهم الأخلاق الحسنة .. وأمهم غلبانة لا تتدخل في شيء .. تسمع فقط .. لقد أهملت في حقهم .. وها هو فريد قد هداه الله ، وها هو يتعلم القرآن ، ويجلس مع المشايخ ، ومع الوقت سيصير شيخا

قال آخر : أصبحت ابنتك اليوم مطلقة .. دمرت حياتها بنفسها .. ماذا ستفعل في البيت ؟

فقال آخر : سيأتيها ابن الحلال

فقال أبو صالح بحماس : العريس جاءت به معها

فصاحوا دهشة فقال : مالكم ؟! قلت البنت جاءت تقضي العدة عندنا .. لماذا العدة والبنت لا تعرف صلاة ولا دين ولا رمضان ؟!

ـ من هو عريسها الجديد ؟

قال بحزم: الحرامي فراس .. الحرامي الذي هرب بها وغرر بها .. والذي خلاها تترك المدرسة الحرامي خريج السجون .

ـ مرتبة الأمور مع فراس .. جاء السعد !

ـ أي سعد ؟! جاء الشيطان .. كان يوم أسود اليوم الذي شرف فيه حي أبو خروف .. زعم أن والده طرده ، وأبوه ميت من القهر منه .. طلع من السجن وسكن بيننا .. كيف أصحاب البيوت يؤجرون الشقق لأصحاب السوابق والإجرام ؟

ـ صاحب البيت يريد المال .. وهل يبقى المأجور فارغا ؟.. هذه الدار ظلت شهور خالية قبل سكنه فيها .. فهي تحت الأرض وعفنة تملأها الرطوبة .. وما دامت الحكومة أفرجت عنه .. فلماذا يعاقبه صاحب العقار؟ والرجل كان يدفع الإيجار المتفق عليه .

قال أبو صالح : لعنة الله عليه .. المهم جاء وفسد البنت علينا ، وعلى زوجها ، وهو اليوم يوهمها أنه سيأتي للزواج منها .. ومتى ستنتهي هذه العدة ؟ .. لو تزوجها قبل أن تأتي لكان خيرا لنا .. فها هو ناجح سيترك الدار قبل أن تتزوج .. وهو اليوم مصمم على الزواج قبل انتهاء عدة فريدة وسيتقدم لأبي فواز لطلب يد ابنته زهرة .

ـ لم يجد إلا زهرة .

ـ يبدو أنها لم تطلع من نفسه .. والبنت خطبت وبطلت .. سمعته يحدث في البيت أمه بذلك ، ويطلب منها أن تذهب هي وأختها أم ريان جارتهم للحديث مع أم الفتاة

فعلق أبو أحمد رشيد : ما دامت البنت خطبت وتركت سيقبلون به سريعا .. وناجح ولد جدع ولماذا لا يسكن معكم في البيت ؟ .. وفريدة سترحل عندما تتزوج اللص فراسا ؟ وأنتم بحاجة لرعاية فقد كبرتم .

ـ الله يرعانا .. نفرض ما خلفنا .

قال سلمان : نفرض ما خلفت ، وأنت خلفت خمسة أنفار.. فجابر مليح معكم ومساعدك في البقالة فليرحل للعيش معكم .. لو مرض أحدكم في الليل وتحتاجون لطبيب أو مستشفى فسيساعدكم .. جابر جيد

وزكى الجميع جابرا فقال أبو صالح : ليومها يفرجها الله يا جماعة الخير .. تكلمنا الكثير وتأخرنا عن اللعب

قال أحدهم : ما هي أخبارك تتصدر نشرة الأخبار كل يوم .. أحداث ساخنة .. اليوم فريدة تهرب .. الليلة تعود للبيت .. اليوم تتطلق .. غدا ستتزوج .. الله يهديها وييسر لها ابن الحلال حتى يستر عليها

ضحك أبو صالح وقال : فراس ابن حلال .. هو ابن شيطان وشيطانة

ـ أبوه ميت يا أبا صالح

ـ سمعنا ذلك ، هيا وزع الورق لنكسب دورا قبل صلاة المغرب

ضحك نعمان وقال : أنت تهمك الصلاة .. نحن نذهب للجامع وأنت تظل تلعب .. كم أتمنى أن أراك في الجامع يا رجل !

ـ إن شاء الله !

أوصل ناجح أمه وخالته أم ريان لبيت أبي فواز وقال لهن بعد نصف ساعة سأعود إليكن

هذا ما حدث بعد رجوع فريدة لبيت أهلها بيومين فقط .. استقبلت أم فواز المرأتين ورحبت بهما، وقادتهم إلى غرفة الاستقبال ، وهي تكرر الترحاب بهنّ ، فأم ريان سيدة فاضلة معروفه بنشاطها الاجتماعي بين نساء الحي ، وتقديم الصدقات والإحسان للعائلات ، وقدمت لهن زهرة الشاي والعصير ، ووضعت أمامهن الفاكهة ، وتحدثت أم ريان بالغاية التي جئن من أجلها ، وقد تفاجأت أم فواز وزهرة بالأمر ، وبعد مجاملات قالت أم فواز : مرحبا بكن .. سأتشاور مع أبي فواز والأولاد ، وزهرة ها هي تسمع .

فقالت أم ريان : شكرا على الاستقبال.. أرجو أن تردوا علينا بأسرع وقت ، فناجح ابن أختي يريد الزواج خلال شهرين إذا تم القبول .

ـ ولماذا العجلة يا أم ريان ؟!

ـ أحوال خاصة فيه .. شاوري الأخ الكريم أبا فواز ..وأنا سآمر عليكم غدا مع ابني حسن .

ولما رافقت المرأتين للباب ، وودعتهما أغلقت الباب ، وعادت لزهرة فقالت : هل بينكم شيء يا زهرة ؟

قالت الفتاة وهي تلحظ نظرة الاتهام في عيني أمها وكلامها : أبدا يا أمي ولا تنسِ أنني قبل أسابيع كنت مخطوبة .. منذ حادث ابن أخيك ولم ينطق لساني بلسانه .. والأمر إليكم .

ـ الآن جاء من الباب الشرعي .. أنت راغبة فيه يا زهرة .. أسمعت بقصة أخته الشائعة في الحي هذه الأيام .. من هربها من بيت زوجها وحياتها لأكثر من شهر مع لص خارج بيت الزوجية

ـ وهذه هي الظروف التي أشارت إليها أم ريان .. المرأة الفاضلة هي خالته وخالتها .. أم المهندسين والمعلمات .. فليس كل الناس نفس الشيء يا أمي .. فناجح منذ زواج أخته قد تغير

هكذا تتحدث عنه صبايا الحي .. وأخوه فريد أصبح متدينا يطلب العلم الشرعي عند الشيوخ الناس تتغير

ابتسمت الأم وقالت : أنا أعرف هواك للشاب ؛ ولكني ظننت أننا انتهينا منه .. وزواجك الذي دبرناه قد فشل ، لعل النصيب يكون لناجح .. أنا لا اعتراض عندي عليه ؛ لأن أم ريان امرأة صالحة ، ولو لم تر أن ابن أختها كفء للزواج ما سعت في ذلك ..فالأمر الآن لوالدك يا زهرة .

ضحكت زهرة وقالت : إذا كلمت أبي برأيك ، سيأخذ برأيك يا حبيبتي يا أمي الغالية .

ضحكت أمها وقالت : غريبات البنات .. الزواج له سحر عندهنّ .. الأم أهم حدث في حياتها بعد الولادة زواج أبنائها يا زهرة .. وإذا ارتاحت البنت في بيتها يرتاح قلبها وحياتها .

لما اطلع أبو فواز على القصة ، ومجيء أم ريان وأم فريد لطلب يد زهرة لناجح قال الرجل لامرأته : زهرة ما قولها ؟

ضحكت أم فواز: زهرة لها هوى فيه قديما ، وفشلها في الزواج من ياسر لا يدع لنا مجالا للرفض وهي قالت الأمر لكم والشاب راغب بالزواج ليخرج من البيت ويبني أسرة جديدة .. وخالته أم ريان أنت تعرفها ، لو لم تره كفئا لها ما قبلت المشي في زواجه

ـ معك حق ، وهذا هو الذي يطمئن .. فأم ريان سيدة الخير في الحي والمنطقة .. نحن صحيح لسنا من سكان أبو خروف ولكننا كحي واحد لا يفصلنا عنه سوى شارع الدوار .. والناس يسمونها أم المساكين يشبهونها بإحدى زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم فجهودها معروفة.. لكن القرابة بينهم لها دور .. الحقيقة أن الإنسان يقبل شفاعة أم ريان بدون تفكير .. وأنا راغب بزواج زهرة العاجل .. فهي قد فشلت في المدرسة ، والزواج هو مستقبلها وحياتها ما دامت هي موافقة على المذكور .. فعلى بركة الله

ـ وأنا مثلك راغب بزواجها .. وعلى بركة الله .. سأدعوها لك لتشاورها في الأمر ، وتعلن لها موافقتنا .. فالمرأة أم ريان ستمر علينا لسماع الرد بالقبول أو الرفض .. لأن الشاب يريد الزواج خلال شهرين .. فهو عاف بيتهم ..

ـ ولماذا العجلة ؟

ـ كما قالت أم ريان الشاب مستعجل .. لقصة أخته المحرجة لهم .. وقالت أم ريان وهي تودعني سبب الاستعجال في الرد حتى إذا لم يكن النصيب عندنا تبحث عند غيرنا

ـ بدون مشاورة الأولاد على بركة الله يا عزيزتي

ـ اشكر ثقتك بي يا أبا فواز

لما أقبلت أم ريان مساء اليوم التالي زفت إليها البشرى بموافقة الجميع على مناسبة أبي صالح في ولده ناجح ، وكان ابنها المهندس حسن ينتظرها في السيارة ، ودخلت تلهث ، فلما سمعت البشرى عانقت أم فواز شاكرة وقالت الأخرى: الشكر لك يا حاجة أم ريان .. ولولا خاطرك وشفاعتك لفكرنا مليون مرة قبل القبول بابن أبي صالح

قالت : أعرف .. وأنا ممتن لكم .. أولاد أختي يريدون الخروج من البيت المظلم .. والأخ فريد بعد زواجه لابد أنك سمعت سيرته .. وناجح يسعى لهذا الهدف .. والبنات كثير في الحي كما تعلمين .. ولكن الشاب عرف ابنتك قديما ، ووصف بأنها ناضجة العقل وتتحمل المسؤولية .. ويرى أن من حظه فشل زواجها من السيد ياسر قريبكم..

ـ يا أختي مباركة عليكم إن شاء الله .. والحاج لما سمع أنك جئت بنفسك رحب وقال الحاجة أم ريان لولا رؤيتها أن ابن أختها كفء لزهرة ما تشفعت في هذا الموضوع الخطير

ـ صدق الحاج يا أم فواز

ـ ألا تريدين الدخول ؟

ـ ابني على الباب .. أين زهرة ؟

نادت الأم عليها ، فلبت النداء سريعا ، وسلمت على أم ريان التي احتضنتها مهنئة ، وقبلتها من وجنتيها ، وباركت لها وقالت لهنّ : زوج أختي أبو صالح فاسد وضال حياته الجلوس على المقهى ولعب الشدة .. الله يصلحه

قالت أم فواز : على كل حال عرف ناجح من يرسل لنا .. سندعو لك يا أم ريان بكل خير ..

ونحن لا يهمنا أبا صالح ، يهمنا الولد أن يصير صالحا .. وزهرة تقدر هذه الخطوة منك ..

ـ الشكر الجزيل لكم جميعا .. وسأخبره الليلة ؛ لأنه سيمر عليّ بعد صلاة العشاء .. وخير البر عاجله .. لنرتب للخطبة والزواج في آن واحد .. وأنا سأساعده في تحقيق كل طلباتكم .. فأنتم نعم الأهل والجيران .. مبارك يا زهرة

ردت زهرة : أنا بدوري أشكرك يا أم ريان .. أنت نوارة حي أبو خروف وحي النجمة

ـ البركة في الجميع .. سلموا لي على أبي فواز .



جرت الأمور التي تسبق الزواج على خير ما يرام ، قام أبو صالح وبعض رفاق القهوة وأولاده وأبو ريان وأبو محمد زوج الأخت الثالثة بزيارة بيت أبي فواز الذي استقبلهم بمجموعة من أقاربه وأصهاره ، واتفقوا على المهر المقدم والمؤخر وتوابع المهر الأخرى ، وفي اليوم المحدد كتب عقد الزواج أمام القاضي الشرعي في المحكمة الشرعية ، وتم تعيين يوم حفل الزواج ، وقدم له أخوه فريد مساعدة مالية ، وقال مداعبا له : لم تصبر على فراقي فأسرعت بالزواج يا ولد ..

فابتسم له ناجح وقال: عودة فريدة عجلت فكرة الزواج لديّ .. نحن لا نحب الفسق الصريح وهذه فتاة خرجت عن الحد ، ولا تسأل عن شرف ولا كرامة وتقيس نفسها بالرجال .. فالبعد عنها مغنم يا فريد .. وهذا وهي ما زالت دون العشرين سنة ، فكيف عندما تكبر خمس ست سنين أخرى ؟ فلماذا أحرق أعصابي ؟ ها هو ربي أكرمني بزهرة إحدى معارفي في الفترة الأخيرة وهي وإن تركت المدرسة تفهم في الحياة جيدا .. والتوفيق بيد الله وحده .. وأسأله تعالى أن يهديني كما هداك يا أخي الكبير .. ووعدت خالتي أم ريان أن أكون عند حسن ظنها بي .. وأن أغير من نفسي للأفضل ..أخشى يا رجل أن استيقظ يوما وأجد رجلا غريبا في بيت أبيك .. سأرتكب جريمة أسجن أو أعدم بسببها ، وكما قال أبوك إنها لا تستحق أن يسجن من أجلها

يوما واحدا .. لو أحدهم اعتدى عليها ودافعنا عنها وقتلنا أو قتلنا ما نندم .. فالخائنة تهمل ، ولا يكترث بها حتى تموت أو تتوب إلى الله توبة صادقة .

ـ الكثير من كلامك جميل .. عقلك يكبر يا ولد .. فالأخ ماجد الشيخ الذي عرفتك عليه ذات يوم ، قال ليس لنا إلا الصبر والتحمل ؛ ليقضي الله أمرا كان مفعولا .. فالقضاء على حياتها ليس هو الحل الأمثل في هذا الزمان .. يقعد الإنسان الغاضب والمنتقم سنوات وسنوات وراء القضبان والذي حدث حدث .. وهل يعود إليها ما فقدت ؟ .. وبما أن الحدود الشرعية معطلة في هذا الزمان في كل بلدان المسلمين فليس هناك إلا التوبة .. وهذه أمرها إلى الله علام الغيوب وقال إذا الإنسان قتل قريبته زال عنه ما يسمى بالعار .. فالتهمة لاصقة ولا يزيلها إلا الإحسان والتعلق بالأعمال الصالحة والتوبة الصالحة والإخلاص .. فالأخلاق الحسنة هي الباقية ، وفي الإيمان إزالة العار .. في الحقيقة كلمني كلمات كانت بلسما للنفس المكلومة .. فأنت بعد زواجك عليك أن تعود إلى الله ، وتترك فريدة لنفسها ، عسى الله أن يصلحها، وتعرف حقوق أهلها عليها .. والمسيء حقيقة يسيء لنفسه أولا .. وأتمنى لك يا أخي الصغير حياة سعيدة مع الأخت زهرة ، ولا تنس وقفة خالتك أم ريان معك .. والناس تقدر أهل الصلاح رغم الغمامة المحيطة بالشيوخ من أهل الفساد .. فقد أكرمونا وسهلوا الأمور إكراما لأم ريان وللخير الذي تشتهر به أم ريان .. فقد اعتبرتك خالتك ابنا لها ، ودخلت بزواجك بكل قوة لأنها تحب الخير للجميع أنا ما عرفت قيمتها إلا بعدما تدينت قليلا .. فكل شخص التقيته بعد التوبة ، ويعلم أن أم ريان خالتي يتفاجأ من البون الشاسع بيننا وبين أسرة أبي ريان ، فسمعتها مثل الشهد ، وسمعتنا مثل الثوم أو البصل .. فخالتك تعمل الخير وتدعو الله أن يقبله خالصا لوجه .. والمؤمن يحب للناس ما يحب لنفسه

ـ هذا أنت شيخ بجد

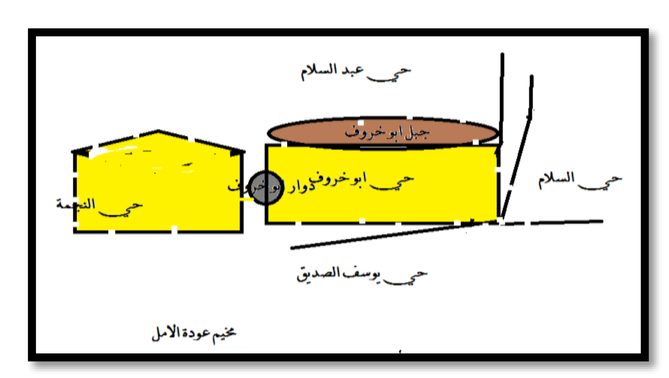
ـ الحمد لله .. إني أذكر لما كنت أرى خالتي تمر على العائلات الفقيرة خاصة في مواسم العطاء كرمضان وعيد الأضحى لتقدم لهم المساعدة البسيطة أو كيسا من اللحم أستسخف هذا الفعل

وهذا النشاط ، وأقول لمن معي خالتي مجنونة .. شاغلة نفسها في إطعام الفقراء والشحاذين وتوزيع الثياب عليهم كنت أجعل من فعلها بابا للدعابة والنكت ، وأعجب أكثر من مشي ريان المهندس في سيارته على الدور والمنازل معها .. لكنني لما فهمت اليسير من الإسلام والزكاة والصدقة والتكافل الاجتماعي الحقيقي ..أدركت أن هذا هو الزاد الحقيق للإنسان عند الله .. فإن خير الزاد التقوى .. فعندما يستطيع الإنسان القوي مواساة ومساعدة الفقراء والضعفاء فيحس ويشعر بالسعادة والإيمان ..أرأيت كيف تجاوب أبي فواز مع شفاعة خالتك بسهولة في أمر زواجك ونسي القصة القديمة فورا ؟! .. وهذا الشيء ألمسه مع الأخ ماجد عديلي زوج أخت زوجتي نوران .. كيف يتفهمه الناس ويقبلون واسطته في شؤونهم المختلفة؟ .. الناس لا تحب تزويج شاب عمل صداقة مع فتاة حتى لا يقال ويقال ..إلا إذا اضطروا لذلك لدرء وستر شيء كما حصل معنا .. لأن الشائعات بهذا الزواج تصبح حقائق .. شتان بين أمنا وخالتنا !



بيت جديد

استأجر ناجح كمال بيتا قرب دوار أبو خروف حيث تسكن خالته أم ريان، وأيضا أصهاره دار أبي فواز .. في بداية الحي من الأسفل بل في حي النجمة حسب التنظيم البلدي لإحياء المدينة وقام بشراء الأثاث المناسب للزواج ، وساعدته خالته أم ريان أيضا في تأثيث البيت عن طريق الجمعية .. وقبل أن ينصرم شهر على عودة فريدة لبيت أسرتها حتى كان الرجل يغادر البيت عريسا ، وكان وهو يغادر يقول لفريدة مودعا ، وهي رفضت المشاركة في العرس : أتمنى لك حياة سعيدة يا فريدة .. لكني أقول التمرد على عادات الخير ليس في صالحك .. ها أنا أترك لك الجمل بما حمل ..



ردت عليه هازئة : كلٌ حر بحياته .. هنيئا لك حبيبتك زهرة ..التي صفعت من أجلها أمام كل الناس

وضع يده على خده لا شعوريا وتحسسه وقال : الحمد لله أني وجدت من يصفعني أمام الناس لاستيقظ وأتربى ، ولا اعتدي على أعراض الناس .. أنت لم تجدي من يصفعك على خدك حتى الآن .. صدقي أو لا تصدقي أني أتمنى لك من قلبي أن تتوبي إلى الله ، وتحسني الاختيار لزوج الغد ، وتنظري إلى النماذج الحية الطيبة من النساء.. فها هي خالتك اكتشفنا على كبر أنها سيدة مهمة في الحي والمجتمع .. كنا نراها قديما سخافات وإضاعة للوقت ، فإذا هي أعمال عظيمة عند الناس ، والكل يمدح السيدة ويذكرها بخير ويقبل نصحها .. ولم تتأثر سمعتها بفعلنا وبفعل بنت أختها .. وما زال الناس يحبونها ويأتون لجمعيتها يطلبون المساعدة .. حتى

صرنا اليوم نفخر بأنها خالتنا .. وكما يقول فريد هي تعمل لإرضاء الله تعالى ، والله وضع لها القبول في الأرض بين الناس ، وهذا جاء لم تبذله .. تأملي حياة خالتك وابدئي صفحة جديدة خالتك التي كنت تذهبين لبيتها لتعلم الإنجليزية من ابنتها ميمونة ، ثم تذهبين إلى ... لقد صدمنا من فعلتك الشنيعة .. كنا نرى أنك ستذهبين للجامعة وتصيرين معلمة ..

ـ أنا أعلم أنك تكرهني ولا تحبني

ضحك وقال: أنا اكره أعمالك المخزية الأنانية .. عندما تصبحين فاضلة .. سترين حبي الصادق لك .. سلام خذي بالك من أمك المسكينة التي تركتنا على حل شعرنا كما يقال .. تعلمنا الدخان ولا أحد ينهانا .. شربنا الخمر ولا أحد ينهانا .. لعبنا القمار لا أحد يمنعنا .. فلما نبهتنا خالتنا لهذا الخطر قال أبوك : خالتكم مخرفة .. عقليتها عقلية الناس القدامى وتساءلت من هم هؤلاء الناس القدامى ؟ .. إلا إذا كان يقصد أصحاب محمد ﷺ الأوائل .. نخرج مع البنات لا أحد يزجرنا ، ويقول لكم أخوات وأمهات .. لا تحذير حتى صدمنا بما وقع من أختنا .. أصابنا الخزي فاضطر فريد للهرب بالزواج .. وأنا أفعل مثله ؛ لعلنا نعيش بعيدا عن الفتن والشهوات نصيحتي الأخيرة ، وأنا موقن أنك لن تهتمي بها ، لا تتزوجي من فراس .. فهو شيطان مريد لص أغلب حياته قضاها في السجون .. احفظي شرف المكان الذي تنامين فيه .

وغادر ناجح البيت الذي ولد فيه ، وترعرع فيه ، وأقام حفلة زواج متواضعة في إحدى صالة الأفراح والاجتماعات العامة ، وانتقلت زهرة إلى بيت زوجها ، ولما خلا بها كما يخلو الأزواج بزوجاتهم قال باسما : أحبك يا زهرة .. ظلت صورتك في قلبي

قالت : وأنا أحببتك حقا ، وتمنيت هذا اليوم .



كيف الحياة بعد زواج الأولاد يا أبا صالح ؟

طفا الرجل سيجارته فهو يدخن الغليون ، والسجائر حسب المزاج ، وقال بعد رشفه رشفة من كوب الشاي الأسود الثقيل : أنا لم أكن أرى الأولاد كثيرا.. فلم أشعر بأي تغير يا أبا نوح .. كنا نلتقي يوم الجمعة على الغداء ، وأراهم صباحا ونحن نشرب الشاي ، وهم ينصرفون لإعمالهم .. وأسعى للدكان حتى العصر ، ثم آتيكم فأراكم أكثر من المرأة والأبناء .. ولما أعود في الليل أجدهم نياما .. وحتى لما كان فريد يجلس في المقهى لا أحس به .. هذه سنة الحياة أن يستقل الإنسان عن الآخرين ببيت وزواج ، ويبدأ حياة خاصة به .. صالح تزوج وخرج ، وجابر مثله ، وفريد مثلهم وناجح .. وكنا نظن أننا تخلصنا من ست الحسن فريدة ؛ ولكنها خيبت آمالنا وفسدت أخلاقها .. وهي قابعة في قعر حجرتها تنتظر شيخ اللصوص .. والكل يتزوج، والمجرم يتزوج ، والحرامي أيضا يتزوج .. وإذا متنا سنترك لها الدار ترتع فيها ، وإذا تزوجت ذاك الشيطان كما زعمت .. مع ألف قلعة .. فسيأتي جابر للحياة معنا كما أشرتم علينا وقال جابر : لوقتها يفرجها الله .. آ.. تذكرت سمعت أن صاحبنا الحاج أبي أحمد سقيم وأدخل المستشفى

قال أبو نوح : نعم ، لم يحضر عرس ناجح .. ذهبنا لبيته نسأل عنه .. فأخبرتنا عائلته أنه مريض وفي المستشفى .. وغدا سنذهب إليه في المستشفى كما اتفقنا مع الإخوان

ـ إي مستشفى وأي ساعة ؟

ـ مستشفى الصحة وعلى وقت الزيارة ، بعد الظهر نتحرك ، سيأخذنا ابني سليمان فقد رضي بأخذنا .

ـ هل لي وسع في سيارتكم ؟ .. أم أطلب من صالح بأخذي

ـ هناك وسع لخامس

ـ سأرتب أمري .. وأطلب من جابر أن يأخذ إجازة للبقاء في الدكان .. فالأخ أبو أحمد صديق العمر .. ما وضعه الصحي ؟

قال أبو عدنان : يخشون على حياته كما قال العيال ..

فقال سلمان : سأذهب أنا وزوجتي ؛ لأنها صديقة لامرأته ، وستأخذنا بنتنا بيان في سيارتها

فقال أحدهم : أنا أراها تصف سيارتها أمام البيت

قال سلمان : اليوم البنات تسوق السيارات ، وهي تحب زيارتنا ، وهي اليوم أم لخمسة أولاد .. وزوجها رجل محترم ، وكلاهما يدرس في الجامعة .

ـ ما شاء الله .. أسرتك كلها تعلمت

ـ الله الموفق أولا وأخرا .. درسنا الأوائل في المعاهد والجامعات.. والأواخر درسوا بمساعدة الأوائل .. والحمد لله .. وبيان كانت ذكية ، وأحبت الدراسة فدرست في الجامعة على نفقة يوسف البكر .. تعلمت الفيزياء .. وبعد أن تزوجت أخذت الماجستير بمساعدة زوجها الذي درس مثلها الماجستير ثم الدكتوراه مع بعضهم البعض .

فقال أحدهم : بارك الله لك في ذريتك أبا يوسف .. وشقيقك أبو نوح مثلك ، أعتقد التعاون مطلوب بين الأشقاء ليتعلموا .

قال أبو نوح : أولادي أغلبهم درس مثل أبناء عمهم ، وبعضهم لم يوفق في المدرسة ، ويعملون أعمالا جيدة ومربحة ، وموفقون والأهم عندي أنهم يصلون ذكورا وإناثا .. لم أسمح لهم بالاختلاط بشباب الحي .. كان أكثر اختلاطهم بأبناء عمهم وعماتهم .. فنجوا من مفاسد أبو خروف .. وعرفوا كيف يبنون حياتهم ؟

قال أبو صالح : الصحيح أولادكم نوارة الحي ، مثل أبناء أم ريان

قال أبو نوح : أم ريان أم الحي من عشرات السنين .. سيدة كريمة ومجاهدة ونشيطة .

قال سلمان : الدخان لا يعرفه أولادنا يا أبا صالح .

عندما أوشكت عدة طلاقها على الانتهاء خرجت فريدة إلى بقالة والدها حيث يوجد فيها هاتف فبعدت أن سلمت وأكلت ما طاب لها قالت : أريد أن استخدم الهاتف يا أبي .

أعطاها قطعة نقود معدنية ليتم الاتصال بواسطتها ، وأجرت الاتصال مع البقال الذي تحفظ

رقمه ليخبر فراسا باتصالها ، فبعد التحية سألته عن فراس ، فأعلمها أنه قبل قليل اشترى من عنده ، فأعطته موعدا لتتصل بفراس ، وشكرته ، فقال أبوها بعد تركها سماعة الهاتف : انتهت العدة التي لا أفهم لما هي ؟ والذي يسمع ويرى اهتمامكم يظن أنكم شيوخ وأهل دين

ـ لسنا شيوخا يا أبي ، العاقد لا يعقد لنا إلا إذا انقضت تلك الفترة ، وإلا تعرض للحبس والمنع من العقد ثانية .. فلن يكتب العاقد أو القاضي إذا لم تكتمل العدة منذ تاريخ إشهار الطلاق .. ما هو أنا قعدت شهرا ونصفه بدون أن أرى زوج النحس .. القضية قضية تاريخ الطلاق الرسمي .. هذه قوانين الشريعة التي تطبق في المحاكم .. هل عند الأجانب عدة في دينهم ؟

ضحك أبو صالح وقال : هو هل عندهم دين ؟.. خذي بعض الفاكهة لأمك وعلبة شراب

ـ ولي .

ـ ولك ظننتك شبعت .

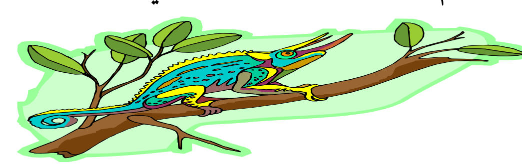
ملئت بعض الأكياس بفواكه مختلفة من العنب والدراق والخوخ .. فاكهة الصيف الذي أصبح على الأبواب وتناولت علبا من العصير ومن المكسرات وقالت : هل عرفت الشرطة الذي سرقك يا أبي ؟

عاد للضحك ثانية ؛ كأنها قالت نكتة أو طرفة ، وكان يعيد لزبون الباقي وقال ساخرا : تقول سيمسكونه الشرطة ، كما قال جابر إن الحرامي على وشك الوقوع .. فاللص قد سرق عدة محلات .. فهم قد سرقوا متجرا آخر قرب الدوار الذي عند بيت خالتك أم ريان .. وبعد أيام سرقوا محلا آخر في نفس الشارع .. ومصيرهم أن يقعوا

قالت : إن شاء الله يقبض عليهم وتعود لك أموالك

ـ الذي سرق من عندي لا يعاد .. أكل وشراب ودخان ومال .. مواد مستهلكة .. ولصنا حتى سرق دفتر الديون ؛ لذلك قال المخفر إن اللص زبون عليه ديون للدكان .. وأغلب الحي الذين يشترون من عندي على الدفتر ولآخر الشهر .. وحصلنا الكثير منها جزافا وعلى النية .. سلمي على أمك.

ابتعدت فريدة بما حملت عن الدكان وقالت متعجبة : لص يسرق دفتر الديون ! .. هؤلاء لصوص صغار يسرقون طعاما وعصيرا ودخانا .. لماذا لا يسطون على محلات الأجهزة الكهربائية ؟ الجهاز الواحد ثمنه مبلغ من المال .. أخذها التفكير في حياة اللصوص .. ولما دخلت شارع المنزل قالت : فراس كان متهما بالسرقة .. فماذا يسرق ؟ ماذا سرق قبل دخوله السجن ؟ لم يكن يتحدث عن الأشياء التي يسرقها.. كأنه تحدث عن سرقة مطعم .. سرق الغلة اشتغل في المطعم ثم سرقه ، واتهمه صاحب المطعم مباشرة ، وثبتت عليه السرقة ، وقضى سنينا في السجن.. واضطرت لتسأل نفسها هل هو الرجل المناسب لك يا فريدة بعد تجربة الزواج من فادي؟! .. فادي محترم ؛ ولكنه يحب النسوان .. لقد أقر لي أكثر من مرة قبل زواجنا بزناه عدة مرات ، ومن نساء متزوجات .. وقبلت الزواج منه لأن فراسا طلب ذلك لنخفي علاقتنا الجنسية عن الانكشاف والانفضاح.. فبعد أن ضعفت أمامه قال علينا أن نزوجك يا فريدة .. فأنا لا أستطيع الزواج منك هذا الزمن .. لأني مطارد من الشرطة .. فقبلت اللعبة ، واستمرت العلاقة بيني وبين فادي وتصنعت حب فادي الشديد ، ثم أقنعني بالاستسلام له ليقبل بالزواج مني .. ومضت القصة كما رسم فراس .. كيف سخروا مني وأصبحت عشيقة لهم ؟!



خرجت في اليوم التالي لدكان أبيها لإجراء الاتصال عند الساعة العاشرة .. الساعة التي يستيقظ عندها فراس .. سلمت على الرجل العجوز الذي هو كوالدها سنا ، والذي يشتري منه فراس كما كان يشتري من أبيها .. وتذكرت وهي تتصل أن الرجل سرق كما سرق أبوها .. وكانت السرقة معلبات ودخان ومال فقد جاورته أسابيع ، وحدثت السرقة وهي مختفية هناك ، ولم يبلغ الرجل الشرطة واعتبرها صدقة عن الأولاد ، كما قال لفراس والصرصور وعسود ، فقيل أيضا كما قيل هنا لص جوعان سمعت صوته على الهاتف ، ولما عرفها فقال : لم يأت منذ ذلك الاتصال .. عاودي الاتصال غدا .

قضت ثلاثة أيام تتردد على دكان والدها حسب الموعد ، والبقال يرد عليها : لم يحضر لا هو ولا أحد من رفاقه .

لم يشتروا من عنده شيئا من أيام ثلاثة ، فانزعجت فريدة ، وعرف والدها القضية فقال : لم يظهر بعد .. لعله أوصى الرجل بإنكار رؤيته

تطلعت بعيني والدها متسألة : لماذا ؟

ـ قد يكون التقى بأنثى أخرى .. هل يصبر زان عن الزنا كل هذه المدة ؟ .. التعود على الشيء يصعب التخلص منه .. فاللص يظل يسرق ويسرق حتى يقع ، والمعاصي هكذا .. هل صدقت كلمة لص ؟

ـ لص !

ـ ألا تعلمين أنه لص ؟ .. سرق مطعما عمل فيه أياما .. وسرق صيدلية .. فهو سجن أكثر من مرة .

ـ ولكنه تاب .

ـ صدقت أنه تاب .. وكيف تاب وقد سرقك من زوجك ؟

ـ سرقني من زوجني ؟!.. زوجي فاجر .. أترضى لابنتك أن ترى زوجها يجامع النساء على سريرها بدون خجل وحياء ؟ .. اسكت اسكت يا أبي .. سأذهب إليه بنفسي .. لترتيب الأمر ولتخلص مني .

ـ مع السلامة

أخذت علبة سجائر وكبريت ، وأخذت بعض المال من صندوق المال ، وكمال ينظر إليها صامتا ولما خرجت قال يا رب فرجك

ركبت سيارة إلى المكان الذي اختفت فيه ستة أسابيع ، ولكنها قبل الذهاب لبيت فراس عرجت إلى البقال العجوز ، وتحدثت معه بضع دقائق ، وأعاد عليها ما سمعته منه قبل ساعة .. ثم مشت

إلى الشارع الذي يقع فيه البيت ، طرقت باب الشقة التي عاشت فيها فترة الهرب وكررت الطرق حتى فتحت امرأة الباب من شقة ثانية ، تشترك مع شقة فراس بالمدخل ، وقالت : نعم يا أختي قالت فريدة بارتباك : عفوا ، أنا أطرق على باب هذه الشقة ـ وأشارت بيدها لباب شقة فراس

ـ أريد صاحب هذا الشقة الأستاذ فراس

أخرجت المرأة نفسها من الباب وقالت : هو صار أستاذا يا ابنتي ؟ .. أذكر أني رأيتك أكثر من مرة تدخلين هذه الشقة منذ زمن ليس بالبعيد .

ـ نعم ، قضيت هنا تقريبا شهرا ، وأريده في أمر خاص بي

فقالت المرأة بنبرة مشوبة بالغضب : اختفي خيرا لك

ـ اختفي لماذا ؟!

ـ يا سيدتي .. قريبك هذا أو صديقك الشرطة أمسكت به من يومين أو ثلاثة .. ووجدوا في بيته مسروقات .. وقالت الشرطة إنه حرامي مطارد من شهور

ـ حرامي وممسوك !

ـ هذا ما جرى وما سمعنا ، وجاء صاحب الشقة وأخرج ما فيها من فراش ووضعه في مخزن تحت العمارة.

خرجت من العمارة باكية العين ، وقالت مؤنبة لنفسها : تاجرت في رجل فاسد .. من أين سآتي برجل قرينا لي .. صدقت كلمات فراس وتوبته .. سيشمت بي فريد وناجح وأهل الحي كلهم



عادت لدار أبي صالح ، والشمس في عينيها ظلام ، سألتها أمها : مررت على أبيك فقال لي إنك ذهبت لمقابلة النحس متى سيأتي ؟

ـ لن يأتي يا أمي .

ـ مات ؟!

ـ ليته مات .. دمر حياتي وتركني وحيدة .. قبضوا عليه .. عاد للسرقة

ضحكت أمها على غير العادة وقالت : أهو ترك السرقة ليعود إليها ؟ فهو قد سرق قلبك واستغل ضعفك وشبابك .. لا تبكي عليه لا ينفع الندم اليوم

أخذت الفتاة تنتحب ، وارتفع صوت البكاء حتى أشفقت عليها أمها وقالت : الله يعوضك خيرا منه .. فهو لا يستحق أي دمعة بعد أن أفسدك وأفسد زواجك .

فقالت الفتاة من بين الشهقات والتنهدات : أبكي على نفسي يا أمي .. أبكي على نفسي كيف سخروا مني وافترسوني؟ .. أبكي على نفسي كيف ركبني الغرور وظننت أني أعيش في الكون وحدي ؟ ولا أحد له دخل بي .. وأن جسدي ملكي أهبه لمن أشاء.. أشفقت عليه ، وعطفت عليه ، وصدقت توبته ، وأنه ضعيف ويحتاج إلى من يقف معه ضد المجتمع الذي يعاديه ويضيق عليه الحياة ، كنت أظن أنني أنقذته من العودة للسرقة سلمت نفسي إليه ليطمئن إليّ وأنا راضية به زوجا أخطأت كثيرا يا أمي وأخذنا نعالج الخطأ بخطأ.. إني أسمع طرقا على الباب الخارجي

خرجت الأم لتقابل الطارق ، فكان الطارق ساعي البريد الذي قال للأم رسالة يا أم فريد للآنسة فريدة

كانت فريدة تسمع ، فلما سمعت كلمة آنسة قالت لنفسها آنسة .. ماتت الآنسة .. ضاعت الآنسة .. لا أدري كيف قبلت به عشيقا ؟! ثم تزوجت فاديا الذي أحببته قبل لقائي بفراس لأخفي ما حل بي ، ودفعني للإيقاع بفادي بجماعي لتوريطه بالزواج مني .. كنت حمقاء مغفلة غلبتها شهوة الجنس والرجال ..

دخلت الأم وهي تردد : رسالة لك يا فريدة من تراسلين ؟

أخذت فريدة الرسالة من يد أمها الممدودة بتلك الرسالة ونظرت إليها وقالت إنها من فراس وفتحتها سريعا وقرأت :

تحياتي لأحب امرأة عرفتها خلال سنوات العمر التي مضت من عمري أحبك .. أحبك .. أحبك .. تأكدي من ذلك ، وفعلا كنت أطمع بالزواج منك شرعا بعد قضاء فترة العدة اللعينة .. وأعتقد أنها انتهت ، وأنت

تقولين لما تأخر فارس الأحلام ؟ .. الرجل الذي أحبني بصدق سامحيني يا فريدة لقد عدت للسرقة من جديد وأصارحك أنني لم أعرف كيف أتركها ؟ .. إنني لم أترك السرقة ؛ لأنها وظيفتي في هذه الحياة .. كنت تسألينني عندما أغيب عن الحي يومين أو ثلاثة أو أكثر أين اختفيت ؟ فأحيانا أقول في عمل ، وأحيانا عند أمي المريضة الحقيقة أنني أكون في عملية سرقة أو سرقات .. عملي سرقة المنازل والاستيلاء على ذهب النساء ، وسرقة المتاجر الصغيرة لتامين الغذاء والدخان عرفت خلال هذه السنوات العديد من النساء ، ولكنك الوحيدة التي أحببتها بصدق ورغبت أن أتزوجك زواجا صحيحا .. لكني لص وفي أي وقت كنت متوقعا أن تمسكني الشرطة .. فالزواج كان مشكلة لي .. ولما خضعت لي وأصبحنا نعيش كزوجين .. كان من الصعب الزواج ومن الصعب تركك وقد أصبحت امرأة .. فكان لابد من زواجك .. وأقنعتك بالزواج من فادي الذي كان صديقك قبلي .. ففادي له قريب يعمل معنا فنعرفه ، وفادي كان يشتري منا الحشيش في بعض المرات .. فكان لابد أن تسمحي له بمعاشرتك معاشرة الأزواج ليصبح زوجك أمام الناس ويغطي على علاقاتك الجنسية الأخرى .. والرجل كان تحت سيطرتي لعمله معنا في بعض الأوقات .. وقبل الزواج منك بعد استسلامك له ، وظن أنه تورط في علاقة محرمة .. فنحن الذين ألزمناه بالزواج لا خوفا من أخيك فريد وغيره .. لكنه بعد الزواج أدرك أن له شريكا في بدنك ، فثارت نار الغيرة في قلبه وخشينا أن يعترف للبوليس ، وأنا متأكد اليوم حيث أنا في السجن أن له يدا في حبسنا أنا والصرصور قريبه وصديقه .. واطلبي من أبيك أن يسامحني فقدت استوليت على متجره ودكانه .. لا أقول لك انتظريني ، وأنني جنيت عليك بتوريطك بعلاقات آثمة .. لكني فتنت بحسنك .. وأنت قبلت ذلك ، كانت لك رغبة قوية بهذه العلاقة صدقي إذا عدت للحياة خارج السجن وتقابلنا من جديد ستكونين أنت الزوجة الأبدية أحببتك صدقا رغم أنني لص فاللصوص لهم قلوب يحبون بها ، رغم أنهم لا يحبون الارتباط بواحدة للأبد .. السرقة حياتي ومصدر رزقي .. وإذا قدر لي الخروج سنتزوج كما وعدتك .. لا أقول سامحيني لأنني أعرف أنك أحببتيني بحق .. سنصلح الفاسد .. أحبك أحبك أحبك ..

رغم كل ما حدث سلمي على أم فريد المرأة الطيبة المسالمة الساكنة كأبي الهول .

المحب السجين فراس غصوان

القرار الأخير

كانت فريدة عندما رجعت من بيت فراس الأخير ، قد قررت إنهاء حياتها ، فقد أصيبت بإحباط قاتل ويأس ، وهي قد فكرت بهذا خلال فترة الانتظار الجبرية ، فقالت لنفسها إن لم يحصل الزواج سأضع حدا لهذه الحياة ، فمرت على صيدليات واشترت منها علب منومات ، لقد فكرت بالانتحار ، وكانت في غاية الاكتئاب ؛ لذلك لما قرأت الرسالة حسمت الأمر ، فصعدت إلى غرفة أخويها الفارغة منهما ، كانت أمها تراقبها وهي تقرأ الرسالة ، وعرفت أنها من فراس السجين ، لم تتكلم معها بعد قراءتها بشيء ، فقط قالت سأصعد لغرفة الشباب ورأتها تصعد الدرج ، ظنت أنها ذاهبة للنوم فيها ، فقد كانت تفعل ذلك بعد رحيل ناجح .

وقبل العصر جاء أبو صالح للبيت على غير العادة ، فهو بعدما يخرج للدكان صباحا لا يعود إلا بعد منتصف الليل ، فدخل الدار شامتا حزينا لا نعرف بالضبط ، فوجد المرأة تغط بالنوم على كرسي واسع أريكة ، فأيقظها صارخا : أين البنت يا امرأة ؟!

كأنه بحث في غرفتها ولم يجدها ، فعاد لغرفته حيث ترقد زوجته ، ففتحت عينيها وقالت مجيبة : جاءتها رسالة من المقصوف فراس عريس الهنا ، ولما قرأتها صعدت إلى فوق ماذا تريد منها وقد تركت دكانك ؟! قال أبو صالح :جئت لأقول لها إن الذي سرقنا عريسها فراس .

ـ فراس هو الحرامي ! قال: من أول يوم والناس يتهمونه بسرقتنا ؛ لأنه سرق دفتر الديون ليتملص من سداد كامل المبلغ .. الحمد لله الذي كشف الغمة .

صعد الدرج الذي لم يصعده من قبل ، منذ بنيت هذه الغرفة ، طرق الباب ، لم ترد فريدة ، دفعه ودخل ، كانت نافذة البيت مفتوحة رآها ممددة على أحد الأسرة نادى عدة مرات ، ظنها نائمة اقترب من السرير ، هزّها لم ترد فقال كأنها ميتة!

صعدت الأم وصاحت : احضر الطبيب يا أبا صالح ..ها هي الرسالة التي قرأتها إنها محروقة ها هي علب أدوية ورسالة على المنضدة قرأتها انتهت حياتي .. سامحوني فريدة

وكان في التقرير الطبي أنها قتلت نفسها بتناول عدد كبير من الحبوب المنومة وأنها فارقت

الحياة قبل دخول المستشفى، وتركت رسالة تخبر بأنها تريد الموت .

وشيع أهل الحي فريدة التي ذهبت ضحية الجهل والغفلة والشهوات والإباحية .. ماتت فريدة بقتل نفسها مع أنها لم تكن أول ضحية لتلك الشهوات ، وتقبل أبو صالح العزاء فيها ، وكان يقول الحياة حلوة ، لقد قصرت في حق الأبناء لم أربهم التربية الصالحة .. كنت فاسدا منحرفا جنيت على نفسي وابنتي ، لا ينفع ندم بعد موتها .

فقال أبو نوح : باب التوبة لم يغلق يا أبا صالح .. باب الندم لم يغلق يا رجل يا كبير عمرك فوق الستين .. أدرك نفسك .. اتعظ من حادثة ابنتك المرحومة فريدة .. فهي لم تخبر الحياة بعد .. من أول تجربة ومصيبة اختارت الموت .. نسأل الله أن يرحمها

فأمن السامعون قائلين آمين ، وانتهى العزاء ، وعاد أبو صالح للجلوس في المقهى ، ولم ينقطع عنه إلا أيام العزاء فقال الشيخ : لم يبرد لحم ابنتك يا أبا صالح وعدت للمقهى .. على كل حال لقد قرر صاحب العقار هدم هذا المقهى وإلحاقه بالمسجد .. فعليك أن تبحث عن مقهى جديد أو تعتزل المقاهي كما سيفعل العم مهران .

فنظر أبو صالح لسلمان وقال وقد بدا مصدوما للخبر ربما أكثر من صدمته بموت فريدة : أصحيح ما يقول الشيخ ؟!

فقال سلمان : هيا ادخل معنا المسجد الآن .. فالشيخ راغب بالحديث معك شخصيا .. وأنت في أيام العزاء .. وافق صاحب هذا الجزء من العقار أن يتحول هذا الجزء إلى المسجد ، ثم رفض أولاده أن يوقف على المسجد وإذا استرده والدهم سيحولونه لسوق أو محل كبير فرفض مهران التخلي عنه

فقال أبو صالح لا حول ولا قوة إلا بالله

وانتهت هذه الحكاية من حكايات أبو خروف والحكايات فيه كثيرة ، كل إنسان كل أسرة له حكاية وحكايات ؛ فلعلنا نكتب المزيد من قصص ناس أبي خروف .

تمت الحكاية الأولى

عمرها ثلاث وأربعون سنة .. عانس

ترمل عامل الشارع فخطبها وهي الثرية إلى حد ما

اضطربت .. ذكرها بأنها أنثى

الأب رفض نكاحها

أصرت على أن تأخذ حظها من الدنيا

تركت أبو خروف من سوء أفعال شقيقها

فقتل الشقيق نفسه لما فشل في تربية ابنه الوحيد

جمال


أمّونة الخياطة
١٩٧١

أمّونة

أمّونة عانس فوق الأربعين لم يتيسر لها الالتقاء بابن الحلال ، وقد يكون والدها أبعد عنها ابن الحلال ، وحجبه للاستفادة من المال الذي تحصده من عملها كخياطة نسائية في دكان في وسط المدينة العاصمة الرسمية للدولة ، وحيث تيسر لها إتقان هذه المهنة وتعلم فنونها وتجارتها ، وحصلت على شهرة واسعة في شارع تكدس فيه أهل التطريز والخياطة ، وصناعة الألبسة الجاهزة والتفصيل ، وسمي الشارع أو السوق شارع سوق الخياطين لأن الغالب عليه وفي عماراته أهل هذه المهنة ، وأدواتها من خيوط ومقصات ومكائن وقماش وأصباغ وكوي .

عاشت في بيت والدها رشيد الذي تزوج بعد ترمله عن أمها وأم شقيقها الوحيد حسونة ، لما ماتت أمها كانت في المرحلة الأولى من التعليم الأساسي ، وكان حسونة يصغرها بسنوات .

وهي من أهالي أبو خروف ـ في مطلع حياتها أو قل قبل زواجها ـ الحي الزاخر بالحكايات كغيره من الأحياء .. فكل إنسان له حكاية وحكايات .. فبعد موت زوجته صبر رشيد أو تريث بضع سنين ، ثم نكح امرأة أخرى كباقي البشر ، فلما أنهت أمونة السادس الابتدائي أرسلها إلى إحدى النساء الخياطات العاملات في المنازل ، ويحترفن الخياطة للنساء ، ولا يخلو أبو خروف منهن ، فكانت الخياطة المنزلية في ذلك الزمان تجد لها من الزبائن من تجد ، وتجد الماهرات وصاحبات الخبرات اللواتي يشار لهن بالبنان ، تعلمت أمونة المهنة وأتقنتها أحسن إتقان ، ورأت حياتها فيها ، فأخذت تبدع وتتقن وتضيف ، وانتقلت للعمل في مشغل في وسط العاصمة ومركز النشاط التجاري والمهني .. وذلك في شارع سوق الخياطين ، وتعرفت على أنواع الأقمشة ودلالتها وجيدها ورديئها .. ولما بلغت العشرين تيسرت لها الفرصة لشراء المخيطة من صاحبتها المرأة العجوز بعدما قررت إحالة نفسها على التقاعد لكبر سنها ولأمراض دهمتها .. ولم يطلب أحد يدها للزواج مع بلوغها تلك السن .. فأحبت مهنتها وغرقت فيها وشغفت بها .. وأصبحت حياتها وقرة عينها .. ورضيت بنصيبها من عدم الزواج ، لم يطلبها أحد من أبناء عمومتها ، ولا من أبناء أخوالها وخالتها ، ولا حتى أبناء الجيران رغم تملكها للمال الكثير

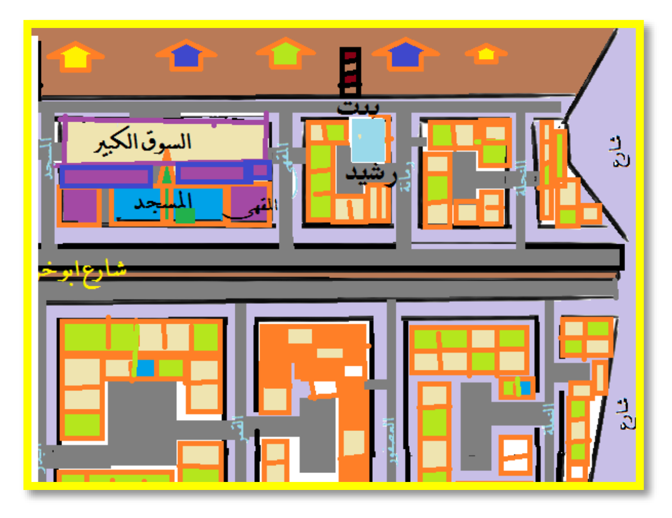
الذي يكون سبب نكاح النساء ـ كما جاء في الحديث النبوي ـ نعم ، أمونة لم تكن فتاة رشيقة جميلة ، كانت بدينة قصيرة إلى حد ما ، وكانت دميمة ، ولم تكن بيضاء البشرة إنما تميل إلى السمار لم تكن من الناحية البدنية مغرية للرجال من جيلها وهي فتاة صغيرة ، ولم تكن بالغنى كما هي اليوم ، عندما بلغت فوق الأربعين ؛ لذلك فاتها القطار ، وكانت ربما تأمل أن يخطبها أرمل مطلق ضرة ثانية ثالثة رابعة .. ومع الوقت ضعفت رغبتها بالزواج .. ومع غناها منذ سنوات ظلت بدون زواج حتى أنها لم تعد تفكر إلا بشغلها والبيع والشراء .. وقد تمكنت من بناء شقة فوق بيت الوالد رشيد .. وساهمت في بناء شقة بجوارها لشقيقها الوحيد من أمها السيد حسونة ..وكانت تدعم والدها بالمال شهريا وفي المناسبات ، وكانت تساهم في أثاث بيت والدها وزوجته ، وكذلك أخوها وأخواتها من أبيها .. وقد حاول الأب في بعض الأحيان السيطرة على كل ثروتها .. فرفضت ذلك بشدة .. وأعلمته عند كل محاولة قدرتها على حفظ مالها وتنميته ، وأنها تدير مصلحة تحتاج للمال في كل وقت ، كرواتب للعاملات معها .. شراء مواد خام والأدوات وصيانة الماكينات ودفع ضريبة للدولة .. فيصمت .. فهي تخيط الثياب للمؤسسات والمستشفيات والمدارس التي تعتمد الزي الموحد لطلبتها والأطباء والمصانع وفازت ببعض عطاءات ومناقصات الدوائر العسكرية والشرطة .. والرايات والأعلام عند الاحتفالات واستقبال الزعماء على مستوى الدولة والبلديات .. فلها علاقات تجارية بعدد من الوزارات .. فقنع الأب بما تهديه وتهبه من راتب وفي المناسبات كرمضان والأعياد .. وساعدت في زواج حسونة .. وبناء شقتها وشقته .. وأخوتها من أبيها لم تقصر معهم ماليا وملابس وهدايا وساعدت في تعليمهم وزواجهم .. كانت باختصار سندا للعائلة .. والكل يقدر لها هذه الوقفات والنفقات .. وتمنت كثيرا أن تعيش الحياة العائلية الزوج والأولاد .

كان والد أمونة قد ولدت له زوجه الثانية ثلاث بنات وولدين ، مات أحدهم صغيرا بحادث والثاني تعلم مهنة فنية ـ كهرباء منزلية ـ ويعمل في قسم الصيانة في إحدى الجامعات وما زال ولما تزوج سكن خارج أبو خروف في بيت قريب من عمله ؛ لتوفير أجرة المواصلات ،

وتزوجت الفتيات الثلاث ، وكان الطابق الأول من بناية رشيد يتكون من شقتين متوسطين ظل يعيش في واحدة منهن ، وأجّر الأخرى .. وبنت أمونة لها ولشقيقها شقتين فوقهما سجلت واحدة باسم حسونة الأصغر سنا منها ، وسجلت الثانية باسمها ، والأرض بقيت باسم الأب وتقع البناية بين شارع رمانة وشارع المقهى ، ويطل مدخلها على شارع جبل أبو خروف .
ولما خلت الدار من البنات والابن رغب رشيد بإنزال أمونة للعيش في شقته مكان شحام ، وتأجير شقتها .. فرفضت أمونة ذلك خشية عودة المشاجرات القديمة بينها وبين امرأة أبيها قبل بنائها لشقتها ، وجاء الرفض الشديد من زوجته أم شحام ، رفضت عودة البنت للسكن معها في نفس الشقة ، ويتحدث الناس أنها تنفق على زوجة أبيها ، فسكت الرجل .
كانت فتاة قصتنا تساعد الأسرة على قدر الإمكان ، وعلى حسب رغبتها ، وأغلقت موضوع الزواج والولادة والحياة الأسرية ، واستسلمت لنصيبها وقدرها .. ولم تخلُ الحياة من منازعات بينها وبين أخيها وأبيها وزوجة أبيها ؛ فكان مالها يخمد الألسنة ، ويعود الهدوء للبيت ، وفي سنة ١٩٧١ م حدث تطور كبير في حياتها ، فقد وجدت من يقبل بها زوجة .. وبعد تردد بسيط منها قبلته لما شجعها ، فلما أخبرت والدها بقرارها صعق وعظم الأمر عليه ..هل اعترضت زوجة الأب ؟ هل اعترض الأخوان والأخوات سالمة وريا وكوثر ؟ كلهم متزوجون .. لماذا يرفض رشيد زواجها ؟!



الأرمل



كان ذلك الانفجار في بداية الصيف ، اعتادت الآنسة أمونة أن تباشر عملها عند الساعة العاشرة من صباح كل يوم ما عدا الجمعة ـ فهو عطلة رسمية لكل البلاد ـ فتجد العاملات معها قد فتحن المشغل ، وجلسن عند ماكيناتهن وباشرن الخياطة .. فتحيهنّ ، ثم تدخل لمكتبها الصغير داخل المشغل حيث يكون في نهاية المشغل والمخيطة .. ولما تتحصل على عطاء كبير تتعاقد مع مشاغل ومخيطات في نفس الشارع لإنجاز العمل ، وتظل في العمل حتى العشاء أو قبله بقليل فتغلق المحل هي ومساعدتها وتنصرفان ، أما العاملات فيغادرن صيفا عند الخامسة عصرا ، وفي فصل الشتاء عند الساعة الرابعة عصرا ، إلا إذا تطلب العمل السهر والشغل الإضافي .

كانت تبقى مع مساعدتها أحلام صادق لليل حيث يشرفن على تنظيف المحل وإغلاقه ، وكان يخدم الشارع عامل نظافة تابع للبلدية ، وكان العامل يساعدهم في التنظيف والتحميل والتنزيل والإغلاق مقابل مساعدة بسيطة توضع في يده .. واسم هذا العامل سميح عبد السميع، وكان يأخذ أكياس النفايات ليضعها في مكان تجميع النفايات في الشارع حتى تأتي سيارة البلدية ، وتنقلها إلى مكب النفايات ليجري حرقها والانتهاء منها .

وهذا الرجل يعمل في الشارع شارع الخياطين منذ ما يزيد عن عشر سنوات.. فهو يعرف كل المشاغل والمحلات .. وكلٌ يتعامل معه حسب حاجته.. ولكن علاقته بمشغل أمونة قوية

وقديمة ، فهو يساعد في إدخال القماش الخام لفات القماش ، وفي نقل الثياب المخاطة ووضعها في السيارات البيك آب ون إيت وغيرها .. فعلاقته طيبة مع المشغل ، ورجله معروفة في المحل ولدى الفتيات العاملات ؛ فكان ينظر إليه كوالد وأخ كبير ، ولم تكن أمونة خلال هذه السنوات تقصر معه ، وتشفق عليه .. والرجل طيب ومتعاون ، وله بيت ملك ، وهو كهل ، ومتزوج ، وابنة وحيدة ـ كما أخبر أمونة ـ ومتعلمة في الجامعة ، وتخرجت من كلية الإعلام ، وعملت فترة في إذاعة محلية ، ثم انتقلت للعمل في صحيفة يومية ، وتزوجت قبل أحداث هذه القصة بزمن يسير .. قامت أمونة وأحلام بحضور حفل الزفاف والمشاركة فيه ، وقدمن هدية للسيد سميح وابنته.

هذا الرجل النحيف البنية ترمل منذ شهرين .. ماتت زوجه من مرض عضال ألم بها ، وفي أقل من سنة قد غادرت الدنيا إلى رحمة الله الواسعة لعباده المسلمين .. وقامت عاملات المشغل تتقدمهنّ مديرتهن بتعزيته ومواساته ، ومساعدته ماديا رغم أنه ليس بحاجة لمال ؛ ولكنهنّ تعودن على فعل ذلك والشفقة عليه ، وعلى غيره من البسطاء والعتالين العاملين في المنطقة والشارع ، وهو قد تعود على أخذ ما يقدم له .. لا يستطيع رفض عطاياهنّ ، بل جمع له الشارع مساعدة كبيرة عند موت زوجه .

الحزن لا يدوم ويضعف أو يزول ، اختفى حزن سميح على وفاة زوجه ، ووجد نفسه وحيدا في بيته ، فهمس الرجل في أذن أمونة عن رغبته بالزواج .. وبين لها أن الرجل لا يحتمل أن يعيش بدون زوجة تحضر له طعامه ، وتغسل له ثيابه .. فدهشت أمونة في البداية فالرجل أرمل من شهرين فقط ؛ ولكنها بعد تفكير أدركت أن الرجل لا يستطيع الحياة بدون أنثى في بيته ؛ للتخفيف من آلامه وشقائه طول النهار وجزءا من الليل في الشوارع .. فقالت : أعينك على واحدة من عاملات المشغل ؟!

ـ أريد امرأة بسيطة .. نستر على بعض .. تقبل بالحياة معي .. ونكمل مشوار الحياة معا .. فالبيت عندما يخلو من امرأة يصبح جحيما

ـ أنت تعلم يا عم سميح أن أغلب فتيات المشغل متزوجات ما عدا نوال وسعيدة

ـ وأنتِ !

صدمت للوهلة الأولى وتمتمت : وأنتِ ! نعم ، وأنا .. أتقبل بي يا عم سميح .. أنا العجوز زوجة لك ؟!

ـ عز الطلب .. أنت المهم أن تقبلي بي .. أنا لا أسعى للخلفة رضيت بنصيبي .. وأنا سأسعى لإرضائك قدر الطاقة .. وأنت لا زلت شابة .. أنا العجوز .

وقالت وما زالت دهشة حيرى : أمرك عجيب يا عم سميح أنا من جيلك ! كم عمرك ؟

ـ إحدى وخمسون سنة

ـ بيننا ثمان سنوات ..وأنا نسيت أمر الزواج والرجال في حياتي . وتنهدت حزنا

قال مشجعا :أنا أراك مناسبة لي يا أخت أمونة .. والزواج ليس عيبا .. وليس له سن.. وأنا ابنتي متزوجة ، كما تعلمين ، وهي تعمل في جريدة .. وأنا أريد الستر ؛ فإذا خلفت فبها ونعمت ، وإن لم يحصل نكمل المشوار سوية .. وقريبا سأنهي خدمتي في البلدية .. وسيكون لي راتب تقاعد يستر علينا في الدنيا حتى مماتنا .. وربنا يستر علينا في الدنيا والآخرة .

لقد نسيت فعلا فكرة الارتباط برجل بعد الأربعين ؛ لذلك لما كان أحد يمازحها في أمر الزواج تأخذ الأمر على سبيل المزاح والمداعبة ، فلما سمعته يقول : فكري يا أختي بجد .

نظرت إليه بعمق ، وتنهدت من جديد ؛ كأنها غير مصدقة أن أحدا يتطلع إليها كزوجة وقالت: أأصلح للزواج بعد كل هذه السنين؟!.. ثم قالت لتتخلص من الأفكار : تعودت على العمل يا سميح لا أستطيع البقاء في الدار .. العمل حياتي .

ـ أعرف ، لن يكون العمل عائقا لحياتنا الزوجية .. سنعيش سعداء .. وأنا سيكون تقاعدي قريبا ..فقد قضيت مدة الاشتراك ، وحياتنا الليل .. والنهار لعملك كما أنت حتى أنت تتركينه من رغبتك

ـ أأنجح في الحياة الزوجية بعد هذا العمر يا عم سميح ؟! على كل حال دعني أفكر في هذه

الخطوة عدة أيام يا عم سميح

قال متوسلا : أرجوك عجلي بالرد ..مللت الوحدة والعزوبية .. صدقي أنني لم أفكر بك كزوجة أو مراهق أيام امرأتي .. رغم أنها مرضت سنة .. وإنما حدث هذا بعد موتها بفترة .. أخذت تراودني فكرة الزواج .. فوقعت في نفسي .. ولا أريد التغرير بك ؛ ولكنني أراك امرأة ناضجة محترمة شريفة عفيفة عشرة عمر كما يقال .. وأنا ابن الشارع هذا مثلك .. وصدقي أني فكرت مطولا قبل أن أتحدث معك في موضوع كهذا .. فكري كما تشائين .. وليكن الرد سريعا .. فالبيت موحش بدون امرأة فيه .

ـ عجيب أمر الرجال!.. فأنا أذكر عندما ترمل أبي عصبيته عليّ .. ولكنه قضى ثلاث أو أربع سنوات قبل أن يتزوج

ـ ولكنه تزوج

اضطربت الأفكار عند أمونة ، لم تكن تحلم بعد هذه السن من العنوسة واليأس أن يفكر رجل بالزواج منها ولو زوجة ثانية ثالثة رابعة .. لقد أصابها الإحباط من هذه الناحية فبعد ثلاث وأربعين سنة تتزوج .. فلقد فاتها القطار كما يقال .. وثانيا دمامتها أبعدت عنها الرجال لم تكن جميلة ، فالجمال مرغوب لدى الذكور ويقدم على المال والأخلاق والحسب عند الكثير من الخلق فهذا أول رجل يكلمها بهذا الأمر مباشرة وبشجاعة ، وهي همست لنفسها لقد ذكرني أني أنثى وما زلت أنثى ومرغوبة لأحدهم .. هل أصلح للزواج بعد هذه السن ؟! وهل يصلح لي هذا الرجل زوجا ؟! ألم يتزوج من قبل وينجب فتاة ؟ هل يقبله أهلي زوجا لي ؟ وهل عامل النظافة لا يتزوج ؟! لقد تزوج سابقا ، وإذا لم أتزوجه سيتزوج غيري .. أيمكن أن ألد بعد هذا العمر وأصير أما ووالدة ؟! ما أروع هذا وأجمله لو تحقق !.. المهم أن أصبح زوجة .. ويصبح لي زوج أحبه ويحبني .. هل يقبل أبي هذا الزواج ؟ لقد سلموا أنني سأقضي حياتي دون زواج ودون أولاد .. فاتحت مساعدتها في عرض الزواج .. فقالت دهشة: سميح هذا حدثك بذلك؟!

ـ هذا ما صارحني به أمس عندما خلا بي في هذا المكتب .. وأنا نسيت قصة الزواج .. هل تصلح

المرأة بعد هذا العمر للزواج والحياة الزوجية؟!

ـ العمر ليس عائقا يا أختي الفاضلة .. العائق للمرأة الكبيرة هو رغبة الزوج بالأولاد .. والرجل الطيب سميح لا أعتقد أنه يفكر بالزواج من أجل الأولاد .. فهو كما نعلم ليس له إلا بنت واحدة .. ولو كان راغبا بالذرية لتزوج ثانية أو طلقها إلا إذا كان العقم من جهته

ـ لا أعتقد أن يكون العائق منه ، فقد فهمت من كلامه الصريح معي أنه يأمل أن ألد له ؛ ولكن لا يعتبر ذلك من شروط صحة الحياة الزوجية .. تكلم أمامي كلاما لا أستطيع إعادته

ـ وأهلك ..أبوك كما علمت منك أنه يعتمد على مساعدتك الدائمة له

ـ حسب معرفتي به سيعترض في البداية ، ولما أؤكد له أن مساعدتي لن تنقطع سيلين .. ويبارك الزواج .. أما شقيقي حسونة فلا نرى بعضنا إلا في المناسبات أو عند مرض كلينا أو مرض الوالد .. وأنا خائفة يا أحلام من هذه المغامرة .

ـ ولماذا الخوف ؟! فالرجل طيب وسلس .. ومعروف لنا منذ جاء ليعمل في هذا الشارع .. ويتحمل كل أخلاق أهل هذا الشارع الطويل .. ونحن نراه يوميا أكثر من الآباء والأمهات .. فهو من السادسة صباحا حتى العاشرة ليلا فهو جزء منا.. ولولا هذه الألفة بيننا ما تجرأ من طلب يدك منك أنت .. وإذا كنت لا تطمعين بعد هذه السن بذرية فستعيشين معه على خير ما يرام وبسعادة .. وبرنامج عملك لا أعتقد أنه سيتغير كثيرا حتى لو تقاعد كما حدثتيني.. فتوكلي على رب العباد .. وخذي فرصتك مع الرجل ..وهذه فرصة نادرة

كانت كلمات ناصحة مشجعة خرجت من قلب أحلام ، فردت أمونة : أشكرك ، عقبال عندك

ـ إن شاء الله ـ أنت شجاعة وصادقة وقويت عزيمتي لخوض هذه المغامرة المفاجئة لي .. الليلة بإذن الله سأفاتح أبي بالموضوع أم أبدي موافقتي لسميح أولا ؟!

ـ سميح شاري .. فانظري رأي أبيك وإخوتك

ـ وإذا رفضا !

ـ يبدو أن عندك احتمال رفضهم .. نحن كبيرات في السن .. المال السلاح الجميل .. اخبريه

بأنك سترفعين دخله .. وإغراء المال جيد

ـ لابد أن أكون شجاعة .. وأنا إذا صار النصيب وتزوجت سأبقى بشقتي التي تعلمين كم دفعت لتصير ؟ وهي واسعة ولم ينقصها إلا الزوج .. وها هو على الأبواب .. فقد أبعدتني عن زوجة أبي وبناتها .. فرغم مساعدتي لها ولبناتها كانت قاسية معي وتعاملني كجارية .. اعملي سوّي.. وأخشى اعتراضها على زواجي ..وتقوية أبي على الرفض .. ستكون عدوة لي ، لا تعترف بخيري عليهم

ـ الغيرة والحسد .. ولا تهتمي يا أمونة الله معك .. وحقك الشرعي أن تتزوجي كسائر نساء العالم .. المهم أن يقبل الأب لأنه الولي .. الفصل بيد الوالد .. وليس حسونة وأم شحام

ـ أرجو أن تسلك الأمور .. قلبي ينتفض من ذلك

ـ أتخشين الزواج ؟ .. هذه سنة الله في خلقه .. اليوم الزواج تعقد ومشاكله تزيد .. لي أخ منذ تزوج وهو يعيش حياة شقاء ونكد منها



الانفجار

حسمت أمونة رأيها بعد تحاورها مع مساعدتها أحلام صادق ، وقبلت بمشروع الزواج من سميح عامل النظافة الزبال ـ كما تصفه العامة ـ فتركت العمل قبل صلاة المغرب ، وقبل صعودها لشقتها طرقت شقة والدها رشيد ، فقالت لها امرأة أبيها بدهشة : أمونة ما الأمر ؟! عدت مبكرة .. خيرا ؟!

– أين أبي يا أم شحام ؟

– أبوك يا حبيبتي حيث يكون كل يوم .. يلعب الشدة ـ ورق اللعب ـ في مقهى عزب .. يبدو أن أمرا ما يحدث !

– لقد نسيت أن أبي لا يعود إلا بعد صلاة العشاء .. حسنا ألديك رقم المقهى لأتصل به ؟

قالت بحدة ظاهرة : الأفضل أن تذهبي للمقهى إذا كان الأمر مهما ، لا أعرف رقم المقهى .

– جيد مع السلامة يا أم شحام

كل هذا الحوار حدث على باب الشقة ، فقبل أن تستدير أمونة صاعدة لشقتها في الأعلى ، سمعت زوج أبيها تقول: لم تقولي ماذا تريدين منه ؟!

– كنت سأعطيه بعض المال ، والحديث معه في شأن مهم

– وما هو الشأن المهم يا بنت جميلة ؟

– لما اخبره به ، فسيخبرك به .. السلام عليكم

– طيب هات المال ..أنا أعطيه إياه .

– أنت !..لقد فعلتها من قبل كذا مرة ؛ ولكنه أنكر وصولها إليه

صاحت أم شحام فيها قائلة: آه ! متى أخلص منك يا نكسة! يا أم لسان .. أبوك كذاب يزعم ذلك ليأخذ منك من جديد .

– كذاب صادق لا يهمني هذا يا سيدتي

صعدت لشقتها تلاحقها لعنات أم شحام ونظاراتها الماحقة بغضا ، فعلاقتهن سيئة ، ولم تكن

ولابد ، فمنذ زواج أبيها بهذه المرأة أخذت أمونة تعتمد على نفسها ماديا ، لم تكن المشاجرات كبيرة بينهن لبقاء أمونة في عملها طوال النهار ، فكان الاحتكاك بينهن ضعيفا .. ويوم الجمعة يوم العطلة تطهو أمونة لنفسها تأكل وحدها ، وتعتذر عن دعوات حسونة الذي نسيها ويدعوها على استحياء ، وكذلك لأبيها الذي كان يجاملها بعض الأحيان ، فتعتذر بل كانت تلبي دعوات خالها وأخوالها وخالاتها بعد تردد ، وهم أيضاً يجاملونها ويحضرون عندها للغداء أو العشاء .. وكان ذلك يغيظ أم شحام ورشيد وحسونة ؛ ولكنهم يلزمون الصمت ، فهم مقصرون ، ويأخذون ما تجود به عليهم من مساعدة وملابس .. وهي تفعل ذلك سرا دون دعاية .. تعطي الجميع وتحسن إلى الجميع .

كان شحام قبل زواجه وخروجه من بيت العائلة يسيء إليها ولا يحترمها .. فكانت تحزن ـ وهي الأخت الكبيرة ـ وربما تبكي وتصمت .. فهي تعلم أن الشاب مشحون من أمه عليها .

وكانت تجهز طعام العشاء من المعلبات ـ معلبات الأطعمة التي بدأت تنتشر وتشيع في البلد ـ وبينما هي تتوضأ فطرق الباب فأنهت وضوؤها ، ووقع في نفسها أن امرأة أبيها اتصلت بأبيها على المقهى وجاء .. الفلوس لها سحر لدى الناس ، وكان الطارق رشيد فدخل وهو يخبر أن سليمة اتصلت به في المقهى تخبره بعودة أمونة ، وأنها تريده .. فرحبت بأبيها الذي ظن أن داهية حلت بالبنت .. فجلس في حجرة الاستقبال ، وضعت كوب ليمون أمامه ، وأنهت طهو الطعام ثم جلست .. فقال : ما الخطب؟ قذف مجيئك المبكر في قلبي الوهن والخوف .. وهذا المجيء قبل العشاء أمر نادر !

ابتسمت رغم الاضطراب في قلبها وقالت ببطء: وهذا من النادر .. اتصلت بخالي بكر أبي محمد

نظر في وجهها وقال: نعم ، ماذا هناك ؟!

- اشرب العصير عندما يحضر أبو محمد نتكلم

- وكيف أصبر؟!

- إنه في الطريق ... وها هو يطرق الباب أسرعت نحو الباب ؛ لتستقبل خالها الكبير .
وسلم عليها مصافحا ومقبلا والتفت إلى رشيد وقال: آ، أبو حسونة كيف حالك؟
نهض الرجل متثاقلا وصافح نسيبه القديم وقال: أهلا أبا محمد
تحدث الرجلان بضع دقائق وهم يجلسان ، وعادت أمونة بالقهوة لهما ، وشكرت خالها على مجيئه وتلبيته الدعوة ، وسألته عن حاله وصحته وصحة زوجته ، وذلك كله ضايق رشيد ، وتحمله على مضض ، فهم منذ موت جميلة أم حسونة وعلاقتهم الاجتماعية باردة ما عدا أمونة ، فهي تصلهم ويصلونها ، ولما رشف خالها القهوة ، قالت دون تمهيد : لقد طلبني رجل للزواج .. وأنا قبلته وأرغب أن أعيش كزوجة وأسرة وبيت
حدق والدها في عينيها وردد بعد صمت وسكون: تتزوجين؟!
- نعم يا أبي ! أليس هذا حقا لي ؟! ألست أنثى كغيري من النساء ؟! .. عندما يتقدم رجل لطلب يدي هل أرفضه ؟!
قال خالها بكر: نعم ، لك الحق أن تكوني زوجة وأما .

[][][]

ساد الصمت القاتل الحجرة ، وكانت عينا الأب تقدح غيظا ؛ فينظر تارة في وجه ابنته ، وتارة في عيني بكر ، ولما لم يتكلم أحد بعد صمت بكر ، فقال رشيد: تتزوجين بعد هذا العمر ..من الأحمق والأعمى الذي سيتزوجك؟!
قالت بدهشة يصحبها غضب خفيف وضيق : أحمق أعمى! ـ رفعت صوتها ـ أعرف أنك عرقلت زواجي أكثر من مرة .. كانت أخوات من خطبوني يذكرن ذلك لي .. ويتسألن لماذا يرفض أبوك زواجك ؟! .. يظنك طفلة بعد .. وكنت أعرف هذا بعد فوات الأوان .. اسمع إذا لم توافق على زواجي هذا ، بعد كل هذه السنين سأتزوج عن طريق القاضي .. وسأمنع نفسي من الدفع إليك أي فلس .. الرجل يريدني .
وقصت القصة أمامها ، قصة عامل النظافة سميح عبد السميع ، فصاح أبوها محتجا :

زبال تتزوجين زبالا جننت يا بنت ؟!

فقال بكر المدرس المتقاعد : وماذا يعني زبالا ؟! أليس رجلا مثلنا ؟ لولا الزبال لقتلتنا الأمراض أنت ترى لما تتأخر سيارة البلدية في نقل القمامة لعدة أيام ماذا يحل في المكان من الروائح والحشرات والحيوانات ؟ ما دام الرجل شريفا وسيتقاعد قريبا ولن يعود زبالا فلتتزوج .. وله ابنة تعمل في الصحافة وما أدراك ما الصحافة يا رشيد!! وكأني اذكر أني قد قرأت لها بعض المقالات والتحقيقات .. والبنت ليست صغيرة .. وهي فرصة نادرة لا تعوض يا رشيد .. والبنت مقتنعة به .. فمن رأيي أن يتم هذا الزواج .. ولا تحرم البنت من فرصتها هذه .. وهي ستستمر بمساعدتك ومعاونتك في مصاريف البيت مع أن هذا من واجب أبنائك .. ولن يتغير عليك شيء .

قالت : وربما أزيده أيضا ؛ لأني سأبقى في الشقة .. وسنؤجر شقته .. أرمل طالب الستر من امرأة دميمة وغير جميلة ..ولا يطمع منها إلا بالحياة الزوجية الهادئة .

فقال رشيد بحدة: طامع بمالك

فردت بسخط : هو يعمل ، ليس جليس البيت ، وليس ينتظر ابنته ؛ لتصرف عليه .. سيتقاضى تقاعدا من مؤسسة التقاعد حتى يموت هو وزوجته .

تظاهر بأنه لم يكترث لتعبيرها فقال : إنه زبال كناس شوارع

– وماذا يعني لديك زبالا يا أبي؟! .. وأنا قابلة به .. وهو رجل أعرفه منذ انتقل للعمل في شارع الخياطين .. ترمل منذ شهرين فقط.. وكنا نستغله ونستعمله لإدخال الأقمشة للمحل ونقلها للسيارات وتنظيف المحل .. فلما فكر بالزواج بعد ترمله رغب بي .. ويراني زوجة تصلح له ليست قضية شفقة .. فلدينا عوانس في المحل والمشاغل الأخرى .. إنه يريدني أنا ليس طمعا بمالي .. وهل تراني سأتزوج دكتورا ؟ أو ملكا ؟ .. ما هو أنا مجرد خياطة يا أبا حسونة .. تعلمت للصف السادس .. لقد عرضت عليه أخريات ؛ لكنه يريدني أنا يا خالي

فقال الخال: رجل شاريك يا أبا حسونة .. لا تنظر ماذا يعمل الرجل؟

انظر إلى أخلاقه .. المهن والوظائف ليست شرطا لصحة الزواج والقبول .. والبنت بعد هذا الانتظار من حقها أن تكون زوجة وأما إذا شاء الله

ذرفت عيون أمونة أمام كلام خالها وحنانه اتجاهها ، وقالت وهي تستنشق الدموع : كنت أظن أن أبي سيفرح وينهض معانقا ومباركا .. أنا منذ عملت منذ زمن بعيد وأنا أعيش وحيدة يا خالي.. أنام وحدي ، وأكل وحدي دائما ، أفطر وحدي ، عمرهم ما دعوني بجد .. تفضلي الغداء معنا .. وإن قالت ألسنتهم ذلك ترى عيونهم تقول لا تفعليها .. اكظم حزني ودموعي وحدي أنتم تدعونني للغداء معكم دونهم .. لا يحسون بي .. حسونة أو زوجته الذي بابه ببابي لم يدعوني بجد اليوم تغدي معنا يا أمونة حتى ولو مجاملة .. أحيانا أم فؤاد المستأجرة عند أبي تفعل ذلك وتحس بي وتشفق عليّ .. وإذا تأخرت في دفع مصروفه يسهر تلك الليلة حتى يسمع صوت دخولي من بوابة العمارة .. فيقول: أريد أن اشتري كذا يا أمونة .. وعشرات المرات اشترى الجهاز ليأخذ المصروف .. والآن لما جاء ابن الحلال يريد أن يعطل الأمر

ربت خالها على كتفها بحنان وعطف ومسح رأسها وقال: من حقك الزواج ، وبناء بيت .. وأنا أفضل أن تتركي هذا البيت رغم بنيانك له ، وتؤجريه وتدفعي الأجرة لوالدك .. وأنا سأساعدك في شراء بيت أو شقة

فقال رشيد ساخطا : ما هذا الكلام الفارغ يا بكر ؟! هذا كلام شيطان .. تريد إفساد ابنتي عليّ وترحلها عندك .. أنت طامع في مالها

– لست طامعا في مال ابنة أختي يا سيد رشيد .. أنا مدرس متقاعد كما تعلم وشبعان ، وأسكن في بيت كبير .. والأولاد أنت تعرفهم حق المعرفة ، وكلٌ يعمل عملا جيدا .. فكيف أطمع بمال ابنة أختي المسكينة ؟! وهي لجأت إليّ لأعمل على نكاحها .. سأقف معها

صاح رشيد : تقف معها ضدي

– أقف معها ضد من يعارض زواجها .. فلتخذ حقها من الدنيا ؛ لعل الله يهبها طفلا تقر عينها به

- إنها كبيرة ، وكيف ستلد ؟!

- المرأة ربما تلد عند الخمسين سنة

اعترضت قائلة: حتى ولو لم ألد .. فالزواج حق لي .. الرجل طيب وهو سمح على اسمه

قال رشيد غضبا : لولا كبر سنكم لقلت أن هناك قصة حب كالتي نراها هذه الأيام في التلفزيون غمرهم الضحك لحظات رغم الموقف المتشنج ، وقالت ساخرة : حب! رجل ترمل من شهرين وابنته متزوجة ولديها طفل .. كن أبا .. أنا قلت كلامي إذا لم يحصل هذا الزواج سأمتنع عن الدفع لكم ..سأتصدق بكل مالي

صرخ الأب: هذا تهديد ! هذه وقاحة!

- خالي سأترك البيت الليلة .. فلما يقبل ويوافق أبي ارجع للبيت أو أبيع هذه الشقة ، فهي مسجلة باسمي كما تعلمون

- لن أسمح بذلك يا ابنة ...

فقال بكر: عيب .. تأدب يا رجل أنت أبوها وحاميها وراعيها

- إنها تهددني وتفرض عليّ رأيها ..وتفرض عليّ زبالا

- وماذا أنت ؟! ما تعمل ؟ ماذا كنت تعمل يا رشيد ؟!

- أتريد أن نفتح الدفاتر العتيقة؟

قال بكر : هي تريد من يدافع عنها ويقف معها

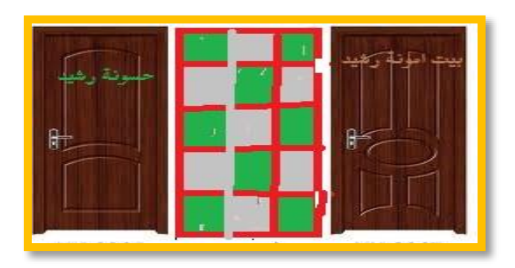
- تتزوج رغم أنفي

قالت :أنا ابنتك

- هذا فرض أمر واقع وتهديد وضغط

مشت الفتاة إلى غرفة نومها ، وجهزت حقيبة فيها ملابس وقالت : سأقضي أياما عند خالي بكر فلما تصل لجواب أنت وعائلتك فاتصل بي .. وإذا مضى أسبوع فسأقدم شكوى لدى حضرة القاضي .. وتأكد إذا حصل ذلك سأكون لك عاقة ، ولن يصلك شيء مني .. لك أولاد

فلينفقوا عليك .. أنا حسمت أمري وقراري .. وسأتزوج هذا الرجل ـ إن شاء الله ـ أنا لم أكن أحلم أن يتقدم لي إنسان بعد هذا العمر .. والحياة الزوجية فرصة قد لا تتكرر ـ أتسمع ـ النساء كثيرات .. والرجل اختارني من دونهن .. وأنا اليائسة من الاقتران برجل .. من سينفعني منكم غداً لما أمرض ؟ .. من يبقى عندي؟ زميلات الشغل أو نساء وبنات أخوالي كن يقمن بالواجب



أغلقت أمونة شقتها وحمل خالها حقيبتها السفرية ، ولما وصلوا لباب البناية قالت: فكر يا أبا حسونة

فصرخ فيها : أفكر بالزبال .. ألا تستحين أن يقال لك امرأة الزبال ؟

– وماذا يعني الزبال؟! أليس هو من بني آدم مثلك ومثل خالي ؟ وأعلم أنني لم أقل للرجل بعد أنني قبلته .. أحببت عرض الأمر عليكم .. وأخذ موافقتك .. وكنت أرى الحياة والعيش معكم وبينكم وفي شقتي

– على كل سأفكر وأشاور إخوتك وأخواتك .. أنا غير مرتاح لهذا الزواج

قال بكر: أنت تظنها ابنة أربع عشرة سنة .. بنت عشرين يا رشيد .. هذا عريس من السماء .. البنت إذا تجاوزت الثلاثين راحت عليها .. من سيتزوجها بعد الثلاثين إلا مطلق أرمل أو معذور ؟ .. اتق الله يا رجل في ابنتك

– ابنتي مباركة عليك

– بنت كريمة .. وهي مثل بناتي .. وأمونة تعرف ذلك منذ وفاة أمها ـ رحمها الله ـ ولقد سعيت لتزويجها أكثر من مرة ، ولم أوفق

خرجوا من باب العمارة ، فأشار بكر لسيارة تكسي ، وأدخل فيها الحقيبة ، وجلست الفتاة في المقعد الخلفي ، وجلس بكر بجوار السائق ، وكانت امرأة رشيد تقف أمام باب الشقة تتابع وتسمع حتى عاد إليها رشيد ، وكانت منزعجة من الصراخ والصوت العالي ، فصاحت فيه قبل

أن يدخل باب الشقة الخاصة به : ماذا دهاك؟! سمعت صراخك وأنت فوق

قال بتهكم وصوت ضاحك : واحد أرمل عارض عليها الزواج ، وتريد موافقتي .

نظرت إليه بعمق وقالت: وماله ؟ أنت زعلان لماذا ؟ ألم تكن أرملا وتزوجتني يا رشيد ؟!

– أنا غير .

ضحكت بضيق : ولماذا أنت غير؟! أنت لازم تفرح لما يقبلها أحد وهي في هذه السن ، وبعد كل هذا الانتظار

فصرخ في وجهها: تريد الزواج من زبال كناس شوارع

عادت للضحك الخافت وهما يدخلان الشقة : زبال! هو الزبال ليس برجل يا نمر ..أخي عمل فترة في البلدية ، ثم تحول إلى عمل أخر

– والله أمرك عجيب يا سليمة !

صرخت فيه وهما يجلسان على مقاعد في صالة مدخل البيت: من حقها الزواج ..أنت كان لازم تزغرد ، وتعلن الأفراح أن وجدت ابنتك بعد أربعين سنة زوجا .. وتذهب إلى الرجل وتحضنه شكرًا ، وتقبل أياديه .. ابنتك عانس وقبيحة الوجه وقصيرة وبدينة .. هذا الرجل أعمى .. يظهر أنك تعتقد أن أمونة طفلة في سن المراهقة ..وملكة جمال النسوان

– أنا على رأيك غلطان !

صاحت : مائة غلطان .. هذا إجرام في حقها

– وتريد أن تسكن مع الأرمل هنا .. ويؤجر بيته

– وتسكن هنا .. البيت بيتها

– هذا أنت تحبينها وأنا لا أدري !

– القصة ليست قصة حب يا حبيبي .. بنت كبيرة أتتها فرصة لتعيش مثل خلق الرحمن .. واحدة تقدم لها ذكر بعد طول صبر وانتظار لمَ تحرم من هذه الفرصة يا غبي ؟! .. لو طلبها إبليس اللعين فزوجها .. هذه معجزة من معجزات العالم .. ولماذا أخذها خالها ؟!

- خالها يريد لها الزواج ..وأمهلوني أسبوعا وإلا تزوجت عن طريق القاضي.. القاضي سيصير أباها وولي أمرها

- وهل ستبقى تعطيك شيئا ؟

- بل ستزيد الراتب إذا قبلت بالزبال

قالت بسخط: أنت مجنون !.. أنا منذ تزوجتك وأنت قاعد لا تعمل أو كنت في آخر أيام شغلك في تلك الشركة .. والآن تستعر من الزبال؛ كأنك وزير أو تعيش في قصر السلطان .. لو كنت أكره ابنتك فأنا أحب لها الخير والسترة .. ليس للمرأة إلا الزواج والعيش في كنف الزوج .. المرأة حياتها الزواج والبيت .. ليست قضية أكل وشرب ونوم هذا حاصل لكل الناس .. المرأة خلقت لتكون زوجة وأما ولها بيت وأولاد لولا الكره بيننا لذهبت إليها وأعلنتها بموافقتك

- أنا غير موافق .. سأشاور حسونة

ضحكت سليمة وقالت : حسونة ! أكيد تلصص عليكم لما سمع صراخك .. وتجده عرف الحكاية .. وهو غير مبال .. هو وزوجته حياتهم الكأس والشراب .. هل يهمه تزوجت أمونة أم لم تتزوج ؟ وسيتظاهران أنهما لم يستمعا شيئا من ثقب الباب .. اصعد لحسونة .. قد تجده صاحيا

- حسنا ، سأصعد الدرج ثانية ..كنت أريد أن تشدي عضدي في منع الزواج من زبال

- زبال أشرف منك.. هو يعمل ويسترزق .. وأنت منذ اشتغلت أمونة وأنت عاطل عن العمل

- ما أقذر لسانك وأطوله !.. منذ تزوج ابنك لم آخذ منه درهما واحدا يا امرأة !

- إنه يعطيني أنا .

مشاجرة عائلية

بعد الكلام الحاد الذي سمعه من زوجته ، وقد كان يتوقع أن تؤازره في رفض زواج أمونة ، وأن تعارض بشدة ، صعد لشقة حسونة ابنه الكبير ، فوجده في انتظاره ، ويلبس ملابس الخروج ، فقال وهو يدخل الباب : أين؟

- كنت ذاهبا للمقهى .. فقد سمعت صياحكم .. وخروج أمونة مع خالي بكر

فقال بسخط : يا سيدي أختك وجدت زبالا في أحد شوارع العاصمة ، يريد أن يضحك عليها ويستولي على ثروتها ، ويتزوجها بعدما شابت وترمل

قال حسونة وهما يجلسان على كنبة كبيرة في مدخل البيت : هذا هو مربط الفرس ... وقبل أن يتابع تعليقه خرجت زوجته ترحب بعمها وقالت بعد الترحيب: طبعا وإلا لماذا سيتزوجها لحسنها وفتنتها ؟! لم يخلق أبشع منها قصيرة بدينة .

فصاح حسونة في وجه زوجته : ولكنها غنية ثرية.. تتصدق علينا .. والمرأة تنكح لثروتها .. وأنت محروقة محرورة لماذا؟!

قالت: عيب ! واحدة وصلت لهذا السن وتتعلق بالرجال .. زبال!

تطلع حسونة يمينا ويسارا وقال : آ ، ماذا أقول ؟! ماذا يشتغل السيد عماد ؟

صاحت بغيظ : غلط وعمل شهرا وندم

- ندم! بل طرد .. أنت ترفضين من أجل مالها أم لأنه زبال .

صرخت بقوة : كلا الأمرين يا باشا !.. هذا يا عم طامع بمالها وشغلها .. وأيضا تريد أن تسكن هنا ليس في بيته ؛ ليكسب أجرة بيته .. وأن تتزوج ابنتك من زبال هذه كارثة ! .. نحن مستوانا أعلى من هذا المستوى

ضحك حسونة وقال: نحن ماذا مستوانا ؟! .. الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى

صرخت فيه بحدة ونقمة : صرت شيخا

- لست شيخا ؛ ولكن هذا كلام الخطيب كل جمعة .. والعمل ما هو عيب .. ربما العيب أن تعمل أمونة وتسرح من الصبح حتى منتصف الليل

قال رشيد باستغراب : أمرك عجيب يا أبا حلمي !

- لا عجيب ، ولا شيء ، أنا أرى أن من حقها الزواج ، ولو بلغت مائة سنة

قال رشيد: أمرك مثل امرأة أبيك ، لا تمانع من زواجها من زبال حتى من حمار .. حقها أن تتزوج رأيك يا أم حلمي أن لا تتزوجه ؟

قالت بحقد ظاهر : هذه بعدها لم تتزوج وتتحداك .. هذه ستحول رصيدها له ، ثم يلقيها في الشارع .. أنا أعرف هؤلاء المتمسكنين .. ارفض ارفض يا عمي .. لا ترد على حسونة ولا على أم شحام

دفع الباب فجأة وسمعت سليمة آخر الكلام وربما سمعته جله فصاحت: تريدين أن يرد عليك يا وقحة .. أنت يا رشيد لازم تطردها من العمارة

صاحت بهياج فيها : هذا شقتنا يا قليلة الأدب! تدخلين البيت مثل العصابات .. حسونة بناها من عرق جبينه .. ليس من مصاريك ومصاري { تقال عن العملة } عمي ..البيوت لها حرمة

- اخرسي يا وقحة !.. وأنا أقف أمام الباب لأطرقه .. فسمعتك سمعت كل الكلام .. أرغب لها بالستر ..أنت لا تبغين لها الستر بعد كل هذه السنين .. عيناك على مالها أنت ورشيد .. أما حياتها وسترها لا أهمية له عندكم ..قالت لأبيها : إذا لم تنكح الرجل الذي من جيل أبيها ستترك كل المال للجمعيات الخيرية .. فالأفضل أن تصمتوا وتخرسوا ، وتباركوا الزواج حتى تبقى صدقتها مستمرة على الجميع .. أنا رغم بغضي لها .. المعروف للجميع .. فلا أنسى إحسانها على بناتي حتى تزوجن ، وعلى هذا الرجل ، وهو يزعم أمامي أن المال الذي تدفعه أمونة إيجارا للشقة كأنه هو الذي بناها ، وكأن إيجار الشقة في أبو خروف خمسون دينارا .. ما هي الشقة السفلى مؤجرة بعشرة دنانير يا عالم .. أنت تأخذ منها خمسين غير الهبات .. وهي وعدته بالزيادة والرجل لو أنه زبال وكناس ؛ لكنه صابر مكافح ..فقد ربى ابنة ودخلت

الجامعة .. وهي متزوجة وتعمل صحفية اليوم .

صاحت زوجة حسونة: لا ترد عليها يا عم رشيد .. شهر زمان ثم تقطع عنك المعونة الخمسين دينارا .. هذا الرجل طماع .. داخل على طمع .. قلة بنات أصغر منها يمكنهن الحمل أسرع من أمونة ولماذا أمونة؟!

صفعت أم شحام أم حلمي صفعة حادة قوية بنقمة وكره رمتها أرضا وهي تصرخ فيهم: مجرمة ! واعلم إذا أطعت هذه السكيرة العاهرة .. وإذا لم تتزوج أمونة سأترك لك الدار يا رشيد .

وهجمت امرأة حسونة على أم شحام بعنف وشدت شعرها وهي تصرخ فيها بأقبح الشتائم وارتفع الصراخ والضرب والقذف وأم حلمي تصيح : اخرجي من بيتي يا ملعونة

- سأخرج يا قليلة التربية .. يا نذلة يا شريرة .. هيا يا رشيد يا جبان .. أنا لا أعلم كيف تزوجها حسونة؟! .. امرأة فاسدة حسودة

فقال رشيد وهو يدفع امرأته خارجا : عيلة مثل الحذاء .. الحقني يا حسونة

وصاحت أم حلمي: الليلة ستطلقني يا حسونة .. لا يمكن الحياة مع هؤلاء الوحوش ، إما الطلاق ، وإما الرحيل فلن أجاور امرأة وحشة غولة

استدار رشيد داخلا وقال: ما هذا الكلام الفارغ ؟! هدئ زوجتك يا حسونة .. سنفكر برؤية

قالت أم شحام: لا أدري من سيتزوج أنت أم أمونة ؟! أنت لست رجلا يا حسونة ارجع إلى خمارتك أحسن لك

صاح الرجل في امرأة أبيه وشتم وقذف



دخل العمارة شحام ورأى أمه تبكي أمام الباب خارج الشقة من كلام حسونة ، فهاج وقال بغضب : ماذا هناك ؟! ما بك تبكين في الشارع ؟! أنت اتصلت لتخبريني بأن رجلا يريد طلب

يد أمونة .. لماذا تنوحين؟! لعلك ضربتها . وجه هذا الكلام لأبيه

فرغم الموقف المؤلم ضحك رشيد خافتا وقال: أنا اضرب أمك ! أنا أقدر على هذا الفيل !

فقالت وهي تنظر لأعلى الدرج حيث يقف حسونة وزوجته أمام بسطة الدرج ومدخل شقتهما: حسونة .

كان حسونة لما رأى شحاما يدخل من بوابة البناية ، قد كف عن الكلام ، فصاح شحام في أمه وهو يصعد نظره إلى بسطة شقة حسونة : ماذا فعل حسونة؟!

قالت من بين دموعها واستنشاقها النفس : يسب عليّ ، واتهمني بالفجور

- ماذا؟!

فصاح حسونة: لم اتهمها بشيء ؛ بل هي التي أساءت إليّ تتهمني بشرب الخمر

فصاح شحام وهو يلوح بيده لأعلى : وهل هذا اتهام ؟ وهل أنت لا تشربها؟ وصعد إليه وهرب حسونة بعد أن دفع زوجته للداخل ، وأغلق الباب بسرعة ، وهجم شحام على الباب المغلق يضربه بحدة ، فانفتح ، فهو شاب قوي البنية ممتلئ القوام ، وقد تدرب على الملاكمة والمصارعة في فترة المراهقة وأول الشباب ، ولما صار في جوف البيت شاهد حسونة يحمل سكينا كبيرة من سكاكين المطبخ ، يقول له مهددا: إذا لم تخرج سأقتلك

وكانت زوجته تصرخ فقال شحام : عامل نفسك راجل على أمي يا سكير .. كم مرة أتيت بك سكرانا من شوارع المدينة ؟! ارم السكين على الأرض

كان يهدد بها ويصيح: اخرج من هنا من بيتي .. الشرطة قادمة اتصلت بالشرطة

تقدم شحام نحوه وقال: ارم السكين ، وانزل قبّل رجل أمي

امتلأت العمارة بالمارة والجيران الخارجين من المقهى لبيوتهم ، والعائدين من السينما والمسارح ومقاهي المدينة حتى أن بعضهم صعد ليصلح بين المتشاجرين لما سمع القصة وصوت الصراخ من امرأة حسونة ، وتقدم الشيخ سلمان يوسف أبو يوسف الخارج من مقهى مهران ، واتجه يتبعه شقيقه جهة الصوت ظانا أن حريقة حدثت في أحد البيوت أو وفاة صعد إليهم وقال : يا عمي

يا شحام اهدأ .. اختصر لي والدك القصة .. وأنت يا حسونة ارم السكين .. أنتم أخوة .
شحام وحسونة كلاهما يعرف الحاج سلمان ، وربما تعلموا عنده أيام الشباب ـ فهو عمل مدرسا في جميع المراحل ، ثم مدير المدرسة الثانوية الحكومية في حي النجمة ، حيث تستقبل طلاب أبو خروف والأحياء المجاورة ـ وهو صاحب أبيهم ، فقال الشاب : يسب على أمي يا عم أبا يوسف .
فقال سلمان : فهمت الحكاية يا ولدي .. أغلق بابك على نفسك يا حسونة
وأمسك سلمان بيد شحام ، ونزل به إلى شقة أبيه وأمه ، وكان رشيد يشد وينتف ما بقي من شعر في رأسه، ويبكي كالأطفال ، فلما هدأ الأمر ، وانصرف الخلق ، أغلق سلمان الباب ، والتفت للمرأة وقال: ما الحكاية يا أم شحام؟
قالت وقد اختفت دموعها: الحكاية أن رجلا بسيطا ترمل منذ شهرين طلب يد أمونة من نفسها حيث يعمل زبالا في نفس شارع مشغلها ، فجاءت مع المغرب ؛ لتأخذ موافقة أبيها قبل نقل موافقتها للرجل ، فرفض بحجة أنه زبال وطفران ..وهو عامل سيتقاعد من عمله كما فهمت من رشيد .. ويأخذ راتبا حتى يموت وتموت أمونة
حول سلمان نظره إلى رشيد وهزّ رأسه، وروت مجيء خالها بكر ، وزعلها وذهابها ، وقصت كل ما سمعته وعرفته فقال سلمان لرشيد: أنت كان عليك أن تفرح وتبارك بزواج ابنتك البكر المسكينة .. عملت مشكلة كدت أن تخسر أولادك فيها .. وهي إذا لم تتزوج عن طريقك ورضاك سيقف معها القضاء .. وحتى قد تتزوج بدون قضاء ؛ لأنها كبيرة في السن .. وامرأة راشدة .. تدير مصلحة يا رجل .. وصل صياحكم للمقهى
– يا أبا يوسف هذا رجل طمعان في مصاريها
– خليه طمعان فيها .. تزوجت لمالها وثروتها .. لماذا تقف في طريق سعادتها ؟ أنت تعلم أن السيدة أمونة امرأة كبيرة .. الفرص أمامها معدومة.. نحن نعرف بعضنا البعض يا أبا حسونة
– أنا لا أرضى أن أوضع تحت الأمر الواقع

- أي واقع يا رجل؟! رجل يعمل في الشارع حيث المشغل ، وتعرف عليها بحكم العمل ، ولما ترمل استحسن الزواج منها ..الفتاة الهادئة الوديعة .. والرجل له بيت كما فهمت من أم شحام وابنتك ترغب بالبقاء هنا .. والزبال من بني آدم مثلنا .. ولولا هؤلاء الرجال لدهمتنا الأسقام والدود .. أنت صديق يا أبا حسونة اختصر الشر .. ولا تخسر الأولاد .. واتصل بابنتك ، وبارك لها هذه الخطوة .. وأدعو الله أن يرزقها الزوج الصالح الطيب والذرية الطيبة .. فالله هو الوهاب الجواد الكريم .. وأم شحام كما قالت بصدق ـ رغم عدم حبها لأمونة ـ فهي ترى زواجها حق لها .. والمال مالها يا عمي .. وهي امرأة تصلي وتعرف ربها .. ولن تعقك وتحرمك هي قالت ذلك غضبا .. لن تحرمك ما فرضته على نفسها لك .. فأنا أعرف أمونة .. وزارت امرأتي وبناتي وخاطت لهن الثياب .. أرجوك يا رشيد لا تكن حجر عثرة في اختيارها .. عيب أن تقول هذا زبال وهذا طيار مع الاحترام لكم .. أمونة ليست مهندسة أو طبيبة .. فالإنسان يختار من مستواه لينجح الزواج ؛ لتستمر الحياة الزوجية .. وحتى أني سمعت أم شحام تذكر أن له ابنة واحدة فقط تعمل في الصحافة ومتزوجة .. ولم تستعر من أبيها ، ولم تطلب منه التخلي عن وظيفته .. المهم أن لا يتسول الإنسان ، ويمد يده للغير .. وأنت يا شحام يا ولدي عليك أن تحافظ على الأخوة بينك وبين ابن أبيك .. فالدم لا يصير ماء

قال شحام: يا عمي أنا لم أفعل معه شيئا .. اتصلت بي أمي عند العشاء قائلة : إن رجلا طلب أختك أمونة وأبوك رافض .. فتعشيت وجئت ، فوجدت هذه ـ وأشار لأمه ـ تبكي من كلام حسونة الجارح .. فأصابني الغيظ وأردت أن أدبه فهرب إلى بيته ، وأخذت زوجته تولول وتصيح حتى فزّعت علينا أهل البلد ، ودخلت عليه ، فوجدته ينتظرني بسكين المطبخ

قال سلمان : على كل حال شر وانتهى .. والآن سأصعد وأتحدث مع حسونة ؛ لينزل ويتصالح مع امرأة أبيه ويعتذر لها .. وتتشاورون بحكمة وتعقل في زواج أمونة .. وطالبوا بمقابلة الرجل وتعرفوا عليه ، ولا تنظروا للوظيفة فقط .. وماذا تعني وظيفة السائق ؟ ووظيفة عامل الفرن ؟ فهذا إنسان شريف بسيط يطلب الستر .. ويسعى للحياة الهادئة مع ست محترمة ، ويسعى في

عمله للمحافظة على حياتنا كالأطباء وغيرهم .. بائع العربة المتجول رجل شجاع طيب يعمل ولا تنسوا أن أمونة ليست صغيرة .. فهذه أول فرصة زواج أسمعها عنها .. نصيبها تأخر كونوا معها .



رشيد يتراجع

كان لتدخل سلمان بين أفراد أسرة رشيد تأثير قوي ، فالرجل معروف في الحي ، وهو من رجاله المعدودين ، وكثيرا ما تدخل في إصلاح ذات البين ، وحل مشاكل الأسر ، وخاصة لمن له بهم معرفة شخصية ، فالسيد رشيد من معارفه منذ عهد ماضي ، ومن جلسائه في المقهى في بعض الأحيان عندما يحب الحديث مع شلة أبي يوسف وشقيقه أبي نوح .

ولما أصلح الرجل بينهم بكلماته القوية الهادرة ، فغادرهم بعد هبوط حسونة وزوجه واعتذارهم لأم شحام ، وشربهم الشاي بمعية سلمان .

فقال السيد رشيد : الرأي أن نقابل الرجل ، ونتعرف عليه ونبارك الزواج .

قالت أم شحام: كما وعدت العم سلمان ؛ ولتجرب البنت حظها

قال حسونة : أنا لا دخل لي تزوجت أو لم تتزوج .. وهي حرة ..وهي سيدة كبيرة تتحمل المسؤولية .. وكما قال سلمان خيرها على الجميع .. وكان من الغلط أن نضخم ونكبر الموضوع

قال شحام: حصل خير يا جماعة !.. الشيطان له دور .. الآن سأذهب لخالنا ـ خال أمونة وحسونة ـ وأبين لهم أنه لا مانع من زواجها ممن تشاء ، حتى لو من إبليس نفسه .. كما تقول أمي فلها الحق أن تتزوج مثلنا .. والأمل بالخلفة أمل كل زوجين في الدنيا .. ونحن نؤكد عليها بالاستمرار بدفع المال لأبينا .. فأوضاعنا المالية ليست بزيادة وعلى قد الحال .. والأفضل أن تبقى تعيش في شقتها بيننا ؛ لأن البعد سيضعف همتها من الدفع الشهري للوالد .

قال رشيد : هي وعدت بزيادة المصروف إذا قبلت زواجها .

ـ سأذهب أنا وأمي إلى بيت أبي محمد ونصلح الأمور ؛ ولتعلم أن موافقين على اقترانها بذاك السيد .. وأننا نحب لها الخير .

ولما جهزت أم شحام كانت سيارة شحام في انتظارها ، ولما جلست فيها انطلق بها شحام نحو بيت بكر الذي لا يبعد كثيرا عن حي أبو خروف ، ورغم تأخر الوقت واقترابه من نصف الليل إلا أن الرجل لم يكن قد نام بعد ، فاستقبلهم ورحب بهم ، ورحبت زوجته بأم شحام ، وأعلن

شحام أمام أخته وخالها وامرأته موافقتهم على هذا الزواج ، وتركوا الأمر لها لترتيب لقاء تعارف بينهم ، ففرحت أمونة بهذا الكلام ، وشكرت زوجة أبيها وأخاها ، وشكرت دعمهما لها ، ووعدت بالعودة لشقتها بعد عودتها من شغلها يوم غد ، وعند الخروج أخذ شحام حقيبتها ووضعها في السيارة ، وسيتركها عند أمه لتأخذها عندما تصل البيت ، وكان بكر يقول: أنا دهشت لرفض أبيك هذا الزواج .. كنت أظن أن المعارضة ربما تكون من أمك الفاضلة .

ابتسم شحام وقال : وأنا مثلك .. لما بينهن من المشاحنات التي تحدث بين الأولاد وامرأة الأب قد تعترض أمي لبعض الوقت ؛ ولكني فعلا ذهلت لما علمت أن أبي يرفض زواج أمونة .. لو كانت صغيرة لقلت من حقه أن يعترض .. لكن أمونة قدر الله لها ذلك .

قال بكر : الحمد لله أن حلت الأمور .. أنا قبل حضوركم تحدث معي صديقنا الأستاذ سلمان اشتغلت معه فترة عندما كان مدير ثانوية النجمة وقال : الأمور تسير إلى ما يحب المحبون واختصر لي المعركة التي جرت بعد خروجنا من العمارة .

ـ الحمد لله يا خال

قالت أمونة: جزاكم الله خيرا .. صدقوا أن الزواج ذهب من فكري بعد هذه السنين الطوال .. وحتى لما فاتحني سميح بالموضوع ، فكرت أنه يقصد فتاة من فتيات المشغل .. عندي ثلاث غير متزوجات ؛ ولكنه كاشفني أنه يقصدني أنا بطلبه ، فذكرت له كبر سني ، فقال : ليس مهما عندي الأولاد .. غداً ـ إن شاء الله تعالى ـ سأخبره بموافقتي ؛ وليات لمقابلة أبي وإخوتي

فباركوا لها جميعهم من جديد ، وسألوا الله لها أن يتمم عليها على خير ما يرام ، فقالت شاكرة: على بركة الله .. الناس بأفعالهم ، لا بأقوالهم .. السيد الوالد صنع المعركة من لا شيء .. أنا طمأنته أمام خالي بكر أنني سأستمر بدفع نصيبي من مصروفه .. وأنا أعتقد أن لا أحد يدفع إليه باستمرار وبشكل دائم إلا أنا .. وأنا أقدر ظرفك وظرف حسونة وإيجار الدار الذي تدفعه وبقايا أمواله أيام عمله .. واعتبر ذلك قربى إلى الله .. والقوي ماديا يساعد الضعيف دون منة فالمنان هو ربي .. ربما خطر في بالي أن ترفض امرأة أبي لم بيننا من الحساسية ..ولكني أشكر

وقفتك الشجاعة معي يا أم شحام .. القلوب بين يدي الله يقلبها كيف شاء ؟ .. وأنا أحب البقاء معكم لنبقى أهلا .. فالرجل ليس عنده ذرية ليزعجوكم .. وابنته الوحيدة متزوجة ، ولها طفل ولدته من عهد قريب .. وهو قد يتقاعد بعد الزواج .. وسيحصل على راتب شهري كما هو معروف حتى يتوفاه الله .. الشكر يا خال ، والشكر لأم محمد

ـ يا ابنتي نحن أهل .. وكنا نتمنى لك ذلك من زمان .. لكن الأمور كلها لله وبيده .. سيفرح لك كل المحبين .. ونحن نحب لك الخير والسعادة .. ونرجو أن يكون السيد سميح اسما على مسمى ، ويكون رجلا مقدرا لك .

وتحدثت لهم عن معرفتها بالرجل من خلال عمله في الشارع ، ومساعدتهم في تكنيس المحل ، وتفريغ السيارات ، وتحميل المصنوعات ، واحترامه لها ولفتيات المشغل ، ولم يمازحها يوما بما يمزح به من كلام جارح أو محرج ، وصبره على مرض أهله حتى توفاها الله ، وخلصوا في نهاية السهرة إلى الاتكال على الله ليحصل النصيب والمقدر ، وأن يطعمها الله الذرية الطيبة والسعادة الأسرية .

هدأت العاصفة قبل سطوع الفجر ، في نفس الليلة قبلت العائلة زواج أمونة من ذلك الرجل الذي لم يروه بعد ، ولم يكد يبدأ النهار حتى سعت الفتاة لعملها مبكرة على غير العادة ، وقد عادت إليها الحياة الحالمة ، حياة الزواج ، وبيت الزواج ، حياة الرحمة والمودة والسكن التي اختفت من أحلامها منذ عقد وعقود ، دغدغت أفكارها الأمومة التي تتحدث عنها الأمهات والوالدات ، فوصلت المخيطة أول الواصلين ، مما أدهش العاملات عند دخولهن ، ولما لمحت سميحا في الشارع أشارت إليه بالقدوم ، فلبى النداء بلهفة العاشق الولهان بعد أسبوع من الانتظار ، وقد عرف الجواب ، وأدرك أن فتاته أقنعت أهلها به زوجا لها ، ساقته نحو مكتبها في زاوية المشغل ، وطلبت الشاي للجميع ، وأبلغته موافقة أبيها على زواجهما ، وأعطته عنوان البيت في أبو خروف ، فوعدها بأن يكون في بيتهم عند الغروب ، وأعرب عن امتنانه عن قبولها به ، وسيسعد بها ، وأنه عند كتب العقد سيقدم طلب التقاعد من البلدية ، وقبل بأن يعيش

معها في بيتها دون حرج ، وأنه سيؤجر بيته ، وبعد مغادرته لمكتبها أعلنت للعاملات معها سبب دعوة الرجل للمشغل ، فأخذن يقبلنها بحرارة ، ويهنئها بالزواج ، فالزواج أهم حدث في حياة النساء ، ربما أهم من شهادة الجامعة ، واحتضنتها مساعدتها بقوة وفرح ودموع ، وتمنت لها السعادة ، ودعت لها أمونة بأن تجد ابن الحلال هي الأخرى ، وأرسلت أمونة إحدى الفتيات لشراء الحلويات لمثل هذه المناسبة التي لا تفوت ، وغمرت المشغل السعادة ، وشاركهم سميح هذا الفرحة والاحتفال وقال لها : إنه قدم على إجازة ، وغادرهنّ سعيدا على أمل اللقاء مساء هذا النهار ، وبعد الظهر ذهبت أمونة لصالون تجميل وتمشيط الشعر ، ومشطته العاملة بسرعة وهنأتها على هذه المناسبة ، وعادت للبيت مخبرة للأسرة ما دبرته من ترتيب ، وعبرت شكرا من جديد لزوجة أبيها لدعمها لزواجها وموقفها الكريم، ووضعت في يدها عشرة دنانير كهدية بهذه المناسبة ، فقال أبوها الذي رأى الدنانير تنتقل من يد امونة ليد سليمة : وأنا .

فأخرجت عشرة أخرى وضعتها في يده باسمة قائلة : أنت لا تشبع .. الليلة سيكون مجيئهم ومعه شقيقه للتعرف عليكم والحديث معكم ، ولما نكتب العقد سيقدم طلب تقاعد .

فقالت أم شحام : أهلا وسهلا بهم ، رغم ما كان بيننا من سوء تفاهم أو حساسية أنا أتمنى لك كل الخير والتوفيق والنجاح مع السيد سميح ؛ وذلك من قلبي صدقي ذلك .. فأنا أعرف أنك طيبة .. ألف مبارك

استقبل السيد رشيد وأولاده بعد صلاة المغرب السيد سميح عبد السميع الذي جاء مرتديا لبذلة جاهزة وجميلة ، ويصحبه شقيقه وعائلته ، وابنته وزوجها ، ورحب به رشيد وولداه وزوجاتهم ، وتصافح القوم ، وجرى التعارف التقليدي ، وقبل رشيد زواج ابنته البكر من السيد سميح ، وجاءت الكنافة المشهورة في بلاد الشام للاحتفال الأولي بهذه المناسبة السعيدة ، وقبل انتهاء اللقاء حضر بكر وأهله ، وقدم سلمان برفقته ، فقد مرّ عليه في المقهى وأخذه معه ـ وكانت أمونة قد اتصلت بخالها ، وأخبرته بالترتيب لهذا اللقاء ـ فشاركوا القوم فرحتهم وسعادتهم ، واتفق أن يكون إعلان الزواج خلال أيام ، ثم العقد الشرعي لدى المحاكم ، وقبل

السيد الحياة في حي أبو خروف في شقة أمونة الزوجة

شهرت الخطبة ، وانتشرت في الحي وفي شارع الخياطين ، وبدأت الاستعدادات لكتابة العقد ، وتحديد موعد الزفاف ، وأخذت الفتاة تغير ترتيب البيت لشراء أثاث غرفة نوم ، وقدم سميح المال اللازم، وشاركت أمونة بذلك مراعية لمشاعره ، وأصرت على الدفع سرا لحفلة الزواج ، واشترت الفتاة بما دفع لها من مهر ذهبا ، وزادت من جيبها فابتاعت الأساور والحلق والخاتم وبعد أسبوعين من كتابة عقد الزواج أمام القاضي الشرعي ،كانت تحتفل بزواجها في صالة أحد النوادي الاجتماعية خارج أبو خروف ، وكان ذلك هدية من أحد أخوالها الذي له علاقة خاصة بذلك النادي ، واحتفل القوم احتفالا كبيرا ؛ كأنهم يزفون عروسا صغيرة لزوجها ، فأمونة لها شعبية تكونت خلال هذه السنوات ، فهي خياطة ماهرة في الحي وفي المدينة ، ولها صداقة بأم ريان التي عرفتموها في قصة سابقة ، وتقدم لجمعية البر المال والملابس الجديدة والتي لم تباع ؛ وإن كانت تحرص على فعل ذلك سرا وخفية ؛ ولكن هذا الأمور تكشف مهما سعى المرء إلى إخفائها ؛ لذلك وجدت عاقبة ما قدمته من خير في حفل زواجها ، وعادت عند نصف الليل إلى شقتها تزفها السيارات الصغيرة والمحتفلون ، وكانت تقلها وعريسها سيارة خاصة مزينة بالورود والأزهار والزينة.. كانت تجلس في قلبها أمونة وزوجها سميح ، وصعد بهما إلى شقتها بالزغاريد والأهازيج ، ولما أغلق الباب عليهما تقدم سميح إليها ، واضعا يده على ناصيتها داعيا بالخير مستعيذا من شرها ، وطلب منها الصلاة ركعتين كما هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم. [*] وهكذا أيها الأصدقاء تزوجت أمونة بعد انتظار دام أكثر من ثلاثين سنة ، وعادت لها الحياة النضرة ـ حلم كل أنثى طبيعية ـ بعد دهر وقبل دخول سن اليأس وللقصة تتمة .

*- عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً أَوِ اشْتَرَى خَادِمًا فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَمِنْ شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ وَإِذَا اشْتَرَى بَعِيرًا فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ ». قَالَ أَبُو دَاوُدَ زَادَ أَبُو سَعِيدٍ « ثُمَّ لِيَأْخُذْ بِنَاصِيَتِهَا وَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ ». فِى الْمَرْأَةِ وَالْخَادِمِ.

الحياة الجديدة

قضت أمونة أياما بعد ليلة الدخلة تستقبل المهنئين من الأقارب والجيران والأصدقاء ، والسيد سميح تحصل على إجازة زواج لمدة أسبوعين ، وقد قدم طلب إنهاء الخدمة لما كتب عقد زواجه الجديد ، وكان والد أمونة يكبره بعشر سنوات أو تسع ؛ فلذلك حصل بينهما انسجام واضحا أمام زبائن المقهى .

انتهى الأسبوع الأول للزواج فعادت المرأة لمارسة عملها في شارع الخياطين والترزيين ، وقد زارها الكثير من أصحاب هذه المخيطات والمشاغل والمحلات يقدمون لها التبريك والدعاء ، وكانت مساعدتها أحلام تجهز الحلوى يوميا لتقديمها للمهنئين ؛ لأنها تعرف عمق العلاقة بين أمونة ورجال ونساء الشارع ، والكل فرح بزواجها بعد يأس قاتل هل جزاء الإحسان إلا الإحسان وبعد حين عرضت أمونة على مساعدتها المشاركة في المحل ، لأنها هي الأخرى تفكر بالتقاعد وستحسم الأمر عند تقاعد زوجها ، وقبلت أحلام التفكير في العرض .

فكانت تقضي نصف نهار في تدبير المصلحة وترتيب الأمور ، وتنظر العروض وتغادر للبيت ، تريد أن تحس وتشعر أن لها بيتا وزوجا .. فهي قبل الزواج كانت تعود بعد آذان العشاء .. فتصل للبيت منهكة القوى ، وتنام سريعا ، أما اليوم فهناك رجل يحتاج لها والحديث معها ويسمر معها ويأكل معها .

وأما سميح فقد مضت الإجازة دون أن يبث في طلبه التقاعد من العمل ، فله أكثر من عشرين سنة يباشر العمل في هذه المهمة التي يستقلها الناس مع أنهم لا غنى لهم عنها ، وإلا تكدست القمامة في الشوارع والطرقات ، وعمت الأوبئة البشر ، فحتى الغابات حيث تعيش الوحوش فتجد حيوانات قمامة كالضباع والكلاب البرية مهمتها أكل الجيف وغيرها ، بل بعض الضباع تساعد الأمهات في حالة الولادة عند موت الجنين في أرحامهن ، فيظل الضبع يدور ويلف حتى يسحب الحيوان الميت من المها والحمار الوحشي ، فالمهن تكمل بعضها البعض ، وكان يريد السعادة بعد معاناة دامت سنوات في علاج الزوجة الميتة .. واليوم قد من الله عليه بأمونة المرأة

الضئيلة الطيبة التي يعرفها منذ انتقل للعمل في شارع الخياطين .. وقد عرفها قليلة الكلام على غير عادة النساء من حبهن لكثرة الكلام إلا ما رحم ربي .. ونظر كلاهما لنفسه ؛ كأنه عاد لعهد الصبا والمراهقة .

رجع سميح لعمله في شارع الخياطين حتى يصدر قرار إحالته على التقاعد .. وتلقى هدايا من أصحاب المحلات تجاوزت ألف دينار .. فشكر الله وحده .. وعرف مقدار حب الناس له وعطفهم عليه .. ولم يكن أمامه الرفض فقد اعتاد على تقبل عطاياهم ومساعداتهم منذ عمل في هذا المكان .. ولما تشاور مع أمونة باركت له فيها .. ونصحته بالتصدق ببعضه ففعل .. ووهب والد أمونة خمسين دينارا منها .. وبعد تمنع وحياء قبلها رشيد شاكرا .. لما علم الرجل مصدرها .. فهو خطر له في أول الأمر أن أمونة أعطته إياها ليدفعها له .. فلم تعجبه هذه الطريقة أن يأخذ المال من يد زوج ابنته .. وابنته قادرة على توصيله له .. فلم وضح له الرجل المصدر قبلها شاكرا داعيا ، وكان سلمان يوسف كلما رآهما وقابلهما في المقهى معا ، يقول مداعبا ومازحا: آ ، يا أبا حسونة كيف أنت وأبو نسب المحترم ؟

فيبتسم ويعرف أنه يذكره بتلك الليلة العصيبة التي طلبت البنت الموافقة على زواجها منه ، وجرت معركة كادت تنتهي بمجزرة ، فيرد : عسل عسل يا حاج أبا يوسف .. ساعة شيطان الحمد لله ربنا لطف .. ما تعرف الناس حتى تعاشرهم وتقابلهم .. أبو سعاد رجل غانم وكريم فقال سلمان: عسل فعلا .. كيف حال ابنتك وزوجها يا أبا سعاد ؟ أنا أكبرت شجاعتها وعزيمتها وقدرتها عندما لم تطلب منك ترك عملك الذي يستعر منه بعض الخلق .

قال سميح : تعلمت من أموال هذه المهنة يا حاج سلمان .. الحمد الله الذي أكرمني بها .. وأتمنى أن يجعل الله بيني وبين ابنة الرجل الفاضل أبي حسونة طفلا ..آمل بذلك بكرم الله العظيم .

أمن الجميع على رجاء ودعاء سميح وقال سلمان: هذا أمر الله .. صحيح أن السعادة لا تكتمل إلا بالأولاد والبنات ؛ ولكن الحياة الزوجية الهادئة السليمة أيضاً سعادة .. فكان البيت كما يعلم رشيد مليء بالأولاد والبنات ؛ لكنهم تزوجوا وغادروا .. وبقيت أنا والعجوز أم يوسف ،

وعمك رشيد ظل هو وأم شحام .. هذا حال الدنيا يبدآن وحدهما ، ثم يعودان وحدهما ، ثم يهلك أحدهما ثم يتبعه الآخر .. جيل ذاهب وجيل قادم .. صح يا عم رشيد .

هتف رشيد : حكم حكم كلامك يا أستاذ الشباب .. صحيح كان البيت مليئا بالضجيج والصوت .. واليوم وحدنا معنا التلفزيون .. هكذا الدنيا تبدأ وحيدا وترجع وحيدا ..أنت أو هي ونأتي الله فردا .

قال سلمان موجها الكلام لسميح : إذن لا تحزن يا سميح .. واعلم أن ذلك لله .. وكذلك على أمونة أن ترضى بنصيبها .. فالزواج هو السكينة والرحمة .

قال سميح: أنا عرفت السيدة أمونة منذ عملت في شارع الخياطين .. عرفتها أختا فاضلة شريفة محافظة.. لا تبرج وليست سافرة .. وكل العاملات عندها نساء .. ولما بدأت أعرف أن أم سعاد مشرفة على الموت بسبب المرض القاتل ، وقع في قلبي التفكير فيها كزوجة .. الرجل لا يستغني عن امرأة في بيته



مضى على زواجهما شهران عندما قبلت البلدية للعاصمة بيت السلام إنهاء خدمات سميح عبد السميع ، وتوقف عن خدمة الشارع ونظافته لعامل جديد أو موظف بلدية جديد .. وقد يستغرق سميح شهرين أو ثلاثة ، وهو يجري معاملات الانفصال ؛ ليتحصل على راتب شهري من دائرة التقاعد الوطنية للمدنيين أو صندوق التقاعد المدني للموظفين .

وكانت السيدة أمونة قد رتبت أمور الشراكة بينها وبين مساعدتها أحلام التي شاركتها في نصف رأس مال المشغل ، ويخصص لها راتب شهري مقابل الإدارة والعمل كسائر العاملات ،

وستأخذ أمونة نصف الأرباح ، ولما وقعن عقد الشراكة عند أحد المحامين في وسط المدينة ، توقفت عن الذهاب للعمل إلا في زيارات اجتماعية ومتابعة العمل بشكل سريع وخاطف أو إذا احتاجتها أحلام لأمر ضروري لعطاء أو مشاورة .

مضت الشهور الأربعة على زواجهما ولم يحصل لها أي حمل رغم أن الطمث لم ينقطع عنها ، فنشبت غريزة الأمومة في قلبها وصدرها ، فترجت سميحا أن يقوم هو وإياها بالفحوصات اللازمة عند أهل الاختصاص ، فبعد تردد بسيط قبل سميح ، ومن أجل دوام زواجهما وسعادتهما ؛ فهو يعلم سن أمونة المتأخر .. فأمونة تقترب كثيرا من سن اليأس وانقطاع الطمث قاموا بتلك الاختبارات الطبية ، وتبين لهم أنه من الصعب حمل أمونة لضمور كبير في الرحم ؛ ولكن الطبيبة الأخصائية قالت: إن الأمل موجود .. وتحتاج لوقت وخضوع لعلاج مستمر ، والرجل رغم تجاوزه للخمسين سنة فلديه نطف قد تؤدي للإخصاب بمزيد من العلاج .

ذات ليلة لما عاد سميح من المقهى ـ فالرجل بعد صلاة العشاء في جامع الحي ينقلب للبيت ، لا يحب السهر ككثير من رواد المقهى ـ فبعد العشاء قال : لقد استلف مني حسونة مائة دينار بعد زواجنا ، وحصولي على مبلغ الألف دينار من أهل شارع الخياطين ، قد سمع بها ، واستلف مني فاستحييت أن اكسفه فداينته منها .. ولليوم لم يسدها أو شيء منها .. وقبل أيام التقيته في المقهى وطلبتها منه ، وذكرته بها ، فأنكر ذلك ، وزعم أنني وهبتها له .. ما العمل؟

تابعت صمتها بضع دقائق ، ثم قالت بشرود : استغل طيبتك .. حسونة رجل فاسد .. أقول هذا مع أنه شقيقي ، ولا يمشي إلا مع الفاسدين ..كان عليك مشاورتي قبل التعامل معه في المال لكنك طيب سمح .. وتظن أن كل الناس مثلك يحسنون الظن بجميع الناس .. السوق علمني يا أبا سعاد .. خدعت من بعض الناس من التجار من العاملات .. هل تظن أنه أنفقها على الطيبات ؟ لا ، أنفقها على الخمر والحشيش .. فهو يحشش وامرأته مثله ، وحتى ابنهم الوحيد حلمي حشاش مثلهم .. وحتى أبي أو زوجه لا تعطي أحدا منهم قرشا واحدا قبل عرض الأمر عليّ .. أنا سأعطيك المائة دينار، ولا تقل لحسونة أو غيره أنها وصلتك .. هم تعودوا على

الاقتراض مني ، ثم ينسون السداد .. وأنا كنت أغرش عن ذلك باسم الرحم والأخوة .. وتنهدت متابعة : وأتخلص ببعض الدين من أحدهم عدة شهور قبل أن يعيد الكرة .. عليّ التخلص من دواوينهم .. فهو ما دام يعلم أنه لم يسددها لن يطلب منك قبل زمن .. أما إذا عرف أنك لا تريدها فسيكرر الطلب في أقرب زمن .

فقال سميح : هو شغيل على جرافة .. فأرى أنه يحصل دخلا جيدا ..ولا يدفع إيجار بيت .. وابن واحد يعمل .

ـ راتبه لو صرف في موضعه يكفيه ، ويدخر جزءا منه ؛ لكنه تعلق بالخمر والمخدرات .

قال سميح في حيرة : لا أدري كيف يقتل الإنسان نفسه وصحته ؟! قلنا الدخان ضرره أخف من الخمر والحشيش .. حلمي يشتغل مثله

ـ أجل ، يعملان كليهما في شركة حفريات .. يعملان على آليات ثقيلة الحفارات الجرافات ويحصلان دخلا جيدا ؛ ولكنه تعلق كأبيه وأمه بالمنكرات ومصاحبة بنات الهوى .. وهو هذه الأيام يسكن في بيت جدته لأمه .. عندها غرفة زيادة .. فترك بيت أبيه للعيش فيها .. وسمعت من فترة أنه سيطرد منها .. لقد قبض عليه أحد أخواله ومعه فتاة فيها .. وتمت لملمة الموضوع وتعهد لهم بعدم تكرار عمله .. وأنه سيمارس فحشه في حانات المدينة .

– ولماذا لا يسكن مع أبيه ؟!

– حدثت بينهم قبل زواجنا مشاجرة كبيرة كادت أن تؤدي لطلاق أمه وتدخل أخواله وأخذوه عندهم .

– هو لماذا لم يتزوج بدل الفجور والذنوب؟!

– لا يريد الزواج والحلال .. ولا يريد الارتباط بأنثى وأسرة ..ولا يريد أولادا ؛ ليتعسوا في الدنيا

قال بإنكار : سخف! يخرج الحي من الميت والميت من الحي .. لقد رأينا آباء فاسدين ، وأبناؤهم صالحون وعلماء وأدباء .. على كل علاقتي بشقيقك باردة وسيئة .. يسخر مني ومن عملي في البلدية .. يقول أمام أهل المقهى: كيف قبلت أن تعمل زبالا كناسا لزبالة وأوساخ الناس ؟ ..

مهنة حقيرة أنت رجل وسيم تستحق أن تكون وزيرا ..أرأيت السخرية وقلة الأدب ؟!

- على كل حال أنا أعيش بينهم ؛ كأنني لست منهم ـ إذا شاء الله ـ

وحملت ـ إن شاء الله ـ سنرحل من هذا الحي .. إما أن اشتري بيتا أو قطعة أرض نشيد عليها بيتا .. بيت العمر ..ونبتعد عن هذه العائلة



الرحيل عن أبو خروف

كان سميح يتعرض لمضايقات وسخريات من حسونة منذ تزوج أمونة ، وكانت في أول الأمر قليلة وتبدو مداعبة ، فكان يهزئ به في المقهى في الشارع ، أينما التقيا يسمع منه الكلام الساخر وهذا دفعه للشكوى لزوجته ، ثم بدأ يحدثها عن نفوره من البقاء في أبو خروف ، وكانت تتكرر شكواه من حسونة ، فتحدثت أمونة مع حسونة ، ويعدها بالكف عن المزح معه ، ثم لا يفي بالوعد ، ويزعم لها أنه ينسى ، أو اعتاد على هذا المزح ، ورغم كثرة تحذيراتها ظل الحال على ما هو حتى أن سميحا صار يغادر المقهى فورا عندما يدخل حسونة ، إما أن يعود للبيت ، أو يمكث في المسجد في انتظار الصلاة ، ذهبت تشتكي لوالدها وتكررت الشكوى ، فشكت له غاضبة سخرية ابنه من زوجها ومناداته أمام الناس بالزبال ، والسخرية من مهنته بكلام جارح ومحرج ، وكيف صبر عشرين سنة يكنس الطرق والزبالة ؟ ويبتعد عنه بحركة ساخرة خشية العدوى أرجوك ابعد عنا حتى لا تعدينا.. فقال الأب: والله تحدثت معه أكثر من مرة ، وقلت له عيب هذا الكلام ، الرجل صهرنا زوج أختك ، يزعم أن ذلك مزح فماذا أفعل له يا أمونة ؟

قالت بضيق من سلبية الجواب : هذا هو جوابك

- قولي لي ماذا أفعل ؟

- حسنا ، والسلام عليكم

وصعدت لشقتها غاضبة ناقمة ، فلما رآها سميح أدرك فشلها من غضبها فقال: ماذا فعلت؟!

- تحدثت مع أبي العاجز عن فعل شيء .. سنرحل يا سميح .. سأتكلم مع خالي بكر ليستأجر لنا بيتا قريبا من بيته .

- بيتي موجود

- فليبق بيتك مؤجرا .. أنا لديّ ثروة كبيرة يا سميح .. أنت قرة عيني وحياتي لنتمتع بها .. أنا عاجز عن شكرك واختيارك لي زوجة بعدما نسيت هذا الأمر .. سأشتري بيتا وأهديك إياه .. فأنت تستحق مني كل محبة وتقدير .. لقد جعلتني أن أعود أنثى كسائر النساء .. أنت حياتي

كلها .

اعترض الرجل على كتابة البيت باسمه ، فأصرت قائلة : هو هدية مني .. وهذه الأموال أتريد أن اتركها لحسونة ليسكر بها ويحشش .. ولأبي الذي لم ينصفني منذ ماتت أمي.

- والدك مسكين كما ظهر لي

ـ والدي المسكين ليلة عرضت عليه أمر زواجي منك رفض وبشدة .. لا يريد لي الزواج والعيش كسائر النساء .. لولا امرأته أم شحام وقفت معي تلك الليلة لأصر على الرفض .. ولم يعبر وجود خالي بكر تلك الليلة.. أنا أعلم أنك إنسان طيب يا سميح ..لا تحب عداوة أحد ، ولا تحب التفكير العميق والأمور المعقدة .. وأنا مع احترامي الكامل لك خبرت الحياة والإدارة والشراء والبيع .. عليّ أن أتصرف بسرية تامة .. حبيبي لا تتكلم أمام أبي عن الرحيل .. وبعدما نرحل إلى بيتنا الجديد ، ونستقر فيه ، سننشر الخبر وسأحول هذه إلى شقة مفروشة للإيجار .. تذكرت الآن فأنا لي معرفة لمكتب عقارات لتأجير وبيع الشقق .

فقال الرجل مستسلما : أنا أقدر ذكاءك وقدراتك الإدارية والتجارية ، وأعلم طيبتك وإحسانك على الفقراء والضعفاء .. سامحيني يا أمونة من كثرة شكواي .. أنا من جيل والده .. فليس المزح جائزا في كل حين ومع كل أحد

قالت آسفة : لا تعتذر ، أخي سيء .. وأنا أتصدق عليه من الحين للآخر ، كما أتصدق على الغرباء .. فالصدقة على الأرحام لها أجران يا سميح .. وبعد رحيلنا سأكف عن الصدقة عليه

- أنا آسف يا حبيبتي .

- لا تأسف ، أنت من حقك أن تعيش كريما محفوظ القيمة .. إنه لا يعرف هذه المعاني .. وهذه القيم .. قبل أيام حبس ابنه في قضية اعتداء على قاصر .

- وا!!

- نعم ، وربما يعود للحياة مع أمه وأبيه هنا .. فقد ضاق أخواله وجدته به ذرعا من فساده وانحرافه .. أنا كنت أحب البقاء هنا ؛ لأن الشقة تعبت في تشييدها .. فهي حقي ومن أجل

والدي الكبير .. وهو الذي يربطني بهذا الحي.. وإلا أنا أكثر وقتي في المدينة بين العاملات والشغل ما كنت أظن يا حبيبي أنني سأتزوج في يوم من الأيام .. إنما أعيش وأكل وأشرب ؛ لكنك جعلت للحياة عندي معنى رائعا لا يمكن نسيانه

– آه ! كم أتمنى أن يهبك الله ولدا تقر به عينك

– هذا أمره إلى الله .. أنت اليوم كل شيء لي في هذه الدنيا .. أنت أمي وأبي وابني وابنتي .. أنا أتابع العلاج ، وأعرف أن نتائجه ضعيفة ، ولست مهتمة به كثيرا .. سلمت أمري لله .. أنت كل شيء لي في هذه الدنيا .. من يسيء إليك يسيء إليّ .. لا أحتمل دموعك يا حبيبي أرجوك لا تبكي.

كان قد أخذ بالبكاء فقال : إنها دموع العرفان .. إني عاجز عن شكرك والثناء على عطفك

– لا أنسى أبدا أنك جعلتني امرأة حقيقية كسائر النساء .. العنوسة صورة من العذاب النفسي يا سيدي الطيب .. هل تعلم أن صاحبتي أحلام وشريكتي قد تتزوج قريبا؟

– حقاً!

– نعم ، وجدت أو وجدها ابن الحلال .. رجل من أقاربها .. وكان ذلك عن طريق أقارب لها كان يفكر بالزواج على امرأته ، فذكروها له فترك الأمر لها فوافقت .. وكما أخبرتني منذ ساعات الأمور تجري على أحسن ما يرام .. والرجل لا يمانع من استمرارها في عملها في مشغلنا هذا من بركات الدعاء.

– نعم ، هذا شأن الله تعالى .. كل يوم هو في شأن

– أنت طيب للغاية يا سميح .. فعرضك عرضي يا سيدي .. وأنا أعرفك من عقد وأزود



خيار البناء يحتاج لوقت كما ظهر لأمونة ، وقت لشراء قطعة الأرض ، مخططات البناء ، البناء نفسه ، فرجحت أن تشتري بيتا جاهزا أو شقة في عمارة ، وعرض عليها المكتب العقاري شراء

عمارة من طابقين بثمن زهيد ، فذهبت وسميح لمشاهدة ومعاينة البناية ، وعلمت أن سبب بيعها هجرة أصحابها إلى أمريكا الشمالية ، والعمارة قديمة بنيت في مطلع الأربعينات ، وهي من الحجر القديم البارز ؛ ولكنها في حي كان قديما مهوى الأغنياء وعلية القوم ، وذلك قبل ظهور الأحياء الراقية الجديدة والحديثة ، وكان يحيط بالمنزل حديقة ، وهي مهجورة منذ عهد ، تحتاج لبعض الصيانة ، ويوجد فيها أشجار زينة عالية كالصنوبر ، والكينيا ، والجوز البري ، ولما قابلت وكيل المالك وعدها بخصم مبلغ معين إذا تم البيع ، ووجدت أن بإمكانها تأجير الطابق الثاني بعد عمل مدخل جديد له ، ووعدها صاحب المكتب العقاري بالمساعدة على الفصل الكامل بين الطابقين وأي صيانة أخرى ، فقد أدخل المالك على البناء التدفئة المركزية قبل سفره بسنوات وابتاعتها بخمسة عشر ألف دينار شاملة تكاليف نقل الملكية ، وسجلت باسم سميح الذي عاود الرفض ؛ ولكنها أصرت على أن تكتب باسمه وحده قائلة : حتى لو طلقتني بعد كتابة البيت باسمك ورميتني في الشارع سيكتب باسمك .فبكى الرجل حتى بل لحيته ، واستعاذ بربه من فتنة الدنيا .

أشرف أحد مكاتب الصيانة والترميم على إعادة تأهيل الفيلا ، فهي مهجورة منذ ثلاث سنوات منذ رحل صاحبها ، وكان مصرا على بيعها ويرفض تأجيرها ، نظفت الحديقة من أوراق الشجر المتراكم خلال هذا السنين ، وأعيد تأهيل أسلاك التيار الكهربائي ، ومواسير المياه ، وأنابيب التدفئة المركزية ، والمضخة وفرن التدفئة ، والمغاسل والحنفيات والحمامات وأعمال الطراشة والدهان وتنظيف الشبابيك والأبواب ، وظل فصل الطابق الأول عن الثاني وهذا سيشرف عليه ابن خالها بكر المهندس محمد .

ولما انتهت أعمال الصيانة وتأهيل الطابق الأرضي للحياة فيه ، قامت أمونة بتأثيثه بعفش جديد وكانت الأمور تجري بسرية تامة عن أبيها وأخوتها ، ولما جهزته دعت خالها لزيارتها ، فجاءها تصحبه زوجته وابنه المهندس محمد وأهله ، ووعدها الشاب بفصل الطابقين لتتمكن من تأجيره

وباركوا لهم ، وتمنوا لهما السعادة ، وأن المال قل أو كثر سيبقى في الدنيا ، ولن يصحب صاحبه إلى قبره .

واختفت أمونة من أبو خروف نهائيا ، فهي قد زعمت لهم ـ الفترة الماضية ـ أنها عادت تدير المشغل لزواج شريكتها ، وكان سميح يلحق بها إلى الفيلا الجديدة يتابعان الأعمال ، ويقدمان الطعام للعمال ، ولما لم تظهر أمونة ولا زوجها من بضعة أيام قالت أم شحام لزوجها: لي أيام لم أسمع حس أمونة ولا سميح .

قال الرجل: أمونة في بيتها لي أيام لم أقابلها ، سمعت أنها عادت لإدارة المشغل .. طرقت الباب عليهم أمس ولم يرد عليّ أحد .. ربما ذهبت عند ابنة زوجها سمعت والدها يقول : إن سعاد على وشك الولادة .. ولما لم يرد أحد والباب مغلق ، ردت عليّ امرأة حسونة قائلة: إنهم ذهبوا في رحلة خارج البلد .

– رحلة ! ذهبوا في رحلة ، فلهم ثلاثة أيام لم نحس بهم ، أرسلت ابن سالمة يطرق بابهم ـ كانت سالمة ترغب بالسلام على أختها ـ فعاد يقول : لا أحد يرد ، وكنت أريد بعض القهوة من عندها فأعطته امرأة حسونة

صاح محتجا : القهوة انتهت من عندنا .. أنت تسرفين بشرب القهوة .. رطل القهوة لا يكمل الشهر عندنا .

– أنت شريكي فيه .. البنات في الشهر حتى تطل إحداهن .. وشحام كل عشرة أيام يأتي ليسهر معنا ، ويشرب فنجان القهوة .. أنا وأنت

– أنا اشرب الصبح فقط ..وطول النهار إما عند سميح وأمونة أو في المقهى .

صاحت سليمة بانفعال : كذاب .. أنت تشرب هناك الماء والشاي واليانسون .. أين ذهب جيراننا ؟

– من آخر مرة اشتكت أمونة اللعين حسونة ، وقد تغيرت أخلاقها معي .. وبعدها بأيام عادت للشغل .. وسميح يجلس بعض الوقت في مقهى مهران .. ثم ينزل للمدينة تغير .. لم يعد يطيب

له الجلوس بعد الظهر في المقهى .. يجلس صباحا كما قال الحاج مهران ، ويصلي الظهر ، ثم يغادر إلى مركز البلد .. وأنا مكسوف منه حتى أني علمت أن حسونة استلف منه مائة دينار.. وله سنة لم يسددها .. لو يسد منها ولو شيئا يسيرا وأمونة صدقي أنني لا أدري .

جاء آخر الشهر ، ولم يظهر الزوجان ، رغم التحري والتعسس لم يصل رشيد لشيء ، جاء بكر لبيت رشيد فلم يجده في البيت ، فمشى إلى المقهى ، وهناك أعطاه الستين دينارا ، وأعلمه برحيل أمونة وزوجها من مضايقات حسونة وامرأته ، وأنها اشترت بيتا ، وأنها سوف تؤجر الشقة عن طريق مكتب عقاري . وقال: ولماذا رحلت ؟!

قص على مسامعه إساءات حسونة المتكررة لزوجها والاستهزاء به أمام الناس ، وفي المقهى والشارع ، ونصب عليه بمائة دينار ، ومشاكله المستمرة في بيته مع عائلته والكفر والسب لله .. أسباب تجمعت فكان الرحيل والبعد الحل الأمثل .

- هذه أفعالك يا بكر

- أبدا يا سيد رشيد .. أمونة سيدة سوق ومديرة عمل نشط ، لا تحتاج لمشورة مني ، أم أنت لا تعترف بقدرات النساء لليوم .. صدق لما سكنت دعتني أنظر البيت ؛ لأن ابني المهندس محمد سوف يعمل لها شغلا ، فهي تعرف التعامل مع المكاتب العقارية .. هي ابنة المدينة والسوق .. ولما شكت لك حسونة آخر مرة قلت لها : ماذا افعل؟.. فهي فعلت .. وأنا كل نهاية شهر سأمر عليك ، وأنقل لك المبلغ .

- أنت !! .. ذلتني ابنتي .. كان عليّ أن أرفض زواجها من هذا الزبال

- أنت الآن حسونة

- اغرب عن وجهي .. ولا أريد الستين دينارا التي جئت بها .. سأتبرأ منها.

ضحك بكر وقال : لماذا؟! ..حسنا سأترك المبلغ عند مهران صاحب المقهى

- لا ، لا أريد شيئا منها .

شقة أمونة

رجع رشيد للبيت ناقما غاضبا على ابنته وبعلها سميح وكل الناس ، حتى أن الحاج سلمان لما سمع صياحه في القهوة سعى لفهم الموضوع ، فقال له بحدة : أرجوك يا حاج سلمان أن تتركني وشأني . فتركه وشأنه ، وعاد حيث كان جالسا مع شلته التي تعرفنا عليها في أول حكايات أبو خروف وتبعه بكر ، وشرح له القصة .

فقال السيد: نعم ما فعلت ! كان ابنه حسونة سيئا معه ، جعله أضحوكة الناس ، يسخر منه في الشارع في المقهى ، وهو زوج أخته وصهره ، ورجل من جيل أبيه بينهما بضع سنين ، حتى أنني نصحته فلم ينتصح .. والسيد سميح طيب وبشوش .

- أعرف كل ذلك يا حاج .

وغادر المقهى ، وكان رشيد قد سبقه بالخروج للبيت ساخطا ، ولما وصل قال بصوت عال هادرا : أرأيت الرجل الطيب والبنت ماذا فعلوا؟! اشترت بيتا ورحلت إليه سرا .. وبعثت المال مع اللص بكر

هزت المرأة البدينة رأسها وأطفأت السيجارة وسعلت وقالت: الراتب

- أرسلته مع بكر

- هذا المهم يا قليل الشغل .. ابنك حسونة السبب .. ولما تشكوه تقول لها ماذا أفعل؟ وأنا أقول ماذا ستفعل الآن؟! .. والشقة

رمى نفسه على كنبة صغيرة في مدخل البيت وقال: ستؤجرها شقة مفروشة

- بنت فهمانة جدا .. سيسكن في عمارتنا جيران جدد .. أين تسكن ؟

- اشترت بيتا في أحد أحياء المدينة .. لم يقل بكر أين أو اسمه؟.. إنما كلفته بإيصال المال لي .. وسيفعل ذلك كل شهر .. فرفضت .. فقال اللص سيضعها عند مهران .

- معلم المقهى

- نعم

فصاحت فجأة : يا جماعة لماذا لا تتركون البنت تعيش حياتها ؟! فهي طول عمرها وحيدة ابنك حسونة سيء .. قلت له مرة صدفته وأنا أقف على باب الدار : عيب يا حسونة أن تستهزئ من زوج أختك الشريف السمح .. فقال بعجرفة : يا امرأة أبي لا شأن لك بي ، وأنا أحب أن أمزح معه ، أنا لا أدري كيف قبلته أمونة ؟ هذا رجل كالنساء.. لأنه شريف يصلي ولا يسكر مثله .. هذا كلام ابنك الساقط في نسيبه .

وبينما هي قد أنهت كلامها طرق الباب ، فقام رشيد لفتحه فكان حسونة ، فقال بغضب خفيف: ادخل يا لعين .. ها أنت هججت أختك وزوجها .. هربت من أفعالك الدنية!

ـ اخبروني بذلك في المقهى .. مررت أستريح دقائق .. إلى أين هربت الملعونة ؟

– اشترت بيتا ، ورحلت إليه .. ولم يقل لي خالك اللص أين هو ؟

– سأعرفه !

فقالت أم شحام متهكمة: وإذا عرفته ماذا ستفعل ؟.. وهي هنا .. لم تكن تسمح لك بدخول شقتها .. وأكيد أنها ستقف عن دفع المعونة لك .

حرك رأسه بكره وقال : هذا ما كان يخطط له القط المسكين سميح عبد السميع القط الغادر.

أعجب الشيخ بهذا الوصف والقذف .. وامرأة أبيه تضحك من حنقه وتسخر ، فقالت : فعلت عين الصواب .. الباب الذي يأتي منه الريح سده واستريح .

– أي ريح ؟ أخشى أن تكوني أنت التي شجعتيها على الهرب والرحيل ؛ لتأجري الشقة لك ، ولهذا الرجل . وأشار بإصبعه لأبيه

قهقهت لتغيظه : أختك ذكية وابنة سوق .. واعلم أنها تعرض شقتها ؛ لتؤجر شقة مفروشة .

صاح هائجا: تحلم ! لن أسمح لأحد غريب بالحياة معنا ..سأزوج فيها حلميا

وفيما حسونة ينهي كلامه الغاضب ، طرق الباب ودفع فدخل شحام تتبعه زوجته ، فألقى السلام وقال: ماذا هنا؟! إنكم مجتمعون.

قصت الأم القصة عليه قبل أن يجلس ، فالتفت لحسونة قائلا: سأعود للحياة هنا .. أنا متزوج

وأدفع إيجارا .. أين أمونة الآن؟

- خالها بكر يعرف ذلك

- سأزوره ، وأتحدث معه وأنا منصرف عنكم .. سأمر عليه ـ إن شاء الله ـ .. آ .. ماذا قلت يا حسونة؟

قال بصوت عادي : أمونة يا شحام أختي الشقيقة

- وأنا أخوها .. أبوها أبي.. فليبق ابنك الفاجر عند أخواله أحسن لك أم اشتقت لضربه لك دون حياء وخجل وتهديدك بالقتل .

غادر حسونة البيت فورا لبيته فوجد زوجته تدخل فقال: أين؟

قالت: نزلت أرى ما الذي يجري في الدنيا ؟ .. كنت افتح شباك غرفة النوم ، فسمعت صوتك يلعلع تحت .

صاح فيها : هيا نخرج شحام سوف يستولي على بيت أمونة بعد أن ثبت رحيل أمونة ، ولم تكن في رحلة عسل ولا بصل ولا علاج .

فقالت وهي تتطلع في حماها: ماذا ستفعل معها يا عم رشيد ؟

ضحك رشيد وقال مجيبا: أفعل معها ! ماذا سأفعل معها ؟! هي حرة يا بنتي .. وشحام سيستولي على الدار أحسن من الغريب

فقالت أم شحام: أخشى إن استولينا على الدار أن تقف عن دفع الستين

قال شحام: أنا أدفع ما فيه النصيب .. أنا زهقت من الإيجارات

ابتسمت أمه وقالت : لك سنة ونصف يا ولدي تدفع إيجارات

- الإيجار حتى لو كان بسيطا ؛ فإنه يكسر الظهر يا أم شحام

تابع حسونة صعوده إلى شقته ، وقالت زوجته لهم: مع ألف قلعة .. إن شاء الله لن ترجع البيت

فردت عليها أم شحام: انصرفي يا بنت الشيطان أمونة أحسن منك ألف مرة .

- لأنها تدفع لكم ثمن الشاي والقهوة والسكر والدخان .. أنت تحششين وزوجك يحشش

فقال شحام بصوت عال: ولماذا الغلط يا بنت الناس ؟! الزمي حدودك ، والحقي بزوجك اللعين فأخذت تشتمه مما دفعه لأن يغضب ويصفعها كفا على وجهها طرحها أرضا تصيح وتولول ، فرجع حسونة يحمل سكينا ويقول : مجرم .. تضرب امرأة

فقال شحام غضبا: امرأة غير مربية .. لا تحترم عما ولا زوجا ولا امرأة .. وهذه المرة الثانية أراك تحمل سكينة عليّ

- سأقتلك بها

- أنت جبان !

اقترب شحام المنفعل منه وقبل أن يطعن بها قبض شحام على يده وضغط عليها بقوة ، فوقعت السكين على الأرض مع صرخة حادة من حسونة ، وضربه عدة ضربات ولكمات ، وهو يصرخ فيه هائجا ، والنساء تصرخ أيضاً وقال: مع أنك أخي الكبير لو مرة أخرى رفعت عليّ سكينا أو غلطت أنت وامرأتك العاهرة عليّ ، أو على أمي سأمسحكم من الوجود . ورفسه بقدمه

فقال حسونة: سيموت أحدنا .. أرأيت تطاول ابنك على أخيه الكبير؟

فقال رشيد : أنت غلطان يا حسونة تحمل سكينا على أخيك

- العجوز يصطف مع ابنه الصغير ..سأرحل عن الحي أنا أيضاً

فصاح والده غضبا: مع ألف قلعة .. ذرية فاسدة وشريرة .

صعد حسونة وزوجه إلى الشقة بواسطة المارة الذين اجتمعوا وفزعوا على صوت النساء ، وأغلق رشيد الباب على أسرته ، وقال لشحام : أنت غلطت بحق أخيك أيضاً .. هل أحد يهين أخاه الكبير أمام امرأته ؟ .. أنتم أخوة

قال شحام رادا وبصوت مرتفع : اسمع يا أبي إذا أنت تتحمل إهانات ؛ فأنا لا أتحملها .. ولو منك .. أرجوك أن تكف عن اللوم .. فحسونة أنا من دهر كنت أنوي تربيته من جديد .. لا احترام عنده لأمي المسكينة .. وزوجته أنت أعرف الناس بوقاحتها وفسادها

- يا الهي! ماذا أفعل لكم ؟! أمونة وراء كل المشاكل .. أهلكها الله

قالت زوجه : ابنتك مظلومة .. لا دخل لها في مشاكلنا .. طول عمرها وهي في حالها وبالها .. تخرج للعمل من الصباح حتى الليل .. وأيام العطل تمضيها عند صاحباتها أو عند أخوالها وخالتها أو في بيتها مغلقة الباب على نفسها .. لا أذكر مرة أننا دعوناها للعشاء معنا أو الغداء كنا نتجاهل مثل هذا الأمر .. فلماذا اليوم تهتم بها ونتدخل في حياتها ؟!.. دعوها يا عالم تعيش وتفرح وتحس أنها أنثى مثل سائر البشر

لما شرب شايه غادر شحام وزوجه وابنه الصغير البيت ، تاركا والده يبكي ويولول وينتف ما تبقى من شعر رأسه ، فركب سيارته منطلقا إلى بيت خال أمونة السيد بكر ، فاستقبله الرجل مرحباً بهم ، ولما فهم الموضوع قال : حسنا .

اتصل بابنة أخته المتوفاة بواسطة الهاتف ، وحدثها عن رغبة شحام بالعيش في شقتها في أبو خروف ، ولا داعي لإدخال غريب آخر في العمارة ، وأخذ التلفون من بكر ، وبارك لها بيتها الجديد ، وذكر لها رغبته بالعودة للحياة مع الأسرة وبقربهم ، وأن بإمكانه الحياة في شقة أمه وأبيه كما كان في أول زواجه ، وبما أن شقتها ستفرغ فالأفضل أن يعيش فيها كمستأجر ، وذكر لها رغبة حسونة بتزويج ابنه الفاسد فيها ، وأنه سيحولها لبيت دعارة ، وبعد أخد ورد قبلت له العيش فيها على أن تبيع عفشها كله ، كغرفة النوم وغرفة الجلوس ، ويتنقل بعضه إلى بيتها الجديد ، وتتخلص من الثلاجة المبرد والغسالة .

فقال : قال انقلي ما تشائين .. لديّ عفشي .. وحدثها عن زعل أبيه عليها ومنها .

فقالت له مهونة من الأمر: لا تهتم .. أبي لو كان يزعل بحق .. لتحدث مع ابنه الحشاش بقوة ؛ بل ظل صامتا يقول : ماذا أفعل؟ ماذا أفعل ؟ يستطيع أن يفعل الكثير .. أنت أولى بالسكن فيها من ابنه الضال .. فهو محبوس كما أعلم على قضية اعتداء على قاصر ، وطلبت الحديث مع خالها وشرحت له الموقف ، وأنها ستمر عليه لتعطيه المفاتيح ، وطلبت منه أن يبيع الأثاث أو حتى يتصدق به على من يستحق من الفقراء .

وحصل الرجل على شقة أمونة ، وقبل أن ينصرف بعد قضاء حاجته ، على أمل العودة لأخذ

المفاتيح ، فقال له بكر :لا داعي لمجيئك ، عندما أنقل أثاث البنت .. سأترك المفاتيح عند أمك أو أبيك.. فهي تريد بعضه ..وستبيع البعض الآخر .. بس عليك أن تحافظ على الشقة .. وتذكر أنها لأختك .

– أفهم ذلك ، ربما لا أرتاح للحياة معهم ، سأعود للرحيل يا خال .. بارك الله فيك

ولما ابتعدوا عن البيت قالت زوجته: لماذا تريد العودة للحياة بجوارهم بجوار حسونة؟! وأنت تعرف شر حسونة ، وفضلت ترك بيت والديك عند زواجنا هربا من حسونة وابنه وزوجه

ـ إذا لم أسكن أنا فيها ـ يا ست الحسن ـ سيستولي عليها حسونة ، ويعطيها لابنه الفاسد .. وستصبح دار دعارة وفجور كما فعل بدار جدته .. ابنه لن يتزوج ، ولن يتحمل مسؤولية .. تعود على الفساد .. ليس فقط السكر والعربدة .. فهو يمارس الفجور والزنا مع بغايا البلد وبنات الهوى .. وهذا ليس جديدا ..أبو خروف كغيره من الأحياء لا يخلو من الفسق .. والإنسان إذا فجر مرة واحدة استهواه الأمر وكرره حتى يفتضح .. فهل يعقل أن نسمح لبيت أبي الغلبان وبيت أمونة العفيفة أن يكون بيت فسق وهوى ؟.. أمه فاسدة ، وهي في نظري سبب فساده وحقده على الناس ، لم تكن شريفة عفيفة .. أمه لا تهتم ولا تكترث .. لقد وقع منها ذلك بعد زواجها ، لم تستمر في هذا الضياع خاصة في البيت .. خاصة لما اعترض أبي أحد الرجال داخلا إليها .. وزعمت يومها أنه قريب .. وكاد حسونة يطلقها .. لولا تدخل أهلها وهم أصدقاؤه قبل الزواج وبعده ..لم تعد تستقبل أحدا في بيتها إلا إذا وجد حسونة فيه .. أما في الخارج .. الله اعلم .. فحسونة كما ذكرت لك سابقا تزوجها عن حب وغرام .. كان يتردد على بيت أهلها مع أحد أخوتها ، فهويها وصار بينهم ما صار .. وشقيقها حشاش مثله ، ويعمل معه في شركة الحفريات .. ولما عرف أبي القصة زوجه إياها على مضض .. فهي جاءت من بيتها فاسدة .. ونشأ ابنهما على فسادهما وعلى شاكلتهما .. حلمي يزعم بفجوره أنه ينتقم لشرف أمه المهدور .. هكذا قال لي مرة وأنا أنبهه وأنصحه ؛ فإذا عاش هنا في شقة وحده فماذا ستكون العمارة ؟ ستكون مقرا لبنات الليل والهوى كما يفعل في غرفة جدته أم أمه .. ونحن في زمن فساد

وإباحية لا مثيل لها في التاريخ .. خاصة المدن الكبيرة وحتى الصغيرة .. دعاة الانحلال والشهوات يكثرون بالمجلات والأفلام المهربة كما يزعمون ؛ فلذلك تكثر بائعات اللذة .. ينتشرن في الأحياء والشوارع

- وأهل الخير يزيدون .

قال باسما : لا أنكر ذلك ؛ لكن أرى أن الفساد يبرز أكثر ويكبر وينتشر بسرعة .. انظري إلى بنات اليوم يلبسن البنطال .. ويلاحقن الموضة يلبسن التنورة القصيرة فوق الركبة والشعر المكشوف والتبرج والسفور يملأ الشوارع .. فقد كثرت صالونات التجميل ، وكثر الإقبال عليها ، وتوسعت محلات بيع الملابس والموديلات الغربية .. فبنات المدارس لم يعدن يغطين رؤوسهنّ إلا من رحم ربي .. فالمشهد لا يبشر بخير .. لم يعد الناس يكترثون لمشي بناتهم متبرجات بالبنطالونات في الشوارع .. أذكر وأنا طفل أن هذا كان نادرا أو كان في بدايته وفي بعض الأحياء الراقية .. كشف الشعر اليوم أمر منتشر ولا أحد ينكره ، لا يغطين رؤوسهنّ .. اليوم البنات يدخلنّ السينما والمسرح ، ويتمشين في الشوارع وفي الليل .. كنا نستهجن ذلك قبل سنوات .. تغير الناس .. تغيرنا .. قلّت الغيرة فينا أو اندمجنا في حضارة الغرب

تأجير شقة

باع السيد بكر غرفة نوم أمونة التي تركتها في أبو خروف ، وأهدى الثلاجة ، والغسالة ، والفرن { فرن الغاز } لبعض المحتاجين ، وترك الستائر لشحام وبعض أدوات الطهي والمطبخ ، وأخذت أمونة التحف والأواني ، والكثير من الكاسات ، والصحون الجميلة ، وسلم بكر المفاتيح لأم شحام ، وانتقل الشاب بأسرته وأطفاله الثلاثة للحياة في شقة أمونة ، وهذا الأمر غاظ حسونة وزوجته غيظا شديدا ، فكانا يتحاشيان اللقاء بهما ، أو حتى رد التحية عليهما ، حتى منزل الوالد منذ تلك الليلة التي تعرض فيها للضرب من شحام لم يدخله ، وإنما يحييه بالإشارة ، وانتقل الجفاء إلى المقهى ؛ فإذا علم حسونة أن شحاما في المقهى أو دخله بعده ، انسحب وغادر المكان إما إلى البيت، وإما إلى مقاهي مركز المدينة بيت السلام ، وكان يفكر في معرفة عنوان أمونة ليذهب إليها يطلب منها العودة للشقة أو طرد شحام منها ، وكان يضيق بصوت الأطفال الذين يلعبون أو يتحدثون أمام باب شقتهم وشقته حيث بسطة الدرج ، فيخرج صائحا في وجوههم : ادخلوا خربتكم يا ملاعين .. أزعجتمونا بصراخكم .. أريد أن أستريح من التعب .. اذهبوا للشارع .. لعنة الله عليكم وعلى أهليكم

كانوا ينظرون إليه باسمين أو ضاحكين ، ولا يكترثون لصياحه ، فهم يعرفون سبب هذا الحمق والغضب والقهر ، وبعد أن يتعب من السب واللعن يغلق الباب على نفسه وهو يقول لزوجته: أولاد غير مربيين ، وقد يعود للصياح فيهم ثانية زاعما أنه يزعجونه ، وهم بدورهم ينزلون لبيت جدتهم يشكون لها سلاطة لسان عمهم حسونة ، فتقول : لا تهتموا بصياحه وثورته ؛ إنه مقهور طمع في أخذ الشقة ليزوج ابنه الذي لا يريد أن يتزوج .. خذوا راحتكم ولا تسألوا فيه .. فهو ملعون

حسونة من تلك الليلة التي تعرض فيها للضرب من أخيه شحام لم ينزل لبيت والده ، ووالده رشيد كذلك لم يصعد لشقته ، ولا لشقة شحام بعد رحيله لشقة أمونة ، وكان يتحاشى الحديث معه مظهرا أنه وقف مع ابنه الأصغر وتحيز له ضده ، واضطر حسونة لإخلاء المقهى عندما

يتواجد فيه شحام .. عادة المقهى مكان سماع الأخبار والشائعات وأحوال الناس وقضاياهم .
رفض خاله بكر إعطاءه عنوان سكن أمونة قائلا : أختك تريد الحياة الهادئة ، وأن تعيش بعيدة عنكم ، وعن مشاكلكم الردية .. وأنت بالذات أبعد عنها ؛ لأنك سبب رحيلها .. جعلت من زوجها المحترم أضحوكة لأهل الحي ، بدل أن تفتخر بأنه ستر على أختك بعد سنين وسنين .. جعلته مسخرة للناس والشارع

- كنت أمزح

- المزح له حدود .. مرة .. مرتان ..كيف حال الزبال أو حضرة الزبال سميح أو الزبال أبي الصحفية ؟ أهذا مزح ؟ وأمام السامعين والناظرين .. ها هو أمير الزبالين ما آخر أخبار الزبالة أهذا كله مزح ؟ مع زوج أختك المسكينة التي ما صدقت أن ذكّرها رجل بأنها أنثى مثل سائر النساء .. هناك كمية من الزبالة .. إعلان عن طلب زبال .. أهذا كلام يا ابن بني آدم ؟! هذه أخلاق دنيئة يا ابن أختي ..كله علمته من شيوخ المقهى .. هذا لو كان لديه عزوة أو شباب لمسحوا فيك الأرض ؛ لكنه رجل غلبان محترم ابن ناس .. والرجل أقرضك مائة دينار ، ولم تسده منها شيئا .. ولليوم لم تدفعها له ولو بالتقسيط .

- هو أهداني إياها .. لقد نقطه أصحاب الشارع ألف دينار بمناسبة زواجه .. فأعطى أبي منها وأعطاني

- أعطى أباك خمسين وأنت مائة كيف هذا ؟ يعطى الابن أكثر من الأب

- هذا ما حدث

- أنت استلفتها .. طمعت فيه .. تعهدت له بالسداد ..لو أعطاك إياها هبة ما طالبك بها ، ولا عرف بها الخلق .. أين تنفق راتبك ؟! أما زلت تتعاطى الحشيش يا حسونة ؟ ألم تذكر لي أنك تبت منها ؟.. إنك تعمل على جرافة وتكسب الكثير

- لا كثير ، ولا شيء يا خال .. إني أدخن وأشرب كثيرا من القهوة ، وامرأتي مثلي

- حتى لو دخنت علبتين في اليوم يبقى لديك الكثير

- لا تنسى المشروبات الروحية التي تعلقت بها للأسف .. الوالد رشيد لم يكن ينبهني على خطر هذه الخمور والسجائر ..والمرأة تشرب مثلي

- هذه مشروبات شيطانية تهلك البدن ، لا علاقة لها بالروح .. يا خال .. الله وهبك العقل فضيعته بشرب المسكر والمنكر .. يخطئ الإنسان ؛ لكن مع الوقت يعرف خطأه ويتراجع .. لا يستمر ويصر .. جربت الحشيشة ، لماذا تصبح مدمنا عليها ؟ أنت والد لا تتحجج بأبيك وموت أمك .. رأينا من انحرف ثم عاد وتاب .. رشيد لم يعطك مالا للسكر وتخمر .. أبوك طول عمره معتمدا على أموال أمونة لينفق على بناته وابنه شحام .. فقد ترك الشغل على سيارة الشركة بعد زواج ابنته الكبرى ، واعتمد على أمونة .. وأنت عملت في الشركة على سمعة أبيك وابنك يعمل على سمعة جدك الذي عمل معهم عشرين سنة .. وأعطي مكافأة ومع السلامة .. وهو منذ إنهاء خدمته وهو يعتمد على أمونة الطيبة .. تب إلى الله .. ورويدا رويدا تتخلص من شرب المشروب اللعين وحتى من الدخان والعادات السيئة .

ـ المشروب لا أستطيع تركه .. الحشيش الخلاص منه سهل ، لست مدمنا عليه كما يشاع ، أتعاطاه في المناسبات وفي فترات متباعدة .. أما الخمر

اللعينة فأنا مدمن عليها إلى حد كبير ، كل يوم أشرب منها ، وأجلبها للبيت ؛ لأن المرأة تشرب أيضاً .. تعودنا .. وها هو الولد ورثها عنا ، وزاد عليها الزنا

ضحك بكر للحظات وقال : ولدك مأساة !.. يعتدي على فتيات صغيرات .. هذه الأشياء لا تورث .. التربية سيئة فحسب .. أيشربها والدك ؟

- الآن لا ، ربما شربها أيام العمل في الشركة .. الأغلب يتعاطاها خاصة السواقون .. أبي اليوم يذهب إلى الجامع .

هز بكر رأسه وقال : أبوك كان يشربها فقط في المناسبات خاصة الأعراس .. كان بعضهم يقدمها للأصدقاء المقربين من العريس ليلة الدخلة .. وينسبون لها بطولات وهمية حول المعاشرة الجنسية .. يضيعون العقل ، والجنس يحتاج لعقل ووعي ، وبعد موت أمك تاب منها نهائيا ..

وأنت تب قبل فوات الوقت .. تب إلى الله .. فسمعة ابنك اليوم في الحضيض .. يجالس بنات الهوى

ـ ملعون ومجرم

– قل هداه الله أحسن

كان ابن خال أمونة المهندس محمد يزورها ، وبرفقته طبيب شاب ، فاستقبلهم سميح أمام بوابة العمارة أو قل الطابق الخاص به ، فقد فصل محمد الطابقين عن بعضهما ، فبعد السلام والمصافحة قال محمد: هذا أحمد زميلي طبيب في مستشفى ، يريد أن يرى الشقة كما أخبرتكم على الهاتف

قال سميح: أهلا وسهلا تفضلوا نشرب الشاي أولا

– لا داعي للشاي فزوجته معه

قالت أمونة التي تقف بجانب زوجها : وهي أيضاً اهلا بها .. نتعرف على بعض

قال أحمد باسما : هي تعرفك .. قد خاطت عندك عددا من الثياب قبل أن نتزوج من عهد قريب

انطلقت أمونة نحو السيارة حيث كانت تجلس زوجة الدكتور ، وهي تتابعهم بعينيها ، فلما رأتها الفتاة قادمة إليها فارقت الكرسي ، ونزلت تسلم على أمونة، ولما صافحتها قالت : أهلا مدام أمونة أشهر خياطة في شارع الخياطين .. أنا أعرفك هل تذكرتيني؟

– يا سلام! نعم ، إني أذكرك ، كنت تأتين مع أمك السيدة لطيفة نونات

ابتسمت المرأة وقالت: أجل أنا سهام محسن وأمي لطيفة نونات

– تفضلي أهلا وسهلا .. نشرب الشاي أو القهوة .. لقد تزوجت آخر الزمن ـ وأشارت لسميح ـ وهذا زوجي .. والله أكرمنا بشراء هذا البيت الرائع .. ويسرني مجاورتك

– أتركت المشغل ؟

– مازال المشغل مفتوحا ، أديره عن بعد

ومشيتا نحو الرجال ، ثم دخلوا البيت .. وأمونة وزوجها يرحبون بهم ، ولما جلس الضيوف قالت أمونة : المهندس محمد ابن خالي .. وأنت تزوجت منذ عهد قريب

– من شهور يا مدام أمونة .. كنت في مراجعة في المستشفى .. والتقيت بالدكتور أحمد ثم حصل النصيب

قامت أمونة وأعدت لهم الشاي ، ولما جاءت به ، قالت باسمة: لولا أننا فقط اثنان لاستأجرت خادمة .. البيت واسع .. أهلا وسهلا .

وسكبت لهم أكواب الشاي حسب أذواقهم .. سكر كثير وسكر قليل ، وبعد حديث ترحيب وذكريات ، قال أحمد: أنا عرفت محمدا المهندس من أيام الجامعة أثناء الجمعيات المشتركة للطلاب ، وامتدت الصداقة إلى ما بعد الجامعة ، ثم تعرفت على زوجتي من خلال العمل ، والآن أنا أسكن مع والدي ، وكنت أبحث عن شقة لترك منزل أبي لغيري من الأخوة .. وزوجتي موظفة في وزارة الخارجية ، لقد تخرجت من كلية العلوم السياسية .. فوالدها متقاعد من السلك الدبلوماسي

قال سميح: شرفتم بيتنا ، وحياكم الله

قالت سهام: بارك الله لك في بيتك وزوجتك الكريمة .. وأنا وأمي كنا نتردد على متجر أمونة قبل دخولي الجامعة ، وأحيانا أثناء الجامعة .. فالسيدة معروفة على مستوى المدينة كلها حسب علمي ومهارتها في التفصيل والتطريز معروفة

قال أحمد وقد عاد الحديث إليه : صاحبي المهندس محمد علم برغبتي بترك بيت أبي لإفساح المجال لأخ آخر بالزواج فذكركم لنا

قال سميح : تسرنا صحبتكم وجيرتكم إذا قدر الله ذلك

فقال المهندس وهو ينهض : هيا ننظر الشقة

تحرك الجميع خلف المهندس ، وخرجوا للشارع العام ، ثم دخلوا من بوابة الشقة الثانية ، وصعدوا درجا إلى بابها الرئيسي، وشرح لهم المهندس محمد التغيرات التي حدثت لفصل الطابق الثاني عن الأول ، فتح سميح باب الشقة ، وبدأ التجوال في غرفها ومطبخها وحماماتها ، كانت واسعة ، ولكنها بناء قديم ، وبين لهم المهندس أن صاحبها المهاجر كان يتابع التحديث في

العمران فبدل أنابيب التيار الكهربائي بشبكة حديثة ، وكذلك مواسير المياه ، وبدلت شبابيك الحديد بنوافذ الألمنيوم ، وأدخلت عليها التدفئة المركزية

قالت سهام : رائع وجود التدفئة يا أحمد خاصة شهر يناير وفبراير !

قال المهندس: صاحبها كان يتابع الحداثة الإنشائية ؛ ولكنه هاجر إلى أمريكا ، وعرضها للبيع حتى جاءت من نصيب سميح وأمونة

وتابعوا تجوالهم ، قالت سهام : واسعة يا أحمد تحتاج لعفش كثير .. والحي راق .. وكان له عز قبل عقد من الزمن

قال أحمد: رغم ظهور أحياء راقية جديدة .. ما زال هذا الحي يحتفظ برونقه ومجده

قال المهندس: صدقت.

ولما غادروا الشقة قال أحمد : كم سيكون إيجار هذا القصر الصغير يا ترى؟

قالت أمونة: بما أن السيدة كانت زبونة قديمة ومعرفة كما يقال يكفي أربعون دينارا يا مهندس محمد .. نحن كنا كلفنا المهندس لتأجيرها بخمسين

قال أحمد بدهشة : مبلغ زهيد بحجمها يا سيدة أمونة!.. سنفكر بالأمر .. لا يعيب هذا البيت بالنسبة لنا إلا كبره وسعته .. يا مهندس محمد البيت يحتاج إلى أثاث كثير لملء حجراته .. أمهلونا مهلة قصيرة للتفكير

عصر اليوم التالي أقبلت سهام وشقيقتها رهام لمشاهدة الشقة مرة أخرى ، وشرحت سهام لأمونة قائلة : بعد مغادرتنا أمس تشاورت وأحمد حول سعة الشقة ، والحاجة لأثاث يملأها ، ونحن زوجان وحيدان دون أطفال بعد يا سيدة أمونة .. فاتصلت بشقيقتي رهام وهي مثلي تعمل سكرتيرة في وزارة الخارجية ، وزوجها ضابط أمن ولديهم عدد من الأولاد ، فاقترحت عليها أن ترحل إليها .. وأنا أستأجر مكانها .. فشقتها أصغر لزوجين فقط

فتبسمت أمونة قائلة : أهلا وسهلا .. كلتاكما واحد .

ولما شربن العصير أخذتهنّ أمونة للشقة من جديد ، وبعد معاينتها وإغلاقها ، وقفن أمام بوابتها الخارجية على رصيف الشارع ، قالت السيدة رهام: فعلا واسعة .. فيها زيادة غرفة عن شقتنا التي نعيش فيها، ومطبخها واسع وجديد

قالت أمونة: نعم ، لم يكن فيها مطبخ ، ولما فصلت عن الطابق الأرضي حولت حجرة لمطبخ على ذوق المهندس محمد .

ـ وزوجي كما تعلمين يا سهام يبحث عن شقة أوسع من التي نعيش فيها وهو لا يرغب بالاستقرار هنا بعد تقاعده القريب .. وهو يرغب بإنشاء وبناء بيت في قريته بعد إنهاء الخدمة وأقول أجرتها رخيصة .. نحن ندفع ستين كل شهر

امونة : نحن يسرنا التعرف عليكم . وذكرت طرفا من قصة حياتها

ـ أنا حدثتني سهام عنك ؛ كأن ابن خالك ذكر لأحمد بعضا من ظروفك .. وأنا سعيدة بالتعرف على أناس طيبين مثلك .. وأمي تذكرتك ، ولولا الأسقام والكبر الذي ألم بها لاستمرت بالتفصيل عندك .. واليوم الملابس الجاهزة بدأت تكثر

قالت أمونة : الوالدة أنا أعرفها حق المعرفة ، وكانت سخية معي في الفلوس .. ربما أقوم بزيارة لها .. وشرف لنا مجاورتك يا أم علي

– لا يوجد تلفون في الشقة

– هذه الشقة ـ وأشارت بيده نحو بيتها ـ كانت جزء من السفلى ، فالتلفون بقي فيها

– تركيب التلفون بالنسبة لنا مهمة سهلة لطبيعة عملنا الحساس ، ولرتبة زوجي الشرطية .. من حيث المبدأ يا سهام مقبولة ..خاصة أنها في هذا الحي الجميل الوديع ، حتى أن الوالد استغرب من رخص الإيجار في مثل هذا الحي

– نحن وهبنا الله هذا البيت بمبلغ بسيط .. مع الصيانة والفصل دفعت عشرين ألف

– طرح الله فيه البركة ، ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله

– شكرًا

- الكلام الفصل يا أخت أمونة عندما يراها نيازي زوجي

قالت سهام: أنا كنت أعلم رغبة أختي بشقة واسعة ؛ لذلك آثرتها على نفسي ؛ فإذا لم يقبل نيازي الحياة فيها يا سيدة أمونة ، ستكون من نصيبي .. وأنت إنسانة طيبة وقنوعة

قالت : مرحباً بكن ..وما دام ابن خالي المهندس محمد صديق الدكتور أحمد فنحن أصدقاء وأهل حتى لو لم تستأجروا البيت .. فأنا قضيت عمري بدون زواج .. نسيت أني امرأة حتى طلبني هذا الرجل بعد ترمله ، وليس عنده إلا ابنة واحدة تعمل في الصحافة ومتزوجة .. ولي شقة عند أبي عشت فيها ما يقارب السنة كزوجة .. وكانت مشاكل يثيرها شقيقي لزوجي .. فقررنا الرحيل والابتعاد .. واشترينا هذه الدار عن طريق المكتب العقاري .. وتبين أن صاحبه هاجر إلى أمريكا ويريد التخلص منه .. فكان من نصيبنا . . وثمنه بسيط في نظري وللمكان أيضاً .. وفصل المهندس محمد الطابقين عن بعضهما .. فلسنا بحاجة للطابق الثاني

قالت سهام: أيام معدودة ونحسم الأمر يا مدام أمونة .. اسمك اسم جميل !

قالت رهام باسمة : مأخوذ من الأمن والله أعلم .. أتركت العمل بعد الزواج؟

قالت أمونة وهن يمشين إلى سيارة رهام : لي شريكة في العمل ، وهي تدير المصلحة ، وأنا تفرغت لزوجي ، وما زلت أتابع العمل والإدارة عن بعد وعلى التلفون .. وأنا لي معارف في وزارة الخارجية .. لقد كنا نعمل لهم أعلاما ورايات للاحتفالات والمراسم .. أعلام الدول الزائرة . وذكرت أسماء تعاملت معها

فقالت رهام: نعم ، أبو سعد تقاعد من الوزارة .. كان له علاقة في الاستقبال والزينة والتعاون مع البلديات في ذلك .. وأبو ناصف توفاه الله .

- كنا نخيط تلك الرايات أو نشارك في خياطتها ، أو توفير القماش لها

قالت رهام وهي تفتح باب السيارة لتجلس عند مقعد القيادة: تشرفنا بالتعرف عليك يا مدام أمونة .. ويسرني هذا التعرف .. أنا لو أتحدث مع قسم المراسم والزينة لوجدتهم يعرفونك حق المعرفة .. وعادة هذه تتم بالتنسيق بين الوزارة والبلديات .

وصافحت يد أمونة الصغيرة ، ثم تصافحت مع سهام التي استدارت لتركب بجوار رهام قائلة: شكرًا يا أخت أمونة .. نلتقي قريبا سلمي على الأخ سميح أبي سعاد زوجك المحترم

وركبت وانطلقت السيارة تتابعها أمونة بنظرها حتى اختفت عن عينيها ، فتنهدت بعمق وقالت متمنية: آه! لو سميح يحسن القيادة لاشتريت لنا سيارة مثل هذه صغيرة وجميلة

وتنهدت ثانية وقالت: ولكن أين سنذهب بالسيارة ؟! فمعارفنا قلة .. معارف الزيارات ، وليس معارف العمل . واستدارت جهة بوابة شقتها لتر سميحا يقف أمام البيت باسما ، فلما اقتربت منه قال : سيارة جميلة مثل اللعبة!

ضحكت له وقالت: ما رأيك أن تتعلم السواقة ؟

- وهل أستطيع ذلك بعد هذا العمر؟

- جرب .. نشتري سيارة نتجول بها في شوارع العاصمة

- شيء مضحك ! هل يمكن أن أسوق سيارة بعدما كنت أسوق عربة البلدية؟!

- أنا قلت حاول جرب ، لن نخسر شيئا

- لماذا لا تجربي أنت ؟..ها هن نساء يسقن السيارة

- إنها سكرتيرة في وزارة الخارجية مثل أختها .وذكرت قصة زيارتها

قال : هي فعلا كبيرة وواسعة على نفرين .. نحن نعيش في محيط .. فلدينا ثلاث غرف معطلة

- هل تسرعنا في شرائه ؟!

- لا ، لم نتسرع هي فرصة كما يقال .. والمبلغ زهيد في بيت من طابقين ، وفي هذا الحي القديم ، حي الأغنياء ورجال الأعمال ، ربما لم يبع خلال هذه السنوات الثلاث ؛ لأن الأغنياء يتطلعون إلى الأحياء الحديثة والبناء الحديث .. وأهل الأحياء الشعبية يألفون أحيائهم ، ولا يحبون هجرها كما في حي أبو خروف وغيره

ولما جلسا في غرفة المعيشة قالت: فكر يا سميح بجد في تعلم قيادة السيارات .. علينا أن نتمتع بدنيانا وبمتع الدنيا

- صدقي سأفعل .. لي ابن عم يعمل في تدريب السواقين على قيادة المركبات .. سأتحدث معه وآخذ رأيه ؛ فإذا شجعني سأتعلم من أجل سعادتنا

- آه ! كم أنت رائع يا حبيبي ! عليك أن تأخذ الموضوع بجد ، ليس مسايرة ومجاملة



الشباب والفساد

ذات مساء زلف رشيد مقهى أبو خروف ، المعروف للقراء ومصدر الحكايات والخراريف ، فلما جلس مع من يحب من زبائن المقهى من أهالي الحي ، قال له أحدهم : المعلم مهران يشير إليك إنه يريدك.

فالتفت اتجاه المعلم ، فوجده يحرك سبابته نحوه ، فتحامل على نفسه ، ونهض ماشيا إلى مصطبة المقهى أو دكة المقهى ، هي مكان مرتفع عن بلاط المقهى بنصف متر ، عليها مائدة كبيرة كمكتب ولما سلم وجلس رشيد قال: آ ، يا معلم كيف حالك؟

ـ بخير ونعمة من الله سبحانه .. نسيبك القديم بكر ترك هذا الظرف قبل الظهر ويقول : هذا راتبك من ابنتك أمونة .. أين رحلت يا أبا حسونة ؟

تناول رشيد المغلف بضيق ، وعد الفلوس ، فوجدها كاملة وزيادة عشرة دنانير ، فوضعها في جيبه وقال: لا أدري،لا أحد يعرف أين تسكن إلا خالها بكر ؟ لا تريد رؤيتنا يا خسارة التربية !

تبسم مهران وقال: يا خسارة التربية ! أمونة بركة العائلة يا شيخ رشيد .. هي التي ساتراك .. نحن نعرف أحوال بعضنا البعض .. أنا حدثني الأخ سلمان بالمشاكل التي دارت بينكم وخيرا فعلت .. زوجها إنسان هادئ مسالم ، لا يحب المشاكل والمشاجرات .. أنا شخصيا كنت أتضايق من سخرية حسونة منه ؛ فكأنه لا يعمل في هذه المهنة إلا سميح .. وحتى هو قد تقاعد بعدما تزوج ابنتك وستر عليها .. فأحمد الله أنها ما زالت تحسن إليك.. وها هي تبعث لك الراتب ، وأسكنت شحاما شقتها دون مقابل

– لا ، بالإيجار

ضحك مهران وقال : قال بكر : إنها لا تريد شيئا إنما طالبته بالمحافظة على الأبواب والنوافذ .. فأحمد الله على إحسانها ورعايتها لك

– إني أبوها

- حق ، ولك حسونة وشحام

- فقراء يا معلم

عاود الابتسام : كلنا فقراء إلى الله .. قصدي لولا مساعدتها لك دون الأولاد لمددت يدك للناس فحسونة لا يكفيه دخله على هواه وشربه .. أما شحام فهو خير منه ومحترم ؛ لكني لم أسمع أنه يساعدك بدرهم واحد .. ادع الله تعالى أن يوسع عليها لتوسع عليك .. فهي ابنة صالحة .. وسوف تعود لزيارتك بعد حين كما قال بكر .. مع أنكم لم تكونوا تتعاملون معها إلا مضطرين كأنها لم تعش بينكم يا عم رشيد .. ولم تكونوا تهتمون بها .. الناس لها عيون

- ماذا نفعل؟ كانت تخرج من الصباح حتى الليل

- كانت تمرض ، ويأتي أخوالها وبناتهم لعيادتها والبقاء معها

- وهل أستطيع أنا يا معلم أن أخدمها ؟ والأولاد في الشغل

- ونساؤهم في الشغل وأم شحام .. الله يستر عليها .. كنتم مقصرين طول عمركم معها .. خالها يقول : إنها اليوم تسكن في قصر بفضل الله ، ولا ينقصها إلا أن يهبها الله المولود ؛ لتكمل سعادتها مع أبي سعاد

تنهد رشيد وقال: الله يوفقها .. رغم ما يخرج من فمي من سخط وألفاظ لا يمكن أنسى فضلها عليّ وعلى الأولاد يا أبا عبد الكريم .. الأولاد خيبوا أملي فيهم ، والحياة صعبة ..شحام ـ كما تعلم ـ كان يسكن بالإيجار ولديه ثلاثة أطفال ، أما حسونة فأخباره لا تسر عدو ولا صديق .. حشاش سكير مدخن علاج .. وامرأته مثله ، وطلع ابنه أفجر منه يطارد القاصرات بدل أن يتزوج ويلم نفسه في بيت مثل الناس .. وها هو مرمي في السجن

- هذا منحرف للغاية .. كذا مرة طردته من المقهى .. لا سوالف له إلا عن الزنا ، وأماكن الزنا عامل نفسه خبير نساء وبنات ليل .. وكان له شلة فجرة مثله .. ثم رحل للحياة عند أخواله بعد تطاوله على أبيه عدة مرات ، ما بين شتم ولطم ؛ ولكن علمت أن سجنه ثلاثة أشهر أو أربعة فقط

- صحيح لأنها محاولة اعتداء ، لم يمس البنت .. محاولة هتك عرض .. والمشكلة أنه سيعود للحياة معنا ..فأخواله ملوا منه .. حتى لو طلقت أختهم لا يريدونه .. فضحهم يا رجل .. ولا أدري كيف ستسير حياته هنا ؟ فشحام لا يحتمل وسخه

قال المعلم في حيرة : هذا الصنف من البشر ، السجن أولى له .. فهذه ليست أول مرة يسجن فيها

- طبعا ، قضى مرة سنة ونصف في سجن صحراوي بتهم مخدرات ترويج وبيع وتوزيع ، وبدل أن يردعه السجن عاد للعربدة أكثر

- ليس أمامكم إلا أن تدعو الله له بالهداية والتوبة .. حاولوا تزويجه ، قد يترك الفاحشة إذا تزوج

- أمونة عرضت عليه ذلك .. ما عليه إلا أن يتزوج .. فقال لها : لا أستطيع تحمل رعاية امرأة وأطفال .. يا رجل مرة سافر لقبرص للدعارة والفجور

- سمعت بهذا السفر الذي أنفق عليه ألف دينار .. من أجل ذلك على الشاب عندما يقصد الزواج أن يحسن اختيار الأم أم الذرية ، وأن يظفر بذات الدين والخلق الحسن

- للأسف ، الشباب يبحثون عن الأجمل .. ولو كانت بنت إبليس .. ولما يكون الزوج شيطانا يا مهران كيف سيبحث عن ذات الدين ؟ إنه يبحث عن شيطانة مثله

- معك حق .. على كل حال ادع له بالهداية من قلبك .. وادع لابنتك

كانت سعاد وزوجها ياسر يترددون بشكل دائم ، وأغلب الأسابيع على بيت والدها، وكان ذلك أيضاً من أيام أبو خروف ، وكانت أمونة تحرص على دعوتهم للغداء معهم ظهر يوم الجمعة ؛ لأنه يوم مبارك ويوم العطلة الرسمية على مستوى القطر كغالب الدول العربية ، كانت سعاد في زيارة لهم بعد هذه الأحداث التي مر ذكرها ، فقالت مداعبة والدها : كيف حال السائق الصاعد العم سميح ؟

غمرهم الابتسام ، وكان أصغر أبنائها المولود حديثاً يجلس في حجر جده ، فأراح الجد جلسته وقال: السيدة الفاضلة مصرة على أن أصير سائقا ، وكما يقول ابن عمي المدرب إنني أتقدم ببطء واحتاج إلى وقت أزود من غيري حتى يذهب الخوف عني ، ويرى أنني بحاجة لنظارة .. وفعلا

ذهبت لطبيب العيون ، وفحص قوة البصر ، ووجد أنني بحاجة لنظارة .. وذهبت لمحل صناعة النظارات ، وفحصني ثانية وفصل لي نظارة

قال ياسر: المهم يا عمي أن تتوفر لديك الرغبة بأن تكون سائقا ، ولما تصبح سائقا سترى أن الأمر بسيط وهين

وبعد صمت دام دقيقة أو أكثر قالت سعاد : كيف أنتم وجيرانكم؟

قالت أمونة: نعم الجيران .. دبت الحياة في الفيلا .. حافلة الطلاب صباحا ظهرا .. حفلات خاصة ؛ لكننا نعتذر لهم .. السيدة رهام موظفة خارجية كما قلت لكم سابقا .. وزوجها ضابط كبير في البوليس

قال ياسر : الأحسن الابتعاد عن خصوصياتهم .. المهم أن لا تنزعجوا بحفلاتهم

قال سميح : ناس محترمون ، بل يرسلون الحلوى وبعض الطعام مع الخادمة ، ونستحي أن نرده ومرة كلمت أمونة السيدة ترجوها عدم فعلها ذلك فقالت : نحن في العادة نحضر كميات زيادة ، وأغلب الفاضل أرسله لدار أمي وخالتي ولا حرج فسكتنا

أكدت أمونة فقالت : تحدثت مع رهام في ذلك ورجوتها ألا تفعل ..فقالت :لا يمكن ، يكفي أن نقبل عذركم بعدم الحضور معنا بأجسامكم ، وقالت : هذه الحفلات ضرورية للعمل والأصدقاء ، فاضطررت أن أغض الطرف .. ومقامهم هنا لن يطول كثيرا .. فالرجل على وشك التقاعد ، وقد شيد بيتا في قريته أو يشيده

فقال ياسر: وفقهم المولى سبحانه هل اتصلت بأبيك يا أمونة ؟

تنهدت أمونة وقالت: منذ رحلت من أبو خروف لم أره ، ولم أسمع أنه يسعى لرؤيتي .. أبي يهمه ما أدفع له .. وأنا عنده من النادر أن يدخل شقتي .. لم أره بالعين ؛ ولكني تحدثت معه من قريب .. وقد صوب رحيلنا ، واعتبره تصرفا صحيحا ، وبعدا عن الشر .. وهو قلق من عودة ابن حسونة حفيده حلمي .. فهو سيعود للعيش معهم بعد انتهاء فترة سجنه .. ويخشى من مشاكله مع أبيه ومع عمه شحام الذي لا يحب العوج ، خاصة إذا جلب فتاة للبيت .. فهو يعرف

فتيات العهر .. فهو لا دين يهمه ، ولا ذمة عنده ..صدقوا السجن أفضل لحضرته
قال ياسر : ماذا تفعل له الحكومة عندما تنقضي المدة المحكوم عليها ؟لماذا لا يتزوج مثل خلق الله
قالت أمونة : اللعين سمعته أكثر من مرة كلما يحدثونه عن الزواج ، يقول : ما دامت هناك فتيات ونساء لا يسألن عن شرف ولا كرامة ، ويبعن أجسادهنّ بدراهم يسيرة فلماذا أتزوج ؟! ولماذا يتزوج الناس؟! وينفق الزوج على بيت وامرأة
قالت سعاد: فلسفة الانحلالية .. ها هي أمراض الانحلال تفتك بهم فينتشر بينهم الزهري والسفلس وأمراض الجنس والإباحية والإجهاض .. فيكلف علاجهم أكثر مما أنفقوا على البغاء وإذا أصيبوا بالداء لا يجدون من يقبل بهم إلا المصابون مثلهم .. شعارهم ميت ميت .. فهذا ما يجنيه الزناة والشواذ واللواطيون .. للأسف المدنية فتحت الباب مشرعا للأفلام المثيرة الغرائز باسم الفن والأدب والعلم .. فنحن في فترة تسمى زمن الإباحية الجنسية .. والشباب هم ضحاياها وابن حسونة أحدهم .. نحن في الجريدة نسمع عن قضايا فاحشة غريبة ؛ ولكن لا ننشر منها إلا القليل أو الجزء اليسير للتوثيق ؛ لأن بعض القراء يهتمون بمثل هذه الأخبار فرئيس التحرير يحب إرضاء جميع الأذواق .. بعض المحررين لهم علاقات جيدة مع الشرطة .. فيطلعون على الكثير من هذه القضايا .. وبعضهم يعرفها عن طريق القضاء
قال ياسر : تظهر في البلد هذه الأيام المجلات الخليعة .. عري وفجور .. يزعمون أنها تدخل بالتهريب عن طريق الطيران والمطارات
قالت سعاد متممة للفكرة : يدخل بها الأجانب في حقائبهم السياحية .. وهذه لا تخضع للمنع وموظفون الجمارك والرقابة لا يستطيعون منعهم ، فهي أمور شخصية ، وليست من الممنوعات كالمخدرات ، وبعض العاملين على خطوط الطيران تكون معهم على سبيل التسلية
قال سميح بامتعاض: الأمر محزن ..كنت أيام عملي أجد منها الكثير ممزقة ناقصة ، حتى أن بعض العاملين معنا يأخذونها لبيعها للمراهقين والشباب الفاسد مقابل بضع قروش.. كنت ألاحظ ذلك ؛ فهم يعتبرونها كنوز سليمان الحكيم .. الله يهدي الشباب .. ومع هذا نجد الكثير

من الشباب في المساجد .. الشباب المحب للإسلام

قال ياسر: أكيد الخير لا ينقطع ولا ينتهي.. إنها الدنيا دار الابتلاء والتمحيص .. إنها المحزن ضياع الشباب وراء الشهوات والمخدرات والحشيش والمسكرات والحانات .. طاقات تهدر في سبيل إبليس .. هذه خامات كان يجب أن تعمل على بناء الوطن والأمة ؛ لكن الاستعمار خرج وترك ذيوله وأدواته وفساده وأعوانه.



المشاعر

حسونة من ليلة ضربه من قبل أخيه الأصغر وهو يتحاشى الحديث مع أبيه ودخول شقته زاعما أن أباه اصطف ووقف مع ابن الجديدة أم شحام ، ولما فشل بالحصول على عنوان أمونة عن طريق خاله ، طرق الباب على بيت والده ، ففتحت له امرأة أبيه ، ولما حدقت به قالت ساخرة :

يا هاجرنا .. آ، ماذا تريد؟

قال بحدة متكلفة : أين زوجك؟

- زوجي أم أبوك ؟

وقبل أن تسمع ردا ظهر رشيد خلفها قائلا: تفضل يا عاق

قال : عاق بار هذا لا يهمني.. أريد أن أسأل عن عنوان أمونة .. سمعت أنها تتصل بك .

قالت: تتصل بنا .. أجل ، لا نعرف عنوانها يا جدع

فصاح بغيظ: أنا أتحدث مع هذا الرجل أرجوك لا تردي

فصاحت :أبعد عن الباب .. هذا بابي

ودفعته ، وأغلقت الباب ، ففتحه وقال : عيب يا امرأة عيب!.. لما يتكلم الرجال النساء تصمت

- أوه! أنت صرت راجلا !.. الله أكبر .. يسعدني الرجالة الذين أنت منهم يا سيد الرجالة

قال رشيد: صدق يا ولد لم تذكر أختك عنوانها ..ولو عرفته ما أعلمتك به .. وأنت سبب رحيلها عنا ؛ لعلك تنسى بسرعة

- خرف العجوز .. هي تقصد الرحيل ، وكانت تنتظر حجة

- ولماذا نترك لها هذه الحجة يا سيد فهمان ؟ البيت الجديد ـ يا سيد فهمان ـ كتبته باسم زوجها أبي سعاد .. أرأيت حماقتك؟

- ألم أذكر لك كذا مرة أنها مؤامرة ؟ لقد رتبوا الأمر

ضحكت سليمة وقالت: مؤامرة ! أنت تتكلم سياسة ..مؤامرة على من يا جدع؟ الفلوس فلوسها ..أتريد أن تتركها لك ؟ لتسكر فيها أنت وامرأتك .. اغرب عن الباب .. أبوك لا

يعرف العنوان .. العنوان عند خالك بكر .

فرد عليها قائلا ناقما : ترجيته قبل أن أتحدث مع هذا الرجل ، الرجل الذي لا يستطيع لجم لسانك ؛ ولكنه رفض .. أعطاني دروسا في الأخلاق ؛ كأنني تلميذ في مدرسة .. ما زال يظن نفسه مدرسا لم يتقاعد .. بهدلني

صاحت: تستحق ذلك وأكثر .. كان عليك أن تكون سندا لشقيقتك في هذه الدنيا ..امش يا عاق

ظهر شحام خلف حسونة فقال بصوت هادر: ماذا يفعل هذا العاق أمام الباب؟ أجاء يتسول بعض المال؟

استدار إليه حسونة ورمقه شزرا ، وصعد الدرج لبيته دون رد ، ودخل شحام وأغلق الباب وراءه ، وقال وهو يجلس على كرسي في صالة الشقة : ماذا يريد جارنا ؟

قالت أمه : يبحث عن عنوان سكن أمونة

– يسعى إليها .. أصابه ندم أم يريد إعادة المائة لسميح بعد أن نصب عليه .. نصب على الرجل الطيب بعد أن بهدله في الحي .. لو كنت هنا ما طقت ذلك لحظه .. إنني كنت بعيدا عنه .. لما كانت أمونة تعيش معنا .. كنا نراها صندوق مال .. قصرنا في العطف عليها .. جهلنا أنها أنثى كسائر البشر .. تعودنا على إهمالها .. ما اجهل الإنسان! .. نعم ، لم نهتم بإنسانيتها وحياتها والحديث معها وسماع مشاكلها والسعي لتزويجها .. نسينا هذا ؛ كأنها ليست امرأة .. نسينا هذه الجوانب .. أخوالها كانوا خيرا منا ، ونحن الأقرب إليها.. خالها بكر قال سعيت لتزويجها أكثر من مرة ؛ ولكنه لم يوفق .. نحن ـ كما فهمت مؤخرا ـ كان أبي يطفش من يفكر فيها .. ولما جاءت بالرجل عرفنا أنها إنسانة مثلنا .. وأن الله لا ينسى أحدا مثلما نسينا .. وإنما همنا مالها .. وليس سعادتها .. جرة مال فقط ..لا نهتم بالمشاعر

قال رشيد ممتعضا مما سمع : وماذا يفيد الكلام اليوم ؟! ربنا أرحم بها منا .. ويسر لها الخير بهذا الرجل المسكين الذي لم نحسن جيرتنا له

- لو تزوجت قبل سنوات يا أبي ، ربما كانت فرص الولادة والأمومة أكثر يا أبي .. أنا كنت بعيدا عنكم ، لم أكن أراه كثيرا ؛ لكن السيد حسونة الباب بالباب ، وكان يسخر منه ، ويحرج مشاعره أمام الناس دون حياء .. والرجل من عشاق الصمت

فقالت أمه مشفقة: ماذا سيقول المسكين ؟! وقد اتهمناه بأنه تزوجها على طمع ، ولم نفهم أن زواجه منها حاجة إنسانية وشرعية ، وأن الرجل ليس بحاجة لمال أمونة .. وهو فرد واحد ومحترم ، ويصرف القليل على نفسه ؛ لكنه بحاجة لونيس في الليل .. في أيام العطل .. حكمنا عليه أنه طامع في ثروتها ، وليس لإسعادها وإسعاد نفسه .. فكان هذا الكلام يؤثر فيه .. وأنت مقصر معها الآن يا شحام أسكنتك الشقة دون مقابل ، مع أن أباك يزعم أمام الناس أنك تدفع إيجارا .. ومع ذلك لم تقدم لها الشكر ولو بالهاتف .. كان عليك فعل ذلك

- معك حق يا أمي .. لقد تعودنا على التعامل معها بهذا البرود .. فعلا أنا مخطئ .. قال لي بكر مرة بعد سكني هنا إذا أحببت دفع أجرة رمزية يا شحام فادفعها لأمك أو أبيك .. فأمونة لا تريد سوى المحافظة على الشقة .. ولما رأيت أني ادفع لأمي عشرة دنانير كل شهر أو كل شهرين فنسيت ، وشكرتها في قلبي .. سأذهب لبكر ،وأطلب منه أن أتكلم معها ، ويسمح لي بزيارتها فهي أختي ، وإن لم تكن من أمي

- إنها تتصل بالوالد

- أمعكم رقمها؟

- لم نطلبه

- يا الهي!



لم يتردد السيد بكر بإعطاء رقم هاتف أمونة لأخيها شحام ، ، وشجعه على الاتصال بها ، والسعي إلى زيارتها ، وهي لا مانع لديها من زيارتهم لها ، فشكره شحام معترفا بتبصيرهم

اتجاهها ، وتغافلهم عن مشاعرها وعواطفها الإنسانية، وحاجاتها كامرأة ؛ لتعيش في بيت وزوج وأسرة ، وقال : كنا في البيت للأسف كأعداء وخصوم ، مع أن أبي ـ كما تعلم ـ تزوج أمي بعد وفاة أمهم ، ما كن ضرائر .. وتصرفنا كأعداء لماذا ؟! لست أدري .. لما تزوج أبي أمي كانت أمونة صبية دون الخامسة عشرة سنة .. وأذكر ـ كما سمعنا ـ لما كبرنا أنها تركت المدرسة في المرحلة المتوسطة ، وبدأت تتعلم الخياطة في بيوت خياطات أبو خروف ، وبرعت في تعلم المهنة واشترت ماكينة خياطة ، وعملت في البيت حيث يسكن أبي اليوم ، ولما كبرت سنا ، ولم يتزوجها أحد انتقلت للعمل في مشاغل المدينة ، ثم تملكت مشغلا وحدها ، وفتح الله عليها .. فنحن لما شببنا وجدنا أمونة سيدة وعاملة مشغل نشيطة .. تساعد في مصروف البيت .. وتساعد الأب ، كانت كبيرة بالنسبة لنا .. من جيل أمنا ، ربما تكبرها أمي ببضع سنوات .. وكان بينها وبين أمنا جفاء ، ربما ترك أثره علينا وفينا ، وطبيعة عملها لم تسمح لنا بفهمها والحديث معها والحق أنها لم تقصر معنا ، منذ وعيت وأنا أراها تساعد أبي .. مع أنه كان على رأس عمله ، وكذلك عند بلوغي سن الرشد كان يعمل .. وكان حسونة قد تزوج قبل البناء لنفسه ، عاش في الشقة المؤجرة اليوم

قال بكر: نعم ، تزوج فيها ، ثم بنت أمونة لنفسها ، وساعدت حسونة في بناء شقته

– كانت تكرمنا ، ولم نكن نحس أن هذا من باب التكافل والإكرام ، كنا صغارا ، نراه واجبا عليها نحو الأسرة .. فساهمت في مصروف مدارسنا أنا وأخواتي الثلاث في ملابس المناسبات كالأعياد وفتوح المدارس ، وتعطي أبي في مصروف البيت ، ولما كبرنا كانت مستقلة في بيتها ، ولم تكن بيننا ألفة ومحبة ظاهرة ؛ بل ـ مع الاحترام الكامل لشخصكم ـ كنا نحس ونرى أنها تميل إليكم أكثر منا .. نحن أخوتها .. ربما لسوء معاملة أمنا لها ، رغم ضعف التقائهما ، ربما كان ذلك قبل أن تخرج أمونة للعمل خارج البيت ؛ لكن اليوم بدأنا نفهم العواطف أكثر من الأول ، وأن الإنسان مهما كبر يحتاج لمن يتعاطف معه .. اليوم عرفت السبب سبب ميلها لكم أكثر منا ، العطف الذي وجدته منكم .. لا أذكر أن أبي قال : لو تدعون أمونة لتفطر معنا أيام

رمضان .. تعودنا على هذا الجفاء وعدم المبالاة .. وكان يتحجج ـ كما سمعته كذا مرة في المقهى ـ أنها تفكر في المشغل والشغل ؛ ولكن أيام الجمع لا يوجد مشغل ولا شغل ، ولم يكن يفعل ، لم نجد منه حنانا نحوها ، لها حياتها ولنا حياتنا .. الإحساس بالآخر لم نعود عليه .. ولليوم لم نفهم السبب .. هل لأنه يأخذ منها مالا أم لأنه أبوها ؟ .. صدق يا أبا محمد لم أفكر في كل هذه المعاني وحياتنا إلا عند زواجها من الرجل الطيب سميح عبد السميع

أنهى شرب الشاي ، وترك بكر يصب له من جديد وتابع قائلا: كنت أرى يا خالي أن أمونة لن تعرف الحياة الزوجية أبدا ، وأن شيئا حجبها عن الزواج .. كان لابد أن تسمع مني هذا الكلام حتى تعرف أن لها معزة في القلب ؛ ولكن التربية الجافة ، والحياة السيئة ، وربما العداء الصارخ بينها وبين أمي هو سبب هذا الجفاء .. أرجو من الله المعطي أن يطعمها الذرية الصالحة ؛ لتعرف معنى الأمومة

– آمين ، شكرًا لك يا شحام .. وهي تودك أكثر من أخيها حسونة .. هي تقدر موقف أمك من زواجها .. إنما كانت تخشى أن تقف هي ضد هذا الزواج .. تفاجأت من رفض والدها وتشدده حتى دفعها للتهديد بقطع المعونة عنه ، ثم انزاحت الغمة بجهود الخيرين من أمثالك ومثل الحاج سلمان يوسف

قال شحام مستفهما : أنا لليوم لم أفهم سبب رفض زوجة حسونة ، أما قضية أن الرجل عامل نظافة فالبلد ملآى بعمال النظافة .. وهي مهنة شريفة وهامة للمجتمع كسائر المهن .. لماذا فعل معه هذا التصرف؟!

– الله أعلم .. شيء في نفسه ونفس عائلته .. حسونة في أول الأمر لم يكن معارضا ، ثم وقف مع زوجته .. لماذا رفضت وهي لا دخل لها في الموضوع؟! ربما الشقة

– أين ستذهب لو كانوا طامعين بالشقة ؟ .. زيادة في الفتنة وإشعال النار في العائلة

– فكرت بذلك .. سميح لن يصبر على الإهانات والسخرية

– هو طامع بالشقة .. كانوا يزعجونها بالعربدة والسمر برفع صوت المسجل والتلفزيون ، وترك

باب شقتهم مواربا ، كانوا يتصرفون تصرفات صبيانية حتى ترحل قبل الزواج وبعده ، ولكن قبل الزواج لم تفكر امونة بتعمده ذلك ، واعتبرت استمراره في ذلك بعد الزواج متابعة لعادته السابقة ، لم تأخذ هذه الحركات الصبيانية على وجه العداوة ، وقد يفعل ذلك مع الأسف لأخذ المال منها ، نوع من الابتزاز ؛ لأن أمونة طيبة وتحل مشاكلها بالمال دون أي تردد

قال بكر: أتعلم قد يكون هذا الاحتمال الأصوب ؟ .. فحسونة طماع ..

فهو ماكر .. فهو يحتال لأخذ المال من أخته .. وتعلقه بالشراب والدخان وامرأته مثله فتجد الدخل لا يكفيهما ؛ فكان يفعل ذلك لتدفع له بشكل دائم .. ألم يأخذ مائة من سميح كقرض ويزعم أنه أهداه إياها ؟ حاول قديما أن يستلف مني ، وفعلت ثم كففت عن إقراضه ، يتجاهل الدين

قال شحام : علمت قصتها ، وشاعت في أبو خروف ، وسمعتها تردد في المقهى ، ولليوم ما دفع منها شيئا .. أتزورها يا خال؟

– أنا ، نعم ، فعلت ذلك .. هي ترحب بكل زائر ؛ لكنها تألمت من أفعال حسونة للرجل الذي أشعرها أنها أنثى كسائر الخلق ، فوجدت راحتها بالبعد عن حسونة وزوجه .. هي لم تعر رفع المسجل والتلفزيون أهمية .. فقد اعتادت على ذلك .. وحتى سميح لم يتذمر أمامي من هذا .. نحن ـ كما ذكرت ـ ما زلنا نتبادل معها الزيارات ، بل المهندس محمد ابني هو الذي فصل طابقي العمارة التي اشترتها عن بعضهما .. وساعد في تأجيرها .. فقد استأجر ضابط بوليس كبير الطابق الثاني ، وزوجته سكرتيرة بوزارة الخارجية .. فالحي الذي تعيش فيه أمونة كان من الأحياء المهمة في فترة الأربعينات ومطلع الخمسينات .. حي الوزراء ورجال الأعمال والاقتصاد في القطر

وقص عليه قصة البيت وشراء أمونة له ، ولما صمت الرجل قال شحام: الحق أن أمونة تستحق كل خير وسعادة .. لقد علمت حديثاً أن لها أيادي بيضاء على جمعية البر في الحي ، وأنها تقدم لهم الملابس التي لم تباع وانتهت موضتها .. وأرجو أن تسمح لي بزيارتها .. أنا اعترف بتقصيري

لها .. فأنا الآن اسكن في بيتها دون مقابل

- نعم ، رفضت أخذ الأجرة وقالت : ليهديها لأمه أو أبيه .. فأنا لست بحاجة لعشرين دينار من أخي أو عشرة

- دائماً خيرها علينا يا خال .. أرجو أن تشجعها على استقبالي ، وأن تقبل زيارتي أنا وأم موسى

- أنا أحب أن أسمع مثل هذا الكلام عن أختك .. فهي طيبة .. وتحب أن تحس أن لها أخوة وأخوات .. وأنت تكلم معها .. وأنا بدوري سأبين لها مشاعرك النبيلة نحوها .. وشجع أخواتك على فعل ذلك .. فأخوات سميح يتصلون بها باستمرار .. وسعاد ابنته كل جمعة أو جمعتين تزورها .. الإنسان يحب أن يرى أهله حوله في السراء والضراء .. الزيارات من أسباب المحبة ودوامها .. الإنسان يحب أن يسمع الناس همومه .. وهو يعلم أن الله هو الذي يفرج الهموم والغموم .. انظر كيف هي متعلقة بنا ؟ ماذا بيننا ؟ الكلام والسلام والحب .



الزيارة

اتصل شحام بأمونة فرحبت باتصاله وفرحت به ، ورحبت بنيته لزيارتها ، وذكرت له العنوان دون تردد ، فقال: جميل ! أعرف هذه المنطقة جيدا .. وهذا حي يضرب به المثل لو أنك ساكن في حي الشجرة حي السيادة وأصحاب السعادة.. مبارك البيت ، وعندما عرف مكان البيت بالضبط ، قال : قريبا ـ بعون الله ـ سنكون عندك ومعي العائلة كلها . فرحبت بهم جميعا؛ بل بدت سعادتها واضحة لشحام على الهاتف ، وسمعها تقول: الدم لا يصير ميّ

ولما علم حسونة وأهله بأمر هذه الزيارة ، وأن أمونة ترحب بهم ، فكر بأن يرافقهم ، ثم قال لزوجته: لا أحب مصاحبة شحام اللعين .. هذا أخ سيء .. سنذهب وحدنا علينا بتجهيز هدية كبيرة لها .

فقالت : وهل أمونة بحاجة لهدايانا يا بطل ؟

– الرسول قال تهادوا تحابوا

– آه ! لما تحشر الدين في حياتنا أكاد أن انتحر .. الرسول قال صلوا ، قال صوموا ، قال لا تسكروا .

تنهد بغضب وقال : أنت تكبرين الموضوع يا بنت الحلال

صاحت : يا رجل إياك نسيان أن أخاك استولى على شقتها .. فهو سيشد الرحال إليها ليشكرها ويتذلل لها حتى يكف عن دفع الإيجار .. ماذا سنفعل بحلمي إذا خرج ؟! سنقول لها نحن أولى بالبيت من شحام اللعين سنزوج حلميا فيه

– لا أمل بعودته للشركة ، طفح الكيل ؛ ولكني ترجيت المهندس شاكرا ، فقال : لما يخرج من السجن نشغل فكرنا فيه يا حسونة ، نحن لم ننس حادثة الموظفة من عاملات الإدارة التي حاول اغتصابها ، وجدها وحدها في المكتب ، فهجم عليها كالوحش الضاري ، وأخذ في تقبيلها ، وهي تدفعه ، وتصرخ في وجهه ، حتى فزع عليهما الفراش ، وضربه بعصا مكنسة المكتب ، حتى تركها تلهث وتبكي .. ابنك وغد .. قال المهندس : سكتنا من أجل البنت خشية أن يعلم ذلك

الناس خارج المكتب ، لو طردناه مباشرة فقد تسوء سمعة البنت .. هذا لو طرد من الشغل سيأخذ راتبي ، لكنه شغيل لا يملّ من العمل إذا اشتغل

- الله يهديه كما تقول أمي

- الله يهدنا جميعا ، بدأت أكره الحياة

ضحكت وقالت: أنت تكره الحياة ! .. أنت اليوم الذي لا تسكر فيه تقول : هذا يوم لم أعشه

- ليتني لم أتعلم شربها .. من فترة قابلت أحد رفاق الشيطان أيام زمان ـ الذين تعلمت وإياهم شرب الشراب ، ومشاهدة الأفلام ـ وقد أرخى ذقنه ولحيته ، أمسى شيخا ، ويرتاد المساجد ، قلت له ساخرا: أراك في لحية طويلة ، لحية تنافس لحية إبليس اللعين .. أهذه مشيخة حقيقية أم زيف ؟ فأدرك أني أسخر منه ، لما يعرف بعضنا عن بعض ، فقال: باب التوبة مفتوح .. إبليس أبو لحية طويلة .. لا أدري أله لحية أم لا ؟! صاحبك كانت أمامه التوبة إنما رفض وتكبر يا عم حسونة .. لي أكثر من عشر سنوات لم أضع في جوفي جرعة شراب ، وحتى سيجارة إبليس .. هداني الله سبحانه على يد أحد الشباب المتدين ، ورزقني الله زوجة صالحة وخمسة أولاد : أحدهم تخرج من الجامعة مهندسا ، فتظاهرت أني لم أصدقه بترك الشراب ، فقال: كأنك لم تصدق تركت بفضله الشراب والأفلام والدخان والنسوان .. يا رجل تب إلى الله .. وذهبت للعمرة أكثر من مرة .. زرت الأرض الطاهرة ، أرض مشى على ترابها سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم .. نحن كبرنا يا حسونة ، وضيعنا أحلى السنوات في العمر في طاعة الشيطان .. عندما أرى ابني يذهب للمسجد وأنا في سنه ماذا كنت ؟! أبكي أبكي بين يدي ربي ندما وتوبة .. وقال : لماذا لم يكن أبي يحثني ويضربني لأذهب للجامع للصلاة ويعلمني الصيام؟ لماذا تركونا بدون تربية حقيقية ؟ هي التربية فقط الأكل والشرب يا حسونة .. والله أدعو لك بالتوبة والهداية ، كنت من المقربين أيام طاعة الشيطان .. اللهم اجعلنا من التائبين ..وافترقنا صدقي أن كلامه أدمعني وأثر فيّ حاله ومقاله .. أذكر أننا كنا نشرب كأسا ، كان يشرب قنينة ..كنا نلقبه برميل لكثرة شرابه .. وأعطاني عنوانه الجديد إذا فكرت بالتوبة ،

وترك الزمن الماضي أن أزوره وألتقي به ما رأيك ؟!

- تب ، ما الذي يمنعك ؟إذا كنت تستطيع ترك المسكر بعد هذه السنين تب إلى الله

- سأتدرب على ترك الشراب رويدا رويدا ؛ فإذا نجحت فاتركه نهائيا

- سمعت أن لدى الحكومة مصحات لمعالجة المدمنين على الكحول والسموم

- كأني مثلك سمعت بها ، ولم أصدف من تعامل معها .. قد تكون غير نشطة

- وأنا مثلك هدتني الكحول ، تعبت من حياة الخمور والدخان ، وحتى القهوة ،وكثرت عليّ الأمراض ، لا يكاد أسبوع يمر إلا عرضت نفسي على الطبيب الخاص أو عيادة الحي

- وأنا مثلك أعاني .. ودكتور الشركة دائماً ينصحني بترك الكحول والدخان ؛ ولكن لما نشرب نرتاح من الآلام لعدة ساعات

- ولما نصحُ تعود الأوجاع .. نستريح مدة السكر فقط ..هل نحن قادرون على التخلص منها نهائيا؟!

حي الشجرة حي ٥٣ رقم ، هو الحي الذي سكنت فيه أمونة بقدر من رب العباد ، حي رجالات البلد قبل ثلاثين سنة .. المدن تتمدد أفقيا ورأسيا كما نعرف اليوم ، فعندما تكبر المدينة بزيادة البشر تظهر أحياء جديدة للأغنياء ، وأخرى للفقراء ، فالمدينة تستوعب الأيدي العاملة ، فتجد مؤسسات البلد تزيد وتبعد عن المركز ، فظهرت عمارات بناء غربي وإسلامي .. ومباني عدد كبير من الطوابق خمسة ستة عشرة طوابق .. تكبر وتضخم الدوائر الحكومية المدارس المستشفيات .. فعندما أنشئ حي٥٣ كان حي علية القوم من التجار وكبار الموظفين ، فعندما يمر من شوارعه الفقير أو متوسط الدخل ، يحلم بأن يكون له فيه منزل أو قصر يسكنه .. فهو عبارة عن قصور صغيرة أو فلل كما تسمى اليوم .. كل بناية طابق أو اثنان من الحجارة البارزة من الخارج ، وحوله حديقة ، تجد أشجارها عالية باسقة إلى السماء ، تجعله بيتا في غابة ، تجد مواقف سيارات ، فتجد بوابة خاصة لكراج سيارة الأسرة .. الشوارع مزفتة .. وأرصفتها يعتنى بها ، لأنها ما زالت تُكن الموظفين القدامى والوزراء المتقاعدين .. وكل شيء له زمن وبداية

ونهاية .. وله عز وتاريخ .. ومع النفط والحداثة والغزو الفكري ظهرت المباني والأحياء الجديدة وانتقل الجيل الجديد إليها فبعدت المباني عن المركز للمدينة .. والشوارع صارت أوسع وأحدث وظهرت إشارات المرور الضوئية عند التقاطعات ؛ لذلك لما وقف شحام أمام بوابة بيت أمونة ونزل الأولاد والأم والأب قال مداعبا: هذا قصر أمونة .. هذه اللوحة النحاسية منزل السيد سميح عبد السميع

قالت أم شحام : الرب كريم وسخاؤه عظيم ! أنا أعرف هذا الحي.. ألسنا من أهالي العاصمة انظر هذه الأشجار الباسقة إلى عنان السماء .. ربك يعطي بسخاء

قال رشيد بضيق وربما غيرة : هذا بيت أمونة آخر الزمان ؛ ولكن ـ كما أخبرت ـ كتبته باسم الرجل ، لم يعد بيتها

قال شحام وقد شعر بغيظ أبيه : نصيب .. وهذا الرجل هو الذي فتح لها باب السعادة .. أعادها للحياة لقد نسيناها في غمرة صراعنا مع هذه الدنيا ، لم نتعامل معها كإنسانة .. عاملناها كجرة مال .. لها عواطف ومشاعر وأحلام وزوجة وأولاد ..للأسف كانت كما مهملا .. لقد كنا في غفلة عنها .. فهذا الرجل أعادها للحياة ، وأنها أنثى كأمي وأختي وزوجتي.. تطمع أن تكون والدة يا أبا حسونة لها زوج وأسرة

فتح الباب فصمتوا ، خرجت أمونة وسميح يستقبلون قارعوا الجرس ، وجرى العناق والدموع وقالت أمونة وهي ترفع يديها إلى السماء: الحمد لله .. صار لي بيت يزورني فيه أهلي أبي وإخوتي يا مرحباً بالحبايب أهلا بأم شحام وأم موسى تفضلوا

تبعوا الزوجين بعد السلام والمصافحة ، وفي صالة البيت الواسعة جلسوا يتعاتبون ويتسامحون مهما استفحل العداء فهم أهل وأخوة وأصهار ، وتكلم شحام معتذرا عن التقصير الذي كان من جانبهم نحوها ، وأن الجهل والغفلة سببا هذا التقصير ، وذهبت عن أعينهم معاني المجاملات والزيارات والجلسات العائلية ؛ لتبادل الأفكار والأخبار والمسامحة ، والمساعدة في إزالة سوء التفاهم بين الأخوة والآباء والأبناء .. فشكرته أمونة ، واعترفت بوده لها ، وأنه أخ

يعتمد عليه ويركن إليه ، ووضعت بين أيديهم أصنافا من الفاكهة الطازجة والعصير الطبيعي ، ثم قدمت لهم الشاي المشروب المفضل ، وشكرها شحام لسماحها له العيش في شقتها ، وتنازلها عن الأجرة فقالت: نحن أخوة .. والحمد لله .. لست بحاجة لإيجارها .. وأنت أولى بها من غيرك

قال سميح: الحقيقة أمونة سخية ، ولا أقول ذلك لأنها زوجتي .. لما تحدثت معها عن رغبتي بالزواج منها ـ كما تعلمون ـ طلبت مني بشدة أن أقبل العيش معها في شقتها في أبو خروف ، وأن أوجّر بيتي .. رفضت مقاسمتي تلك الأجرة .. ولما جرى الذي جرى بيني وبين السيد حسونة .. وقررنا ترك الجمل بما حمل رفضت أيضاً العودة لبيتي.. وكان أن دلها صاحب مكتب العقارات على هذه البناية ، التي هاجر مالكها إلا الغرب .. فأهلا وسهلا بكم ، وأهلا بالشيخ رشيد ..كيف الشيخ سلمان أبو يوسف يا أبا حسونة ؟

فقال: زعلان مني ، منذ رحلت نرد على بعضنا السلام فحسب .. أنا أبارك لكم البيت الجديد وذكر لهم سبب زعل سلمان ، فقال سميح : سأزور المقهى وأصلح بينكم .. الشيخ سلمان رجل غانم

وأثنى شحام وأمه على سلمان ، وقال شحام : لولا مبادرتك يا أبا سعاد لفعلت ذلك .. لم ألحظ ذلك ..لأن العم سلمان شيخ الحارة .. عسى ابنتك بخير

قالت أمونة نيابة عن قرينها : عسل .. سعاد عندها اليوم طفلان ، ولا يخلو أسبوع من رؤيتهم حتى أن سميحا يلح عليّ بكفالة طفل يتيم من الملجأ .. وعادت تمدح قدومهم : نحن أهل خطوتكم رائعة .. ربنا قال لا تكرهوا شيئا عسى أن يكون خيرا لكم .. فأراد الله أن يكرمنا بهذا البيت الجميل في الحي الجميل فكان حسونة السبب .. وها هو سيدي سميح أنهى تدريب السواقة لنشتري سيارة تليق بمقامنا في هذا الحي الهادئ

فقال شحام مشجعا : يستاهل ، نعم الرجل .. سميح طيب .. ونعم الصهر .. بركة أبا سعاد تمتم سميح بالشكر والامتنان وقال: أشكرك يا بني كانت السيدة ـ رضي الله عنها ـ كريمة معي

أيام عملي في شارعهم .. كان عطفها عليّ كبيرا ، ولم يكن في بالي أن أتزوجها في يوم من الأيام ، كانت أم سعاد موجودة .. هي مرضت قبل موتها بخمس سنوات .. وكان المرض صعبا .. وكانت مساعداتها متكررة لي ولغيري من فقراء الشارع .. وكانت تستخدمنا في التحميل والتنزيل لتعطينا بدون حرج أكثر مما نستحق .. كنت أدرك هذا الإحسان .. وإلا مكان سوق العمال لا يبعد كثيرا عن شارع الخياطين .. دعيني أتكلم . كانت تشير له بالتوقف فضحكت وقالت: آسف خذ راحتك

فتابع السيد ذكرياته ، فقال: الفضل لا ينسى .. ساعدت في حل أزمات طارئة .. وسبحان الله لما ماتت أم سعاد وقع في قلبي طلب يدها .. فالرجل يصعب عليه بعد تعرفه على الحياة الزوجية أن يعيش بلا امرأة .. فبعد أن تيقنت أنها تصلح أن تكون زوجة ، وبعد تفكير حسمت أمر طلب يدها ، شاورتها في الأمر .. وهي عادت بعد أسبوع تعلن موافقتها ، فغمرتنا السعادة ، وعدت ابن عشرين سنة تغمرني السعادة والحياة .. والحمد لله رب العالمين .. وأنت يا عم رشيد كيف حالك وصحتك ؟

مسح العم رشيد فمه بمنديل ورقي ، وتوقف عن الأكل وقال: تشرفنا بمصاهرتك يا أبا سعاد أهل الحي يسلمون عليكم .. والعم سلمان رغم غضبه مني لما علم بأمر هذه الزيارة تكلم معي وأوصاني بالسلام عليكم ـ فردوا السلام ـ وقال سوف أزورهما أنا وأم يوسف .. ومعارفنا في الحي يهدونكم التحايا والمحبة .. وعرفنا كم كنت تقدمين من الخير للجمعية والجيران الفقراء والأيتام ، حتى مهران قال : خسارة رحيل أمونة من الحي ويرسل لك السلام

قالت : كان خالي بكر ينقل تحياتهم شكرًا لك يا أبي الغالي

– حقيقة يا أخ سميح أهل الحي بعد هذه السنين وجدتهم يقدرون أمونة تقديرا كبيرا .. أنا لم أكن انتبه لهذا .. ولا حتى شحام ؛ لذلك لما سمعوا بأني سأزورها الكل يطلب مني توصيل السلام لها ، وعبروا عن مشاعرهم النبيلة نحوها .. أتمنى لك الخير يا ابنتي .. وأنا أعترف بأنك لم تقصري معنا ، ولم نكن نحسن الثناء عليك ، وتشجيعك على هذا الخير .. الإلف كما يقول

شحام يدفع المرء على عدم فهم العواطف والشكر .. وشحام مقدر لك حق التقدير حبك له ، وتسكينه في شقتك الخاصة .. وكانت النفرة بينك وبين أم شحام بسبب الجهل وطبيعة البشر .. فالأزواج يتنافرون ويزعلون ثم يصطفون ، وتعود الحياة إلى مجاريها طيبة حسنة .. وحقيقة أم شحام منذ زواجك فاجأتني بعواطفها نحوك .. ودائما تكرر لولا أمونة علينا لافتضحنا يا رشيد في الحارة خيرك كبير علينا يا أمونة أرجو أن تصفو قلوبنا .. ونعود من أحسن الأهل .. والبيت في انتظار زيارتكم على أحرمن جمر في أي وقت تشاءون ..وعلى رأسي يا سيد سميح والبيت بيتكم

فقالت أمونة: شكرًا لك يا أبي الغالي ، الكلام بلسم الجراح والأحزان .. وأنا دائماً أقدر موقف أم شحام غاية التقدير .. لقد صدمت من رفضك من زواجي بغض النظر عن الشخص .. أنا التي كان عليك أن تيسر لها الزواج أول الناس .. وبهذه المناسبة الجميلة سأزيد مساعدتي لك ولأم شحام إلى سبعين دينارا في الشهر ـ إن شاء الله ـ لأني على وشك فتح مخيطة هنا .. في هذا الحي مشرفة عليها .. فقط ساعة أو ساعتان في اليوم مع إحدى السيدات التي تلح على تعاوني معها لما تعرفت عليها .. وعلمت أني أعيش بجوارها .. فهي تسمع عني وعن خبرتي ، وربما أنقل فتاة من مشغلنا للعمل معها .

دعا الجميع لها بالتوفيق وزيادة الخير

وتابعت بعد صمت: سنقوم بإذنه تعالى بزيارة لكم ، وستعود المياه لمجاريها .. ولسوف أزور الأخوات لما نشتري السيارة قريبا .. وذلك بعد نجاح سميح في فحص الدائرة .. وأشكر أخي شحاما على هذه المبادرة .. والشكر لكل أهل الحي .. ولا أنسى أربعين سنة عشتها في أبو خروف وأهله .. والعم سلمان على العين والرأس ، كانت زوجته كأم لي مع أنهم يسكنون القسم الثاني من أبو خروف ، ولهم أيادي بيضاء عليّ وأنا صغيرة ، وساعدتني أم يوسف ماديا في بداية تملك المحل ، ووفقني المولى وسددته كله ، وظلت علاقتنا طيبة معهم لليوم مع أم يوسف وبناتها كلهنّ .. فالصدقة والإحسان مطلوبة .. والخير كثير على إنسانة بسيطة مثلي ..

وشريكتي أحلام تزوجت مثلي ، وهي مستمرة بإدارة المشغل والمخيطة .. ولدينا عاملات بفضل الله قائمات على العمل على خير ما يرام .. ونحن لا نقصر معهن بالأجرة والمكافآت .. ونتعامل معهنّ بإنسانية يعرفها السيد سميح ، فكانت الفتيات يعتبرنه والدا آخر لهن .. ونحن مصروفنا المنزلي بسيط زوج وزوجة ، وحتى أن تقاعده ترجيته أن يدخره لسعاد وأبنائها ، وأصر على المساهمة ، فسمحت له أن يصرف شيئا بسيطا ، وإلا الثروة التي عندي ماذا أفعل بها ؟.. الحمد لله والمنة لله

واختلط الحديث والذكريات ، وقدمت الحلويات الشهية ، واستمتعت الأسرة بهذه الجلسة النادرة في عائلة رشيد دون مشاجرات ومماحكات ؛ ولعل القلوب صفت بينهم جميعا ، وقدمت لهم أمونة في نهاية الجلسة الهدايا التي أعدتها من الثياب والأقمشة ، لهم ولبنات أم شحام .. كذلك وزعت عليهم المال ، ووضعت في يد والدها خمسين دينارا ، ومثلها لشحام ، وأمه ، مما سمح لهم بذرف الدمع قائلة لرفع الحرج : حلوان السيارة التي في الطريق .. دعواتكم . حتى الأولاد أخذ كل منهم خمسة دنانير وأصرت أمونة على ذلك ، فقال سميح : علينا أن نفتح صفحة بيضاء أيها الكرام ، ولا يبقى بيننا إلا الذكريات البيضاء .وقدم سميح الألعاب بنفسه للأولاد قائلا: هدايا عمكم سميح وحرمه العمة أمونة

وأخذ شحام يد أمونة باكيا مقبلا لها وهو يقول متأثرا بجود أخته: هذه أول مرة منذ وعيت أقبل يد إنسان حتى أبي وأمي . ودعا الله بأن يهبها الذرية الصالحة وقال : أنت خيرنا ، وتستحقين كل الخيرات والبركات.. أمونة أنت أميرة لنا .. زواجك من هذا الرجل الطيب غير نمط حياتنا كلها

غيظ حسونة

كانت الزيارة ليلة الجمعة لذلك لما استيقظ حسونة صباح الجمعة قال لامرأته مفتتحا الكلام: تأخروا الليلة ، طال مقامهم عندها! سأنزل أسمع التفاصيل من أم شحام ؛ لأنها لا تحسن كتم شيء ، لو كان مع عدونا ديان الأعور .

فطرق الباب ، ودخل دون أن يفتح له أحدهم الباب ، ووجد أباه وزوجته يجلسان في الصالة يشربان القهوة ويدخنان ، فسلم وجلس ، وقال: تأخرتم ليلة أمس ، أنا ظننت أنها ستطردكم وتعودون للبكاء والولولة والندم.

قالت سليمة : أختك أميرة !.. الله يزيدها من فضله أكثر وأكثر . وأخذت تسرد على مسامعه احتفاء أمونة بهم ، وما أكلوا وما شربوا وما تحلوا ..وهداياها من الثياب للجميع ، ولبناتها أخوات حسونة اللواتي لم يدخل عليهن منذ تزوجن في يوم عيد أو مناسبة ، وذكرت هداياها المالية ، وزيادة مصروف أبيه ، ومسامحة شحام من أجرة الدار ، وكانت تفصل وتكرر ذلك لتغيظ قلبه ، وتمنت وهي تسرد ما تذكره لو زوجته معه ؛ والتي ما زالت متظاهرة بأنها غضبانة منهم من تلك الليلة التي ضرب فيها زوجها من أخيه الأصغر ، وهي موقنة أن كل ما سيسمعه حسونة سيضعه في أذنها ، وكان حسونة يسمع ويهزّ رأسه ؛ كأنه غير مصدق ، وكان يقاطعها ويلتفت لأبيه ، فيهز رشيد رأسه مؤكدا له صحة ما تقول سليمة ، وأضاف مرة مفتخرا بها على غير العادة : حق أنها جديرة بأن تكون ابنتي! .. أنا الأيام الماضية القريبة عرفت قيمة أمونة في حي أبو خروف كنت أعمى .. عرفت أن لي ذرية نافعة لنفسها وأهلها وللحي .. أخطأت يا حسونة في حقها .. وأنت شقيقها فأمكم واحدة .. وأخطأت في حق زوجها .. أعطتنا مالا ليلة أمس قد يصل لخمسمائة دينار في مجموعه .. حلوان الدار والسيارة التي ستشتريها للسيد .. فعليك بتصحيح خطئك معهم ، والاعتذار لسميح صهرنا العزيز ؛ فإذا لم يصفح عنك الرجل ستبقى أمونة مجافية لك .. البنت مفتونة فيه وتحبه مثل صبية في سن المراهقة

قالت بغيظ : اسكت ، أمونة بنت فهمانة .. وسميح رجل طيب مسالم .. لم يتأفف بكلمة أو

حركة مما أهالته علينا ربما أبوك تضايق من فعلها وكرمها.. وسميح لم يظهر منه غيظ أو لماذا ؟ بل قام بتوزيع الألعاب على الأطفال بنفسه

ونهضت لتغيظه أكثر بإحضار الثياب التي أعطيت لها ولزوجها ولبناتها أخواته وقالت: انظر إلى بذلة أبيك ، ربما تحتاج لثلاثين دينار أو خمسين لتلبس واحدة مثلها

برم شفته متكلما بكلام غير مفهوم وتابعت : وأخذ شحام بذلة مثلها ، ونفس القماش واللون ، وبيتها قصر من القصور التي نراها في التلفزيون هذه الأيام ، أو كما يضرب المثل بقصور ألف ليلة وليلة .. الله يكرمها بالذرية ـ يا عم حسونة ـ لتكمل لها سعادة الدنيا

ـ بس تكون ذرية طيبة ، ليست كذريتي وذرية البهيمة التي عندي

قال رشيد: لماذا الغلط؟! هي عرضك وساترتك

وقالت : حتى أن سميحا سمح لها بتبني أو كفالة طفل ملجأ .. وقريبا سيتقدم لفحص قيادة السيارات ـ وفقها الله تعالى ، وزادها من نعيمه ـ حقيقي كما قال شحام كنا ظالمين البنت دون أن نحسب أن ذلك ظلم .. كانت السعادة ترفرف من وجهها لما رأتنا عندها .. الجاهل عدو نفسه .. أميرة فعلا يا أمونة

تنهد بحسرة لعدم مشاركتهم المصالحة ؛ ليغرف من خيرات شقيقته كما غرفوا ، فخاطب أباه سائلا: ألا تطردني إذا ذهبت إليها ؟

- تطردك ولماذا تطردك ؟ أنت أخوها الشقيق يا محترم ..ستساعدني للذهاب للحج هذه السنة وسيكون الموسم في شهر كانون الثاني مطلع العام الجديد ، وستذهب معنا أم شحام أرأيت ؟! تريد لنا الخير .. هي استأت من أفعالك الصبيانية مع زوجها الطيب اللطيف .. فأحبت أن تبعد عنك حتى لا تخسر زوجها المحترم .. هل تعلم أنها تؤجر الطابق الثاني لرجل كبير في البلد ضابط شرطة .. وزوجته موظفة خارجية .. هم مثل السمن على العسل .. وهو حي الأكابر من علية البلد ..كان ذا تاريخ ، كنا نضرب به المثل قديما ..لو أنك ساكن في حي ٥٣ حي الشجرة .. أذكر أننا كنا نقول ذلك .. وما زالت تقطنه العائلات القديمة تتوارثه .. أنا

وجدت أن العم سلمان يعرف ابنتي أكثر مني .. وصارحني أنها تدفع للجمعية جمعية أم ريان .. واعترفت أمس بذلك .. لها أيدي بيضاء على فقراء أبو خروف .. فهي تقدم المال والملابس الفاضلة عندهم للجمعية

فقال حسونة: كل هذا يطلع من أمونة

– نعم ، هذا ما عرفناه في الأسبوع هذا ؛ لأن بنات سلمان وزوجته أصدقاء لها ، فيعرفون عنها أكثر منا ، وكشفت لنا أن سلمان هو الذي ساعدها ماديا عند شراء المشغل ، لما عرضته صاحبته للبيع ، واليوم المشغل أصبح يبيع لبعض الدول ضمن شركات تعمل في الخياطة

– هذا نحن لم نكن نعرف أمونة حق المعرفة

زعقت أم شحام : هذا هو الصحيح ، نحن لم نكن نهتم إلا بما تعطينا إياه فحسب ، لما نستلم المال آخر الشهر ننسى أمونة حتى يقترب آخر الشهر التالي ، رغم أننا عندما نفتكر جيدا ، فهي لم تكن تقصر معنا في كسوتنا وعيديتنا والإنفاق على البنات وشحام حتى كبروا وتزوجن .. كنت أرى أن ذلك واجب عليها ؛ لأني تزوجت أباها ، وليس كرما وجودا .. أختك سيدة كبيرة وتعرف الأصول ، ولا تنتظر مكافأة منا ؛ لأنها تعرف أننا لا نستطيع ذلك ؛ لأنها هي المعينة لنا وبزواجها من سميح أكدت للجميع أنها إنسانة متواضعة ، لم تقل أنا أملك آلاف الدنانير ، كيف أتزوج من هذا العامل البسيط الفقير الأرمل ؟! بل أحبته بصدق وبحق .. ذكرها أنها امرأة تحب وتحب .. هل تعلم يا حسونة أن الرجل لما طلب يدها منها أولا ؟ عرضت عليه فتيات أخريات يعملن معها .. فأصر عليها دونهن .. فقالت لي: تذكرت أني أنثى ، وقد يطلبني إنسان كزوجة ، كدت أبكي بين يديه ، لولا المقام ، قالت هذا لي ولأم موسى ونحن في المطبخ ولليوم لا تنسى موقفي من زواجها ، مع أنه أمر عادي ، لم يكن له قيمة عندي ؛ ولكنها تعتبره موقفا يتغنى به الشعراء .. كان بغضي لها بحكم زوجة الأب والغيرة بين النساء .. أنت تعلم أني أكبرها بأربع سنوات .. ولا أذكر أني خدمتها بشيء .. اعتبرها جرة مال .. هي تجرني إلى هذه الكلام جرا لتوضيح الموقف .. جزاها الله خيرا هل جزاء الإحسان إلا الإحسان

- أنا كنت أسمع أطراف هذه الحكايات الإنسانية ومساعدة الفقراء ، فأظن أنهم يتحدثون عن أمونة أخرى في أبو خروف

- أختك اشترت الفيلا بخمسة عشر ألف دينار ، وأعادت صيانتها ، وفصل الطابق الثاني عن الأول بحوالي خمسة آلاف دينار .. وابن خالك المهندس محمد أشرف على الفصل .. وكتبت البيت باسم زوجها .. فحبها كبير للرجل .. فرتب أمورك واعقل ، واذهب وصالحها ؛ لعلك تحظى برضاهم ، وتزوج ابنك لما يخرج من السجن .. يكفيه همالة وفسق .. فنحن نغرف من بحر خيرها ومالها !

❋ ❋ ❋

صعد حسونة لشقته بعد الذي سمعه من امرأة أبيه عن شقيقته من الثناء والمدح ، ولما سكبت له القهوة أشعل سيجارته فقالت : عدت سريعا

ضحك من استهزائها ورد : لي أكثر من ساعة أسمع المديح على أخت حسونة .. كنت تحتا أطمئن على زيارة القوم لأمونة .. لقد عادوا بالبذلات والثياب الصغير قبل الكبير ، والمال والوعود ..عادوا من الجنة من قصر الست أمونة

حدقت فيه سائلة : ماذا قالوا ؟

- أوه! أوه ! يا امرأة شقيق امونة ! فواكه طازجة .. عصير أشكال وألوان .. ملابس فلوس .. تريد أن تحج وزوجها وأبوها وامرأة أبيها على حسابها نهاية هذا العام

وأخذ يردد ما علق في ذهنه من صفة زيارتهم لأمونة ، وعن ندمهم وتقصيرهم في حقها ، والاهتمام بها قبل زواجها .. اكتشفوا أنهم كانوا على خطأ، وقد اشترت منزلا بخمسة عشرة ألف من الدنانير .. أمونة تملك هذا الكنز .. وأصبح جيرانها رجال الأمن ، وزوجته موظفة وزارة خارجية ، وأخبرها أن سميحا تعلم السواقة ، وسيتقدم للفحص لتشتري له سيارة .. واكتشفوا أنها تدعم جمعية البر سرا وخفية

قالت مؤكدة: هذا سمعته من بعض النسوة اللواتي يترددن عليّ ، ولم أكن أصدق ذلك .. قلت

لهنّ هي تعطينا قرشين بالعافية

- إنها تتبرع لهم شهريا بالمال ، والملابس في المناسبات كعيد الفطر والأضحى ، وعند فتح المدارس ، وربطتهم بعدد من الشركات والمصانع يتبرعون بالزوائد

- معقول كل هذا يطلع من أمونة

- أجل

- نحن لم نكن نجلس معها يا حسونة كلمة على الباب والسلام

قال : الحق نحن من ناحية التقصير قصرنا وأهملناها من حياتنا ، ولم نكن نعترف بها ، لم نكن نعتبرها كائنا حيا يعيش بيننا ، مع إحسانها المتكرر كانت تساعد في كسوة حلمي حتى كبر ، للأسف لم نقدر لها هذا التعاون والعطف .. كنا مثل أم شحام .. لقد نصحتني كثيرا بالاهتمام بالولد .. فأرد عليها خليه يعيش كيفما أحب، فحكايات الناس في الحي تزكم الأنوف حتى صرنا نخشى حياته معنا .. حتى صرنا نخشى العيش معه .. الزمن لا يعود لا يرجع

قالت: اللعين مرة أحضر فتاة إلى هنا وقال : هذه جوعى إنها تريد أن تأكل لحما ، فحاولت طردها ، فأبت حتى أكلت دجاجة ، ثم خرجا .. فقد خشيت أن يجن ويعاشرها في الدار .. ولما خرجوا رآه شحام فقال : لماذا جلبت هذه الساقطة للعمارة ؟! ثم ضربه أمام البنت ، ومسح فيه الأرض ، وبصق على البنت ، وشتمها دون خجل

- أول مرة تقولين ذلك

- حكايات كثيرة لم تسمع بها .. هو أنت صاحي

- لكني ـ كما وعدت ـ بدأت أخفف ، لم أعد مثل قبل أسبوع

قالت بألم : أنا صحتي تتدهور .. خففت منه كثيرا رغم أنفي ، وصرت أدخن علبة واحدة .. متى ستزور أمونة ؟ لابد من رؤية الجنة

- عندما نشتري هدية ملائمة للصلح ، ولدخول الجنة .. سنأخذ العنوان من شحام اللعين .. يبدو أنهم خارج العمارة .. سمعت أمه تقول : إن حماه مريض دخل المستشفى

- آ ، من أجل ذلك لا صوت للأولاد

- كأنه أوصل أمه وأباه ، وذهب لبيت حماته ، لم يبت في الدار .. فكري يا سيدتي بهدية تسهل دخول جنة أمونة .. أختي العزيزة ..أختي الكنز .. كنز علاء الدين

- قبل أن أفكر بالهدية الغالية للغالية تحدث معي عادل شقيقي ..

وأعلمني أن حلميا الأسبوع القادم سيخرج من السجن

- الأسبوع القادم !

- نعم ، وهم مصرون على عدم استقباله ، ويرفضون عودته للحياة عندهم ، فمغامراته النسائية زادت عن حدها ،وشاعت ، وهو متضايق منه جدا ، ويطلب منا أن نستقبله في بيتنا ، وليس أمامنا إلا ذلك

- في الشركة قد فصلوه ؛ ولكن المهندس شاكرا وعد بعودته ، فهو يقول عنه : حمار شغل ؛ لكنه أمام البغايا والشراب أرنب بري ضعيف .. ألا نستطيع إقناعه بالزواج ؟

- عمره ثلاث وعشرون سنة ليس صغيرا .. يرفض تحمل المسؤولية .. لو شحام لم يأخذ بيت أمونة لزوجناه فيه .. وتكفلنا بالصرف على امرأته حتى يصير محترما

- شعاره لماذا أتحمل مسؤولية امرأة؟! وهو يجد بنات الهوى في شوارع المدينة، إني في عجز كامل أمام جنونه

- الحل عند رب العباد ، سنرحب به ، ونعمل معه اتفاقا

حسونة في بيت أمونة

أنا اعتذر إليك يا سيد سميح ، أسأت إليك ، الخمر ملعونة .. سامحني أيها الرجل الطيب ، هات يدك أقبلها . هكذا قدم حسونة نفسه لزوج شقيقته .

سحب سميح يده من يد حسونة وقال: استغفر الله .. أنت تظل صهري ونسيبي وشقيق أمونة الغالية سامحتك . والتفت لزوجة حسونة مرحبا دون مصافحة باليد فهو لا يصافح الأجنبيات شرعا : أهلا بالسيدة الفاضلة

ردت فقالت: نحن فعلا آسفين جدا يا أبا سعاد ..ونعتذر منك يا أخت أمونة

قالت أمونة بعتب ضعيف: حصل خير .. وهذا الخير الذي يغمرنا اليوم بسبب لسان حسونة الأخ الشقيق الوحيد لي ، الذي يجب أن أشد أزري به ؛ ولكن أقول قدر الله وما شاء فعل .. وأنا قلبي أبيض .. وكذلك سميح .. رجل وهبني الحياة بعد أن كنت مجرد جسم .. أبو سعاد قلبه أبيض مثل قلبي ..لا نعرف الحقد والبغض تفضلوا بالجلوس

عاد حسونة يعتذر للجميع ، ثم قال : سامحني يا أبا سعاد تعلقي بالشراب أفقدني الصواب فأنت سترت عرضي ـ ستر الله عليك ـ والمائة دينار التي أخذتها منك سأسددها ؛ لكن الحال اليوم لا يسر صديق ولا عدو

قالت أمونة : أنس أمر المائة .. السيد سميح سامحك منها لما رأى عجزك عن تسديدها .. فاعتبرها غير موجودة

وأكد سميح هذا الكلام وزاد: أنس أمرها .. فنحن أهل .. الله يوسعك عليك ويخلصك من الشراب ويتوب عليك

قال حسونة: الحمد لله رب العالمين .. لي أيام قد بدأت أخفف منها لأتخلص منها نهائيا .. لا نشرب إلا كل يومين أو ثلاثة كأسا صغيرا ؛ لأنه يصعب الخلاص منها فجأة

قالت أمونة مظهرة فرحها : خبر جميل ! ورويدا رويدا ستنساها ، وتتحسن صحتكم .. الخمر كما هو معلوم شرعا أم الخبائث والشرور .. والعزيمة والإرادة تحقق كل شيء .. قد تصاب

بفترات ضعف لكن اصبر وعد لصوابك .. وبعد شهور سترى ثمرات الإرادة والعزم .. وأدعو الله أن يساعدكم على التخلص منهما الخمر والسجائر .. هناك عيادات صحية لديها برنامج تأهيل للتخلص من الخمور والمخدرات .. وأنا على استعداد لمساعدتكم ودفع تكاليف العلاج إذا صممتم فعلا على الخلاص منهما

فقال حسونة مستنجدا : ساعديني لتحقيق ذلك يا أمونة .. صدقي أني احتقر نفسي ، وأنا أسير هذه العادات القبيحة ، ثم تغلبني الشهوة والضعف البشري . ثم ذكر لهم قصة الشيخ الذي تعلم وإياه الخمر ، وهما شابان صغيران ، وكيف تاب صاحبه ، وصارا شيخا

فعلق سميح على القصة فقال : تستطيع أن تكون مثله بالتوبة والندم بين يدي الرب عز وجل وبالصلاة والصوم .. وها هي الأخت الفاضلة ستساعدكم في مراجعة عيادات هذا النوع من العلاج العيادات المتخصصة في معالجة الإدمان على الشراب وغيره .. المهم كما قالت أمونة العزيمة والإرادة

قالت أم حلمي: كلما أذهب للعيادة سواء الخاصة في شوارع أبو خروف أم عيادة صحة الحكومة .. كلهم علاجك وشفاؤك بترك الكحول .. وهن الجسم لم يعتد يحتمل .. فأنا بدأت أقلل منه قبل حسونة .. وتركت الأصناف القوية إلى أصناف قليلة في نسبة الكحول ـ وإن شاء الله ـ نتمكن من التخلص من العادات السيئة ، ونتخلص منه نهائيا

كانت الفواكه موضوعة أمامهم ، ويقضمونها خلال هذا الكلام ، فكانت الأفواه تأكل وتتكلم أو تسمع ، وقدم العصير والحلوى ، وعاد الوئام خلال هذا اللقاء ، ووعدت بزيارتهم قريبا عندما يحصل سميح على الرخصة الخاصة بقيادة السيارات ، وستكون أول زيارة بسيارتهم الخاصة لحي أبو خروف ، وذكرت أنها تفكر بعمل وليمة كبيرة للعائلة في بيت الوالد .. ولما سئل عن ولده قال بامتعاض: سيخرج غداً أو بعد غد .. وأخواله يرفضون عودته للعيش عند جدته.. وسيعود للحياة معنا .. ونعود لمشاكل زمان

فقالت أمونة مستفهمة: لا يندم الإنسان في السجن ألا يهتم لفقد حريته؟ لا يتحسن حاله

قال حسونة متذكرا الحبس وآثاره : أنا مرة واحدة حبست ، لبثت في سجن المركز الأمني حتى تصالح أبي مع أهل الولد الذي اعتديت عليه بسكين صغير .. بعدها تبت ، ولم أعد أحمل موسا في قميصي ، أو حتى آلة حادة .. عند المشاجرة لا يسيطر الإنسان على نفسه .. وكيف سنقومه بعد هذه السنوات من الطباع القبيحة؟!

نظرت أمونة باسمة إلى امرأة أخيها وقالت: لابد أن أم حلمي تذكر كم مرة نبهتها لسوء سلوكيات ابنها نحو فتيات المدرسة والشارع ومعاكسته لهن دون حياء ؛ ولكن اليوم لا ينفع الندم .. ووسائل الانحراف تزداد .. وبنات اليوم سافرات ، ويتسكعن في الشوارع من غير رادع ببنطالات وأقمصة تكشف الأذرع .. أصلح الله شباب وبنات الأمة

قال سميح: وشباب المساجد يملئون المساجد بفضل الله

بعد يومين من تصالح حسونة مع شقيقته وزوجها سميح في ساعة المساء خرج حلمي حسونة من بوابة السجن ، بعد قضائه فيه مدة تتراوح بين ثلاثة أشهر وأربعة حاملا ملابسه وحاجياته فلما أفرج عنه ، ولم يجد أحدا في استقباله كظم غيظه ، وركب سيارة انطلقت به حيث غرفته عند جدته ، ولم يدخل مسلما عليها ؛ لأنه وجد بعض أخواله في انتظاره أمام البيت ، وأبلغوه قرار طرده من الغرفة التي فتحت له ، فسب وشتم وأخرج أولاد أخواله أغراضه وأشياءه من الحجرة بسرعة ، وأشار أحدهم إلى سيارة { بيك آب} ، ووضعوها فيها مع ما أحضره من السجن ، وبصق عليهم ساخطا ، ولم يكترثوا لفعله ، وسمع أحدهم يقول: أنت رجل فاسد ، لا مقام لك عندنا ، جئنا بك لتصلح حالك ، فازددت فسادا .. فأبوك أولى فيك .. وأحسن إلى أمك التي لو أنجبت تيسا أو بغلا لعاملها بالحسنى

ولما وصل أبو خروف ، كانت أمه على الشباك ترقب وصوله ، فقد أخبرها أحد أخوتها بخروجه وأنه في الطريق إليها ، وقفت السيارة أمام منزل رشيد ، ولما أنزل حاجاته من السيارة صاح فيها: هات إيجار السيارة يا بنت ...

ونزل حسونة ودفع للسائق أجرته ، ثم سلم قائلا: الحمد لله على السلامة

وأمسك بحقيبة ليصعد بها عندما خرج شحام من بيت والدته للشارع وقال: أهلا وسهلا بالبطل .. الحمد لله على السلامة يا عم .. ألست عمك ؟!

حاول مصافحته ؛ ولكن الشاب الغاضب لم يمد يده تجاهله وقال محذرا: اسمع أنت لست عمي أنت عدوي .. السلامة التي منك لا أريدها . ورفع رأسه حيث تقف أمه صائحا: أنزلي هذه الأغراض تحتاج لرفع .. وأنت يا سيد حسونة هات خمسة دنانير ، سأصل وسط المدينة لي سنون لم أرها .

– اخرج للبيت أولا ، وبعد أن تستريح تذهب إلى جهنم الحمرا

– ظمآن يا عالم .. لا أريد أن اصعد هات . ومد يد على طولها ينتظر الدنانير الخمسة

قال شحام زاجرا : تأدب يا ولد مع أبيك ، واصعد معه واغتسل وتعشى ، ثم اذهب للسم الهاري

صاح حلمي في عمه: أنت لا تتكلم معي .. انصرف لبيتك

ضحك شحام وقال: بيتي صار هنا جارك .. عدت إلى هنا سكنت شقة أمونة

تطلع في عيني أبيه الذي قال: نعم ، عمك سكن في شقة عمتك أمونة .. أمونة اشترت دارا ورحلت إليها .. وعمك استأجر الشقة منها

فصاح محتجا: عدنا لعهد الوصاية !

تناول حسونة ورقة بخمسة دنانير صائحا في ولده : خذ هذه الخمسة ، ولعمرك دخلت

خطفها من يد أبيه وقال بحدة : ادخلوها البيت ـ العفش ـ إني أكرهكم ! متى تموتون وادفنكم وارتاح منكم ؟!

استدار شحام عائدا لبيت الوالد ، وجاءت أمه تساعد زوجها في رفع الفرشة والحقائب ، وكان الشاب قد اختفى ، ولم ينتظر حتى يسلم عليها ، وقام أولاد شحام بمساعدة عمهم حسونة بنقل أغراضه لشقة عمهم.

ولما انتهت عملية رفع أغراض حلمي أغلق حسونة الباب دون توجيه كلمة شكر للأولاد

وقال للمرأة التي كانت تلهث من رفع حقيبة واحدة : عدنا للمشاكل ، ماذا سنعمل ؟ إلى أين سأرحل ؟!

- إذا ظلت حياته هنا للأكل والشرب فلا حرج نتحمل .. الله يعيننا ، أما إذا حاول العودة لحركاته القديمة ، فعلينا أن نجد حلا لفجوره وضياعه وجنونه

- هل أعدت تجهيز حجرته؟

قالت: نحن أصلا لم نغير فيها شيئا .. السرير على حاله .. والخزانة مكانها .. غسلت ملاءات السرير والمخدة .. الله يصلحه

- المهم أن يقبل أصحاب الشركة عودته للشغل

- هو يدبر أمر نفسه لا تهتم ، سيجد عشرات الشركات يعمل فيها .. لا تزعج نفسك في شغله

- أنا لا أملك فلوسا ليلعب بها .. أنا لا أطيق ذلك

- اطلب له مساعدة من أمونة

- ذهبنا نتصالح معها لتقول فعلنا ذلك من أجل مساعدته والإنفاق عليه.. أمونة لو تعلم أن مساعدتها ستذهب في فائدة ، وليس وراء الخمر والنساء لفعلت بدون أن يطلب منها أحد وهي مستعدة للمساعدة في زواجه .. هي قالت مثل ذلك ونحن نودعها

- عندما يعود سنتناقش حول مسالة العمل ، هو رجل عمره قريب من الربع قرن ، وهو منذ ترك العلم وهو يعمل

- لم يوفر ويدخر قرشا ليومه الأسود

- وهل أنت وفرت قبله؟

- أنا أصرف على عيلة

- عيلة ! يا ظالم .. أنا فقط ! أين العيلة يا رجل؟ أبي كان ينفق على عشرة أنفار

الموت

لم يرجع حلمي تلك الليلة للبيت إلا عند الفجر ، لقد قضاها في خمارة ، فهو له شهور محروم منها ؛ لذلك ظل يسكر حتى ظهر الفجر ، فركب تكسي إلى أبو خروف ، الناس تسير إلى المساجد وهو عائد من الخمارة ، فلما ترك السيارة كان يترنح يمنة ويسرة ، فقد شرب حتى الثمالة كما يقال ، فتركه السائق يهذي ويسب ويلعن ، وكان يشتم عمه شحاما الذي كان خارجا من البيت إلى صلاة الفجر فقال ضحكا: حتى وهو سكران يكرهني .. غفرانك يا رب . لم يتحدث معه تركه يصعد ثملا الدرج ، وتابع مشيه اتجاه بيت الله ، وقد سمعه يطرق الباب على حسونة وهو يصرخ : افتحوا يا ملاعين .. افتحوا يا خائفون .. افتحوا يا مجرمون

ففتح حسونة وسحبه إلى غرفته ، وطرحه على سريره ، وأغلق الباب عليه ، وهو يتعوذ من الشيطان الرجيم ومن حلمي

ولما رجع حسونة من عمله وجده ما زال طريح الفراش ، وقالت زوجته : لم يستيقظ بعد .. يبدو أنه شرب كل محتويات الخمارة

ومع ساعات الليل استيقظ ، ودخل دورة المياه ، وطلب إبريق قهوة ، وهو يقول : صداع شديد في رأسي هاتوا قهوة

قال حسونة مخاطبا لابنه : المهندس شاكر يقول إنه سيسمح لك بالعودة للشغل على شرط أن لا تغادر موقع العمل ، لا تذهب لمكاتب الشركة والإدارة

ضحك عاليا وقال : ومن قال لك إنني سأعمل معهم مع هؤلاء الكلاب

قال حسونة: هل وجدت شركة غيرها؟

- لا أريد الشغل ، سأقعد في البيت

- ومن سيصرف عليك ؟!

- أنت .

- أنا!.. أنت مجنون .. أنا أعطيتك الدنانير أمس ؛ لأننا في الشارع ؛ وأنت قادم من السجن ،

ولا أحب الخصام

جاءت القهوة ،وقالت له أمه: اشرب . أتريد أن تأكل ؟

- لا ، سأعود للخمارة .. السجن حرمني منها .. طول المدة منعوني من شرب العسل .. هاتوا خمسة

صاح حسونة: لن أدفع .. اشتغل وأصرف واسكر

وقالت أمه: أنا لا أملك فلسا واحدا ..أدفعها للأطباء والأدوية

صرخ فيهما: سأفتش البيت

فقال حسونة: إياك أن تدخل غرفة نومنا

- لما اشتغل أسددها

قال حسونة : يا ما سددت !.. ألزم حدك

- هل تريد أن أصير حراميا وسراقا ؟

- إن شاء الله تصير سفاحا .. اعمل واسكر

شرب الكوب الكبير وسكب آخر وقال : ما هذه القهوة ؟ كأنها رمل صحراء السجن .. كيف تشربونها؟

قالت أمه :هذا الموجود ..أتريد أن اسخن لك الطبيخ ؟

- ماذا طبخت اليوم ؟

- دجاج وأرز من أجل حضرتك ، يبدو أنك شربت الخمارة كلها ليلة أمس

- لي شهور لم أذقها ، لا تباع في السجن ، أسوا ما فيه الحرمان منها ومن المحبوبات

قالت : جدك سأل عنك انزل سلم عليه

- هو أنا لي جد

قال حسونة: لك جد وامرأة جد .. بعد العشاء انزل تحدث معهم بضع دقائق

- عمتي تركت البيت للعين .. ما أخبارها أين استقرت؟

قالت أمه: عمتك أميرة اليوم ..وتعيش في قصر .. وتجاور كبار الضباط ووزارة الخارجية

- لم أفهم

شرحت له أمه حال أمونة فقال: هذا العز .. أحسن واحدة في هذه العيلة .. أنا قابلت زوجها في المقهى قبل دخولي الحبس عدة مرات .. إنسان محترم وهادئ يستاهل كل هذا النعيم

- ماذا ذهبت تفعل في المقهى؟

- قابلت بعض الأصحاب، وأنا لي أصدقاء في أبو خروف ، فصاحبي برعم من سكان الحي

ضحك حسونة وقال ساخرا : برعم ، نعم الصاحب

- تسخر منه .. الوحيد الذي زارني في السجن أكثر من مرة .. أنتم ولا مرة ؛ كأنني ابن الشيطان

+=+=+=

لا يذهب حلمي للعمل في النهار ، ويذهب في الليل للخمار ـ بلدان المسلمين اليوم تباع فيها الخمور علنا جهارا نهارا بحكم القانون الوضعي ، وترخص محلات ومتاجر بيعها ـ ويعود مع الفجر مترعا من المسكر والكحول ، ويستيقظ مع المساء قبل غروب الشمس بوقت يسير ، يشرب إبريقا من القهوة ، ويأكل الطعام ، ويأخذ خمسة دنانير ، واستمر على هذا الحال خمس ليال ، وفي هذه الليلة رفض حسونة تقديم خمسة دنانير صائحا: أنت لم تعد تستحي .. الضيافة عند العرب ثالثة أيام وثلث

وقبل أن يكمل والده العائد من الشغل تعليقه على ضيافة العرب ، رماه ولده بصحن الطبيخ الذي كان يأكل منه ، وقال بغضب وصوت أجش : دعني من ضيافة العرب .. هات خمسة .. أما قلت لكم فلن اشتغل ،وأن عليك أن تنفق عليّ

هاج حسونة وقال بحدة : ترمي الصحن عليّ يا لعين

فقذفه بإبريق القهوة دون تردد وقال: خمسة

فصاحت أمه محتدة: هذا فعل شيطان .. اخرج من الدار يا قليل الحياء .. نام في الشوارع

ذهب حسونة بعد أن لوثته القهوة إلى غرفة نومه ، وعاد يحمل مسدسا يملكه ، وهو يصيح

ساخطا: اخرج من البيت .. لا تعد إلينا يا سقط الرجال .. يا جبان

قهقهه حلمي وهو يقف بتحد لأبيه: أتخوفني بمسدسك ؟! أنا لا أخاف من مدفعك .. اضرب كأنك راجل قدّ المسدس ..اضغط على الزناد

سحب حسونة أقسام المسدس ، ووضع يده على الزناد ،وقال صائحا: لا تتقدم .. اخرج

قالت المرأة وقد رأت الغضب والنار في وجه زوجها: حسونة أرجوك اهدأ اهدأ .. اعد صمام الأمان ..حلمي اخز الشيطان .. واخرج

تقدم الشاب خطوات تجاه أبيه وهو يصيح: اضرب يا جبان ! اقتلني يا أبي!.. يا قاتل .. يا سكير أنت سكير مثلي

صاح الأب بهياج وجنون : اخرج يا ملعون ! .. يبدو أنك لست من صلبي .. هل من أحد يعرف أباه ؟! أهذا مني يا ... ؟

صعقت المرأة للاتهام ، ولم ترد امتقع وجهها سوادا ، وتابع الشاب تقدمه نحو أبيه ، وأصبحت المسافة بينهما أقل من مترين والشاب يصيح : اضرب يا جبان!

خرجت الطلقة ، وأصابت صدر حلمي ، فصاح الشاب: اضرب يا جبان اضرب!

وكان يتقدم فانطلقت أخرى ترنح الشاب ـ والمرأة تصرخ بصوت عال ـ وقع الشاب على الأرض مع الطلقة الثالثة

وصل شحام تتبعه زوجته ، ودفع الباب وهو يصيح : ماذا هناك مالك تصرخيـ...؟ توقف عن إكمال الجملة رأى الشاب أرضا ، يتدرج بدمه ، وحسونة يرفع مسدسه ، فصاح: حسونة ماذا فعلت يا مجنون؟! دع المسدس ، أرمه أرضا أرمه أرضا . أشار لامرأته أن تذهب وتتصل بالإسعاف الفوري ، فخرجت المرأة مسرعة ، وكان رشيد وزوجته يقتحمون الباب يتساءلون عن سبب الصراخ الذي سكت مع دخول شحام ، وقال رشيد باضطراب : ما هذا الرصاص نظر إليهم الشاب المرمي بالرصاص : قتلني الجبان ! أصبحت الآن بطلا يا حسونة !.. قتلني زوجك يا أمي ، أهذا أبي؟! أهذا أبي؟! ويمد إصبعه نحوه

اتجهت نحوه وقالت بصوت هامس: هو ليس أباك .. مت مستريحا .. أبوك عقيم لا ينجب .. كان لابد من وجودك بيننا ؛ لتدوم الحياة بيننا ؛ ليدوم زواجنا .. مت مستريحا يا حلمي

صاح حسونة وقد سمع همس زوجه: يا الهي! لماذا فعلت ذلك؟!

- ألست تريد ولدا يا حسونة ؟ .. إلى الأطباء.. إلى الأطباء .. وأنت لا تريد أن تفحص نفسك أنسيت ذلك ؟! .. جعلتني أنا العاقر ..والتهديد بالطلاق إن لم ألد لك .. لا تريد أن تصدق أنك عقيم ..لا تنجب .. فجاء الولد

أطلق حسونة على نفسه الرصاصات الباقيات في مخزن المسدس أمام دهشة الجميع وقال : الموت أشرف من السجن .

حضرت سيارات الإسعاف والشرطة ، ثم حضر رجال التحقيق ، ونقل حسونة وحلمي إلى المستشفيات ، فلم يمت حلمي ، فكانت الرصاصات بعيدة عن القلب ، أصابت إحداها البطن وطرف الكبد ، مات حسونة ؛ لأنه أطلق الرصاص على جمجمته ، ففارق الحياة قبل الوصول للمستشفى قاتلا لنفسه ، وعاش من كان يظنه ابنه عليلا ، ولما خرج من المستشفى رحلت أمه لتعيش عند أمها ، واشترت أمونة حصتها وحصة ابنها من ميراث شقة حسونة ؛ لأن حلميا يعتبر ابنا شرعيا حسب القانون ، واختفى حسونة رشيد من أبو خروف ، وقصته ما زالت تتردد على الألسن والآذان حتى تيسر لنا سماعها وكتابتها حبرا على ورق ، وقبلت أمونة بمجيء إحدى أخواتها للعيش في شقة حسونة بعد دهانها والتخلص من عفش حسونة .. والحزن له نهاية ، ومع الأيام يذوب ، ويصبح المحزون عليه مجرد ذكريات .. وتلاشى الحادث من أذهانهم قبل موسم الحج ، الذي كان في أول عام ١٩٧٣ ، وسافروا للحج .. أمونة وزوجها سميح ، ووالدها رشيد وامرأته سليمة

الحج

كانت رحلة الحج رغم مشقتها على كبار السن ، والمرضى ، والذين يعانون من السمنة متعبة ؛ ولكن الأجر على قدر المشقة في هذه الحال ، وكان الحج بالنسبة لسميح قبل زواجه من أمونة حلما صعبا يتراءى له كالخيال ؛ للتكاليف المادية المرتفعة لرحلة الحج ، ولما يريد الله عز وجل شيئا يسهله ويهونه وييسره ، فهو رزق زوجة طيبة ، وبيتا واسعا، ورحلة حج إلى بيت الله العتيق وقد تستغرق الرحلة بالحافلات ثلاثة أسابيع ؛ لأنهم سيقضون جزءا منها في المدينة المنورة ، ثم العودة ، ورغم التعب والمشقة ، فقد غسلت ذنوبهم ورجعوا كما ولدتهم أمهاتهم كما أخبر الحديث { ١}

والحج كما هو معلوم فرض وركن من أركان الدين ، مرة واحدة في العمر ، وقد بذلت أمونة المال بسخاء ؛ لينال القوم الراحة قدر الإمكان ، والمشقة في موسم كهذا واردة ، وتتفاوت من شخص لآخر

ومن عادة أهالي أبو خروف عندما يقرب ميعاد عودة الحجيج من بلاد الحجاز تزيين البيوت ، ومداخل البيوت والعمارات بالأشجار والأغصان ، والأنوار الكهربائية المستخدمة للزينة ، فأنت تعلم من رؤيتها أن في هذا البيت أو العمارة حاجا قادما .. فزين شحام وأولاده مدخل العمارة ، ومدخل بيت والده وأمه بالرايات وأغصان الشجر ، وغمازات الكهرباء ، وفعل على مدخل أمونة مثل ذلك

ولما يحتفل المسلمون بعيد الأضحى يبدأ الحجيج بإنهاء موسم الحج برمي الجمرات والمبيت بمنى ، وكلفت أمونة قبل سفرهم لمكة أم ريان بذبح ثلاث أضاحي ، وتوزيع أكثرها على فقراء أبو خروف ، وإهداء سعاد جزء منها، وقدمت للجمعية كما تفعل كل سنة المال

{ ١}- عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ حَجَّ للهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّه

واللباس واللحم ، وفي اليوم الثالث من أيام العيد تبدأ وفود الحجيج بمغادرة الديار المقدسة ، حسب وسائط نقلهم ، والعودة قد تأخذ يوم لأهل الشام ، وربما تزيد بضع ساعات بسبب الحافلات ونوعها وقوتها وصلاحها لمثل هذه ا الرحلات الطويلة ، وفي آخر أيام العيد ذهب شحام في المساء إلى حيث تجمع حجاج الشركة التي سافر فيها أهله ، ومع الغروب بدأت تصل حافلات الشركة ، ووصلت حافلة والديه ، وأفرغت حمولة الباصات من الأشياء ، والهدايا ، والتمر الحجازي ، وماء زمزم الذي يحرص الحجاج على الإتيان به لسقي ضيوفهم منه ؛ لبركته وذكرى إسماعيل وأمه هاجر ، وتعانق شحام مع الجميع .. الحجاج الأربعة ، ودعا لهم بالقبول وكانت أمونة قد تركت سيارتها عند خالها بكر ، ولما وصل بكر وسلم وبارك ، رفعت الحمولات إلى السيارتين ، وانصرف كلٌ إلى وجهته على أمل اللقاء القريب ، وكانت أمونة تقول لخالها بكر: ما أروع الحج يا خالي ! أنت جربته مع أم محمد

– نعم ، أكرمنا الله بهذه النعمة قبل سنوات ، بعدما تقاعدت من خدمة الوزارة ـ الحمد لله على سلامتكم ـ المهم أن تحفظوا وتحافظوا على المكتسبات التي كسبتموها من هذه الرحلة الإيمانية الغالية .. لقد غسلتم ذنوبكم بفضل الله .

ونختم هذه الحكاية من حكايات أبو خروف بعودة القوم من البلد الحرام مكة المكرمة ، وقد أدوا ركنا عظيما من أركان الإسلام ، ونتمنى لكم ذلك من قلوبنا .

تمـت الحكاية الثانية



كان شريكهم في علاج مرضى عيادة الصحة

لم يرق لهم انسحابه فشنوا عليه حرب إشاعات

حتى رفضته العروس الجديدة

ثم كان الزواج والصلح مع الأهل

حينئذ عرف الناس لماذا عاش بينهم كل هذه السنوات ؟

إنه طبيب أبو خروف راشد .

ج.ح

طبيب
أبو خروف

١٩٧٢

عيادة الصحة

حكايات أبو خروف كثيرة ، لكل إنسان حكاية وقصة ، وأنا كاتب هذه الحكايات اختار ما أراه مناسبا لي ولكم للعظة والتسلية ، هذه حكايات حدثت ما بين ١٩٧٠الى١٩٨٠ من سبعينيات القرن العشرين لنبدأ هذه القصة من العيادة الشعبية التابعة لوزارة الصحة في مدينة دار السلام ، تنشر الحكومات عيادات ومراكز صحة في أحياء البلاد ومدنها وأريافها ؛ لتقديم الخدمة الأولية للمرضى ؛ ولتخفيف الضغط عن المستشفيات التابعة لوزارة الصحة العامة ؛ ولتوفير الخدمة الطبية للناس قرب تجمعاتهم ، وقد تحظى عدة أحياء في مركز صحي واحد ، فكان من حظ أبو خروف وجود عيادة شعبية فيه ، وهي في مطلع شارع السالم غربي أبو خروف قرب مدرسة البنات الأساسية ، وهي مرتبطة بعيادة أكبر تقع في حي النجمة الحي الذي يسبق حي أبو خروف ، فتقدم الإسعاف الأولي للمصابين والمرضى ، ومن يحتاج إلى علاج أكبر يحول إلى مستشفى دار السلام الكبير في مركز العاصمة ووسطها أو يحول لعيادة النجمة أو الهدى ، وبعض المرضى يذهب مباشرة لأحدهما ، ومع ذلك فصحة أبو خروف تعمل بهمة ونشاط ، وتهتم برعاية أمراض النساء والحوامل والشيخوخة ، تتكون العيادة من طابقين صيدلية ومكتب محاسبة وعيادات طب عام وغرفة فحص وغيار طوارئ ومختبر صغير والمختبر الأكبر في عيادة الهدى ، وأخصائي نساء وأخصائية نساء ورعاية حوامل وتنظيم الأسرة ، وطبيب نفسي اجتماعي ، وموظف المختبر يأخذ العينات يوميا ويذهب بها لمختبر عيادة النجمة ، فله ساعة معينة للمغادرة ، والنتائج تظهر في اليوم التالي ، وتقدم للطبيب العام ، ويقرر صرف المريض لعيادة النجمة أم لا ، أو المستشفى العام .. في العاشرة والنصف يغادر موظف المختبر بالعينيات ، الكسر والعظام يحول فورا إلى عيادة النجمة والهدى أو المستشفى .. باختصار العيادة الشعبية نقطة وصل بين المواطن في أبو خروف وعيادة النجمة ؛ للتخفيف من الضغط على المستشفيات والمراكز الكبيرة ، لأن بعض الأمراض تحتاج لعلاج بسيط ، وكذلك مراقبة ومتابعة النساء الحوامل وصرف بعض الأدوية لهن ، وفي العيادة الشعبية موظف السجل

لتسجيل أسماء المراجعين وتوزيعهم على الأطباء الموجودين ، وغريب باسل ونهى عادل أسماء موظفي السجل الطبي ، وصيدلي واحد اسمه أمجد عبد الظاهر ، وعند غيابه في إجازة تأتي فتاة من صيدلية النجمة ؛ لتقوم بعمله .. وللعيادة مديرة اسمها عبلة حسن طبيبة نساء ، وللعيادة خادمة واحدة وبواب واحد .

وكما بيننا رغم صغر العيادة يتوافد إليها أغلب مرضى أبو خروف ، والخدمة الأهم تقدم للنساء ؛ لذلك الكثير من المراجعين يعرضون على أطباء العيادة إذا كانت أمراضهم مجرد أمراض شائعة مثل الرشح الأنفلونزا ، يصرف لهم الدواء البسيط للالتهابات الحلقية وأدوية السعال ، غز إبرة تشخيص مرض ، وإذا احتاج المراجع للأخصائي باطني عظام جلد يحول إلى مركز الهدى في حي النجمة ، وهناك دراسات قد تتحول فيها العيادة الشعبية إلى مركز صحي كبير مثل الهدى هذا هو واقع العيادة الصحية الشعبية في الحي ، عند العاشرة يسمح للموظفين بفترة استراحة لمدة ثلث ساعة لشرب الشاي أو غيره ، وأكل شيء خفيف، فيوجد في العيادة غرفة صغيرة لصنع الشاي والقهوة للموظفين على نفقتهم الخاصة ، أما الأكل فيشترى من المطاعم القريبة بواسطة الفراش أو الخادمة أو موظف ، وأغلب موظفي العيادة يدخنون ماركات دخان متعددة وكلها مصنوعة من مادة التبغ ، مع معرفتهم أنه ضار بصحة الإنسان، ولذلك تجد لوحات على الجدران منتشرة في العيادة تحذر الناس من خطر التدخين ، ومنعه في الأماكن العامة حتى لا يتضرر غير المدخنين .

دخل الصيدلي أمجد عبد الظاهر على كاتب السجل غريب باسل عندما غادرته زميلته نهى عادل وقال بصوت منخفض : انتهى شهر حزيران ولم نقبض شيئا ما الأمر ؟!

- لم أقبض شيئا بعد ، عملت جولة على صيدليات أبو خروف

والكل يؤجل إلى عشرة الشهر ..لا أدري ما السر في عشرة الشهر ؟! واليوم سأمر على الدكتور راشد ، فله شهران لا يدفع نصيبنا

- شهران ، ولماذا يعجز عن الدفع ؟!

– ابنه أيمن ابنه الوحيد كثير المشاكل مع أولاد الحي والمدرسة ، ويزعم أن زبائنه تقل .. الذين نرسلهم إليه لا يدخلون عليه هذه الأيام

– هذا خبر مزعج ،كان الرجل ملتزما بالدفع على كل آخر شهر .. هل الطبيب شامل لم يعد يشجع مرضاه إليه؟ هل عليه شكاوي ؟

– لست أدري ؛ لكن الدكتور شامل متعاون جداً معنا، بل مرتاح يا سيد أمجد .. عند عشرة الشهر سأجدد الجولة ، وإذا لم يدفع راشد عن هذا الشهر والسابقين ، سنلغي العقد السري بيننا ..فهناك طبيب جديد يعمل في الحي ، و عيادته على الشارع العام .. سمعت أن عليه حركة ونشاط .. قد أستطيع إشاعة توريد زبائننا إليه

– أنا أعرف همتك يا سيد غريب يا أبا علي! ..عشرة الشهرة قريب .. أربعة أيام .. سأصبر .. أنا كما تعلم أُكبر في البيت ، واحتاج لمزيد من الدخل

– توكل على الله .. أيام ويأتيك الدعم يا سيدي .. ألا تستطيع تدبير لنا كمية من ذاك الدواء فصاحب صيدلية شادية يريد كمية منه

– سأتصل بحسام صيدلي المستشفى

دخل سلمان الذي عرفناه في قصة أبي صالح كمال نزو على عيادة الدكتور راشد عبد المحسن ، فهي قريبة من عماراته في أبو خروف يقطع شارع بدر الصغير ، ويدخل من زقاق للمشاة ، فيصبح في شارع نور القمر ، ثم يدخل العمارة التي على زاوية شارع نور القمر والشارع العام ، ومدخل العمارة الرئيسي ليس من الأمام حيث الشارع الرئيس في الحي ، إنما من الجانب الأيسر لشارع نور القمر ، فالطابق الأرضي من العمارة من جهة الشارع محلات تجارية ، وأعلاها ومن الخلف طوابق للسكن ومكاتب ، فعيادة الدكتور راشد في الطابق الثاني فوق المحلات التجارية وأيضا شقته في نفس الطابق ، وهناك شقة ثالثة يستأجرها رجل سماك ، والعمارة كلها من ثلاثة طوابق ، صعد سلمان إلى عيادة راشد ، وسأل الفتاة التي تعمل عنده كمنسقة وسكرتيرة عنه فقالت بعد التحية والترحيب : ذهب إلى السوق وسيعود .

تذكر سلمان يوسف أن الرجل بدون زوجة منذ سكن الحي ، ويعيش معه ولده الوحيد أيمن الطالب في المدرسة الثانوية عام ١٩٧٢ ، ويذكر أن الرجل جاء الحي منذ ما يزيد عن عشر سنوات ، وهو اليوم في الخمسين من عمره ، ويعلم أنه منذ ترمل وهو يعيش بدون امرأة ، وهناك شغالة في الحي تأتي بعد فتح العيادة لتنظيف الشقة ، وتحضير الطعام ، ثم تعطي عاملة العيادة المفتاح بعد أن أخذته منها صباحا ، وتنصرف إلى أسرة أخرى ، أو إلى بيتها ، وربما يأخذ الدكتور المفتاح منها إذا صدفته في وجهها ، وهو يعتمد في طعامه غالبا على نفسه أو المطاعم المنتشرة في الحي والتي تقدم الطعام الخفيف والثقيل للزبائن .

بعد أن تذكر ما تذكر للفتاة التي يعرفها ـ فهي ابنة أبي جمال جاره في الحي ، وفي نفس شارعه ، ومتعلمة في المعهد ، ثم تزوجت ، وبعد خلفتها لخمسة أطفال مرض زوجها ، وعجز عن العمل فاضطرت للخروج للعمل ، وبعد حين خف المرض عن زوجها نمر ، واشتغل في محل لبيع مواد البناء ، واستمرت في عملها ، ولما فتح الدكتور عيادته في الحي ، تعرف على زوجها نمر أثناء تردده إلى المحل لشراء أدوات صيانة ، وعرف والدها ، وعندها دراية في العمل في المكاتب والعيادات ، فاقنع زوجها ووالدها بالعمل عنده ، وسيضيف إليها مهنة ضرب الإبر ، والتغيير على الجروح مقابل عشرين دينارا في الشهر ، فقبلوا ، وانتقلت للعمل مع الدكتور راشد عبد المحسن ـ سألها أبو يوسف عن أحوالها وصحة زوجها ووالدها ،

والفتاة تعرف سلمان حق المعرفة ، فهو صديق والدها إلى حد ما ، وصديق الدكتور ، وتعرف أسرته .. ثم قالت: لما رأى الدكتور فراغ العيادة ذهب للسوق الذي خلف المسجد ؛ لعله يجد أسعارا أقل من أسعار المحلات القريبة من هنا .. وإذا كنت تحب أن أبلغه شيئا فأنا مستعدة يا عمي أبا يوسف

قال سلمان مفكرا : لا ، كنت راغبا بالحديث معه في موضوع خاص ، أو هو طلبني في موضوع خاص ..وشرح للفتاة : مرّ أبو كسوة الحمّار ليلة أمس على بيتي ، وأخبرني أن الدكتور راشدا يريد الحديث معي ، قائلا لو مررت عليه صباح الغد كان الكلام في الليل يا أم جمال .. أنت

سميت ابنك الكبير على اسم أخيك المرحوم جمال .. إني اذكره .

ـ نعم ، وترحمت على شقيقها جمال الذي مات في الغربة ، سافر للعمل مع أقارب له في أمريكا واعتدي عليه في أحد متاجرهم ، وقتلوه رميا بالرصاص .

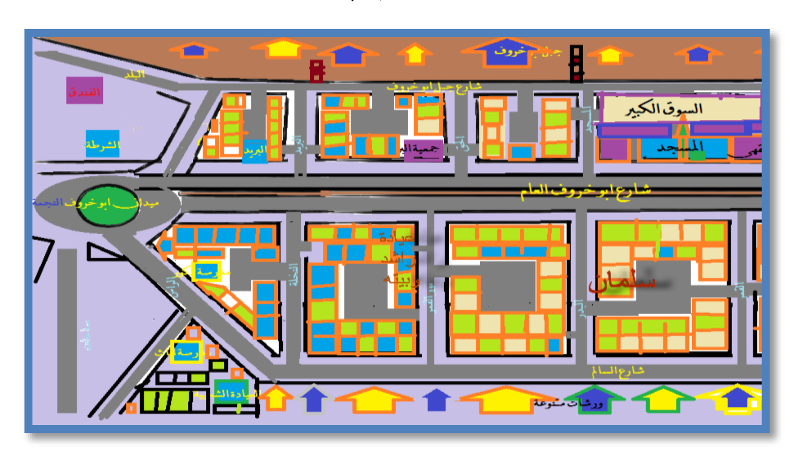
– كم الساعة الآن ؟

نظرت المرأة لساعة يدها وقالت : الثانية عشرة يا عمي أبا يوسف

وقف الرجل وقال باسما: أنا أضع ساعة على يدي مثلك ؛ ولكن سألتك حتى تعرفي أني جئت وغادرت في مثل هذا الوقت .. فقد اقترب وقت صلاة الظهر .. على كل حال ، وأنا راجع من جهة الجامع .. ربما انحرف إليكم .. سلمي على والدك وأهلك وزوجك نمر .. والسلام عليكم

نهضت الفتاة تودعه لباب العيادة ، وهي تتمنى له السلامة ، ولما عادت لمكتبها الصغير في زاوية من زاوية صالة استقبال المرضى والمراجعين جلست لبضع دقائق ، ثم نهضت تعمل الشاي لنفسها ، فهي تمكث في العيادة حتى الساعة الثانية ظهرا كل يوم ، ما عدا الجمعة ، فهو عطلة رسمية على مستوى البلد ، وأما حضرة الدكتور فيتناول الغداء مع أيمن بعد عودته من المدرسة ثم يعود للعيادة ، فيبقى فيها حتى المغرب عادة ، ثم يغلقها ، ويدخل البيت يتعشى وحده ، أو مع أيمن إن كان موجودا في البيت ، ومرات إذا لم يجده ينزل إلى وسط المدينة للسهر ، كما يفعل أغلب الليالي ويأكل في قلب العاصمة ، وأحيانا يعمل زيارة لأحد الناس أو الزملاء .. والدكتور من رواد المسارح ، ودور العرض السينمائي ، تعلق بذلك من أيام دراسته الطب بمصر .

لقاء الطبيب



قبل مغادرة أم جمال عاملة العيادة العيادة ـ وكان بعض الناس ينادونها بأم محمود ، اسم ابنها التالي ؛ لتمييزها عن اسم أمها أم جمال ، والدكتور كان يحب الاسم الثاني لمعرفته لوالدها وزوجها ـ نادى عليها الدكتور من عند باب الشقة التي يسكن فيها من نفس الطابق ، فلبت النداء ، فقال لها: أم رسمي أكيد أنهت عملها.. مفتاحي الخاص فقد من أيام .. لا أدري أين أضعته ؟ أين سقط ؟

رجعت المرأة إلى العيادة وعادت بمفتاح أم رسمي ، وفتحت له الشقة ، فزلف إليها مدخلا مشترياته ، وقال لها : لم يأت زبائن يا أم محمود

– جاءت امرأة ومكثت عشر دقائق وانصرفت ، لم تطق الانتظار .. وجاء الشيخ سلمان أبو يوسف ، وشرب الشاي ، وذهب للجامع عند الظهر

– أمس أرسلت له أبا كسوة .. نسيت

– وعد بالعودة بعد الظهر ؛ ولكنه لم يعد بعد .. ربما نسي أو انشغل

– لم يذهب لمقهى مهران .. دوامه في المقهى بعد صلاة العصر ..شكرًا يا أم محمود بإمكانك إغلاق العيادة والانصراف .. لا مزاج لي اليوم بمتابعة العمل .. قال بتأفف : هذا الدكتور الجديد يأخذ شغلنا .. فهو طبيب شاب متحمس

مشت إلى العيادة ورتبت الأمور والأوراق ، ونظفت أكواب الشاي والقهوة ، وأغلقت

العيادة ، وطرقت الباب على الدكتور ، وأعطته المفتاح ، وقالت: الحاج سلمان !

– إذا جاء سيطرق باب شقتي .. سلمي على أبيك وزوجك .. لقد قابلته اليوم في السوق صحته عال .. كنت أرى أن مرضه يوصل للهلاك

– الكل قال ذلك ..ولكني اليوم حامل من جديد

أظهر الطبيب الدهشة وقال : حقا أنت حامل ! مبارك مبارك

– في أول الحمل ، لم يظهر عليّ بعد

– اليوم الطب والفحص يكشف الحمل بسرعة من قبل انقطاع الطمث .. بالسلامة يا أم محمود

نزلت الدرج ، وأغلق راشد بابه ، وقال لنفسه: نعم ، سلمان يوسف خير من يسأل عن نساء وبنات الحي .. فهو من مواليد أبو خروف ، وقضى كل حياته فيه ، إنه يعرف الغريب والقريب وأيمن أصبح شابا قويا ، وأستطيع أن أركن عليه ، وبعد التوجيهي إذا لم ينجح سأزوجه وأخلص منه .. وأبرئ نفسي من ذمته .. لا أعتقد أن يجتاز الثانوية العامة .. وهو صاحب مشاكل ومشاجرات

كان الدكتور راشد يفكر بتزويج ابنه بعد إنهاء الثانوية ، معتقدا أنه بفعل هذه الخطوة يقضي على مشاكله ومشاجراته مع الناس ، وأيضا الدكتور نفسه على وشك الزواج ، فبعد أن تجاوز الخمسين بسنة أو سنتين فكر بالزواج ، والسبب عدة لقاءات مع رجل اسمه أبو كسوة جمعة صدقي .. فهذا الرجل من جيل الدكتور أربع وخمسون سنة ، يعمل عدة أعمال، بائع حلوى وترمس في الشوارع وأبواب المدارس ، ويشتغل حمّارا .. هو ليس من أهالي أبو خروف ؛ ولكنه يعرفه ويطرقه ويجاوره ، ويبيع فيه ، خاصة أمام باب مدرسة البنات المرحلة الأولى ، وأيضا ينقل الطحين ومؤن اللاجئين من مكان توزيعه في المخيم إلى منازلهم على متن حماره عدة أيام .. وذلك كل شهر عندما يبدأ التوزيع الشهري .. فيتوقف عن البيع ، ويشتغل بالنقل للمواد التموينية التي توزعها وكالة الغوث للاجئين الفلسطينيين منذ أحداث نكبة فلسطين ، فالمخيم

الفلسطيني شاع في البلاد المجاورة لفلسطين بعد نكبة الشعب الفلسطيني ١٩٤٨ ، فقد قامت الأمم المتحدة التي أنشئت تاريخيا قبل النكبة بثلاث سنوات ـ كأنها أعدت لهذا الكارثة العالمية ـ بإنشاء وكالة لإغاثة الفلسطينيين المشردين الأونروا .. فهي تقدم الدقيق والأرز والزيت والحليب والسكر والسردين وغير ذلك من المعلبات .. فالحمار أبو كسوة ينقل هذه الأشياء بعد استلامها لمنازل الناس مقابل بعض المال ، وقد يحصل على أطعمة من زبائنه فيبيعها ، ويتكسب وبعد الظهر يتوقف التوزيع ، فيعود لبيع الحلوى أمام المساجد أو المقاهي وأماكن لعب الأطفال ولما يتوقف التوزيع الشهري انتظارا للشهر التالي ، فيجلس أمام مدرسة بنات أبو خروف يسترزق ويرضى بالمقسوم ، وأحيانا عند مدرسة الوكالة في قلب المخيم ؛ لكن هناك باعة أكثر وتعوّد على هذا النظام والترتيب منذ كبر وتزوج ، وأصبح له أولاد وبنات .. فهو معروف لأهل المخيم ولأهل أبو خروف ، وتعرف على الدكتور راشد ، وتردد على عيادته للعلاج ، ولما علم أنه أرمل منذ سنوات حدثه عن ابنته بهية ابنة العشرين سنة العزباء ، وشجعه على الزواج منها ولا يهم فارق السن بينهما ، وستقبل به ، وستعجبه ، وبعد تردد وخوف أبدى راشد رضاه وقبوله على تجديد زواجه بعد خمسة عشر عاما من الترمل وبدون زواج ، وذلك منذ ماتت أم أيمن ، فلما ماتت صرف النظر عن الزواج والنساء ؛ ولكن من تشجيع أبي كسوة له غير رأيه وفكره ، والعروس جاهزة ، وأنها لا تفكر وتكترث بفارق السن الكبير بينهم .. المهم أن تتزوج تغلب الطبيب راشد نفسيا على خوفه من النساء والزواج وتقدمه في العمر ؛ فلذلك هو يسعى للقاء سلمان ليستشيره ويسمع نصحه في مثل هذا الزواج ، ويعرف منه حقيقة أبي كسوة ، فهو مجرد زبون تعرف عليه من سنة زمان.. يريد أن يعرفه جيدا قبل مغامرة الزواج من ابنته .. وسنعرف لماذا لم يفكر الدكتور بالزواج قبل لقائه بأبي كسوة ؟!

زار سلمان العيادة في النهار التالي ، واستقبلته عاملة العيادة بترحاب ، وذكرت له أن والدها يسلم عليه ، وكذلك والدتها ، فشكرها وعلم منها أن الدكتور يعالج أحد المرضى ، وجلس السيد ، وقامت تصنع له كوبا من الشاي، ولما شربه سمع الدكتور يودع المريض ، ولما رأى

سلمان رفع صوته مرحباً ومصافحا ومعانقا الخد الأيمن ثم الأيسر .

فقال سلمان: مررت أمس يا أبا أيمن ولم أجدك .. خرجت للجامع ، ثم التقيت ببعض الناس ولم أتمكن من المجيء إليك ثانية .. لقد مرّ عليّ هذا الرجل بياع الترمس أبي كسوة ، وأعلمني أن أمرّ عليك .. عسى الأمر خيرا

- كل الخير .. هل شربت شيئا؟

قالت: شرب شايا .. هل أصب لك يا حضرة الدكتور ؟ وأنت يا عم أبا يوسف كوبا أخر .. فالعم سلمان صديق الوالد

قال سلمان: لا بأس يا أم جمال .. فانا مغرم بالشاي .. وهو المفضل عندي

قال الدكتور: تفضل على غرفة الفحص أريدك في موضوع خاص جداً يا أبا يوسف إذا حضر أحد يا أم محمود فلا يدخل علينا .

دخلا غرفة الفحص والعلاج ، وجلسا على كرسيين وراشد يرحب بالرجل من جديد ، ودخلت المرأة بالشاي لكليهما ، ووضعته على منضدة صغيرة أمامها ، وأغلقت الباب خلفها .

قال سلمان: خير يا دكتور

أشعل الدكتور سيجارة وقال : أنا أعلم أنك رجل الحي العارف بأهل الحي صغيرهم وكبيرهم

- أنا أعرف كل سكان الحي .. لم افهم عليك؟!

- يا سيدي أرغب بالزواج

- الزواج .. جميل !.. دائماً أرغبك فيه! الحمد لله أنك لنت وغيرت .. الزواج مطلوب .. ما المطلوب مني؟!

- قلت استفيد من حياتك في هذا الحي وخبرتك .. أرأيت هذا الرجل الحمّار الذي بعثته لك كما يقال له أبو كسوة ؟

- ماله؟!

- هذا الرجل يعرض عليّ ابنته .. بنت العشرين سنة .. لم يحصل نصيبها .. فله سنة يحثني على

مصاهرته بالزواج من بنته .. وكلما يمر هنا يفعل ذلك ويردده .. حتى ذهب عني الخوف من الزواج ..قلت أجرب مرة أخرى ..فكرت كثيرا قبل أن أصل لهذا القرار الأخير .. لا بأس بالمحاولة من جديد يا أبا يوسف .. أنا تعقدت من النساء بعد موت أم أيمن .. فقلت أسأل أبا يوسف عنه وعن عائلته وابنته .. فأنت الرجل الخبير

ضحك سلمان وقال: أنا لا أنكر معرفتي بالكثير من الأسر والعائلات في حيّنا الكبير ؛ لحياتي المديدة فيه ، ومعاصرة تطوره وتحدثه .. وأعلم أحداث وأخبار الناس ، ومع ذلك لا أعرف هذا الحمّار بالشكل الجيد سوى أنه بياع وحمّار في المخيم .. فهو يجلس أمام المدرسة ليبيع البنات الحلوى والترمس ، وأحيانا يتجول في الحي خاصة عند المقهى والمسجد ، ويعمل في المخيم على حمار عند توزيع التموين والمؤن على لاجئي المخيم .. وهو يعيش قرب حي النجمة في أحد أطرافه ، فهو صاحب غنم وطير ، ولديه أسرة كبيرة .. كانت كل سنة تلد امرأته طفلا .. ابنه البكر كسوة متزوج ..ويعيش هنا في هذا الحي .. والثاني صاحب عيلة .. لا أعرف عنه أسرارا وهو رجل في المجمل غلبان يا دكتور راشد وعلى باب الله كما يقال ؛ لكن أليست صغيرة بالنسبة لك ؟ أنت من جيل والدها

- هي راضية على ذمة الرجل ، وتعلم أنها ستنكح رجلا فوق الخمسين



المطالبة

في الثانية ظهرا تركت أسماء عيادة الدكتور ، وبينما هي تغادر دخل غريب عامل المركز الصحي أو العيادة الشعبية المعروف لأهالي الحي ، فهو موظف السجل الطبي فيها ، فحيا وسأل : الدكتور موجود

رحبت به وحركت رأسها بالإيجاب ولفظت : نعم

- شكرًا

سمعت الدكتور ينادي من غرفة العيادة : هل من أحد معك يا أسماء؟

فرفعت صوتها: إنه السيد غريب باسل موظف الصحة ... وقبل أن تكمل عبارتها كان الرجل يطرق باب العيادة ، ويدخل محييا الدكتور الذي ظل جالسا وعابسا ، وقالت الفتاة: أيلزمك شيء سيدي الدكتور قبل انصرافي

- مع السلامة يا أسماء وأخذ يرحب بالرجل ، ثم قال وهو يترك مقعده : لنجلس في الصالة

- اليوم الثاني عشر من حزيران .. وأنت تعلم لماذا جئت؟!

- اليوم الثاني عشر من حزيران .. نعم ، موعدنا عادة في العاشر منه .. صدق يا غريب أني أعاني من الشغل وقلة المرضى .. هذا الدكتور الجديد شفط الزبائن .. يذهب إليه مرضاكم .. هل ضممتموه للمجموعة ؟

فقال غريب وقد جلسا في الصالة حيث لا أحد : الدكتور نشأت رفض التعاون .. عليه حركة الآن ؛ لأنه جديد والجديد له بهجة .. ونحن والمجموعة التي تعمل معنا نريد المال .. وأنت الشهران الماضيان آذار ونيسان لم تحاسب والشهر الثالث أيار الذي مضى من أيام .. أنت تحرجني يا دكتور إن لم تدفع.. ويشكون في ذمتي ..وإني أبلعها وحدي .. الظرف يكون شهرا يكون تأخير في الدفع .. وهم يتقاعسون عن العلاج للمرضى من أجل أن يمروا عليكم .. والمرضى يتهمون الحكومة مقصرة في الخدمة الطبية ، ولا ينتبهون للعبتنا .. وإذا تريد الابتعاد عنا لا مانع لدينا يا أبا أيمن ؛ لكن حصة الشهور المستحقة عليك أن تدفعها قبل الانفصال ..

كثيرون الأطباء الذين يقبلون الشغل معنا .. نحن نوجه الكثير من المرضى إليكم بإسماعهم أنكم من أمهر الأطباء في الحي .. وأشياء نلقيها في آذانهم ، وإنكم أبرع أطباء الطب العام في البلد ، والشفاء حاصل لخبرتكم

كان راشد يسمع دون نطق حتى لاحظ صمت غريب فقال : صدق أني أعاني من ضعف المرضى لا أدري لماذا ؟ ها هو السجل والأوراق انظر إليها .. وانظر كم عدد الرواد والمرضى خلال الأشهر الثلاثة الماضية .. يظهر أن هناك غيري

تبسم غريب ورد : هنا صدق أننا لا نتعاون إلا معك ، والطبيب حمدان.. ونحن لا نشجع على الأخصائيين .. المرض عمل يومي .. فصحيح نحن نحول بعض المرضى لصحة الهدى في حي النجمة أو مستشفى السلام .. ذرا للرماد في العيون .. وننصح مرضانا بالعلاج عندكم أنت وحمدان بدل أن يدفعوا إيجار السيارة وتضييع الوقت وكثرة المراجعين .. وحمدان لا يشكو مما تشكو منه .. وعمله قائم ، ويدفع حقنا كل شهر .. فالشهر الماضي قبل أيار دفع خمسين دينارا وهو يدفع أول الشهر ، وليس على عشرة .. ونحن لم نجبرك على التعاون معنا يا دكتور

– أنا أفكر بالزواج هذه الأيام من أجل ذلك أنا مضغوط بالمال يا غريب

– الشهر تلو الشهر ، المال يتراكم .. صار لنا في ذمتك ثلاثة أشهر .. اضربها بثلاثين فعندك تسعون يا دكتور ..واليوم الثاني عشر من حزيران يعني نصف الشهر

فهز الدكتور رأسه وقال: تسعون دينارا .. هذا الشهر الثالث لكم في ذمتي .. أنا في حيرة من أين أدفع هذه التسعين ؟

– الغدر ليس طيبا يا دكتور

– الغدر !

– نعم ، تريد أن تنسحب من العمل معنا فلك ذلك .. حقنا لا يجب أن تأكله أو نتنازل عنه

– أشكوكم للدائرة

صاح غريب محتجا: تشكونا للدائرة ماذا ستشتكي ؟ وهل يصدقونك ؟

– سأختار بعض المرضى الذين أرسلتموهم إليّ

– كبرت يا دكتور .. أنت تحسب أن اللقمة سهلة ..لا .. ادفع ما عليك ، ثم اشكونا لمن شئت نحن نقوم بعملنا على خير ما يرام .. والذين يأتونك لا يتوفر لدينا علاجهم .. نحن نحولهم إلى المستشفى .. وعيادة الهدى .. وننصح لهم لتوفير المال والجهد بالمرور عليك .. أنا من الشهر الماضي أحسست أنك تلعب بنا يا دكتور

هتف الطبيب : تهددني يا رجل

– يبدو أنك نسيت أيام السجن .. السنوات الثلاث

صاح الطبيب سخطا : أيضاً تعرف هذه.. هذا أنتم مجرمون !

– اللقمة ليست سهلة .. ونعرف أنك قتلت امرأتك

غضب الدكتور واحتد وقال : أوه ! هذا أنت حقير للآخر

– نريد حقنا يا نظيف!

– أنا قتلت امرأتي بالخطأ يا مجرم .. ولم أكن أقصد قتلها .. من أين عرفت القصة؟!

– ابن عمي ضابط كبير في الشرطة

– ابن عمك ضابط كبير .. حسنا يا غريب .. سأضحي بعملي مع عصابة العيادة .. لن أدفع مليما واحدا .. أنا من الشهر الماضي ذكرت لك يا غريب أنه لا أحد يأتي من جهتكم .. لست غبيا وجاهلا .. فأنتم تحولون على الشاب نشأت

وقف غريب وطفأ سيجارته في منضدة مظهرا الغضب وقال: لا تريد دفع المستحقات .. سأمشي يا حضرة النصاب ..لا تحتج

ضحك راشد وكان يلوح بيده: لا أريد أن أحتج على جهالتك .. اغرب عن وجهي .. أبعد يدك أنت في بيتي وعيادتي ..أنت موظف ، ولو شكوت عليك لفصلت من عملك .. ولو كان ابن عمك وزيرا ؛ لذلك فألزم حدودك ..وما كان بيننا انتهى

كان جمعة حمدية أبو كسوة ينصب سدر الهريسة على حامل أمام بوابة مدرسة بنات أبو خروف

وهو يصيح على الهريسة لتقترب الفتيات في فترة الاستراحة من البوابة للشراء منه ، يبيع لهن الحلوى.. وها هو ما زال يصرخ على الهريسة ويمدحها بصوت غنائي لجلب الفتيات للشراء .. وكان الشيخ سلمان يتابعه عن بعد ، فلما قرع جرس الاصطفاف والعودة إلى الصفوف توقف أبو كسوة عن المناداة والصياح .. فنادى عليه حينئذ سلمان ، فالتفت إليه وحمل السدر ـ سدر الهريسة ـ على رأسه ، وحمل المنصب في إحدى يديه ، ومشى نحوه ، حتى صافحه قائلا: العم سلمان يا هلا بشيخ الشباب .. ما الذي أتى بك إلى هنا ؟

- أنت!

- أنا!.. خير ـ إن شاء الله ـ هل مررت على الدكتور راشد؟

- وأنا جئت من أجل الدكتور راشد .. مررت على ابنك كسوة ، فقال لي: الآن ستجده أمام بوابة مدرسة الإناث .. كيف حالك يا أبا كسوة ؟

- بخير ، ما دمت أنت بخير .. أهلا بسيدي سلمان شيخ الشباب .. كيف أختي الحاجة أم يوسف؟

- كلنا بخير .. ما رأيك أن نمر عليك قبل العصر حتى نتحدث بموضوع الدكتور راشد ؟

- الدكتور حدثك عن بهية .. والله يا عم سلمان .. أنا لما رأيت أن الدكتور أرمل من سنوات أشفقت عليه .. وكلما أمر على العيادة أساله هل تزوجت ؟! هل زهقت وحدتك؟ .. فذات مرة قال لما سألته هذا السؤال : هل حواليك بنت يا أبا كسوة؟ .. قلت له : عندي بنت بايرة كبرت .. ولم تتزوج بعد.. وعمرها عشرون سنة.. أزوجك بها .. فتردد قليلا يا عم سلمان ، ثم قال : أتقبل بي أنا العجوز ؟ قلت له: بنت تريد الستر يا دكتور ، وأنت بعدك شاب

فقال سلمان: أجّل الكلام يا أبا كسوة حتى تنتهي من شغلك .. غداً تمر عليّ .. أنا في البيت لحتى العصر بعد العصر أذهب للجامع ، ثم أجلس في المقهى ـ مقهى مهران ـ المعروف في الحي ، الدكتور طلب مني التفاهم معك ..سأزورك أنا ونعمان أخي .. ونرى طلباتك ، وطلبات البنت يا أبا كسوة .. فالفرق في السن كبير بين ابنتك والرجل .. والرجل له بدون امرأة حوالي خمس

عشرة سنة .. يعني ليس بالصغير

- أنا عاوز أستر على البنت يا عمي يا أبا يوسف .. والزواج سترة للبنت .. والرجل يتزوج في أي سن لا يوجد كبير ولا صغير .. وهي علمت بأنه رجل في الخمسين .. وليس بطفل .. فالدكتور يفكر بتزويج ابنه أيمن وحيده

دهش سلمان للخبر وقال : أيمن ! ما هو طالب مدرسة؟!

- هو قال ذلك عندما فتحنا موضوع الزواج .. قال : الولد غير فالح في الدراسة .. لما يصل سن الثانوية العامة ، سيدبر له عملا أو موظفا في الحكومة على الشهادة ولو راسب ، ثم يزوجه ليتحمل مسؤولية نفسه

- غريب هذا الدكتور! وحيد في البلد ..لا أهل له يقول عن نفسه : لا أعرف عما ولا خالا ولا خالة ولا عمة ..من أين أتى؟!

قال أبو كسوة: هو ذكر لي اسم بلدته الأولى في هذه الدنيا ، البلدة التي ولد فيها قبل أن يصل إلى أبو خروف.. عليه دم عند أهله .. فتخلوا عنه بعد وفاة امرأته أم أيمن

زادت دهشة سلمان وقال : هو قال لك ذلك؟!

- أجل



كان راشد في غرفة الفحص مع أحد المرضى عندما رن تلفون العيادة ، فرفعت العاملة السماعة وردت بنعم ...وعليكم السلام ... عيادة الدكتور راشد ... مدير مدرسة أيمن راشد ... الأستاذ يوسف خلاد ... انتظر وضعت السماعة مفتوحة على الطاولة ، وطرقت باب غرفة الفحص ، وسمعت الدكتور يطلب منها الدخول ، فأدخلت رأسها قائلة: تلفون يا دكتور

- ألم تر ما أنا فيه ؟

- إنه مدير مدرسة أيمن

- ماذا يريد هذا المدير؟!

- لم يقل شيئا يريدك شخصيا

- بعد قليل سأتصل به

أغلقت الباب وعادت للهاتف وقالت: مشغول يا أستاذ يوسف لديه شخص في غرفة الفحص هل أبلغه شيئا؟... ماذا ؟! إنه في المستشفى انتظر قليلا على الخط

عادت للدكتور قائلة: إنهم يقولون أيمن نقل للمستشفى .. تشاجر مع بعض الطلاب وضربوه ضربا مبرحا

ترك الطبيب المريض ، وخرج ورفع السماعة وقال بعنف: ماذا يا أستاذ يوسف!! مشاجرة حسنا أي مستشفى؟ مع السلامة .

وضع السماعة بغضب وسخط ، وعاد لغرفة الفحص معتذرا للمريض ، وأنهى علاجه ، ووصف له بعض الأدوية، وطلب منه العودة مرة أخرى دون مقابل ، وطلب من أسماء التصرف مع المرضى في صالة الانتظار ، وقد تابعوا هذا الإرباك الحاصل في الدقائق الماضية ، واعتذر لهم وهو يخرج مسرعا قائلا: الولد في المستشفى يا أخوان !

وترك العيادة ، ومشى نحو الشارع العام يبحث عن سيارة أجرة تنقله إلى مستشفى دار السلام وفي قسم الطوارئ وجد ابنه قد عولج من حجر أصاب رأسه فشجه ، وأراق دمه ، وكان المسعفون قد نظفوا الجرح وخاطوه ، ووضعت لفائف على رأسه ، وكان يصحبه أحد المدرسين ورحب الأستاذ بالدكتور ، وطمأنه على ابنه ، وكان أيمن قد استلم الدواء ، وتطلع في عيني أبيه قائلا بغضب : سأقضي عليهم ..غدروا بي يا أبي

- أهم طلاب من المدرسة؟

قال الأستاذ : طلاب في صفه .. مع احترامي يا دكتور راشد .. فابنك أيضاً جرح بعضهم .. فأصاب أحدهم بلكمة ؛ ولكنها جاءت بعيدة عن العين .. ربك ستر .. أيمن حقيقة كثير

المشاكل .. وأنا دائماً أنصحه بالابتعاد عن الأشرار والعصبية

تنهد الدكتور بأسف ، فهو يعرف مشاغبات أيمن من أيام المدرسة الإعدادية .. مرات عديدة ذهب لمقابلة المدير .. وحتى المرحلة الثانوية لم تخل من مراجعات الإدارة ، وسمع الأستاذ يقول : خرجوا من قاعة الامتحان ، وتعاركوا ، وارتفع صراخهم وصياحهم في الساحة لأن مراقب الامتحان أخرجهم من القاعة ، وقد أخذ منهم أوراق الغش ، وزعم أنهم فسدوا للمراقب عنه وصنعوا معركة .. وأرجو يا دكتور راشد أن تمر على المدرسة غداً ؛ لتتحدث مع المدير

– المدير اتصل بنا على العيادة مخبرا لنا بالحادث

ثم أخذ بيد ابنه الملفوف الرأس ، وشكر المسعفين ، ولما صاروا خارج المستشفى قال للأستاذ المرافق للمصاب: سوف أمر على المدرسة .. ماذا بك يا أيمن ؟

فكان يدافع عن نفسه ، ويبرر معركته ، وينفي محاولته الغش في الامتحان ، فقال الأستاذ بضيق بين : هذه ليست أول مرة يا أيمن !

فشل الزواج

أيمن راشد كان شابا مشاكسا ومشاغبا ، فقد اضطر والده للذهاب لمدرسته الإعدادية أكثر من مرة في السنة لمداراة مشاجراته وإيذائه للطلبة ، وكذلك كان يتعرض للضرب من عدد من الطلاب ، كان الفتى قوي البنية ، تقول إن جسمه أكبر من سنه ؛ لذلك لم يعد والده يتأثر من مشاجراته رغم عنفها ، فهي ليست الأولى من مشاكله خلال العام المنصرم ، ذهب لمقابلة المدير يوسف خلاد أكثر من مرة ، وكانت كلها بأن ابنه أساء للطلاب والأساتذة ، هذه المرة الوحيدة التي سيذهب ؛ لأن ابنه المظلوم أو المضروب ، لم يقصر الأب أثناء العودة من المستشفى بتأنيب الولد بأقسى الألفاظ ، وقذفه بالسباب ، وهدده بإخراجه من المدرسة ، ومع عدوانية الفتى الظاهرة للعيان كان ينجح في الفصول التعليمية ؛ ولكن بمعدل متدنٍ فوق الخمسين ، وأقل من الستين ، ولما وصل البيت والعيادة وجد أسماء وحيدة تستعد للانصراف ، فدعت له بالسلامة والعافية ، وحثته على التعقل ، فقال الطبيب: هل سيرجع المرضى؟

– لست أدري شجعتهم على ذلك ، فلما شرحت لهم الظرف الطارئ فارقوا العيادة ، وجاءت أم خضر وقعدت نصف ساعة ، وانصرفت ، ربما تمر عليك وهي عائدة من السوق

– أعطيه المفتاح ؛ ليذهب إلى البيت ، ادرس يا أيمن .. أنت تدرس لنفسك .. صباحا سأقابل حضرة المدير .. وأرى أسباب المشكلة الأخيرة ، وأسمع رأي المدير

تناول أيمن المفتاح من المرأة بعصبية ، ولم يتكلم بشيء ، وطلب الطبيب منها فنجان قهوة ، وجلس مكانها ينتظر ، وكان يقول لنفسه: ماذا سيفعل هذا المجنون عندما تعيش في البيت امرأة تكبره بسنوات ؟! هل سيسير المركب أم نغرق في المشاكل والمنازعات ؟! هل يتقبل هذا امرأة أب؟! أخشى أن نعود لمشاكل النسوان .. وأنا ما صدقت وأنا أخلص من سلمى أم أيمن .. وأخذ يتذكر شريط ذكريات أبي كسوة وزياراته له .. والزواج .. وبنت أبي كسوة .. لماذا لم تتزوج لليوم ؟ لعلها دميمة بشعة .. بنت تصل العشرين ولم تتزوج بعد .. هل من سبب ؟ وهي لم تدرس إلا الابتدائي .. قعدت في البيت تساعد أمها في رعاية الأطفال الصغار .. وموظفو

العيادة ماذا يدبرون لك يا راشد؟ هل من المعقول أن كل زبائني من مرضى العيادة الحكومية أكيد الدكتور نشأت يدفع لهم .. منذ بدأ نشاط عيادته الجديدة خف عدد مرضاي وضعت أسماء القهوة أمامه ، وأدركت أن الرجل قد سرح فكره ، وقالت: مالي أراك صافنا يا دكتور في السماء؟ تقصد سقف الغرفة .. ابتسم لها وقال: أرأيت سحاب الدخان ؟شكرًا على القهوة يا أم محمود .. هموم .. وما دام لا يوجد زبائن فيمكنك العودة لبيتك ..لا تنظري إلى الساعة

فقالت : جزاك الله خيرا . ولملمت أوراق المكتب، وغسلت أدوات القهوة والشاي ، ولما شرب الدكتور قهوته غسلته ، ووضعته في مكانه المناسب ، وحملت حقيبتها المعلقة على الكتف ، وقالت وهي تكاد تغادر: هل صحيح ما يشاع يا دكتور؟

فنظر إليها وقال : هل صحيح ما يشاع ؟.. ما الذي يشاع؟!

- إنك تنوي الزواج من بنت أبي كسوة

تبسم وقال : لم يحدث شيء بعد .. بداية كلام يا أسماء .. الرجل عنده بنت يقول : إنها بايرة عمرها عشرون سنة .. ويدلل عليها وأنا لي عمر بدون زوجة .. وخائف من هذه المغامرة كانت امرأتي سلمى أم أيمن سيئة وعنيدة وشرسة .

وأغمض عينيه وراح في ذكريات سلمى. زار سلمان وشقيقه نعمان بيت جمعة حمدية صدقي في أصيل أحد أيام حزيران ، وأستقبلهم الرجل ، ورحب بقدومهم ، وجلسوا في غرفة استقبال في النهار ، وغرفة نوم في الليل ، وقدم لهم الشاي الساخن ، فقال سلمان: أنت تعلم سبب هذه الزيارة ، فقد كلفنا الدكتور بترتيب أمر زواجه من ابنتكم الكريمة .. وهو رجل وحيد في الحي ـ كما تعلم ـ لا أهل ولا أقارب .. والرجل يقول: ما هي طلباتكم ؟

وقال نعمان : وهو كما قال أخي أبو يوسف لا نساء عنده ليأتين لرؤية الآنسة ، والتعرف على أم كسوة

فقال جمعة بحماس ثم تردد : أنا أكثر من يعرف ظروف سيدنا الدكتور ؛ لكن وصلني خبر أيها

السادة عنه أزعجني

هتف نعمان قلقا : خبر! ما هو هذا الخبر الذي أزعج أبو كسوة ؟!

- لا أدري هل هو صحيح أم كذب؟

قال سلمان: هات ما عندك يا معلم حمدية

- سمعت من يوم أن الدكتور المحترم قتل زوجته أم أيمن ، وسجن ثلاث سنوات ، فقلقت على البنت

بعد صمت دهمهم لثوان ، قال نعمان : وضعه غريب يا أبا يوسف ! وابتعاد أقاربه عنه يوحي بذلك .. فالرجل منذ سكن هنا بدون أهل ، ثم استدرك ؛ كأنه فطن لشيء فتابع: ولكنه طبيب يا أبا كسوة .. والحكومة لا تسمح لقاتل بأن يعمل على مداواة الناس وإنقاذ حياتهم

فقال سلمان مبررا ومبينا: قد يكون فعل ذلك .. قتل زوجته بالخطأ .. وحبس للحق العام .. لو كان القتل متعمدا يا أبا كسوة لقضى نصف عمره في السجن .. خمس وعشرون سنة قضاها في الدراسة وخمسة عشر عاما هنا ، وثلاث سنوات سجن .. هو وضع الدكتور مريب منذ سكن عندنا ؛ لكنه مسالم لم نعرف عنه سوءا

صمتوا من جديد .. وقال أبو كسوة: ألا تسعون إلى معرفة تفاصيل هذه المرأة المقتولة ؟ قبل أن نتهور، ونقضي على مستقبل البنت .. القتل كلمة مرعبة

قال نعمان : يا معلم جمعة.. الدكتور ـ كما سمعت ـ جارنا من سنوات .. له أكثر من عشر سنين يعيش في أبو خروف ، ولم نسمع له مشكلة سوى المشاكل التي يعاني منها من جهة ابنه أيمن ولد عدواني كثير الزعرنة ، والمشاجرات كما نسمع عنه

تنهد جمعة وقال : المهم أن الخبر هبطّ عزيمتي بالنسبة للدكتور .. وأخشى منه ..ومن ابنه يا أبا نوح ويا أبا يوسف

فقال سلمان : معك حق أن تقلق .. أنا سأتحدث معه عن قصة الجريمة التي وصلت إلى مسامعك ، وكما قلنا يبدو أنه قتل خطأ غير متعمد ، فإذا اعترف لنا بذلك .. هل ستقبل بتزويج

ابنتك منه أم ننسى الموضوع؟ فالدكتور أنت سبب تشجيعه على الزواج ثانية .. فهو من معرفتي به منذ عاش معنا .. وهو لا يحب الحديث عن النساء .. حتى أنني تفاجأت من حكاية زواجه وقبوله به .. الآن عرفت سبب كرهه للنساء ، من الكلام الذي دار بيننا .. وكلام كان يردد سابقا .. والحق أن المشكلة الكبرى حياة ابنتك مع ابنه في بيت واحد ؛ فإنه رغم صغره فهو سيء السمعة ، قبل أيام تشاجر مع طلاب في المدرسة وآذوه ، وشجوا رأسه ، ونقل إلى المستشفى للعلاج .. وراح راشد وأحضره من المستشفى .. فالولد متمرد ، ومشاكله كثيرة من أيام المدرسة الابتدائية .. عدواني بمختصر الكلام .. وكذا مرة ذهبت مع والده للإصلاح بينه وبين آباء هؤلاء الأولاد .. وها هو اليوم يسد شجه لفتى قبل سنة أو أكثر .. إني أذكر ذلك الحادث على كل حال يا معلم حمدية فكر جيدا بهذا الزواج ، ومرّ عليّ بعد يومين أو ثلاثة.. فإذا كان لديك توجه لإتمام الموضوع سأذهب لراشد واسمع منه قصة الجريمة .. قصة قتل أم أيمن وحبسه.. وانقل إليك التفاصيل وعلى أثرها تحسم أمر البنت ..وهل هي راضية به زوجا رغم كبر سنه ؟

– يا رجل عمي تزوج بنت دون العشرين ، وعمره خمس وسبعون سنة



الحادث

زار سلمان العيادة قبل صلاة العصر ليتحدث مع الدكتور على انفراد دون وجود العاملة أم محمود ، وفعلا وجد الطبيب البشري وحده ، يدخن ويشرب الشاي ، ويأكل بعض قطع الكعك فدعاه لمشاركته ذلك بعد السلام والتحية والاطمئنان على الصحة والحال ، فشكره سلمان وصب لنفسه كوبا من الشاي ، ثم سمع الدكتور يشتكي ولده قائلا: هذا الولد يا أبا يوسف لا أعرف ماذا أفعل له ؟! .. كثير الشجار مع الطلاب قبل أيام ـ أيام الامتحانات ـ تعرض للشج ، والإصابة في الرأس .. ذهبت للمدير في اليوم التالي ، وطلب مني حضرته في السنة الجديدة نقل ابني إلى مدرسة أخرى قائلا : لقد تحملته سنة ، فهو مشاكس ومشاغب وفوضوي ، يتقاتل مع الأولاد والأساتذة .. وأنت تعلم يا حاج سلمان أنني لم أقصر معه ، وأوفر له الأكل والشرب واللباس والمصروفات والدخان والسينما والمسرح ، بل أصحبه إليهما ، ومع كل هذا يحب العنف ويهددني بشرب الكحول والمخدرات والشم .. وأنا حذرته من فعل ذلك إن عرفت أنك تفعل هذه الموبقات ، فلا مكان لك في البيت ، فليذهب إلى أخواله في البلد ، ويعيش معهم

فقال سلمان بعدما طال صمته: أله أخوال؟!

فضحك راشد مستغربا وقال : مالك يا حاج سلمان؟! أنا لست متغربا

أنا ابن بلد .. له أخوال وأعمام ، وجدات ، وأجداد ، مثل باقي البشر ؛ إنما علاقتي بهم سيئة للغاية ، لا تواصل بيننا ، ولا لقاءات ، ولا زيارات .. حظي من الدنيا هكذا.

– وأنا جئت إليك في هذا الوقت لمعرفة المزيد عن الأقارب والأهل .. فقد زرت أبا كسوة أمس أنا وأخي نعمان أبو نوح في موضوع زواجك من ابنته ، فوجدناه مرعوبا ومترددا في إكمال المشروع

استغرب الدكتور هذا الحال وقال : أبو كسوة متردد ومرعوب يا رجل ! .. هو الذي زهقني بعرض ابنته الغلبانة البايرة .. هل جن الرجل يا أبا يوسف؟!

– لم يجن ؛ لكن أحدهم ألقى في روعه أنك ـ صراحة ـ قتلت امرأتك أم أيمن .. وحبست

بسبب ذلك ثلاث سنوات .

فصاح الدكتور بدون وعي: غريب .. تكلم بهذا !!

- من غريب يا دكتور؟!

انتبه الطبيب لنفسه وقال : غريب من الغربة والدهشة يا أبا يوسف العم أبو كسوة خائف مني لأني قتلت زوجتي الأولى

- أنا راغب بسماع هذه القصة إذا لم يكن في ذلك حرج أو إزعاج

أشعل راشد سيجارة جديدة ، وأخذ بعض الأنفاس قبل أن يتكلم :لا أسرار في ذلك .. وما دام أبو كسوة خائفا على ابنته فلننس الموضوع يا حاج سلمان .. لم أقتل سلمى أم أيمن عمدا .. قتلت بالخطأ ، وحبست ثلاثة أعوام في سجن راجم المعروف ، ولما خرجت منه لم أعد للبلدة والمدينة تلك ، أتيت العاصمة بداية ، ثم استقر بي المقام هنا في أبو خروف .. هذه حكايتي باختصار ، وما دام أبو كسوة خائفا على ابنته من القتل ؛ فأنا أيضاً خائف من الزواج منها خشية أن أجرم فيها هي الأخرى .. فلست بحاجة لامرأة يا سلمان ولا للنساء .. وآسف جداً على إزعاجك في حكايتي وزواجي .. عندما ترى الرجل فبين له عذري .. وإذا جاء إلى هنا سأعتذر له .. أنا آسف مرة أخرى يا أبا يوسف .. أصلا أنا لا أصلح للنساء ، ربما طبيعتي البشرية ماتت بموت أم أيمن

- الرجل يريد أن يطمئن على كريمته .. فالذي فسد عليك هذا الزواج هو يريد ذلك يا دكتور

- أنا أعرف من فسد عليّ .. فهو شيطان .. أكيد صور له أنني مجرم قتّال قُتلى

قال السيد سلمان مبديا خدمته : أنا يا سيدي في خدمتكم جميعا .. أنا لي رغبة في تزويجك .. وأنت تعلم هذا منذ مجاورتك لنا يا أبا أيمن .. وكنت أعجب من حياتك من دون زوجة ؛ ولكن لوجود أيمن معك .. حللتُ أنها ماتت أو طلقت ، ورجحت الموت لصغر الفتى .. عندما سكنت هنا قلت لنفسي : في حياة راشد أمر غلط ؛ ولكني لم أعرف أنك قتلت زوجتك خطأ ، وحبست ، ولم أكن أعلم أنك هنا بسبب موت زوجتك ، فكنت أرى أنك كرست

حياتك لابنك بعد موت زوجتك .. لم يذكر لي أبو كسوة من فسد عليك هذا الأمر ، لم اسمعه يذكر اسما

- لا بأس يا أبا يوسف .. كل شيء نصيب .. وعندما أقابله سأعرف منه المفسد .. وأنا أعرفه ؛ لكن ليزيد يقيني .. عفوا يا حاج هذا ليس سرا .. فالسجن مليء بالناس .. ونسمع أخبار وقصص بعضنا بعضا

بينما سلمان يتناول وجبة الغداء مع زوجته طرق الباب ، فأقبل حفيده يعلمه بأن رجلا اسمه أبو كسوة بائع الحلوى يرغب بمقابلته ، فطلب منه أن يدخله غرفة الاستقبال ريثما ينهي طعامه ، فالسيد سلمان يملك عمارة من أربعة طوابق في حي أبو خروف ، وهو يعيش في شقة منها ، وبعض وأولاده يجاوره ، وبعضهم يسكن في أماكن أخرى من المدينة ، وحتى أن بعض بناته استأجر أزواجهن عنده ، وهو أستاذ مدرسة في أول شبابه ، ثم انتقل للعمل في الوزارة ، وتقاعد خلال عمله موظف وزارة ، وشقته في الطابق الأول ، ويعيش مع زوجته وحدهما ، وتعلم أولاده وبناته كلهم خير تعليم ، وتزوجوا .. ولما أنهى طعامه ، طلب من زوجه صنع الشاي لهما ، وغسل فمه ويده ، ومشى نحو الصالون ، فلما رآه أبو كسوة نهض مصافحا ومعتذرا وداعيا بالصحة والعافية ، فقال سلمان مرحبا : ألك في صحن ملوخية يا أبا كسوة ؟.. أم يوسف أتحفتنا بهذه الطبخة التي لا أعرف من أول من طبخها للناس ؟

- شكرًا صحتين وعافية ، ربما بنو مصر

عادوا للجلوس وقال السيد : أهلا وسهلا .

ونادى : يا أم يوسف هات صحن طبيخ للعم حمدية راجع من الشغل .

- كنت عند المدرسة .. ولما خلصت من بيع البنات .. قلت أمر عليك قبل أن أبيع ما تبقى عند الجامع

- شرفت بيتنا يا حمدية .. مرحباً بك .. وسمع نحنحة أم يوسف .. فذهب وعاد يحمل الطبيخ ورغيف الخبز ، ووضعه أمام حمدية على منضدة صغيرة قائلا: تفضل يا أبا كسوة . ثم ذهب

وأحضر الشاي ، وجلس يراقب حمدية الذي هجم على الطعام ؛ كأنه لم يأكل من سنة ؛ وكأنه لا يأكل في بيته .. والرجل معتاد على ذلك ، ولا يرى غضاضة في الأكل في بيوت الناس ، ولا في الشارع على حافة رصيف.. فهو يخرج من الصبح حتى ينتهي من بيع سدر الهريسة .. وإذا باعه مبكرا ، عاد للبيت وأخذ دلو الترمس ، وانطلق للسعي في الأرض من جديد دون كلل ولا ملل .. حياته البيع حتى الليل .. انتهى من أكل صحن الملوخية ، وأخذ يشرب الشاي ، وهو يتمتم بالشكر والدعاء للسيد سلمان يوسف وأم يوسف .. وليس حمدية البائع الوحيد في حي أبو خروف ، ولما انتهت عملية الغداء أخرج الرجل منديله الصغير ومسح فمه من بقايا الطعام والملوخية الخضراء ، وغرق في الشاي ، ومدح الطعام والشاي والخبز ، وقال: الحياة صعبة يا حاج سلمان ..سامحني على إزعاجكم ، وتناول كوبا ثانيا من يد سلمان الذي قال : أبدا يا رجل .. الناس لبعض .. إنما هو من طعام البيت ، لم نذبح لك عجلا ولا فرخة

– الشاي لذيذ يا عم سلمان!.. أنت محظوظ لا داعي أن أخبرك عن شاي أم كسوة

– مرحباً بك ـ وسكب له الكوب الثالث باسما ـ الله يستر على أم كسوة خير يا أبا كسوة

تنحنح الرجل عدة مرات وقال: جئت أسأل عن الدكتور راشد

– الدكتور راشد كما قلت لنا ، قد قتل زوجته بالخطأ ، وقضى ثلاث سنوات في السجن ، ولما خرج منه ، ترك البلد واستقر في العاصمة ، وأخذ معه ابنه أيمن ، ثم استقر في أبو خروف وابتعد عن النساء والزواج ، ولولا حديثك أنت معه عن الزواج وإغراؤك له بابنتك ، ما فكر فيه ، وهو يرغب بمعرفة الرجل الذي فسد عليه هذا الأمر

– فسد عليه الأمر ، لم افهم !

– الرجل يعتذر عن الزواج ما دمت أنت منه مرعوبا ، وخائفا على ابنتك من القتل ، مرّ عليه هو راغب بالالتقاء بك ؛ ليعرف سبب التغير .. والرجل لا ينكر قتله للمرأة بالخطأ ، بلا قصد للقتل ، ونال عقابه

– أنا لما سمعت هذه القصة رعبت يا أبا يوسف .. وخشيت على البنت ، وأن يمد يده عليها كما

مدها على امرأته الأولى .. ألم تعرف كيف قتلها؟

- حاولت أن أعرف ، فلم يفصل الحادث ، أقر بسهولة بفعلته .. كيف كان الخطأ ؟ صمت عن التفاصيل .. ولماذا كان الخطأ ؟! لم يوضح ، بل تضايق وطلب مني إنهاء الموضوع ، وقال لست بحاجة إلى الزواج بعد هذا العمر .. لي خمس عشرة سنة بلا زوجة .. وبدون هموم وسموم النساء وقال لولاك شغلته بالزواج لما فكر فيه .. فهجره منذ ماتت المرأة أم أيمن .. وهو لا يصلح للنساء بعد ضعف طبيعته نحوهم .. فهو كرههنّ منذ موت أم أيمن

- أنا لم أرفض ؛ لكني خشيت توريط البنت الغلبانة مع زوج قتال للنسوان ، لابد من زيارته ، سأزوره

=+=+=+=+

اجتاح حي أبو خروف حكاية قتل الدكتور راشد لزوجته أم أيمن ، وقضاؤه في السجن ثلاثة أعوام لعدم القتل العمد ، وأشيع أنه قتلها عمدا ، وتمت لفلفة القضية ؛ ليخفف عنه الحكم ، ولو ثبت عليه العمد لأعدم أو أخذ تأبيدة.

نتيجة انتشار هذا الخبر بطريقة مغرضة قل زبائن الطبيب ، خاصة النساء منهم ، حتى أن أسماء عاملة العيادة ، طلبت الإقالة زاعمة للدكتور أن زوجها أرغمها على ذلك، والمفاجأة الصادمة للدكتور أن ابنه أيمن الذي لا يتكلم بموضوع معه ، تحدث معه في هذه الإذاعة، وشأن هذه القضية مظهرا وزاعما انزعاجه من طلاب المدرسة القاطنين في أبو خروف ، وأنهم يعلمون بهذه الحكاية ، فصاح فيه أبوه مضطربا: يا ملعون ألم أقل لك ذلك منذ سنوات ؟ لما أكثرت بالسؤال عن أمك .. وأخبرتك أن شجارا حادا حصل بيننا ، ودفعتها غضبا ، فوقعت على الأرض بعد أن صدم رأسها في خزانة الثياب ، ثم نقلت للمستشفى ، وماتت فيه من شدة الضربة ، وحبست بسبب ذلك ثلاث سنوات .. وأنت قضيتها في ملجأ الأيتام .. تخلى عنا القريب والبعيد .. هل تراني مجرما يا ملعون؟! هؤلاء الذين يصطدمون الناس بسيارتهم .. هل يتهم أحد منهم بأنهم قتلى ومجرمون؟!

قال بضجر : لقد انتشر الخبر بهذه الصورة البشعة فسبب لي الحرج ، ولما أقترب وألتقي ببعض الطلبة في شوارع الحي يعيروني .. ويقولون عرفنا سر العدوانية التي فيك .. أنتم عيلة قتلة .. فأمسك أعصابي خشية الفتك بأحدهم ويقول آخر : أعرفتم من أين جاءت عدوانية أيمن ؟! فأبوك قاتل أمك .

أنزل الدكتور رأسه إلى الأرض وهو يسمع هذا الكلام ، وقال بعد جهد وصمت طويل: ماذا أفعل لك ؟! عندما تصل الثانوية العامة العام الدراسي القادم سواء نجحت أم رسبت سأسعى إلى تزويجك لتعيش حياتك.. أتستطيع تحمل حياة زوجية وأنت في هذا السن ؟ .. أم تريد أن تقتلني أنت على خطأ قتلي لأمك؟

عاد أيمن يردد :لماذا انتشرت هذه القصة اليوم ، وبهذه الصورة القبيحة؟!

- نعم ، هذا هو السؤال الصحيح يا أيمن ؟ وهذا أول سؤال جيد أسمعه منك يا أيمن .. ومن يوم موت أمك على يديّ رفضت الزواج من جديد.. ولنا سنون هنا ، ولم تنتشر هذه القصة .. ولما فكرت بالزواج من بنت أبي كسوة تحركت القصة .. ناس لا يريدون زواجي منها .. فنشروا الخبر ليخاف أبو كسوة ، وتخاف ابنته .. فالقصة لم تكن مجهولة .. فهي معروفة عند أبي والعائلة وأهل البلد ، بل الصحف في تلك الأيام كتبت دكتور قتل زوجته ، ومن كان معي في السجن سمع القصة ، ويعرف سبب وجودي معهم .. والشرطة تعلم .. من له مصلحة في منع هذا الزواج هو وراء نشر القصة بالطريقة السيئة والخبيثة ..ورغم أني صرفت نظري عن الزواج وقد قلّ زبائن العيادة زاعمين أن الطبيب يميت الناس ، مادام قد موّت زوجته .. علينا أن نقاوم يا ولدي .. ولنتحمل ونصبر .. وسنوات يسيرة وتشق طريقك في الحياة .. وترى مستقبلك وحياتك في هذه الحياة الدنيا ..أنا لو جدك والد أمك تنازل عن حقه لما قضيت في السجن ثلاث سنوات .. أنا لا أخفي هذه الحقيقة ، وكل أقاربنا يعلمون بها ؛ لكن هنا لا أقارب لنا .. كانت أمك ـ سامحها الله ـ متعبة وكثيرة الشكوى كثيرة الطلبات .. ولقد ولدت طفلين قبلك ؛ ولكنهما ماتا قبل الحادث ، ولم يكمل أحدهما السنة ، ولما ولدت فرحنا بك .. وقلت

تتحسن حياتنا ، تقل مشاكلنا ومشاجراتنا ومنازعاتنا .. وأنا مثلك كنت عنيفا .. يدي قبل عقلي لا صبر لي على الأذى ؛ لذلك لما تعمل شرا أخشى عليك الخطأ القاتل مثلي .. أرأيت كيف يحاربونني ويؤذونني؟

- ألا تعرفهم؟

- لو عرفتهم ماذا أفعل بهم؟!

- تشكوهم للشرطة .. ترفع قضايا عليهم

- وكيف نثبت ذلك عليهم ؟ ..كلام يقال .. والقصة صحيحة .. هل سيعترف المثير للإشاعة وهو يريد إيذائي ؟ إنهم جبناء يا أيمن .. وحرب الجبناء صعبة!



الخطر الداهم

كان صيدلي العيادة الشعبية يتحدث مع كاتب السجل الطبي غريب باسل قائلا له وفي نبرة صوته ضيق وغضب مكبوت :كلمني أصحاب الصيدليات في أبو خروف طالبين مني المرور عليهم لسحب الأدوية التي نقدمها لهم من العيادة .. فهناك حملة عليهم في الصحف ..وقد تقوم دائرة التفتيش بحملة عليهم للتأكد من عدم وجود أدوية الوزارة في صيدلياتهم

بعد تفكير قال غريب قلقا : يبدو يا أمجد أن حملتنا على الدكتور راشد فشلت .. فمنذ أيام أخذت الصحف تتحدث عن الفساد في عيادات وزارة الصحة ، وعن النقص في أدوية العيادات الصغيرة والكبيرة .. وعن مافيا الدواء والتهريب .. وشراء أدوية من صيدليات القطاع الخاص ممهورة بعلامة وزارة الصحة ..ويعزون السبب إلى بيعها في صيدليات القطاع التجاري .. يظهر أننا تسرعنا في الانتقام ..لا يبدو الدكتور سهلا كما ظننّا ..والناس بدأت تنسى قصة جريمة قتله لأم ولده مع أن العيادة تكاد تكون خالية .. حتى أن نمرا فكر بإرجاع زوجته أسماء للعمل في العيادة من جديد .. وأجل الدكتور ذلك

- الأدوية ماذا سنفعل بها يا غريب ؟ فهي كميات كبيرة .. حرمنا منها المواطنين .. وهي تعتبر خارجة من الصيدلية بحكم الوصفات الوهمية .. وصرف نصف الوصفة للزبون بزعم النقص والدواء له عمر ..إننا في خطر وموقف صعب يا سيد غريب

قال الآخر متمنيا : لو تنازلنا عن التسعين دينارا .. كان يجب أن نسمع نصيحة الدكتور شامل بنسيان راشد .. ما دام قد وجدنا بديلا عنه ؛ لكن خشينا من تمردهم علينا .. أنا أضع اللوم عليك يا أمجد .. تريد أن تبني بيتا على حساب الوزارة

- يا شاطر كلنا في الهوا سوا

- أعرف لا تغضب .. رتب إلى أخذ الأدوية منهم ، وتخبئها في بيتك أو توريدها لصيدليات بعيدة عن أبو خروف

- في بيتي الإخفاء صعب .. الأولاد والمرأة وأختي وزوجها جيران لي .. وعمال البناء والورشة

دبرها أنت .. أنا سأضعها في أكياس سميكة وأنت أمّن لها المكان

- أفكر بأن أذهب لراشد وأبي كسوة الذي تردد في تزويج ابنته لراشد .. وأشجعه على تزويج ابنته من راشد

- والدكتور

- أتظاهر أنني ما زلت أنتظر دفعه للمال ، وأن لا يد لنا في فضيحته في الحي ، ولسنا وراء هذه الحملة .. وهو بالطبع سيرفض ويغضب .. ثم أتظاهر أننا سامحناه ، وأوقفنا التعامل معه

- حاول تهدئة الأمور .. المهم إذا لم نسحب نحن الأدوية .. فسيزعمون أنهم تخلصوا منها نيابة عنا ، ويحرموننا من ثمنها

- وأنا هذا ما أخشاه أن يستغلوا حملة الصحف ، ويسرقوننا علنا بحجة الخوف من التفتيش .. على كل حال سأدبر بعضها عندي .. وبعضها الآخر عندك .. وكما أدخلناها عليهم سرا ، نأخذها يا أمجد سرا .. سأتعامل مع صيدليات وسط المدينة ، حيث تكثر الصيدليات التجارية نحن خاصة بعد تعودنا على ذلك لن نستطيع التخلص من الدخل الزائد .. كم صيدلية نتعامل معها هنا؟

- خمس صيدليات وثلاثة أطباء

- متى ستذهب إليهم؟

- الليلة ، خير البر عاجله

ضحك غريب وقال: نعم البر هذا .. سأقابل الدكتور الليلة في بيته .. وأمر على أبي كسوة وأحثه على تزويج ابنته من حضرة راشد .. وأم محمود لتعود للعيادة ..سنرمم الأمور ونكحل العيون وكذلك الشغالة أم رسمي تظاهرت بالخوف وابتعدت .. أخبرني ابنها أنها خافت فقد رعبت من جريمة القتل التي ذاع صيتها في الحي .. هو فقط خسر زبائنه أو قلّ عددهم بسبب هذه الإشاعات .. وهو يعيد القلة لظهور الدكتور نشأت قريبا منه

ترك أمجد غريبا وعاد للصيدلة ، ثم خرج لغرفة المقسم الخاص بالعيادة ، وتحدث مباشرة مع

أصحاب الصيدليات الخمسة ، ورتب معهم مواعيد لسحب الأدوية بأسرع وقت ممكن ، وأخبره بعضهم بأنها في صناديق جاهزة للنقل ، واتفقوا على العودة للعمل بعد انتهاء حملة الصحف ، وانتهاء حملة التفتيش



استقبل راشد غريبا في شقته وذلك بعد أذان المغرب ، فلما فتح الباب ورآه ، قال دهشا: أنت .. ماذا تريد؟! .. لن أدفع فلسا واحدا ، مهما فعلتم لتشويه سمعتي

فقال غريب: اسمح لي بالدخول ؛ لعلنا نتفاهم يا دكتور راشد .. المال لي فيه شركاء .. وهم يتهمونني بأخذه دونهم

- أي مال يا رجل ؟

- فلنتحدث في الداخل .. ها هو باب شقة جيرانك يفتح

فتح باب الشقة الثالثة في الطابق ، وقال الرجل الفضولي: صوتكم عال يا دكتور هل من شيء؟!

- شكرًا أبا محمد .. هذا غريب موظف العيادة

صافح الرجل غريبا وقال : أهلا وسهلا .. تفضلوا يا جماعة الخير

- شكرًا أبا محمد .. تفضل يا أخ غريب

وفتح الطريق لغريب الذي دخل البيت ، الذي يعرفه منذ تعرف على الدكتور من سنوات خلت

فقال راشد: تفضل يا أبا محمد

شكره وهو يغلق بابه معتذرا له ، وأغلق راشد الباب ، وقال وهو يشير لغريب بالجلوس : أهلا وسهلا .. اسمع يا أخ غريب .. أعلم وأدرك ما فعلتموه ضدي

فقال غريب متظاهرا ببراءة الذئب من دم ابن يعقوب: لم نفعل شيئا ضدك يا حضرة الدكتور حاولت إقناع الزملاء بعجزك عن الدفع .. وأن الزبائن قلّوا ؛ ولكنهم لا يصدقون .. يزعمون

أني أريد تملك الحصة وحدي ، غير مصدقين أنك ترفض الدفع .. وسوف أجمعك بأحدهم ؛ ليتأكد أنك تخليت عنا ..وأنا لم آخذ منك فلسا واحدا منذ شهور ثلاثة

قال بحدة : أرفض الاجتماع بأحدهم .. أرجوكم ابتعدوا عني .. أعرف أنك الذي فسد زواجي من ابنة أبي كسوة

صاح غريب محتجا ومنكرا: أبدا أبدا يا دكتور .. وهل أنا قريبه؟! ..وأنا مستعد الآن أن أذهب لأبي كسوة ، وأشجعه على تزويجك ابنته

ضحك الدكتور: هو الذي قال إنك ضغطت عليه حتى لا يتقلد خطية البنت ، ويزوجها إلى قاتل .. نحن نعاشر بعضنا من سنوات يا ابن الناس

– والله ـ إن شاء الله ـ سأذهب إليه بعد الخروج من عندك ، وإذا كان أبو كسوة يسمع كلامي سيمر عليك غداً .. ويذكر لك أنني مررت عليه ، وشجعته على إكمال ما بدا به .. القضية أن شركائي لا يصدقون

– اسمع أنا لن أدفع .. وشغلي توقف بسببكم.. وربما أغلق العيادة .. وسأعمل في أحد المشافي أو العيادات الكبيرة .. لست بحاجة لرواد عيادتكم .. أصلا مرضاكم بحاجة لمستشفيات لا لعيادات طب عام

قال غريب بهدوء : أنا لا أريد الفلوس .. وما جئت من أجلها .. نحن أصدقاء وأصحاب .. تعلم أن الصحف والمجلات هذه الأيام شغلها الشاغل الفساد في الصحة .. ولا تظن أننا أغبياء يا دكتور .. نعرف أنك كتبت لوكيل الوزارة بفساد عيادتنا .. فنحن لنا أصدقاء هناك ولما رفضت العمل معنا وجدنا غيرك .. وهذه أرزاق قسمها الله .. نحن لم نقل لأحد لا تذهب لعيادة فلان من الناس .. الشركاء يوجهون المرضى لعيادات نتعامل معها .. ولا نحمل عصا لنجبر المريض أن يأتيك أو يأتي فلان من الناس .. وقلت لك الجماعة يشكون بأني آخذ المال وحدي ، آخذه لجيبي الخاص

قال الدكتور رافضا التنازل والتراجع عن قراره برفض استقبال أي شريك لغريب : ليس الأمر

عندي .. لا تحضر أحدا ، ولم أكتب للصحف ولا الوكيل .. وهل تظن أنكم وحدكم يفعل هذا الخداع ، ويبيع الأدوية للقطاع الخاص؟! .. هذا للأسف فعل شائع في أغلب عيادات الصحة والعالم الثالث كله ..واعلم أن هناك تحقيقا جديا في القضية هذه .. الأمر في الوزارة ..فأنصح شركاءك بأخذ الحيطة والحذر

تبسم غريب وقال : شكرًا على هذه النصيحة ..سأمر الآن على أبي كسوة .. وسأقنعه بما تحب ؛ لتعلم وتتأكد أنني لم أحرضه عليك

ضحك الدكتور وقال: لا يهمني أبو كسوة ولا أم كسوة .. ما عدت أرغب بالزواج .. فأنا قتّال النساء .. واعتذرت لزوج أسماء عن عملها معي ؛ لأني أفكر جديا بإغلاق العيادة وباب إبليس وأم رسمي تزعم الخوف على حياتها .. لا تظن أنني أهبل .. هذه أفعال صبيانية منك ، ومن عصابتك .. والآن أقول تفضل بالخروج ، ولا داعي لذهابك إلى أبي كسوة .. وتأكد أن مقالات الصحف وتحقيقاتها لا دخل لي فيها



دخل سلمان عيادة راشد ، فوجده وحيدا ، فصافحه وعادا للجلوس ، وقال: ما أخبارك اليوم يا أبا أيمن ؟

- الحياة قاسية هذه الأيام ، أهلا بحضرتك وعساك بخير

- الحمد لله

- كيف حال أم يوسف سمعت أنها دخلت المستشفى ؟

- بخير ، باتت ليلة واحدة .. ماذا في هذه الجرائد التي أمامك؟

- إنهم يدندنون حول قضية بيع أدوية العيادات الشعبية لصيدليات القطاع الخاص .. يبدو أن مكتب النائب العام سيدخل على الخط

قال سلمان : فليدخل .. الحكومة لا تعرف بمثل هذا التسيب!.. إذا نحن البسطاء نعرف .. وعندما نشتري أدوية نجد عليها علامة الصحة يا أبا أيمن أو مقحوطة .. اللف والدوران والعبث متفشي .. سمعت أن صيدلي أبو خروف وبعض موظفي العيادة ، يبيعون الدواء لبعض صيدليات الحي ، وتباع لهم برسم البيع .. وأن حملة تفتيش قائمة .. وبعد صمت من الطرفين قال : كيف أيمن مع هذه العطلة؟!

– كما يقال ماشي .. وقد سمحت له هذا الموسم بالعمل في مكتبة في مركز المدينة

– العمل ممتاز يفتح قلب الشاب على الحياة ، وعلى أهمية المال في الحياة الدنيا .. عساه سالك

قال راشد بعد فكر سريع : له أسبوع منذ بدأت العطلة ، ولحتى الآن سالك ..خير يا أبا يوسف لا أعتقد أنك جئت لنتحدث عن أيمن .

تبسم الرجل وقال : أكيد ، وإن تهمنا أخباره الطيبة .. خير يا دكتور .. أنا أعرف العاصفة التي دهمتك خلال الأيام الماضية يا أخي المحترم .. هذا أبو كسوة عاد إليّ أمس .. ليلة أمس جاءني على المقهى حيث أسهر وتحدث مع بشأن البنت .. وإنه يأسف لتصديقه الإشاعة أو فهمه القضية بطريقة خبيثة .. وقد صورت له بأنك قاتل نسوان العالم .. وبعد تأمل وتفكير ـ إذا كان يفكر المسكين ـ رأى أن هذا الكلام غير صحيح ، ولما تحملت العناية بابن زوجتك ، وقد قتلت أمه ، واكتشف أن هناك خطأ كان من المرأة أدى إلى تلك الحادثة المؤلمة .. والرجل يرحب بأن تكون زوجا لابنته وصهرا له .. وهو يرحب بنا بأي وقت تشاء .. فقلت له إن الدكتور يرفض الزواج ومن كثرة ترجيه عدت أضع الموضوع عندك من جديد ؛ فإذا كان لك رغبة في النساء بعد أن وضحت الصورة لأهل الحي ، ولتجديد شبابك .. فالرجل وأسرته يرحبون بإتمام هذا الزواج والبنت تعلقت بهذا الزواج .. ولولا الحياء لجأت بنفسها تعتذر عما سببه والدها لك من حرج وحنق .. هذا هو الموضوع .. والدار كما يقال بدون امرأة مرة وظلمة ومعتمة .. والمرأة تتحمل المرة والحلوة

قال راشد وهو يشعل سيجارته ويعزم على الشيخ أخرى: غير رأيه أبو كسوة .. وذهب الخوف

والدعاية السوداء من قلبه من أن اقتل ابنته .. رجل بسيط كلمة تشرق به ، وأخرى تغرب به وضعيف الشخصية .. وأعرف من غرر به ، ومن أصلح رأسه عليّ ، وأن من مصلحته تزويج ابنته للدكتور راشد .. واعلم أنا لا مانع لديّ من الزواج من ابنته وبدون تفكير ؛ لكن دعني أفكر بقوة وجدية يا أبا يوسف ، وخاصة بمصاهرة هذا الرجل الغلبان ، وأنا لما أغلق العيادة سأمر عليك على المقهى ، وأبين شروطي وموقفي النهائي

– وهناك السيدة أسماء

ضحك راشد وقال معتذرا : آسف لا داعي لعودتها يا حاج سلمان .. فالزبائن قلّوا بسبب الدعاية السوداء ، ولا مجال لعملها معي ، ولا حتى الشغالة أم رسمي ؛ فإذا تزوجت بنت هذا المخرف فلا حاجة لها



تحقق الزواج

تعلقت نفس الدكتور بالعودة للزواج بعد كل هذه السنين من الانقطاع ؛ لذلك قبل العودة للزواج من ابنة أبي كسوة بمجرد تشفع سلمان بينهم ، وذهب مع سلمان ونعمان لبيت الرجل ، وصحبهم بعض رفاقهم في المقهى ، وتم طلب يد البنت للدكتور مع قبوله اعتذارات أبي كسوة وأسرته ، وتحدد وقت الزفاف خلال أسبوع أو أسبوعين ، فبعد كتابة العقد الشرعي في المحكمة سيرتب الدكتور البيت خلال يوم أو يومين ، فسيقوم بتبديل سرير غرفة النوم المفرد بسرير مزدوج ، بل تبرع به لأبي كسوة وقبله فورا ، وسيكون الاحتفال حفلا صغيرا لعدم وجود أقارب للدكتور في الحي ، وذهبوا إلى دار المحكمة الشرعية ، وعقد لهم القاضي العقد الشرعي واستلمت البنت المهر ستمائة دينار بحضور سلمان وشقيقه نعمان ، وجمعة ، وأحد أبناء أبي كسوة واشترى لهم الدكتور كمية حلويات ليحتفلوا في بيتهم بكتب عقد الزواج ، وطلب من إحدى سيارات الأجرة أن توصلهم لبيوتهم ، وأما هو وسلمان ونعمان فركبوا في سيارة نعمان إلى أحد المطاعم ، وشاركوه الطعام ، وترتيبات حفل الزفاف ، ولما عادوا لـ أبو خروف فشكرهم راشد شكرا جزيلا ، واتجه إلى معرض أثاث واختار غرفة نوم تليق بعروسه الجديدة ، وخلال يومين تحولت غرفته إلى غرفة عريس ، وأقيم حفل زواج صغير في صالة حفلات في نفس أبو خروف وأرسل الدكتور أيمن لينام في أحد فنادق المدينة قبل العودة للبيت حيث حجرته ، وتمنى الشاب السعادة لأبيه وهو يغادره إلى أحد أماكن النوم بالأجرة ، وكان الأب يقول له مودعا: إن شاء الله قريبا سنحتفل بنجاحك ، ثم زواجك يا أيمن ، عندما تصل الفندق اتصل بي ، وأعطني رقمه واسمه .. ثلاثة أيام فقط يا أيمن وتعود للحياة معنا .. وستكون لك بمقام الأم التي حرمتك منها ـ سامحها الله ، ورحمها الله ـ لولا غضبها وعنادها ؛ لكن لو تفتح عمل الشيطان

انصرف أيمن إلى أحد فنادق وسط المدينة ، لم يرغب بالمبيت بفندق أبو خروف ، فتركه الدكتور على راحته

وانصرف المدعون رويدا رويدا ، وانتقل الدكتور وعروسه ، وبعض آل أبي كسوة إلى شقة الدكتور ، وذهب بعض أبنائه لإحضار عشاء للعروسين وبعض آل أبي كسوة الذين دعاهم للعشاء في شقته ، وحضر العشاء الذي وصى عليه أحد المطاعم في أبو خروف ، وتناول الحاضرون الطعام على مائدة راشد بمناسبة الزواج ، وغادر آل أبي كسوة الدار بعد العشاء متمنين للعروسين السعادة والمعاشرة الطيبة ، وانتقلت ابنة أبي كسوة عروسا في بيت الدكتور راشد عبد المحسن ؛ وذلك في عشرة أيام .

ولما أغلق الباب وراءهم ، قال لها: هل وضعت بذلة الصالون في حقيبتها ـ بذلة بيضاء خاصة بالعروس ـ حتى نعيدها لهم غداً

قالت : نعم .

وقال : تعالي إلى المطبخ لم تأكلي بشكل جيد .. لقد لاحظت ذلك.

وجلسا إلى مائدة المطبخ حيث وضع الفاكهة التي اشتراها للترحيب بعروسه الجديدة ، وقدم لها العصير الطبيعي الذي أحضره أيضاً وقال : أهلا وسهلا أرجو أن تكون حياتي سعيدة بوجودك معي يا أميرة

– شكرًا لك يا سيدي ، وأرجو أنا ذلك أيضاً

– ألم يتقدم أحد لخطبتك يا أميرة فأنت جميلة وطيبة؟!

– هذا من لطفك يا دكتور .. تزوجت كل أخواتي الأصغر والأكبر مني .. يبدو أنهم لما زوجوا الأصغر ظن الناس أنني لا أريد الزواج. أو هناك شيء يمنعهم من تزويجي .. ثم تلحق بها الأصغر حتى كبرت ، وقلّ الخطاب ، ولما عرفك الوالد رغبني بالزواج منك .. وهوّن من فارق السن بيننا .. فرضيت .. والبنت كما تعلم ليس لها إلا الزواج .. وجرى ما تعرفه .. والنصيب هو الحكم الفصل .. جاءنا رجل كأنه الشيطان ، وطعن فيك ، وخوفنا من هذا الزواج ، وأنك تشكل خطرا على حياتي ، وأنك قتلت زوجتك ، وهربت إلى أبو خروف ، خوفنا من هذا الأمر فصدقه أبي من كثر ما تكلم ، وخاف عليّ .. وأنا صدق لم أصدق ما سمعت .. فأنت دكتور

وتعمل ، ولو كان ما قاله هذا الحسود صحيحا ما سمحت الحكومة لك بفتح عيادة .. هكذا قال كسوة لأبيه وأيدته ؛ لكن الخوف سيطر على أبي ؛ ثم عاد الرجل يعتذر لنا عن إساءة اتهام الدكتور .. وقال : كان القتل بالخطأ ، وتظاهر لأبي بالأسف والندم ، وأن المرأة ضرب رأسها بالخزانة ، ووقعت على الأرض ، ثم ماتت في المستشفى أثناء العلاج

– أرجو أن تكوني طيبة يا أميرة ، ونعيش سعداء .. والرجل الحاقد موظف عيادة أبو خروف إنه شيطان اسمه غريب

– كأنني سمعت هذا الاسم .. لا تزعل منا يا دكتور .. نحن أناس غلابة

زار غريب الدكتور بعد أيام من زواجه مدعيا أنه جاء ليهنأ الدكتور بهذه المناسبة السعيدة ، ففتح له الطيب باب الشقة ، وأدخله مرحباً وشاكرا ، وجلسا في الصالة ، وطلب له فنجان قهوة وشكره على تدخله في إتمام زواجه بعد أن خربه فرد بالقول : قمت بالواجب ..لا شك عندك أنني الذي فسدت الزواج

ضحك الدكتور وقال: أنت وراء كل شيء .. فأبو كسوة يعرفك حق المعرفة .. ولو رحت له بنظارة سوداء

تضاحك الرجال وقال : على كل حال لن أستطيع نزع هذه الفرية من رأسك ورأس أبي كسوة المهم أنك تزوجت .. وحقنا هل فكرت فيه؟

– حقكم يا سيدي ! لا أدري كيف يكون هذا الحق لكم والشغل تجمد بسببكم؟!وصورتم موت زوجتي الأولى بصورة بشعة يعجز الشيطان عن فعلها

– أريد أن أحضر أحد الشركاء ليسمع هذا القول

– هات أحد الشركاء يا غريب .. أنا لست خائفا من أحد .. فالعقد الشفوي قد انتهى منذ شهور

– حسنا أبا أيمن .. هل لك أن تكف عن التحريض علينا في الصحف ؟

تظاهر بالدهشة وقال مستغربا: أنا! أنا ما كتبت رسالة أو مقالة لجريدة ولا مجلة

- كتبت لوكيل الوزارة

- لم أكتب ، صدق لم أكتب .. إنما تكلمت مشافهة مع أحد الموظفين الكبار .. ولم أذكر اسم أي أحد منكم .. إنما زعمت أني ألاحظ كذا وكذا ، وانتهى الكلام ؛ والسبب لأنكم أسأتم إليّ ولابني كثيرا.. اتهمه بعض التلاميذ بأنه ابن قاتل وسفاح

اعترف غريب قائلا : أخطأنا يا دكتور ، وتسرعنا في ردة الفعل ونشر الكلام .. والناس تحب تبهير الأخبار والزيادة عليها .. فنحن على استعداد لفتح صفحة جديدة .. ونعيد الكرة والمرضى ونبدأ من جديد ونسامحك في الشهور الثلاثة

قال راشد مستهجنا العرض : أنا أعيد الكرة ! لا كرة ولا مرة .. المهم أن تبتعدوا عني .. وأنا بعيد عنكم .. وسأغلق العيادة قريبا عندما أباشر عملي في أحد المستشفيات .. وأنا الآن مسؤول عن امرأة يا غريب .. خليني بعيدا عنكم

- سأحضر شريكا لتقل أمامه هذا الكلام .. وأنك لم تدفع الشهور الماضية .. وليس بيني وبينك أي اتفاق

استسلم راشد وقال : سأخدمك هذه الخدمة ؛ لأني لا أحب أن تدفع من جيبك إذا كان كلامك صدقا ، ولا تكون خائنا بينهم .. مروا عليّ في العيادة وقتما تشاءا .. شرب غريب قهوته وشايه وغادر الشقة ، ولم يظفر بقرش واحد ، ولم يفلح بإغرائه للعودة للتعاون معهم ، ولم يعرف غريب كيف سيتخلصون من حملة التفتيش التي تهدد بها المراقبة والوزارة ؟

فقد حضر رجال المراقبة لبيت أمجد عبد الظاهر ، وفتشوه بحثا عن الدواء ، وأوقف عن العمل حتى ينتهي التحقيق ، إما لمصلحته وإما ضده .. فقد اعترف صاحب صيدلية بأخذه أدوية منه شخصيا .. والرجل يهدد بفضح كل المتعاونين ، ولا يمكن إثبات جريمة إلا على الصيدلي ؛ لوجود الأدوية .. فأما التعاون مع الأطباء فهو بالتوجيه والدعاية .. والمريض يذهب بكامل حريته إليهم .

أيمن راشد

ذكرنا أن أيمن راشد كان يعمل في مكتبة منذ بدأت عطلة المدارس الصيفية ، وكان صاحب المكتبة ذا معرفة بالدكتور راشد ، فقبل عمل الشاب الصغير معه خلال فترة الصيف ، وهذه عادة يقوم بها بعض التلاميذ أثناء عطلة الصيف ، يقومون بالعمل بالمحلات والمصانع والمطاعم والرجل بعد حين عرف صفات وطباع الشاب ، حتى مشاجراته مع الزبائن أثناء المفاصلة لشراء كتاب أو غيره ، فكان الرجل يصلح الوضع بينه وبين الزبون ، ويتفاهم مع المشتري والاعتذار ، وبعد انصرافه يلقي توجيهات وموعظة للشاب ، فيقول له: يا بني هذا ـ يعني الزبون ـ رأس مال المحل الحقيقي .. هو الذي يبتاع هذ الكتب .. فنحن نحبب له الشراء ، ونحسن المساومة ؛ ليشتريه ، لا نقاتله وننفرزه يا أيمن .. ليس بالضروري أن يشتري الزبون الكتاب إذا صارت مفاصلة .. الشراء بالحرية الكاملة .. قد لا نكون أول مكتبة دخلها الزبون فربما وجد سعرا أقل في مكتبة قبلنا .. وكرر أيمن التصرف السيء مع الزبائن وكذلك عدم الاستيعاب للإرشادات ، فنقله معلم المكتبة إلى نقل الكتب من المخزن إلى المكتبة وترتيبها في مواضعها المناسبة ، وتنزيل البضاعة من سيارات الشحن للمخزن ، أو إرساله في طلبية إلى مدرسة أو مكتبة أخرى أو معرض .. فصار يتذمر وأنه مجرد عتال ، فقال مرة لصاحب المكتبة: أنا اشتغل عتالا يا أستاذ بسام

تطلع فيه بسام لحظات وقال: وأنت ماذا تعمل عندي؟! .. مدير .. اسمع يا ولد أنت تعلم أني صابر عليك لصداقتي بوالدك راشد .. وأقول كلهن شهران زمان .. أنت يا ولد لا تصلح للعمل .. سمحت لك باستقبال الزبائن ، فصرت كأنك تخوض معركة .. أنا أعرف حبك للعنف والمشاجرات ، حدثني أبوك ببعضها أعطاني فكرة .. هذا هو الشغل يا بني تحميل تنزيل ونقل .. ويكفي أني أسمح لك بالدخان ، وهو ممنوع .. وتقرأ كل هذه اللوحات التحذيرية وتجعل نفسك لم تقرأ ، ولم تسمع ، ولم تر .

فأخذت الشاب العصبية ، فصار يسب ويشتم الشغل والاستعباد والظلم ، فقال المعلم : هذا

كلام فارغ .. ها هو محمد كان يعمل مكانك ، ولم يشكُ من ذلك ، وأنا لا أحب سماع هذا الكلام والسخط .. لا يعجبك العمل معنا عد لأبيك .. وأنا تحملتك للصداقة مع والدك المسكين .. ومضى شهر من عملك معنا.. فاصبر حتى ينتهي الشهر الثاني

عاد للتذمر من الظلم والعذاب الذي يتعرض له ، مما أثار حفيظة محمد الذي يسمع ويرتب بعض الكتب ويبيع ، فقال لأيمن : يا سيد أيمن إذا لم يعجبك الشغل معنا وغير مرتاح ، فابحث لك عن مكان آخر .. جرب غيرنا .. لماذا تتسخط وتتعب روحك؟!

سحقه أيمن بعينيه وقال: وأنت ما دخلك .. أنا أتكلم مع المعلم

- كلامك أعوج ، ولا أحد يتحمل العوج ! والمعلم يحترمك من أجل خاطر أبيك ، وأنت لا احترام عندك لأحد .. يبدو يا معلم بسمان أنه يريد زيادة

كان بسمان يتطلع فيهما ، فقال أيمن بصوت صارخ : أنا أعمل عمل حمار على خمسة عشر دينارا أنت ماذا تعمل وتأخذ خمسة وعشرين دينارا ؟!

- أنا يا ولد لي سنوات أعمل هنا .. أنت لا تستحق عشرة دنانير في الشهر

فقال المعلم: يا أخ أيمن زيادة لا تحلم بها .. أنا أعطيك هذا المبلغ للصداقة بيني وبين أبيك

صاح أيمن محتجا : أبي أبي خاطر أبي .. زهقتني بهذه الأسطوانة .. أنا هذا آخر يوم عندك

فقال محمد مستغربا ردة فعله: ولد عجيب !كيف لو أنك صاحب المصلحة ؟! كأنك ...

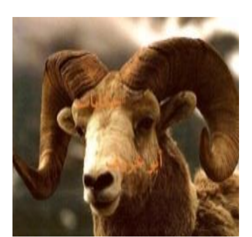
وقبل أن يتابع كلامه تلقى لكمة على صدره طرحته أرضا ، ونهض غاضبا ، وأمسك بقميص أيمن ، وأخذ بسمان يفرق بينهما ، وهو مدهوشا من تطور الأمور بينهم للقتال ، ثم قال لأيمن بحدة : أنت ولد منحط .. قذر .. اغرب عن هذا المكان .. حلبة ملاكمة صار المحل .. تمد يدك على الرجل الفاضل

ضحك وقال: هذا فاضل .. هذا مجرم وحسود

وتشابك الشابان مرة أخرى ، رفع بسمان سماعة الهاتف قائلا: سأتحدث مع شرطة النجدة يا حقير ..لا احترام عندك لأحد

- تخوفني بالشرطة

اتصل بسمان بهم بالفعل ، فلبوا النداء ، وأخذوا الشابين إلى نقطة الأمن



تعرض أيمن للصفع والكلام الحاد في نقطة الشرطة ، ثم أخلي سبيله ، ورجع للمكتبة ناقما غاضبا مطالبا بأجرته أو ما تبقى منها ، فأخذها خطفا وهو يتهدد ويتوعد من النيل من محمد ، والانتقام منه ، وذهب إلى السينما ، وفي المساء عاد للحي ، ووجد والده جالسا في العيادة ، فتظاهر بالسخط من صديق أبيه ، فقال أبوه بعد سكوته محركا رأسه أسفا: تحدث معي الرجل ، وحدثني بأمرك وسلاطة لسانك على الموظف محمد ، ومع ذلك ترك أمر العودة لك إذا قبلت بالاعتذار للشاب محمد

صاح محتجا : عندما أتكلم مع السيد بسمان ، لماذا يحشر نفسه بيننا ؟

- الرجل كشف لي أمرا آخر أزعجني يا أيمن !

- أمرا آخر ، ما هو ؟!

- البنت التي تمر عليك كل مساء عند مغادرة المكتبة

ظل أيمن في حالة صمت ووجوم ، ثم قال: وما دخلهم في البنت ؟!

- يقول بسمان : إن هذه البنت سمعتها سيئة في السوق .. والرجل نصحك بالبعد عنها .. وأنا قلت لك بعد التوجيهي سأزوجك .. فدع بنات الناس .. فتيات المقاهي والملاهي يحملن أمراضا خطيرة .. وهذه البنت صيادة .. وفهمت من بسمان أن لها أكثر من صاحب ..وبالمناسبة زوجة أبيك تقول : إن فتاة تتصل بك بعد صلاة المغرب ـ وكان أيمن هو الموجود في البيت بعد أذان العشاء ، ويرد غالبا على التلفون ، سابقا لزوجة أبيه ـ فلم يرد على استفهام أبيه ، فقال راشد مرشدا: اللعب مع البنات هو لعب بالنار يا أيمن .. إذا كنت مستعجلا على الزواج

أزوجك .. واعلم أن الزواج يحتاج لعمل ، وتعلم مهنة أو صنعة .. أنا كنت أرغب أن تصل للثانوية العامة فتعمل بعدها موظفا حكوميا مباشرة .. أنا لا أستطيع أن أكون رقيبا عليك ولست دائماً لك ..إياك يا ولدي والزنا!

فقال معترفا : أنا لم أزن ، إنما هي قبلات ومداعبات كما نرى في الأفلام

لم يستغرب راشد اعتراف أيمن إنما قال : مداعبات وقبلات .. أنت شيطان ! بنت من التي تتصل في البيت؟!

- لا أدري ، أعطتني رقم تلفونها ، وأخذت رقمنا .. وتتصل للحديث معي بعد العشاء ، لا أعرف بنت من ؟

- من أين عرفتها ؟

- من الشارع

- من سكان الحي؟

قال بحدة مرتفعة : طبعا ، كنت مرة أمام مطعم مشاوي انتظر رغيفا من الكباب .. وكانت تقف بجانبي للشراء مثلي ..وتكلمنا قليلا ، ولما أخذنا الساندويتشات ، طلبت مني رقم تلفون بيتنا ، وأعطتني رقمها

- هل التقيت بها بعد تلك المرة؟

- أنا تعرفت عليها بعد حادث المدرسة آخر أيام الامتحانات

قال الأب بحيرة : إن النساء شر وخطر في نظري ، إذا رغبت بالزواج فأنا مستعد لذلك .. فالمال موجود ؛ لكن هل تستطيع تحمل المسؤولية ؟ والمدرسة أمامك سنة مهمة ومصيرية .. فهذه العيادة أحولها لشقة تعيش فيها كزوج .. وأدفع أجرها ؛ لكن مصاريف البيت أنت تتحملها ، وتتحمل الشغل وبهدلة الشغل .. إنما بعد التوجيهي أفضل لك وللمرأة ولي .. وإذا نجحت ستدخل المعهد أو الجامعة .. أما بنت السوق فابتعد عنها .. هؤلاء فتيات عرفن قبلك الكثير من الشباب والهمل .. يبعن أجسادهن لمن رغب فيهن ، ولكل دافع .. لا تجعل مراهقتك

نارا عليك وندما ، وتهوي في مهاوي الرذيلة والفاحشة .. فالثمن وخيم .. والرجل لا يكرهك إنما هو ناصح ويخاف عليك .. فماذا يريد منك ؟ .. وبنت أبو خروف اطلب منها أن تنسى تلفون البيت .. وضعنا تغير اليوم

خيم الصمت على العيادة فترة ، وقال أيمن: أنا صارت حياتي معكم مظلمة .. لم أعد أطيق البيت .. كان عليك أن تصبر حتى أكبر وأعمل

أدرك راشد مغزى هذا الكلام فقال : أنا كان عليّ أن أتزوج عندما خرجت من السجن .. إنما تركته حتى تنضج وتكبر

- امرأتك سيئة

- سيئة ، ماذا تقصد ؟!

- أقصد أنها سيئة تجلس في البيت أمامي بثياب النوم .. وتنسى أنني ابن زوجها فقط .. لست ابنها



زوجة الأب

تخلى راشد عن العمل في العيادة ، وأغلقها ، وفسخ عقد إيجارها ، وتعاقد للعمل مع مستشفى خاص ؛ للعمل كطبيب عام مقيم ، وعين في قسم الطوارئ ، والعمل في هذا القسم يكون على شكل ورديات ، لكل فريق عمل ثمان ساعات عمل خلال الأربع والعشرين ساعة ، والمستشفى كبير ، فيه كثير من العيادات والتخصصات ، وطلب لظرف خاص أن يكون دوامه في الشهور الأولى في الفترة الصباحية ، ولما يرجع للبيت يجد المشاكل قائمة بين زوجه وابنه ، فلم تطب الحياة لأيمن مع زوج أبيه ، فيقضي الرجل ساعات للإصلاح بينهم وتهدئة الحال ، فكان الشاب يعلن كرهها علنا دون مجاملة ، مما أزعج راشد وأخذ يفكر بحل جذري للمشكلة

وقد شاع في الحي أن وزارة الصحة أثبتت تورط أمجد ببيع الأدوية للصيدليات التجارية في أبو خروف وغيره ، ونقل غريب إلى مدينة بعيدة ، ومثله الطبيب شامل .. وأمجد قدمت أوراقه للمحكمة ، وقد حاول توريط غريب ؛ ولكن الرجل أنكر تعاونه معه ، وأنه لا علاقة له بصيدلية المركز .. وما هو إلا مجرد كاتب سجل طبي .

ولاحظ راشد أن ابنه أخذ ينام خارج البيت أو يرجع إليهم بعد نصف الليل ، فانزعج الدكتور كثيرا لهذه الفعلة.. فسأل المرأة: هل من مشاكل جديدة بينكم ؟

فقالت بسخط ونكد : الحياة مع ابنك لا تطاق ..لا يحب أن يراني ، رغم أنني لم أقصر معه .. وأتعامل معه كما كنت أتعامل مع إخوتي الشباب .. أقدم له فطوره قبل ذهابه للمدرسة ، وأغسل ملابسه وأكويها له كما علمتني .. ماذا يريد مني ؟!.. وأنا متحملة له من أجلك .. فهو يشتمني ويشتم أبي الذي باعني إليك .. وإنني كنت بايرة ، وتخلص مني أبي .. وهذا الزواج قسمة ونصيب

أخذ راشد يلطف من غضبها وضيقها ويهدئ أعصابها بجهله وسنه ، وأنه يتعمد ذلك لتسيء إليه ، ويكبر العراك والشجار ، ولما هدأت أعصابها قال: لو تركناه للشارع ينام فيه ، سيزداد همالة وفسادا وعنفا .. وهل نتخلص من مشاكله؟!.. أنا راغب بأن أزوجه ؛ ليعيش وحده ،

ولكن لو زوجته اليوم سيعيش عالة عليّ ، ولن يهتم بعمل ولا وظيفة .. نصبر حتى ينتهي من الثانوية العامة فإما أن يتوظف فأزوجه وأساعده حتى يستطيع الاعتماد على نفسه ، أو يذهب للدراسة العليا ..والعمل في المستشفيات الخاصة متعب ، وسأضطر للمناوبة في الليل كباقي الأطباء .. وأنا بدأت أفكر بترك العمل .. فكيف أتركك معه في الليل ؟ أخشى أن يمد يده عليك ..فهو شرس .. ليس من يوم زواجنا بل منذ ولد ؛ لعله ينتقم مني؛ لأني قتلت أمه في يوم مضى .. واعلمي أنه يثير هذه المشاكل والصراع لأصل إلى مرحلة اللاعودة .. الطلاق .. فقد طلبه مني صراحة يا أميرة .. ويزعم أنه يصدر منك حركات مغرية ومثيرة

صاحت غضبا : يا للوقاحة! .. منذ نبهتني إلى ثياب النوم ، لم أعد البسها أمامه .. أنا محرمة عليه شرعا يا دكتور .. الأمر أصبح صعبا يا دكتور

– لا تنزعجي ، هو يلقي الكلام على عواهنه .. فعلا كما نبهتك وفعلت ، زعم أنه يتضايق من ملابس النوم التي كنت تجلسين فيها معنا هنا ، أو في المطبخ ، وقال إن ذلك فقط لغرفة النوم .. ونفذنا ذلك

– الحل عليك أن تعيد استئجار العيادة وتزوجه فيها .. وبالنسبة إلى أيام المناوبات .. سيأتي أبي للنوم معي أو أحد أبناء أخي كسوة

– وهل هذا حل؟! الولد في سن النضوج .. وأخشى أن أزوجه ، فيفضحني مع أهل البنت

– أنا اعتبرته كأخ وشقيق .. ليس ابن زوج .. متى سنرى الطبيبة؟

– هل من شيء؟ وأشار لبطنها

– أعتقد ذلك .. فدم الحيض لم يخرج

أظهر الدكتور فرحه وقال : رائع رائع يا أميرة ! هذا هو الحل المنتظر .. عندما يعلم أن أخا له في الطريق سيكف عنك، رغم أنفه .. فهناك أخ جديد .. غداً سآخذك معي إلى المستشفى ، وادع الطبيبة النسائية تهتم بك ، وتعودين وحدك .. يا إلهي ما أعظم كرمك ! وسأعد العيادة سكنا لأيمن ، وأزوجه .. هذا الأسلم .. نوم الخارج مخيف يا أميرة .. يتعلم فيه الحشيش والفواحش

أخبر راشد ابنه أنه قرر أن يزوجه ؛ ليضع حدا للمشاكل بينه وبين امرأة أبيه ؛ لأنها كلما يعود من العمل يجدها تبكي من طول لسانه وتجريحه لها ، فقال أيمن متظاهرا بأنه غير منتبه لحجج واتهامات زوج أبيه : والمدرسة!

- تتزوج وأنت في المدرسة ، سأتحمل الإنفاق عليك أنت وزوجك ، حتى تتيسر أمورك ، وستكون العيادة سكنك ، سأعاود استئجارها .. النوم في خارج البيت مقدمة للانحراف وبداية الغرق

- عندما يضيق البيت على صاحبه أين ينام ؟! لا أستطيع استئجار شقة

- أنا أعجب كيف يتحملون نومك عندهم ؟!

قال بغير مبالاة : نحن نسهر إلى ساعة متأخرة من الليل .. ونتظاهر بالكسل من العودة إلى البيت فننام على الكراسي

- هل تعرف فتاة معينة عينك عليها كزوجة ؟

ضحك أيمن ثوان معدودة وقال: عرفت الكثير من بنات الشوارع والحي ، فلا واحدة تصلح زوجة

- يعني هذا الكلام أنه لا يوجد فتاة في حياتك تستحق أن تكون زوجتك

- أجل لا توجد ، هؤلاء البنات تجد الواحدة منهن أكثر من حبيب .. تسلية هواية على رأي بعضهن .. بنت الحاج أبي يوسف عندها بنات جميلات

قال راشد باسما : أكيد حاولت اصطياد واحدة منهن ، ولم تنجح

- هؤلاء بنات أكابر .. مربيات ، لا يفعلن مثل الكثير من صبايا الحي .. تربية صحيحة .. لقد همت في واحدة منهن ، وطاردتها فترة دون فائدة ؛ كأنني أخاطب حائطا

- في أي صف هذه البنت؟

- كانت معنا في الأول الثانوي فهي اليوم توجيهي مثلنا

- لها مثل سنك .. هذه لا تنفع لك زوجة

- لكنها حلوة ملاك

- اسمع .. أبو يوسف وعائلته وأحفاده لا يزوجون مثلنا .. قصدي مثلك دون تعليم .. فأبو يوسف هذا كل أولاده تعلموا في المعاهد والجامعات .. وأعتقد أنهم لا يزوجوهنّ قبل الجامعة أو على الأقل المعهد ، وإلا الرجل عزّ النسب

فزعم أيمن قائلا : فكرت في هذا تلك الأيام .. هؤلاء يحبون العلم .. هكذا يقول فتيان الحي وكذلك أبناء شقيقه أبي نوح

- أبو نوح أبناؤه أقل تعليما .. هل عنده بنات؟

- لست أدري يا أبي .. أتذكر غريبا ؟ الموظف الذي كان في العيادة الشعبية ، ونقل بعد فضيحة العيادة المدوية .. الموظف المنفي كما يقول عنه شباب الحي

- ماله؟!

- عنده بنت جميلة

- كيف عرفتها؟!

ضحك أيمن وقال: يا أبي هذا حي منفتح .. القصص كل ساعة كل دقيقة .. وماذا يتحدث الفتيان والتلاميذ؟! .. ألا تسمع كل يوم فضيحة وقصة ؟ .. أنت اجلس في مقهى مهران مقهى عزب أسبوعا من الزمن ستعرف الكثير من قصص بنات ونساء الحي

- بنت غريب كيف عرفتها؟

عاد الضحك وقال: أتذكر أيام ما أشاع عنك قصة قتل أمي بطريق خبيثة شيطانية ؟ سمعت اسمه يتردد في تلك القصة .. فتعرفت على ابنته أو تعرضت لها على الأصح ..وهي جيدة إذا قبل بي .. تعرفت عليها مجرد معرفة دون مقابلات ، لقد صدتني وسخرت مني ..وماذا بعد الحب يا سيد أيمن؟!

- أكنت تريد الانتقام منها أم من أبيها؟!

- لا منها ، ولا من أبيها ، قالت ما قلت لك .. وزادت البيوت لها أبواب .. فعرفت أنها مؤدبة

رغم فساد والدها ، ونفيه من العيادة بفضيحة مدوية

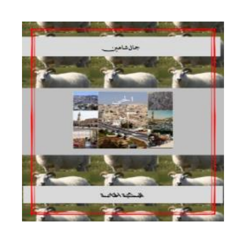
- هذا لا يهم .. سأتحدث مع الحاج سلمان صديقنا في شأن بنت غريب .. وبما أن خير البر عاجله فلنذهب إلى المقهى ، ونتحدث مع سلمان

- هل أذهب معك؟

- نعم ، سأشتري بعض الأغراض ؛ لتعود بها للبيت ، وتتصالح مع زوج أبيك.. وسنمر على مالك العمارة ، ونأخذ مفتاح الشقة ، فما زالت كما تركتها ، وبعد تصالحك مع أميرة انقل سريرك إليها ، واستعد للزواج .. فبمجرد خطبة الفتاة .. نبدأ بتجهيزها للزواج ، وتحويلها لشقة سكن كما كانت قبل أن تصبح عيادة

عانق أيمن والده وقال مغتبطا سعيدا : هذا أحسن حل لإنهاء المشاكل مع أم ... ماذا ستنجب لك ؟

- الله أعلم !



السعي في زواج

استأذن سلمان من الرفاق في حديث خاص مع الدكتور راشد ، ومشيا إلى إحدى الموائد الخالية في مقهى مهران ، وقال: حاضر يا دكتور

– أعتذر .. دائماً أشغلك معي ، وأزعجك بمشاكلي ، وأنت والحق يقال نعم الأخ والصديق وأكثر من أخ منذ وقعت قدماي على أرض أبو خروف

وتحدث معه عن مشاكل أيمن مع امرأته حتى وصل لقرار تزويجه والشروع فيه

قال سلمان مشجعا : هذا حل طيب حتى لا تخسر زوجتك ، ولن تعجز عن صحن طبيخ زيادة للولد والبنت .. أنا حقيقة زارني أبو كسوة لأتدخل في البحث عن حل لمشكلة أيمن وأميرة ابنته وامرأتك .. فقلت له : فلتصبر .. الدكتور رجل فهمان ، فسوف يوفق إلى حل .. وها أنت عند حسن ظني بك يا دكتور .. أنت تريد مساعدتي في زواج أيمن

فحدثه عن بنت ابنته ابنة الدكتور زكي عودة ـ دكتور جامعة ـ فقال سلمان مفكرا : لك كل الاحترام يا دكتور .. لا أظن أن والدها الدكتور زكي يهمه زواجها اليوم .. فهو مثلي يحب تعليم الجميع .. وهو قريب لنا .. نحن عندنا التعليم أولا .. وأمها دكتورة جامعة مثل زوجها .. التعليم قبل كل شيء ؛ ولكن لأنك عزيز عليّ سأخبر بنتي وزوجها بهذا العرض ، وأجس نبضهم .. وأما ابنة غريب غريمك ـ كما نقل لي ـ فأنا مستعد للمشي في ذلك

– إذن امش لنا في زواج ابنة غريب .. فابني لا يستحق مصاهرتكم .. أقول وليس سرا ، هو له أموال باسمه ، ورثها عن أمه ؛ لكن لم أحدثه عنها حتى يصبح رجلا بمعنى الكلمة .. ونحن لنا أملاك كثيرة في البلدة .. ولسوف نتصالح مع الأهل ، وإن طال الزمن .. عندما يذهب الجيل الذي شهد الحادث ستخف حدة الحقد .. والولد من يوم ما شرحت له قصة موت أمه تغير نحوي .. أفكار المراهقين .. فهو يعاني كما قلت لك مرارا من عقدة الحرمان من الأم ، وإنني حرمته منها ومن عاطفتها وحنانها .. وأنا لكزتها بقوة لشدة الغضب الذي ألم بي ساعتها .. فخبط رأسها بالخزانة بقوة ، وضرب رأسها بزاوية الخزانة ..وأنت تعرف الغضب لما يتلبس

الإنسان يفقد الصواب .. فوقعت على الأرض حتى حضرت سيارة ، ونقلتها للمشفى .. كانت فقدت الكثير من الدم ـ قدر الله ، وما شاء فعل ـ فعليّ أن أتحمله حتى يصير رجلا مثل الناس وتحملت كل هذه السنوات ؛ ليعلم كم ضحيت من أجله ، وحرمت نفسي من الزواج من أجله ولم يبق إلا القليل ونفترق

لما توقف الدكتور ، ومسح دمعات سالت على خديه ، قال سلمان : على كل جد الفتاة ها هو – وأشار إليه– فهو مثلي من رواد هذا المقهى .. وبيننا مجاملات وملاطفات .. هل تحب أن نفاتحه بالموضوع ؟ ما هو اسم البنت؟

فأشار راشد لابنه القابع وحده ينظر إليهم من مقعده ، فجاء فسلم على الحاج سلمان ، وشد سلمان على يده قائلا: الزواج يحتاج إلى راجل وعصب قوي .. الزوجية مسؤولية .. والوالد يحبك .. ويريد أن يكفر عن خطأ خسرانه لأمك ، وحرمانك منها ، وحوادث السيارة كثيرة هذه الأيام .. وكله يعتبر خطأ .. والأخطاء تحصل في كل شؤون البشر ..وخير الخطائين التوابون ..كما قال النبي صلى الله عليه وسلم .. فوالدك لم يقتل أمك متعمدا .. ولو فعل ذلك ما خرج من سجن الحكومة ، أو شنقوه ..والمشاكل لا يخلو منها بيتا سعيدا

فقال أيمن بصوت ضعيف ولم يفهم مناسبة ذكرى أمه : أنا أحب والدي يا عم سلمان .. وهو يعلم ذلك .. وأعلم أن القضاء والقدر هو اختار أمي .. وأنا لا أتعمد المشاكل مع زوجته ، فهي كأمي .. والإنسان يتشاجر مع أمه ؛ ولكنهما يتصالحان بسرعة .. ويبدو أن تقارب سنّينا يجعلني لا أشعر أنها بمقام الأم .. الأم أكبر عادة بأكثر من عشر سنوات عن الابن الأول .. وأنا أشكر أبي أمامك على تفهمه .. ويطمئن أبي بأني لم أشرب الخمر أبدا ، أو زنيت أبدا ، أو تعاطيت المخدرات أبدا

قال راشد مؤكدا ثقته به: أنا واثق من ذلك يا أيمن .. على كل تحدثت مع عمك سلمان بالتفصيل واتفقنا أن نخطب لك ابنة غريب التي أثارت إعجابك في يوم من الأيام ، رغم أنه غريمنا السابق لتثق أنني لا أعادي أحدا ، وهذا– وأشار لجد الفتاة– جدها .. وسنتكلم

معه الآن بالموضوع ..ما اسم الفتاة ؟

- حسب علمي وردة ، إن لم أخطئ تركهم سلمان يشربون الشاي ، ويدخنون ، وانتقل لوالد غريب ، وطلب الحديث معه في أمر خاص ، فاستأذن العجوز من رفاقه ، وقال: خير يا سلمان سحبه إلى مكان خال في المقهى أو بعيد عن آذان الفضوليين ، وشرح له حكاية راشد وابنه ، ورغبته بتزويج ابنه ، فقال العجوز: نحن نصاهر راشدا .. أليس هو الذي قتل زوجته؟! كما شاع في الحي

- هذا قتل خطأ .. والسيارات كل يوم تقتل الناس .. فهل يسمى هؤلاء قتلة ؟ .. عمرك ما ضربت الحاجة أم غريب ودفعتها ، بل سمعنا كثيرا عن مشاجراتكم

حك رأسه : معك حق سأشاور ابني

ونادى سلمان الدكتور وابنه للتعارف مع والد غريب السيد باسل .



تحدث الشيخ باسل مع ولده غريب عن رغبة الدكتور راشد بتزويج ابنه من ابنته وردة ، لقد رآها في طريقها للمدرسة ، وأعجب بها ، ويرغب بالدخول من الباب ، وقد حدث والده عنها وسمع غريب القصة من أبيه كما رواها سلمان ، فطلب غريب مهلة بضعة أيام يرتب فيها أفكاره فقال الأب: الرجل مستعجل على زواج ابنه ، يخشى عليه الانحراف ، لأنه بدأ يهرب من البيت وينام عند فلان وعلان ، ويفتعل المشاكل مع امرأة أبيه بنت أبي كسوة

وكان سلمان بعد انصراف الدكتور وولده من المقهى ، جلس ثانية مع السيد باسل ، وشرح له قصة الزواج وسببها في مثل هذه السن المبكرة ، وقبل إنهاء الثانوية عامة ، وشرح باسل ما فهمه من سلمان لولده غريب ، فأعجب غريب بالدكتور ، وعلق : هذا الدكتور فهمان .. أتصلح زوجة يا أبي ؟ زواج الصغيرات انتهى قديما

- كيف انتهى يا ولدي ؟!.. فهو زواج شائع لليوم في أبو خروف .. ابنتك عمرها سبع عشرة

سنة .. ألم تحيض؟

- تحيض من سنوات

- أمك دخلت بها وعمرها ثلاث عشرة سنة .. والحيض بلوغ الأنثى .. والدكتور سيتحمل إيجار الدار ـ وهي العيادة التي هجرها ـ ومصروفات البيت حتى يستقل الشاب بحياته بعد الثانوية العامة ، إذا لم ينجح فيها ، ويدخل الجامعة

قال غريب بتردد : أمر محير هذا الدكتور! لقد كان متعاونا معنا مقابل الزبائن

- كان معكم!

- وعجز عن دفع ثلاثة شهور لنا بحجة قلة الزبائن

قال الشيخ باسل : دعنا من هذه القصة ..حسب كلام سلمان فإن الرجل غني ، ولا يعتمد على العيادة ، وهو يشتغل في مستشفى خاص

- أعرف

- وهو يسعى للعمل مع الحكومة كما قال سلمان .. اسمع إذا البنت راغبة في إكمال الدراسة فلننسَ الموضوع

قال غريب بعد سكون : هو كيف عرف الفتاة؟!

- سألت سلمان عن ذلك .. فقال بكل صراحة : الشاب عاكسها ، وهي في طريق المدرسة ، فقالت له : إن الناس تأتي من الأبواب ، فلما سأله والده عن فتاة يرغب فيها ، فتذكر كلامها وصارح أباه بكلمات البنت .. وهذا في رأيي كلام يدل على رغبة البنت بالزواج ؛ ولكن قد يكون الموقف المزعج تطلب أن تقول له ذلك ليبتعد عنها

- وهذا الرجل منذ جاء هنا ـ كما نعلم ـ لا أهل ولا أسرة .. ويوم تزوج ابنة بياع الهريسة لم يكن أحد من أهله معه

تنهد باسل وأجاب قائلا : يا ابني ما هو منفي من بلده ؛ بسبب قتله لامرأته ، ولو بالخطأ ، حتى أيمن هذا قضى سنوات سجن أبيه في الملجأ ، حتى خرج الأب من السجن ، واسترده ، فالمرأة

المقتولة ابنة عمه

– أعرف هذا .. غداً عندما أرجع من العمل أكون قد فكرت .. فهذا الدكتور هو سبب نقلي يا أبي.. هو الذي أمد الصحافة بالمعلومات

– أنت البادي .. أعرف حكايتك مع أبي كسوة

– من قال لك ذلك؟

– الناس تعرف كل شيء .. الأخبار انتشرت وانكشفت .. والكل يدافع عن نفسه

– هل أزوج ابنتي من ابن الذي نصب عليّ بتسعين دينارا ؟!.. حتى أن الشركاء اتهموني بالتواطؤ مع الدكتور ، لولا أنني أخذت أحدهم وقابل الدكتور ، وأعلمه أنه لم يدفع لغريب فلسا واحدا .. موقف شجاع لا أنكر هذا ؛ ولكن هل نتصاهر ونتناسب ؟

تبسم باسل وقال : هكذا الدنيا .. العدو يصبح صديقا ، والصديق يصبح عدوا {١}.. فكر وتشاور مع الأم والبنت .. أنا لا أحب إفشال شفاعة الحاج سلمان أبي يوسف .. فهو رجل محترم ويصلح بين الناس، ويزوج الناس ، وهو الذي سعى بين الدكتور وأبي كسوة .. وقام مع الدكتور خير قيام .. هكذا الأخوة والجيرة يا أبا باسل .. وراشد لم يعمل معكم طمعا بالمال ؛ بل رغبة بمزيد من الزبائن .. فالأم تجلب البنت والأخت .. ولم يتخل عنكم طمعا بالمال ؛ إنما لاحظ أن الدكتور الجديد أخذ أغلب مرضاه فانسحب .. شاور إخوتك وأمك سيدة البيت .. والتوفيق بيد الله .. وأمر الله الحكم الفصل .

{١} عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ قَالَ: أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا . صحيح سنن الترمذي

يوم الجمعة

كان الدكتور قد اغتسل استعدادا لصلاة الجمعة ، فغسل الجمعة واجب على كل محتلم ، ولبس ملابس الخروج ، وكان قد تلقى هاتفا قبل ساعة من سلمان يطلب منه انتظاره ، لأنه سيمر عليه ويرافقه للجامع الملاصق للمقهى، وينقل له رد غريب باسل على طلب يد ابنته

جلس يشرب القهوة مع زوجته الشابة أميرة ، وكان أيمن يرقد في فراشه في الشقة الأخرى ، فقد ذهب يوقظه للإفطار معهم ، فاعتذر واعتذر عن الذهاب إلى الجامع ، كان الدكتور يأخذه معه كل جمعة إلى صلاة الجمعة بالترهيب والترغيب ؛ ولكنه لما انتقل للمدرسة الثانوية ، لم يعد يجبره على الصلاة ، فكان أحيانا يذهب ، وأحيانا أكثر لا يذهب ، ثم بعد الصلاة يأكلان في أحد مطاعم أبو خروف ، وإن لم يصحبه للصلاة أو يلحق به للغداء بعدها ، يشتري له وجبة جاهزة يتناولها الفتى في البيت .. فالدكتور رغم ممارسته شعيرة الصلاة ، فلم يكن يحافظ على صلاة الجماعة ، إنما يصليها بشكل متقطع ، وحتى الصيام كان يفطر بعض الأيام بسبب التعب والسقم ، ولا يعيده ، ربما أعاد بعضا منه .. فميزان الحلال والحرام مختل عنده ؛ ولكنه يصلي وما كاد ينتهي من شرب القهوة حتى سمع جرس الباب ، فودع الزوجة ، وفتح الباب ، ورحب بسلمان ، وعرض عليه شرب القهوة ، فوافق ودخل البيت ، وذهبت المرأة مسرعة إلى المطبخ ، وعادت بفنجان قهوة للسيد ، فتناوله منها شاكرا وبارك لها الحمل ، فشكرته ودعت له ولأم يوسف ، ولما شربها خرجا إلى الجامع ، وخلال قطع المسافة سيرا على الأقدام جرى الحديث حول زواج أيمن.

فقال سلمان :أبو البنت متردد ، ويرى أنهما صغيران على الزواج ، ويخشى فشلهما في الحياة الزوجية ، يريد ضمانات

- ضمانات لم افهم !

رجع سلمان يقول عن الضمانات : سألت الحاج أبا باسل عن هذه الضمانات ، فقال : رفع المهر المؤخر إلى ثلاث آلاف ، والأثاث إلى ألف

- والمقدم كم ؟

- قال المقدم كعادة الناس من سبعمائة وخمسين إلى ألف وأكثر

- بسيطة .. وهل المال يمنع الطلاق يا حاج سلمان؟

- يحد من الطلاق السريع المتعجل ، أما الإنسان إذا أراد الطلاق ، فسيطلق ، ولو كان عليه مليون .. هذه هي الضمانات

- البنت موافقة على الزواج من ابني

- البنت لا مانع لديها من الزواج بأيمن أو غير أيمن .. وهي مستعدة ـ كما قال جدها ـ لترك المدرسة عند كتابة العقد الشرعي .. فالبنات بشكل عام ملهوفات على الزواج ؛ لذلك يتزوجن قبل العشرين إلا الراغبات في التعليم والمعاهد والجامعات والعمل .. وإذا قبلت بهذه الضمانات سنسعى لإتمام المشروع

قال راشد : أنا بالنسبة لي غير مهم المال ؛ لكن الحياة الزوجية ليست هينة يا حاج سلمان .. فقبول هذه الضمانات قد يسبب المشاكل في المستقبل .. إذا لم ينسجم الشابان في تلك الحياة .. فالولد سيصعب عليه التخلص من المتأخر .. والبنت يصعب عليها التنازل

- أنا حاولت أن نقف عند عادات أبو خروف نصف ألف نصف ألف نصف ألف ، أو أقل من ذلك ؛ لكنّ الحاج باسلا طلب مني مشاورتك ؛ ولعله يتحدث مع ابنه في إلغائها ، هم يرون صغر الشاب مشكلة ، ويعرفون عصبيته وعنفه ، ويخشون من الطلاق السريع ، فهم يرون ما هو ملزم به من متأخر مرتفع حاجزا عن فشل الزواج .. إذا لم يرتح مع امرأته يصبر ويتحمل حتى يكبر الاثنان ، وينضجان أكثر ، ويستقلان عنك استقلالا تاما .. فهم سيعتمدون عليك حتى إنهاء الثانوية العامة والعمل

- أنا يا سيدي أريد تزويجه لتستقر حياتي الزوجية أولا .. فالشاب لم ينسجم مع امرأة أبيه وأنا لا أحب نومه في دور الشباب بحجة السهر واللعب والمراجعة .. وأخشى من وقوعه في الفواحش السكر والعربدة .. أنت ترى كيف تضغط المفاسد على الشباب اليوم ؟ وتقليد أبطال

السينما ليس سهلا التخلص منه مع أنه وهم وخيال ؛ لكن الشباب مهووسون بالأفلام .. وكلها حب وغرام وسكر .. لا أستطيع منعه من السهر ومشاهدة هذه الأفلام .. على ماذا يتفرج الشبان ؟! أفلام كلها حب وغرام ومجون .. أدوات الهدم كثيرة يا حاج سلمان .. الشاب ليس له تعلق بالدراسة مثل أبيه .. مثلي .. يزحف زحفا بطيئا في المدرسة

وصلا الجامع ، ودخلا المسجد ، وصليا تحية المسجد ، وتناول كل منهما مصحفا لقراءة سورة الكهف في هذا اليوم المبارك ، وهو خير يوم طلعت فيه الشمس



كان ظهر يوم الجمعة ملتقى لأهل الحي بعد الصلاة ، حيث يتجمع الناس أمام المسجد ، يصافحون بعضهم بعضا ، خاصة الذين لا يرون أنفسهم إلا يوم الجمعة ، فتجد هذا يصافح هذا ، وذاك يعانق ذاك ، ويسأل عن صحته، وآخر أخباره

ولما خرج سلمان ورفيقه راشد حيث تجاورا في الصلاة والصف ، ودعيا لبعضهما بالقبول ، قال راشد: شكرًا لك يا حاج سلمان ، سأفكر بهذه الضمانات ، وأمر عليك في هذا المقهى .. أنت دوامك فيه يبدأ بعد صلاة العصر حسب ما أعرف

– اليوم عندي زيارة ـ إن شاء الله ـ للمستشفى بعد الغداء.. إذا مررت بعد المغرب ، فالغالب أكون فيه .. قد تجدني وإلا غداً ..ها هو أيمن هنا

ناداه أبوه ـ حيث أشار الحاج ـ فاقترب منهم مسلما ، وتمنى لهم قبول جمعتهم ، فقال أبوه: أصليت؟

– لا

– وإلا لماذا جئت؟!

– هناك خبر

- خبر !

- عند الصلاة ، عند الأذان .. قصدي اتصل أحدهم بزوجتك بنت أبي كسوة

قال راشد كأنه محتج : أرأيت يا عم سلمان ؟! يقول بنت أبي كسوة ؛ كأنه يريد تذكيري بمن نكحت .. آ .. من الذي اتصل ؟

- اتصل أحدهم بها مخبرا بوفاة أبيك

هتف الطبيب بدهشة: أوه! مات أخيرا مات !

وجلس جلسة القرفصاء ، وقال من جديد: أخيرا مات جدك يا أيمن!

فقال سلمان مستغربا: ما بك يا رجل ؟ أنت مذهول!

عاود القيام ، فقال سلمان: أكان والدك حيا يا راشد؟!

هز رأسه بالإيجاب فقال سلمان: عظم الله أجرك

وتقدم معانقا لليمين والشمال ، وتحول إلى أيمن معزيا ، ثم عانق أيمن أباه معزيا بوفاة جده الذي لا يعرفه ؛ ولكنه رأى صوره في خزانة أبيه في إحدى الحقائب الصغيرة ، فقال وما زال الاضطراب باديا عليه : صحيح الخبر يا أيمن!

- جاءت امرأتك .. تطرق وتصيح الحق أباك وقل له هذا الخبر

قال سلمان: يبدو أن لك قصة مؤلمة مع أبيك

تطلع في عينيه وقال: هو سبب طردي من البلد يا حاج سلمان .. لما صار الحادث أقسم أن لا أبقى في المدينة ولا في قراها .. وقال: قتلتها بالعمد يا راشد ؛ لأننا زوجنكاها غصبا عنك . وهي ابنة أخيه بنت عمي .. فبعد أن أخذتني الشرطة أرسل لي هذا القسم .. ورموا ابني هذا .. ابنهم في الملجأ .. رفضوا رعايته حتى أخرج .. ولما قضيت مدة السجن ثلاث سنوات جئت إلى العاصمة دار السلام .. وكان معي سجين من حي أبو خروف ، حدثني كثيرا عن هذا الحي فسعيت للحياة فيه ..سكنت فندقا شعبيا حتى استأجرت بيتا في أبو خروف ، ثم استأجرت الشقة الثانية للعيادة ، ثم أخرجت هذا الولد من الملجأ ، وكان ابن ثلاث سنوات .. ومشت

الحياة .. وها هو اليوم يموت هذا الأب ، الذي لم يصدق أن موتها كان قضاء وقدرا وخطأ .. وفعل ذلك لإرضاء عمي والد البنت وأبناء عمي ، الذين كانوا يعتقدون أني فعلت ذلك عمدا أنا الذي لم أذبح في حياتي دجاجة أو أرنبا أذبح إنسانا .. وهذا الإنسان زوجتي .. آه .. هيا نعود للبيت .. اذهب يا أيمن للمطعم .. وابتاع لنا طعاما .. ما رأيك أن تتغذى معنا يا أبا يوسف

– شكرا ، مع السلامة ، نلتقي الليلة أو غداً أم ستسافر للمشاركة في دفن الوالد

قال بغصة: لن أسافر سيقتلونني لو فعلت ذلك ، رغم كل هذه السنوات .. فهذه أول مرة يتصلون بي .. فأمي ماتت وأنا في السجن .. وتزوج أبي بعد موتها .. هذه حياتنا .. مع السلامة السلام عليكم يا حاج سلمان .. لا أدري لماذا اتصلوا بي ؟!.. سأعرف التفاصيل من المرأة .. خذ هذه الدنانير العشرة ، واشتر لنا طعاما.

لما دخل البيت عزته زوجه بوفاة والده ،وقالت شارحة: اتصل أحدهم وأخبر أنه شقيق لك دون ذكر اسم ، وبعد صمت نقل لي خبر وفاة والدك ـ رحمه الله ـ وأخبر إذا أحببت حضور جنازته سيشيع ظهر السبت ، وعمك يسمح لك بحضور الجنازة ، وطلب مني نقل تحياته لك وأغلق الخط ، فمشيت لأيمن ونقلت له الخبر ، ليذهب ويخبرك به على وجه العجلة

– نعم ، أتى وأخبرني ، وأرسلته لإحضار الغداء كالعادة التي تعودت عليها قبل الزواج

– هل ستسافر إليهم ؟

– بعد ثماني عشرة سنة كيف أسافر إليهم ؟!.. أبي لم يزرني مرة واحدة في السجن.. أبي ضرب أمي لما علم أنها زارتني في السجن .. ومرضت على أثرها ، ثم هلكت ..طابت الحياة هنا .. وعندما نزوج الولد ، ونخلص منه نفرغ لبعضنا ، وقد وافقت الحكومة على عملي معهم كطبيب بعقد سنوي لكبر سني . وحدثها عن شروط أهل وردة ، فقالت : ماذا قلت في ذلك؟ إنه مرتفع جداً ، ولو أنها ابنة وزير .. وقد لا ينسجم الاثنان

– هم يخشون ذلك أن يحصل الطلاق قبل نضوج الشاب ومعرفته لأسرار الحياة الزوجية

– تشاور معه وتناقش معه

طرق الباب ، فقامت تفتحه ، ودخل أيمن يحمل الطعام الجاهز في أكياس ، وأخذته منه للمطبخ

فقال أبوه: ما أحضرت لنا يا أيمن؟

- وهل عندهم إلا الدجاج المشوي ؟ لكني أحضرت معه أرز ، وسلطات مختلفة

ثم مشوا إلى المطبخ حيث أعدت مائدة الطعام ، وأثناء الطعام شجعته على السفر والمشاركة في الدفن والعزاء إذا أمكن ، وبينما هم يأكلون رن الهاتف ، فقال أيمن: اجلسي يا امرأة أنا سأرد

فقال أبوه: لم تقل هذه المرة يا بنت أبي كسوة . وضحك

ولما عاد أيمن من عند التلفون قال : إنهم يريدونك يا أبي .. أحد الأقارب سمعته يقول : قل له عمك عبد السلام

نهض الدكتور وهو يقول: الحمد لله شبعت يا أميرة ..هذا أبو أمك يا ولد

تناول السماعة وقال : نعم ، السلام عليكم أهلا بالعم عبد السلام ـ عظم الله أجر الجميع ـ قضاء الله

واستمع واستمع ، ثم قال : حاضر يا عمي الليلة ـ إن شاء الله ـ أكون في القرية .. أنا أقدر يمينك ومكالمتك .

وعاد للمطبخ فرحا ، وقال : يبدو أننا سنترك أبو خروف يا سيدة أميرة ويا سيد أيمن !!

تمت الحكاية الثالثة

التسول مهنة وضيعة وحقيرة ؛ لكن البعض تحترفها .

كان عصمت فولي منسولا ومعلما على باب مسجد ومقهى أبو خروف

فحين يغيب عن الحي يفتقده بعض الناس حتى كانت المفاجأة لسكان الحي .. فهذا ما ستقرأه يا أخي في السطور القادمة .

جمال

١٩٧٣

شحاذ أبو خروف

وكالة الغوث

انتشرت على أثر كارثة فلسطين ١٩٤٨م ما يسمى بمخيمات اللاجئين الفلسطينيين التي تديرها مؤسسة الأونروا ، وانتشرت هذه المخيمات في كل الدول المحيطة بفلسطين ما عدا مصر ، والسبب أن غزة أصبحت قطعة من مصر ، وربما وصل عدد المخيمات المعترف بها وتدار من وكالة الغوث خمسين مخيما ، وهي مخيمات بؤس تذكر بالمأساة الكبرى للشعب العربي الفلسطيني وانتشرت مخيمات غير رسمية حول بعض المخيمات الرسمية ، ويسكنها الفلسطينيون وفقراء الدول العربية أو العمال الوافدون .

واشتد الصراع بين العرب ومناصريهم من دول العالم واليهود ومناصريهم من دول العالم ، فظهرت ظاهرة العملاء والجواسيس بين الشعبين ، وأحداث هذه القصة وغيرها من قصص أبو خروف كانت في عقد السبعينيات من القرن العشرين .

وقبل الدخول لإحداث هذه الحكاية نتعرف على وكالة الغوث الدولية أسست الأمم المتحدة منظمة تسميهيئة الأمم المتحدة لإغاثة اللاجئين الفلسطينيين الأونروا في نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٤٨ لتقديم المعونة للاجئين الفلسطينيين ، وتنسيق الخدمات التي تقدم لهم من طرف المنظمات غير الحكومية ، وبعض منظمات الأمم المتحدة الأخرى ، وفي ٨ ديسمبر / كانون أول ١٩٤٩ وبموجب قرار الجمعية العامة رقم ٣٠٢، تأسست وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) لتعمل كوكالة مخصصة ومؤقتة، على أن تجدد ولايتها كل ثلاث سنوات لغاية إيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية ، ومقرها الرئيسي في فينا عاصمة النمسا وعمّان العاصمة الأردنية .

بدأت الأونروا عملياتها يوم الأول من مايو / أيار ١٩٥٠، وتولت مهام هيئة الإغاثة التي تم تأسيسها من قبل وتسلّمت سجلات اللاجئين الفلسطينيين من اللجنة الدولية للصليب الأحمر. ومهامها تنفيذ برامج إغاثة وتشغيل مباشرة بالتعاون مع الحكومات المحلية، والتشاور مع الحكومات المعنية بخصوص تنفيذ مشاريع الإغاثة والتشغيل والتخطيط استعدادا للوقت الذي

يستغنى فيه عن هذه الخدمات بعودة اللاجئين إلى مدنهم وقراهم أو ينفوا في الأرض .

تمول الأونروا من تبرعات طوعية من الدول المانحة، وأكبر المانحين للأونروا هي الولايات المتحدة الأمريكية والمفوضية الأوروبية والمملكة المتحدة والسويد ودول أخرى مثل دول الخليج العربية وكندا والدول الإسكندنافية واليابان . تنفق هذه الأموال سنويا على برامج التعليم ٥٤٪ ، برامج الصحة ١٨٪ ، للخدمات المشتركة والخدمات التشغيلية ١٨٪ ، برامج الإغاثة والخدمات الاجتماعية ١٠٪

تغطي خدمات الأونروا للاجئين الفلسطينيين المقيمين في مناطق عملياتها الخمس وهي الضفة الغربية وقطاع غزة ولبنان والأردن وسوريا ، وقد عرفت الأونروا اللاجئ الفلسطيني بالشخص الذي كان يقيم في فلسطين خلال الفترة من أول يونيو/ حزيران ١٩٤٦ حتى ١٥ مايو / أيار ١٩٤٨ والذي فقد بيته ومورد رزقه نتيجة حرب ١٩٤٨، وعليه فإن اللاجئين الفلسطينيين الذين يحق لهم تلقي المساعدات من الأونروا ، هم الذين ينطبق عليهم التعريف أعلاه إضافة إلى أبنائهم .

عبد المجيد ضابط عربي متقاعد منذ العقد الماضي ، وهو اليوم تجاوز الستين سنة ، ويسكن في شقة في عمارة من ثلاثة أدوار أنشأها في أبو خروف ، وكل دور يتكون من شقتين فهو يقطن الدور الأول وابنته تسكن الشقة الثانية في نفس الدور ، ومخرجهما للشارع واحد ، والطوابق الأخرى لها مخرج آخر ، ومنزله تقريبا في وسط الشارع الجانبي الذي يربطه بالشارع الرئيسي وفي شارع أبو خروف الخلفي المسمى شارع السالم ، واسم شارع بيته النخلة ، وعلى رأس الشارع جهة شارع الحي الرئيسي مكتبة ـ اسمها مكتبة الطالب لصاحبها طلال أبي علي ـ يأخذ منها الجرائد والمجلات ، وهي في طريقه للمسجد ، وسوق خضار أبو خروف خلف المسجد ، فهناك محلات لبيع الخضار واللحوم والأسماك والفواكه والبهارات والخردوات .

برنامج الشيخ عبد المجيد تلك الأيام ومن سنوات بسيط ومختصر ، هو يعيش وزوجته ذات الأصل التركي في شقة تسمى بيت عبد المجيد محمد ـ والعمارة كلها يسميها الناس عمارة عبد

المجيد محمد ـ يذهب الرجل عصر كل يوم إلى المسجد لصلاة العصر في مسجد الحي ، وبعد الصلاة يدخل المقهى ، ويجلس مع جيرانه ومعارفه ساعة من الوقت ، ويذهب بعد سماع أخبار الحي وشائعاته الجديدة إلى السوق الواقع خلف المسجد لشراء ما يحتاجه البيت من حاجات ، ثم يقفل عائدا لشقته ، فيجلس مع زوجته العجوز مثله ، فهو من المحافظين على صلاة العصر جماعة فقط ، وصلاة الجمعة أيضاً ، وهوايتهم قراءة الصحف والمجلات والقليل من الكتب السياسية والفكرية ، وله برنامج آخر في فترة الصباح كل الأيام حتى الجمعة ، وهو قراءة الجريدة اليومية ، ومتابعة صفحة الوفيات ؛ فإذا وجد فيها شخصا يعرفه أو خدم وأياه في الجيش يتصل معزيا بأهله وأبنائه ، إذا كان هاتفهم لديه أو يبعث برقية من مكتب البريد في الحي ، والجرائد اليومية يذهب بنفسه للإتيان بها من مكتبة (الطالب) التي تقع على رأس شارعه ، وهي على الشارع الرئيس بالنسبة للحي ، فكان يعتبر وجودها من محاسن أبو خروف ، مع أن الحي الكبير يوجد فيه مكتبات أخرى ؛ لكنها أقربها إليه ، فيشتري الصحف والمجلات ، وأحيانا تذهب زوجته أم عبد الله ، وتارة يرسلها لهم صاحب المكتبة مع العامل عنده أو بنفسه إذا كانت لديه رغبة بالحديث والدردشة مع السيد والتعليق على خبر مثير ، وشرب كأس شاي معه .

كان الشيخ عبد المجيد يضع في جيب الجاكيت التي يلبسها عندما يخرج لصلاة العصر ما يعادل دينارا من القطع المعدنية ؛ ليتصدق بها على المتسولين في شوارع أبو خروف ، وكان الموقع الأهم لهؤلاء الجلوس على الرصيف أمام بوابة المسجد ، وعند خروج الناس من الصلاة يبدأ صياحهم بطلب الإحسان لمدة انتهاء الناس من التجمع أمام المسجد ، ثم ينتشرون حتى الصلاة القادمة .

الكثير من المتسولين ينتشر في شوارع ومحلات الحي طالبا المال الذي يسمونه الإحسان ، وبعضهم يستوطن المكان حتى صلاة العشاء صيفا وشتاء ذكورا ونساء .. فهناك شحاذون ثابتون ، وبعضهم متجولون ، وبعض هؤلاء لهم تجمع أمام الجمعيات والمراكز التي يتردد عليها الناس بشكل يومي .

فالسيد عبد المجيد كان يحمل دينارا من القطع المعدنية من أجل تفريقه على هؤلاء الشحاذين

سواء أمام المسجد أم في شوارع الحي ، وكان متسولون يقضون سنوات وسنوات في نفس الحي ويسكنون في الحي أو أطرافه ، وبعضهم عابرون لأيام وزمن معين ويختفون ، ويأتي غيرهم ؛ لأن الكثير منهم يعتبر هذا العمل مهنة ووظيفة ، ورأسمالها لبس ثياب عتيقة بالية ، شعر مشعث عدم الاستحمام منذ عهد ، وكذلك عدم غسل الوجه ، تشويه البدن ، استغلال عاهة أو صنع عاهة ، تغميض عين أو عينتين ، ومد اليد الملطخة بالسواد والشحبار ، والصراخ لله يا محسنين أنا أخوكم الفقير .. أنا أخوكم الأعمى .. أنا ... أنا ... تنهال القروش والدراهم على هؤلاء الناس .

تعود أو عود الشيخ عبد المجيد نفسه الدفع لهم أمام المسجد أو أثناء الطريق ، فيعطي هذا خمسة قروش ، وذاك عشرة .

وأمام المسجد والمقهى المتجاوران يتربع عدد منهم ، مع الوقت صاروا منارات وعلامات ومعروفين لأصحاب المحلات ورواد المقهى والجامع ؛ فإذا غابوا افتقدهم الناس ، خاصة الذين يدفعون لهم باستمرار ، أشهر متسول في أبو خروف رجل ضئيل البنية ، يلبس بدلة بالية واسعة من يراه بها يعتقد أنه وجدها على مزبلة من مزابل الحي ، ولبسها بدون أن يغسلها ، ويدخن المتسول دخانا صغير الحجم اسمه عنتر ، وله عين أغلب الوقت مغمضة ، يجلس طويلا أمام الجامع والمقهى ، وأحيانا أو بعض الأيام يعمل جولة في الحي ، ويأكل طعامه أمام الجامع حيث يتربع منذ سنوات ، أو يأكل علبة سردين ورغيف خبز ، ويتسول كأسة شاي من المقهى مقهى مهران المعروف لكم ، وأصبحت له عادة ، وغض مهران الطرف عن ثمنها ، لا زوجة له ولا أولاد ، يعرف بفولة ، واسمه عصمت فولي ، ومعروف في الحي منذ أكثر من عشر سنوات من أوائل الستينيات ، وقد أصبح مع طول الزمن من أعلام الحي ، يفترش الأرض من الظهر أو قبل الظهر بقليل حتى المغرب ومرات العشاء ، ثم يختفي ، ومن النادر أن لا يوجد أمام المسجد ما دام موجودا في الحي ، وقد يختفي عدة أيام وأسابيع زاعما للفضوليين أنه يزور أقارب له أو أصدقاء ، وهو يمد يده للمتصدقين دون أن يهتف بشيء ؛ لكن إذا وضع أحدهم صدقة في كفه

دعا له بالجنة والنجاح والحياة الطويلة .. والشيخ عبد المجيد دائماً يضع في يده عشرة قروش قطعة واحدة ، ويزيد كيف حالك يا أبا فولة؟، ولا ينتظر الجواب والدعاء ، واعتاد على هذا الفعل منذ أكثر من عشر سنوات ، فهذا متسول قديم ، وربما أقدم واحد كما يزعم البعض وأحيانا ينطلق في شوارع الحي طالبا الطعام ، فيجلس أمام شقة يأكل صحن طبيخ تقدمه له صاحبة البيت شفقة وعطفا ، وأصحاب الحوانيت يفعلون معه ذلك ، مع طول الوقت أصبح من أهل الحي ، وهو يسكن في عشة في طرف الحي الجنوبي كما ستتعرف عليها ، وقلنا إنه يختفي مرات بالأيام والأسابيع خاصة في فترة الشتاء زاعما أنه يتسول في وسط المدينة ، ثم يظهر مستقرا في الحي ، وقد رؤي من بعض الأهالي يفعل ذلك في شوارع ومساجد وسط المدينة بيت السلام لكن مقر عمله الرئيس رصيف مسجد أبو خروف ، وهو يستأجر عشة تقع بين الحي ومخيم عودة الأمل ، هناك ساحات ما زالت فارغة من العمران يستخدمها بعض تجار الخردة لوضع خردواتهم ، وأغراضهم القديمة ، فنشأت عشش وبيوت من الصفيح لإيوائهم في الليل ومن المطر والبرد في الشتاء ، فهو يظهر أمام المسجد ظهرا ، ويختفي عصرا بعد خروج الناس من صلاة العصر ، ومرات بعد المغرب ، فإما أن يختفي في عشته أو ينزل وسط المدينة طالبا المزيد من التسول في مساجد قلب المدينة مغربا وعشاء .. هذا ما اشتهر عنه .. والعجب أن بعض شبان الحي رأوه يدخل دور السينما بلباسه الرث الذي يتسول به . والسؤال المتداول بينهم هل يدفع ثمن العرض أم يتسوله ؟!



حديث عن التسول

كان عصمت فولي أحد الأشخاص الذين يتحركون في أبو خروف منذ أكثر من عقد من الزمان بل سمعت بعضهم يذكر أنه رآه في خمسينات القرن في أبو خروف وغيره من الأحياء المجاورة ولكنه بعد حين من الزمن رسا واستقر بينهم ، وأصبح معروفا للجميع ، وسكن في ساحة الرغيف حيث تجمع الخردة والتنك، ويسكن العشش ودور التنك والصفيح الصغيرة ، وأصبحت هذا العشش مع الوقت تؤجر ويدفع لصاحبها ما يدفع ، وهذا يسكن وذاك يرحل فالحارس هو الذي يأخذ ويعطي ، وهو المسؤول أمام ملاك الأرض وبين الشرطة ؛ لذلك لما يختف هذا الشحاذ وتطول غيبته فيسأل الناس عنه ، لقد اعتادوا على رؤيته بينهم وفي شوارعهم وأمام بيوتهم طالبا للماء والأكل ، وقد ظهر متسولون غيره في الحي ؛ ولكنه أكثرهم ثباتا واتصالا بهم ، بعضهم ربما قضى أربع خمس سنوات ، ثم اختفى ولم يعد ، أما عصمت يغيب ثم يظهر من جديد.. فإذن أصبح الرجل معلما كالمسجد والمقهى والصحة وبعض المتاجر ونقطة الأمن وبعض الجمعيات كجمعية البر وجمعية الثقافة ؛ صلى عبد المجيد العصر كعادته التي بانت لكم ، وجلس في المقهى مع رفاق الحي وجيران الحي .. الشيخ لا يلعب الورق ولا الديمنو ولا النرد الطاولة .. يتحدث مع مهران وغيره ، ويشرب شايا أو قهوة أو قرفة وتسمى الاينر ، وربما يدخن سيجارة تقدم إليه من أحدهم ، ثم يخرج للسوق أو يتدرج عائدا لبيته قال لمهران : لي يومان لا أرى أبا فولة أمس واليوم

ـ وأنا مثلك لم أره يدخل المقهى لشرب ماء أو طلب كوب الشاي .. فأستغرب غيابه .. ذهب العامل أمس بكوب الشاي فلم يجده لا ظهرا ولا عصرا ولا حتى مغربا .. واليوم وأنا خارج من الجامع لم ألحظه مثلك يا أبا العبد ...وسأل العامل هيثم الشحاذين عنه فقيل له إنه مريض زاره أحدهم ليلة أمس فوجده مريضا .. وهو الذي يزعم أنه لا يمرض

فقال عبد المجيد مبررا سؤاله : تعودت على رؤيته أغلب الأيام .. لماذا لم يتزوج هذا المسكين يا حاج مهران؟!

فكر مهران قليلا ثم أجاب : تعلم أنه يدخل حمامات المقهى لقضاء حاجته عندما تكون مراحيض الجامع مغلقة ، فيسلم عليّ ، فأتسلى معه ، فسألته عن سبب عدم زواجه لليوم ، فرد عليّ ـ يا حاج عبد المجيد ـ النسوان هم ونكد وغم ، تزوجت مرة وتركتني .. ولا أدري أين اختفت ؟ وأين هي الآن ؟ فقلت له مازحا: أيكم كان يجمع أكثر ؟ فصرخ ساخطا : طبعا أنا النسوان حتى في الشحذة غبيات .. هي تذهب ساعة تجلس قدام جامع في قلب المدينة وتشتري الغداء أو تشحذه ، وتعود لتأكله قبل أن أعود ، ولما تدخل عليها البيت تقول : أحضرت طعاما لنا ؟ وباقي الأكل بجانبها .. المهم أن تشبع هي .. وأنا طبعا أكون أكلت في السوق ، وبعد انتهاء مشكلة الأكل.. كم جمعت في النزلة ؟ تذكر رقما صغيرا .. وتقول الشغل اليوم تعبان .. وأنا عارف أنها كذابة ، وبعد حين نمل من الكذب على بعض ، ويصبح الفراق هو الأمل لحياة فضلى .. الشحاذ تعود على عدم الثقة بأحد حتى امرأته وأولاده .. لم تدفع شيئا في إيجار الغرفة فاختفت من حياتي

علق أبو عبد الله بعد صمت الحاج مهران ، وهو يفكر بحياة هؤلاء المتسولين ، فقال : كيف اتخذ هؤلاء هذه المهنة المشينة وعملوا بها ورضوا بها ؟!

– رأس مالها أن يمد يده للناس أول مرة ، ثم يصبح فنانا فيها .. الشحذة فن وخبرة كسائر الحرف .. ولما يتعود الأنسان على شيء يصعب الانتهاء منه ، مثل أصحاب المهن الأخرى .. تجد الحداد يستلذ في عمله ، ويكره تركه إلا لضرورة قلة العمل مرضه هرمه .. وهناك ناس يهوون التنقل والتقلب بين الأعمال .. ويضيع العمر وهو لم يتعلم حرفة واحدة .. العادة لها دور كبير في حياة الناس .. وهي أرزاق

سكت مهران فعقب عبد المجيد فقال : إذا ذهب الحياء ذهب الجاه ومعه ماء الوجه .. هل يؤجر الإنسان على مساعدة أولئك الخلق ؟

– لنا أجر في الإحسان إلى البهائم .. أما هؤلاء فالله أعلم ..اسأل الشيخ شيخ الجامع .

ابتسم عبد المجيد وقال: سألت كذا شيخ ، بعضهم يقول المرء يؤجر والمسلم على نيته

وآخرون يقولون : لا تجوز الصدقة عليهم ؛ لأنهم ليسوا بحاجة للصدقة ، إنما يتخذونها مهنة ووظيفة ، وهي مهنة محرمة كمهنة الخمار وبنت الهوى ، وآخرون يرون أن المسألة لا تحل إلا إلى ثلاثة أصناف {١} ، أخبر عنهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويحق لهم طلب المعونة .. تعودنا على مد العون البسيط لهم قديما منذ زمن

– قل إن هذا المبلغ البسيط يكون في آخر اليوم عشرات الليرات والدراهم .. تخيل هذا الشيطان ـ أنا أحب أن اسميه الشيطان ـ له رصيد في البنك أكثر مني ومنك .. فهو شحاذ ابن شحاذ ورثها عن أمه وأبيه ، وتعلمها من عهد الطفولة ، كما نرى المتسولات يحملن أطفالهن ويتسولن بهم

– هذه الطائفة عجيبة! أنا أستحي أن أطلب مالا من الأولاد .. وقديما أيام الجندية كنت أخجل أن أطلب قرضا ولو بسيطا من أي رفيق في الوحدة ، الراتب ـ كما تعلم ـ لم يكن شيئا مذكورا ، إنما هو بضعة دنانير .. الحمد لله ربنا وفقنا في تعليم الشباب وتربية البنات ، وأكرمنا الله بهذه البناية ، ورغم أني لست بحاجة لمزيد من المال يا حاج مهران الأبناء يضعون في الحساب البنكي الخاص بي رغم أنفي .. وبيتنا لا يوجد فيه إلا أنا وأم العبد .. والأولاد كلما يطلون علينا يتحفوننا بالطعام والفاكهة والحلوى ، وأحيانا نحول الجزء الأكبر

منه لجيراننا للبنت التي تجاورنا .. فزوجها دخله محدود وموظف بسيط ؛ لكنه طيب وخدوم

{١}– عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهِلاَلِيِّ قَالَ تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– أَسْأَلُهُ فِيهَا فَقَالَ « أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا ». قَالَ ثُمَّ قَالَ « يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَحِلُّ إِلاَّ لأَحَدِ ثَلاَثَةٍ رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ ، وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلاَثَةٌ مِنْ ذَوِى الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ لَقَدْ أَصَابَتْ فُلاَنًا فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ ، فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا ». صحيح مسلم

وشهم

- السيد قاسم يوسف

- أجل

- نعم الرجل ، كما قلت رغم بساطته ودخله المحدود ؛ لكنه مجتهد في العمل ، ولما ينته دوامه الوظيفي يعمل على سيارة شقيقه العمومية في فترة المساء ، ويجلس أحمد مع العصابة هنا يشرب الشاي كم ولد له يا حاج ؟

- ما شاء الله ! لحتى الآن ستة مواليد الأكبر عمره ثلاث عشرة سنة

- الله يحفظهم لوالديهم ولكم يا أبا عبد الله



لقد بينا اهتمام السيد عبد المجيد بالمتسول أبي فولة دون الشحاذين الآخرين مع أنه يتصدق على كل من يصطدم به من هذه الطائفة ، فكلما يدخل المسجد أو يغادره عند وقت صلاة العصر يراه متربعا مفترشا الأرض صامتا مادا يده للناس دون نطق شعارهم التليد لله يا محسنين ، فهذا يعطيه خمسة قروش وذاك عشرة ، فهذه قطع معدنية متماسكة ، فلذلك فلما لم يره أمس واليوم قلق عليه ، وافتقده فسأل عنه صاحب المقهى مهران أو عزب ـ كما يحب بعضهم تسميته بذلك ـ عن سبب تغيبه ، فرجع للبيت وهو يقول لنفسه : فعلا لعله مريض ، الناس تمرض حتى ينتفع الأطباء وأصحاب الصيدليات من ورائهم ، لذلك قبل أن يدخل لشارعه الفرعي ـ شارع النخلة ـ رأى طفلا فناداه وأعطاه القروش العشرة حصة أبي فولة اليومية ، فأخذها الطفل وهو يرقب الشيخ ، ثم قال: ماذا أفعل بها ؟!

ابتسم للطفل وقال : هي لك اشتر بها قطعة حلوى . طبعا كان لهذه القطعة في ذاك الوقت قيمتها ١٩٧٣ ـ فكنت ابتاع بها رغيف ساندويتش أو وقية كنافة ـ وتابع السيد طريقه ، وعند زاوية

الشارع تقع مكتبة للصحف والمجلات والقرطاسية وأغراض الطلاب ، وبعض الكتب التي توزع عادة مع المجلات والصحف ، وصاحب المكتبة اسمه طلال السّد وهو أستاذ متقاعد من سنة أو سنتين ، فاستقبله الرجل كعادته من سنوات ، ورحب به ، وقدم له مقعدا يجلس عليه قائلا : تفضل بالجلوس يا أبا عبد الله .. أهلا بالجار الطيب

جلس السيد على الكرسي شاكرا للسيد طلال ترحيبه ، والتقط أنفاسه وقال : الجريدة الراية العربية لم تصل اليوم ، ظننت أن الحاجة نسيتها هي التي استلمت الصحف الصباحية

تبسم السيد طلال وقال : عندما جاءت أم عبد الله صباح اليوم لم تكن الجريدة وصلت بعد .. تأخر حضرة الموزع الفرعي في توزيعها .. تعطلت { بيك آب } التي يوزع بها بعض الوقت ، واحتفظت بنسختك يا أبا عبد الله .. فأنا أعرف نظام شرائك للجرائد وخاصة جريدة القوميين العرب ـ وضحك ـ ونظام مشيك لصلاة العصر في الجامع عشرة عمر .

– لابد من ذلك يا أبا علي ، لابد أن أقوم بنفسي لقضاء الحوائج ، لم يبق لدينا أطفال .. بقيت أنا وها العجوز

دعا الرجل قائلا : الله يخليها لك . ووضع الجريدة على طاولة المكتبة أمام السيد ، وتابع قائلا: وصلني اليوم كتاب قد تحب أن تطلع عليه

– جميل ، عن ماذا؟!

– عن حرب ٦٧

– من ألفه وكتبه؟

تناول طلال السّد الكتاب عن الرف ، وقال وهو يقدمه للسيد : أسباب الهزيمة الكبرى عام ١٩٦٧ تأليف الصحفي الكبير تيم بكر الزيدي

قال عبد المجيد بحيرة : أول مرة أسمع بهذا الصحفي الكبير

وقال الأستاذ طلال : وأنا مثلك ، ولقد قرأت بضع صفحات منه .. وهو كتاب جريء يكشف الأوراق بقوة .. ولعله كبير في بلده .. ويبدو أن له صلات مع ضباط كبار شاركوا في الحرب ..

هكذا أوحت لي الصفحات التي اطلعت عليها .. ويؤكد أنه لم يكن هناك استعداد حقيقي للحرب والجيوش العربية .. وغلب على ظنّ رجالات المخابرات أن لا حرب ستقع رغم التسريبات السوفيتية ومخابرات شرق أوروبا .. إنما الحرب العربية كانت بالصوت العالي والخطابات النارية والإذاعات الرسمية

تنهد عبد المجيد آسفا على حال العرب وقال: أنا قرأت عن الحرب ، وتبريرات النكسة والهزيمة الكثير .. وأنت تعلم أني ضابط متقاعد ، ووالد ضابط أمني أيضاً .. حقيقة أن للحرب والهزيمة أسبابا كثيرة .. من الأسباب المادية ضعف الإمكانات من أسلحة وأدوات قتال وكذلك عدم إعداد جدي للحرب ، وضعف التعاون العربي كجمع ، وتنوع أنظمة الحكم العربية ، والاستهتار بقدرات العدو ، والتركيز على عدد الشعوب العربية مع أننا اليوم نرى قنبلة ضخمة تبيد مدينة كما حدث في هيروشيما اليابان .. أدوات الفتك هائلة يا أبا علي والأهم من مجمل اطلاعي ـ في رأيي ـ الفسق والفساد في الجيوش العربية من زنا وخمر ومجون وضعف التدين والإيمان .. والبلد فيها قومي وطني ديني بعثي اشتراكي ماركسي .. والمصلي في الجيوش العربية يصلي على استحياء .. وشر البلية بعض المفكرين والمثقفين العرب يرون أن سبب التخلف العربي هو الدين والتدين .. فقلة من الضباط تصلي وتصوم .. لا يقاتلون من أجل الدين .. وإسرائيل دولة تصنع الأسلحة ، وتتابع التقدم في الصناعات العسكرية .. وقد سمعت أو قرأت أنهم يسعون لامتلاك السلاح النووي كالدول الكبرى .. والغرب الذي أوجدها يرعاها فهي إسفين لهم في قلب عالمنا العربي .. نحن نستخدم أسلحة الحرب العالمية .. وهم يستخدمون أسلحة فيتنام والحرب الباردة .. ونحن نقاتل بالأغاني والأفلام والأحلام والمقالات الصحفية.. فأمة محمد أمة تختلف عن الأمم الأخرى ، لابد أن تكون عقيدتنا قوية راسخة .. لاحظ لما تحسن الجانب الإيماني لدى المحاربين الجنود وضباط الصف استطعنا في حرب ٧٣ تحقيق بعض الانتصار والثبات .. نحن لم نحرر وطنا ، ولا أرضا مسلوبة عام ٧٣ ؛ لكن عادت للمواطن الثقة بقدرة جنوده على الحرب والانتصار .. اختلف عن حرب ٦٧

الدين ونسبة التدين والثقة بالله.. لم نحرر سيناء ولا الجولان ولا القدس الشرقية ؛ لكن المنطقة تحركت سياسيا .. والكل يدعو للسلام ونبذ الحرب

- أنا قارئ وأعي ما تنطق

- الرجل لما يتقاعد ماذا يفعل؟ إما أن يقرأ أو يلعب الشدة والورق في مقهى عزب .. أنا أصلي العصر جماعة وأجلس مع الأفاضل ساعة زمان أطمئن عليهم وأسمع أخبارهم .. والحاج مهران صديق عزيز .. نعرف من مات ؟ من ترمل ؟ من تزوج ؟ في بريطانيا صحف تهتم بمثل هذه المواضيع تجد لكل مدينة وبلدة صحيفة أسبوعية تنقل على صفحاتها أخبار أهل البلدة والمدينة .. فيعرف المواطن أخبار بلدته عن طريق الجريدة ..وأنا من خلال هذا المشوار اليومي أشتري لوازم البيت والخبز .. لست مغرما بلعب المقاهي فقراءة كتاب أو صحيفة أو مجلة خير من مائة لعبة شدة أو زهرة (النرد) كم ثمن هذا الكتاب الأنيق ؟

- دينار ونصف فقط

- رخيص

- علمت من الموزع أنه مطبوع على نفقة شركات أو مؤسسة ، إنما الثمن أجرة النقل والشحن والتوزيع .. فبعض المؤسسات تساعد على نشر المؤلفات لبعض الشباب والكتّاب

قال عبد المجيد : فكرة جميلة ! وليست جديدة .. فالطباعة مكلفة خاصة لأصحاب الدخل البسيط ، وما أكثرهم ! ثم انتقل لموضع آخر فسأل : هل قابلت أبا فولة ؟

- الشحاذ

- نعم

قال طلال بعد تفكير : هل تعلم لي أيام لم أره ؟ وأحيانا هو يمر عليّ في طريقه لبيته الكائن في إحدى الفراغات حيث ساحات تجميع الخردة.. فهو يتسول الجرائد .. خاصة المستردة أو المرتجعة عن أيام سابقة أو حتى من قبل أسبوع يزعم أنه يقرأها ، ويضع عليها الطعام كمفرش ضحك الشيخ عبد المجيد ملء شدقيه ، ولما التقط أنفاسه قال متعجبا : أبو فولة يقرأ الجرائد ..

هذا شحاذ مثقف يا أبا علي ..هل لديهم وقت للقراءة ؟! أول مرة أعلم أنه يقرأ .

ضحك الآخر مجاراة لجاره وقال ضاحكا : وليس هذا فحسب يا سيدي ، بل يعلق على الأحداث الساخنة ، وكان مهتما بالحرب قبل شهر وما زال يتابع أخبار المعارك والمناوشات الجارية في سيناء والجولان .. ويبدي أسفه وخيبته من الجيش المصري من عدم تقدمه لتحرير فلسطين بعد دخوله القناة في حرب أكتوبر ٧٣ واقتحامه لخط بارليف الدفاعي

قال الشيخ بشيء من الحسرة وخيبة الأمل : وهل فعل الجيش المصري شيئا ؟! بضعة أيام من القتال ، ثم قبل وقف إطلاق النار ومفاوضات .. قبل قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ فور صدوره وقبل قبول إسرائيل له .. لم يحرر سيناء حتى يحرر غزة التي كان يسيطر عليها قبل سنوات إذن متسولنا أبو فولة يقرأ سياسة

- الجرائد العربية تريد أن يقرأ الناس سياسة ، ولا يعملون في السياسة .. اقرأ كتب الدين ، ولا داعي للصلاة والصيام .

كان الشيخ مندهشا مما علمه عن أبي فولة فرجع يقول : معنى الكلام أنه يقرأ مقالات للكتاب

وقال طلال : والجيش المصري أصبح من المعلوم أنه لم يكن يخطط لتحرير فلسطين ، ولا حتى سيناء .. لم تكن له القدرة لتحقيق ذلك ، إنما كانت نتائج الحرب للضغط على إسرائيل للزحف نحو السلام مع العرب ، ورجعنا لروجرز .. فهم يتحدثون عن السلام قبل توقف الحرب نهائيا

- شغلتني به ، صاحبنا شحاذ متطور ما دام يهتم بالسياسة وأخبارها

قال : هو يهتم بكل شيء ، ولما يأت لشحدة بعض الجرائد يقف لدقائق نتحدث على سبيل المرح والمداعبة ، فهو يهتم بالفن والنجوم وأفلام السينما ، بل يحضر كل الأفلام التي تعرض في دور العرض ، ويتحدث عنها بحماس وجدية ، لو أتركه بدون مقاطعة ؛ لتكلم عن كل مشاهد الفِلم ويحب أفلام العنف والقتل ، وصديق لكل السينمات ، حتى أنه يذهب لمحافظات أخرى من أجل فِلم يسمع عنه .

- قلنا شحاذ مثقف .. وهل يدفع ثمن التذكرة يا ترى ؟!

- لا أدري هل تشحذ السينما التذاكر ؟ فالشحذة يا أبا عبد الله عند هؤلاء الناس وظيفة وعمل وعادة

- الحاج مهران يقول إنه مريض

هتف طلال كأنه متفاجئ : مريض! قلت إنه لم يمر عليّ من أيام خلت ، وهو لا يمر يوميا من عندي أو يمر ويظل منطلقا إلى عشته .. فيمر غالبا بعد صلاة المغرب ، أو قبلها يأتي لأخذ القديم من الجرائد

قام السيد وقال : كم ثمن هذا الكتاب ؟

- بس ليرة ونصفها

أخرج السيد محفظته ، ودفع ثمن الجريدة ، والكتاب ، وسمعه يسأل: هل تريد شيئا من أبي فولة

ابتسم السيد وقال : وماذا تظن أن نستفيد من أبي فولة ؟ ! .. هذا يا صديقنا لابد أن حدثتك أني أفك دينارا لقطع معدنية لتوزيعها على الشحاذين أثناء الطريق وأمام المسجد حتى تنتهي .. وهو يأخذ حصته يوميا .. وأبو فولة من سنوات وهو الرقم الثابت في الحي .. يغيب ثم يعود .. تعودت أن أعطيه كل يوم قطعة .. ولي يومان افتقده .. هذا فقط ما بيني وبين أبي فولة .. وهو عادة يفترش الأرض أمام المسجد .. فحرك غيابه الفضول في نفسي .. وماذا الناس يحتاجون من الشحاذ؟ الشحاذ يأخذ ولا يعطي .. منذ عرفته هل اشترى منك جريدة؟

تضاحك طلال وأجاب : لا أذكر أنه اشترى جريدة مني .. فهم لا يعرفون العطاء .. فقط الأخذ وحتى الطعام يحصلون عليه في الغالب بالتسول .. والملابس كذلك .. يدفعون القليل ومضطرين لعلاج وصيدلية .. كيف الشباب عبد الله وعمر وفاتح؟

-كلنا بخير ..وأنت كيف عيالك ؟

- الحمد لله في نعمة ووئام

- أدام الله نعمه عليك وعلينا .. أتخرج علي من الجامعة؟ أذكر أنك قلت إنه على أبواب التخرج

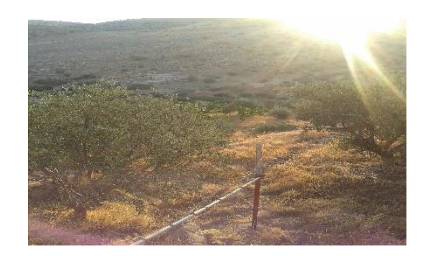
- نعم ، تخرج بفضل الله ، وذهبنا وشاركنا في حفل تخرجه الذي أقامته الجامعة خلال فصل

الصيف ، وهو اليوم يعمل في شركة كبيرة

- على خير ، وفقه الله ، السلام عليكم .. تتأخر أحيانا عن الدوام في المكتبة

- كبرنا يا أبا عبد الله .. سلم على أم عبد الله

- وعليك السلام



ذكريات عبد المجيد

اعتاد السيد عبد المجيد محمد أن يصلي الفجر في بيته كسائر الصلوات ، ما عدا العصر يصليها جماعة في جامع أبو خروف ، واحيانا يصلي وزوجته جازية التركية ذات الأصول العربية ؛ لأن والده محمد أيضاً كان متزوجا من امرأة تركية ؛ لأنه كان عسكريا في الجيش العثماني الذي كان يحكم البلدان العربية قبل نهاية الحرب الكونية الأولى ، فكثير من أبناء العائلات كانوا يخدمون في جيش الخلافة قبل زواله ، فقد يأم زوجته في بعض الصلوات، وأكثرها يصليها منفردا ، وبعد الصلاة للفجر يجلسان لقراءة وردهما من كتاب الله عزّوجل ، ويذكران أذكار الصباح بعد تسبيحات الصلاة وأذكارها ، وكانت أم عبد الله تصنع له كوبا من الحليب المجفف ، فيرشفه وهو يرتل القرآن ، فالرجل يحسن القراءة إلى حد كبير .. فقراءة القرآن ليست كقراءة جريدة أو كتاب .. القرآن له نظام قراءة خاص به اسمه الترتيل التجويد أحكام التلاوة .. وهذا العلم يحتاج لدربة وممارسة أكثر من تعلمه نظريا .

فعبد المجيد الشيخ ولد قبل الحرب الأولى بسنتين أو ثلاثة ، وكان والده ضابطا عثمانيا فخدم في سوريا والأناضول وفلسطين أثناء الحرب الأولى ، وأمه تركية وزوجته أم أولاده تركية ، وهذا أمر شائع تلك الأيام ، خاصة لمن يخدمون في الجيش ، ولما انهزم الجيش ، وسقطت تركيا مع ألمانيا ، تحول كغيره من الضباط العرب للعمل مع الجيش الفيصلي في سوريا ؛ ولكن هذا الجيش انتهى بعد ميسلون ، وذهاب الملك فيصل لبريطانيا ، والتحق الضابط محمد بالجيش العربي الذي أنشأه الملك عبد الله بن الحسين من بقية جيش الثورة العربية الكبرى ، وفي الثلاثينات تركه واستقر في إحدى مدن الساحل الفلسطيني ، وكان ابنه عبد المجيد قد جنده لخدمة الجيش العربي ، وهو يحوي على عدد من بلدان العرب ، وكان عبد المجيد قد نال قسطا من التعليم في المدارس الحديثة ، وكان يتنقل بين فلسطين وقيادة الجيش العربي في شرق الأردن وأصيب في مدينة القدس أثناء أحداث عام ١٩٤٨ م ، وتعافى منها .. وفي مطلع الستينات تقاعد من الخدمة للعسكرية برتبة نقيب ، وكان قبل تقاعده ببضع سنين استقر في حي أبو خروف في

العاصمة والمدينة الكبيرة بيت السلام ، ومع الوقت استطاع بناية عمارة من ثلاث أطوار سكن في الأول منها ، والأدوار الأخرى مؤجرة ينتفع من إيجارها ،ويحصل على تقاعد عسكري ، وعمل فترة في التجارة الموسمية كشراء زيت الزيتون في موسمه وبيعه ، ثم ترك التجارات في مطلع السبعينيات ، وولد له عشرة مواليد .. أربعة ذكور عبد الله وعمر وفاتح ، وولد بينهم طفل ومات دون العام ، وله ست فتيات ، ماتت واحدة منهنّ صغيرة أيضاً ، وبقيت خمس كلهنّ متزوجات ، ومثلهن الأولاد ، وإحدى بناته أجرها شقة ، وهي تسكن معه في نفس الدور ، ثم توقف عن أخذ الإيجار بعد حين ، والأولاد يضعون من مالهم في رصيده ، وحسابه المعروف لهم رغبة منهم في بر والديهم ، فعبد الله درس الشريعة في جامعة الأزهر المصرية ، وظل هناك حتى تحصل على الدكتوراه في الشريعة ، وتعين في جامعة محلية مدرسا في كلية العلوم الإسلامية ، وعمر التحق بالقوات المسلحة والأمن، وهو يعمل ضابطا في أحد أجهزة الأمن العسكرية ، وفاتح تخرج من كلية تجارة ، وبعد حين يسير فتح شركة تجارية خاصة متوسطة الحجم ، وأما البنات لم يتعلمن إلا للثانوية العامة ، وأقل من ذلك ، وكلهن تزوجن في هذه السن ، ومن أولادهن من تخرج من كلية طب القاهرة ، فالرجل جاهد وكافح وتحمل وأصيب وربّى ، وعند سرد هذه القصة كان فوق الستين من العمر ، وما زال قادرا على الحركة والنزول إلى الشارع والشراء والحمل والقراءة ، ويعاني من بعض أمراض ما فوق الخمسين بدرجات متفاوتة ، بعض آلام الركبة ، ضعف البصر فيستخدم النظارة للقراءة ، وحرمه نحوه ، وتصغره بخمس أو ست سنوات ؛ لكنها تعاني من سقم السكري الخفيف ، وساعد أولاده في الدراسة خاصة الكبير ، وهم ساعدوا بعضهم الأكبر فالأصغر ، وهم متزوجون ويعيشون في شقق بالإيجار بعدما استقرت أوضاعهم المالية ، فكل من يتزوج يفضل الرحيل والحياة بعيدا عن عمارة الأب وسكنوا قريبا من أعمالهم ، بل ساهموا في بناء العمارة ؛ ولكنهم رحلوا ؛ لأن العمارة سيكون مصيرها للحي منهم .. فمن الناحية المادية فحاله جيدة لا يعاني من ذات اليد .. فقد ربى وعلم وزوج .. والصحة متماسكة وعنده صفات جيدة ، ولم يتعلق بالدخان كسائر الجيل ، ولم يعرف

طريق الخمر والحانات ، وهذه شائعة في ذلك الوقت بين كبار الضباط ، وهو ابن عائلة الدين مهم في حياتها ؛ لذلك كان متحمسا ليكون ابنه عالم دين أو قاضي شرعي ، لم ينجذب الرجل للأحزاب الناشئة والناشطة في الساحة العربية كان يراها عبثا ، ولن تحقق شيئا للأمة الممزقة ، وكان ـ كما رأينا من حديثه مع صاحب المكتبة ـ يحب القراءة في السياسة دون ممارسة السياسة ، ربما لحياته العسكرية ، فهم يحبذون عدم انخراط أفراد الجيش في السياسة ، مع أنه يحارب ويقاتل من أجل السياسة ، فهم لا يقاتلون لنصر الإسلام ، ربما لأن هذه الجيوش نشأت تحت ظل الاستعمار الإنجليزي والفرنسي بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية ، بعد أن هيمنت على حياة الناس خمسة قرون .. وكان أولاده أطوع إليه من بنانه ، يقدرون جهاده ويفتخرون به ، وهو لم يقصر معهم .. وصاحبنا عاصر أحداثا جساما .. أخطرها السعي لتحقيق وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا العظمى والاستعمار والانتداب بتحويل فلسطين العربية لكيان يهودي عالمي ، وعاصر حروب العرب مع إسرائيل ، وشارك في بعض معارك الجيش العربي في جبال ووديان البيت المقدس ، وتابع حرب تشرين الأخيرة بعد الهزيمة المروعة ٦٧ ، والصراع محتدم ورغبات وهمسات السلام التي تخرج من هنا وهناك ، والدعوة للتعايش ، لكنّ الناس يأخذونها تلك الأيام على محل الهزء والسخرية والتندر .. فلسطين لهم من البحر الأبيض حتى نهر الأردن ولكن الحرب الأخيرة لم تحرر سيناء ، ولا الجولان السوري ، ولا الضفة الأردنية ، والقدس الشرقية ، إنما كانت حربا دون نتائج واضحة في تلك الفترة ، وكان يعلو صوت دعاة السلام والاستسلام للأمر الواقع ونسيان فلسطين التاريخية .

كان عبد المجيد يحب الثرثرة في السياسة والأخبار والتعليق عليها ، ويقرأ ما يكتبه كتاب الأبواب في الصحف المحلية والعربية التي تدخل البلاد ، ويسمح لها بالعبور للحدود ،وذلك يعود إلى حسن العلاقات بين الدول الكثيرة الخصام وسوئها ، بسبب نظم الحكم المتبعة ، فهذه اشتراكية ، وتلك قومية اشتراكية ، وتلك بعثية ، وتلك وطنية ، وماذا يقصدون بالوطنية ؟ لست أدري .. فيقرأ عبد المجيد ويناقش ، وربما كتب تعليقات وأرسلها للجرائد ؛ ولكنه كما أخبر لم

يجد ردا عليها ، إنها لا تصل للصحفي كاتب المقال والتحليل ، أو الكاتب الصحفي ليس لديه وقت كاف للرد على قرائه .. والأخبار والأحداث متسارعة .. وهو يريد أن يعلق على كل شيء في السياسة في الاقتصاد في الثقافة في الرياضة ، تجده موسوعيا .. ولما تطلع على سيرة حياته فتجدها ثقافة جرائد ومجلات .. فقد أتيح له الاطلاع عليها للترجمة والاقتباس ، وإنما تظهر بتوقيعه ، والتصحيح اللغوي يقوم به موظف لغة في الصحيفة ، وكان الشيخ يكثر من الحديث والتعليق عندما يزوره الأولاد ، ويحتدم بينهم النقاش ، وكل يحتفظ بوجهة نظره ، ويتكرر هذا الحماس عندما يلتقي بأصهاره ، فكلهم لما يجالسه يعرف شغفه بالقراءة والحديث عن الأخبار الأخيرة .. وقصة فلسطين حديث الناس من مطلع القرن الأدب الشعر الأخبار الصحف الإذاعة ، وهي قضية حقيقة تشغل العالم ، فالشعب اليهودي في الكثير من دول العالم ، والشعب الفلسطيني بعد ٤٨ انتشر في أغلب دول العالم .. حظيت الشعوب العربية بدول مستقلة أو شبه مستقلة كدول الخليج العربي .. وترك الشعب الفلسطيني بدون دولة باسمه ، وكذلك الشعب الكردي ، الكرد توزعوا بين عدة دول بعد الحرب الأولى بين سوريا وتركيا والعراق وايران .. وجاءوا باليهود من بقاع شتى وأسكنوهم فلسطين الساحلية ، ثم أخذوا باقي فلسطين .. وهي حديث الناس ؛ فلذلك كل من يقرأ الصحف من المحيط إلى الخليج يتصبح بأخبار فلسطين تتصدر الصفحات الأولى من الصحف .. فحتى خبر راقصة فلسطينية فهو خبر مهم في تلك الصحف .. ورغم مشاغل الناس فيتداولون أخبار النضال الفلسطيني يوما بيوم ساعة بساعة فكل حاكم هدفه الدفاع عن قضية فلسطين .. فحتى وأنت تسمع خطاباتهم ومقابلاتهم الصحفية أو الإذاعية يقع في وجدانك أن التحرير على الأبواب ، ولما تدقق في الكلام ترى أنهم يقصدون بفلسطين التي استلبها اليهود عام ٦٧ ، أما البحر وحيفا وعكا فهذه أضحت لليهود بالاعتراف ٢٤٢ أو ٣٣٨ قرارات للأمم المتحدة التي أسست على أنقاض الحرب الكونية الثانية وموت عصبة الأمم .. هل يعيش عبد المجيد ليرى عودة الشعب الفلسطيني لبلاده يوما ما ؟ .. ليس ذلك على الله بعزيز .. فإنه يقول للشيء كن فيكون .. فتراه وهو يقرأ عن القدس: أصلاة

في الأقصى بعد ٦٧ ؟!



يصلي الحاج عبد المجيد سبحة الضحى عند وقت الشروق بربع ساعة أو ثلثها ، ثم يعود للاضطجاع ساعة من الزمن ، ويستيقظ بين التاسعة والعاشرة ، فتبدأ الزوجة بإعداد الفطور بغلي الشاي ، وهو بعد غسله وجهه يهبط ثلاث درجات قبل أن يصل بوابة العمارة للذهاب إلى المكتبة والمطعم الصغير، حيث تبتاع الأطعمة السريعة التجهيز كالحمص المطحون والفول المطحون والمسبحة والباذنجان المقلي والفلافل العربي .. وبعض الأحيان تذهب جارية لإحضار الجرائد والمطعومات ، ومثل هذه المطاعم تنتشر بين الأحياء وفي الشوارع الرئيسة ، فتأخذ أم عبد الله صحنا من الصيني لشراء الحمص ، وبعض حبات الفلافل .. وتجد على مائدة الإفطار الجبنة البيضاء واللبنة والزعتر الأخضر وزيت الزيتون.. ومرات تسلق بيضا أو تقليه بزيت نباتي كان تعاون بينها وبين قرينها في المسير لمكتبة الطالب التي تبعد عن البيت مائة متر .

اشترى السيد الحمص في علبة بلاستيكية نسي أخذ صحن الحاجة ، وبعض حبات الفلافل ، ومشى إلى مكتبة الطالب ، وزلف إليها ، فرحب به أبو علي ، وتبادلوا تحية الصباح ، وأخذ كيس الجرائد ـ حيث يضعها الرجل في كيس بلاستيكي ، الذي بدا يشيع في المتاجر والمحلات ـ واستدار خارجا ؛ ولكنه قبل أن يخرج من باب المكتبة ، سمع أبا علي يقول : قبل إغلاق المحل ليلة أمس بوقت يسير مرّ علينا صاحبك أبو فولة عصمت

توقف السيد واستدار إليه وقال : حقا! ظهر وبان

– نعم ، وأخبرته أنك افتقدته أمام المسجد ، فزعم أنك صديقه ، ويذكر أنك تقدم له مالا يوميا ومن سنين ، وأعلمني أنه كان مريضا فعلا ، واضطر أمام المرض أن ينقطع عن العمل أرأيت يا سيدي يا أبا عبد الله ؟! تعطلت الشحذة ذلك النهار ، وأيضا ذهب للمستشفى ،

وقالوا له إنه لا يوجد به شيء ، ربما تلبك في المعدة ..شحاذ وعنده تلبك

ضحك أبو عبد الله وقال: لا تستغرب ..كل ما يدفع إليه من طعام وفواكه يضعه في جوفه

– المهم علق وقال متهكما من الأطباء والتشخيص: تلبك معدة .. أنا لا آكل إلا السردين واللبن الرايب من أين أتى التلبك ؟

قال عبد المجيد وقد هز رأسه : المهم أنه بخير ؛ أنا أعتبره من معالم الحي .. تعودنا عليه .. له ما يقارب عشر سنوات يستوطن المنطقة .. الغريب يا أبا علي أنه لا يتسول الجمعة وقليلا السبت

فسر طلال فقال : الجمعة رأيته كذا مرة أمام المسجد الكبير في قلب المدينة .. الناس هناك أكثر وهم خارجون من المسجد بعد خطبة الجمعة.. أما السبت لعل هناك أماكن أخرى .. فالذي يتعود على هذا الشغل يصعب الخلاص منه .. التسول مرض اجتماعي خطير .. مهنة فظيعة .. وكسب خبيث .. ولا أعطال فيها .. لولا قلة الناس في الليل وإلا ما ناموا .. العطل عندهم اضطراري .. بسبب مرض فقط أو موت .. لا يعرفون التقاعد مثلنا

– أتاك من أجل الجرائد ؟

– أجل لا مصلحة بيننا .. جرائدك ماذا تفعل بها بعدما تقرأها ؟

قال : إن لم يأخذها أبو باسل زوج البنت لبنى جاري ، أضطر لدفعها لعامل النظافة ، أجمع له مجموعة من الجرائد والمجلات وأدفع له بعض المال ؛ ليقوم بحرقها لوجود كلمات دينية فيها عدا اللغة العربية المكتوبة بها

– على كل حال الذي تدفعه للزبال فأرسله لي .. وانا أتصرف به .. فبعضهم يطلب الصحف القديمة ليستخدمها كبساط للسفرة

– قرأت أن بعض أهل العلم يكرهون أو يحرمون الأكل عليها لوجود آيات قرآنية أو أحاديث نبوية على صفحاتها

قال طلال : إن الله غفور رحيم

– ومن ناحية صحية سيئة .. يقولون إن الرصاص المستخدم في الطباعة خاصة الجريدة يؤثر على

بدن الإنسان ، فلا ينصح باستخدامها كمفرش طعام

- الله اعلم

- على كل حال سأطلب من عامل النظافة أن يتركها عندك بدلا من حرقها.. إذن صاحبنا ظهر في الحي ، وجاءك ليتثقف

- طبعا ، لست المكتبة الوحيدة التي يتسول المجلات والجرائد منها ، إنما حسب طريقه لعشته يتسول .. ولدي خبر هام تذكرته هذه الثواني

- عنه؟

قال طلال باسما : نعم ، وهل نتحدث عن غيره ؟ يريد أن يتزوج .. فهو تزوج مرة ؛ ولكنها هربت من بيته

قال الشيخ مهتما بعصمت : وأين سيسكن اذا تزوج ؟ فهو يسكن في عشة صفيح خلف شارع الحي الشرقي بدون إيجار أو بإيجار زهيد

- سمعته يرد على هذا السؤال ، فهو سيجد بيتا في الحي هذا أو في مخيم اللاجئين القريب من أبو خروف ، فضحكت ، وقلت مازحا : أتدفع إيجارا يا عم عصمت ؟ فقال : شر لابد منه .. أتنازل عن بعض المال صدقة لصاحب الدار .

ضحك عبد المجيد وقال: صدقة .. جميل هذا من أبي فولة!.. صار دفع الأجرة صدقة.. يا له من جواد!

ضحك أبو علي ، وغادره أبو عبد الله وهو يقول : برد الفلافل يا أبا علي .

بعد رحيل أبناء السيد ، وذلك بعد زواجهم أصبح لديهم نظام غداء الجمعة ، كل جمعة يكون الغداء على أحدهم ، فيقوم الذي عليه الدور بإحضار الوليمة لبيت الوالدين إما مطبوخة في البيت ، أو يبتاعها من أحد المطاعم المختصة بصنع الوجبات الكبيرة ، ويوم الجمعة كما هو معلوم يوم العطلة الرسمية في كثير من البلدان العربية ، والبنات كانت تجتهد على مشاركة الأبوين الغداء في بحر الأسبوع بدون ترتيب مقصود ، حسب المناسب لظروف أزواجهن ،

وكان الأخوة ينسقون مع بعض ، ويعتبرون هذا نوعا من البر للآباء ؛ فإذا طرأ ظرف تغير الترتيب ويتبادلون الأدوار .. وهكذا دواليك ، وهذا الترتيب منذ سنوات قليلة منذ زواج فاتح أصغر الأبناء وتركه بيت الوالدين ، فكان نهار الجمعة بعد انتهاء صلاة الجمعة حافلا في بيت السيد .. عندما يحضر عبد الله يحضر معه خمسة أبناء وزوجة ، وهو قد تزوج أثناء دراسته في مصر ، من امرأة مصرية ، أصولها تركية بينها وبين أمه قرابة ، فالأتراك جنس توزع في كثير من البلاد العربية بسبب إدارتهم ، وحكمهم لبلاد المسلمين العرب ، وكانت لبنى جارة والديها في كثير من الأحيان عندما تطبخ طبخة شعبية ترسل لوالديها صحنا منها ، السيدة جازية كانت في أغلب أيام الأسبوع تطهو لنفسها ولزوجها ، فهي ما زالت تجيد الطهو وتقدر على ذلك

لما كانت الجمعة التي تلت الأحداث التي سردناها عليكم في الصفحات السابقة ، كانت وجبة غداء الجمعة من نصيب الابن الأكبر للسيد الدكتور عبد الله ، ويطيب للسيد الكبير أن يحضر ابنه معه كل أفراد الأسرة ، والمتقاعد قد يهتم بأشياء يراها البعض سخيفة ؛ ولكنه يعذر بأنه متقاعد وكبير في العمر ؛ لذلك كان السيد قد حدث أهله باختفاء الشحاذ أبي فولة ، ثم ظهوره وتبين له أن يطالع الصحف وقد تفاجأ من ذلك ، وأنه يفكر بالزواج ، ويعتبر الأجرة التي سيدفعها صدقة على مالك البيت ، ولما جلسوا يأكلون الفاكهة ويتسامرون ويشربون الشاي بعد تناولهم طعام الغداء قال عبد الله : وأنت في الحمام حدثتني الحاجة عن الشحاذ فولي وأنك مهتم به

تبسم الوالد ضاحكا وقال : أبدا أبدا القصة ـ كما تعلم ـ أني تعودت على مشاهدته أمام المسجد عندما أذهب لصلاة العصر ، وشراء ما يلزم البيت ، فأوزع مبلغا من المال على الشحاذين ، فلي عهد أراه يوميا ، فلو صاحب بقالة انتقل دون أن أعرف لابد أن أسأل عنه ، فجرى حديث بيني وبين صاحب المكتبة طلال السّد عن هذا المتسول .. فأخبرني أنه يتسول الجرائد من عنده ؛ ليقرأها ويتثقف ، ويأكل عليها ، فهو زبون عنده ؛ لكنه لا يشتري شيئا ، وهذا ليس أول مرة أفتقده خلال العمر ، فهو أقدم شحاذ في الحي ، وأثبت شحاذ على غير العادة .. الشحاذون

يحبون التنقل ، وعدم التمركز طويلا في مكان واحد أو حي واحد ؛ ولكنه يغيب زمنا ، ثم يعود وحدثت الحاجة عنه من باب التسلية يا أبا أسامة .. وكنت أتحدث مع طلال فسألته عنه من باب التسلية ، فوجدته زبونا عنده يتسول الجرائد المرتجعة .. وعجبت فعلا من شحاذ يقرأ الصحف وهو يسكن في الفضاء الخالي خلف أبو خروف

– أعرفه ، وأعرف شخص الشحاذ عصمت ، وشاهدتك تضع في يده عشرة قروش .. وذكرت لي أنك تفعل ذلك منذ عرفته متسولا في أبو خروف

– المهم تحدثنا عنه ، ورغم معرفتي السطحية به ، فقد عجبت من قراءته للصحف ، وهو يعيش في عشة لا كهرباء فيها ، فبين لي طلال أن لديه سراج كاز ، وأيضا يقرأها في أول النهار على نور الشمس قبل التحرك للشحذة ، فطلال يعرفه جيدا من تكرار الحديث معه ، وأعلمني أنه يتحدث في السياسة وتحركات الرؤساء والقادة ، وحرب تشرين الناشبة بين الدول العربية ودولة اليهود .. وصباح أمس كنت أشتري علبة حمص لنفطر عليها أنا وأمك ، مررت على أبي علي لأخذ الصحف المعتادة ، فأخبرني أنه ظهر ليلة أمس ، وفعلا كان مريضا ، وذهب للمستشفى ، وأخبره أنه سوف يتزوج ـ فقد تركته امرأته الأولى قبل أن يستقر في حيينا ـ ولما سأله طلال أين سيسكن بها ؟قال له : إنه يبحث عن شقة أو غرفة كبيرة .. وسيعتبر الإيجار صدقة على مالك البيت أرأيت ؟! .. شر البلية ما يضحك .. ناسي أن صاحب الملك دفع شغل سنين ليبني هذه الدار وتلك العمارة .. وقد تمر عشرات السنين قبل أن يسترد ما أنفقه على تشييدها .

تبسم الدكتور عبدالله ـ وكان يحب الاستماع لوالده دون مقاطعة ـ وعلق: صدقة .. الإيجار سيكون بنية الصدقة عند أبي فولة .. مهبول هذا .. هذا الإيجار بدل منفعة .. ليس له أولاد من زوجته التي هجرته ـ يا أبي ـ لم يخلف منها .

– لا ، لم أسمع بذلك منه ، ولا من غيره ، والناس تناديه أبا فولة على اسم عائلته فولي .. فهذا السبب الذي دفعني للحديث مع أمك عنه .. وأنت تعلم أني أحمل بعض القطع المعدنية

لتوزيعها على هؤلاء الشحاذين كل يوم .. وأنا متجه للجامع لأداء صلاة العصر .. وذلك رغم علمنا بغناهم وبخلهم ، وأنهم يمتهنون هذه الوظيفة الدنية .. ولو توقفنا من إعطاءهم لا يتوقفون .. إن الفقراء الحقيقيين تصلهم صداقاتنا عن طريق جمعية البر .

– التسول مرض اجتماعي كسائر أمراض القلب والبطن .. لذلك يمتنع الكثير من الناس بالإحسان إليهم لعدم استحقاقهم للصدقة.. إنما أشكالهم تحتاج للصدقة وتدفعنا للتصدق عليهم .. والكثير منهم يملكون الثروات .. وبعضهم كما نسمع لهم بنايات ؛ ولكنهم تعودوا على حياة الدور القذرة والضيقة .. الإنسان بعد حين يصبح أسير العادة والعادات .. فهم يتسولون بحكم العادة ، وليس لسد الجوع والحاجة .. فقد نشرت إحدى الجرائد عن موت متسولة طاعنة في السن ، وتركت وراءها ثروة كبيرة ومواد تموينية فاسدة كثيرة .. الصدقة مطلوبة .. وفضل الغني على الفقير بالمال ؛ لتمحيص الخلق .. ويقال للسائل حق ولو جاء على ظهر فرس .. والرسول ﷺ وضح للناس من تحل له المسألة وطلب العون من الناس (حديث قبيصة المعروف في هذا الباب وقد سبق ذكره)

قال الأب: هؤلاء المتسولون لا يهتمون بحديث ولا قرآن .. إنهم يجعلون القرآن والأحاديث وسيلة للتسول ومد اليد .. كنت أجلس في متجر في مركز المدينة حيث شحاذ داخل وآخر خارج .. وبينما نتحدث في أمور الدنيا دخل علينا كهل شحاذ طالبا صدقة.. فالتفت إليّ صاحب المحل ، وقال: عشرات يدخلون علينا خلال ساعات النهار ، فصرفه دون فلس واحد ؛ ولكنه قبل أن يغادر المتجر صاح فينا : الله يقول ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة .. فنظر إليّ صاحب المحل بعد أن استوقفه قائلا : أسمعت بهذه الآية يا شيخ عبد المجيد ؟

هززت رأسي نافيا ذلك ، وقال : وأنا مثلك رغم قراءتي للكتاب ، لا أذكرها .

وقال للشحاذ قل لي في أي سورة هذه الآية ، وأنا أعطيك عشرة قروش . فعاد الشحاذ حيث الطاولة التي يجلس عندها صاحبي وأنا ، فقال لنا : هاتوا المصحف .

فتناول الرجل مصحفه وقال : ها هو المصحف . أخذ المتسول القرآن ، وفتح على سورة فصلت

ووضع إصبعه عند الآية التي تنتهي بقوله تعالى وويل للمشركين ثم علامة نهاية أية ، ثم أية تالية الذين لا يؤتون الزكاة .. فعلق صاحبي قائلا : لي عشرات السنين أقرأ الكتاب ، ولم انتبه لها ، وأعطى الرجل عشرة قروش ، وقال بعد انصرافه : هذا الجزء أحفظه غيبا ومع ذلك.. هذه أول مرة انتبه لهذا الارتباط .. أرأيت هؤلاء الشحاذين يا أبا عبدالله ؟!

فقلت له : وأنا مثلك .. هذه أول مرة أقرأ تهديد المشركين بويل لأنهم لا يؤتون الزكاة. وتركنا المتسول باسما .. التسول اليوم ليس علامة الفقر والمسكنة

قال عبد الله : أن أية فويل للمصلين في سورة الماعون شبيهة بها ثم الذين هم عن صلاتهم ساهون .. واليوم الدول فيها مؤسسات خيرية ، ووزارات معونة مالية وجمعيات ؛ لكنهم استهوتهم هذه الطريقة للحصول على المال .. وهناك جمعيات الزكاة كجمعية البر في حي أبو خروف ، وغيرها من الجمعيات .. حدثت عن متسول يملك عمارة من أربعة طوابق مؤجرة في أحد أحياء مدينتنا الكبيرة .. يركب سيارة مرسيدس حديثة كما يقال موديل سنتها يتخذ الشحذة وظيفة .. ينطلق صباحا في سيارته تلك إلى الأحياء الراقية ، ويتركها في موقف سيارات خاص ، ويخلع البذلة ويلبس ملابس العمل حتى الليل ، ثم يعود لسيارته ويلبس ثيابه الحسنة ويجلس مع سكان حيه كأنه وزير أو مدير شركة كبيرة .

مرض عبد المجيد

غادر عبد المجيد المسجد بعد صلاته العصر ، ودخل المقهى كعادته ليشرب فنجان شاي أو قهوة قبل أن يتوجه للسوق القابع خلف المسجد ،وجلس عند طاولة يجلس عليها أهم أصدقائه ومعارفه في الحي ، وأغلبهم جيرانه ومن جيله ، ولم يكد يجلس ، ويسلم على من لم يسلم عليه في المسجد ، حتى سمع مهران يناديه فهو صديقه وهو صاحب المقهى ، فالتفت إليه وقال : آ ، يا أبا عبد الكريم ، لدى الحاج كلام

فأشار إليه بالمجيء والجلوس معه ، فنهض وسار إليه ، وجلس على كرسي بقربه وصافحه وسأله عن عياله وأهله .

فقال له : لم تطلب شيئا .. يا سعيد فنجان قهوة للحاج عبد المجيد

- فنجان صغير يا حاج

أحضر النادل فنجان القهوة الصغير ، فهو معروف لهم ، فقال : كيف الحال ؟

- بخير الحمد لله

- الصحة؟

- الحمد لله

قال مهران : أخبر أيوب أبو سالم أنك ستدخل المشفى ؟

ابتسم أبو عبد الله وقال: أبو سالم جار عزيز .. وأحيانا يأتي بعجوزه للسهر وإيانا .. صحيح سأقوم بفحوصات طبية للقلب .. وهي دورية ليست جديدة .. تعبت قبل أيام ومررت على ماجد .. أحسست بآلام في صدري

- الدكتور ماجد جارنا . وعيادته في عمارة قريبة من المسجد والمقهى

- نعم

- هو طبيب عام غير اختصاصي

- أعرف ، تعبت وأنا في السوق .. المهم نصحني بعرض نفسي على أخصائي صدر أو قلب

ولما حدثت الأولاد بهذا خاصة عمر الضابط أصر على أخذي لطبيب القلب في المستشفى العسكري ، وبعد تصوير وتخطيط قلب على جهاز رسم القلب ، قال الدكتور : الأمور طبيعية ربما عضلة القلب تحتاج لمراقبة ، ومتابعة تسارع النبض لمدة يومين أو ثلاثة .. فقريبا سيكون أمر الإدخال .. والمراقبة لهذا القلب ، لما تزول نزلة البرد التي أصابتني لعلني اشفى .. ربما هي سبب هذه المشاكل .. وأنت تذكر هذه الأزمة التي ألمت بي .. فالشتاء موسم نزلات البرد

– كان التهابا حاد ا كما أخبر أيوب جارك

– ونعم الجار

قال مهران : أذكر هذا وقد تغيبت عنا أسبوعا أو حتى أكثر ؛ كأنها عشرة أيام .. ولما شرفتنا ذكرت لنا هذه الأزمة الحادة .. حماك الله من الأسقام

– بارك الله فيك ..وهل ينجو أحد من السقم ؟

– هي دعوة ودعاء .. والرسول ﷺ كان يتعوذ من الأمراض

– صلى الله عليه وسلم .. وزارنا الجار والصديق أبو سالم وبعض رفاق الجامع .. جزاهم الله خيرا .. الإنسان ضعيف من البرد يمرض .. من الحر يمرض من تقلب الفصول يسقم .. ومن الطعام يمرض .. ومن الماء يمرض ..والحمد لله على كل حال ..والمرض رحمة بنا .. في النهاية فذنوبنا تغسلها الأمراض وتطهرها .. فكان الدعاء النبوي للمريض طهور إن شاء الله

– صدق الرسول عليه السلام .. سلامة لك يا حاج عبد المجيد يا بركة .. أخبار عمر في الشرطة كيف هي ؟

– بخير وعلى خير ما يرام

– والدكتور العالم عبد الله

– طيبة ، ويحاضر في الجامعة ، صرف نظره عن العمل في القضاء .. الأولاد نعمة وزينة .. عندما يضعف الكبير يعلم القيمة المهمة للذرية إذا كانت صالحة .. ولد صالح يدعو له .

– كما يزرع يحصد .. ربّ جيدا تجني ذرية جيدة .. لي حفيدة طالبة في كلية الشريعة بنت ابني

سليمان .. أخبرتني أن ابن أبي عبد الله مدرس عندهم

- الله يفتح عليها ..إذا احتاجت لمساعدة فلتتحدث مع الدكتور دون حياء .. فنحن أهل وجيران يا أبا عبد الكريم

- هي مجتهدة ، وحصلت في التوجيهي إحدى وثمانين درجة .. ورغبت دراسة الشريعة وفي الجامعة

- وفقها الله .. وأنت كيف صحتك ؟

- الصحة لا بأس بها.. الكبر والسن لهما دورهما .. وعملت مثلك بعض الفحوص للقلب .. والوضع مقبول جملة ؛ ولكنني تركت السجائر بأمر الأطباء

- الدخان شر.. وقاتل مخيف .. والعجب أن الناس يعشقونه عشقا مبرحا عشقا لا حد له .. ولا يخلو بلد من مصانع تصنعه للخلق زاعمين أنهم يدعمون الاقتصاد بصناعته ، مع أن العلاج لمرضاه يكلف الدولة أكثر من دخله

قال السيد مهران : الكل يعلم ضرره وشره ، ومنذ بدأنا ندخن ونحن نعلم فساده وضره .. يزعمون أن المال بدل أن يخرج للدول الأخرى ، فليبق ثمن الدخان في البلد ، ولا يذهب إلى الشركات الخارجية .. حجج هاوية ..فنحن نستورد كل شيء ..والدخان الأجنبي يملأ البلد والناس تعشقه ويتباهون بشرائه .

- الخمور تباع باسم التجارة العالمية .. المخدرات تشيع بين الناس

- لا حول ولا قوة إلا بالله

قضى السيد أياما في المشفى العسكري ، لأنه يحمل بطاقة علاج طبي عسكري بصفته ضابط متقاعد ، والجيش يؤمن العلاج الطبي لمنتسبيه في كل دول العالم التي لها جيوش ، وخضع الرجل للعلاج والمراقبة الطبية ، وبعد الانتهاء من العلاج منح بعض الأدوية المهمة والمنشطة لعضلة القلب ، ونصح بالمراجعة كل ستة أشهر مرة إلا اذا اضطر لغير ذلك .

ورجع للبيت ، فبدأت الزيارات ، أهل عليه من الأقارب والجيران والأصهار والأصدقاء ،

وأغرب ما حدث في هذه المناسبة أن الشحاذ عصمت دخل عليه ليهنئه بالسلامة ، فاستقبله أبو عبد الله كما يستقبل زواره وضيوفه ، ورحب به وجلس وإياه في صالة الاستقبال ، وعرض عليه الطعام ، فاعتذر وقال مبررا اعتذاره : أحب الأكل في الشوارع شكرًا لكم .. لقد تألمت لما سمعت بدخولك المستشفى .. وكنت يوميا أسأل الحاج مهران عنك فيطمئنني عليك .. الحمد لله على السلامة يا سيدي

- شكرًا لك يا أبا فولة

أحضرت سيدة البيت الشاي ، ووضعته أمامهم ، وتقبلت دعوات أبي فولة بسلامة زوجها ، وسكب الشيخ الشاي داعيا له بشربه ، وأخذ الرجل بالتمتمة شاكرا للسيد ، حتى سمعه يسأله عن أخباره

فرد عصمت : عايش مستورة يا عم عبد المجيد .. وأنا رغبت أن أحظى بهذا الشرف .. وأمر عليك شخصيا ؛ لأني أعلم أنك صديق طيب ، وأعلم قدر قلقك عليّ لما أختف من الحي سواء للعمل في مكان آخر أو أمرض

ضحك عبد المجيد وقال: بارك الله فيك .. لقد تعودت على رؤيتك أمام المسجد من سنوات .. واعتبرتك جزءا من المسجد . وابتسم ، وابتسم الرجل أيضاً ، وأخذ يرشف شايه ، ولما فرغ ملأه الحاج ثانية قائلا : اشرب يا صديقنا .. حلت علينا بركات أبي فولة .. أخبرني صديقنا أبو علي

- أبو علي؟

- صاحب المكتبة طلال .. المكتبة القريبة من هنا

- آ .. عرفته تذكرته ماذا أخبرك؟

- أخبرني أنك ترغب بالزواج ثانية

- لقد تزوجت من يومين فقط

دهش عبد المجيد وقال : تزوجت !

– نعم ، وأنت في العلاج تزوجت .. التقيت بامرأة أثناء العمل تعمل مثلي .. وبعد حين اتفقنا على الزواج .. واستأجرت غرفة صغيرة على طرف المخيم المخيم القريب من أبو خروف.. والأجرة ثلاثة دنانير في الشهر

– هي تشتغل مثلك في الشحذة

– كما قلت قبل لحظات تعرفت عليها أثناء الشغل ، وذلك أمام الجامع الكبير في وسط المدينة حيث أعمل يوم الجمعة .. نحن يوم الجمعة نسترزق عند صلاة الجمعة أمام المساجد الكثيرة المصلين .. وبعدها نكف عن العمل للصباح التالي .. فهذه الصلاة نحصد ساعتها عن أسبوع من اللف والدوران .. فكانت من ضمن الجالسين وتعرفنا على بعض .. ولما علمت أنها مطلقة أكثر من مرة .. قلت لها دعيني اجرب حظي معك .. فإن طاب العيش كملنا الحياة سوية .. فبعد تردد وافقت .. نخرج للعمل قبل آذان الظهر بقليل ونعود للقصر ليلا .. ويتغدى كل منا مكان عمله .. والعشاء والإفطار معا .. وعلى كل واحد أن يحضر الطعام معه من المطاعم من الدور .. أنا فقط أدفع إيجار الدار .. ومن الشهر التالي وعدتني بدفع نصف الإيجار تبرعا منها

ـ ستساهم معك بدينار ونصف جيد .. كيف الشغل هذه الأيام يا معلم فولي ؟

ـ مستورة

ـ مستورة .. الله يستر على الجميع

– نعم ، يا أبا عبد الله .. شكرًا على الشاي .. واسمح لي بالمغادرة

– انتظر

دخل حجرة النوم ، وعاد يحمل دينارا ورقيا ، أعطاه للرجل ، وهو يقول : نقوط العرس .. شكرًا على زيارتك .. ووفقك الله

سعى الرجل لتقبيل يد السيد ، وسحبها السيد قائلا: استغفر الله استغفر الله يا عم عصمت .. نحن أخوة .. مع السلامة سلم على أهلك . ورافقه إلى باب الشقة ، وصافحه مودعا ،وأغلق الباب خلفه ، وعاد للجلوس في الصالة، وجاءت زوجته وهي تقول :ماذا يريد هذا الشحاذ ؟

ضحك عبد المجيد وقال : جاءني مسلما ومهنئا بالسلامة ؛ بمناسبة الخروج من المشفى .. فهو يعتبرني صديقا له

- وهل للشحاذ صديق ؟!

- صديق عابر ؛ ربما لأنني اهتممت بمسألة غيابه قبل دخولي المشفى كما تذكرين .. فظن أن اهتمامي بغيابه جعله أن يتخذني صديقا .. الله يهديه ويصلحه

- الشحاذ صديقه الوحيد المال ؟ وهل سيتأخذ مهنة أخرى ؟

- قد يحصل هذا في يوم من الأيام .. الله أعلم .



شبكة جواسيس

في مطلع الشتاء نشرت الصحف المحلية أن أجهزة الأمن قد ألقت القبض على خلية تجسسيه في إحدى المدن العسكرية أي ذات الطابع العسكري ويغلب على سكانها العمل في الجيش ، ولم تفصل الجرائد الخبر ، وكيف تم الاعتقال ؟ وكم عدد أفراد الخلية ؟ ولم تحدد لمن تتبع الخلية ؛ لدولة عربية ؛ لدولة إسرائيل الصهيونية العالمية .. فالدول العربية تتجسس بعضها على بعض بسبب الصراعات الناشبة بينها ، إما إعلاميا ، وإما اقتصاديا حسب المحور الذي تدور عليه الدولة العربية ، فقد شهد العقد الماضي صراعا عسكريا حادا بين مصر ومن آزرها ، والسعودية ومن آزرها في حرب اليمن أثر الانقلاب العسكري على الإمام البدر ، والنزاعات الحدودية تثور وتهدأ حسب شهوة القادة والحكام لهذه البلدان ، ولم تكن هذه أول مرة يكشف فيها عن خلية أو خلايا تجسسيه .. منذ نشب الصراع بين العرب واليهود ويحدث هذا .. وعادة الصحف لا تتعمق في التفاصيل ، إنما إشارة للحدث فقط .. فالصحافة الأجنبية أجرأ على تناول هذه الأخبار وتحليلها .. والدول اليوم تملك أجهزة مكافحة التجسس ..فالدولة لديها جهاز مكافحة التجسس والاتصال مع العدو الغاصب .. والصحف لم تكشف لمن تتبع هذه الخلية ، ولكن الراجح أنها تتبع لإسرائيل ؛ لأنها العدو الأصلي لكل البلدان العربية .. والذي أعطى هذا الحادث أهمية لأهالي أبو خروف وتداولهم له أن أحد أعضاء الخلية قبض عليه في الحي في أحد مطاعم الحي.. وهذا شكل مجالا للنقاش والقيل والقال ..ولماذا جاء الجاسوس أبو خروف ؟ ولماذا قبضت عليه أجهزة المكافحة في المطعم ؟.. فقال عبد المجيد متلهفا لإشباع فضوله لابنه عمر الذي يخدم في أجهزة المكافحة : ما القصة ؟ أيعمل في هذا الحي جواسيس ؟ ولماذا مطعم جودة ؟!

ضحك عمر قال : هذه الأحياء قد تكون آمن للجواسيس من الأحياء الراقية

وتوقف الحديث إلى ما بعد الغداء ، بعد الغداء العائلي دخل الشيخ مكتبه ومكتبته المنزلية الصغيرة ، وتبعه عمر الذي طلب من زوجته إحضار الشاي إليهم في المكتب.. وكان عبد المجيد

مهتما بجاسوس أبو خروف الذي تحدثت عنه الصحف ، وهو حديث المقهى والشارع .. ولولا نشر الخبر في الصحف لما اهتم الناس بقصته ، والسؤال لماذا جاء الرجل للحي ؟ وقبض عليه في الحي في أحد المطاعم المهمة في الحي ؟ لذلك سأل ابنه مرة أخرى قائلا : وماذا كان يعمل الملعون في الحي ؟!

عمر يعلم شدة فضول أبيه ، واهتمامه بمثل هذه الحكايات ، فقال: رغم حساسية الموضوع يا أبي ؛ لكني سأشبع فضولك.. أنت تعلم من واجباتنا تعقب ورصد هذه الشبكات .. وهي مهمة حساسة وصعبة .. ربما يقبض على عميل في ظرف معين ، ثم يبان لنا أنه الشخص الخطأ .. كان هذا الرجل تحت المتابعة منذ أكثر من سنة..هؤلاء الجواسيس لا يستعملون الهاتف إلا في أضيق الحدود وبطريقة مشفرة..فهم يستخدمون البرق والرسائل المشفرة أو اللقاء مباشرة .. ونحن متأكدون أننا لم نقبض على جميع أفراد الشبكة ؛ لكن اضطررنا لأسباب خاصة بالتعجيل للقبض على المعروفين لنا خشية هربهم .. ولم نستطع أن نعرف سبب مجيء الرجل إلى أبو خروف بالذات .. لكن لا تنسى يا سيدي أن الحي قريب من مخيم عودة الأمل القريب منكم .. والمخيم كما تعلم فيه أنشطة سياسية وعدائية لدولة إسرائيل المغتصبة لفلسطين العربية .. ونحن فككنا الكثير من الشبكات والخلايا .. فبعضها نعلن عنها في الصحف ، وأكثرها لا تذكر .. تبقى لدى المحاكم والنيابة .. وأنا طلبت هذه الجلسة الخاصة لأسمع منك

- تسمع مني؟!

- نعم ، ماذا يتحدث الناس عن جاسوس أبو خروف؟ تعليق الناس على الحادث .. هل يتحدثون إلى أين كان ذاهبا ؟ هل كان على موعد مع أحدهم ؟ مدى اهتمامهم وتأثرهم بالقبض على جاسوس في حيهم .. هل كان ذهابه للمطعم صدفة أم لمقابلة شخص ؟ الناس تتفاعل مع الحدث أحيانا كثيرة .. هل سمعت شيئا؟

بعد رشف الشاي قال عبد المجيد : أنا أصلي العصر في المسجد ، وأجلس في المقهى بعض الوقت ثم أمر على السوق وأقفل عائدا ..فلا أسمع الكثير .. والناس هنا منذ نشر الخبر في الجريدة ،

وهم يتحدثون عن سبب ظهوره في أبو خروف ، لا يذكر أحد أنه قابله ، حتى صاحب المطعم يقول للناس: إنها أول مره أراه يدخل مطعمي . ولكن بعضهم يشكون في صاحب المطعم نفسه ـ المعلم جودة ـ ويقولون : لو صبر رجال المباحث حتى يقابل من أتى ليجتمع به .. لم يشاهد في الحي من قبل .. هكذا يقول أهل المقهى

– ربما أتى من قبل متنكرا يا أبي .. فالجاسوس بارع في التنكر ؛ ولكننا نعلم أن صاحب المطعم لا يعرفه ، وإنما دخل المطعم ليأكل أو ينتظر شخصا فيه .. وهو جاء مضطرا .. هو نزل من التكسي العامل على خط هذه الأحياء .. ووقف دقائق يتلفت يمينا ويسارا ، ثم دخل محل بقالة واستخدم الهاتف ، ثم تبين لنا أنه اتصل بمقهى في وسط البلد ، كما يقول الناس عن قلب المدينة ورد عليه صاحب المقهى أو مديره .. ولما ذكره رجال الأمن بالوقت الدقيق للاتصال ذكر أنه سأل عن رجل اسمه شوقي رجب .. ونادى الجرسون بصوت عال ، ولم يرد أحد ، وأنهى الاتصال ، ودخل المطعم عند جودة .. وهنا قررنا إنهاء المتابعة .. وقبض على خمسة من المجموعة وهو سادسهم .. وبعد التحقيق الابتدائي أعلن خبر القبض كرسالة للعدو ، ولباقي الشبكة؛ لعلهم يسعون للهرب ، ويخرجون من أوكارهم

– هذا ما تردد على السنة أهل المقهى من إشاعات عن الجاسوس ، ولم يزعم أحد أنه رآه أو قابله أو جالسه .. والسؤال المهم لماذا أتى الحي ؟! جاء يقابل من؟ لو عابر طريق لماذا نزل في أبو خروف ؟

ضحك عمر وقال : قد يكون جاء لخداع مراقبيه .. فهو يعلم أنه مطارد منذ أن أمسكنا جماعته وأنت تجلس مع أهل الحي والسوق والمقهى هل سألك أحد عني عن موظف في الشرطة السرية

– من الطبيعي أن يسعى الناس لمعرفة عمل الأبناء ؛ ولكن لا أذكر أن أحدهم ركز عليك بالذات ؛ إنما الحديث عن الأولاد جملة .

الجاسوس

شغلت قضية القبض على جاسوس إسرائيلي في الشارع العام لأبو خروف الأهالي ، فبعضهم ظل مهتما بها ويتابع أخبارها ، وأكثرهم نسيها خلال أيام أو ربما ساعات ..فهل كان الرجل عابر سبيل عند إلقاء القبض عليه ، أم جاء لمقابلة أحد أعضاء الشبكة ، فاليهود يتابعون التسليح العربي والمجهود الحربي ، يتابعون الاقتصاد العربي والصناعات العربية ، يتابعون التنظيمات الفلسطينية التي نشأت على أثر نكبة فلسطين ، يندسون في مخيمات اللاجئين بعد عام ٦٥ وقبله وكانت المقاهي الشعبية مرتعا خصبا للسياسة ، وقراءة الصحف ، فإنك تجد قارئ جريدة يجلس أمام المقهى يقرأ ويقلب جريدته أثناء الصيف والأيام الدافئة ، وآخر يقرأها في الداخل ، وهو يرشف الشاي ، وآخر يتابع الراديو القابع في زاوية المقهى ، يستمع نشرة أخبار ؛ لأن محطات التلفزيون تتأخر في البث ، ما زالت في بداية الشوط ، وتفتح في المساء لنشرات الأخبار المصورة لذلك كان يتردد في مقهى أبو خروف التعليق والنشر على اعتقال جاسوس في مطعم جودة مطعم للمأكولات الشعبية الشهية ، حيث تطهى اللحوم والأسماك والطيور .. فكان كبار السن والشباب مشغولين بقصة الجاسوس ، خاصة المهتمون بالسياسة والثورات العربية والانقلابات العربية والأحزاب العربية .. ويتردد على ألسنتهم مرارا وتكررا (أتى لمقابلة من ؟!) من كان يسعى لمقابلته في الحي ؟ هل سيقابل شخصا من الحي من المخيم من حي آخر ؟ هل كان في المطعم لأجل اللقاء أم لتناول الغذاء ؟ هل جودة عميل إسرائيلي؟ هل بيننا خلية تجسس ؟ لقد سمعوا أكثر من مرة عن عملاء لليهود في قلب المخيم تمت تصفيتهم ؛ ولكن لم تظهر الحقيقة كاملة .. وقبض على بعضهم

كان مهران صاحب المقهى يتهامس في نفس الموضوع مع السيد عبد المجيد فقال: أنت تقرأ الصحف والمجلات والكتب ، وابنك عمر ضابط أمن ، فماذا يعلمون عن الحادث ؟

قال عبد المجيد وهو يثق بمهران : هو حادث غريب في أبو خروف حقا.. الجرائد نشرت الخبر ولم تعلق عليه ، ولا حتى كتاب الأعمدة يتحدثون عن تلك الخلية .. صمت قاتل .. حتى متابعة

له في الصحف لم تحدث .. والقبض على الشخص حدث في وسط النهار ، وفي مكان عام ..ليس في بيته ولا ليلا ..وصاحب المطعم ومن حضر الاعتقال سيتحدث بها رأى .. فرأت الجهات الأمنية أن تعلن عن القبض عليه ؛ لأن الناس ستتحدث عن الحادث .. وستسمع الصحف ووسائل الإعلام من وكالات الأنباء .. فكان النشر قبل البدء في التحقيق الرسمي .. فالناس تتحدث بضعة أيام ، ثم ينشغلون بخبر وحادث وآخر ، ويكف الحديث عن الجاسوس.. لماذا قبضوا عليه في وضح النهار؟ ربما خشية الهرب والاختفاء

فعاد مهران يقول: الكل يتسأل جاء يقابل من؟ هل أراد أن يأكل قبل أن يذهب للمخيم ومقابلة عميل ؟ قصة مثيرة ومحيرة

– أنا أعتقد أنه كان يريد المخيم ، عن طريق أبو خروف للتمويه والتضليل .. فالمخيم له طريقه ومواصفاته .. له خط سير خاص .. فالمخيم لا يخلو من عملاء العدو .. فالمال سلاح خطير ، وشراء الذمم موجود .. حتى الأنظمة العربية تجد لها عملاء داخل مخيمات اللجوء .. فالدول العربية في حالة صراع بين بعضها بسبب خلاف أنظمة الحكم .. هذا شرقي وهذا غربي .. وهذا وسط بينهما عدم انحياز .. والعالم في حالة السلم حرب بين أجهزة التجسس .. والجاسوسية حرب دون شوشرة إعلامية .. إنما هي فقاعات هنا وهناك .. وإسرائيل حسب ما ينشر لديها جهاز مخابرات قوي ونشط في كل العالم حتى في أمريكا نفسها .. رغم التحالف القائم بينهم .. فإسرائيل سواء النظام العربي اشتراكي قومي تقليدي يهمها معرفة قادة النضال الفلسطيني ومساكنهم وأفكارهم وأعوانهم .. ويهمها معرفة المثقفين البارزين والعلماء والعسكر .. فهي دولة خبيثة ..والمعرفة عماد الانتصار والتقدم .. تقرأ ما تكتب الصحف والمجلات .. فالتجسس قائم حتى بين الأصدقاء .. والدولة تتجسس على شعبها بما يسمى الأمن الداخلي

قال مهران أثر صمت عبد المجيد :أفهم من كلامك أن الدولة لم تعرف بعد عضو الخلية أو الشبكة في منطقتنا وبيننا

– لا يعرفون ، وإلا سمعنا بالقبض عليه من جيرانه من أهله .. بيني وبينك ابني يقول : لا نعرف

وهم يتابعون التحري والبحث والترصد ؛ لأنه لم يأت عبثا إلى هنا .. لو في وسط المدينة ؛ لكان الأمر مقبولا طبيعيا .. أما أن يذهب للأحياء ، لابد أن يكون قادما للقاء أحدهم

- بعض الأخوة يعتقد أن لصاحب المطعم علاقة أو عمالة بهذا الجاسوس ؛ ولكن قبض الأمن عليه قبل ظهور العميل نجّى العميل .. وقد اختفى أحد عمال المطعم بعد الحادث بأيام

- علمت بذلك من طلال صاحب مكتبة الطالب .. هو لم يختف ، إنما ترك العمل قبل القبض على الجاسوس .. وهو يعمل في مطعم حلويات في قلب المدينة

قال مهران : أنا علمت أنه اختفى لما علم بالقبض على شريكه

- لا ، لا ، لم يقبض عليه ، حدثني أبو علي بالأمر

- صاحب مكتبة الطالب

- أجل أجل صحح لي معلوماتي

- أبو علي رجل مثقف ، وأستاذ متقاعد ، وقارئ نهم مثلك

قال عبد المجيد : بل أكثر مني .. على كل حال أكد أن العامل ليس له علاقة بالجاسوس .. إنما تصادف تركه العمل مع القبض على الجاسوس .. وإنما ذهب للعمل في مطعم آخر لقريب من جودة .. العميل موجود ويعيش بيننا .. وجاء الرجل مضطرا لمقابلته بعد القبض على رفاقه في المدينة العسكرية

- ماذا يفعلون بالخونة بعد إمساكهم ؟

قال عبد المجيد: اذا كان يحمل جنسية البلد ، فله حكم قد يصل للمؤبد أو الإعدام حسب الضرر والخطر الذي كان يشكله على المجتمع .. هل تسبب في قتل أناس أم لا ؟ هل عمل جاسوسا مكرها تحت سيطرة أشياء سيئة استدرج إليها ؟ هل هو متعاون مع التحقيق وقدم معلومات للجهات الأمنية ؟ .. واذا كان تابعا لدولة أخرى قد يتعرض لعقوبة قاسية أو يجرى تبادله بجاسوس أو جواسيس للبلد تم كشفهم لدى العدو .. وذلك بعد المحاكمة ولو شكلية وفي الغالب يحبسون .. وهناك جواسيس محترفون ، واذا كانوا يملكون معلومات خطيرة عن

بلدهم ينتحرون بابتلاع كبسولة سامة سريعة المفعول.. عالم الجاسوسية عالم مرعب .. ولا يكاد يصدق ما ينشر عنه من معلومات

تلاشى الحديث عن الجاسوس رويدا رويدا في الحي كسائر أحداث الدنيا ، لها عنوان عاليا ، ثم تخفت وتصبح حديثاً يتذكرونه بين وقت وآخر ، وقد عجز المهتمون به من تعليل سبب مجيء الرجل لحي أبو خروف ، واقتنع البعض أنه قدم ليأكل وينصرف ، والناس تحب القصص المثيرة والغامضة ، وتكثر من تكرارها ونشرها في المجالس والتجمعات ، ومع التكرار يكون التبهير بالزيادة والإضافة عليها ؛ بإضافة المشاهد النفيسة والشخصية إليها ، وفجأة مع مطلع العام الجديد عاد الحديث عن الجاسوس الذي قبض عليه من حين ..وعاد الحديث عن الموساد اليهودي ، والسبب في العودة لهذا الحديث أن الشرطة قبضت على مدرس معروف بانتمائه لحزب قومي ، فأصبح الناس يتحدثون عن اعتقاله ليلا ، فربط الناس اسمه باسم العميل المأسور ، وأن الرجل كان قادما للقاء المدرس الذي يزعم أنه قومي وناشط سياسي في الدعوة للحزب القومي العربي .. وكثرت الأقاويل عليه ، وعن خيانته للأمة والشعب والشهداء والأسرى والوطن ، فلما التقى عبد المجيد بولده عمر حدثه بما تهامس به الناس حول القبض على المدرس منصور قُمة ، فغمر الضحك السيد عمر ، واستغرب هذه الربط ، وقال : هكذا يقولون إن الجاسوس المقبوض عليه هنا جاء ساعيا للقاء الأستاذ منصور قمة .. هذا الأستاذ درسني يوما في ثانوية صلاح الدين الأيوبي .

– فهذا ما يشاع في المقهى وبعض المتاجر

– حسب معلوماتي أن القضية قضية شرطة ، كأنه ناصب على أحد التجار بمبلغ كبير ، ورتبت الشرطة للقبض عليه ليلا حتى يمسك في بيته ، وربما صمت أهله عن هذه الحقيقة خشية أن تلصق به تهمة النصب ، وتركوا الكلام للقانون

ابتسم عبد الحميد للمعلومة ، وكان يهز رأسه استخفافا وقال: نصاب !

– نعم قضية نصب ، قضية شرطة ، وليست سياسية ولا أمنية

- بعد خفوت قصة الجاسوس عاد الناس للحديث فيها وعنها بسبب القبض على منصور .. فالناس لا يهدأ لها بال حتى تعرف لمن أتى الجاسوس؟ فهم يتسألون ماذا يفعل الجاسوس في أبو خروف حيث لا جيش ولا معسكر .

- القصة يا أبي أن الحي هذا من الأحياء الشعبية .. فجاءه للاختفاء والتستر فيه .. فهناك جواسيس يعيشون في الأحياء الراقية والقصور والفلل والمال .. فإذا كان المطلوب منه أن يحيا وسط رجال الأعمال والمال ، سيكون جاسوسا غنيا حتى يُكون معهم صدقات ، ويعرف أسرارهم ونشاطهم .. وأما جاسوس المخيمات وأبو خروف فسيكون فقيرا أو متظاهرا بالفقر أو بعض الغنى ؛ لأن أغلب سكان المخيم من الفقراء .. فالغني في الغالب سيرحل لا يعيش في مخيم .. فالجاسوس يتقمص الشخصية الملائمة للعمل المطلوب منه .. فهو رجل مدرب وصنعته الدولة للمهام الجسام والخطيرة .. هناك جواسيس أو عملاء كمخبرين لا يحتاجون لتدريب كبير .. فمهامهم صغيرة نقل معلومة من مكان ما ، فربما يعيش جاسوس بين الناس سنوات قبل أن يكلف بمهمة ما .. ربما يكون بينهم لبث الإشاعات المطلوب منه بثها .. وقد يكون بينهم سيد الوطنية والإخلاص .. فالإشاعة جزء من الحرب القائمة بيننا وبين اليهود .. فالحرب النفسية تقوم على الإشاعات

- الحديث لا ينتهي، ألم يعترف الرجل عن سبب ذهابه ووجوده هنا؟!

- الجاسوس لا يعترف بسهولة .. واذا كان مهما للجهة التي يعمل معها قد يبلع حبة سم سيانيد ليقتل نفسه حتى لا تخرج منه كلمة تسيء لوطنه

تنهد عبد المجيد بعمق وقال : قصة هذا الرجل شغلت الحي ، وكثرت الإشاعات والخيالات ولما سمعوا بالقبض على منصور قمة ، كالوا له التهم الشنيعة ، وظنوا أن الرجل أتى للقاء به في المطعم ، وحلف صاحب المطعم أنه لا يذكر أن الأستاذ منصورا دخل مطعمه ولو مرة واحدة مع أن له أكثر من خمس سنوات فاتح للمطعم ..

ـ فهو بعد أيام سيخرج إلا إذا حكم عليه بالسجن .. أما إذا رجّع المال أو تعهد بإرجاعه سوف

يخلى سبيله .. وأنت اليوم كيف صحتك ؟

- الحمد لله رب العالمين .. الجرائد لا تشبع القارئ بمثل هذه القضايا .. لا تتابع مجريات التحقيق كما في جرائم القتل والعصابات

- مثل هذه القصص قد تحتاج لسنوات ليسدل الستار عليها .. قد يقبض على عنصر تابع لهذه الخلية بعد سنين .. عنصر قد تمكن من الهرب سابقا ، أو لم يظهر اسمه في التحقيقات الأولية .. عالم الجاسوسية عالم غامض

وهمس عبد المجيد بأذن صديقه مهران بسبب اعتقال الأستاذ منصور قمة ، فضحك مهران وقال : شرقنا وغربنا وحللنا .. والرجل طلع نصاب .. محتال ناصب على تاجر

- نعم ، لقد نصب على تاجر كبير ،قال أبو حفص عمر

- هو ولدك سمى ابنه حفصا

قال عبد المجيد : نعم ، كنيته به صغيرا ، فظل عالقا في قلبه .. تحدثنا ليلة أمس عن منصور .. فضحك ، وقال : منصور قضيته قضية شرطة وجناية

- أبو تامر سيصعق ، فهو قريب لبيت الأستاذ منصور ، وقد استيقظوا على صوت سيارة الشرطة ليلة القبض على الرجل .

[][][]

أفرج عن منصور ، وشاع خبر عودته في الحي ، أصابت الخيبة بعض من روج أنه العميل الذي جاء لمقابلته جاسوس المطعم ، وقد اعتقد هؤلاء أنه قد حل لغز ذلك الجاسوس ، وأما وقد خرج منصور فعاد اللغز للتعقيد من جديد ، بل وجد رجال في المقهى يصرون على عمالة منصور للموساد والمخابرات اليهودية العالمية ، وأنهم تركوه ليمسكوا بباقي الشبكة الخبيثة الخفية .. طعم كما يقال .. لذلك لما ذهب عبد المجيد لشراء الصحف من عند أبي علي قال مخبرا : اليوم زارني السيد منصور .. لقد أفرج عنه.. وعاد لوظيفته .. ولشراء الصحف أصررت على أنه عميل الموساد الصهيوني .. فلما لم تكتب عنه الصحف أدركت أن الرجل فعلا يتخابر مع العدو

وأن جاسوس مطعم جودة كان قادما للقاء به ؛ لأنه قد صدع رؤوسنا بالقومية والثورية والبعثية والاشتراكية

- هو ليس ثوريا ولا قوميا .. طلع يا صاحبي نصابا .. لقد نصب على أحد تجار المدينة بمبلغ كبير ، وندم الرجل لما أثبتت عليه عملية النصب بشكوى عند المدعي العام .. وحدثني ابن عم له يجلس على المقهى أنه تعهد بالسداد بعد أن دفع جزءا كبيرا من المبلغ المستولى عليه .. ولم تكن أول قضية نصب له

- أكيد أكيد .. نحن ظننّا أن لغز الجاسوس انتهى ، وأغلق الملف ، لماذا عقد الناس القضية ؟!

- اعتقد الناس أن الجاسوس جاء لمقابلة إنسان شريكا لهم ، وليس لأكل صحن حمص عند جودة .. مطاعم وسط المدينة لا أعتقد أنها بلا حمص إذا جاز التعبير .. وصاحبنا منصور رجل مهتم بالسياسة والأحزاب ـ كما تعلم ـ فظنّ الناس أن القضيتين مترابطتان

قال أبو علي محتارا ولائما : لماذا الأمن استعجل القبض على الرجل؟ لماذا لم يصبروا حتى يأتي الرجل الآخر؟!

- المقبوض عليه هو من سكان إحدى المدن العسكرية ، وليس من سكان العاصمة ، وكان مطاردا ومتابعا ، لم تفصح الصحف عن سبب ظهوره هنا .. فسألت ابني عمر الذي يعمل في الأمن ـ كما تعلم ـ فأجابهم الرجل أنه جاء يبحث عن بيت للإيجار ، ونفى أن يكون قد جاء للحي لمقابلة شخص معين ، قد يكون ذلك صحيحا ، وقد يكون غير صحيح ؛ ولكن عندما يقبض عليه كجاسوس فقط يكون هذا غير صحيح ، فقد قبض عليه ضمن خلية تجسسية تقوم بأعمال الجاسوسية .. فالراجح أنه جاء للقاء شخص .. وشخص مهم حتى يغامر بدخول الحي وهو مطارد .. هل وصل الرسالة ؟ .. لم يقابل أحدا حسب معلومات المراقبة

فعقب طلال قائلا : وهل لا يوجد في المدينة العسكرية دورا للإيجار أيضاً ؟

- توجد ؛ ولكنهم لما رأوا أن أمرهم كشف أو على وشك القبض عليهم سعوا للهرب والاختفاء ..وهذا حي مناسب

- هل هو عربي مثلنا ؟

استفسر عبد المجيد : رجل المطعم ؟

- آ

- الصحف لم تكشف هذا بالتفصيل إذا تذكر ذلك يا أبا علي .. هم صرحوا بأنه تم القبض على عميل جاسوس في حي أبو خروف المشهور ، لم تكتب الصحف هل هو عربي أم إسرائيلي ؟.. ولا تنس أن عربا يعيشون في إسرائيل سواء عرب فلسطين القديمة أم فلسطين الضفة وغزة اللواتي احتلتا منذ سنوات .. وحتى هناك من اليهود من أصول عربية .. وإسرائيل تستطيع تجنيد عملاء في كل دول العالم ؛ ولكن رئيس الشبكة ومدير الخلية هل هو ضابط موساد أو عميل محلي ؟ لا أدري .. هذه أمور معقدة .. قد يقبض كما نقرأ على عميل وجاسوس ونظنه رئيس الشبكة ، ثم يظهر أنه مجرد عميل صغير أو حتى مخبر بسيط ؛ لأنه يقال إن من الصعب الوصول لكبار العملاء والمحترفين ، حتى لو قبض عليهم لا يعرف مقامهم في جهازهم

- أمعقول هذا؟!

- معقول .. الجاسوسية علم واحتراف وشجاعة وتدريب ومدارس .. ضابط المخابرات غير ضابط التجسس .. والجاسوس حتى بعد إنهاء الخدمة والتقاعد يبقى مجهولا لمن يعيش معهم في عمارة في نادي خشية عليه من الخطف والاغتيال .. وقد يعطى جنسية أخرى ليعمل في بلد آخر أو يمنح اسما جديدا ووثائق جديدة .. أما ضابط الأمن فهو يقابل الناس يحقق مع الناس فقد يكون معروفا في الحي في الدائرة .. والجواسيس الكبار يختارون بعناية ، ويوصفون بالذكاء والفطنة

- من أين لك هذه المعلومات؟ من عمر

- من الكتب والصحف والمذكرات .. لا يجوز لعمر أن يفصح بمثل هذه المعلومات .. فهناك ضباط معروفون في الدائرة الأمنية للتحقيق والمقابلات .. فهؤلاء كموظفين يا أبا علي لخدمة الناس وسماع شكاوي الناس والبلاغات الخطيرة .. وهناك ضباط سريون للمهام الخطيرة

والعمليات .. أما العميل فقليل ما يلتقي بالناس .. فعلاقته ضيقة ومحدودة وإلا تعرض للخطر في الحي في مكان العمل في السفارة في العمارة ..أحدهم لما عرفت زوجته أنه عميل قدم استقالته وعمل كضابط عادي إلا إذا كانت الزوجة هي عميلة مثله .. فهناك شرطي بزيه الرسمي .. وهناك شرطي بزيه المدني .. قرأت أن العميل السوفيتي يدرب تدريبا شاقا قبل أن يزرع في أوروبا وأمريكا .. عالم الجاسوسية عالم مرعب وعالم أعصاب مثل الحديد

- أترى أن عميل أبو خروف عميل كبير ؟

- هذا إذا كان لدينا عميل وحاول الرجل الاجتماع به .. فالكتب فيها الكثير من المعلومات ؛ ولكنك تجدها غير كاملة



جريمة غامضة

كلما خفت صوت قصة جاسوس المطعم والحي ، وقبض على شخص أو اختفى عادت القصة للبروز ، ولماذا أتى الجاسوس الصهيوني لـأبو خروف ؟.. فبعد قصة منصور حدثت جريمة قتل لفها الغموض أول الأمر .. والحوادث سريعة الانتشار خاصة الجرائم ، وهي تقل وتكثر في كل المجتمعات.. مشاجرة على شيء تافه تؤدي إلى معركة وقتل .. ولا أحد يفكر أهذه حقيقة أم شائعة؟.. والجرائد تنشر خبر المشاجرة والإصابات وتبين دور الشرطة في استتباب الأمن .
فما كادت حادثة منصور التي ربطت بحكاية الجاسوس تتلاشى عن المقهى والقيل والقال حتى قتل شاب أعزب ، سكن الحي منذ سنة ، استأجر غرفة صغيرة ، فبعض العمارات تقام على ظهرها غرفة للغسيل أو مخزن فيستأجرها بعض الناس ، وهناك بعض الأقبية تكون تحت العمارات ، وتؤجر في بعض الأحيان .. وكان الشاب يخرج صباحا ويعود ليلا أو قرب منتصف الليل في بعض الأحيان ، وفجأة أخبر بعض الجيران عن رائحة قاتلة في العمارة التي يقطنها الشاب الأعزب الغامض ، فجاء صاحب العمارة والشرطة ، وفتح القبو بخلع الباب ، ووجدت الجثة منفوخة ورائحة عفنة ، وجاء البحث الجنائي والطب الشرعي ، وشاع الخبر في الحي ، ووصل لمقر الإشاعات المقهى ، وشاع معه أن اليهود قتلت العميل ، وأن هذا الشاب الغامض هو الذي كان يسعى إليه جاسوس المطعم ، وها هم تخلصوا منه قبل أن تقبض عليه أجهزة الأمن ، وبدأت الأخبار تتحدث عن العلاقة بينهم ، وأن أحدهم رآه ذات ليلة مع رجل غريب قد يكون جاسوس مطعم جودة ، ووضعت علاقة قوية بينهم .. انشغل أهالي أبو خروف بهذه الجريمة الغامضة .. فكنت تسمع بعضهم يقول : قتلوه قبل أن يقبض عليه ويعترف بعمالته لليهود ، وأنه هو الجاسوس الغامض ، وأشاع بعضهم أن الرجل فجر بأنثى ، فجاء بعض أهلها فقتلوه ، وبعضهم زعم أنه يعمل في عصابة سطو فخانهم فقتلوه ، وقال آخرون : إنه قتل رجلا في قريته وهرب للعاصمة ، فهو مبتلى بدم ، فظل أهل القتيل يطاردونه حتى عرفوا مكانه وقتلوه أقاويل كثيرة قيلت في أبو خروف عن هذه الجثة ، والذي غلب على أذهانهم أن قتله له صلة

بجاسوس المطعم

أذاعت الجرائد خبر القتل ، ولم تتحدث عن أسباب القتل ودوافعه ، ذكرت بعضها أن الرجل قتل طعنا بسكين بيت ، وأن شجارا حدث في منزله مع بعض الأشخاص كانوا معه في البيت ، ولم يشهد أحد برؤية هؤلاء الزوار ، والتحقيق مستمر لكشف ملابسات الجريمة وانقطع حديث الجرائد عن الجريمة قبل مرور أسبوع على الحادثة .

لذلك كان أصحاب عبد المجيد في المقهى العتيد في أبو خروف مهتمين بالقضية الجديدة ، فبعضهم يشرب الشاي ، وبعضهم يلعب النرد الطاولة ، وبعضهم يتفرج ويثرثر حول هذه القصة مضيفا معلقا شارحا ، وهو يحب الكلام ، ولا يحب لعب الشدة أو الطاولة أو الديمنو ، فهو يسمع ويعلق ويشرب الشاي معهم ساعة من الزمن ، ثم يغادر إما للسوق الكائن خلف المسجد أو يتجه للبيت ، ويشتري ما يحتاجه من الدكاكين التي يجدها في دربه ، فيكون عرف منهم بعض أخبار الحي والأصدقاء ، فسمع أبو سالم أحد الجيران يسأله : آ يا حاج عبد المجيد ماذا عندك نحو جريمة عمارة مدحت رشاد ؟

ابتسم أبو عبد الله وقال : قرأت كل الجرائد ، ولم تفصح عن الكثير من المعلومات ، أو أن ليس لديهم معلومات .. أكدوا غموض القتل ، ولا أصدقاء للرجل في الحي.. فالرجل غامض لا علاقات له مع الجيران وسكان العمارة .. يذهب إلى الدكتور مدحت في عيادته التي وسط المدينة ويدفع له الأجرة في مطلع كل شهر ، ولا يراه إلا في الشهر التالي .. والرجل كما تقول الصحف يعمل في مصنع حقائب مدارس وسفر .. وأعزب رغم أن عمره فوق الثلاثين ، لا أقارب له في الحي

-كيف استأجر هذا القبو أو المخزن؟

- سألت الدكتور مدحت فقال : جاءني على العيادة . وقال : سمعت أن عندك قبوا تحت العمارة يصلح لسكن عازب مثلي لحين يسير من الزمن .. وبعد تردد أشفقت عليه ، وأجرته المخزن بثلاثة دنانير كل شهر ، وليس لديه أثاث كثير ، فرشة وغطاء وبابور كاز ، وبعض أدوات الطهو

والشاي وحقيبة ملابس كبيرة ، ثم تبين لي أنه عامل مصنع حقائب ، والمخزن مهجورة .. تصورته رجلا قرويا بسيطا.. رجل على سفر .. رجل رحال .. عندما تراه تعطف عليه ؛ لكن الشرطة ترى أنه قتل قتلا .. هل له أعداء في المصنع أم لا؟ هل له علاقة بجاسوس المطعم ؟ لست أدري .. والصحف لم تشر لذلك يا أبا سالم

لما لزم الشيخ الصمت بعد ذكره ما كتبته الجرائد عن جريمة أبو خروف الأخيرة في قبو الدكتور مدحت رشاد ، قال أبو سالم : اشرب شايك ، سوف تصل الشرطة للجاني اللعين ..أما متى فالله اعلم ؟ ..بعد صمت قصير قال : هل علمت أن صاحبنا أبو فولة طلق امرأته التي نكحها منذ أشهر

ظهرت الدهشة على وجهه عبد المجيد وصاح استغرابا : طلقها! لحق أن يتزوج ! شيء مدهش لماذا فعل ذلك؟! لي يومان أو ثلاثة لا أراه جالسا أمام المسجد .. قيل لي إنه مريض

– سمعنا من الشحاذين أنه مريض .. وسمعنا منهم أنه طلق المرأة التي تزوجها .. وسمعنا أنه سيهجر الحي

– أمعقول بعد كل هذه السنين والعقود سيتخلى عن أبو خروف ؟

– هذا ما نقل إلينا عنه قبل أن يمرض .. احتجت لبعض الفكة فصرفت منه .. وسألته عن امرأته .. فقال لي أنه طلق المرأة ، وأن النفقة عليها حرام

– إنها تنفق على نفسها

– إنها لا تعطيه من تجوالها

قال عبد المجيد: هذا هو السبب الحقيقي إنها تجمع لنفسها

– المهم أنه طلقها ، وأخبرني بأنه سيترك الغرفة ، ويعود للساحة القديمة حيث العشة أو يرحل عن أبو خروف ، ويزعم أن العمل ضعف في أبو خروف مع أن الناس تزيد ، ونصف الجبل الغربي أصبح عمارات .. وامتد للحي الآخر ، وزاد عدد المنافسين له

ضحك أبو عبد الله وقال: المنافسون له زاد عددهم يا الهي !

- أما خبر المرض فسمعته من صبي المقهى ، فهو يسكن قريبا من بيته في حافة المخيم
- إذن سيفقد أبو خروف أحد معالمه .. منذ أكثر من عقد من منتصف الخمسينات أو آخرها ظهر الرجل في حينا
فقال أبو سالم : كيف سيعيش خارج حي أبو خروف ؟ وقد تعود عليه ، وعرفه سكان الحي .. فهو لا يعمل خارج الحي إلا عند صلاة الجمعة يوم الجمعة ، يتحول لوسط المدينة ؛ ولكنه في النهاية شحاذ
- ربما يشيع هذا الكلام حتى تبعد عنه زوجته ، وتظن أنه ابتعد عن الحي .. وأكيد خلال الزمن الذي مضى نال منها بعض المال ، وسيتهرب من دفعه ، أو تركت عنده بعض المال فطمع به ، فهو شحاذ طماع كما تعلم .. إنك تعلم أنه لما خرجت من المشفى قبل شهور جاء لزيارتي في البيت .. هذه أول مرة في حياتي أرى شحاذا يزور مريضا زيارة خاصة.. فعلها وأتاني
- أنا لا أعرف لمن يجمعون المال ؟ الناس تجمعه للزواج لبناء بيت لتعليم الأولاد يجمعونه للورثة فهو لا زوجة ينفق عليها ، ولا أولاد ، ولا لبناء دار ، ولا لورثة ، ولا يعلم في جامعات
- هذا ما يحير .. في عقلية الشحاذين حب المال فقط .. حتى منفعة الدنيا لا يهتمون بها الأكل اللذيذ الصلات الرحلات الملابس الجميلة .. لكن صاحبنا سمعت أنه كثير ما يحضر الأفلام .. مغرم بالسينما .. الحاج مهران يقول: إنه يغتسل في السنة مرة ، بل يظل لابسا للشلحة حتى تصبح سوداء عفنة ، ثم يرميها ويلبس غيرها من عشرات الشلحات التي يجدها ويتسولها
- فعلا له رائحة قاتلة ؛ولكننا تعودنا عليها .. ونحن نقف معه ثوان معدودة
- الحمد لله الذي عافانا مما ابتلاه به .. عملنا بشرف في القوات المسلحة ، وتقاعدنا وربينا الشباب أحسن تربية .. كله بفضل الله ، وتعلموا في الجامعات ، وعلى حسابي إلا عمر ؛ لأنه التحق في أكاديمية الأمن .. فدرس على نفقة الشرطة
قال أبو سالم : على ذكر عمر ألم تسأله عن جريمة قبو الدكتور مدحت ؟
- جرى بيننا حديث كالمعتاد ، للأسف لا معلومات لديه أكثر مما نشر وأذيع في الصحافة ،

ورجح أن تكون القضية ثأر بسبب اعتداء على عرض ؛ لاستخدام الجاني أو الجناة السكين في أكثر من موضع .. ربما أن الشاب قد اغتصب مراهقة وهتك عرض .. وعلم أهلها هوية المعتدي فتربصوا له . قال : اغتصاب !

– هذا ما قاله زميل له في الشرطة وفي دائرة التحقيقات الجنائية .. لقد كان الشاب قبل حياته هنا يسكن في منطقة جرت فيها عملية اغتصاب ، ولم يقبض على الجاني .. اغتصبت فتاة ذات عشر سنوات .. وقد ذكرت للمحققين أوصافا شبيهة بهذا الرجل ، بأوصاف رجل مخزن مدحت

– وكيف اغتصبت هذه الأنثى ؟

– ما أنا مثلك فضولي .. قال صاحب عمر لعمر : كانت الفتاة تمر في طريقها لبيتها بمنطقة أحراش وهناك كمن لها

– اعتدى عليها الوحش ، لم تكن بإرادتها

– الفتاة صغيرة ، وتزعم البنت أنها رأته أكثر من مرة في تلك الأحراش، لأنها كانت تختصر الطريق إلى بيت شقيقتها المتزوجة .. فكان يتظاهر بأنه يصيد العصافير ، فبعد حين اطمأنت لمرآه في الغابة .. وفي الغابة ممر للمشاة كما أخبر الضابط عمر .. الغابة آمنة إلى حد ما .. فتأخرت ذات مساء عند أختها ، وغامرت ودخلت الغابة .. فكان الذئب ينتظر تلك الفرصة فكممها وأوثقها واعتدى على شرفها .. وبعد الحادث لم يعد يظهر الرجل في المنطقة .. لقد رآه غيرها من النساء والرجال

– الشرطة تظن أنه هو المقتول

– نعم ، الشرطة تحتفظ بالقضايا حتى يقبض على لص أو قاتل فيعترف بكل أفعاله

اختفاء عصمت فولي

مضى شهر نيسان كاملا ، ولم يظهر أبو فولة في الحي ، فوقع في قلب عبد المجيد ورفاقه أن الرجل غير مسكنه ، فرغم الفارق الاجتماعي بين المتقاعد وبين المتسول ترك غيابه شيئا في نفوسهم لقد اعتادوا على رؤيته أمام رصيف المسجد من سنوات ، وسرت إذاعة بينهم أنه قد مات في حي برغوث ، وبعضهم يقول برغوت بالتاء ، وهو حي كبير من أحياء المدينة العربية بيت السلام ، ولم يؤكد أحد أنه شارك في جنازته أو شاهد من شارك فيها .. إنما سمعت ، سمعت ، بل زعم بعضهم أنه هلك مدعوسا من سيارة كبيرة حافلة باص ، أكد صاحب الغرفة التي أجرت له قبل طلاقه أنه فارق الحجرة لعشة الصفيح ، وذكر أهل منطقة العشاش أنه عاد للحياة معهم بضعة أيام ، وترك عفشه عند أحدهم واختفى ، وله أكثر من شهرين لم يعد إليهم ، وقد خلى مقعده ومجلسه أمام المسجد ، ومع أنه شحاذ فقد شغل غيابه رواد المسجد ورواد المقهى .

وبينما الشيخ عبد المجيد يدخل بعد عصر أحد الأيام المكتبة عند أبي علي ليأخذ بعض مجلاته قال له الرجل : هذا اليوم جاءت زوجة الشحاذ أبي فولة

دهش الشيخ للوهلة الأولى وقال: المرأة التي تزوجها ، ثم طلقها قبل أن تكمل ثلاثة أشهر

- نعم

- وماذا تريد منك؟!

- أولا تتسول ، وثانيا تسأل عن أبي فولة عصمت ، ولما سألت عن سبب مجيئها ، قالت : بعد طلاقنا استلف مني عشرة دنانير ، وطلب أن أمر عليه بعد شهرين لأخذها ، وسألت عنه هنا وهناك ، فلقد اختفى من الحي ، وقالوا : اختفى بعد الطلاق بأسبوع أو عشرة أيام .. جاءت تسألني عنه إذا أعلم عنه شيئا .. صرت أسأل عن أبي فولة يا شيخ عبد المجيد

أخذ السيد بالضحك للحظات ثم قال : ألست مصدر ثقافته وصحفه ؟ هي لا تعلم أين اختفى؟ هل هرب حتى لا يدفع الدنانير؟ ولماذا استلفها قلة فلوس معه ؟! إنه ينام على كنز أموال من الشحادة

- هذا ما سمعته منها ، فهي بعد الطلاق لم تره .. وهي سوف تستمر في البحث عنه في جميع شوارع المدينة .. لن يهرب بالدنانير العشر التي استلفها أيام إجراء الطلاق

- ستجده .. لن يهدأ لها بال حتى تسترد دنانيرها .. اللعين أين اختفى؟ اختفى من أجل عشرة دنانير

قال طلال ضاحكا: يا رجل هذا الشحاذ شغل الناس كما شغلنا جاسوس مطعم جودة .. تقول كأنه ملك الحي

- ليست القصة هكذا .. رجل قضى عقدين في الحي .. فأصبح معروفا للجميع .. وأصبح مكانه أمام الجامع فارغا .. فلما فرغ أخذ الناس يتساءلون عنه لا شعوريا .. وإلا الناس لا تحتمل الوقوف معه خمس دقائق .. وأذكر أنه كان يغيب بعض السنوات أشهرا .. ليست المرة الأولى التي يختفي فيها هذه المدة .. خاصة في فصل الشتاء

- صحيح ؛ ولكن هل غاب مثل هذه المدة مرة واحدة ؟ أنا معرفتي الشخصية فيه من ثلاث أربع سنوات .. ولما يختف يذكر بعض الناس أنهم يرونه أمام الجامع الكبير في قلب المدينة ، ثم يطل بعد غيابه فجأة ، ويقول : لعلك أبقيت لي جرائد هذين الأسبوعين .. فأقول سبقك غيرك .. واعلم يا أبا عبد الله أن المطلقة ستعيش هنا ، ربما ترث مكانه أمام الجامع

- سلطانة !!

- نعم ، هي جاءت تبحث عنه ، وقالت : سأبحث عنه ، واستقر هنا ..لابد أن يعود .. سيصاب هذا الرجل بالحنين .. وستسكن في عشته في تلك الساحة .. فقد تفاهمت مع حارس تلك الساحة ، وقبل الحارس العرض

- يعني أنها متأكدة أن الرجل سيعود إلى هنا ، وأنه ليس ميتا كما أشيع

- أنكرت موته بشدة ، وقالت : لو مات لسمعت من الشحاذين المتجولين في أنحاء المدينة .. فهم يتبادلون الأخبار عن بعضهم البعض

- إذن سلطانة ستعيش في عشة عصمت .. فهل ستجد لها مقرا أمام المسجد ؟ لقد كان الرصيف

مقر حكم عصمت

- أبواب المساجد أفضل أماكن التسول حيث يخرج الناس من الصلاة .. فيذكرهم الشحاذ بركن الصدقة دون خطبة ، ثم الأسواق .. والمدهش يا أبا عبد الله أنها طلبت السماح لها بقراءة الجرائد الراجعة

- أوه ! هي تقرأ أيضاً

- نعم ، طلبت منها قراءة خطبة قصيرة ففعلت ..وقراءتها جيدة

- الدولة تسمح لهم بالجلوس على مقاعد الدرس وهم أطفال

قال طلال : نعم ، وصدف عن علمت بعض أفراد هذه الطائفة .. ولكنهم يتركون المدرسة عند العاشرة للذهاب والجلوس أمام بوابات المساجد ، ثم عند إنهاء المرحلة الأساسية الأولى يتركون المدارس ويحترفون الشحادة .. الناس تتعلم لتتوظف وتحصل المال .. فهم يحصلونه صغارا .. فلماذا تستمر الدراسة وتضييع الوقت في المدارس ؟! فلسفة خاصة بهم سمعت أن متسولا تخرج من الجامعة ، ووجد دخل الشحادة أفضل وأكثر من دخل العمل على شهادة الجامعة

صاح عبد المجيد : هذا شاب قرأت قصته في إحدى الصحف التي أجرت معه مقابلة منذ سنوات .. أذكر أنها قالت : إنه طالب فقير درس الجامعة على نفقة أحد المحسنين ، ولم يوفق في العمل ؛ لأنه لم يكن أمينا يسرق وينشل .. فترك الشهادة واشتغل في الشحذة ، ووجدها مفيدة أكثر من الوظيفة التي راتبها ثلاثون دينار إلى أربعين .. فزعم للصحفي أنه يحصل خمسين دينارا في بعض الأيام

- أيصدق هذا يا حاج عبد المجيد ؟!

- ناقشه المحاور في هذه النقطة ، فأقسم أنه في بعض الأيام يحصل مثل هذا المبلغ .. وسأله لماذا لا تستثمر هذه الثروة ؟ وتترك التسول .. فقال للصحفي : ولماذا أستثمر مالا ؟ وأنا أستثمر بدني في شوارع العاصمة في الحر والبرد بالوقوف ساعات أمام المساجد الكبيرة متسولا

- الله تعالى أعلم كم يحصلون ؟ ولكنهم يكنزون .. وأصبح همهم الأكبر تجميع المال والمزيد من المال والتخزين .. عالم التسول عالم غامض وغريب في نظري ومثير للشبهة .. وها نحن سنرى مطلقة عصمت ربما جلست مكانه ، بل رأيت متسولين جددا أمام المسجد

قال السيد : عابرون ، لا يمكثون طويلا ..مرات تخرج من الصلاة تجد جيشا منهم

قال طلال: أسوا حياة حياة المتسول !..حياة قذرة لا نظافة لا سعادة لا صلاة

++++++

في نهاية حزيران رجع عمر عبد المجيد من دورة تدريبية في الغرب الأوروبي ، فقام بزيارة والديه مباشرة من المطار ، وهذا أصبح عرفا عنده ، عندما يعود من سفر يذهب بداية للسلام على والديه ؛ وذلك قبل الذهاب لبيته ، وبعد دخوله بيت الوالد بقليل حضرت زوجته الطبيبة في مركز علاج ، وكان ولده حفص هو الذي استقبله في المطار ـ فعمر تزوج قبل عبد الله ، وتزوج فور إنهائه الكلية الشرطية ـ ووصل الطعام من المطعم ، وتناول الجميع الطعام ، وتحدث عمر بإيجاز عن الدورة والبلد التي تمت الدورة بها ، فكانت دورة لمدة ثمانية أسابيع في ألمانيا الغربية ، وجاءت شقيقته لبنى وزوجها وأولادها للسلام عليهم قبل الانصراف ، فهم جيران الوالد

ولما بدأت أسرة عمر الاستعداد للانصراف والعودة للبيت ، فقال عمر لأبيه ومفاجئا له بالسؤال: ما أخبار الشحاذ أبي فولة ؟

استغرب الأب لهذا السؤال في ظرف كهذا ، ظرف العودة من سفر وغياب شهرين ؛ ليسأل عن شحاذ أبو خروف ، فأجاب بدهشة واضحة :سؤال غريب ! أبو فولة قبل ذهابك لدورتك في أوروبا طلق امرأته التي حلت مكانه في الحي وأمام المسجد ، وأما الرجل فقد اختفى من خمسة شهور .

ابتسم الرجل لأبيه ، وقال : أتحب أن تعرف أين اختفى أبو فولة ؟

- عجيب أمرك يا عمر ! ..أراك صرت مهتما مثلنا بأبي فولة على غير العادة ؟!

- بعد سفري بأيام اتصل بي زميل لي في الأمن السري .. وقال يا عمر : لقد قبض جهاز الأمن

على شحاذ أبو خروف المعروف لدى أهل الحي بأبي فولة .. فقلت له ما الأمر؟ قال : ربما ننشر قريبا في الصحف إلقاء القبض على جاسوس كبير في البلد .. فقد أقر جاسوس المطعم أنه كان ذاهبا للقاء عصمت فولي .. وتزوج تلك الأيام تغطيه على نفسه عن أجهزة الأمن التي كانت تتابع القضية

كان عبد المجيد يسمع الكلام ، وهو مصعوق للخبر ، فقال مصعوقا: أبو فولة جاسوس كبير لإسرائيل !!

– نعم ، وأنا أخبرك ذلك ؛ لأن الخبر سينشر في الصحف لينتبه الجماهير لمثل ذلك ، وأن الجاسوس قد يكون زبالا ، وقد يكون بائع ترمس ، وقد يكون تاجرا .. فهؤلاء الشحاذون يسهل الاندساس بينهم للرصد والتجسس .

– لا أكاد أصدق يا عمر

– أنا مثلك دهشت ؛ ولكن الزميل أكد لي ذلك ؛ ولأنني كنت من أهالي أبو خروف ، وأعرف الشحاذ ، وستكتب الصحف عنه .. لم يكن مجيء جاسوس المطعم للحي صدفة ، فرجل كهذا لا يتحرك إلا بعلم ودراية ، لو كان يريد بيتا ـ كما زعم ـ فهناك أحياء كثيرة قبل الوصول لهنا فيها بيوت للإيجار .. لقد أتى لمقابلة شخص عجز عن التواصل معه بغير اللقاء .. الرجل نزل من السيارة عند المطعم ليقطع الشارع اتجاه الجامع ، ولم يفعل ذلك مباشرة ؛ لأنه أراد أن يتأكد أنه غير متبوع ، فدخل البقالة ، ثم دخل المطعم ، فلما رأى أنه لن يتمكن من الحديث مع أبي فولة ، أكل لقيمات وأراد الخروج ، اضطر رجالنا للقبض عليه ، وإنهاء مهمته حتى لا يصل للشخص الذي يريده ويخبره بما جرى للخلية ؛ وكأنه جرى تواصل بينهم ، ربما بمجرد سماع أبي فولة بالقبض عليه في أبو خروف وصلت له الرسالة ، فبدأ يسعى للزواج ليوهم الشرطة السرية أنه مجرد متسول .. هذا ما أسرّه زميلنا .. وسيعلن نبأ اعتقاله على الملأ ـ كما قال ـ ولهذا كشفت لك الأمر ؛ لأني أعلم معرفتك الكبيرة له ؛ ولاهتمام أهالي الحي بجاسوس المطعم .

وبعد أيام يسيرة من هذا الحديث بين الأب وابنه نشرت الصحف جليا نبأ اعتقال عصمت فولي

وانتهاء التحقيق معه ، وأنه هو زعيم الشبكة التي قبض على عدد كبير من أفرادها خلال الشهور الماضية ، وأن إسرائيل دسته لرصد حركات قادة التنظيمات الفلسطينية في المنطقة والمخيمات ، وخاصة مخيم عودة الأمل القريب من أبو خروف ، وشكل عددا من الخلايا النشطة والعاملة ، والبحث جار عن هذه الخلايا ، والمخابرات تهيب بالمواطنين الاتصال بها في حالة الاشتباه في أحد المواطنين والأجانب .

فكان مهران يقول لعبد المجيد: يا الهي !! ..هذا الشحاذ يدير مجموعة خلايا من العملاء والمخبرين منذ عشرين سنة ولم يعرف .

– الصحف تذكر أن الأجهزة تعرف عن نشاطه ؛ ولكنهم لم يستطيعوا تحديد شخصيته ، لما يقبض على خلية تجسس لا يعترفون عن الرأس ؛ لأنهم في الغالب لا يعرفونه .. لكن الغلطة أن أحدا من مساعديه ـ وهو جاسوس المطعم ـ اضطر للمجيء إليه .. فكانت غلطة قاتلة .. ومع إصرار الأجهزة على المتابعة وصلوا إليه .. وكان جاسوس المطعم هو الحلقة الرابطة بين الخلايا وأبي فولة ، بل كان فولي اللعين ينتحل شخصيتين شخصية شحاذ هنا ، وشخصية مدير شركة سعيد برهوم .. وكانت زوجته الحقيقية تشرف على أعمال الشركة

– مدير شركة هذا الشحاذ القذر

– قذر أمامنا .. يستخدم مواد تظهره لنا بالمعفن القذر .. شيطان ؛ ولكن كله ذكاء .. ويخدم بلده بإخلاص .. فعمله بالشركة يسهل سفره للخارج ومقابلة أسياده

قال مهران : لا أكاد أتخيل أبا فولة بهذا الدهاء والمكر

– الجاسوس ـ يا أبا عبد الكريم ـ يدرب تدريبا علميا وعمليا .. ويجند العميل أثناء ذهابه للغرب لطلب العلم ، واذا فشل في الجامعة ، وغرق باللهو فيصبح صيده سهلا .. فلما يجد المال واللهو والمغامرة يقع .

– فهنا شحاذ قذر ، وهناك مدير شركة .. وفيلا ولهو .. عندنا يزعم أنه من عشاق الأفلام والسينما كي يبقى في الشركة والفيلا

- الشحاذ أبو فولة يهودي عربي مجند للمخابرات اليهودية

- قد يكون هناك مفاجآت أخرى

نشرت الصحف بعد حين خبر اختفاء أبي فولة من مكان توقيفه .. فاحتار الناس في فهم هذا الخبر .. فقيل ربما مات أو قتل نفسه .. ونشر هذا الخبر لإخفاء الأمر الحقيقي

تمت الحكاية الرابعة

سمعة والده وجده وشقيقه صعّبت عليه الزواج من

فتاة متدينة مع حمله شهادة هندسة

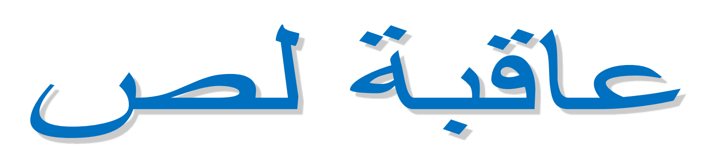
رحل لأبي خروف لرغبة والده الذي سيخرج من السجن

بعد عشرين سنة للحياة فيه

ولما خرج اطلق عليه الرصاص

هذه قصة صديقنا المهندس قيس

١٩٧٤



الرحيل

هذه حكاية أخرى من حكايات حي أبو خروف وهي حكاية قيس وأمه عجيبة ، الناس في حركة دائبة ، ناس يسكنون في أبو خروف وأناس راحلون ، هكذا تكون الحركة في حياة الناس والأحياء .

كانت عجيبة أم ذيب قد طلبت من ابنها قيس ـ بعدما رجعت من آخر زيارة لزوجها السجين منذ عشرين سنة والذي على وشك الخروج ـ أن يجد لها بيتا في حي أبو خروف لرغبة الأب أن يسكن فيه بعد الإفراج عنه ، والسبب بسيط أن للرجل صديقا عرفه سجينا مثله من أهالي ذلك الحي المشهور في قلب المدينة المدينة بيت السلام ، فصديقه في السجن منصور قاسم الملقب بالعجل يعيش فيه ، فقد قضيا فترة معا ، فأحب صقر راجي قضاء باقي العمر في جوار صديقه منصور ، واستمر منصور يزور صقرا في سجنه .

فمشى قيس الشاب المهندس منذ سنوات يسيرة إلى ذلك الحي الذي يعرفه كما يعرف أحياء أخرى من المدينة واستطاع بواسطة ذاك الرجل أي منصور أن يستأجر شقة في الحي .

وقبل مضي شهر كانون الثاني من عام ١٩٧٤ كانت الأسرة تستقر في أبو خروف ، في بناية مكونة من ثلاثة أدوار ، وكل طابق ثلاث شقق ، استقرت عجيبة ووالدها الهرم المريض شوكة في عمارة حازم محمود في الطابق الثاني .

وقيس صقر له معرفة جيدة لـحي أبو خروف ، وكان يأمل بتوبة والده بعد عودته وخروجه من سجنه بعد كل هذه السنوات وراء القضبان كما يقال ، وقيس لم يكن الابن الوحيد لعجيبة أمه ، فله شقيق يكبره بسنوات اسمه ذيب ، وهو عند أحداث هذه القصة من مأسي أبو خروف كان يقبع في السجن كوالده في قضية سرقة كبيرة .

وتعود معرفة قيس لحي أبو خروف لظروف الفقر والجوع اللذين عاش بهما ولدراسته الجامعة على نفقة جمعية البر لرعاية الفقراء والأيتام الكائنة في أبو خروف ، وهي جمعية نشطة ، ولها عدة فروع في الأحياء القريبة أيضا، وكانت هذه الجمعية ترعى أبناء السجناء والمنحرفين قانونيا

وشرعيا .

فلما علمت الجمعية بحالتهم الاجتماعية حضنتهم ورعتهم خاصة الأم وولديها ذيب وقيس ، ولما فشل ذيب في مدرسته والتحق بالعصابات والشلل المنحرفة واللصوص توقف دعم الجمعية له ، وظلت الجمعية تتابع قيسا حتى اجتاز الثانوية العامة بنجاح باهر ودخل كلية الهندسة وتخرج منها مهندسا .

رأى قيس في الرحيل إلى أبو خروف بداية حياة جديدة ، وهو يعلم أن سيرة والده شائعة ومنتشرة ولا يمكن إخفاؤها ، وكذلك سيرة جده شوكة والد أمه ، وأن عليه أن يعيش مع هذا الواقع المر .

كان والده تجاوز الخمسين سنة فسيلزم السكون وعدم الرجعة للسطو والسرقة ، كما هو حال جده شوكة ، هذا ما حلم به قيس وهم يفتتحون بيتا جديدا في حي جديد .

الشقة مكونة من غرفتين نوم وصالة معيشة وحمامين ومطبخ ، كانت الأسرة بعد حبس صقر تعيش على دعم الجمعيات وإحسان أهل الخير ، ومثلهم الجد شوكة ، وكان الوالد يرسل بعض الفائض من عمله داخل السجن ، ولما باشر المهندس عمله أوقف تلك المساعدات ، وأخذ هو يدعم ويتبرع للجمعية رادا لهم الجميل .

أخذ شوكة المريض حجرة ، واستقر قيس وأمه عجيبة في الغرفة الأخرى ، ووضع مكتبه الصغير في إحدى زواياها ، وكانوا يرقدون على فراش مطروح على أرضية الحجرة ، لا يستخدمون الأسرة بعد .

واستقرت مقاعد الاستقبال في صالة الاستقبال التي تواجه باب الشقة الرئيسي .

إذاً كانت الأسرة على موعد عودة الأب صقر طليقا من سجن طويل، سجن الحكومة الذي أمضى بين جدرانه ما يقرب من عشرين عاما بسبب عدة جرائم سرقة وسطو مسلح ، وقد قامت الأسرة بدهان الشقة وتبييضها قبل الرحيل إليها ، وقد عاد الهدوء لها كان الجد المريض مستلقيا على سريره الأثري والوحيد في البيت ناظرا للسقف الأبيض .

وكان قيس هو الآخر مستلقيا على كنبة أريكة في صالون الشقة ، وكان يفكر ويتذكر كيف تزوجت أمه من والده ؟ أمه لا تتكلم كثيرا عن حياتها الخاصة ؛ لكن مع السنين والأيام كملت الصورة لديه، كان والدها شوكة ـ العجوز القابع في تلك الغرفة ـ لصا ، قضى سنوات من حياته في السجن على تهم ثبتت عليه .. كيف التقى بصقر أبيه؟ التقيا في أحد السجون وترافقا رغم فارق السن بينهما ، جمعهما السجن والسرقة ، ولما كان يخرجان من السجون يعملان مع بعضهما في عالم اللصوصية ، وهو عالم عجيب ، عالم كله شر وفتنة ، ثم يقبض عليهما ، ويعودان للمكث وراء القضبان من جديد بعد أن تمتعا ببعض الحرية ، وبما سرقوا من أموال الناس زوجت العائلة شوكة بعد قضائه مدة حكم إحدى السرقات ، زوجوه مرغما لعله يعقل ويحس بالزوجة والمسؤولية ، زوجوه فتاة فقيرة راضية محبة للستر ، وعلى أمل تحسن حال الزوج وترك سرقة الناس والبيوت ، الفقر قوة للاستسلام والرضا بالنصيب .. تزوجها سترة كم يقال في مثل هذا الحال ، ولدت له ابنته الوحيدة عجيبة ، ولم يقدر له بعدها بمولود آخر ، لم يتعالج ولم يهتم بذلك ، وهي لجئت لبعض المشعوذين ووصفاتهم السحرية ، ولم يحصل نجاح ؛ لأنها تعتمد على الخرافات والجهل والغباء والاستدراج ، واذا نجحت حالة ضخمت وكبرت ، واذا فشلت نسي الأمر ، وذهب المريض المتعلق بقشة إلى حجاب وفتاح آخر .. ثم ماتت الزوجة بعد حين ، وتركت له البنت عجيبة ، فقبلت إحدى شقيقاته بتربيتها والعناية بها مع أطفالها الكثر ، تركها واستمر في مساره الظالم ، ولما يخرج من الحبس يزورها ويتفقدها ، ثم يعود للمدينة لمارسه رذائله وفحشه ، كبرت البنت وصار عمرها عشرين سنة ولم يتزوجها أحد بسبب سيرة والدها الرديئة ابنة لص مرد على اللصوصية وسرقة أموال الناس، وأخته بدأت تلح عليه بأخذها للعيش معه ، وأن يستر عليها بزوج ، ورجل من أهل المدينة ، وأن سيرته السيئة تنفر أبناء القرية من مصاهرته والاقتران بابنته ، فشكا شوكة حال ابنته لرفيق لصوصيته صقر ، والمأزق الذي وقع فيه ، وتخلي أهله عنه وعنها ، فعرض عليه صقر الزواج منها ، فبعد تردد قصير قبله بعلا لكريمته ، ورأى أن ذلك حل لمشكلته مع ابنته فهو يستر عليها بالزواج ، وتدوم الصداقة بينهما

وذاك تظاهر أنه فعل ذلك إكراما وحبا بشوكة ومساعدة له ، وقبلت عجيبة به زوجا لكبر سنها وبلوغها العشرين ، ولم يطلبها أحد للزواج .. وكما يقال ظل راجل ولا ظل حيط يعني جدارا ولم يكن أمامها الرفض والاعتذار .. فهي منذ سكنت في المدينة وهي تعرف الرجل صديق درب أبيها في عالم الشيطان .. وجرى زواجهما بسرعة الريح خشية أن يسجن أحدهما أو كلاهما .. فهما ما زالا يسرقان وينصبان ، وهيئت حجرة من حجرات بيت شوكة ؛ لتكون غرفة زواج ابنته وصديقه صقر ، وأصبح صقر رجل البيت ، فهو يصغر شوكة بأكثر من خمس عشرة سنة وقد سعت المرأة بإقناع زوجها بالعمل كسائق سيارة ؛ لأنه يحمل رخصة سيارة أو يعمل بائع خضار وفاكهة إما في دكان أو على سيارة نقل صغيرة كبائع متجول أو بقالة .. فيسخر من هذه الأفكار والاقتراحات ويقول : يا مجنونة خبطة واحدة عن شغل سنة أو بيع سنة .. فتصمت المرأة إلى حين ثم تعود لطرح الحلول .. ولد ابنهما البكر وسماه ذيبا .. وكانت تلد وزوجها يقضى مدة على سرقة قبض عليه فيها .. ولما خرج عادت تكرر عليه اقتراحاتها لحياة أفضل من أجل ولدهما .. وحتى لما كانت تزوره في السجن ، وتذكره بالحال والتوبة يستمر في السخرية منها ومن أفكارها ويترجاها بأن تصمت ، وتحفظ أفكارها لنفسها .. وأنها رضيت به ..وتعلم مهنته في هذه الحياة .. فتبكي وتلزم الصمت إلى حين آخر .. فتعاود الكرة ، فيقول : هذه حياتي يا عجيبة ، وأنا حر بها .. ووالدها شوكة بدأت تدهمه أمراض الخمر والدخان والحشيش ، وحتى بصره أخذ يضعف ، وخفت نشاطه الإجرامي ، وأصبح عاجزا عن مسايرة نسيبه حتى أن صقرا حاول التخلص منه والحياة بدونه ؛ لكن عجيبة رفضت التخلي عن والدها والحياة بدونه حتى ولو طلقها صقر .. فصمت الرجل فهي كانت تتقن مهنة الخياطة والتطريز بالحرير وأنها لا تعتمد عليه كثيرا في مصروفها ومصروف أبيها وابنها ، وفي أثناء هذه المنازعات ، ولدت ابنها الثاني قيسا ، وصمت صقر على وجود والدها معهم ، سكت على مضض رغم أنه يسكن في بيته منذ تزوج ابنته ، فكان شوكة يدفع الإيجار ، ثم ابنته لما هبط عليه السقم ، رفضت الرحيل والتخلي عنه ، ومع المشاجرات الحادة والتهديد بالانفصال ،وأخذ الأولاد رفضت بشدة فكرة

الحياة بدون وجود أبيها معها ، وكانت مدة سجنه فرصة راحة لها من تهديدات زوجها بالطلاق وكان شوكة يلزم الصمت أمام تلميحات وتلويحات صقر فقد أصبح ضعيفا لا يعمل ،لا يسرق لا يحشش ، وحاولت بعد مجيء قيس للدنيا الكرة والدعوة له بالتوبة والأوبة لكن دون فائدة ، وأخذ يعمل مع العصابات صغيرة كانت أم كبيرة ،ولما بلغ قيس سنته الثامنة وأصبح تلميذا في صفه الثاني كان صقر يحاكم بسطو مسلح على مبنى إحدى الشركات المالية ، وإطلاق النار من سلاح ناري على أحد الحراس ـ وقد أصيب الحارس في غير مقتل ؛ ولكنه أصيب بشلل كبير ـ وحوكم بعشرين سنة سجن فعلي مع الأشغال الشاقة على هذه القضية العنيفة ، وغيرها من الجرائم .

وظلت عجيبة رغم هذا الحكم الكبير على ذمته كزوجة ، كما كانت وفية لأبيها .. وزاد اهتمامها ببنيها ذيب ابن الاثنتي عشرة سنة ، وقيس ابن السنوات الثمانية ، وكان ذيب قد أخذ ينحو نحو والده وجده في السير نحو الانحراف ، ويهرب من المدرسة ، ويسرق زملاء المدرسة أو يعتدي عليهم بالعنف ، ويرسب في الدراسة ، ويعيد الصف مرة ثانية ، وبالكاد ينجح ، ثم يصاحب رفاق السوء والخمر والدخان ، ولم يكن أمام تلك الأم إلا الدموع والحزن



حلم قيس

وبينما قيس يتذكر هذه المشاهد واللقطات من حياتهم التي قد عرفها مع طول هذه السنين التي مرت سمع أمه تنادي عليه ليتناول طعام الغداء ، فعاد للواقع للحظات التي يعيشون فيها فنهض واقفا يتمطى ويحرك يديه بحركات رياضية ، وعاد يسمع أمه تسأل : أتريد أن تتغدى مع جدك أم في المطبخ ؟

– سآكل في المطبخ . ومشى إلى المطبخ حيث توجد مائدة للطعام ، حولها كرسيان ـ فأمه تارة تأكل معه وتارة مع أبيها ـ فهو منذ سنوات لا يحب الأكل مع الجد الذي يأكل في غرفة منامه وكان من النادر مشاركة جده المائدة خاصة بعدما هبط الجد ، وصار يأكل راقدا في غرفته ، سكبت له الطعام ، ثم أخذت لها ولوالدها على طبق آخر ، ، فلما وضعت الطعام والخبز أمام الجد ، قال لها اللص المتقاعد بسبب الأمراض : أين الولد ؟

ـ يأكل في المطبخ

تمتم ساخطا : إنه لا يحب الأكل مع اللص الفاجر

قالت بامتعاض : دعنا من هذه الكلام الفارغ .. ثم تابعت بعد سكوت ضئيل : هو الذي خرجت به من هذه الدنيا .. المسكين كلما أطلب منه أن يتزوج ينظر إليّ قائلا ومن تقبل بي يا أمي؟.. عندما يعرفون من أبي ومن جدي يهربون

فقال العجوز ساخطا : ومن قال له أن يتعلم ويدرس في الجامعات ؟! .. وهل خلت الدنيا من الشر والأشرار واللصوص والحرامية ؟.. لي أكثر من عشر سنين طريح الفراش ، وعايش على صدقات الناس .. يأكل معي أو لا يأكل دعينا منه يا عجيبة .. أخوه ذيب بطل هو الابن الحقيقي لنا

أكل العجوز بعض الطعام ، ثم قال وهو يبعد الصحن من أمامه ببعض العنف والضيق : هذا الطعام ليس لي .. وهل أحب أنا مثل هذا الأكل يا عجيبة .. هذا طعام مصنوع لهذا الشيطان قيس

قربت الصحن إليها وقالت : يا أبي .. قيس اليوم مهندس سيد العائلة .. وهو الذي ينفق علينا ولو كان نذلا لهجرنا بعد نيله شهادته .. عشرات المرات قدمت لك هذا الصنف من الطبيخ والنفيخ .. دعك من قيس .. الذي تحبه اذكره لي .. وأنا أحضره لك ..وأطبخه لك

التفتوا إلى الباب الذي يقف فيه قيس ـ وقد سمع آخر الكلام ، وهو لم يكن جديدا على مسامعه ـ فقال زاعما الغضب : لا يهمني ما تقول أيها الجد ،ولا يهمني ما يقول أبوك يا أمي .. سأذهب للجامع لصلاة العصر .. هل يلزم البيت شيئا من السوق والدكاكين .. غداً سأعود للعمل فقد انتهت إجازة الرحيل .

قالت باعتذار :لا تتضايق يا ولدي مما تسمع .. إنما هو جدك .. فهم لا يعرفون الأخلاق الحسنة إلا بين بعضهم البعض .. إنه أبي!!

ـ أعلم يا أمي .. فليقل ما يشاء في شخصي .. وهو جدي شئت أم أبيت هل أحضر شيئا.. بيض .. جبنة .. لبن

فقال الجد : ألا تريد ترك الجامع والصلاة يا ولد ؟.. أتجد أحدا في الجامع غيرك ؟

ـ لماذا لا تصلي أنت يا شيخ يا هرم ؟.. تب إلى الله

قهقهه العجوز ، ونسي مشكلة الطعام التي افتعلها قبل دقائق وقال : لا أعرف الصلاة .. ولا أذكر أني صليت يوما مع أن أبي شيخ لا يقطع فرضا مثلك ؛ كأنك طالع عليه يا ولد .. أريد سجائر يا عجيبة

فهم قيس الرسالة فقال : أنا لا أشتري السجائر .. لما تنزل بنتك السوق تشتري لك السجائر

فصاح الجد : حرام هي السجائر ؟!

ـ تحدثنا عن ذلك كثيرا يا سيد شوكة

ـ ألا تريد أن تتزوج يا ولد لنتخلص منك ومن لسانك الطويل ؟

ـ لما يريد ربنا سنتزوج .. كله بأمره

غادر قيس الشقة وهو يدرك كم يكن له جده من الكره بسبب أنه لم يسير على دربه ودرب أبيه

فعندهم حياة السجون رجولة وبطولة .. فهم يريدونه أن يكون فاسدا لصا مثلهم ، يقتات على جيوب المال الحرام ؛ لذلك لم يكن يلقى بالا لكلام جده السقيم ، ويضطر لحد لسانه في بعض الأحيان على أمل أن يصحو من غفلته ويتوب قبل موته ، لذلك كان الجد محبا للذيب ؛ لأنه سائر على طريقهم وشرورهم ، فهو يريده شيطانا مريدا ، وبذل الجهد لصرفه عن المدرسة والحياة السليمة ، وهو الذي أفسد شقيقه ذيبا بالحديث عن بطولاته ومغامراته ووهمياته وحياته البطولية في السجون ، وإزعاجه رجال السجن والشرطة ، فسقط الذيب في فخ تلك الوهميات والمغامرات الوهمية في الاستيلاء على أموال الناس بالباطل .. فالفاسد يريد أن يكون كل الناس فسدة مثله ، كلهم شياطين .. ولكن الله نجاه من كيده ومكره .. ويذكر أن جده قد عاش فترة وحيدا ، ولكن بجوارهم حتى لا يطلق والده ابنته ، ولكن لما هبطت صحته وسجن الأب تخلى عن بيته ، وعاد لبيت الابنة نقل الفراش لبيتهم ، وقد كان طعامه دائما معهم ، وكانت الأم ترفض أن يعيش بعيدا عنها ، فليس له إلا هي .. فتقبل قيس مع كبره هذا الوضع .. وسكت عن لسان جده .. ويرد عليه في بعض الأحيان على هذه الألفاظ القبيحة .. ويستاء من معاقرته للخمر في البيت .. والإكثار من الدخان .. ويحتج على استقباله لبعض رفاق السوء في بيتهم ، ممن عرفهم أثناء حياة السرقة أم زملاء السجون.. لقد كان قيس سعيدا بعدم تعلقه بجده ووالده ، وكان مشفقا على أمه غاية الإشفاق ، وكان سعيدا لأن أمه كانت تشجعه على الصلاة والعبادة وتسحره في رمضان .. وتراه الجوهرة الوحيدة في البيت .. وكان هو الآخر يسر لما يرها تصلي وتصوم .. ويحزن جدا لما تترك ذلك .. كانت تقضي أياما في الصلاة ثم تترك ، وتعود للكسل والعادة التي شبت عليها مع أنها تعلمت الصلاة والصوم عندما عاشت في بيت عمتها عدة سنوات .. فقد درست بضع سنين وصلت وصامت حتى رجعت للحياة مع شوكة .. فتركت ذلك ، فكانت تتحمس في بعض الأحيان وتنافس قيسا في القربات والطاعات .. ثم يعود لها الضعف والتقاعس عن العبادات .. فهي بين رضا ابنها الطيب ورضا أبيها الخبيث .. فهي تعلم وغيرها أن المرض والضعف البشري سببا ترك والدها للسرقة والسطو على منازل

ومتاجر الناس .. فهو يرى ذلك نوعا من البطولة والشجاعة ، وله الحق في أموال هؤلاء .. فكان مفتخرا متباهيا بتلك السرقات ويبكي ويتحسر على تلك الأيام كأنها بطولة حقيقية قام بها

ذهب قيس للمسجد مسجد أبو خروف لأداء فريضة العصر ، فمنذ وعى وهو يصلي في المساجد يجد فيها الراحة والسكون والحياة السعيدة رغم قصر الوقت فيها (رجل قلبه معلق بالمساجد) فهو يصلي في المسجد الصلوات الخمس ، وحتى أثناء عمله يسعى لأقرب بيت من بيوت الله للصلاة أو يصلي جماعة في مصلى الدائرة التي يتواجد فيها لأداء عمل أو شغل ، فهو يحافظ على الصلاة والصوم منذ شب ووعي أمر الإيمان والدين .. ويصبر رغم البيئة التي شب وولد فيها التي تمجد الانحراف والزيغ ، ورغم الهجوم والاستهزاء من رفاق المدرسة وأبناء الحي وسخريتهم من صلاته وعبادته ومن جده وأخيه ذيب .. رغم كل ذلك صمد وصبر ونجح في الثانوية العامة ، وقبل في الجامعة ، ودرس على نفقة جمعية الفقراء والأيتام التي يمتد نشاطها لكثير من أحياء المدينة ، وليس هو الوحيد الذي تعلم على نفقة الجمعية وأهل الخير كما يسمون في المدينة والأحياء .. وكان يحلم بعد تخرجه وعمله كمهندس أن يجد فتاة طيبة تقبله كزوج ، أن يجد أسرة تغض الطرف عن سيرة أسرته كأب وجد وأخ .. فكانت سيرة الأسرة كعائق لمحاولتين زواج .. يحلم أن يجد أسرة كريمة تمنحه هذه الفرصة والحياة السعيدة والطيبة



جابر

قضى قيس صلاة العصر في مسجد الحي ، ومشى نحو محلات بيع الفاكهة والخضار واشترى ما يستطيع حمله ، وكان في طريق عودته يمر من أمام بقالة أبي صالح كمال الذي عرفناه في أول حكايات أبو خروف ، بل كانت مأساته أول المآسي التي بدأنا بها قصص حكايات أبو خروف كانت شقة قيس في وسط شارع النخلة الذي يتفرع عن الشارع العام للحي في عمارة حازم محمود العليا لأن الرجل له عمارة أخرى في القسم الشرقي للحي ، فيستطيع الوصول للمسجد من جهة الشارع العام أو من جهة شارع جبل أبي خروف .

فلما مر قيس من قدام الدكان ، كان جابر كمال يقف أمامها فألقى عليه التحية ، فردها جابر ، ولما عرف شخص من حياه نادى عليه بصوت عال : قيس قيس . فتوقف قيس واستدار إليه ثم رجع إليه وقال: نعم ، إنك تنادي عليّ .

تصافح الرجلان وقال جابر : مرحباً بك يا جارنا الجديد

- أهلا أخ جابر .. هل من خدمة ؟

- كيف حالك أولا ؟

- بخير كيف العم أبو صالح ؟

- بخير يا حضرة المهندس .. هناك حساب لأمك .. لا أدري هل أفتح لها صفحة في دفتر الديون أم ..؟

قال قيس : اسمع يا أخ جابر طعام خضار عصير أنا أدفع لك ثمنه .. أما الدخان والسجائر فلا دخل لي في تسديدها .. تسددها لك أمي .. الدخان حرام ولا أدفع ثمن حرام.. فأبوها مدخن ..

ابتسم جابر دهشة وقال : آ ، فهمت يا حضرة المهندس !

- أي حساب سوى الدخان كلما أمر من هنا أو أشتري من عندك ذكرني به وسأدفع لك الثمن فورا إن شاء الله

- حقيقة أغلب هذا الحساب دخان وعلب دخان

قال : أمي تدفع لك .. هل صحيح أن الحاجة أم ريان خالتك ؟

- طبعا الحاجة أم ريان شقيقة امرأة أبي .. أنا أمي ماتت قديما هي خالة إخوتي الآخرين

- رحمة الله على والدتك .. أم ريان سيدة فاضلة أنا درست الهندسة على حساب جمعيتها أو الجمعية التي تعمل بها

- إنه لا يخفى شيء في أبو خروف .. وأنت حديث عهد به .. فأنت البطل الحقيقي يا قيس في عيني وعين أهل الحي .. فأم ريان تثني عليك خيرا .. وأنت في نظرها من الأمثلة الحية للنجاح في الحياة .. فقد ذكرت صعوبة الحياة والظروف التي تعيش فيها ، إنها معجبة بك

- شكرا لك وأنا أعلم أن لا شيء يخفى عن عيون الناس وآذانهم .. فجدي والد أمي يضرب به المثل في عالم الحرامية .. لا أحد يستطيع الاختباء والاختفاء عن أهله .. لقد تعرفت على أخيك فريد ، فهو شاب جيد وهو من رواد المسجد .. وخالتك نموذج طيب للنساء في أبو خروف سأسعى لزيارتها

قال جابر : العم منصور صديق أبيك إذاعة كثير الكلام .. وهو يعتقد أن عمله ومغامراته بطولات وعمل فرسان

ابتسم قيس وقال : الغرور والهوى .. اللص لا يكون بطلا أبدا ، بل إبليس اللعين .. فهم يزعمون مزاعم ساذجة باسم حق الفقراء .. يظنون بأنفسهم بالبطل الخيالي التي تنشر قصصه أرسين لوبين .. نحن جيران .

فقال جابر : نعم الجار ..أنا أقدر شجاعتك بعد أن عرفنا بعضا من حياتك .. ثبتكم الله على الطاعة

- جزاك الله خيرا ، سلم على العم أبي صالح .

تابع سيره اتجاه عمارة حازم محمود التي تقع في نفس الشارع شارع النخلة ، ولما دخل الشقة رد السلام ، وقال لأمه وهو يضع الأكياس في المطبخ حيث تبتعه أمه ، وأخذت تضع الأشياء في

الثلاجة البراد على لغة بعض الناس : كنت أتحدث مع جابر ابن أبي صالح

- أتشرب الشاي أم القهوة ؟

- سنشرب العصير لقد أحضرت بعضها من عند أبي صالح عندما استوقفني جابر

- العجوز ..إنه في طريق البيت من ناحية الشارع الرئيسي

- له حساب

- أطالبك بالحساب؟

- سألني الابن جابر هل نضع لك اسما في دفتر المدينين أم أدفع له ؟ فقلت له حساب المواد كلها ما عدا الدخان أدفعها كلما نتقابل ، والسجائر تدفعها أمي .. كما كنا نفعل في حيينا القديم يا أم ذيب

قالت : يبدو أن والده لم يخبره بذلك .. أنا طلبت منه أن لا يطلب منك شيئا ، أنا أدفع ثمن دخان جدك .. الرجل العجوز لم يكلم ابنه عن هذا الترتيب

- لماذا لا تدفعين ثمنه عند الشراء ؟ ألا أعطيك مصروف الشهر كاملا يا أمي ؟

- إنك تفعل وأحيانا ينقص ما أحمل منه فأؤجله بمشوار تالي ، وربما لتعودي على فعل ذلك في الحي القديم .. هو مبلغ بسيط الذي يبقى عادة .. لا تزعل .. يا ابني أنت أمل الحياة أنت البسمة التي خرجت بها من الدنيا

- الحمد لله الذي أخرجني من الظلمات إلى النور .. العم منصور حدث الناس بكل قصتنا وتفاصيلها

- هذا نصيبنا ، وأنا لا أدري لماذا أصر أبوك على رحيلنا إلى هنا إلى أبو خروف !

لما أتت ليلة الجمعة الثالثة للرحيل قال الجد شوكة لابنته: هل ستذهبين للزيارة غداً؟ فالسجين ينتعش بزيارة الأهل والأصدقاء ، ومنذ سكنّا هنا لم تزوري أحدا .. فلابد أن تذهبي لزيارة أحدهم .

قالت المرأة بعد صمت : سأذهب هذا الأسبوع لزيارة ذيب ، فلي شهر لم أمر عليه

فعاد الشيخ يقول : اذهبي إلى صقر وأخبريه بأمر الرحيل والانتقال إلى حي صديقه منصور

– جاء أمس وأخبرني عند الباب بأنه سيزور صقرا ، ويسألني مرافقته ، فقلت له : لي أكثر من شهر لم أزر ابني ذيبا ، ولم أره .. آه ! يا أبي قضيت سنوات عمري وأيامي في زيارة السجون

– هذا نصيبك

فقالت بضيق : ألم تجد أحدا تزوجينه إلا ذلك اللص ؟

– وهل تقدم إليك غيره ؟

– أنت السبب ، لو كنت رجلا صالحا لتقدم إليّ الكثير .. من يقبل ابنة شوكة الحرامي ؟

قال بسخط : أنا لا أحب الولولة والندم ، لم أجد من يقومني

كان قيس يقف بالباب فأجاب : أبوك طيب وأخوتك أناس محترمون .. أنت الفاسد بينهم .. السائق صبحي في العاشرة صباحا أمام العمارة لنقلك إلى سجن ذيب

فصاح شوكة وقال: كم أكرهك ! أنت شيطان

ضحك قيس وقال : أنا شيطان وأنت ماذا ؟

– لا أحب أن أسمع هرجك .. لو أنت بطل مثلنا ، لم تتهكم علينا

عاوده الضحك وقال : بطل بطل ! تسرق أموال الناس وكدهم وتعبهم وتزعم ذلك بطولة .. ها هي ابنتك المسكينة تقضي عمرها في زيارة الأبطال

– السجن للأبطال .. يوسف الرسول قضى سنوات في السجن .. ألا تقرأ هذا في القرآن يا سيادة المهندس ؟

اضطر قيس للقهقهة على منطق جده وقال: تقارن نفسك بالنبي يوسف .. ذاك هو البطل الحقيقي .. رفض الزنا .. رفض أن يكون خائنا لسيده الحاكم .. عشيقا لزوجته قبل السجن.. وأحبه حتى لا يخون ويزني .. لتعلق المرأة به .. يوسف لم يسرق ولم يزن

ضغط العجوز على نفسه وقال ضجرا : إني لا أحب سماعك.. متى ستغادر هذا البيت للابد ؟ لسانك أطول منك يا رجل .. اذهب وتعرف على أبيك قبل أن يخرج من الحبس

- ماذا سأرى ؟! سأرى لصا سارقا لبيوت الآمنين ..رجل تخلى عنا صغارا

قالت عجيبة : دعك من مناقرة جدك .. زيارتي الأسبوع القادم لصقر .. ومنصور صديقه سيزوره غداً ، ويعلمه برحلينا لحي أبو خروف والتفتت لقيس قائلة : أنا لا أعرف كيف ستعيش معه عندما يخرج ؟!

- سأجرب الحياة معه ؛ فإن همد وترك حياة اللصوصية مثل هذا الجد سأتحمل العيش معكم والإنفاق عليه .. وأما إن أراد العودة للفساد بعد هذه السنوات من العقوبة سأضطر إما للسفر خارج البلاد أو استئجار شقة خاصة بي ؛ بل قد أشتري شقة ، فصاحب لي يبيع شققا .. ولن أتخلى عنك يا أمي .. أنت ضحية مثلي من ضحايا هؤلاء الفساق

صاح شوكة: أنت علة قلبي يا ملعون .. أرسلك الله عذابا لنا في الحياة الدنيا وعقابا .. لم ننجح في تعليمك [كارنا] ..أصبحت شيخا تصلي وتصوم لتحاسبنا

- لم أنس سعيك في تعليمي الضلال والانحراف وشرب الدخان في أيام الطفولة .. لولا ذاك الشيخ الفاضل قال لي : يا بني أنت صغير على هذا الدخان .. تحرق بدنك قبل أن يشب .. لا أنسى إرسالي لشراء التبغ والخمر .. أنت جد سيء .. لولا هذه المرأة المسكينة لرميتك في الشارع .. لقد حملتمونا العار

صرخ العجوز مهتاجا : الأفضل يا عجيبة أن يرحل ابنك قبل خروج صقر .. أنا قد أحتمل سلاطة لسانه.. أما صقر فلا .. لن يحتمل سماع هذا الكلام

قال قيس : وهل هذا كلام مفترى ؟ أنتم تفتخرون بمثل هذه الأعمال ، وتتباهون بها .. أنت تتحدث بها أمام منصور .. تتحدث عن خبطاتك الكبرى وتعتبرها مغامرات وبطولات

صرخ شوكة : نعم هذه هي حياتي

- وها أنت تدفع الثمن طريح الفراش والأمراض .

صداقة المسجد

في مطلع الأسبوع انطلق قيس لعمله حيث يعمل في إحدى شركات الإنشاء والإعمار ، وأثناء دوامه أقبلت ورشة تمديد الهواتف المنزلية وشبكت شقته بشبكة الاتصالات الأرضية ، فهو قدم طلب الهاتف منذ استقر في أبو خروف ، وخلال أسبوع الرحيل ، فلما عاد في المساء وجد الهاتف قد نشط وفعل فقال : جميل أن يكون لدينا تلفون منزلي ! .. وكتب على ورقة هاتف الشركة التي يعمل بها ، فأمده لأمه وقال : هذه رقم الشركة عندما تحتاجينني لأمر ضروري اتصلي به كالسابق ، وهم يخبرونني بطريقتهم الخاصة .. وأنا أتصل بك من أقرب هاتف ؛لأن الورشات قد تكون خالية من خط تلفون وهي في أول قيد الإنشاء .. ويمكنك إعطاء رقم البيت الجديد لذيب ليتصل بك إذا سمح له بذلك .. فهم أحيانا يسمحون للسجناء بالاتصال بذويهم وأهليهم .

وبعد صمت يسير قال : ربما أتعاقد مع شركة خارج المدينة أو البلد .. أنا لا أرغب بالاصطدام بأبي .. فتركه لعمله المنحط لن يكون سهلا عليه .. وقد شب وشاب عليه .. واذا علمت بتحسن حاله وتوبته عن الحرمنة سأعود إليكم .

قالت بحزن ظاهر : وتتركني يا بني !

- لا أحب أن تسمعي صراعنا وصياحنا .. أتقبلين أن أتصل بالشرطة إذا مارس أبي سرقته من جديد ؟ أم تريدين أن أصمت عن الحرام ؟!

- أنت لم تعاشر أباك !

تظاهر بالابتسام : أبي حرامي معروف على مستوى الدولة كلها .. ألم يحدثنا رجل دربه منصور بحرمنتهم حتى في السجن ؟! .. كان على أبي أن يغير نمط حياته بعد عودته من السجن أول مرة أن يعمل سائقا أن يعمل في محل بيع كما عرضت عليه ، أن يعلم أنه رب أسرة وأطفال .. المال الحرام زائل لا يدوم ..كان عليه أن يطعمنا الحلال لا الكسب الخبيث .. ألم ينفق عليّ سبع أو ثمان سنوات من ماله الخبيث؟ أنا أعرف سيرة أبي وأبيك بالتفصيل الممل .. وأعرف بعض

الأسر وأفرادها .. فهم يتحدثون عن سرقتهم لذهب أمهاتهم وأخواتهم وأقاربهم .. فالناس تعرفكم وتعرف صداقة منصور لأبي ، وأن صحبتهم صحبة حرامية ، وأنهم سرقوا المنازل والمحلات سوية .

قال شوكة بعد صمت طال منه: لسنا الحرامية وحدنا في هذه الدنيا .. كل بلد فيها ما يكفيها .. لا أتخيل بلدا في العالم لا يوجد فيه أشرار مثلنا ؛ لكننا أشرار صغار يا حضرة المهندس .. هناك رؤساء يسرقون بلادهم ، ولا أحد يحاسبهم ويتشاطر عليهم ويحبسهم مثلنا

– الله سوف يحاسبهم يوم الحساب .. من لم يحاسب في الدنيا فسوف يحاسب غداً .. عندما توضع الموازين القسط ليوم القيامة .. ويا سيد قد ينحرف الإنسان في حين لظروف تربوية سيئة لفقر ليتم لأي سبب ولضعفه البشري ؛ لكنه يرجع يستيقظ يتوب بعد سجن وسجن بعد عقاب بعد مرض ومصائب يؤوب ؛ ولكنكم تزدادون إجراما وعنفا .. ألم يطلق السيد الوالد على الحارس النار ؟! وسبب له إعاقة أبدية ، ما زال الرجل مشلولا كما سمعت من أبي .. كم مرة حبس قبل الزواج من ابنتك ؟ أما في ذلك كفاية وأوبة وكف عن الشر .. زوجة أولاد ألا يدفعه ذلك للاستيقاظ والارعواء ؟! هذه المرة طال حبسه ؛ لكننا لم نسمع بأنه ندم تاب صلى ؛ بل يقول منصور : إنه يهدد بالانتقام ممن ؟ من الحارس المعاق منذ سنوات .. سنوات قضاها عن مجموعة من القضايا والجرائم سرقة واعتداء على الحارسين ومحاولة قتل أو شروع في القتل .. قضى أحدهما هذه السنوات كلها إذا ما زال حيا في حالة شلل دائم .. عاجز عن القيام بواجباته وامرأته كما أخبرت تركته بعد عامين من الحادث .. مأساة بمعنى الكلمة .. وأولاده ذاقوا المرار والذل .. كانوا صغارا مثلي أيام الحادث .. أليس هذا ظلما وإجراما يا سيد شوكة ؟! أهذا الذي يفتخر به أمام الخلق ؟! فبسببكم لم يقبلني أحد زوجا لكريمته .. حاولت أمي مع بعض العائلات الطيبة وجاء الرفض .

قال شوكة : لو أنت تقبل الزواج من بنات أصحابنا لتزوجت من أول الدهر

ضحك قيس ونظر في وجهه أمه وقال : الإسلام طلب أن نجد الصفة الطيبة الصالحة في أم

الأولاد على أمل أن يكون أولادي ـ اذا شاء ربي ـ ذرية طيبة لا فاسدة مثلكم .. سأصبر حتى أجد البنت الكريمة .. الحمد لله الذي أخرجني من الظلمات إلى النور .. أنت رجل تجاوز الستين ولم تسجد لله سجدة .. تب إلى ربك .. اندم ماذا تنتظر ؟!

صرخ شوكة ممتعضا : لست أنت الذي سيحاسبني

– أنا لا أحاسبك .. الله تعالى هو الذي سيحاسب الجميع .. إني أنصحك .. أذكرك بربك .. آمُرك بالمعروف والندم .. هذا واجبي نحوك ..لا تظن أني لا أشفق عليك .. ولا تظن أنني لا أدعو لك ولأبي وأخي بالهداية والتوبة والعودة للدين .

اعترض شوكة فقال : اسمع يا إنسان ، لا تدعو لي يا رجل .. ادعوا الله أن يخلصني ويريحني منك .. هذه حياتي وأنا حر فيها

تضاحك قيس لثوان وقال : أنت حر ! ومن قال لك ذلك ؟! .. هذه الحياة منحة لتعمل في طاعة ربك .. إنها دار اختبار وابتلاء

– أتمنى أن أصحا من نومي ولا أراك بيننا .. متى ستسافر يا ابن عجيبة؟

– تتضايق من دعوتك للدعوة والتوبة .. أنا لا أقصدك وحدك .. قصدت معك هذه المسكينة

قالت : أنا أعلم أن نصحك وكلامك للجميع .. ماذا أفعل للكسل والضعف؟ إنهما يسيطران عليّ سأجدد توبتي ، وسأذهب لصلاة المغرب .. أظن أن المغرب قد اقترب

– سيؤذن بعد وقت يسير .. سأمشي للمسجد أتريدين شيئا ؟



تعمقت الصداقة والمعرفة بين قيس وفريد كمال وطلال جمل ، وذلك في ثنايا مسجد أبو خروف فهم يجلسون بعد صلاة المغرب في إحدى أركان المسجد للحديث ، وانتظار الصلاة رغبة في

ثواب انتظار الصلاة إلى الصلاة ، وأيضا لقصر الوقت بين الفرضين خاصة في فصل الشتاء ، فربما بينهما ساعة وربع تزيد وتنقص ، فليل الشتاء في بلاد الشام طويل ، والنهار قصير .. فبعد أداء الصلاة وانصراف الكثير من المصلين ، يجلس الشباب الثلاثة للحديث والمناقشة في مسائل شرعية قديمة وحديثة ، ثم ينتقل الحديث إلى مسائل عامة أو أخبار شائعة في البلد أو الحي ، وقد يعودون للحديث الديني مرة أخرى .

وكثيرا ما ينحرف الحوار بينهم إلى الحديث عن سبب تأخر زواج قيس ، حيث لا ينقصه المال وقد تجاوز الخامسة والعشرين من العمر ، وما زال أعزبا ، مما دفعه ليصارحهم بظروفه الخاصة وسيرة والده وأخيه وجده السيئة الذكر ، فعقب طلال ـ وهو قد سمع هذه القصة من أهل الحي ـ فقال : ولماذا تتحمل عبء فساد من هو أبوك ؟

– لقد سعت أمي لتزويجي وخطبة فتاة لي ، ولما علم أهلها بسيرتنا الحسنة ـ ضاحكا ـ اعتذروا فأبي مسجون وأنا لا أستطيع الزواج من فتاة من أصحاب أبي وجدي ؛ فإذا جنى أبي عليّ فلن أجني أنا على أولادي.. إذا يسر الله لي الزواج .. فالقضية أني أريد فتاة طيبة متدينة من أسرة كريمة

– وأنت شاب فاضل متعلم وتحمل شهادة وتعمل مهندسا كما أخبرتنا في جلسات سابقة ، ورغم الانحراف الشائع في الأسر هذه الأيام ؛ لكنهم عند الزواج يتخوفون ويخشون المستقبل هل تحب أن نساعد في ذلك؟ لعلنا نجد لك ما يسرك ؟

خجل أن يجيب مباشرة فقال: لو انتظرنا بعض الوقت .. فأنا كما أخبرتكم من قبل في انتظار خروج أبي من سجنه بعد ثماني عشرة سنة قضاها خلف القضبان والقيد .. قضى سنوات شبابه وعمره في السجون .. وهو على وشك الإفراج والخروج من مهاجع السجن .. وأنا منذ كبرت سني ، ودخلت المدرسة الثانوية لم أره ، لم تطب رؤيته وراء القضبان في قضايا لا تشرف الإنسان فلو حبس في قضية ظلما ؛ لكان الخطب أسهل على النفس

وبعد صمت عاد يقول : ربما أترك البيت إذا لم يعدني بالتوبة وعدم العودة لحياة اللصوص أو

أسافر للخارج للعمل في إحدى بلدان العالم الغنية .

قال طلال وقد انشغل بفكرة زواج قيس : وما يمنعك من الزواج سواء خرج أبوك أم سافرت للخارج أم استأجرت شقة تعيش فيها أنت وزوجك ؟! وهذا لن يزعج أمك ستبقى قريبا منهم مستقلا بنفسك .. أرى الزواج مناسبا لظروفك مع عودة الأب الذي سيحتاج لفترة حتى يتأقلم مع الحرية بعد سنوات طويلة

قال فريد : وقد يأخذ البحث عن الزوجة أشهرا وليس أياما وساعات

وبعد صمت قال قيس : الزواج مسؤولية وأسرة وعلاقات .. صدقوا أني راغب بالزواج .. وإنما حسن الاختيار مطلوب ، وهو من أهم أسس بناء الأسرة الصالحة والزواج السليم .. لقد تحدث فريد عن دور زوجته في إعادة ترتيب حياته وتوبته وإخراجه من اليأس بعد مأساة شقيقته وضعفها أمام الإغراءات والفساد .. كانت قصة مؤلمة أدمت القلب .. وأنا أتمنى من كل قلبي لأبي صالح بالهداية والتوبة .. وأنا أقدر لخالتك أم ريان الدعم الكبير لي ولأسرتي بعد حبس أبي فهي نعم الأم لي .. لا أنسى دورها في حياتي وإنقاذي من براثن الجوع والعري والفقر وقد نلت الشهادة بدعم من جمعية البر

قال فريد: خالتي تذكرك دائماً بخير .. وتكبر فيك الإيمان والشجاعة .. وأنك تقدم اليوم للجمعية بسخاء .. فكلما أزور الحاجة أم ريان إلا وتسألني عنك لما عرفت برحيلك إلى هنا والتقائنا المتكرر في المسجد

– هذا الكلام المؤلم يا طلال .. فدعمي هو لتقوم الجمعية بإنقاذ غيري كما أنقذتني .. أنا مدين للجمعية بأكثر من عشر سنين من الإنفاق والمساعدة يا أخ فريد .. اكتم ذلك لا تشيعه .. أما الزواج فلنصبر حتى يخرج السيد الوالد من الحبس.. سيفرج عنه خلال هذه السنة .. أنا جدُ شاكر لمشاعركم وتعاطفكم معي .. وأشكر صدق هذه العواطف وهذا النبل

قال طلال : لي ابنة عم متخرجة من كلية شريعة منذ أشهر كنت أرغب بمفاتحتها بظروفك .. وإذا رفضت فخالة فريد قد تتدخل في الموضوع .. فلها جهد في مثل هذه الزيجات .. فقد

ساعدت كثيرا في التوفيق بين الرؤوس .. والناس تقدر تدخلها

- ذكر لي فريد قصة زواج شقيقه الأصغر ناجح بمساعدة قوية من أم ريان ، وله اليوم طفلان

قال فريد : قامت بدور كبير ما زال يذكر لها ، وطلال له جهد في مثل هكذا مشاريع.

قال طلال مشجعا لقيس على النكاح : عندما تقرر بشكل جدي يا قيس أنا أحاول مع ابنة قريبي فأنت رجل يخدم ومن أهل الإيمان



كانت أم ذيب تجهد نفسها وتزور زوجها مرتين في الشهر ، وذيبا مرة واحدة في الشهر الواحد ، تأخذ بعض الطعام المسموح بإدخاله للسجين والفاكهة وعلب السجائر .. وتجلس معه ساعة قد تزيد نصف ساعة أخرى حتى ينتهي وقت الزيارة الرسمي .

ولما تخرج المهندس قيس وتوظف ، كلف أحد السائقين لصحبتها في رحلة العناء ـ سائق اسمه صبحي من أهالي حيهم القديم ـ يتصل به قيس لترتيب زيارة أمه ، فيأتي صباحا قبل الظهيرة عندما تكون الزيارة يوم الجمعة .. في هذا الأسبوع ستكون الزيارة لصقر ، وهي أول زيارة له بعد رحيلهم للحي الجديد .. فجهزت الطعام والدخان والشراب [علب العصير] والفاكهة .. ولما أتى صبحي ساعدها قيس في نقلها للسيارة ، ودعا لهما بالتوفيق ، وكان قيس يحاسبه عندما يعود بأمه حسب الأجرة المتفق عليها بينهم .

يكون اللقاء مع السجين من خلف الشبك الذي يسمح بالمصافحة وإدخال الأشياء .. ويفتش الزائر من قبل الشرطة هو وما يحمل خشية إدخال ممنوعات كالمخدرات والخمر ، أما السجائر فيسمح بإدخالها مع أنها تباع في دكاكين السجن .. فيسمح للمساجين داخل السجون العمل في الورش والمشاغل كالنجارة والحدادة والخياطة على أمل أن يتعلم السجين مهنة أو حرفة يعمل بها عند خروجه من السجن وقضاء محكوميته ، خاصة أصحاب المدد الطويلة التي تمكن

صاحبها من التعلم والتدرب.. وبعد أن تناول صقر الأشياء من عجيبة قال بنبرته القاسية :
أخبرني منصور الجمعة الماضية أنك ذهبت إلى الذيب كيف هو ؟
- لا جديد .. يهدد ويتوعد ويريد تدمير الحكومة
تظاهر بالأسف على بكره فقال : يا له من أحمق ! نصحته أكثر من مرة أن لا يتأسى بأبيه ولا جده .. فهو نحيف البنية ، وغبي لا مخ عنده .. يقع من أول سرقة .. أنا كل عشر أو أكثر لما تصطادني الحكومة
قالت بحسرة الأم : ليته سمع نصحك .. فأنت ذو خبرة !
لم يعجبه كلامها فقال: تتهكمين علينا ! .. هل تزوج حضرة المهندس ؟
- لم يجد ابنة الحلال .. الناس الأشراف يخافون من سمعتنا
- انقطعت بنات الحلال
قالت : يريد واحدة متعلمة ومحترمة .. بنت ناس محترمين .. والناس المحترمون لما يعلموا سيرتنا العطرة يرتعبون .. ويعتقدون أننا من صقلية أو شيكاغو
قهقهه صقر عاليا مما لفت نظر الزوار الآخرون إليهم ، وقال ساخرا : أتعرفين عصابات شيكاغو يا عجيبة؟! ولما رآها لم ترد قال : أبوك لم يمت بعد ؟
- لم يمت بعد .. فهو في انتظارك
- في انتظاري .. أبوك مات منذ سنوات .. لما خرج آخر مرة من السجن مات .. دهمه مرض السكري القاتل
- والقلب .. هذه الأيام عضلة القلب تضعف
فقال : إذن هو على وشك الرحيل
وفاجأته قائلة : وقيس يرغب بالسفر بعد خروجك حتى أنه يفكر بالهجرة إلى أمريكا
قال بنبرة حادة وزاعما عدم الاكتراث : أحسن ! أنا لا أحبه يا عجيبة مع أنه أحسن منا خُلقا ودينا ..أنا مقدر لشجاعته وحبه للدراسة ، وعجبت من نجاحه ودراسته غاية العجب .. ولما

صار مهندسا عجبت أن يخرج من صلبي مهندسا

- طالع على أمه .. أنا أحب العلم ودرست بضع سنين عند عمتي رحمها الله

قهقهه صقر وقال : أنت مسكينة يا عجيبة ! لا تفقهين من الدنيا والحياة شيئا .. أبوك لص كبير في زمانه ، وزوجك مثله ، وقضى عمره في السجون ، وابنك في طريق اللصوصية .. وحضرة المهندس يستعر من مقابلة أبيه في السجن .. يريد الهرب وهو الذي يزعم أنه شيخ

قالت بنبرة غضب : يريد الهرب من أعمالك .. يقول لو يتوب أبي أنا مستعد للإنفاق عليه طول العمر ، ولو كل راتبي .. بس يعيش مثل الناس

قال كأنه نادم : أنا أحلم أن أعيش مثل الناس يا عجيبة .. تعودت على مد يدي على أموال الناس تعودت على حياة السجن

- الذي يعزم يتخلص من كل العادات القبيحة.. ها هو أبي اللص المعروف لك .. لما ضعف ومرض تخلى عن تلك الحرمنة رغم أنفه .. الإنسان يستطيع ذلك ..عشرات دخلوا الحبوس وما عادوا إليها .. تستطيع يا أبا الذيب

بعد صمت قال : هل تعلمين أني صليت بضع مرات هنا ؟

- أنت ؟!

- نعم ، أنا ..قضى أحدهم رجل متدين بضعة أيام هنا موقوفا .. وأقنعنا بالتوبة والصلاة كان بارا بنا .. ثم خرج .. لو طال مكثه بيننا ربما استمررت بالصلاة

- أين ذهب ؟

- كان موقوفا بسبب حادث سير .. قضى عشرة أيام حتى عفى أهل الميت فأخلي سبيله

قال مشجعة لقرينها : عندك بذرة خير يا صقر

فصاح معاتبا : ويحك يا امرأة هل نحن نكره الخير ؟!

ثم سكت لحظات كأنه يفكر وقال : إنما تربيتنا وظروفنا جعلتنا من أهل الشر والسرقة

- لو كل الفقراء يحتجون بالظروف لصاروا كلهم مجرمين .. عليك أن تنوي أن تتغير يا صقر

من أجل ابننا الفالح المهندس .. المال الذي تسرقه سيعطيك إياه .. دائماً يردد ذلك أمام منصور وغير منصور

قال كأنه يأسف لبقاء منصور خارج السجن : كنت أظن أن منصورا سيعود إلينا خلال أيام .. ولكن له أشهر خارج القفص

- هو ينتظر خروجك أو أن عصابته تخلت عنه .. وعلمت من قيس أن امرأته هجرته

======

في منتصف شهر فبراير شباط أدخل والد عجيبة مستشفى الحكومة لإجراء فحوصات طبية للقلب ، وقد يحتاج بناء على فحوصات قديمة لعملية توسيع شريان أو إبداله ، وقام قيس ووالدته باللازم ، وقضى الرجل أياما تحت المراقبة والعلاج ، وعلى تلك المعالجة قرر الأطباء تأجيل أي عملية للقلب ، وعاد الضغط لطبيعته ، فرجعوا به للبيت ، وبعد أن تمدد شوكة على سريره قال لهم : كنت أظنها النهاية يا عجيبة من كثرة الأطباء حول السرير .. ابنك هذا ـ وأشار لقيس ـ في مثل هذه المواقف جدع ، ويستحق الثناء

قال قيس باسما : اشكر الله يا سيد شوكة .. الشافي هو الله .. وانا أساعد وأقف مع الغريب والأجنبي ..الإنسانية حق للجميع .. أنا أكره وأبغض أعمالك الماضية والسيئة ..أما أنت اليوم فلا حول لك ولا قوة .. نصحك الطبيب بترك الكحول ، ولو كان شيء يسيرا منها.. ونصحك بترك التبغ أو التقليل منه .. فهو سبب مشاكل الشرايين يا جدي

قال بضيق : لا أستطيع يا قيس ترك الدخان .. أما الخمر فلست مدمنا عليها .. ربما أشرب في الشهر ثلاثة أو أربعة ألتار .. كمية ضئيلة عن أيام الشباب

- أيعجبك أن تبقى هذه المسكينة ذاهبة لدكان الكحول لتشتريها لك ؟! .. تحمل تلك الزجاجات اللعينة

- أنا لا أستطيع المشي الطويل.. وإلا لذهبت بنفسي لشرائها .. وصاحب الدكان يعرفني ويعرف لمن تشترى هذه الزجاجات .. والرجل يعرف أمك وأباك ولمن الخمر .. وهو يضعها

في حقيبة لإخفائها عن أعين الفضوليين .

ضحك قيس وقال : كل الناس تعرف ما في هذه الحقيبة ، بل ويستغربون رؤيتهم لأمي خارجة من خمارة أو دكان بيع الخمور .. فاضطر لتوضيح الأمر لهم

هاج شوكة وصاح : كأن الخمارة لا تبيع الخمر إلا لشوكة .. أين تذهب الأصناف والكميات يا رجل ؟.. لو أنا وحدي الذي يشربها لأغلقت المحلات أبوابها ، وأفلست المصانع ..أنت ربنا نجاك من هذه الشرور فاحمده .. نحن ضعفاء

- اهدأ يا رجل ..لا تنفعل .. إذن بعد هذه العودة من المشفى احذف الخمر من حياتك .. وقلل من دخانك

حك رأسه وقال : هاتِ شايا يا عجيبة ..وأنت اغرب عن وجهي .. سأشرب ما بقي عندي فحسب .. وهل ستمنع أباك من شربها ؟

- له عمر لا يشربها وممنوع عنها .. أنت تعلم أن الخمر في السجن ممنوعة .. وإذا هربت فهي كميات محدودة

تضاحك شوكة وقال : مسكين أنت بعض المال للشرطي فيشتريها هو لك ويدخلها السجن

- مهما يكن .. فالأمر قليل .. والشرطي الذي يساعد في ذلك قد ينقل لمكان بعيد أو يفصل من جهاز الشرطة

- كلهم يعملون معا .. يأخذون الرشوة والمال

- أتريد أن تقول أن شرب الخمر في السجن متيسر وسهل

- يعني إلى حد ما

- نعم ، حاول أبي مرة إغراء أمي بإدخال الخمر للسجن .. فطردها الضابط شر طردة .. ومنعها لفترة من الزيارة .. ورفض لها بعد ذلك إدخال أي مواد لزوجها

تراجع شوكة عن بعض أفكاره فقال : طبعا هم يتشددون بالسماح للزائرين بإدخالها .. إنما هم يدخلونها خفية مقابل المال

- ربما يضعف أحدهم ، وإذا عرف وكشف أمره سينال العقاب المحدد في القانون .. الشرطة بشر يصيبهم ما يصيب الآخرين من ضعف وشهوة .. ويتعرضون للمحاكمة والعقاب .. قد يستطيع تاجر مخدرات توريط شرطي أو ضابط بإغراء المال والمخدرات .. وسمعنا قصصا كهذه ، ونشرت الصحف مثل هذه الجرائم ، وتعرض من قام بها للعقوبة والمحاكمة .. فهذه حالات فردية يا سيد شوكة .. أنا المهم عندي أن تهتم بصحتك الضعيفة حتى لا تصل لعملية القلب المفتوح .. وقد تهلك فيها فالله يعطيك الفرص لتتوب وترجع إلى الله .. ها هي أمي عادت إلى الصلاة دون أي حرج .. وتجتهد للثبات عليها بإذنه تعالى .. فعليك أن تشجعها على ذلك .. ولا تطلب منها شراء الخمر بعد هذا الخروج .. فشربك للخمر يؤدي إلى موتك بيد ابنتك

بعد صمت وتناول الشاي قال شوكة : ألم تجد بنت الحلال بعد؟.. كلما أراك أذكر ما أنا عليه من سوء وفساد .. فألعن الساعة التي ولدت فيها .. وتعود بي الذكريات لأيام الصبا ولوالدي المرحوم ونصائحه وتحذيراته ؛ كأنك تنطق بلسانه ، فقد كان مصليا وصواما لرمضان .. فكنت أستهزأ بنصحه وإرشاده .. فأقول ألم تعلم أن الصوم قد مات ؟ وكذا الصلاة .. الناس تجاهر بالإلحاد اليوم

- صحيح أنهم يجاهرون بالإلحاد في كوبا وبلاد الروس والصين وبعض دول العرب ؛ لكنهم هم الخاسرون .. فهم يعبدون الكفر وتماثيل زعماء الكفر .. ألا يحجون لصنم لينين في وسط موسكو ؟ ويحنون له رؤوسهم .. الدين لدى الإنسان فطرة تولد معه ، وحاجة ضرورية له فإن لم يعبد الله وحده سيعبد غيره .. الهوى الشيطان البقر التماثيل الشجر البحر.. ألا يعبد الهنود في هذا القرن البقر ؟ بل سمعنا أن هنودا يعبدون الجرذان والقرود وبوذا .. وهناك من يعبد الدينار والدرهم والثياب كما حدث النبي . وصلت أمه على النبي صلى الله عليه وسلم

قال شوكة : سمعت أن الهنود فقراء يعبدون البقر فكيف يعبدونها ؟

- توارثوا دينهم عن أجدادهم ، يقدمون لها الخضوع والسجود ، ويقدسونها ، ويترك لها صاحب الدكان العبث والأكل في متجره وهو راكع لها يتقبل بركاتها .. وربما يتباركون ببولها ولست أدري أهذا صحيح أم لا ؟! ولكن الإنسان اذا عبد أي شيء خضع له خضوعا كاملا فقد عبد القدماء الشجر والكواكب والأوثان والشمس والقمر .. الحمد لله الذي أخرجنا من الظلمات إلى النور .. نور الإيمان والإسلام .. فعلا الإنسان بدون عبادة صحيحة في ضلال وتيه وضياع .. الإنسان بطاعة ربه الحقيقي يشعر بسعادة وحلاوة في أحلك الظروف السكينة تتنزل على القلب .. ورغبته العارمة في جنة الخلد الخالية من المنغصات والنكد والضعف والغضب والسخط والفقر والمرض ومن كل العيوب المعروفة في الدنيا .. يشعر المسلم أن للحياة قيمة لأن هناك آخرة .. وأن سعيه سوف يرى ويجده عند ربه .. ليس فقط أيام تمضي والكسب من ملذات الدنيا فحسب .. يا رجل في الجنة أنهار من خمر لذة للشاربين ليس لهذه الخمر عواقب وخيمة من تشمع كبد ضياع عقل بول على النفس المشي على أربع الصداع والهذيان بكلام فارغ وفضح أسرار الأسرة والبيت .. والتلفظ بألفاظ مقززة



أمام المسجد

قالت عجيبة لابنها قيس: هل كلمت صبحيا عن مشوار الغد ؟ وكان ذلك السؤال بعد رجوع قيس من المسجد بعد صلاته العشاء ـ فالشاب محب لصلاة الجماعة منذ تعلق قلبه بها ـ وكانا يجلسان في المطبخ حيث يتناول الشاب عشاءه وحيدا ؛ لأن أمه تتعشى مع أبيها بين المغربين في حجرة الشيخ شوكة ، فبلع قيس اللقمة وأردفها بجرعة ماء ، وقال : نعم ، اتصلت بالرجل وهو سقيم سيبعث ابنه لمرافقتك فربحي سائق كأبيه

قالت بقلق معتاد : ما به صبحي ؟!

– مريض.. ولم يفصح الرجل عن المرض .. اسألي ربحيا غداً .. فإذا احتاج الوضع لزيارة خاصة قمنا بها .. فالرجل يخدمنا وجار لنا في حينا السابق .. صحيح أنه يأخذ أجرته ؛ لكن المجاملة مطلوبة .. والرجل يصلي .. والصلاة عنوان المسلم وحياته .. أنا لا ارتاح لتارك الصلاة

قالت بعد هدوء للحظات : ألا ترغب بالزيارة لأبيك؟.. فوالدك في الزيارة الماضية أكثر من ذكرك وشوقه لرؤيتك ..وطلب مني بالضغط عليك

– ورائي صلاة جمعة ، وقبل أيام حدثته بالتلفون .. ألم تسمعي مكالمتنا ؟ .. وقلت لك إني أكلم أبي وأنت كنت في المطبخ.. أنا لا أحب رؤية السجون خاصة سجون اللصوص والانحراف

– حسنا ، زر ذيبا ، وأدعوه لدينك

تبسم قيس وقال : اتصلت به في السجن هو الآخر ، وطلب مني عدم الاتصال به والكلام معه مرة أخرى.. فهو لا يحب مكالمات التلفون المزعجة .. وأخبرني أنه يكرهني ويتمنى موتي .. أهذا أخ ؟!

– من القهر يا ولدي .. السجين ضيق الخلق .. لو أتابع شتم أبيك ولعنه لما زرته البتة لانقطعت عنه منذ سنوات .. نحن المتنفس الوحيد لهم بهذه الزيارات

– أين أصحابه في السرقة والسطو ؟ لا أحد يزوره إلا منصور

– رأيت رجلا آخر يتردد عليه صدفته أكثر من مرة اسمه جربوعة أو هذا لقبه .. فكر

بمصاحبتي إليه

– لم يبق إلا القليل يا أمي ويخرج زوجك .. نحن في آخر شباط .. شهر ونصف ويكون بيننا ـ إن شاء الله تعالى ـ وأرجو أن ينصلح حاله بعد هذه العقوبة الطويلة .. فسيرته لا تسر صديقا ولا عدوا .. أسمع نحنحة أبيك

تابع قيس مضغ الطعام ، وحملت الأم الشاي بكوب كبير السعة لوالدها الذي استقبلها بالصراخ والصوت العالي: بماذا تتحدثون في مطبخ المؤامرات؟ طعامك لم يعد يعجبني هذه الأيام .. لا يوجد به لحم .. فقران قيس؟!

– ويحك ! ألم تأكل ظهرا زوجا من الحمام كما تشتهي ؟

– هذا حمام !.. هذه عصافير

– أنت تعلم أن الحمام قليل اللحم

قال شوكة : غداً لو طهوت لنا سمكا .. لي سنة لم آكله يا عجيبة يا بخيلة يا عاقة

– سنة ! يا لك من جاحد .. الأسبوع الفائت أكلنا سمكا يا بار بابنتك

قال : دخلنا على التعيير ..ماذا كنت تتحدثين مع ذاك؟ ـ وأشار بعينيه إلى المطبخ ـ هل لقي عروسا؟

– كنا نتحدث عن زيارة صقر صباح الغد .. وأرغبه بزيارة أبيه .. وقيس لا يرحب بذلك .. ولا يحب زيارة السجن

قال هازئا : وهو عامل نفسه شيخا علينا

– لقد حادثه على الهاتف.. وقيس ابن فضيل .. ولولاه لربما ضعفت عن رعايتكم .. هو بسمة حياتي

شوكة يعرف حب عجيبة لقيس لأسباب كثيرة فقال :كيف ستعشين إذا تزوج وترك البيت ؟ ردت على أبيها فقالت : سأسعد وأفرح بزواجه ..وسيسكن قريبا منا .. قد يسكن في هذه العمارة التي نستأجر فيها ..ففيها شقة فارغة في الطابق الأول الأرضي معروضة للإيجار ..

وطلبت منه أن يستأجرها .. ويبدأ بتأثيثها ليتزوج فيها ؛ ولكنه متردد في أمر الزواج ويفكر بالسفر وأنه أفضل من الزواج

- يريد الهرب من أبيه

- يريد الهرب من سيرته وماضيه .. فأنتم نقطة سوداء في حياته ؛ ولكنه شجاع ومتقبل للأمر ولو على مضض

- لقد وفيت له بوعدي بترك الشراب المسكر .. لي أيام لم أذقها .. ولم أطلب منك شراءها والدخان أصبحت أحرق علبة ونصف.. فقط ثلاثون سيجارة في اليوم والليلة .. أتريدين أن أترك الأكل والماء؟

- قيس لا يقصر معك .. ويشتري لك المكسرات والمملحات والحلوى

- هو حقيقة سخي في بعض الأحيان

قالت : كل الأحيان إنما أنت لا تشبع .. الطبيب آخر زيارة قال لك قلل من أكل الدهنيات ؛ ولكنك غير مبالي

- لسانك مثل لسان ابنك قيس .. ارميني في الشارع

- لا أستطيع إنك أبي !

عندما يخرج المصلون لصلاة الجمعة في حي أبو خروف من المسجد فور انتهاء الصلاة يتبادلون التحيات والأخبار أمام المسجد حيث الرصيف ..فيتصافحون ويسلمون على بعضهم ؛ لأن الكثير من المصلين لا يدخلون الجامع إلا يوم الجمعة ؛ فلذلك تجدهم يتجمهرون أمام المسجد لتبادل التحايا والكلام ، وتسمع العبارات الحميمة ، والقبل البريئة ، والاطمئنان على الصحة والحال ، وكان قيس قد افتقد طلالا منذ ثلاث ليال ، وعلم من فريد كمال أنه مشغول بقضية أسرية ؛ لذلك لما تقابلا أمام المسجد أخذه بالحضن والعناق وقال : أهلا بالأستاذ طلال عساك بخير .. لقد أفتقدك كثيرا في المسجد. وهممت بالمسير إليك ؛ ولكن الأخ فريدا منعني من ذلك وكشف لي بعض أسباب تغيبك عن المسجد .. عسى الأمور تحسنت

– الحمد لله ، أنا بخير .. وأنت كيف حالك ؟

– مشتاق لمجالسك الإيمانية الطيبة .. أنت رجل معلم في المدرسة ومعلم لنا في الجامع طمأنا على حالك

– مرحباً قيس .. المشكلة كما قلت لفريد منذ عهد أن أبي راغب بالزواج على أمنا ..أمي تجاوزت الخمسين ولم تعد تصلح للمعاشرة الزوجية .. وأبي يكبرها بسنتين فقط ..فيرى أنه ما زال بحاجة لزوجة ، وأنه لا يستطيع العيش مع أمنا المريضة والكبيرة .. وبعض الأخوة يرفضون هذا الزواج الثاني .. والبنات ترفض لأن ذلك قد يفتح الباب لفعل أزواجهن بهن مثل ذلك مع مستقبل الأيام .. ووصلت القضية للطلاق والقاضي

قال قيس : ولماذا يرفض إخوتك زواجه ؟

ضحك طلال وقال : خوفا على الميراث ونقصانه ، مع أن الميراث لا يؤثر أول الوقت علينا ؛ إنما تنقص حصة أمي النصف .. ربما إذا ولدت المرأة ..ويخافون يا صديقي من أن يكتب لها شيئا خاصا بسبب الزواج وحصوله لتقبل به

– المال لكم أم له ؟

– ماله.. وأكثره ورثه عن والديه

قال فريد بعد طول صمت: أنت لا اعتراض عندك ؟

ضحك طلال وقال : أنا تزوجت امرأة قبل امرأتي الحالية أم محمد كما تعلم من قبل يا فريد .. عشنا أشهرا معا يا قيس .. ثم حدث الانفصال .. فلديّ معرفة بتكرار الزواج .. فأنا لم أكن معددا في الواقع ، لم أجمع بين زوجتين .. وقد ساعدتني أم ريان خالتك في هذا الزواج .. ثم عرفنا فريدا فيما بعد عند تردده على هذا المسجد .. وأنا أزعم أنني متدين فلا أعترض على التعدد وكما قال قيس المال مال أبي ، فلم يحرم من الزواج ؟! ما دام لديه رغبة ، ويرى أن له قدرة على الزواج ، حتى أمي راضية بزواجه ـ وكما في الحديث ـ أنت ومالك لأبيك

وردد الشباب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وتابع طلال : ونحن نعلم منذ خمس

سنوات أن أمنا تمتنع عن فراش الزوجية.. فصحتها ضعيفة ومتدهورة قبل دخول هذا السن .. وأبي حاول الزواج قبل هذه الأيام ؛ ولكن أخي الكبير يرفض وبشدة ، وبعض أخوالي معه يشدون أزره ..كيف يتزوج على أختهم بعد أن كبرت ومرضت؟ يعتبرون الزواج عليها إهانة لهم للأسف .. وسكت الأب مكرها .. وهذه الأيام تجدد الأمر .. وذهب للمحكمة وطلق أمنا دون علمنا .. فعلمنا بذلك ، وثار العراك والقتال في الأسرة حتى اضطر لإرجاعها قبل انقضاء العدة الشرعية

قال قيس : من حق أبيك الزواج يا طلال .. وهو قادر على الصرف على زوجته وعلى أمك – وعلينا .. فيهب لنا بعض المال في الأعياد والمناسبات .. أبي يملك ثلاث بنايات .. اثنتان في أبو خروف .. وأغلبها مؤجرة .. إخوته بنوا ورحلوا ، لم يبق في أبو خروف من أقاربنا هنا إلا عمة أرملة .. ولما كبر أولادها رحلوا وسعوا لأخذها معهم .. لولا رفض أبي ؛ لذلك فهي تعيش في شقة في عمارة أبي .. وبعضنا يعيش في عماراته

فقال فريد معقبا : أبو عبد الجبار رجل ميسور يا قيس .. وهو متقاعد من الشرطة

قال طلال مغيرا موضوع اللقاء : الفتاة يا قيس التي حدثتك عنها المتخرجة من كلية الشريعة منذ فترة .. فهي من أقارب زوجتي أم محمد وأمها صديقة لها .. وبيني وبين والدها طرف قرابة لكنها بعيدة

قال قيس : عفوا على المقاطعة ما موقف أخواتك من زواج الوالد ؟

ضحك طلال لعودة قيس لموضوعه فقال : مثلنا بعضهن يرفضن، وبعضهن متحفظة ومشفقة.. المهم أتيحت لزوجتي اللقاء بالآنسة وذكرك لها ، فقالت لما يصير الكلام جديا وحقيقيا أفكر في الأمر .. الذي يهمها في المقام الأول أن يكون الرجل متدينا ، وأنها لن تتزوج أهله ، وسردت على مسامعها ما أعرفه أنا عن أهلك

ابتسم قيس وقال : أخشى إن تحول الكلام إلى أفعال أن ترفض ويرفض أهلها يا طلال

ـ نحن جسسنا نبضها الآن ، ووالد الفتاة متدين أكثر منا .. عندما تعطي إشارة الانطلاق ،

فأذهب إليه وأقابله وأكلمه بصراحة مطلقة ، بسرد كل قصتك بالتفاصيل ، وقد نستعين بخالة فريد ، فالرجل متعاون مع الجمعية منذ عهد بعيد ، وله نشاط دعوي ومعوني إغاثة .. وهو أستاذ مثلي ؛ لكنه مدرس في مدرسة ثانوية خارج أبو خروف في الحي الذي يلي دوار الحي .. المهم الإشارة منك

بعد صمت قال: اقترب موعد خروج الوالد من سجنه ، وفي عمارة العم حازم شقة فارغة.. ترغبني أمي باستئجارها وتأثيثها سلفا للسكن بجوارها .. أمهلني يومين أو ثلاثة حتى أحسم أمري .. ونشرع في مشروع الخطبة .. أنت تشجعني على هذه المغامرة .. وتفتح أمامي أبواب السعادة من الزواج من فتاة محترمة وطالبة كلية شريعة



رجع قيس للبيت متأخرا بسبب اللقاء الطويل بطلال أمام المسجد ، مما دفع أمه أن تسأله عن سبب تأخره ، فهم يوم الجمعة يتغدون جميعا مباشرة بعد عودته من صلاة الجمعة ، خاصة الجمعة التي تستريح فيها والدته من زيارة السجن ، ففي تلك الجمعة يكسر قيس القاعدة ، ويأكل مع أمه وجده دون سائر الأيام منذ حطوا رحالهم في أبو خروف فقال باسما : تأخرت عنكم .. لقد أحضرت الرايب [لبن بودرة] ، والكولا .. التقيت بأحد الأصدقاء له أيام متغيب عن المسجد وصلاة الجماعة .. تحدثنا بعض الوقت .. وقد نتصاهر معه

قالت أمه دهشة: ماذا قلت ؟!

يعلم لهفة أمه الشديدة لزواجه فقال : هناك كلام عن زواج أو خطبة نتكلم عند الطعام .. فأكيد الجد مات من الجوع وساخط عليَّ

– لا تنزعج .. جدك أكل .. لم يصبر أكل الأرز بسلطة البندورة .. لم ينتظر الرايب .. استغنى عنه

وضعت عجيبة الطعام على مائدة المطبخ الصغيرة وأفرغت اللبن في وعاء ، وسلطة الطماطم والخيار .. وتناول قيس معلقته وبدأ الأكل .

وقالت أمه: حدثني بكل شيء

ضحك قيس وقال : كل شيء .. هو شيء واحد فقط .. هذا الشاب له قريبة متخرجة حديثاً من الجامعة .. ولم تعمل بعد .. أهلها يبدو أنهم راغبون بتزويجها .. فتحدثت امرأته معها عني فلم ترفض الموضوع وأجلت الكلام الجد حتى يصير الأمر جديا لتفكر فيه .. حياء النساء أليس كذلك ؟

- أكيد ، وأهلها ؟

- هذه هي المشكلة .. أهلها لا يعرفون بعد .. والصديق طلال أبو محمد يبدو أنه واثق من نفسه وعلاقته قوية معهم .. وصديق لوالد الفتاة سوى القرابة والمصاهرة .. ومصرٌ على تزويجي

- وأنت ماذا قررت ؟

قال : لا شيء ، لم أر الفتاة لأتحمس للأمر .. أأنت موافقة ؟

- إذا كانت البنت محترمة كما تريد .. فهل أمانع ؟ أنا يوم المنى أن أراك عريسا وزوجا .. المهم أنت وأهلها - وكأنها تذكرت شيئا - ولكن أباك سيخرج قريبا

- وهذا السبب يدفعني للزواج أو على الأقل الخطبة ؛ فإني استصعب السفر وتركك وحدك مع هؤلاء الوحوش .. أب مريض ، وزوج خارج من السجن

شكرته بقلبها وهمست : ليس لي في هذه الدنيا بعد الله سواك .. ولا أحب أن أراك مصطدما بوالدك .. فأبوك عصبي المزاج وعنيف .. وسيكون صعبا بعد خروجه بعد كل هذه السنين .. الحرية حياة الإنسان .. حياة السجن تبقى حياة السجن مهما ادعى الإنسان الراحة فيها .. فرق كبير بين الحياتين .. أخشى التصادم بينكم .. فأنا تعودت على أذى والدك وتطاوله عليّ ومد يده عليّ .. قد لا تحتمل أنت رؤية هذا المشهد .. لذلك أنا أحب أن تسكن في دار وحدك .. ها هو جدك يصيح

قال قيس : هو لا يحب أن نتحدث دون أن يسمعنا .. على كل سأسعى لرؤية الآنسة أو أرسلك لرؤيتها وتصفينها لي .. فوالدها من أهل البر والإحسان ..وله علاقة بجمعية البر لرعاية الفقراء والأيتام ؛ وأنا لا أعرفه شخصيا ، ربما قابلته دون الانتباه لشخصه والحاجة أم ريان تعرفه بقوة كما قال طلال .. ربما أشركها في القضية إذا احتجنا لجهودها الطيبة .. فكثير من أهل أبو خروف يحترمونها ويقدرون جهادها الطويل معهم .. مع أنها تسكن خارج أبو خروف بعد الدوار الذي في مدخل أبو خروف بقليل حي النجمة .

– لقد قمت بزيارتها في بيتها ، وعلمت منها أن لها أختا تعيش في الحي .. وهي زوجة البقال الذي في طريقنا إلى الشارع الرئيسي

– دكان أبي صالح وابنها فريد رفيقي في المسجد

قالت بحماس: وهي تقدرك ومعجبة بك ، وأثنت عليك خيرا ، واعتبرتك من الأوفياء للجمعية وأنا متأكدة أنها ستبذل أكبر الجهد لمساعدتك.. وهي تعتبرني مجاهدة في سبيل الله على صبري وتحملي لوالدي ووالدك .. حتى أدمع كلامها عيناي .. هل ستخبر والدك بأمر الخطبة ؟

– لا أعتقد أن أبي له اعتراض أو رأي .. لم نتعاشر كثيرا يا أمي .. فبيننا برود .. لي سنوات لم أره فحتى ذيب لم يكن من زوار أبيه .. نحن تجمعنا الأبوة والبنوة وأنت .. ولولاك لما بقيت معهم لابتعدت عنهم.. وأنا لا أقبل لك أن تتخلي عن أبيك .. إذا عاد أبي إلى السرقات فكيف سأعيش معه ؟! حتى لو كان أبي .. لا أستطيع العيش مع حرامي .. أنت كنت مضطرة للعيش معهم أما أنا فلست مضطرا .. ولن أنسى فضل الجمعية بعد فضل الله وتسخيرها لنا .. وأنا اليوم أسدد لهم الدين طواعية .. فأنا مدين لهم { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} .. واتفقت مع فريد ابن أختها على القيام بزيارتها ،والتعرف على زوجها وابنها المهندس ما دمنا صرنا جيرانا فالفقراء والمحتاجون لا يقلون .. والفساد يزيد .. والانحراف عن الأخلاق الحسنة والدين يشيع ويفشو

– إذن تعجل في رؤية الفتاة ؛ لعل الخطبة تحصل قبل مجيء أبيك . وهل تكلمت مع مالك

العمارة حول الشقة الفارغة

– ليس بالضرورة الاستئجار في نفس العمارة .. وسأجتهد أن أعيش في أبو خروف .. من أجلك وحدك يا أمي .. الليلة سأتحدث مع طلال وأطلب مساعدته في رؤية البنت أو تذهبين لرؤيتها وتتعرفين على أهلها

– أنا سعيدة بما أسمع ! كم أنا بشوق لرؤية أطفال أحفاد ! يا الله يا رب سهل زواج ابني قيس

ارتفع صراخ جدك

فقال قيس : يظن أننا نتآمر على حياته ، وندعو عليه بالموت .. اذهبي إليه قبل أن ينفجر الضغط هداه الله إلى الصراط السوي

– الحمد لله ..قلبك كبير يا ولدي

– الدين الدين يا أمي !

ارتفع حماس قيس بتشجيع أمه له بالاقتران من الفتاة ، وهو يعلم علم اليقين أن أمه سعت بنفسها تطلب له منذ تخرج من الجامعة ، ولم توفق في سعيها ، وأدركت حجم المأساة التي يعيشون فيها بسبب أبيها وأبيه ؛ لذلك لما كاشفها بفتاة أبو خروف استغاثت بالله حيث لا مغيث إلا سواه أن يوفقه ويحقق رغبته وأن ينال الفتاة التي تشتهيها نفسه ؛ لذلك كانت على نار وجمر تنظر عودته من الجامع تلك الليلة .. وبالفعل التقى الشباب الثلاثة كعادتهم بين المغربين وبعد صلاتهم لسنة المغرب جلسوا في زاويتهم المفضلة في الجامع ، وبعد كلام عام قال طلال : أرى في عينيك كلاما يا قيس

قال فريد قبل أن يرد قيس : لقد كان كلامك ظهرا عن العروس مثيرا لقيس أحدثت أمك ؟

ارتسمت ابتسامة بريئة على وجهه وقال : نعم نعم .. تحدثت مع الأم فبدت لديها لهفة شديدة بأن أتزوج واستقر قريبا منها .. وكلام الأخ طلال المشجع دفعني لقبول الخوض في هذه المغامرة من جديد .. فكيف سيكون الترتيب المطلوب مني يا أخ طلال ؟! أأقابل الفتاة أم تذهب أمي وحدها لمقابلتها ما عندك يا طلال ؟

تنحنح الأستاذ طلال : في البداية سأدع أم محمد تنقل رغبتك للفتاة ، ثم نمشي كعوائد الناس تذهب أمك الكريمة في زيارة لأسرة أبي حبيب ، وسأذهب برفقتها زوجتي وأمك.. وبعدها سأتحدث أنا مع السيد حمدي أبي حبيب .. وإذا رأيت القبول وعلاماته .. سنذهب في زيارة عائلية أنا وزوجي وأنت وأمك ، وترى الفتاة وتراك حسب السنة الشريفة ، ثم يجري ترتيب الخطبة إذا توافقتم ، ثم الزواج

– إذا قدر الله تعالى الأمر ستكون الخطبة ، ويؤجل الزواج لحين خروج أبي .. وبعد الخطبة سأبدأ بتجهيز البيت والعفش.

قال طلال : وإذا وجدت ترددا من أهل البنت سيرتب لنا فريد زيارة لأم ريان لتضغط على الأستاذ حمدي ..فالناس يقدرون تدخل الحاجة أم ريان .. ويقبلون تزكيتها وشفاعتها .. أمهلني يا مهندس قيس يومين أو ثلاثة على الأكثر .. وإذا لم استطع مقابلتك في المسجد سأتصل بك في البيت من أجل ترتيب زيارة أمك مع أم محمد ..أنت أخ عزيز يا قيس .. أحببتك في الله تعالى

– أحبك الله الذي أحببتني فيه ..أنا شاكر لك .. ولن أنسى جهدك وفضلك سواء تحقق الزواج أم لم يتحقق .. فأنت والأخ فريد مكسب كبير من رحيلنا لهذا الحي .. الإنسان لا يختار أباه ، ولا أمه، ولا مكانه ، ولا زمانه .. هذا كله اختيار الله تعالى

قال طلال مواسيا نبرة الحزن التي كانت في آخر كلام قيس : لا حرج عليك يا صديقي .. فإبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ لم يستطع إدخال أبيه في الإسلام والنبي نوح ـ عليه السلام ـ لم يوفق في إدخال ابنه في الإسلام ولا زوجته ، والنبي محمد ـ عليه السلام ـ لم يستطع إدخال عمه أبي طالب لحظيرة التوحيد ..المسلم يدعو ويهدي ويرشد إلى الطريق والصراط .. والتوفيق للإسلام بيد الله { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَّ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } هداية التوفيق بيد الله وحده .. فأنت لم تختار أباك ولا جدك .. وأمك سيدة فاضلة وجاهدت حقيقة وشجعتك على الثبات على خط الطهارة والتوبة

– نعم ، أمي وقفت معي ، وكانت تشجعني على الذهاب إلى المسجد وتعلم القرآن والجلوس

مع الشيوخ رغم سخرية جدي من فعلها ؛ لذلك كنت أسمعه يقول لها : (هذا بيت لا يصلح فيه العبادة .. الشيطان والرحمن كيف يجتمعان في بيت صقر ؟! فليترك المدرسة ويتعلم صنعة أحسن ؛ ولكنها ترفض أفكار أبيها وتشجعني على الاستمرار في الذهاب إلى المدرسة والجامع والحمد لله منذ بلغت اثنتي عشرة سنة وأنا أحب بيوت الله ، وأداوم على الصيام ، وتهتم أمي بسحوري

قال فريد: أم فاضلة حقا ..نصيبك يا مهندس وأتمنى لك الزواج .. وكنت لولا سبق طلال لي سأتحدث مع عديلي ماجد ـ وهو شيخ كبير في المدينة ، يعرفه طلال ـ كنت سأستعين به لتحقيق مأربك .. وله علاقات جيدة مع الأسر ..وله تلاميذ ..وهو مثل خالتي يقوم بأعمال البر والإحسان والمشي في حوائج الناس والصلح بينهم

قال طلال فرحا : فعلا الأخ ماجد أبو إبراهيم رجل فاضل وإمام له كلمة في منطقته .. وإن فشلنا هنا سنجد طلبتنا عنده يا أخ قيس .. لكن سبحان الله لما فتحنا موضوع زواجك خطرت في بالي بنت أبي حبيب

قال قيس : جميل أنكم تفتحون لي أبواب الفرح والسرور .. الحمد لله الذي وفقني للالتقاء بكم وفهم ظروفي!

لما انتهى قيس من قص ما دار بينه وبين طلال لأمه أخذته بالعناق ، وعبرت عن سعادتها بهذه الخطوة ، وهي تظهر مشاعرها وشوقها ، ودعت الله أن تراه زوجا ، وحلمت بأطفاله يلعبون معها ، قال لنفسه لما عبرت عن سعادتها ومشاعرها: مسكينة أمي ! لقد شقيت بين أب وزوج وابن .. مجرد كلام ملأ قلبها حبورا وسعادة .. ألا يفكر أهل الأجرام والانحراف بما يسببونه من ألم وعذاب لأهليهم من أبناء وأمهات ؟ أظن أنهم لا يفكرون إلا بأنفسهم .. نرجسيون ولا يهمهم الآخرين وما يصيبهم من هم وغم وحزن وشقاء .. أمهات الأشقياء يتحملن ويصبرن مكرهات والله تعالى أعلم .. اني أرى الحزن والشقاء في بريق عيون أمي عندما أكون في جدال مع جدي والدها .. فأشعر بالألم المرسوم على وجهها وفي لمعان العين .. كان يفكر في

هذا وهو يرى السعادة الحزينة المخيمة على وجه أمه وهي تحلم بزواجه وذريته .. ولما صمتت الأم وقد عبرت عن مشاعرها وفرحها عادت تقول : جهزت لك الشاي هيا لمطبخنا أترغب بالعشاء ؟

– لقد تناولت ساندويشا من المطعم المقابل للجامع .. والعم مرعي الطوسي وأولاده خبرة كبيرة ، فطعامه جيد كما تعلمين

– نعم ، حمصُه لذيذ وطيب . صبت له الشاي ، وجلس يشربه على كرسي المطبخ ، وصبت لنفسها كوبا، وحملت ثالثا لوالدها الذي كان يصرخ من فوق سريره ، فلما رآها داخلة عليه قال : ما أخبار العريس ؟

نظرت للسماء ـ أي سقف الحجرة ـ وهمست : حمدا لله حمدا كثيرا ـ وخفضت رأسها عن السماء ـ وقالت : إن شاء الله تسير الأمور وتسلك .. ليبق قيسا معنا وبجوارنا .. أخشى أن يسافر أو يهاجر يا أبي .. ليس لي في الدنيا سواه

قال مدعيا الاحتجاج : وأنا وصقر وذيب

– أنت عجوز ، وذيب يسير على دربكم ، وسيخرج من السجن ، ثم يعود إليه مثلكم .. فهو لا يسمع النصح .. لم نستفد منكم شيئا .. كنت اشتغل وأخيط للنسوان بل تشحذون في بعض الأيام علبة السجائر مني ..عشنا على صدقات الناس وزبالتهم.. أنتم تقبعون في السجون تطعمكم الحكومة .. ونحن نموت من الجوع .. أنسيت كل هذا يا أبي ؟ أنتم تعيشون على صدقة الحكومة والشرطة .. أليس إطعامهم لكم إحسانا وشفقة ؟ماذا تستفيدون من سرقة أموال الناس؟ لا أدري .. تعبوا في جمعها وتحصيلها وأنتم تستولون عليها أو على بعضها لماذا يسرق الحرامي ؟!

قال : لا ، لماذا هذه الخطبة الطويلة ؟ فلو فكر الواحد منا لماذا يسرق؟ ومن سرق ؟ ما سرق ولا نشل ولا نصب ولا احتال ولا قتل .. إنه مرض يا عجيبة ..مرض في أبداننا وأدمغتنا .. ها أنا لي سنوات طوال لم أسرق بسبب العجز والمرض فإذن كان باستطاعتي أن لا أسرق ولا

احتال تعقدنا وكرهنا الشغل والعمل عند أصحاب العمل .. نشتغل ساعات وساعات مقابل بعض المال .. فالسرقة مال كثير ووقت قصير للسرقة ثم وقت طويل في السجن مقابله .. لماذا نسرق ؟! أنا مثلك لست أدري !

– السجن مقابل سرقة الأغنياء ، وضرائبهم تطعمكم في السجون

– هذا كلام قيس ، نعم ، الحكومات تأخذ حظها ونصيبها من أموال الأغنياء وأصحاب الشركات والمصانع

قالت : الحكومة تدير أمور البلاد من شرطة جيش موظفين ترعى الفقراء والمحتاجين الجامعات المدارس ..فهذا قيس تعلم على حساب الجمعيات الخيرية .. وأصبح مهندسا من أموالهم فلماذا تسرقون ؟ ألم تتعالج يا أبي قبل تخرج قيس على نفقة الحكومة والجمعيات ؟!

قال مستسلما : لا أدري بما أجيب ، لكنّ قيسا هو الصح في هذه الدنيا .. غلبت علينا الشهوات والصحة .. وربما حسدنا لأصحاب الأموال والمصانع دفعنا للاستيلاء على بعض أموالهم .. كنا نظن ونتصور هذه الأعمال بطولة مع أننا إذا رأينا دورية شرطة أثناء ذهابنا لخبطة نهرب ونكمن كالأرانب .. مرض مرض أحسن وصف لعملنا .. كنا نرى أن معهم أموالا زائدة نحن أولى بها .. حمق وسخف .. الحياة صعبة يا عجيبة

خرجت عجيبة بنتيجة قائلة : أرى أنكم قضيتم أغلب أيامكم في السجن عالة على أموال الحكومة ، رضيتم بالراحة والكسل ، والرضا بطعام السجن ، وتنتظرون بلهفة وشوق زيارة ابن وأم وزوجة ؛ ليهبكم علبة دخان وكيس طعام .. عقولكم معطلة وملبدة .. لا تفكرون إلا بالانتقام والحقد لمن أوقع بكم

تنهد شوكة وقال : علمتك الحياة الكلام يا عجيبة .

– هذا تعلمته من حواري مع قيس ولدي الغالي .. ربي يحفظه لي .. أتمنى أن يعقل ذيب ويتعلم منكم قبل فوات الأوان وينتبه لحياته وأن يتعظ بكم.. الشر قاتل يا أبي قاتل ومخرب البيوت

مقدمات الخطبة

نقلت أم محمد زوج طلال للفتاة ابنة أبي حبيب رغبة قيس بالاقتران بها ، فطلبت الفتاة منها مكاشفة أمها بهذه الرغبة ، وأنها لا تمانع بالزواج منه إذا قبله أهلها ،وعدتها أم محمد بزيارة خاصة لأمها ، وذكرت لها ما تعرفه عن أهل قيس ـ وكانت المرأة قد أشارت إلى هذه السيرة في المرة السابقة ـ وأكدت الفتاة الشابة أن الذي يهمها هو صلاح الشاب وتمسكه بالإسلام ، ولا يهمها كثيرا فساد والده ، المهم أن المهندس من أهل المسجد ، ومحافظ على صلاة الجماعة وصديق زوجها طلال ، وذلك رغم البيئة السيئة التي تربى فيها ، فقدرت شجاعته ، وتأثرت بكلام أم محمد عنه ، وهي سمعته بدورها من زوجها طلال .. فاستطاعت أم محمد أن تنقل إعجابها بقوة وعزيمة الشاب إلى الفتاة ..وأنه اختار الطريق الصعب بفضل من الله أولا ورغبة حقيقية بالخروج من مستنقع الرذيلة والانحراف .. ومشى في الدرب الصواب ، ودرس وتعلم رغم البيئة والفقر .. فالانحراف والسقوط في مثل تلك الظروف سهل ، ولا أحد يلوم الساقط في ذلك الوحل، بل يجد تشجيعا للانخراط في ذلك الدرب المنحرف ؛ لأن الشيطان يحب أن يرى كل الناس شياطين وفسقة ومغويين .. فشارب الخمر يتمنى أن يرى كل الناس مثله في معاقرة السكر والزاني كذلك

مشى طلال إلى أبي حبيب ـ فهو من سكان حي النجمة المجاور لـ أبو خروفحتى بعض الناس يعتقد أنه نزع من أبو خروف .. واستطاع أن يجلس معه جلسة خاصة وصارحه بمبتغاه ، وأنه هو الذي اختاره ، ولا معرفة للشاب بابنته ..فقال أبو حبيب : أنا أعرفه عن طريق جمعية الفقراء ربما هو لا يذكرني ؛ لأنني لما أتعامل معه مباشرة .. وأنا فعلا أكبر فيه نجاحه وإرادته وصلاحه عندما كان شابا صغيرا .. وكان يضرب به المثل بيننا في النجاح والنجاة من براثن السرقة واستطاع الابتعاد عن التأثر بأبيه وجده .. فهم معروفون بالفساد وسوء الأخلاق .. أما الزواج من هذه الأسرة فلم يكن يخطر في بالي يا أبا محمد .. ولقد زوجت ابنتين بأيسر الأمور وعلى هدي الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة .. وحسن الاختيار مطلوب في الاتجاهين .. فكما حث

الرسول على الظفر بذات الدين حث على الظفر بالرجل ذي الدين والأخلاق .. وأنا لا أنكر صلاح قيس ـ ولا نزكي على الله أحدا ـ حتى أن أمه امرأة مسكينة في وسط تلك العائلة .. لكن رحمة الله أدركتها بهذا الشاب قيس .. اسمح لي أبا محمد بالتفكير والتأمل في هذه المصاهرة .. أنا أعرف نبل مشاعرك نحونا

– أنا أقدر أن هذا زواج ومصاهرة ، وليس لعب عيال ولهو .. أحببت هذا الشاب ودخل قلبي وهو من رواد المسجد ومهندس وبحبوح ومرح ..ولا تحس أنه مهندس بناء .. ويمتلك صفات جيدة .. وتعلقت به سريعا

قال أبو حبيب : هل تعلم أنه منذ اشتغل بعد تخرجه وهو يقدم نصيبا من راتبه للجمعية حتى قبل أن يرحل إلى حي أبو خروف ويعتبر نفسه مدينا للجمعية ، مع أن الجمعية لا تتعامل مع الناس بهذا المنطق ؛ لأنها جمعية خيرية تقدم ولا تطالب من أنفقت عليه إعادة المبلغ .. فالشاب نفسه طيبة وكريم ، ولا يحاول تجاهل فقره .. صدق سأفكر جيدا في الموضوع وسأحسم الأمر عاجلا .. فأنا لست متعصبا للزواج من أبناء العائلة كما تعلم .. لقد زوجت بناتي من خارج الأسرة الكبيرة .

قال طلال مشجعا لأبي حبيب : وأنا من أجل ذلك تشجعت وتحدثت معك .. وأنت عرفتك تحب الشفقة والعطف على الشباب والضعفاء .. والرجل راغب بالزواج من بنت عائلات محترمة تحب الخير .. لا يريد نكاح من بنات أقارب أبيه أو جده وأصحابهم .. وطلب من جده عدم التدخل في زواجه .. وسيفرج عن أبيه قريبا بعد حبس عشرين سنة في قضية شروع في القتل أو محاولة قتل وسطو .. فالشاب يريد أن يكون بعيدا عن أبيه قدر الإمكان ..والبقاء قربهم من أجل أمه التي شقيت بسببهم الزوج والابن والأب

– أعرف الكثير عن قصة تلك العائلة .. فلذلك أقدر شجاعة وإرادة هذا الشاب .. فقد سمعت بها من زملاء لنا في فرع الجمعية في حيهم السابق.. وهذا ما يزعج .. العرق دساس .. لكن واجبنا أن نقف مع الشرفاء ، وأن نعينهم على الزواج كما أنها أي الجمعية كانت تساعدهم بالمال

ونجحوا وصاروا .. فقيس من مفاخر الجمعية يا طلال .. فيضرب به المثل في حفلاتنا وخطبنا فهو نموذج حي لنجاح شاب في بيئة ضالة ومنحرفة ..كيف استطاع أن يكون إنسانا صالحا في وسط فاسد يشجع على الفساد ؟.. هذا أمر عظيم

– كلام مشجع هذا يا أبا حبيب فكر كما تشاء ..وأرجوك ألا تتأخر بالرد لأن الشاب راغب بالخطبة قبل خروج الوالد حتى لا يصطدمان .. فهو منذ شب وهو يعيش دون أب .. ويريد البقاء قريبا من أمه التي تعيش بين ثلاثة عصاة أب وزوج وابن

قال أبو حبيب برقة ورنة حزن : فعلا أمه مسكينة !وجاهدت ، وقد كانت تعمل خياطة للنساء في بيتها لتعيش مع مساعدة الجمعية لهم .. ولما تخرج تركت العمل الخاص ..والشاب بار بها خير البر .. قصته معروفة لأعضاء الجمعية يا طلال توكل على الله غداً سيكون الرد عندك أي ساعة تكون في البيت ؟

– قبل العصر وأنت تعرف رقم البيت والمدرسة .. أسأل الله أن يفتح عليك .. وإذا اخترت الرفض فساعدني في البحث عن فتاة تليق بصديقي قيس

– ابشر أيها الصديق هل تزوج والدك ؟ سمعت أنه يريد الزواج

– طلق أمي دون علمنا ، ثم أعادها بعد علمنا ..وقد يتزوج ؛ لأنه هدد إذا لم يتزوج عليها سيطلقها غيابا كما فعل

– كونوا معه خشية أن يتزوج خفية .. لقد طلب مني المساعدة .. وأنا أخشى التدخل بينكم

قضى أبو حبيب ساعات في مكتبه المنزلي ، يفكر بقيس وطلال وضحى ابنته ، فهو لم يتعرض لمثل هذا الأحراج أو الموقف في حياته كلها ، هو صحيح أنه رجل يحب العمل الخيري ، وينشط في جمع التبرعات لجمعية البر ، وينشط في اللجان الشعبية في الأحياء ؛ لمساعدة العائلات المستورة ، ويساعد في حل قضايا اجتماعية ، ومنع طلاقات بين أزواج ، وحل منازعات ومشاجرات بين أسر في عدة أحياء بصفته أستاذ في مدرسة ثانوية كائنة في حي النجمة جنوب أبو خروف ، وعضو جمعية البر لرعاية الفقراء والأيتام ، ويلم تبرعات من المحلات والمتاجر في

عدد من أحياء المدينة ، وعمل في النادي الاجتماعي لمخيم عودة الأمل القريب من أبو خروف ، ولهم نشاط لمعاونة فقراء المخيم ، وتسلم فترة النشاط الثقافي في النادي المذكور .. والتقى بأعداد من المنحرفين سواء شاربي الخمر أم الزناة والحرامية ، وسعى لمعالجتهم ، ومعاونتهم على التوبة أما أن يزوج فلذة كبده لابن حرامي وحفيد حرامي وشقيق حرامي فهذه أول قضية تعصف به وقال لنفسه : لو تكلم معي طلال قبل مفاتحة قيس لربما هان الخطب .. وطلبت منه أن ينسى الأمر .. فهو له جولات في دعوة المنحرفين للتوبة والعودة لحظيرة الدين .. وقيس شاب سوي متعلم .. وذلك منذ نعومة أظفاره .. وهو ابن المساجد ..وهو من النماذج الحية الجميلة ممن أعانتهم الجمعية وفلحوا

دخلت روحية أم حبيب بالقهوة عليه ، وقالت بعد التحية وسكب القهوة: طال مكثك هنا .. ومنذ دخلت البيت ..وأنت مشغول الفكر هل من شيء يزعج حضرتك ؟

نظر في عينها للحظات وقال بعمق : أمر بامتحان يا أم حبيب

– امتحان ؟!!

– نعم ؛ ربما أصعب امتحان في حياتي رغم بساطته ؛ ولكنه جعلني في حيرة . وقص عليها حكاية طلال وقيس ثم ختم الكلام : لماذا اختارنا طلال نحن بالذات؟! وهو يزعم أن قيسا لا يعرف الفتاة البتة ، وإنما كان اختياره هو لنا .. والشاب لا كلام عليه حسب معلوماتي .. أما والده فمجرم عتيد يقضي عقوبة طويلة في السجن أوشكت على النهاية .. وشقيقه قد يخرج في صيف هذا العام .. ووالد أمه لص قتله السقم .. ولكن الأم أم صابرة .. وكافحت من أجلهم ومن أجل نجاة قيس

– أنا تحدثت معي أم محمد على الهاتف بحكاية هذا الشاب .. ومثلك استغربت اختيارهم لنا أو لابنتنا دون سائر البنات

– ما سبب اختيار ضحى ؟!

– لم تفصح عن شيء واضح سوى أن طلالا تحدث عن الشاب لها

- هل تكلمت معهم ضحى بشيء؟

- لا أعتقد ذلك فأم محمد متزوجة ، ولها أولاد .. وضحى صغيرة عن أم محمد .. علاقة أقارب بيننا، وعلاقة عابرة ، ونلتقي بها في المناسبات

- وهذا الذي يحيرني لماذا يهتم طلال بزواج ابنتنا .. أنا أحيانا عندما أصلي في مسجد أبو خروف أسلم عليه وأصافحه .. ووالده صديقي أكثر منه ، وطلب مني أنا أن أساعده في الزواج مرة أخرى .. أرملة مطلقة المهم أن يتزوج

وبعد صمت بينهما قال : هل تقبل البنت بشاب مثله ؟

- أم محمد فاتحت ضحى بالموضوع ، وذكرت لها حكاية أهله وضلالهم ، وضحى تركت الأمر لنا

- هذا الزواج عجيب وغريب أللبنت رأي فيه؟ بعد أن علمت من هم أهله

- لقد كانت أم محمد صريحة معها كما فهمت من ضحى

- الأولاد هل يعترضون ؟

- لم أتحدث معهم ؛ لأن المرأة قالت : إن طلالا سيتحدث إليك ، ومن كلامك يبدو أنه تحادث معك

- عرض الأمر ، ومنذ عدت للبيت وأنا مشغول في هذه القضية .. أنا في حيرة .. الشاب جيد ، بل ممتاز ..لا غبار عليه ويتاجر به ؛ لكن أسرته ما عدا أمه كلهم أشرار

- أليس سيعيش بعيدا عنهم ؟

- أكيد فهمت من طلال أنه لم ير أباه منذ زمن بسب سجنه بسبب احترافه السرقة واللصوصية يتواصل معه بالتلفون ..ولا يريد أن يصطدم به بعد خروجه ، ولولا وجود أمه ورعايتها لأبيها لهجرهم .. فيريد أن ينكح فتاة صالحة ويعيش معها في بيت مستقل .. فهو لا يستطيع التخلي عن مسؤولياته اتجاههم .. فجده مريض ، ويأمل أن يعقل والده بعد خروجه من محبسه

قالت بعد صمت أبي حبيب : معك حق الموقف يجلب الحيرة !

– إذن دعيني أفكر وأوازن يا أم حبيب .. وعودي إليّ بعد ساعة .. سأقوم للصلاة ؛ لعل الله يلهمني الصواب وحسن الاختيار .. قلبي متعاطف مع الشاب وراغب أن أتاجر فيه .. والرجل يسعى للزواج من فتاة صالحة آملا بذرية طيبة صالحة .. فعلينا أن نكون معه .. وقد وضعنا في هذا الابتلاء .. دعيني أصلي يا أم حبيب

لما قضى أبو حبيب ركعات من قيام الليل جاءته أم حبيب وجلست قبالته وقالت : عساك وصلت لحل مقبول ؟

– عليك بجمع العائلة ليلة الغد بعد صلاة العشاء .. سنطرح الموضوع على الأولاد ونتشاور .. والآن أبعثي لي ضحى لأتناقش وإياها .. من حيث المبدأ لا مانع من زواجها من المهندس قيس صقر

أقبلت ضحى التي ما زالت ساهرة قلقة ، وهي تعلم أن والدها مشغول بخطبتها وزواجها ، وتحدث معها مباشرة بدون لف ودوران ، ولما صمت قالت : أي فتاة تحب أن تكون زوجة .. وأنا من حيث مواصفات الشاب فهو صاحب دين وخلق .. وقد تركت الأمر النهائي لك ولأمي .. ما تريانه مناسبا سأقبل به .. فسمعة العائلة وشرف العائلة هذا يعود لكم

شكرها والدها ـ وابنته متعلمة ومتخرجة من الجامعة من بضعة شهور ـ وتحدث عن الحياة والظروف والبيئات ، وأن الإنسان يسر بعائلة سمعتها طيبة وشريفة .. ولابد من إعطاء الشباب الذي يعيش في مجتمع فاسد منحرف فرصة ؛ ليعود للمجتمع الصالح وتصحيح المسار وتابع الكلام : وأنا عرفت قيسا من دون اختلاط به لعلاقتي القوية بالجمعية الخيرية وتردد اسمه بين الحين والآخر بين أفراد وأعضاء الجمعية .. فأنا لا مانع لدي على شخصه وهو قوي الشخصية وشجاع .. وهو حسن الأخلاق .. وزكاه طلال خير تزكية .. وهو من أهل الدين ، وكما قال الحسن البصري للذي طلب منه أن يصف له لمن ينكح ابنته ، فأمره أن يزوجها لأهل الدين ؛ لأنه لا يظلمها إذا أبغضها .. والرجل يسعى لحياة فضلى ومجتمع صالح .. فغدا سأجتمع بأخوتك بعد صلاة العشاء ..ونرى وجهات نظرهم واعتراضاتهم ..فأنت موافقة من حيث

المبدأ

– أنا تحدثت معي كما قلت لأمي أم محمد زوجة طلال .. وشرحت لي الموقف .. وقلت لها القرار الفصل عند أبي ..وأنا شخصيا لا أعرف الرجل ، لم نتقابل ولو صدفة ..ولا حتى أم محمد رأته رغم صداقته لطلال .. إنما هم رفاق مسجد .. فالشاب يسكن في أبو خروف من شهر واحد .. وإنما طلال حسب كلام أم محمد راغب بتزويجه وإخراجه من اليأس من الزواج من بنت عائلات .. ومن كلامهم ما فيه ما يعيب خلقا ودينا

وشرح لها الرجل ما يعرفه عن قيس وأمه الصابرة مع زوج مجرم وابن سارق وأب لها مريض وحرامي .. وقال : فلما يخرج من هكذا عائلة إنسان صالح فهو يستحق الدعم والوقوف معه

اتصل أبو حبيب أثناء استراحة الطلاب المدرسية بمدرسة طلال ، وطلب منه اللقاء عصرا في مسجد أبو خروف ، ولما التقيا وتصافحا واطمأنا على صحة بعضهم ، قال : أخ طلال أنا أشكر لك اختيار ابنتي لصاحبك قيس لكن لما فتحت الموضوع لم أعرف سبب اختيارك لابنتي

– لقد ذكرت لك أنها خطرت في بالي عندما تذاكرت أنا وقيسا موضوع زواجه وسعيه للاقتران بفتاة محترمة وابنة عائلة كريمة فاضلة .. وكان معنا الأخ فريد كمال ابن أخت أم ريان ومن خلال الحديث تذكرت ابنتك .. لقد حدثتني أنت عن تخرجها من كلية الشريعة يوما وقلت أمامي حان الآن وقت زواجها فلما تحدثنا بذلك .. ذكرت كلامك اتفاقا يا أبا حبيب .. ولما سألت قريبتك أم محمد هل تزوجت ابنة أبي حبيب قالت لم أسمع فاتصلت أم محمد بالبنت ، ودعتها لزيارتها بحكم القرابة بينكم ، وتحدثت لها عن قيس وأنه يبحث عن فتاة متعلمة ومتدينة ، فقالت البنت يومها : لما يحدث شيء جدي أفكر .. فتحدثت مع قيس ، ثم تشجع الشاب لمسعاي أنا وأم محمد في تحقيق مراده ، وعادت أم محمد لمكاشفة كريمتك بجدية الشاب بالزواج ثم عرضت الأمر عليك ، ولا أنسى أنني أيضاً التقيت بأحد أبنائك بعزاء قريب ، وسألته هل تزوجت ضحى ؟ فقال : لا ، تنتظر قدرها ونصيبها ..لا سبب خاص يا أبا حبيب لاختيار ابنتك .. والشاب لم ير الفتاة .. وهي لم تره

تنهد أبو حبيب وقال بفرح بين : الآن ارتحت.. على كل حال أنا والبنت من حيث المبدأ موافقون والليلة سأجتمع بالأولاد لمناقشة الطلب .. وأذكر لهم من هو قيس ؟ ومن هي أسرته ؟ حتى لا يلوموني على هذه المغامرة ..فالبنت كسائر الفتيات ترغب بالزواج .. فهذا زواج ومصاهرة .. والناس تفتخر بالمصاهرات والنسب.. وأنا قلت لك كشخصي لا مانع لديّ .. وفي زواج كهذا أيها الصديق لابد من مشاركة الجميع وسماع أي اعتراض حتى لا يقال لي غداً رميت ابنتك في أسرة عصابة وحرامية .. ماذا يعني مهندسا وأهله كذا ؟! ماذا يعني متدينا وأنت تعرف عشرات من المتدينين في العائلة ؟ سيكون مثل هذا الهمس في العائلة والأقارب ، وسيكون لومهم قاسيا.. وإذا ـ لا سمح الله ـ فشل هذا الزواج ستتعرض للوم والكلام الجارح .. ففي المشاركة والمشاورة رفع للحرج والعتب الجارح

أثنى طلال على أبي حبيب فقال : بارك الله فيك ، وتصرفك تصرف حكيم وصاحب خبرة وتجربة .. وقد سمعنا مثل هذا الكلام الشامت في بعض الزيجات .. غداً ـ إن شاء الله ـ تنقل لي نتيجة الاجتماع .. فالشاب كلما طال الانتظار زاد قلقه .. فقد سعى لمحاولتين قبل هذه المحاولة وفشل فيهما بسبب سيرة عائلته .. ويبدو أن الإنسان عليه أن يتحمل تبعات وجرائم الأسرة ، ربما كل العائلة الكبيرة .. خاصة المجتمعات العربية والإسلامية ينظر الناس أن الجميع له دخل في الجريمة

– لأننا ما زلنا نتمسك بنظام العائلة والأسرة .. والفرد ابن الأسرة ، ليس ابن الدولة فقط فتجد الفرد منا يبتعد عن عيوب وتقاليد من أجل العشيرة والعائلة حتى لا يحرجها ويوصم بسمة دون العائلة ، فحتى بعض الأعمال يهجرها أفراد بسبب نظرة العائلة لها باحتقار واستخفاف.. فعندنا العمل في ملهى أو خمارة عمل سيء قبيح مرفوض .. وكذلك البغاء معرة لكل الأسرة مع أنه في نظر بعض الدول أمر مشروع وجائز في القانون الوضعي

الخطبة الشرعية

عقد أبو حبيب اجتماعا عائليا ، وطرح فيه موضوع زواج ضحى أمامهم ، وسمع وجهات نظرهم ، ودافع الرجل عن مبادئه ، وأن على الإنسان أن يضحي في بعض الأحيان من أجل المبادئ المعتنقة ، وفعلا استطاع إقناع الأولاد بعد شرحه المفصل لقصة كفاح قيس ، وتصميمه على طلب العلم حتى تخرج من كلية الهندسة حاملا شهادة ، قد تجعله في موقع قيادي في المستقبل وكلمهم عن صبر أمه وعملها كخياطة لتصل به القمة ، وصبرها على المنحرفين وعدم انحرافها وضياعها في تلك البيئة .. وفي نهاية الجلسة اقتنع الأولاد أو أقنعوا أنفسهم بزواج أختهم من ابن رجل شرع في القتل ، ويقضي عقوبة طويلة بسبب ذلك ، وأسرة فاسدة ، وأعجبوا بقيس وجهاده وكفاحه في مثل تلك العائلة ونجاحه بعدم الانحراف والسقوط كشقيقه السجين أيضاً .. وبعد الاجتماع اتصل بطلال وأعلمه موافقة العائلة ، وعلى الفور اتصل طلال بصديقه قيس الذي كان علم بهذا الاجتماع منتظرا نتيجته ، ثم التقيا في شقة أم ذيب فرحبت الأم بطلال ، وبكت لما سمعت طلال يبارك لقيس الموافقة ، وبعد شرب الشاي أعلمها أنه سيمر عليها تصحبه أم محمد لتذهبا للتعرف على الفتاة وأمها وأخواتها ، ومن ثم يرتبون للقاء قيس بتلك الأسرة ؛ ليتم نظر العروسين لبعضهما البعض ؛ ليكون القبول النهائي ، مع أن كل الإمارات تدل على رضا الطرفين ؛ ولكن النظرة قد تغير الأمر فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للمغيرة بن شعبة فَقَالَ : اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا قال قيس معبرا عن سعادته : من ناحيتي أنا، أنا أقبل بها ما دامت ابنة أسرة طيبة ومتعلمة ، وما دامت اختيار رجل اجتماعي مثل طلال .. فهذه غاية السعادة .. وألم يقل محمد صلى الله عليه وسلم : اظفر بذات الدين تربت يداك ؟

تعرفت عجيبة على الفتاة وأمها واستراحت لهما قلبيا ، وهم أيضا طابت أنفسهم لهذه المرأة الصابرة على الابتلاء العجيب زوج وابن وأب ، كلهم لصوص ، ولم يجر بينهم ذكر الأب والزوج والابن السجين خشية الأحراج .. وفي مساء نفس اليوم عادت عجيبة بصحبة ابنها

قيس وطلال ، وجرى التعارف والمجاملات الطيبة ، ودخلت الفتاة الشابة بالقهوة كعادة الناس وتعرفت على رجل الغد ، وتحدثا ببعض العبارات الترحيبية .. وأين درس ؟ وأين درست ؟
وقال قيس : الحمد الذي تتم بنعمته الصالحات أنا يا سيدي يا أبا حبيب كما أخبرت الأخ طلالا أنا موافق ، وأقبل ابنتكم زوجة لي ، وأشرف بكم ، ويسعدني أن أعتبر هذا اليوم من أيام سعادتي والحمد لله الذي جعلنا أن نتعرف على بعض .. وجعلنا ننتقل إلى حي أبو خروف من أجل أن يتحقق هذا الزواج ـ إن شاء الله تعالى ـ وأنا ممنون لكم جداً .. وأترك الكلمة الفصل للآنسة ضحى بعدما تشرفنا برؤية بعضنا .. وأرجو أن أكون قد ظفرت بذات الدين حسب وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

غادرت النساء الغرفة ، وبقي الرجال يتحدثون في أمور شتى ، وفي نهاية الجلسة تمنى أبو حبيب لقيس الثبات والفلاح في دنياه وآخرته ، ووعده أنه يكون رده قريبا ، فشكره طلال وقيس ، وغادروا البيت تغمرهم السعادة والفرح القاصر

كانت الخطبة عصر يوم الجمعة في ساحة بيت أبي حبيب ، ودعا قيس لخطبته بعض أقارب جده شوكة ، وبعض أقارب والده ، من يسكن القرية ، ومن يسكن المدينة ، واجتمعت الأسر في بيت أبي حبيب ، وحضر الحفل بعض زملاء قيس في الشركة ، وكتب العقد الشرعي كما هو العرف هذه الأيام على يد ما يسمونه المأذون ، وقدمت الحلوى والشراب للضيوف والمحتفلين ، ثم أخذ الناس يتفرقون ويعودون لبيوتهم ، وودع قيس ضيوفه وأقاربه الوداع اللائق بهم ، واتفق مع أسرة أبي حبيب أن يكون الزواج الشرعي بعد خروج الوالد من سجنه في شهر نيسان .. وسيبدأ قيس بالبحث عن شقة في حي أبو خروف ، ويشرع في تأثيثها ليكون الزواج بعد خروج والده بأيام .. وسيقابل حازم محمود مالك العمارة لاستئجار شقة فارغة في نفس العمارة حيث علم بوجود شقة فارغة فيها .. وودعهم شاكرا لهم ، فدعوا له بالتيسير والسداد ، ثم أخذه طلال وأمه بسيارته لبيته ، وجلسوا بعض الوقت في شقة أم ذيب ، وبارك طلال وأم محمد للجد شوكة زواج حفيده ، فشكر العجوز لهم جهدهم ، ثم انصرفوا وهم يشعرون بسعادة غامرة

لما تحقق على أيديهم من الخير ، خاصة طلال ، ويرجون الله أن يكون زواجا مباركا

في الليلة التالية للخطبة وصل قيس للشقة ، ولما فتحت له والدته الباب قالت : عمك منصور مع جدك سلم عليه ، فقد جاء قبل دقائق ليبارك لك ولنا

دخلت أمه المطبخ لصنع القهوة أو الشاي للزائر ، ومشى قيس لحجرة الجد حيث نهض منصور معانقا له ومهنئا بالخطبة ـ فالرجل قضى مع أبيه تسع سنوات سجن ـ فدعا له بالتوفيق وبعدما عاد للجلوس وحيا قيس جده ، وجلس مرحباً بالرجل ، قال منصور : كنت أمس عند الوالد وكان عاتبا على عدم صبرك لهذه الشهور ليشارككم الفرحة

- لم أتزوج بعد يا عم منصور .. هي خطبة .. والزواج بعد خروج أبي بأسبوع ـ إن شاء ربي ـ وقد اتصلت به قبل الخطبة ، وبارك لي .. وظروف الزواج كانت دقيقة

- على كل حال ألف مبارك .. والزواج بعد خروج الوالد جيد .. فهذا

سيسر أباك ؛ لأنه كما أخبرني سيكون الإفراج في نصف نيسان القادم .. السجن عذاب رغم أنه أكل وشرب ونوم

قال قيس غامزا : ألستم أنتم الجناة على أنفسكم ؟! .. فباب التوبة يملأ الأفق .. وهو ما بين المشرق والمغرب .. لا يغلق إلا في آخر الزمان

- يا ولدي من تعود على شيء حتى ولو كان سيئا يصعب عليه البعد عنه .. غلبتنا العادة .. كيف سأعمل أجيرا بعد كل هذه السنوات ، وبعد هذه السن

- اعمل سائقا على خط تكسي أو سائق تكسي أجرة متجول في أنحاء المدينة

- ألا يتحكم صاحب السيارة بك ؟

- سيارتك أنت تملك سيارة

- ومن أين آتي بثمنها ؟

- اقترض

- ومن يسلفني ثمن سيارة ؟!

- اعمل بالأجرة ، واجمع ثمن سيارة ..واشتغل عليها حر نفسك .. اسمع يا أبا خالد .. الحلال دربه كثير وواسع .. أهل الشر قلة بالنسبة للأخيار .. الضعف البشري موجود لدى كل البشر وكل ابن آدم خطأ وخير الخطائين التوابون

أحضرت أم ذيب الشاي والفاكهة والمكسرات ووضعتها على منضدة في حجرة الجد ، وجلست تسكب الشاي للجميع ، وتدعو الجميع لشربه وأكل الفاكهة والمكسرات ، وبارك لها منصور خطبة قيس ، وقال : ما دام العرس بعد خروج الوالد فهذا سيسعد أبا ذيب عن حفلة الخطبة قالت : كانت حفلة صغيرة في منزل أبي حبيب .. إنهم أناس محترمون جزاهم الله خيرا .. لقد أفرحونا بقبولهم لقيس لابنتهم ، والتفتت لقيس كأنها تذكرت شيئا فقالت : ماذا فعلت مع السيد حازم ؟ هل استأجرت الشقة ؟ في الطابق الأول شقة فارغة لو سكنها قيس سنبقى متجاورين

ابتسم قيس وقال : للأسف يا أمي الحجرة أو الشقة استأجرها رجل مقعد .. وسينزل فيها مطلع الشهر القادم أول نيسان ؛ ولكن عند أبي حازم عمارة أخرى في الجزء الشرقي من الحي فيها شقة ستفرغ خلال أيام .. ولما تجهز سيتصل بي لإجراء الصيانة وتجديد الدهان

- المهم أنها في أبو خروف .. سهل الله الأمر

فرغت شقة لحازم محمود في عمارته الثانية شارع القمر ،واتصل بقيس الذي ذهب إليها وتفقدها وشرع في صيانتها بمساعدة طلال وفريد ، فأعيدت صيانة المراحيض والمطبخ والأبواب والكهرباء والمغاسل ، وقام فريد بدهانها كهدية لقيس ، ووفر له قيس مواد الصيانة والطلاء ، وقام قيس بتقديم هدية دراجة لابنه الصغير ، وتدخل طلال فقبلها فريد ، وجاءت العروس وأمها وبعض أخواتها وشاهدن الشقة ، وأخذ الشاب بشراء الأثاث اللازم

الخروج من السجن

ذهب منصور والسائق صبحي وعجيبة إلى السجن لإحضار صقر المفرج عنه هذا النهار من نيسان .. فقد قضى سنوات في السجن بسبب عدة سرقات وبسبب إطلاق النار من مسدس على أحد حراس الشركة التي أراد سرقة خزنتها ، وقد أصيب الحارس بعيار ناري أدى إلى إصابته بشلل دائم .. وقبل الظهر بوقت يسير تم الإفراج عنه .. وكان يصحبه منصور عندما خرج من بوابة السجن ، وعانق زوجته ، وعانق صبحيا سائق عجيبة من سنوات ..وركب منصور بجوار السائق ، وصقر بجوار عجيبة وقال : سنذهب إلى سجن ذيب ..إني بشوق له يا صبحي .. لي سنة ونصف لم أره .

توجه صبحي إلى البلدة التي يقع فيها سجن ذيب ، فهو يعرف المكان خير المعرفة ، وأثناء الطريق نزلوا واشتروا طعاما للذيب بعد أن تناولوا غداءهم ، واشترى له علبا من الدخان والعصير ، ثم ساروا إلى ذلك السجن ، فوصلوا إليه بعد ساعتين ، وافق ضابط السجن على زيارتهم ، وسمح لهم بمقابلة ذيب الذي جاء بدوره ، وعانق والده وأمه ومنصورا وحتى السائق صبحيا ، وبارك لأبيه الإفراج ، مما دفع أمه للقول: عقبال عندك يا ذيب

وبعد الكلام والأخبار قال : قيس سيتزوج .. وجدتم عروسا أخيرا

قالت : عقبال عندك يا ذيب

- أنا لا أحب النساء ولا الزواج

ضحك منصور فالتفت إليه الشاب وسأل : مالك تضحك ؟!

قال منصور ضاحكا: على عدم حبك النساء ؛ كأنك نسيت ليلة القبض عليك في دار دعارة !

- كانت آخر مرة ، وبعدها تخلصت من شرورهن

- إن شاء الله يا سيدي

قال صقر : ستخرج قريبا في آخر الصيف تقول أمك . وناوله الطعام والعصير والدخان وانتهت الزيارة ، فحملهم صبحي لحي أبو خروف ، ولما نزلوا من السيارة ، ونزّل

صقر أغراضه التي أخذها من السجن ، ووقفوا أمام مدخل العمارة ، ومنصور يودعهم بعد انصراف صبحي قائلا : سأمر عليك غداً أو بعد غد عندما تستريح من تعب السجن

– أنا في انتظارك

تقدمت عجيبة نحو مدخل العمارة ، وكان يسد الباب رجل مقعد على عربة المرضى ، عرفت أنه المستأجر الجديد ، فأفسح لها سائق العربة الطريق لتدخل ، وقبل أن يدخل صقر خلف امرأته كان المقعد يطلق عليه الرصاص من مسدس أشهره أو كان معدا له لهذه اللحظة ، وهو يقول مبتهجا : آهذا صقر ؟ آهذا صقر ؟!

رد عليه سائقه : نعم يا أبي ، نعم يا أبي

صاح صقر وهو يسقط أرضا ، وصاحت عجيبة ، وقال الرجل : أنا حارس الشركة يا صقر الذي انتظرك كل هذه السنوات .. أنت محبوس في سجنك الكبير .. وأنا محبوس على هذا الكرسي مشلول .. مت قرير العين . ورماه بما تبقى من رصاص في مسدسه

التم الناس كالعادة على صوت الرصاص ، وعلى صراخ المرأة ، وعويل صقر ، وحضرت سيارة الصحة والشرطة ، ونقل المصاب للمستشفى ، والقاتل لقسم الأمن أو نقطة الشرطة

وفي أول الليل جاء نبأ موت صقر في المستشفى ، وكانت عجيبة تبكي زوجها بعد عودتها للبيت وأبوها يقول : مات الفارس يا عجيبة ! مات قبل أن يفرح بخروجه من السجن.. قبل أن يفرح بزواج ابنه .. وهذا العدو الذي لم يحسب له أحد حسابا

جاء قيس أيضاً وقال : إنا لله وإنا اليهم راجعون .. اللهم أجرنا في مصيبتنا وأخلف لنا خيرا منها .. عليك بالصبر يا أمي .. علينا بالصبر .. فالقاتل بين يدي الشرطة

شيع أهالي أبو خروف جثمان صقر والد قيس الشاب الطيب الذي أحبوه في مدة قصيرة ، والذي جاورهم منذ عهد قريب ، وشاركوه العزاء بأبيه ، وبعد أيام ثلاثة انتهى العزاء .. وكان قيس يقول : قابلت قاتل أبي ، فقال : أنا فعلت ذلك بعد ثماني عشرة سنة قضيتها محبوسا في جلدي وعجلتي .. وسأقضي حياتي كلها في السجن إن لم أعدم ؛ لكني ارتحت بأخذ ثأري ، وأنا مستعد

لحكم الإعدام .. لقد دمر والدك حياتي .. فصمت لم أرد عليه وماذا أقول ؟ ! علينا بالصبر لقدر الله وقضائه يا أمي .. وأنا سأسامح بحقي ودم أبي ؛ لعل الرجل يتوب ولا يحكم عليه بالإعدام

فهاج شوكة سخطا وقال : عار أن تفعل ذلك .. يقتل أبوك وتعفو عنه .. هذا جبن وضعف .. لن نقبل بذلك

– وماذا نستفيد من إعدامه ؟ .. فله سنوات يعيش في سجنه أليس الشلل حبسا ؟.. وليقضي ما تبقى من عمره محبوسا في جلده يا جدي

ولما ذهب الأسبوع على وفاة صقر أخبر قيس أمه برغبته بإتمام الزواج ، وأن الحزن والحداد لا يعيدان الميت ، وأن كلام الناس لا يهمه ، وحاولت الأم والجد منعه من فعل الزواج ، فقال : لماذا نؤخر الزواج لبعد الأربعين ؟ أو السنة ؟ أهذا من الدين ؟ أرجو أن يقبل أبو حبيب بكلامي فقط .. شاورت طلالا وفريدا بذلك . فقال طلال : هذا عين الصواب .. لا حداد في الإسلام .. المرأة تحد على الأخ والابن والأب والقريب ثلاثة أيام فقط .. والزوج أربعة أشهر وعشرا

قالت : كيف ستتزوج وأنا أرملة ؟

ابتسم قيس وقال : يا أمي أنت أرملة منذ ولدتني

قال شوكة: أنت يا قيس لا تحب أباك

– وما دخل الحب لأبي في الزواج يا جد شوكة .. أبي ـ رحمه الله ـ نسأل الله تعالى أن يغفر له ذنبه .. على كل حال الفصل عند العم أبي حبيب يا أمي .. لن يكون هنالك حفل غناء ورقص سيكون زفافا شرعيا ؛ وربما ينشد بعض المنشدين أو المنشدات أناشيد دينية عند العروس كما قال طلال .. سيكون حفلا بسيطا إذا قبل أبو حبيب

قالت بتجهم : أنت أدرى بحالك يا ولدي

مشى قيس لوالد خطيبته وحدثه بأفكاره ، فقال الرجل : ألا تخشى كلام الناس؟!

– وماذا يفيد كلام الناس يا عم ؟! هل الحداد الشهور والأيام من الإسلام ؟

– أمك ؟

– أمي كما تعلم مسكينة ، الذي يحز في نفسها أنها لن تفرح الفرح الكامل .. وهل بعد الأربعين ستفرح .. قالت : أنت أدرى بحالك

– وهذه شجاعة أخرى فيك يا قيس

– هل نحن نعمل أمرا حراما ؟ .. لقد حضرت مرة دفنا وزواجا في نفس الوقت.. جدة العريس ماتت ، ودفنت يوم عرس العريس .. فكان طعام العرس طعام الميتة

– أنا فخور بك يا قيس يا ولدي .. رحم الله والدك ، وغفر الله له

ـ الأمر لك يا عمي

ـ اللهم الهمنا الصواب .

تمت الحكاية الخامسة

كانت الصحراء مسقط رأسهم ثم تبين لهم أن أسرتهم من المدينة

وأن أباهم تزوج أمهم خفية عن والديه

فكيف سيعودون للعائلة ويعترف بهم الجد أحفادا

بعد الغموض الذي اكتنف وجودهم كل تلك السنوات

في جوف الصحراء ؟

لكن هذا ما حدث لهم . . هذا ما سنعرفه في هذه الحكاية

الجديدة من حكايات أبو خروف

١٩٧٥

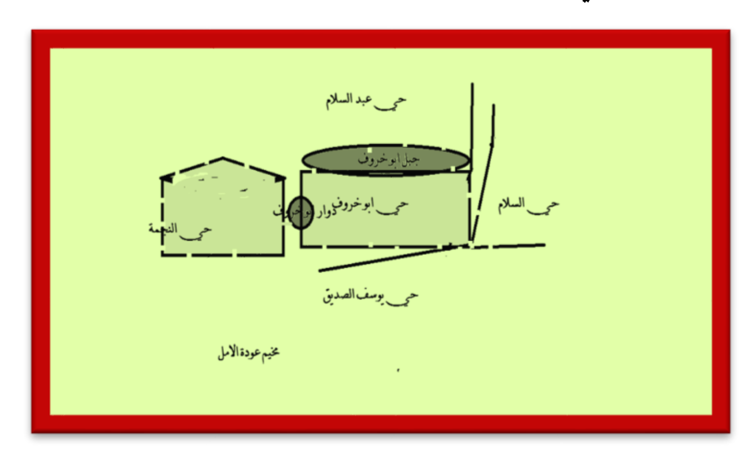
زواج في الصحراء

أول الحكاية

منذ زمن بعيد وأنا أعيش في أبو خروف

بهذه العبارة بدأنا الحاج محمود حسن من أهالي أبو خروف يقص علينا حكاية أبو خروف فقال : منذ وجد وله نفس المكان ونفس المساحة تطور تحدث كسائر المدن والأحياء والأرياف ، هذه الشوارع تزفتت لما دخلت السيارات المدينة .. البيوت المطلة على الشارع تحدثت وجددت كلها مع الوقت ، وارتفعت البنايات إلى عنان السماء ..ودخلت المجاري الصرف الصحي للحي واختفت الحفر الامتصاصية القديمة في أبو خروف ؛ لكن البناء تغير وصعد للأعلى وزفتت الشوارع التي تفصل بين العمارات ، وأصبح من أحياء العاصمة بيت السلام ، وما زال محافظا على الطابع الشعبي القديم ، ودخل هذا الجبل الذي خلفنا في الحي ، وهو أحدث شيء في أبو خروف ، وبدأ يصله العمران وهو يفصل بين أبو خروف وحي عبد السلام ، ونحن نقع بين حي السلام وحي النجمة بعد الدوار يقال إن حي النجمة قديما كان جزءا من أبو خروف؛ ولكن لما دخل نظام البلديات والتقسيم أصبح أبو خروف من الشمال الشارع القوسي الذي يفصلنا عن حي يوسف الصديق الذي يمتد للمخيم مخيم عودة الأمل ، وبعضهم يختصره ويقول مخيم الأمل ، وآخرون العودة ، وبعد الدوار يبدأ حي النجمة ، ثم الأحياء الأخرى حتى قلب المدينة نقول وسط البلد ، وهذا الشارع العام يقسم الحي جزئين رئيسين شرق وغرب ، فالقسم الغربي سبعة شوارع صغيرة والشرقي نحوه ، وباتت المحلات تملأ الشارع الرئيسي من الجهتين ، فالمدينة تكبر يوما بعد يوم ، دخلت المياه البيوت والشقق ، وكذلك الكهرباء والصرف الصحي وخدمة الهاتف والنظافة، أدركت في الخمسينات أن الناس هم يعتنون بنظافة الأحياء ويحرقونها بين الفترة والأخرى ، اليوم هناك سيارات تنقلها لاماكن خاصة تابعة لبلدية العاصمة ، بدأنا نقارن أنفسنا بدول العالم الكبرى ، بدأنا نستخدم الغاز المنزلي بدون خوف ونتخلى عن البريموس الكروسين [بابور الكاز أو الجاز] ، ومصباح الزجاج أو الزيت ودخلت التليفزيونات بيوتنا بعد الراديو الكبير الذي كان مثل التلفزيون منذ سنوات قليلة ، عرفنا

الثلاجة والسخان الكهربائي ..

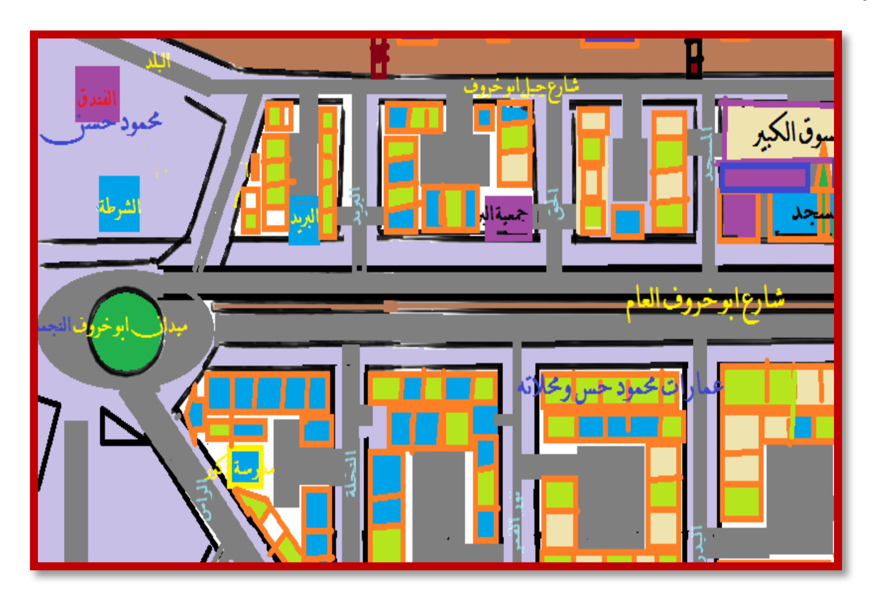


أنا هاجرت إلى هذا الحي قديما ولدت في يافا مدينة على الساحل الفلسطيني ، كان والدي جنديا عثمانيا ولدت قبل الحرب الكونية الأولى لما اندحرت تركيا في الحرب تركنا يافا مع الجيش العثماني ، وأثناء الحرب كما هو معروف انشق العرب عن الدولة العثمانية ؛ ولكن الإنجليز والفرنسيين غدروا بالعرب وتقاسموا بلاد الشام والعراق ، وتخلى والدي عن الجيش التركي بعد الهزيمة وسقوط الدولة العثمانية ، والتحق بالجيش الفيصلي بسوريا ، وبعد ميسلون {١} انتهى الجيش العربي ، وأسس جيشا عربيا في الأردن.

استقر أبي وأعمامي في سوريا الشام ، وجدي ظل في تركيا ، ولما نضجت عدت للعمل في يافا حيث كان لنا فيها أملاك تركها أبي وبيت ، وكانت لي عمة وزوجها ،وبعد بروز الجيش العربي

{١} معركة ميسلون ، هي معركة قامت بين قوات المتطوعين السوريين بقيادة وزير الحربية يوسف العظمة من جهة، والجيش الفرنسي، بقيادة هنري غورو من جهة أخرى في ٢٤ يوليو/ تموز ١٩٢٠ كان جيش المتطوعين الذي قوامه ٣٠٠٠ مقاتل بمواجهة الجيش كان يقوده غورو الذي كان عدده ٩٠٠٠ جندي ومزود بطائرات ودبابات ومدافع وإمدادات وقدر عدد شهداء قوات المتطوعين السوريين ب ٤٠٠ شهيد و ١٠٠٠ جريح أما عدد قتلى الجيش الفرنسي ٤٢ قتيل و ١٥٤ جريح وخاض معركة ميسلون ثلة من علماء دمشق .

الأردني لحقت به ، وكان الانتداب الانجليزي مستقرا على فلسطين والأردن والعراق ، وأثناء خدمتي العسكرية عرفت أبو خروف ولما بدأت تتضح المؤامرة الانجليزية الصهيونية على فلسطين وبلاد العرب اشتريت بيتا في أبو خروف وتزوجت فيه ، وفي مطلع الخمسينات تقاعدت من الجيش على أثر إصابة صعبة ، لكن ربك لطف وتعافيت منها وعملت بالتجارة والعمار ..



وبعد لحظات صمت تابع الحاج محمود حسن سيرة حياته :فأنا اليوم أملك بفضل الله عددا من العمارات ، بعضها في هذا الحي ، ومتجرا كبيرا يعمل فيه ابني الأوسط حسين ولنا فندق شعبي في أول أبو خروف من جهة ميدان أبو خروف .. جئنا للحي بما نملك من مال وثروة ورثت بعضها عن أبي الذي ورث الكثير عن جده الذي مات في أنطاكيا جنوب تركيا اليوم ، وانتشرت العائلة في عدد من البلدان بعد انقسام بلاد الترك إلى دول شتى كما ترون اليوم .. ابني الكبير حسن أرسلته لمصر يتعلم الطب ، وتخرج طبيبا وعمل في القدس ويافا قبل نكبة فلسطين ، وتزوج ابنة أخي محمد ، وكانت الأحداث تزداد سخونة في فلسطين مع قرب انتهاء الانتداب البريطاني بعد الحرب الكونية الثانية ؛ فكان يذهب لمعالجة المصابين في المظاهرات والاحتجاجات في يافا ، فكان يذهب مع فرق الإسعاف وأصيب ، وبعد أيام فارقت روحه

الجسد ودفن في بيت المقدس ، وجاءت زوجته الحامل لتعيش معنا في أبو خروف ، وبعد حين ولدت طفلة سميناها دلالا ، وكانت ابنة أخي الأكبر محمد صغيرة لما ترملت دون العشرين سنة فلابد لها أن تتزوج أو العودة لأبيها في حلب سوريا حيث يعيش أخي وعياله ، فكان أن فكرت بتزويجها لتحسين ابني الثالث ، فحسين الأصغر من ولدي المقتول في يافا كان متزوجا ويعمل مدرسا في مدارس فلسطين الحديثة جنوب فلسطين ، فوقع الاختيار على تحسين للزواج من أرملة أخيه وابنة عمه وأم ابنة أخيه الطفلة دلال ، وتحسين ترك المدرسة وتعلم مهنة تصليح السيارات خاصة الشاحنات الكبيرة التي تعمل في الغالب على الخطوط الدولية ، فهو ميكانيكي سيارات ، وكان يعمل في محطة تصليح على الخط الصحراوي الذي يربط الأردن وسوريا ولبنان بالعراق ودول الخليج العربي ، فكان يقضي الأسبوع هناك ويعود في نهاية الأسبوع ليلة الجمعة ويغادر ظهر السبت ، وأحيانا كل أسبوعين يأتي ليلة أو ليلتين وتعودنا على ذلك كالذي يخدم في العسكرية والجندية ، وقضى خمس سنوات ، وسبب عمله في الصحراء التقى برجل ـ وهو يبحث عن عمل ـ يعمل في تلك الصحراء في تصليح السيارات الكبيرة ، وارتاح للعمل معه ، ونحن لا نعرف عنه إلا أنه يعمل في ذلك المكان البعيد على ذلك الخط الدولي ، وكان يترك بعض المال للادخار عند والدته ، ولما تزوج حسين قبل وفاة شقيقه أصبح الدور القادم لتحسين ، ومات حسن ، وبعد ولادة زوجته أخذت أفكر في أمرها وأمر صغرها وابنتها ، فوقع في قلبي تزويج تحسين منها فشاورت زوجتي أم حسن والبنت نفسها، وكذلك حسين عرضت عليه القضية ، ولاحظت أنه تردد قليلا واقتنع بوجهة نظري من الزواج من ابنة عمه أرملة أخيه ولتبق الفتاة الصغيرة معنا ، فهي من أثر حسن البكر ، وطلب التفكير وأن يكون الرد في السفرة القادمة ولما عاد بعد غيابه المعتاد قبل الزواج من أم دلال واتصلت بأخي فجاء وأسرته من سوريا ، وكان زواج تحسين من ابنته لابني الحي الثاني ، وسكن في نفس شقة أم دلال في نفس العمارة التي اسكن فيها اليوم وقبل اليوم

تحسين محمود بط تعلم مهنة التصليح للسيارات وعمل فترة في فلسطين ورحل مع أبيه لأبي

خروف وظل يبحث عن عمل ، وتيسير له ذلك على الخط الدولي الصحراوي حيث تكثر السيارات الكبيرة المتنقلة بين المدن والدول ، وأعجب وارتاح بالشغل في ذلك الطريق الطويل والقريب من صحراء العراق ، وكان العمل يدر عليه دخلا جيدا في فترة الخمسينات ، وكان يبيت ليلتين في أبو خروف من كل أسبوع ، وأحيانا يضطر للبقاء في محطة الصيانة لظروف العمل ، وتحمله سيارة ذاهبة إلى العاصمة أو أقرب مدينة إليها أو حافلة نقل ركاب تقف في المحطة للاستراحة حيث الطعام والراحة المتوفرة في المكان ، وطاب المكث للشاب في تلك الصحراء ، ربما يقطع الإنسان عشرات الكيلو مترات لا يرى فيها بشرا ، تزوج حسن الشقيق الأكبر وقبل موته تزوج الشقيق حسين ، وقبل أن يتزوج تحسين قتل حسن ، وحدثت النكبة الفلسطينية ١٩٤٨م ، وتشرد عدد كبير من الشعب العربي الفلسطيني ، ونشأ مخيم عودة الأمل شرق أبو خروف، وتابع تحسين عمله في الطريق الصحراوي الطويل رغم الأحداث والصراع الكبير بين العرب واليهود ، ولما خفت حدة الأحداث تزوج تحسين ابنة عمه أرملة شقيقه ، وقبل الشاب نكاحها بعد تردد يسير ، وسكن في شقة أخيه زوجا لنورا أم دلال ، وفي نهاية كل أسبوع يعود الرجل لهم كما اعتادوا ذلك من قبل ، وكان السيد محمود شرع في بناء عمارة جديدة بجوار عمارته التي يعيش فيها ، وكان قد أنشأ لنفسه دكانا في العمارة الأولى ، فأصبح له عمارتان على الشارع الرئيس لأبو خروف ، وفيما بعد أنشأ العمارة الثالثة فأصبحت المسافة بين شارعي البدر ونور القمر ملكه جهة الشارع العام ، وأصبح الطابق الأرضي محلات تجارية للحاج محمود بط ، ثم انشأ عمارة رابعة مطلة على شارع نور القمر في نفس الموقع ، واشترى في أول أبو خروف حيث الدوار وشارع السلام فندقا قديما أعاد بنائه ، وظل فندقا شعبيا ، وهو قريب من نقطة شرطة أبو خروف كان يحسب من كبار الملاك في أبو خروف والأحياء القريبة ، وبنى حسين عمارة لنفسه في آخر شارع نور القمر فالسيد ميسور الحال ، واستطاع استثمار ماله في البناء والعقار ، ومع تطور الحي أقام تحت عمارته الأولى محلا تجاريا ضخما يعمل به حسين بعد تقاعده وتشاركه فيه مع أبيه .

بعد تفكير يسير قبل ـ كما ذكرنا ـ تحسين الاقتران بنورا واستقر تحسين في شقة نورا المجاورة لشقة الوالد ، وكان حسين المدرس أيضاً تلك الأيام ـ أيام زواج تحسين ـ يسكن في الشقة الثالثة في الطابق الثاني ، ثم رحل فيما بعد عندما قام ببناء عمارة لحسابه الخاص في نفس الحي وفي أخر المربع الذي يعيش فيه والده محمود ، رغم أن الحاج محمود شيد بنايات أخرى ظل يحن للعيش في أول عمارة أقامها ، ثم أضاف إليها طابقا ثالثا ، ذكرنا أن الرجل ورث مالا عن أبيه الذي مات في تركيا ، وورث عن ابنه القتيل الشهيد في أحداث يافا ، وتقاعد الرجل من الجيش بسبب حادث ، فنشط في العمران ، وزوج الأولاد وأغلب البنات في تلك الفترة ، وباع بيت حسن في مدينة القدس ، وأعطى نورا حصتها ، ووضعت حصة دلال تحت حماية القانون والأيتام ، وأخذ حصته وحصة زوجته خديجة عيسى .

فكان السيد تحسين يقضي خمس ليال في عمله في الطريق الصحراوي وليلتين في بيت الزوجية في أبو خروف ، شجعه والده وأمه لفتح محل تصليح في وسط المدينة أو في أبو خروف فقد بدأت تظهر الورشات وتكثر السيارات في المدينة ؛ لكنه أبى وتابع المسير في تلك الأماكن ، ولدت له نورا كل سنة ونصف مولودا ، فخلال سنين أنجبت له ثلاث بنات وطفلا ذكرا سماه محمودا على اسم والده ، وكان يقضي الشاب أيام الأعياد والمناسبات في الحي ، وكان والده في أول الزواج يكرر ويلح عليه العمل في المدينة ، فيصر على البقاء في تلك المحطة الهامة لتصليح السيارات والشاحنات المارة في ذلك الطريق الطويل ، ولما بلغت ابنته وردة عشر سنوات جرى معه حادث سير كبير أودى بحياته ، كان يغادر الحي بعد صلاة الفجر إلى وسط المدينة ومنها إلى أقرب مدينة للصحراء حيث إحدى المحطات الكبيرة على الخط الصحراوي ، فإن وجد ممن يصلحون عندهم وله رحلة إلى العراق يركب معهم ، أو يركب مجموعة من عمال تلك المنطقة سيارة صغيرة مقابل أجرة توصلهم لتلك المنطقة ، ولما دخلت السيارة الصغيرة التي تحمل الركاب إلى الطريق الصحراوي فقد زاد السائق من سرعتها ؛لأن الطريق يغري بالسرعة لقلة السيارات المارة فيه لأنه طريق حافلات وشاحنات وطويل المسافة ، والركاب لا يكترثون

للسرعة لرغبتهم بالوصول قبل اشتداد الحر ، وتفاجأ السائق المسرع بسيارة كبيرة تنتقل للشارع الذي يسير فيه نتيجة خلل طارئ ، ولم يستطع السائق تفاديها فصدمتها الشاحنة وألقت بها في منحدر حتى استقرت في واد ، ولما وصلت سيارات الإسعاف والإنقاذ كان الركاب الخمسة والسائق قد فارقوا الدنيا ، ووصل الخبر للسيد محمود عن طريق الشرطة ، فذهب وابنه حسين لإحضار الجثة من مستشفى الحكومة في تلك المدينة القريبة من الصحراء ، وفي الليل عند الفجر دخل البيت حاملا لجثة تحسين .

كانت صدمة كبيرة للعائلة ؛ ولكن هكذا الحياة مواليد وموت ، وبموت تحسين بقي لمحمود من الذرية الذكور حسين وعدد من الإناث ، واستمرت الحياة وظلت نورا ترعى ذريتها من حسن وتحسين وجاء والدها وإخوتها من سوريا يدعونها للحياة معهم هناك ؛ ولكن رغبت بالبقاء في كنف ورعاية عمها محمود ، وتعهد له محمود برعايتها والمحافظة عليها هي وأحفاده الخمسة حتى يكبروا ولآخر يوم في عمره، وبعد سنين عرضت عليها بعض النسوة الزواج من جديد ، فقد تحدث عنها بعض الأرامل والمطلقين ، فرفضت الزواج مرة ثالثة وأنها ستكمل المسيرة في تربية وتعليم البنات ومحمود ، وأخبرت عمها بعدم رغبتها بالزواج من جديد لأنه فكر في ذلك وسعى إليه ، ولما رأى ثباتها وأنها لا ترغب بذلك كف عن هذا الطلب والإغراء كان السيد محمود يدير العائلة بكل همة ونشاط ، وتمكن من إنشاء أربع عمارات باسمه في حي أبو خروف واستطاع حسين بناء عمارة في نفس المربع وسكن فيها وأجر شققها ، وكبرت الدكان التي على الشارع وأصبح الطابق الأرضي من جهة الشارع العام سوقا أو سوبر ماركت بلغة اليوم (السبعينات) وباقي المحلات مؤجرة تجاري ، وفوقها شقق كمكاتب وعيادات والشقق الخلفية مساكن، وكان السوق شراكة بينه وبين حسين ، واشترى فندقا قديما وأعاد تجديده وهو قرب دوار أبو خروف وبجوار نقطة شرطة أبو خروف لأن مركز الشرطة الكبير في أول حي النجمة حيث يتبع له عدة أحياء امنيا ، فنشط صاحبنا في التجارة والاستثمار ، وأصبح بل كان وجها معروفا من أهالي أبو خروف ، وقد ساهم في بناء وتوسيع مسجد حي النجمة ـ فقد كانت

إحدى بناته تعيش في ذلك الحي حيث تزوجت مدرسا في الجامعة ـ وكان يحب صلاة الجمعة في ذاك المسجد إن لم ينزل لوسط المدينة حيث المسجد العمري الكبير ، ووفق للاستثمار الصاعد في بعض الشركات الكبيرة بالأسهم ، ورغم كل هذا الغنى المادي بقي من أهالي أبو خروف ، ولا ننسى أن له مباني في وسط المدينة مؤجرة لتجار وشركات ، فكان حسين شريكه يدير المتجر الكبير ويساعده أولاده وبعض العمال الوافدين من أقطار عربية ، يوفر لهم السكن والأجرة ، وهم يتكلفون بطعامهم ومتطلبات العيش ، وكان السيد ينفق على أحفاده أبناء حسن وتحسين من حسابه الخاص واحتفظ لهم بالأموال التي ورثوها عن آبائهم ، واستثمر لهم بعضها ، وتعلمت دلال في الجامعة على نفقته ، وكانت تدرس في كلية الطب ، فلما وصلنا عام ١٩٧٥ م كانت تعمل في أحد مشافي المدينة كمتخرجة حديثاً ،وكان أخوتها من أمها نورا يزحفون ويتعلمون ، ولما تخرجت خديجة من المعهد المتوسط فأنكحها جدها لابن أحد الأصدقاء ، والتالية بعد دراستها تزوجها ابن أحد بناته ، والكبرى دلال تزوجت وهي تدرس ، ومحمود ما زال على مقعد الدراسة ، والصغرى ما زالت في أول سنة جامعية كلية الطب .

كانت حياتهم تسير كسائر الخلق بين تعليم زواج مرض شفاء عمل ، وكانت نورا تضغط على محمود للزواج وهو على مقاعد الدراسة ، ورغبت أن يتزوج من بنات أخوتها أو أخواتها الذين يعيشون في الشام ، وسافرت للشام عند أهلها لتحقيق هذا الهدف ، وقضت شهرا بينهم ، وعادت تحمل في جعبتها عدة فتيات لابنها أو قل ثلاث عرائس ليختار واحدة منهن ، ومحمود كما وعدها يريد الزواج بعد إنهاء الجامعة .. وكانت دلال قد خطبها ابن عمها حسين وهو يصغرها بسنة ونصف.. زواج عائلي .. واجلوا الزواج حتى تخرجت فعلا وتزوجا .



حفيد جديد

هذه كانت مقدمة مهمة لحكاية من حكايات أبو خروف قال الحاج محمود بط :بينما وأنا أجلس ذات يوم في البيت مع أم حسن ـ وقد تخليت عن العمل معهم في المتجر الأسفل من شقتي ؛ ليديره حسين وأحفادي طبعا ، بعضهم من جهة حسين وبعضهم من جهة البنات القاطنات في الحي ـ اتصل بي سالم حسين الابن البكر لحسين وزوج الدكتورة دلال حسن منذ عهد قريب .. اتصل بي مخبرا لي أن شابا يرغب برؤيتي ومقابلتي لأمر مهم وحساس ودقيق ، فتعجبت من هذا الكلام الغامض فقلت لسالم: إذا كان الشاب بحاجة لمساعدة مادية فقدم له ما تيسر وليقابل والدك

– عرضت عليه المال والمساعدة لا يريد مالا ، يريد رؤيتك أنت شخصيا ، فهو يزعم أنه يعيش في المكان الذي كان يعمل فيه عمي تحسين ـ رحمه الله ـ في الصحراء قبل موته منذ خمسة عشر عاما .

قلت مستغربا هذا التعريف : مكان عمل تحسين القديم .. أمر غريب!

– نعم ، يا جدي .. أبي يرى أن تقابله لأنه يرفض الكلام إلا لك أنت ؛ فأنه يحمل لك رسالة

– رسالة بعد كل هذه السنين ! ما اسمه ؟

– اسمه نادر ، ولم يذكر اسم أبيه ، يرفض ذكره إلا لك جاء من هناك

ليقابل الحاج محمود حسن بط

– قدموا له الطعام.. فالوقت وقت غداء وأنا ذاهب للمسجد سأمر عليكم .

– يريدك في البيت في مقابلة شخصية

– هذا عجيب ! فلتأت به يا سالم .. قلت اسمه نادر لا أذكر أن التقيت بشخص يحمل هذا الاسم يا سالم ومن الصحراء .. لقد ذكرنا بأبي محمود ـ رحمه الله ـ تفضلوا .

انتقل محمود لصالة الاستقبال وطالب أم حسن زوجته إعداد القهوة للضيف القادم من قلب الصحراء التي نسوها منذ وفاة تحسين ، وكانت شقة السيد محمود في الطابق الثاني فوق محلهم

التجاري الكبير ، روى لخديجة أم ذريته قصة الشاب الملح على رؤيته القادم من الصحراء ليجتمع به ، وعادت بهم الذكريات لتلك الأيام ، وحادث وفاة تحسين ، فدمعت العين من الاثنين وترحموا على موتاهم ، ولما رن جرس الشقة ، فتحت الباب لسالم والضيف ، فسلم عليها سالم وأخبرته أن جده في صالة الاستقبال الخاصة بزوار الحاج ، ومشت المرأة إلى المطبخ لصنع القهوة مشى سالم نحو الغرفة يتبعه الشاب الصحراوي نادر ، وأستقبلهم الحاج ورحب بهم .

قال محمود : لم تغد ضيفنا بعد

قال سالم وهو يجلس : سأفعل بعد اللقاء بعون الله .. الرجل مصر على اللقاء أولا .

رحب الحاج به من جديد وهم يجلسون ، وكان محمود يحدق النظر في الشاب ويتفحصه منتظرا لم يريد قوله بعد كل هذه السنين عن ولده ، وجاءت القهوة ، وتناولها سالم من جدته ، وقدمها لجده والضيف ، وقد اعتاد الناس بإحضار كوب ماء مع صينية القهوة ، ووضعه سالم أمام نادر وقال محمود: مرحباً بك يا سيد نادر أنا والد تحسين محمود .

وبدون مقدمات وتمهيد قال نادر : وأنا ابن تحسين محمود

بحلق محمود وسالم بالشباب دهشة ، وظنوا أنهم أمام معتوه أو مجنون وقال: ماذا قلت ؟!

- قلت أنا حفيدك مثل سالم هذا ـ وأشار لسالم ـ أنا والدي اسمه تحسين محمود حسن بط .

تمالك الحاج نفسه وقال: أنت حفيدي ! كيف صار هذا ؟!

- أنا ابن زوجته الأولى زوجة الصحراء .. الزوجة التي تزوجها حيث كان يعمل في إحدى محطات تصليح السيارات على الطريق الصحراوي إلى العراق والخليج العربي

- وكيف أصدق ذلك ؟! ونحن لم نسمع بهذا الزواج قبل زواجه ولا بعده ولا عند موته ؟!

- كنا صغارا ، وكانت أمي ترفض الالتقاء بكم ؛ لأنها تزوجته بطريقة سرية عنكم ، ولا يعلم بهذا الزواج غير بعض قومها وشريكه صاحب الورشة ، وتزوجها رغم أنف قومها .

فكر محمود لحظات وقال : القصة تحتاج لشرح يا نادر

- القصة غريبة .. إنما علمتها من عهد قريب منذ أيام من عشرة أيام

طرق الباب فقال الجد : تناول الشاي من جدتك يا سالم

نهض سالم وفتح الباب وتناول الفاكهة والشاي من السيدة ، وسمعت زوجها يقول : تعالي اجلسي يا أم حسن فهذا الشاب يزعم أنه حفيدك

همست وهي تدخل : ماذا ؟! أتمزح يا حاج محمود؟!

نظرت للشاب الذي ابتسم لها وقال : هذه هي الحقيقة يا أم حسن أنا ابن تحسين محمود حسن

جلست الحاجة خديجة تقلب نظرها بين محمود والشاب فقال محمود : هذا الشاب ـ وأشار إليه ـ انظري إليه جيدا

- لقد رأيته وهو يدخل مع سالم

نظر محمود في عينيها وقال : يدعي أن تحسينا ابننا الميت والده ..وتزوج أمه في الصحراء قبل أن يتزوج ابنة أخي محمد

- عجيب !

- كان متزوجا سرا عنا دون علمنا ..كان تحسين متزوجا من أمه قبل زواجه من نورا حيث كان يعمل في ذلك الطريق الصحراوي .. وهو قادم يبحث عن أهله .. عنا يا خديجة أتصدقين هذا ؟!

- عجيب كيف حدث هذا يا ...؟!

- اسمي نادر تحسين محمود .. القصة كما عرفتها من شقيقة أمي خالتي ؛ لأن أمي ماتت من سنوات وعشنا مع خالتي .. وأمي لم تحدثنا بقصة زواجها ، إنما علمنا أن زوجها وهو أبونا مات بحادث سيارة ، وخالتي أفضت بهذا السر اضطرارا وذلك قبل أيام .. نحن ثلاثة أشقاء ولدان وبنت تزوجت .

قال محمود مقاطعا: تزوجت بدون أب أو جد !

- اسمعوا الحكاية كما فهمتها من خالتي . شرب من شايه وسمع خديجة تقول: نحن بشوق لسماع الحكاية يا سيد نادر فهذه من عجائب الدنيا !

فقال محمود مبررا استغرابهم : فأبوك تحسين لم يتحدث لنا بهذا الزواج ، ولم نسمع إشاعة عنه ولا حتى من شريكه ..هل شريكه حي ويعمل عندكم ؟

- ترك المكان بعد حادث أبي واختفى صاحب المحل كما تقول خالتي حتى أن المكان اليوم مهجور ، وانتقلت المحطة إلى نقطة أخرى ، وخالتي تركتها على قيد الحياة ، وعشنا معها بعد موت الوالدة ، ولما حدثت بعض المشاكل والأحوال في البيت اعترفت لنا بأن والدنا لم يكن من أهل القبيلة ؛ إنما رجل صانع تعرف على أمنا وهي تتردد على المحطة لشراء بعض الأشياء من الدكان الموجودة في المحطة ، وقصت علينا قصة هذا الزواج وموت الوالد فجأة ، وأننا أبناء أختها فحسب ، ونحن نعرف هذا



تبدأ القصة عندما سكن والدي مع شريكه بلال جميل في تلك المنطقة مكان تصليح السيارات على الخط الصحراوي ، وكان يعمل في المكان ورشات أخرى ، وهناك محل لبيع الشاي والقهوة والمرطبات والطعام ؛ لأن الحافلات والركاب يقفون في تلك المحطة للراحة ولصيانة السيارات وتغيير الزيت وتعبئة الوقود ،وكانت أمي الفتاة الشابة وأهل المنطقة من القرى القريبة من المحطة يترددون على المكان للشراء والحصول على المال ببيع بعض الأشياء للركاب وسكان المحطة ، لم تكن تبعد قريتنا عن المحطة سوى عشر كيلو مترات ، فكان تردد أهل القرى ذكورا وإناثا أمرا عاديا ، ولا أحد يمنعه، وكان الركاب يحسنون لأهل القرى بأنهم فقراء ومحتاجون، وبعد حين تعلق أبي بأمي وغرما ببعض ، وبعد حين أصابها بسوء فاضطر للزواج منها ليستر ما وقع منه من سوء وفاحشة هكذا قالت خالتي ، واضطرت العشيرة للقبول بزواج المدني من

قبيلتهم ، وقام جدي والد أمي بإحضار شيخ ليعقد بينهما الزواج الشرعي ؛ ولكنهم لا يكتبون أوراقا رسمية في تلك الصحاري ..كلام شفهي وشهود ، وممن شهد العقد صاحب المحل بلال جميل ، وأصبحت أمي أمام العشيرة زوجة شرعية لرجل المدينة ، وسكن أبي في بيت قروي يعود إليه في الليل ويغادره في أول النهار ، ولم يكن أبي محبوبا من رجال القرية ، فهو غريب عنهم وأساء لهم ، وليس من القبيلة ، فلم يكن له أصدقاء منهم ، وكذلك لطبيعة عمله لا وقت لديه للصدقات ، إنما هو مجرد زوج لفتاة منهم سخر منها وكون معها علاقة سيئة أجبرتهم على زواجها منه لدرء الفضيحة ، أن تتزوج فتاة من العشيرة لرجل من غير العشيرة كان هذا عارا وعيبا عندهم ، بنات العشيرة لأبناء العشيرة ، حتى أن بعض فروع العشيرة لا تزوج لفرع آخر حتى أمي وأسرتها لا ينظر إليهم بعطف وشفقة .. وأبي لم يكن يهتم بهذه العواطف كان غارقا في عمله وشغله ـ كما قالت خالتي ـ فلم ينتبه للعداء له ولا لامرأته .. وولدت أمي له ثلاث أطفال أنا وأخي جلال وأختي نادرة ، ولما مات أبي كنت ابن عشر سنوات ، ولم نكن نعرفكم ، ولم نكن نعي أن والدنا ليس من أبناء القرية .. كنا نسمع أن أبانا ذهب للمدينة لزيارة والديه ، ولا نعرف سبب حياة والديه في المدينة لأنهما من أهل المدينة ، وجدانا كانا ينظران إلينا كأعداء هذا فهمناه لما كبرنا وعرفنا قصة زواج أبينا المدني من ابنته والسيد بلال بعد وفاة أبي بشهور اختفى من المحطة كما أخبرتنا خالتي ، فلم يعد يذكر في المحطة بلال ولا تحسين ، جاءت وجوه جديدة خلال هذه السنوات ، ثم انتقلت المحطة كلها إلى مكان آخر بعيد عن قرى قبيلتنا .. وقبل عشر سنوات وأنا ابن خمسة عشر عاما ماتت أمي ولم تكن حدثتنا عن أبي بشيء ، وكانت قد قضت سنواتها الأخيرة بمرض عضال صعب ، ثم رحلنا للحياة في بيت خالتي وأنا بدأت أمارس الرعي قرب الحي والوديان والشعاب القريبة من القرية ، فكنا نعيش بينهم على أننا من أبناء القرية لا نعلم أن لنا أقارب وأهلا في المدينة ؛ لأننا لم نكن نعي سبب غياب أبينا آخر كل أسبوع إلى المدينة كنا أطفالا ، وظللنا نعتقد أن أبانا فرد من القبيلة، لم يخبرنا أحد عن سر زواج والدنا من أمنا ، وحتى لما تزوجت نادرة لم نسمع عن أبينا شيئا يثير انتباهنا لأهل أبينا ، وأيضا

لم يحدثنا أحد عن زواجنا كسائر أبناء القرية والقبيلة ..أخذنا نعمل بالرعي لشيوخ وأغنياء العشيرة ، ونخرج لمراعي كبيرة ونغيب عن القرية بالشهور الطوال ، ولا نعود إلا عند موسم بيع الخراف والأنعام حتى يتمكن أصحابها من بيع الفائض .. فأنا اليوم ابن خمس وعشرين سنة ولا أعلم إلا أن والدي ابن العشيرة .. صار بين أبناء خالتي شجار كبير .. فطلب منها زوجها أن تتركنا نذهب لأهلينا فتعجبنا من هذا الطلب وهذا الكلام .. لا أب لنا ولا أم فقال جلال : ألنا أهل غيركم ؟! ورويدا رويدا علمنا قصة زواج أمنا من ابنكم ـ رحمه الله ـ فأخذنا نفكر بطريقة نصل فيها إليكم فنحن كل حياتنا في الصحراء وإن بدأت أذكر هدايا أبي لنا عندما يعود من عندكم ومن المدينة استرجعت تلك المشاهد ..فخالتي لا تعرف المدينة ولا أين تعيشون ؟ وظروفكم وحياتكم .. والسيد بلال لا وجود له كما قلت سابقا .. فخالتي تعلم أنه شريك والدي وعقود زواج القبيلة غير مكتوبة وغير موثقة ؛ لكن لابد من التعرف على أهل أبينا ، لابد من ذلك ..فهناك الناس يعرفون بعضهم ، ولا يحتاجون لأوراق من أجل الزواج لا يحتاجونها فهم يديرون شؤون حياتهم .. ذهبت للمحطة وسألت عن أحد يعرفكم أو يعرف السيد بلال قال أحد حراس المحطة: هذا الرجل زمان اختفى قبل رحيل المحطة بسنوات سمعت عنه وعن مهارته في التصليح لكنه لم يلتق به .. واقترح عليّ أحد رجال المحطة لما لخصت قصتي أن انزل العاصمة بيت السلام والاتصال بالشرطة ، وقبل فعل ذلك أعطانا صاحب أحد محلات التصليح عنوان الرجل الذي اشترى منه محل التصليح ، ومنه عرفنا ورشة بلال جميل ، ثم عرفنا أن الرجل ترك المهنة من سنين وأعطانا عنوان بيته في العاصمة ، ولما عرفت بيت السيد بلال ، وقابلت امرأته الفاضلة علمنا منها أنه قد مات هو الآخر ، ومنها ومن أولادها عرفنا اسم حضرتكم ، فقد وجدنا ورقة مكتوب عليها اسم تحسين محمود حسن بط وأخذنا أحد الأبناء لدائرة الشرطة وعن طريقهم عرفنا عنوانكم وإنكم تسكنون في حي أبو خروف ، فلما سمع الضابط قصتي تعاطف معي وأرسلني إليكم ..وجئت إلى حي أبو خروف ودلتني الناس على متجركم هذا ..وهذه يا سيدي قصة زواج ابنكم المرحوم تحسين محمود .

بعد تنهد من الجميع قال محمود : قصة ممكن تصديقها يا سيد نادر ! لكن الكلام وحده في مواضيع النسب لا يكفي .. علينا أن نسعى للتحقق من صدق هذه الحقائق ، فلابد أن نسمع من خالتك وأهل القرية الذين عاصروا هذا الزواج ، ومن الشيخ الذي عقد لهم ولو شفهيا ، وأنا يسرني أن أجد لي أحفادا بعد هذه السنين

– هذا حقكم يا سيدي ! وأنا لا أعتقد أن خالتي تكذب علينا لتتخلص منا ؛لأننا أصلا نعيش أغلب أيامنا مع الغنم والبقر ..فنحن لا نذكر والدنا خاصة أنا الكبير إلا كخيال أو طيف لأن مكثه في العمل أكثر .. لحظات قليلة نجلس وإياه؛ لكن معلومات خالتي ذكرتني به ، وهو ميت حقيقة فنحن لا نعرف عنه أي معلومات كنا صغارا ، ولم يتحدث أمامنا عنه عندما شببنا.. وأي مصلحة لها بالكذب علينا وعلى أمنا ؟ لكن لماذا سكتوا كل هذه الوقت ؟ لم تجب خالتي عن هذا السؤال ؛ لكن المعلومة الأكيدة أن السيد تحسينا والدنا لم ينكرها أهل القرية ؛ لأننا نحمل اسم تحسين نادر تحسين جلال تحسين ، وربما زواج نادرة حرك موضوع من أهلنا؟ فهم لما زوجوها لم تكن من بنات القبيلة .. أبوها مدني ؛ ولكنها كبرت في نظرهم ، وأمها من القبيلة ونحن بحاجة للزواج ومن سيزوجنا من تلك القرى ونحن لسنا منهم ؟وأنا مستعد لأخذك للقرية ولخالتي التي عشنا معها

– أمكم كتمت ذلك السر ؟

– أمي كانت حزينة بعد وفاة الوالد ؛ كأنها قبرت كل الناس ، وكانت قليلة الكلام على عكس حب النساء لكثرة الكلام .. والأمر لم يكن معروفا لنا لمطالبتها بكشف أمر زواجها من أبينا ، وهي لم تصرح لنا أن أبانا لم يكن من أبناء العشيرة .. كانت ترانا صغارا .. ولولا مشكلة أبناء خالتي مع أبيهم ربما ظلت خالتي صامتة، لم تقل لنا أن أمنا طلبت منها ذلك، إنهم اعتبرونا من أبناء العشيرة ، وحزموا أمرهم بزواج البنت ؛ لأن زوج الخالة هدد بفضح الأمر لنا لنخرج من حياتهم إلى الأبد

كانت القصة معقولة في نظر السيد محمود وحتى زوجه خديجة كانت حياة تحسين هناك غامضة

بالنسبة لهم ، لم يكن يتكلم كثيرا عندما يزورهم ، يصل ليلة الجمعة يسلم يتعشى وحده في اغلب الزيارات ؛ لأنه يصل إليهم متأخرا ، يستيقظ متأخرا ، يلتقون على غداء نهار الجمعة ، يتكلمون قليلا ، ينزل الشاب لقلب المدينة لزيارة أصحابه ومعارفه في أحد مقاهي المدينة ، يدخل السينما كما يقول لهم ، يعود آخر الليل ، وفي الصباح يتحرك إلى وسط المدينة وينتقل لمدينة أخرى ، ومنها إلى مكان العمل في الطريق الصحراوي.. لم يكن يحدثهم عن أعماله ومغامراته في تلك البلاد ؛ لذلك كان لديهم قبول لهذه الحكاية ، وتبرير طول الوقت للمجيء إليهم أيضا مقبول ومعقول ، وقصة عدم توثيق العقود فهذا معروف للسيد محمود لأن أهل تلك القرى بعيدون عن المدينة ، ولا يحتاجون لمثل هذه الوثائق في ذلك الوقت لا لعقد زواج ولا غيره ، فهم يعرفون بعضهم البعض ، ويعرفون الأبناء لمن هم ؟ ولا يحتاجون لشهادة ميلاد لمدرسة ، وإذا احتاجوا لذلك يذهبون لطبيب الحكومة فيقدر لهم العمر تقدير سن ، ويعمل لهم وثيقة للمدرسة أو الوظيفة أو حتى الخدمة في مؤسسات الدولة حتى السيارة يقودونها بدون رخصة قيادة .. فلم يعجب محمود من ذلك ؛ لكن إثبات النسب والحقوق والأبوة والبنوة قضية مهمة وكبيرة ، وبعد صمت خيم عليهم لبضع دقائق قال السيد : أنا لو صدقت كل هذا الذي تفوهت به يا نادر فلابد من السعي للمزيد من التأكيد والتثبيت ..فهذا يا ولدي نسب وبنوة وحقوق ومال الآن سيذهب بك سالم إلى مطعم لتأكل ما قسم الله لك على نفقة من سيكون جدك إذا ثبت ذلك لنا وأمام الناس .. وسيذهب بك بعد غدائكما إلى الفندق الكائن في أول أبو خروف وهو ملكنا ـ والملك لله ـ وسيهتم بك أبو موسى المشرف على الفندق ، وسأتحدث معه بشأنك فأنت ضيفنا حتى نتحقق من المعلومات التي أدليت بها أمامنا ، وتبات الليلة هناك وسنلتقي صباحا لنبدأ في طريقة نستطيع بها إثبات النسب ، ونتأكد أن أمك فعلا نكحت ابني تحسين بط .. كم كان عمرك عند وفاة والدك ؟

– دون العاشرة بشهور وكما ذكرت لم نكن نرى والدنا إلا لحظات ، يذهب للعمل مبكرا ويأتي ونكون نائمين ؛ ولكني اعرفه ـ وأخرج لهم صورة شخصية كانت تحتفظ بها أمه لزوجها ـ

وتابع : وحدوث اتصال غير شرعي بين أمي وأبي قبل الزواج ربما لأن أمي كانت ترى أنه لن يحدث زواجها منه إلا بهذه الطريقة .. فمن الصعب زواج بنت من القبيلة لغريب .. وقد حدثت حوادث شبيهة على مستوى العشيرة الكبرى ؛ ولكنها قليلة .. ولم تلدني أمي إلا بعد فترة من الزواج بعد مرور سنة على زواجهما ، لم تحمل أمي بسبب ذلك الاتصال ، ثم ولدت جلال بعدي بسنتين ونصف ، ثم البنت كانت قبل الوفاة بأربع سنوات ؛ وخالتي تعرف والدي جيدا .. وفي نهاية الأسبوع كان يعود إليكم

- صحيح

تناول محمود الصورة الصغيرة من يد نادر الممدودة كانت صورة قديمة ممن تصور لتوضع على البطاقات الشخصية وجوازات السفر وهز رأسه قائلا : نعم إنها صورة ابني تحسين .

وأعطاها لخديجة التي أخذتها ولما نظرتها ذرفت عيونها الدمع

وقال نادر : كان والدي في حياتنا كالخيال ، وحتى في القرية لا صاحب له

- اطمئن يا سيد نادر أنا أكاد اصدق قصتك مائة بالمائة ؛ ولكن هذا لا يكفي لابد من بعض الإجراءات ، وأنا مسرور من شجاعتك وسعيك للوصول إلينا

- كان لابد من فعل ذلك .. أنتم أهلونا الحقيقيون ؛ فكان من الصعب السكوت بعد معرفة هذه الحقائق

نهض محمود ففعلوا مثله مؤذنا لهم بالانصراف ، وخرج سالم ويصحبه نادر ، فساقه إلى مطعم يقدم الطعام والطبيخ ليس فقط الأكلات السريعة كالسندويتشات ، وقدم له الأرز والدجاج المشوي والسلطة واللبن والكولا ، وكان جده قبل المغادرة سأله عن مكان نومه خلال أيام البحث عنهم ، فذكر أنه قضى ليلتين في أحد فنادق وسط المدينة ، وبعد الغداء رافقه سالم إلى الفندق ، ولم يجر بينهم أي حديث حول القصة سوى همهمات ترحيب ، وكان سالم مصغيا وسامعا ومندهشا للحكاية ، ولم ينكر إمكانية حدوثها ، فقد قضى عمه في الصحراء أكثر من عشر سنوات ، وجل أيامه فيها ، وكان شابا عزبا عندما ذهب للعمل هناك .. فهم لليوم

يتحدثون عن حياته وموته .. وما دامت هناك نساء وقرى يحدث مثل هذا ؛ ولكنهم كيف قبلوا تزويجه دون معرفة أهله؟ أم لذلك الفعل تأثير ليقبلوا بزواجه سرا عن أهله ووالده .. هناك لا رقيب ولا دولة ولا مأذون ولا وثائق ..وصلوا الفندق وعرف الشاب على موظف الاستقبال وأعلمه أن حسابه على نفقة الجد وكل المشروبات والأطعمة.

فقال فواز : تحدث معي أبو موسى فقد كلمه جدك .. فأهلا وسهلا سيد نادر ..فكل شيء يا سالم سيسجل على الفاتورة .. فمن عادة أبي حسن إرسال ضيوفه للفندق على نفقته.

وللسيد محمود استثمار وشراكة أخرى في أحد الفنادق الشعبية الكبيرة في وسط المدينة ، وبيت أبي حسن أو شقته لم تكن بالوسع المطلوب ، وأيضا كبره وكبر زوجته فيضعفون عن خدمة الضيوف ، فكان الفندق يوفر لهم هذه الخدمة ..كانت هناك امرأة من نساء الحي فقيرة تتردد على شقتهم للخدمة والمساعدة في التنظيف والجلي والغسيل في بعض الأيام مقابل أجرة فورية واليوم الأدوات الكهربائية مع وصول الكهرباء لكل الأحياء فكانت تساعد في تحمل الأعباء عن الزوجة وعن الخادمة ، حتى الخبز في البيوت قد ضعف وتلاشى ، وانتشرت الأفران في الأحياء بكثرة ، والحكومة تبيع الدقيق لهذه المخابز الآلية أو النصف آلية ، وبدأت أشكال الخبز تنتشر وتشيع ، الخبز العربي والإفرنجي والصغير والكبير ، وحتى الدكاكين ومحلات البقالة أصبحت تبيع الخبز ، الحضارة والمدنية بدأت تزيد وتيرتها في المدن العربية والعواصم ، وظهر التلفزيون الملون ، وبدأ يشيع في البيوت والمقاهي ، وبدأ التلفزيون ينافس السينما وأخذت الراديوهات الكبيرة تختفي وتزول من المقاهي الشعبية ، وأخذت الناس تتابع المسلسلات العربية والأجنبية المترجمة أو المدبلجة كأفلام الكرتون للصغار والكبار ، وحتى مباريات كرة القدم أخذت تظهر بين الحين والآخر على شاشات التلفزيونات خاصة المباريات العالمية والمهمة على مستوى القطر ، لذلك كان يتوسط قاعة الاستقبال في فندق الأنوار تلفزيون بشاشة كبيرة عند وقت العصر من ذلك النهار كان الخبر قد بدأ ينتشر في أبو خروف بين عائلة محمود وأحفاده وبناته ، واتصل حسين بأبيه بعدما عاد سالم وذكر له خبر نادر : صعقت لما أخبرني سالم بهذا

الكلام ..أيعقل هذا يا أبي بعد خمس عشرة سنة على وفاته ؟!



- القصة لا توحي بالخداع والاحتيال ليس لتحسين مال ليطمعوا فيه .. فهو كان ينفق على نفسه فحسب .. ونحن كنا ننفق على نورا ودلال .. وكنا كأننا نعيش أسرة واحدة ، ولم يطلب مالا للزواج أو النفقة على نفسه .. لم يكن هناك ما يريب .. الأمر المثير والوحيد اذكره اليوم أنني لما عرضت عليه الزواج من نورا تردد قليلا وقال لما ارجع المرة القادمة أعلن رأيي ويومها غاب مدة أسبوعين ، ولما عاد وافق على الزواج منها .. ومشت الحياة كما كانت قبل زواجه .. فقط هذا التمهل الذي حدث منه .. وأنت تعرف أن أخاك كان من عشاق الصمت ويقضي نهاره في مقهى في وسط المدينة ، ولم نعرف صديقا مميزا له لنسأله عن هذا الزواج .. وقد أبحث عن هذه المقهى .. والرجل الذي كان يعمل معه في تلك الصحراء .. اخبرني نادر أنه ميت .. ولسوف نتحدث مع أسرته قد نجد لديهم معلومة تنير الحقيقة ، وتزيد من توكيد الحقيقة ، ولم أسمع نورا تتحدث عن زواج له .. وسوف أيضاً نتناقش معها ربما تتذكر شيئا لم تنتبه له ذاك الحين

- وكيف زوجوه بدون أهل وأب ؟!

ـ هي فتاة صحراوية كانت تتردد حيث الورشات الكائنة في تلك المحطة لشراء بعض الأشياء فتعرف أو تعرفت على تحسين وتغشاها.. فاضطرت القرية والعشيرة الصحراوية القبول به على أي حال كما يحدث في بعض الزيجات في أبو خروف.. يحدث هذا يا أبا سالم في دنيا الناس .. كان زواجا لدرء الفضيحة وسكن عشة من عشاشهم .. شاب في الصحراء استسلمت له فتاة فوقع فريسة سهلة لها .. ولملم الموضوع .. ونادر هذا لم يعرف الحقيقة هذه إلا من عهد قريب وأخذ يسعى للوصول إلينا

- ما دمت أنت مقتنع بها ماذا سنفعل ؟

– سأسافر إلى تلك القرية وتلك المنطقة واسمع خالته وزوجها وبعض من عاصر تلك الأيام من الرجال والنساء وأقارب البنت .. فهي أي أمهم ميتة وأمها ميتة وكذلك والدها .. لم يذكر إلا خالته وهي التي كشفت لهم قصة زواج أمهم بعد تهديد من زوجها ..فهم كانوا يتكتمون على زواج أم الأطفال لماذا ؟ لم يفصح الشاب أو لم يعرف وإذا كان ذلك صحيحا سنسعى لإثبات النسب رسميا لدى الحكومة .. فلا يمكن التخلي عنهم يا حسين فهم أبناء أخيك .. والمشكلة أن البنت متزوجة في تلك الصحراء دون علمنا ومن وقت قريب

قال حسين : غرائب الدنيا لا تنتهي ! أنت تفكر بالذهاب لتلك القبيلة

– وسنقابل أبناء السيد بلال جميل وزوجته .. فالرجل شريك تحسين فهو مطلع على القصة ؛ ولكنه كما قلت لك إنه ميت كما حدث نادر .. وقد يكون لديهم معلومات لم يحبوا الإفصاح بها لنادر .. قد يكون حدثها الرجل عن زواج تحسين الصحراوي علينا بذل بعض الجهد

– خشي كشف الأمر .. أفيحدث قرينته ؟ فهو زواج بالإكراه

قال محمود : كان شريكه ، وسانده في كتم الأمر ، المصلحة تطلبت منه الصمت ، و ربما حدث بشيء .. ولا تنسى خشيتهم من القبيلة بإشاعة الأمر ، فكان عليه مسايرة شريكه وإخفاء الأمر عنا .. ونحن لا نعرفه حق المعرفة كما تعلم .. أنا أسمع عن عائلات تلك الصحاري والفلوات حياتهم قاسية وخشنة ، لا يذهبون للمدارس إلا من رحل وسكن المدن .. والفساد شائع بينهم وبناتهم فيهن فتنة.. الجمال والبياض فلا غرو أن يقع أخوك في حبائل تلك النسوة.. وبعضهم يقطع الطرق .. ويتعرضون للسيارات لأخذ المال والطعام ..وهم فعلا يأنفون من تزويج بناتهم لغير أبناء العشيرة للمحافظة على تقاليدهم وعاداتهم .. فلم يكن صيد أخيك صعبا ، فحدث الترقيع والسرار.. ففي البوادي والمناطق النائية تحدث مثل هذه الزوجات زواج الأمر الواقع على كل حال يا أبا سالم اهتموا بالضيف حتى نصل لنهاية لهذه القصة ، لم يكن تحسين ـ رحمه الله ـ يتحدث كثيرا عن تلك الصحراء ، وعن كيفية حياته وتفاصيلها ؛ لكن كما تعلم ويعلم الجميع أن وقته الأكثر كان هناك حيث يشتغل وينام ، وكان اغلب وقته هنا نوم ومقهى

وسط المدينة ، وكان يغادرنا صباح السبت مبكرا أخرج للجامع وهو يغادر البيت فإمكانية أن يكون متزوجا حاصلة ؛ لكن المريب ظهور الحقيقة بعد كل هذه السنين .. يبدو أنهم لم يهتموا لميراث الرجل ، لم تهتم الأم لحضور الدفن والعزاء ؛ كأنه شر وتخلصوا منه .. ونورا كما قالت أمك بعد انصرافه لم تتحدث يوما أن زوجها له امرأة أخرى ربما كان تحسين يفكر بالانتهاء منها عندما يترك تلك الصحراء كأن شيئا لم يكن ، حتى أن أمك تقول : لم يكن بينه وبين نورا أي مشكلة ، فالوقت قصير بينهما ـ رحمه الله ـ جميل أن يجد الإنسان بعد نسيان لابنه أولاد ! كان الحادث رهيبا ! لقد رأيت السيارة في قعر الوادي كانت محطمة ، وكانت الضربة عنيفة قبل سقوطها للوادي ، ونقل للمستشفى كما تعلم ميتا ، لم يتكلم لا هو ولا من كان معه في الحادث كلهم موتى

تنهد حسين وقال: الظروف تحكم الإنسان أحيانا كثيرة يا أبي لعل لديه سببا لكتم الزواج

– كان مصرا للكتم ، فقد ولدت له ثلاثة خلال عشر سنوات زواج ، ولقاءاتنا مع شريكه معدودة على الأصابع ، ولم يتكلم بشيء عند العزاء ، ربما لأن أهل المرأة والمرأة لزموا الصمت ، كان هناك تعتيم على هذا الزواج إذا صح كلام نادر .. فخالته تفوهت لهم اضطرارا ، وأولئك الصحراويون لا يوثقون الأوراق كما نعمل من شهادة ميلاد وعقد زواج وبطاقة شخصية

قال حسين : سأمر عليك الليلة لمناقشة ومدارسة الأمر .. فالقضية تحتاج لفكر وتدبر

– تفضل بعد العشاء

مقهى مهران

تسربت حكاية تحسين للحي ؛ لذلك لما صلى محمود المغرب وخرج ليجلس في المقهى لتناول فنجان قهوة أو يانسون في مقهى مهران ، والسمر مع جيران ورجال الحي وتبادل الأخبار ، فجلس إليه سلمان يوسف ونعمان يوسف شقيقه ، فسأله سلمان فور جلوسه والسلام عما انتشر في الحي من شائعات .. فقص عليهم حكاية نادر بإيجاز فقال سلمان : أمعقولة هذه الحكاية يا حاج محمود ؟!

– في هذه الدنيا كل شيء معقول .. نحن لم نعلم بهذا الزواج ولم نسمع به ولو همسا ؛ ولا يمكن استبعاده لطريقة حياة تحسين في تلك الصحراء .. فيمكن حدوث ذلك الزواج الغامض كان يمضي اغلب الأيام هناك .. فهو حسب معلوماتنا الأكيدة أنه كان يعمل ويشتغل مع السيد بلال جميل معلمه، ثم شريكه قبل وفاته ، ولو كاشفنا بالزواج لرفضناه دون تردد .. فبنات الأقارب أولى في تلك الأيام كما تعلمون .. والزواج من أنثى صحراوية في حالنا وسكننا في المدينة يصعب قبولنا لذلك الزواج

قال نعمان : معك حق يا أبا حسن .. وتحسين الذي اذكره ـ رحمه الله ـ لم يكن له أصدقاء نتيجة استقراره في جوف الصحراء حتى يفصح لهم بمشروع حساس كهذا

فقال سلمان: حتى مقهاه في أيام العطل والأعياد كان في قلب المدينة في مركز العاصمة .. وكان محبا للسينما ، ولولا صراع بين خالة الأولاد وزوجها لما عرفوا بقصة زواج أمهم .. فكانوا كل هذه السنين يخفون الحقيقة

قال نعمان أبو نوح : يبدو أنهم بعد زواج البنت خشوا رغبة الشباب بالزواج ، وهم يعلمون أنهم لا ينتسبون للعشيرة حقيقة ..فكان لابد من التخلص منهم يا حاج محمود

– لم يتحدث الشاب عن زواج ، وعمره خمس وعشرون ولم يتزوج على خلاف عادة زواج أبناء القبائل دون العشرين ؛ ولكن هذا الهاجس وارد .. وأنا فهمت أن تأخر زواجه للفقر واليتم والعمل في الرعي ..وتحسين كما تخبرون لم يترك ثروة لينازع عليها ؛ لنقول جاءوا يبحثون

ويطلبون مال أبيهم ، كان مستورا ..وأنا بفضل الله كنت انفق على ابنة أخي وابنتها ثم أبناء تحسين مساعدة له

قال نعمان : العم مهران ينادي علينا يا سيد محمود

تبسموا وقال سلمان : أكيد سمع الخبر ويريد سماعه من صاحبه

انتقلوا إلى طاولة مهران الكبيرة ، وأحضر العامل مقعدين إضافيين .. فلما جلسوا طلب لهم مهران الشاي المشروب المفضل ولا يرد ، وقال : هل صحيح أنه ظهر لك أحفاد جدد من قلب الصحراء يا حاج محمود ؟!

- يبدو هذا

- حدثت عصرا عن طرف من الخبر من أحد الرواد لا داعي لذكر اسمه قال الناس تتحدث أن أحفادا جددا ظهروا للحاج محمود حسن.. فالأخبار تنتشر بسرعة أسرع من الإذاعة

فقال محمود باسما : أنا فعلا لا أدري كيف عرف الناس الخبر والقصة ؟ الشاب تركنا قبل العصر بقليل لتناول الطعام مع سالم حسين

تبسم القوم وقال مهران : لا تعجب من شيء ما دام بعد هذه السنين يظهر لك من يزعم أنه حفيدك.. أم حسن خبرت البنات على التلفون .. والبنات اخبرن الحموات وهكذا شاع الخبر

غمرهم الضحك وقال السيد : معك حق يا حاج مهران الأخبار أسرع من النار في الهشيم والعشب اليابس .. وخاصة خبر كهذا مثير للعجب والدهشة .

ولخص محمود القصة مرة ثانية ، وعقب مهران بعد صمت محمود : لا أعتقد أن الشاب جاء ليحتال .. فهذه قصة صعبة ومعقدة لا يستطيع أحد من الشارع أن يأتي ويزعم أنه حفيدك ، وأن أباه فلان .. فأنا معك أن الرجل ابن ابنك وحفيدك .. ماذا يجني محتال من إيجاد عائلة وأسرة ؟!

سبحان الله ! ذرية جديدة لك يا أبا حسن لم يعد ابن تحسين السيد محمود وحيدا فقد جاءه أخوان .. ماذا تقول أم محمود ألم يحدثها زوجها عن هذا الزواج ؟!

- سألتها بعد ذهاب الشاب للفندق ، تحدثت معها بواسطة التلفون وبعد أن ذكرت لها القصة

استغربت ؛ ولكنها ذكرت مرة أنها عندما أرادت غسل الثياب وجدت في ثياب تحسين صورة امرأة صورة فوتوغرافية ، ولما أخبرته بأمر الصورة أجابها بأنها صورة ممثلة وقفت في المحطة ، كانت في طريقها لبغداد ، وانتهى الموضوع لأنه أخذ بتمزيقها ورماها في سلة النفايات ، ومضى هذا الحادث البسيط بدون ذكر ، ولم يتحدث عنه إلا اليوم .. وهو مزق الصورة وانتهى الموضوع بالنسبة إليه .. وتدعي أم محمود ابنة أخي محمد لو ترى رسما للمرأة أم نادر ربما تتمكن من المقارنة بين الصورتين وتتذكر تلك الصورة ؛لأنها تأملتها جيدا قبل أن يأتي تحسين وتسأله عنها وعندما أقابل الشاب صباح الغد سأطلب منه مثل هذه الصورة فهي قرينة جيدة لو تذكرتها نورا فعلا

علق الأستاذ سلمان فقال : لا أتوقع أن لها صورة ، إنما هي صورة من مصور جوال ربما نزل تلك المحطة للتزود بالطعام أو الوقود فصورها لتحسين .. صورة واحدة إذا كانت لها ، وربما هي تصورتها إن صدفت هذا المصور في ذاك المكان وقد تكون صورة ممثلة فعلا

قال مهران : لا يعول في إثبات الحقائق الكبرى على صورة واحدة .. وكيف تعملون لإثبات هذا النسب ؟

- من ناحية قلبية أنا مسلم بصدق هذا الحكاية ، ومن لهجة ولهفة الشاب تحس أنه صادق وباحث عن أهله.. وحياة تحسين تلك الأيام توحي بمثل وقوع ذلك .. وعندما يتكلم الشاب كنت أحسن من طريقة كلامه أنه يتكلم مثل تحسين مع أنه لا يشبهه صورة .. طريقة لفظ الحروف أحس أنه تحسين يتكلم ؛ ولكن لهجته لهجة صحراوية والقلب لا يخدع .. سنذهب لمقابلة تلك الخالة التي أفشت الحقيقة ، ونرى بعض أفراد العائلة والعشيرة الذين عاصروا الحدث ، وشيخ العقود في تلك الصحراء ؛ لعله يذكر ويتذكر هذا الزواج إذا ما زال حيا .. وهو زواج حدث تحت ضغط جريمة زنا أو فِلم بين الطرفين لإتمام الزواج فزعموا ذلك .. وقد يكون اجبر على الزواج منها .. لا نعلم ولا نادر يعلم

- يفعل ذلك بعض الناس كما يحدث في حيينا بين زمن وآخر .. طريقة قديمة للنكاح

تحدث محمود عند العاشرة في الصباح التالي مع موظف الاستقبال سائلا عن السيد نادر ، فأخبره أن يجلس أمامه في قاعة الاستقبال .. فكلمه محمود وحياه تحية الصباح ، واطمئن على راحته وصحته ، وطلب منه المجيء إلى المحل حيث العمارة ، ورحب به حسين ، وسأله عن حاله وصحته ، وقدم له علبة عصير مثلج ، ولما حضر الحاج تصافح الرجلان وقال : هل أفطرت ؟



- نعم ، أكلت في مطعم مجاور للفندق .. ودفع الموظف للمطعم

- سالم هنا ؟

رد حسين : ذهب لشغله .. حسن هنا

- حسن موجود جيد .. يا ولدي يا نادر أنت الآن ابننا حتى يثبت عكس ذلك ..ستتعامل معك كابن لنا .. فسيذهب بك حسن لمتاجر غازي ليشتري لك بعض الثياب كهدية

حاول الشاب التخلص من ذلك ؛ ولكن الجد أصر وحلف عليها فلزم الصمت وقال : يا ولدي نحن نكسو الغريب .. وقد بعثت لك ملابس داخلية مساء أمس هل استلمتها

- وصلت ولبست بعضها بعدما استحممت في حمام غرفة النوم وأنا أشكرك يا سيدي

- لا شكر على واجب .. فسيأخذك حسن لقياس الثياب وتختار

أتى حسن من البيت وقبل يد جده وأبيه ، وسلم على الشاب الذي سمع قصته أمس ، وشرح الجد لحسن مهمته وقال : أنا في انتظاركم يا حسن

بعد ابتعادهم قال محمود لولده حسين: لا أدري هل لاحظت يا حسين أن نبرة صوته قريبة

من صوت المرحوم تحسين .. فهو ينطق الألفاظ مثله أو قريبا منه

ابتسم حسين المعلم المتقاعد وقال: وقع ذلك في نفسي عندما قابلناه أمس قبل صعوده إليك ، ولما اخبرني سالم بسبب مجيئه .. ذاكرتك جيدة يا أبي مع أن المرحوم له أكثر من خمس عشرة سنة ميتا نعم لديه صوت شبيه بتحسين

– وهذا ما يزيد اليقين بأن هذا الشاب من العائلة.. ولابد من اليقين الكامل أو شبهه والاتصال بالعشيرة ومعرفة المزيد من اليقين حتى لا يبقى شك في نفس أحد من العائلة

– ماذا سنفعل اليوم ؟

– سأذهب به إلى مكتب المحامي في وسط المدينة ونتناقش معه في الإجراءات والخطوات المطلوبة تحدثت معه ليلة أمس في البيت وقال : مر بعد الظهر ، ثم نفكر برحلة لتلك الصحراء والقرية ، ونرى أهله من جهة أمه ، ونلتقي بالخالة ، ونسمع منها ، ونسمع من زوجها ، ونسعى إلى لقاء من عاصر ذاك الزواج

– قريتهم صغيرة كما فهمت منك ليلة أمس

– صغيرة كقرية .. وهي جزء من عدة قرى من قبيلة .. سنجد من لديه

معرفة من العواجيز ، ثم نقابل أرملة بلال جميل ، فهو مشى إليهم ليعرف مكاننا ، قد يصرحون لنا بما لم يصرحوا به لنادر .. فنورا لم يتكلم أمامها بزواج ثاني .. وكان ينظر لزوجته تلك أنها الأصل ، وأن زواجه من نورا جبر لخواطرنا وحتى لا يعترف بزواجه الأول .. فهذا نادر ولد قبل زواجه من ابنة عمه

– الطب الشرعي ألا يساعد في ذلك ؟

محمود : يساعد إلى حد ما ؛ لكنه لا يحسم الأمر .. زمر الدم تقرب المعرفة .. قال المحامي إنها تنفي الأبوة أكثر من إثباتها إذا ثبت أن زواجا كان بينهم .. سيساعد الكشف الطبي في بيان علاقة بين الأولاد وأبيهم ؛ لذلك عندما نسمع عن تبديل مولود بمولود يجري تحليل للأب الحقيقي والمشتبه به .. فتساعد فصائل الدم إلى حد ما في نفي الأبوة عن أحدهم .. كانوا قديما

يعتمدون على القيافة والفراسة والتشابه بين المولود وأهله

- ربنا سيسهل الأمر .. والحق يظهر ولو بعد حين

محمود : فهمت من القانوني أبي رياض أن الأمر لا يحسم طبيا نحتاج إلى إثبات الزواج اولا

- هل تحب أن أصحبك للمحامي ؟

- لا داعي .. فالأمر مجرد مناقشة وتبادل الآراء في مثل هكذا قضايا ..

سأنزل لوسط المدينة بسيارات الأجرة ، وأصلي الظهر في جامع العمري الكبير ونركب إلى مكتبه وسيكون معي نادر ليراه ويسمعه الرجل .. فقد دهش مثلنا لهذه الحكاية وقال لا يمكن أن يكون هذا احتيالا خاصة في أوقات السلم والسلام وبعد اللقاء سنعود .. وأترك الشاب في الفندق لنرتب أمر الرحلة إلى الصحراء البعيدة .. فأنت اهتم بتأمين سيارة خاصة تقلنا إلى هناك لمقابلة الناس وسماع أقوالهم .. لما تكثر المصادر تتأكد الحكاية أكثر وأؤكد .. وعلينا بعد ذلك إنقاذهم من البؤس والصحراء

حسين : وفقك الله يا أبي .

مكتب المحامي

استقبلهم حضرة المحامي خير استقبال للصداقة الكبيرة التي تربط بينه وبين السيد محمود ، وأيضا لأن ابن أخيه زوج إحدى بنات بنات الحاج ، فتجمع بينهم المصاهرة والعمل والصداقة فهو محامي العائلة منذ تصاهروا ..وبعد الترحيب المعتاد والاطمئنان على الأقارب والأبناء لخص له محمود القصة من جديد .. وكان ليلا مستغربا لها ، وتكلم الشاب بإشارة من جده وأكد ما رواه الجد فقال المحامي : أعلمتك خالتك بعد كل هذه السنين بأنك ابن رجل من المدينة .. ولم يكن أبوك من أهل القرية والعشيرة ؟

– نعم ، أخبرتني هذا من أيام قليلة ، ولما استوعبته حملت نفسي باحثا عن أهلي ، وذهبت لمحطة التصليح والاستراحة للمسافرين على الطريق البري .. كانت المحطة قريبة من القرية تلك الأيام ثم غيرت مكانها ، وسألت عن السيد بلال جميل الذي كان صديقا لأبي أيام زواجه ـ فخالتي التقت به وتعرفه ـ فوجدته قد هجر العمل بعد الحادث بسنة ، وعلمت من بعض رجال المحطة الجديدة مكان سكنه في العاصمة بيت السلام ، وذهبت لبيته ، وقابلت امرأته لأن الرجل ميت وعرفت منهم أنهم لا يعرفون عنوان أبي .. كانوا صغارا تلك الأيام .. وأخذني أحد أبناء الرجل لدائرة شرطة .. ولما عرفوا حكايتي وغايتي ذكروا لي عنوان الحاج محمود في أبو خروف فقد وجدوا في سجل حادث أبي عنوان الحاج

– هل شككت قبل سماع خالتك بأنك لا تنتمي للقبيلة ؟

– أنا أعلم أن والدي مات بحادث ؛ لأني كنت ابن تسع سنوات عند مقتله ووصول الخبر للقرية ؛ ولكن لم أكن أعلم أن والدي ليس ابن القبيلة .. حتى لما نسأل عن أعمامنا وأبناء عمنا نخبر أن والدنا وحيد والديه .. وكلهم ماتوا قبل زواج أبي من أمي أقصد والدي أبي ، ونصدق ذلك ؛ لأن رجال القرية قليلون ، فكل كم أسرة يعيشون في بلدة أو قرية ، ولما ماتت أمنا عشنا مع خالتنا .. وبدأت اعمل بالرعي وأنا ابن عشر سنوات ، ثم أصبحنا نرعى لعدد من العائلات من القرى الأخرى ، فلم نكن نفكر أبدا بأننا لسنا من أهل القرية .. ومن كنا نرعى معهم شبانا

مثلنا لا يعرفون إلا أننا أبناء غزية اسم أمنا ، وأننا أيتام.. حتى الزواج لم تتحدث معنا خالتنا بشأنه يوما .. كنا نحب العزلة والابتعاد مع الرعيان .. لا نعود إلا عند مواسم البيع ..وكنا ننفر من زوج خالتنا .. لم يكن بينهما ود ، ولما كثرت مشاكل خالتي مع زوجها ، ثم اتضح لنا أننا من أسبابها وبسبب مبيتنا عندها في بعض الليالي عندما نرجع للقرية ، فعدنا لمنزل الوالد المهجور لم يحدثنا أحد عن زواجنا .. فكنا نشعر بالحرج والضيق وننتظر ... ، ثم كان زواج نادرة .. فكبر الشجار بينهم .. وكاشفتنا الخالة بسر أبينا ، وأننا لسنا من أبناء القبيلة .. فصدمنا وفهمنا سر الجفاء بيننا وبين رجال القبيلة في القرية والقرى الأخرى .. ولمنا الخالة على تأخرها في كتم الأمر ولم تقله قبل زواج البنت .. فقالت : وصية أمكم أن تبقوا هنا ؛ ولكن الزمن تغير وتخرب بيوت فكان عليّ بالكلام وأخذت على عاتقي الوصول لأهل أبي مهما كلف الأمر ، وتركت الغنم مع جلال ، وجئت باحثا .. والله يسر خطواتي

قال المحامي: وماذا تريدون من التعرف على أهليكم ؟

– أريد أن أعيش معهم ، لا مكان لنا ـ بعد ظهور الحقيقة ـ في القبيلة ..وأن نبدأ حياة جديدة فهم الأهل والقوم ..ونعرف أهلنا وأهل أبينا

فالتفت المحامي للحاج محمود وقال : وأنت يا أبا حسن ماذا تقول ؟

– أنا يسرني أن يثبت أنهم أحفاد لي وأبناء لتحسين ، فكما تعلم لتحسين ولد واحد .. فجيد أن يوجد له أشقاء .. نريد تقوية ذلك حتى لا يطعن شخص فيهم في مستقبل الأيام.. فهم ذرية من صلبي في نهاية الحكاية

– عندما نثبت الزواج بشهادة الشهود سنرفع قضية إثبات النسب .. وهي سهلة إنما هي مجرد إجراءات إذا أثبتنا صحة الزواج ، وأن تحسينا هو والدهم ..فيكون الباقي إجراءات قانونية ومحكمة .. علينا أن نحول الشهادات الشفوية إلى وثائق رسمية .. وإذا استطاع الشيخ الذي عقد الزواج التذكر فسيسهل الأمر يا حاج محمود ..وتقبل الحكومة شهادته ما دام يقرون عمله في تلك البراري .. علينا أن نعرف اسم هذا العقاد وقصة هذا الزواج .. فهو يعرف ابن القبيلة

من الغريب .. نحتاج إلى جهد بدني في هذه القضية .. فمهمتك يا أبا حسن كما خططت برحلة لتلك القرية ومقابلة الخالة ..وسيصحبك في هذه الرحلة كاتب شرعي ورجل شرطة أو سيارة نجدة ؛ وربما سيارة جيش لأنها منطقة لا تخضع للشرطة في الوقت الحالي وسماع زوج الخالة وبعض الأقارب ..فأم أمك وأبيها غير أحياء

- نعم ، جدي مات منذ عهد قريب سنة أو تزيد شهورا

- لم يتحدث أمامكم بشيء؟

- لم نسمع شيئا .. ليس محبا لنا .. ولا يحب الجلوس طويلا معنا

فقال المحامي : وعليكم معرفة شيخ الزواج وسماع شهادته يا أبا حسن .. وإذا اجتمعتم بشيخ القبيلة الأكبر قد تجدون عنده الخبر اليقين .. فهؤلاء الشيوخ يعرفون ويسمعون كل مشاكل القبيلة .. وناشد رجال القرية بالكلام لبيان الحقيقة واثبات نسب العيال .. متى ستقوم بالمهمة؟

- بأسرع وقت يا أبا رياض

- أمهلني يا سيدي يومين لاتصل مع الجهات المسئولة والشرطة لتكون معكم لدى هؤلاء الناس

- أليس هناك فحوصات طبية ؟

- لا داعي لها إذا ثبت الزواج ثبت النسب في القانون والشرع .. وفحص زمر الدم تجري عند الشك في الوالد والمولود

لما رجعا للحي قال الحاج لنادر : ألديك رغبة بالعودة للصحراء أم تفضل البقاء في الفندق حتى يرتب لنا المحامي أمر الرحلة ؟

ففضل الشاب البقاء وقال: الغنمات التي أرعاها ليست لي ، إنما هي لعجائز من القرية والقرى الأخرى ، لا أحد يرعى لهن ، إما أرامل وإما لا أحفاد وأبناء لهن ماتوا أو هربوا من القبيلة ولم يرجعوا ، وبعضها لتجار حلال من القبيلة .. وجلال يقوم بالمهمة عني إلا إذا أحببت ذهابي فانتقل لمكان آخر حتى ترتبوا الأمور وأعود إليكم ..حتى لو لم نصل لإثبات النسب بكم

سنترك الصحراء .. لم يعد لنا بها مقام .. فلا عشيرة لنا .. ليست عشيرتنا

- أبدا يا ولدي أنت ابننا بإذن الله .. وأنت على وشك أن تكون حفيدا لي .. إنما هذه الإجراءات من أجلكم لتحصلوا على وثائق رسمية .. فهي مهمة اليوم لا غنى عنها في المدينة .. تحتاجون لبطاقة شخصية نسميها هوية .. وشهادة ميلاد أو تقدير سن .. وبهذا الوثائق تصبحون من العائلة .. فلأبيك خمس أخوات وأخوان حسن ومات في فلسطين وأبوك ومات بحادث سيارات ..وأختك ماذا سنفعل بها ؟ هل ستبقى هناك ؟

- سنسعى لجلبها منهم ، ونطلقها وتعيش معنا هذا أفضل

- وزوجها

- سيتخلى عنها .. بنات القبيلة كثر حتى أن زواجها تأخر .. فالبنت في القبيلة تنكح دون الخامسة عشرة .. وهي زوجت رغم أنفها كما يقال .. تزوجها أحد أقارب زوج خالتي ضرة أصلا

- لم تلد بعد ؟

- بدأت المشاكل الكبيرة عند زواجها وخطبتها ، لم أسمع بحملها بعد ، وستتخلى عنهم عندما تعرف أهلها الحقيقيين

- نعم ، ستقطع صلتها بهؤلاء الناس .. أتعرف منزل السيد بلال ؟

- نعم ، ذهبت إليه والتقيت بامرأته وأحد أبنائه ، وهم الذين ساعدوني في الذهاب للشرطة كما تكلمت أمام المحامي ولك من قبل

- زوجة الرجل حية كما أخبرت

قال نادر : أنا قابلت امرأة أحسب أنها زوجته وامرأة صغيرة وزوجها وسألتهم عن تحسين محمود بعد أن شرحت لهم الغاية من السؤال فتذكرونه ؛ لأنه كما قالت المرأة الكبيرة في السن مات في حادث مروع ، وذكرت أن الرجل حزن عليه كثيرا ؛ ولكنهم لم يكونوا يسكنون في البيت القديم ، فقد ذهبت إلى البيت القديم ، فأخبرني ساكنه أنهم باعوه بعد موت السيد بلال

وذهبت الأم للحياة والعيش مع ابنها الكبير ؛ وهم لم يكونوا يعرفون أين يسكن والدي في أي حي من إحياء العاصمة لصغر سنهم حين موت والدي ؛ لأجل ذلك ذهبنا للشرطة ، فالرجل له معارف في الشرطة ، وأحب أن يخدمني وفعل ، وقال ابنه أن والده بعد موت تحسين كره المكان وهجر المكان ، وسافر لبغداد وعمل فترة هناك ، ثم عاد فأعتقد أن المرأة الكبيرة التي رأيتها زوجته وأم ابنه .. هكذا فهمت من المحاورة

قال السيد : سنسمعها ـ إن شاء الله ـ هذا الذي نعمله يا نادر لمصلحتكم أولا وأخيرا .. ومعنا مجال أن نقابلهم غداً ما دام أنت عرفت بيتهم .. والفندق بيتك حتى نكمل المشوار فخذ راحتك فيه .

ولما وصلا الحي ساقه الجد للغداء معه ، وطلب من حسين أن يرسل لهم الغداء على البيت ، وتغدوا في بيت الحاج محمود حسن ، وأوصله حسن بسيارة أبيه للفندق ، وأعاد التوصية به للمدير أبي موسى والموظفين ، فقد وجده في مكتبه يراجع حسابات الفندق ، وكانت في البيت بعض بنات الحاج جئن لمشاهدة ابن تحسين والتعرف عليه ، وبعضهن أتين في المساء ، فطلبه الحاج مرة أخرى ليرى من سيكن عماته وبنات أقاربه ، فجلس معهم ساعة ، وتعرف على بعض أزواجهن ، وأعاد على مسامعهم القصة ..قصة اكتشاف أن أباه من أهل المدينة ، ولم يكن من أهالي القبيلة والصحراء كما عاش يفهم ذلك ، ولم يفهم سبب إخفاء ذلك عنهم من قبل أمه وجده وخالته الوحيدة ..وقالت له إحداهن : متى ستأتي بأخيك وأختك ؟

– إن شاء الله قريبا .. سنذهب للصحراء والقرية التي ولدنا فيها ، ويقوم الجد محمود ببعض المقابلات المهمة ، وسماع الشهود وتوثيق الأقوال لإجراء اللازم في المحكمة ، وسنغادر القرية إلى غير رجعة حتى لو لم تعترفوا بنا سنتركها ، لم يعد لنا بها مقام ، والخالة ليست بحاجة لنا ، فلها زوج وأولاد

وقال محمود الجالس يسمع ويتهامس مع أزواج البنات : كما قال نادر أنا متأكد أنه ابن تحسين غير انجذاب القلب .. فيه شيء من أبيه .. طريقة كلامه ولفظه للكلام .. وهذه لا يمكن إلا أن

تكون وراثة .. فهو لا يعرف أباه حق المعرفة .. وأيدتني الحاجة أم حسن ليلة أمس وقالت لو سمعته قبل أن يعرف على نفسه لظننت أني أسمع ابني .. هذه الإجراءات حتى تعترف به الحكومة أنه حفيد لنا .. الأوراق الرسمية لابد منها اليوم .. سيرسل معنا المحامي أبو رياض كاتبا رسميا وشرطيا أو دورية عسكرية ليعلموا أهمية كلامهم وجدية القضية .. وغدا سنمر على زوجة بلال جميل شريك تحسين القديم ..قد تتكلم بشيء مهم رغم أنهم قالوا لنادر لم نسمع بهذا الزواج ، وما دام نحن أخص الناس بالمرحوم لم نسمع به .. فقد يكون هؤلاء لم يسمعوا به الأمر غامض ؛ ولكنه محتمل

- الرجل ميت

- امرأته حية ..وعندما تراني وتعرف أنني والد السيد تحسين .. قد تتكلم بحرية وصراحة



أم طارق

كان حسين يملك سيارة خاصة ، وولده سالم زوج الدكتورة دلال يملك سيارة في ذلك العهد فركب والده بجواره ويعتبر هذا اليوم نوعا من البر والاحترام للآباء في عرف الناس ، وجلس نادر في كرسي السيارة الخلفي ذاهبين لمنزل ابن السيد بلال حيث قابله وقابل أمه عندما جاء باحثا عن السيد بلال .

وكان تحركهم بعد صلاة الظهر وقبل وقت صلاة العصر ، وانطلقوا إلى الحي الذي يسكنون فيه من أحياء العاصمة الكبيرة .. استطاع نادر إيصالهم لذلك البيت بدون صعوبة ، وفتحت له الباب امرأة شابة لما تمعنت فيه تذكرته ، فقد طرق بابهم منذ أيام يسيرة ، رحبت به المرأة ، ولاحظت أنه ينظر للسيارة التي تقف أمام الباب ، فقال حسين بصوت مرتفع : السلام عليكم امرأة السيد بلال جميل موجودة

حدقت به المرأة وقالت : حماتي لا تسكن هنا

نزل الحاج محمود موضحا وقال : كان ابني المرحوم تحسين يعمل مع زوجها

رحبت المرأة بالشيخ محمود وقالت: أهلا وسهلا اذكر أن هذا الشاب ـ وأشارت لنادر ـ طرق بابنا من عدة أيام ، وجاء يسأل عن سكن السيد تحسين محمود

- هذا صحيح يا بنية أريد الحديث مع السيدة الوالدة

- أنا زوجة ابنها يا عمي الحاج ، وهي تسكن مع ابنها الأصغر ؛ كانت ذلك اليوم في ضيافتي ، وزوجي أكبر أولاد عمي بلال

- كيف الوصول إليها ؟ نحن بحاجة للحديث معها في الماضي البعيد

- غالبا ما تكون في البيت ..وليس عندي هذه الساعة إلا طفل رضيع

- وماذا يعمل شقيق زوجك ؟

- قد يكون في البيت ، فهو يعمل ممرضا في مستشفى ، وستكون معها زوجة ابنها

- أين عنوانها ؟

- انظر ذلك المنزل الكبير ـ وكانت تشير بيدها كلها ـ أترونه ؟

فقال نادر : نعم ، أهو البيت ؟

- إنها تسكن فيه .. تدعى أم طارق .. بيت أم طارق يا حاج محمود

شكروها وركبوا السيارة ، واتجهوا لذلك البيت الكبير ، وصف حسين السيارة أمام البيت ، ونزل نادر يقرع الجرس ، فخرج لهم شاب غلام فقال نادر : بيت أم طارق

فقال الشاب : إنها جدتي .. أمر ؟!

قال : قل لها ـ وأشار إلى الحاج الجالس بجوار سائق السيارة الذي بدأ ينزل ـ الحاج محمود حسن أبو حسن يرغب بالحديث معها

- من أبو حسن ؟

فأجاب الحاج باسما : أنا يا ولدي .. جدك أبو حسن .. ما اسمك ؟

- اسمي جهاد

- تشرفنا ..نريد الحديث مع أم طارق في موضوع مهم وخطير

دخل الفتى البيت ، وعاد يصحب أمه التي رحبت بهم ، وقالت : ماذا تريدون من حماتي أم طارق؟!

قال نادر : لقد التقيت بها منذ أيام في منزل شقيق زوجك في قضية هامة

شرح لها أبو حسن الموقف باختصار فقالت : حسنا انتظروا قليلا حتى اتصل بزوجي وحماتي

جلس الثلاثة في السيارة ينتظرون الأذن بدخول البيت ، وبعد وقت يسير أدخلتهم المرأة إلى غرفة الاستقبال والضيافة ، وكانت السيدة أم طارق في استقبالهم والترحيب بهم قالت : نعم يا حاج محمود يا أبا تحسين رحمه الله

- شكرًا يا أم طارق .. ورحم الله المرحوم بلال .. القصة كما قال لك هذا الشاب قبل أيام

استدارت ببطء تجاه نادر وقالت وهي تعيد رأسها جهة الحاج : نعم ، قابلته في منزل طارق جاء يبحث عن بيتكم ومكان سكنكم ، وأذكر المرحوم تحسين جيدا ، لقد دعاه زوجي إلى البيت

عددا من المرات ، وأكل من طعامي ، أنا لا أنساه أيضاً بسبب الحادث المرعب كما قيل الذي وقع له ، ولما عاد بلال من الصحراء بعد معرفته بالحادث جاء إليكم هو وأنا للتعزية بموته ، وكان ذلك بعد انتهاء العزاء؛ لأنه عرف متأخرا .. أما حكاية هذا الشاب وزواج تحسين من أمه دون علمكم .. فلم أسمع بهذا الزواج يا حاج محمود ..واستغربت يوم التقيت به قصة هذا الزواج .. وقلت له لا يعني هذا أنه لم يكن متزوجا .. فكثير من شبابنا يا حاج محمود ، وهم في بلاد الاغتراب يتزوجون ويطلقون أو حتى يموتون دون أن يعرف أهلهم بزواجهم ، فهم يتزوجون من أجل المتعة من أجل الحصول على الجنسية.. قضى زوجي زمنا طويلا يعمل في الطريق الصحراوي قبل أن يتعرف على ابن حضرتكم ، ثم تعرف عليه وترك شريكه أو شريكه تركه ، وأعطاه أي باعه المحل بالعدة والآلات ، وكان دائم الثناء على تحسين وقدرته على العمل إذا جاء ذكره ، وحزن كثيرا لموته حتى كره الشغل بعد حين يسير ، ثم سافر للعراق بضع سنين ثم عاد ، ومرض ثم توفاه الله تعالى رحمه الله

- رحمهم الله جميعهم .. زواج ما زواج ما تحدث المرحوم عن ذلك

- لم أسمعه يتحدث عن زواج في الصحراء ، بل حضرنا زواجه من أرملة أخيه على ما أذكر

- نعم ، تزوج امرأة أخيه بعد ترملها .. أنا أكيد التقيت زوجك في ذلك

العرس .. ولكن لا أذكر صورته .. ما تحدث عن زواجه قبل زواجه ابنة أخي ؟

قالت بعمق : تحدث عن زواجه من أرملة أخيه ؛ ولكنه ما حدثني عن زواجه فتاة صحراوية قال سيتزوج تحسين من أرملة أخيه حسن على ما أذكر .. وذهب العرس ، وقد عملت وليمة كبيرة للضيوف

- صدقت يا أم طارق

- هذا الزواج سمعت به .. وما دامت خالة الشاب ـ وأشارت لنادر ـ تحدثت بذلك لابد أن يكون صحيحا يا حاج .. وإلا لما تكلمت بمثل هذا الكلام الخطير .. ولماذا تخترع صحراوية هذه القصة؟!

– لكنها تأخرت بالحديث عن ذلك للأولاد

– كانوا يرغبون بإخفاء ذلك لأسباب هم يعلمونها ، وربما زالت الأسباب ، وجد جديد أثناء العودة وبعد مقابلة زوجة بلال جميل المعروف لكم قال محمود لنادر: أكان قوم أمك ينادونك باسم تحسين ؟

– كان هذا معروفا لنا .. نحن نعرف اسم أبينا .. بعد الوفاة شاع بينهم مناداتنا باسم أمنا أولاد غزية ـ هذا اسم أمي ـ نسمع نادر بن غزية .. جلال بن غزية .. نادرة بنت غزية .. وهذا يحصل لنا ولغيرنا .. لم يكن خاصا بنا .. كان لنا خال اسمه حسان مات ـ رحمه الله ـ ينادينا باسم أبينا أنت يا نادر بن تحسين ، ومرات يلفظها حسين اعمل كذا ، هات كذا ، فكان اسم الوالد معروفا ، ولم تشكل المناداة لنا أي انتباه لأصل الوالد ؛ لأننا نعيش على أن الرجل من العشيرة ، وأنه من فرع معدوم لا عم ولا جدة من جهة الأب ، ولما عشنا مع الخالة روية اسمها روية ..كان يتردد اسم زوج أمنا كأي اسم .. فهو ميت كأي ميت حتى أبناء ندمان زوج الخالة ما كانوا يشعروننا أننا أبناء أب من المدينة

– نعم ، نعم ، على كل حال سنذهب لتلك المنطقة ، ونقابل الناس ونفعل ما يرتبه المحامي من خطوات ونتعرف على الخالة روية وزوجها وأبناء زوجها والعشيرة

– لا تزعلوا مني ..كان لابد من البحث عنكم .. لو بقيت أمي حية ترزق ربما تزوجت قبل بلوغي العشرين يقول خالي : إن أمي كانت سيدة ترعب .. رجالة القرية .. يخشونها ويخشون لسانها وصوتها ، فقال : فقد فرح بعضهم بموتها صغيرة ووالدها كان يحسب لها ألف حساب ويخاف منها .. أنا أعي بعض مشاجراتها العنيفة معه ومع خالي وخالتي روية .. وخالي هذا قتل في غارة من بعض لصوص الفجر .. وقيل من عصابة مخدرات .. كان يعمل معهم ؛ ولأنه ابن الصحراء كان يساعدهم في نقلها وتهريبها ونقل العصابة ..ووالد أمي فقد قرصته حية سامة ، وقضى أياما في المستشفى ، ثم مات وفارق الحياة ، ولم يبق من ذريته اليوم إلا خالتي ..كان له بنتان وولد .. وأفراد العشيرة لا يتكلمون ، ولا أعرف من هم أصدقاء أبي ، إنما أعرف من بعض

الرعاة أن أبي تزوج أمي رغم أنف العشيرة ، وأنه صاحب شغل في المحطة .. من هم أهله ؟ لا يعلمون .. ولا يعرفونه بشكل جيد .. وهذا تكلموا به بعد كشف خالتي لنا ذلك .. فسألنا فأكد بعضهم هذه الحقيقة .. فهم لا يعرفون أبي حق المعرفة .. فهو لم يكن يختلط بهم لشغله ولقضاء إجازته عندكم .. إنما هو رجل استطاع نكاح فتاة من فتيات القبيلة .. وليس هو الحالة والوحيدة ؛ ولكنهم قلة عادة .. وهم أصحاب ابل وخيل .. قليل من يركب السيارة ، ويحتاجها في تلك الصحراء .. فربما كان يبقى الوالد للفجر وهو يعالج ويصلح السيارة المقطوعة والمعطلة على الطرق .. وتصليح الشاحنات أمر مرهق .. ويأخذ وقتا .. فتبديل عجل يحتاج لساعات

قال حسين: صحيح .. الأمر شاق ، لابد أن أكثر وقته كان يقضيه في العمل ..لا وقت للأصدقاء والمعارف ؛ وخاصة أنه لم يكن يربطه بالعشيرة إلا أمك رحمهم الله جميعا

قال محمود : رحمهم الله .. سوف تصل القصة لنهاية .. ونجلب أبناءنا من قلب الصحراء وتصبحون من أهل المدينة .. اطمئن يا نادر الليلة أو صباح الغد سأتكلم مع صديقنا المحامي ونطلع على الجهود التي بذلها .. فهو منذ تزوج ابن شقيقه بنت إحدى البنات وهو يتولى قضايانا القانونية الكثيرة مع الشركات مع المستأجرين .. والرجل لم يقصر معنا ويخدمنا ، ونحن لم نقصر معه في الأجرة ..اطمئن يا ولدي

- أنا آسف جدا لإتعابك وأنت في هذه السن .. الحقيقة مهما طال الزمن ستظهر .. وكان واجب عليّ التعرف على أهلي .. لا أريد منهم شيئا .. وكنت كلي طمع أن أجد الحقيقة كاملة عندكم ، وأنكم تعرفون بزواج أبي من أمي

قال حسين ضاحكا : نحن لو كنا نعلم بزواجه لسعينا للحصول عليكم ، أو نصبر إلى حين انتهاء فترة الحضانة ، وكذلك أنفقنا عليكم حتى تكبروا .. ولو اتصل بنا أولئك القوم عندما علموا بوفاة تحسين للبينا النداء .. أنتم لنا ولستم لهم ..كنا نجهل هذا الزواج البتة .. إنما هم صمتوا لم يرسلوا إشارة ...وحتى السيد بلال الذي لابد ولا شك أن يكون عارفا بمثل هذا زواج لم يتكلم ، لم يرسل رسالة بهذا الشأن .. ربما أمك ـ رحمها الله ـ اعتبرت أن الأمر لا يعنيننا

ما دامت قد تزوجت من أبيك بدون مشورة .. والدك كان يعلم أننا لن نقبل بهذا الزواج ؛ وبما أنه يعيش في تلك البراري فلماذا يزعجنا ويحشرنا في مثل هذا الموضوع ؟ وأهلها رأوا رغبة أمك ببقائكم معها فلزموا الصمت خشية منها وخشية فقدانكم

قال نادر: حياة الصحراء شاقة وخشنة .. وأهم أعمالهم الرعي وتربية

المواشي وبيعها في موسم البيع في الأسواق الصحراوية طبعا بيع الفائض منها .. ويعمل شبابهم في التهريب سواء للبشر أم المخدرات .. والزراعة قليلة في بعض القرى.. ويحبون البطالة ..والشغل عندهم مواسم ..وتربية الخيول والإبل تجدها عند كبارات العشيرة والمشايخ .. والمشاكل على المراعي والماء لا تنتهي ..والنساء والبنات يسببان الصراعات بين القرى وأفخاذ القبيلة.. وكنا نسمع عن معارك تنشب بين أفخاذ العشيرة الواحدة .. ومرات مع القبائل الأخرى لكن الدولة تسعى إلى توطين هذه القبائل والتقليل من تنقلها.. واستقرت الكثير منها في القرى وأطراف المدن

قال محمود: الفرج قريب ، وستنتهي حياتكم من مشاكل الصحراء والبادية إلى مشاكل المدن الأكثر قسوة رغم المدنية فيها يا سيد نادر



سرقة

اتصل السيد محمود قبل الظهيرة بمكتب السيد المحامي عصام أبي رياض فوجد في انتظاره مفاجأة أزعجته وأربكته ، قال المحامي : مرحباً بالحاج الصديق أبي حسن هذه قضيتكم كبرت

– لم أفهم ؟!

– أنا يا سيدي لما تركتني اتصلت بمدير الشرطة ، وطلبت مقابلة قصيرة معه لمساعدتي في قضية نادر ، وتوصية منه ستسهل الأمور يا سيدي .. فرحب بذلك ، وأعطاني موعدا ، وكان أمس ، ولما تقابلنا في مكتبه لخمس دقائق سمح لي بها شرحت القصة باختصار .. فتبسم وقال : هل تعلم أن هذا الشاب تبحث عن الشرطة ؟.. فشرطة مدينة الحسام ـ أقرب مدينة تابعة لها تلك القرى ـ تبحث عنه ، فقد عدد من الغنم التي يرعاها ، وتسبب اختفاؤه بمشاجرة كبيرة أدت إلى قتل رجل ، وآخر ما زال في غيبوبة

فأنهى محمود الاتصال قائلا : هذا الكلام لا ينفع على التلفون سأكون عندك بإذن الله قريبا

وعند الظهر دخل السيد إلى مكتب المحامي في قلب المدينة ، وبعد شرب القهوة وأكل الشوكولاتة التي يقدمها المحامي لضيوفه .. تابع المحامي الشرح الذي انقطع بإغلاق الهاتف قبل وقت يسير ، فقال: طلب مدير الشرطة العام الحديث مع مدير شرطة مدينة الحسام المهتمة بالقضية ، وفهم منه تفصيل الحكاية وقال يبدو أن أحدا استغل غيابه ، وسرق بعض الأغنام ليتهم بها ، وأنه ذهب لبيعها .. ما دام الرجل جاء باحثا عن أهله وأقاربه بعد معرفته بزواج أمه من مدني .. وهو بريء من السرقة والاتهام ، وقال تغير مسار القضية .. وعدت لمكتبي هذا ، وتحدثت مع مدير شرطة الحسام ، فوجدت أن المدير العام نقل له المعلومات ، ورحب بي وقال مسرورا : نحن بحاجة إليك ، فلنا أيام نبحث عن الشاب المختفي من القرية ، ومن المرعى .. ولخص لي القضية كما جاء في التحقيق الجنائي قال : هذه القرى لا تدخل إليها الشرطة إلا في القضايا الكبرى .. فهي قرى متخلفة ، ويرفضون التحديث والتطور ، فهم بعيدون عن المدن ويعشقون الصحراء والوديان الصحراوية.

وبعد صمت للحظات قال المحامي : القضية يا أبا حسن أن هذا الشاب اختفى من القرية وكأنه لا يعلم بذهابه للمدينة إلا شقيقه وخالته .. هؤلاء القرويون عندهم موسم لبيع الأغنام والإبل والدواب الأخرى مثل البغال الخيل الحمير الثيران .. فيجتمعون في مكان معروف لهم وللتجار تجار اللحوم والخراف لهم موسم لمدة أسبوع في الصيف وأسبوع آخر الشتاء فأصحاب هذه الأنعام يرتبون أمرهم إلى رعاتهم لموافاتهم بها عند الموسم .. فلما ذهب جلال بأغنامه وأغنام شقيقه للسوق وجد أصحابها أنها ناقصة عشرين رأس .. وقال الضابط : في هذه الفترة يكثر سراق الغنم ليبيعوها بسرعة ، وبأي سعر ، ويأخذها الجزارون والتجار بسعر بخس ولصعوبة ردها .. فاتهموا الشاب وشقيقه المختفي ببيعها لتجار الحلال .. حتى أبناء أصحاب الغنم قال يسرقون بعضها خفية عن الرعاة للذهاب بها يكسبون إلى المدينة للمتعة والكيف .. اعترف جلال بذهاب شقيقه للمدينة لحاجة خاصة ، ونفى أن يكون سرقها ، وأنه ذهب لزيارة أقاربه وأكدت خالته هذا المقصد .. فاتهموا زوجها ندمان أنه استغل الفرصة وسرقها ؛ وليثير الشبهة على الشباب أو تآمر معهم ظانّين أن الأمر لا يكشف ، ولما سأل ندمان المرأة أين أرسلت الولد فقالت له: ذهب يبحث عن أقاربه وأهل أبيه ، فغضب وسخط وانهال عليها ضربا ورفسا وشتما حتى فقدت الوعي واضطروا لنقلها للمستشفى ، وكما فهمت من الشرطة أنها كانت متزوجة قبل أن تتزوج زوجها ندمان ، ولما علم ابنها من زوجها الأول بما أصابها جاء من قريته وتشاجر مع ندمان وطعنه بالخنجر فمات على الفور ، والشرطة تبحث عن نادر لسماع أقواله.. هذه هي القصة يا أبا حسن

– وهل يعقل يا أبا رياض أن يكون هذا الولد سارقا لتلك الرؤوس من الغنم ؟!

– هيئته طيبة ؛ ولكن الحاجة للمال ليصل إلى هنا إلى المدينة

– معه مال من أجرة الرعي مالا مدخرا ، فهو يعرف مدينة الحسام وتحدث عنها ويذهب إليها لشراء الثياب والتفرج على المدينة ، وله في السنة سخلتان يأكلهما يبيعهما ، وله أن يشرب من اللبن .. هذا تكلم به عندما سألته عن حياته وماله، وله بيت والده وأمه في القرية

قال السيد المحامي : الراجح أن السارق هو المقتول زوج خالته .. على كل حال الشرطة كلفتني بالحديث معك ولنقوم بزيارة لشرطة الحسام ومعنا السيد نادر .. والخالة بين الحياة والموت وهذا سيؤخر سماعنا لشهادتها في هذه القضية ، ويعيق اللقاء بها .. فكلامها مهم في زواج تحسين من أختها غزية

– متى سنذهب لمقابلة الشرطة ؟

– ما رأيك غداً صباحا ؟

– سأدبر سائقا لهذه الرحلة الشاقة

– وليكن شابا يا أبا حسن

– على بركة الله.



لما رجع أبو حسن للحي ميل للمحل ، فوجد نادرا مع ولده والعمال ، فنهض نادر محييا ومصافحا للرجل، وقال وهو يلمح استفهاما في وجه الرجل: علمت من الأستاذ العم حسين أنك مشيت للمحامي هل جد جديد ؟

حدق محمود في عيني الشاب وقال لنفسه وهو ينظر إليه : رغم قسوة البيئة التي عاش فيها هذا الشاب؛ فإنه سليم الفطرة طيب .. هل هذا سارق خرفان ؟ ثم رد على نادر بسؤال ليأخذ مزيدا من الفكر : هل أفطرت يا نادر ؟

– نعم ، المدير العم أبو موسى لم يقصر معي ، ويهتم بي أكثر من اللازم .. أرى في وجهك كلاما يا سيدي الكريم ، ماذا قال السيد المحامي ؟ وإن نحن عشنا في الصحراء فعاشرنا السواقين والتجار .. ففي الصحراء تباع الخراف واللحوم

قال السيد متأملا عبارات نادر :كنت عند المحامي .. وأعلمني أن خالتك روية في المستشفى

وحالها صعب للغاية .. لقد ضربها زوجها حتى فقدت الوعي .. وهي بين الحياة والموت

قال بأسف وحزن : خالتي مريضة ! لا حول ولا قوة إلا بالله .. إن هذا مؤلم .. زوجها سيء .. وهذه ليست أول مرة يمد يده عليها ..كدت مرة أن أصفعه غيظا .. لولا تحذير الخالة .. هذا ما قاله المحامي لك .. وهل كلامه صحيح ؟

– نعم ، علمه من الشرطة ..والشرطة تبحث عنك .. وأنت متهم بسرقة خراف لمن ترعى لهم فقد فقدوا عشرين نعجة

– أنا سرقت من أعمل عندهم ! هذا كذب هذا كذب !! بل أنا لي عندهم عشرون رأسا يريدون السطو عليها وأخذها والاحتيال .. هذا زعم ندمان اللعين

– ندمان مات ! بل قتل

صاح الشاب ثانية : قتل !! كيف؟!

– قتله ابن خالتك من زوجها القديم

– نعم ، لخالتي ابن من زوجها الأول .. بالله عليك أن تقص الخبر بالتفصيل

قص محمود قصة المحامي عصام ، وقال الشاب بعد سماع القصة : أنا ما هربت .. خالتي تعلم بنزولي المدينة ، وكذلك جلال ، ولم أسرق حلالا ، وإنما تركته عند جلال .. وسرقة الحلال شائعة في القرى ، خاصة عندما يقرب موسم البيع .. وخالتي أعطتني خمسة دنانير للمساعدة في البحث عن أهل أبي .. خالتي تريد خروجنا من الصحراء .. فهي عاجزة عن تزويجنا من بنات القبيلة حسب رغبة أختها أمنا ؛لأن أبانا ليس من القبيلة .. وموسم البيع مكان لاجتماع خلق كثير من القرى والتجار والسواقين .. وتستمر السوق من سبع ليال إلى عشر ، ثم نعود المراعي بما تبقى من حلال .. وخالتي أكبر من أمي تزوجت في قرية أخرى ، ولما ولدت ابنها نزارا طلقها زوجها ، فعادت للقرية ، ولما ترمل ندمان على ثلاثة أطفال طلبها من أبيها وتزوجها ولدت له ، ومات وليدها ، ولما ماتت أمي احتضنتنا كأبناء حرمت منهم ، ولما أخذ ندمان يضايقنا ويبتز مالنا ، وسرق منا خمسة رؤوس حلال وباعها ، وكشف أمره للقبيلة وهو أصلا

معروف مكشوف بسرقة الغنم ،والعمل مع عصابات التهريب تهريبا ودلالة ، كشفت الخالة أمره لنا ، ثم صارحتنا بقصة أختها أمنا .. القصة التي تعرفونها .. وأنا مستعد للذهاب للشرطة وتبرئة نفسي والدفاع عن نفسي

قال السيد بعد سكوت : وهذا ما سنفعله غداً صباحا باكرا .. أبا سالم جهز لنا سيارة قوية تنقلنا مع حضرة المحامي لمقابلة مدير شرطة الحسام .. وزيارة ـ إن شاء المولى سبحانه وتعالى ـ خالة نادر

سالت الدموع على خدي نادر رغم أنفه فقال الجد: أنت بريء يا نادر .. هناك شخص استغل غيابك عن القرية وسرق الغنمات ، فهو يعرف أنك في المدينة ، ولم يعرف أنك تبحث عن أهلك وعشيرتك .. ظنك في رحلة واستجمام ـ والله اعلم ـ أن لزوج خالتك يد في موضوع السرقة ؛ لأن الشبهة استدارت عليه ، وغضب على خالتك ، واتهمها بأنها فشت عليه دفاعا عنك ، وسبب لها الأذى ، وهو لقي جزاءه ..والوضع خطير كما قال المحامي .. ورجال الشرطة هذه الأيام في تلك القرى حتى تحل مشكلة القتل والدم بين أفراد القبيلة.. وربما نستطيع تخليصكم وإخراجكم من تلك القبيلة .. لا تبكي يا ولدي .. أنا دافعت عنك بقوة لدى المحامي

- أنا أبكي على ما بخالتي بسببي

- لا يد لك يا ولدي .. واجبك أن تسعى وتتعرف على أهل أبيك .. الظالم هو ندمان .. اصبر الصبر يتبعه الفرج والفرح .. وستظهر الشرطة الحق ، وتقوم بواجبها ، ويعرفون الجاني والجناة

- إنك طيب وجواد يا سيدي!

شرطة الحسام

استقبل ضابط شرطة الحسام المحامي عصاما ورفقاءه ، وطلب لهم مائدة طعام لما علم أنهم خرجوا مبكرين من العاصمة ،خرجوا مبكرين لبعد المسافة ؛وليكسبوا الوقت وضعف حركة السيارات على الشوارع في فترة بكور النهار ، ولما رأوا إصرار المقدم مدير الشرطة على إفطارهم تناولوا الطعام في نادي الضباط ، ثم ساقهم المساعد الذي شاركهم الفطور إلى مكتب المدير قص الشاب نادر قصة سفره للمدينة ، وتكلم أبو حسن عن الجهود التي فعلها لإثبات النسب وقال الضابط: تكلم معي مدير الشرطة العام في هذه القصة أنت تركت القرية باحثا عن أهل أبيك.

أجاب نادر : نعم ، وتركت الغنم مع شريكي في الرعي أخي جلال ، وأخذت ما أملك من مال وخالتي المضروبة أعطتني خمسة دنانير ، وخرجت دون إعلام زوجها الذي لم نكن نحبه ولكن لأن الخالة رعتنا بعد موت أمنا ـ ولم تنجب من زوجها الأخير ـ قبلنا البقاء عندها رغم كبرنا وكنا ننام أثناء عودتنا للقرية في بيتها ، وأحيانا في بيت أمنا ، ولم يكن الرجل طيبا معها ولا معنا ولضرورة الحياة كان عليها أن تصبر ، وكانت تعتبر أولاده أولادها ، ورعتهم حق الرعاية

- على كل قصتك أصدق من قصة أولئك ، وقد يكون ندمان زوج الخالة هو السارق فعلا للغنمات العشرين ، وسنعرف هذا من الشخص الذي ابتاعها ، فقد عرفنا اسمه وسيتم القبض عليه ، وتنتهي قصة السارق ، وما زالت سيارات الشرطة والعسكر تنتشر في المنطقة والقرى حتى يتصالح القوم على دم ندمان ..وأما خالتك فهي تتلقى العناية في المستشفى .. وجلال موقوف على ذمة التحقيق ..وسنطلب أصحاب الغنم لنتفاهم معهم ، فهم يعتقدون أنك بعت الخراف وهربت للمدينة ، وتركت شقيقك ليغطي عليك ؛ لأنه لم يسرق من أغنامه شيئا ، وأنهم رفضوا تزويجك ابنتهم من سنوات

فقال المحامي : المريضة لا مجال لسماع شهادتها في زواج والد نادر من أختها الميتة لنقوم بإجراءات النسب القانوني

قال الضابط : لم تنطق بكلام واضح منذ دخلت المستشفى .. تتكلم أثناء النوم بكلام غير مفهوم وسنسمح لكم بزيارتها والكلام عندها ..ربما إذا سمعت نادرا ، ورأته تفوهت .. وأنت باشر بالإجراءات المناسبة .. فتستطيع بأمر قانوني سماع شهادة عدد من شهود واقعة الزواج الذين عاصروا الزواج ذلك الزمان ، وسماع عجائز أدركن ذلك الزواج .. فهؤلاء ببعض التذكير وبسلطة القانون يتكلمون .. وبذكر السيد نادر بعض أسماء كبار القرية من الشيوخ والعجائز سيسهل الأمر .. وسنتكلم مع الشيخ العقاد أو ابنه إن كان ميتا .. هؤلاء كتاب العقود يرثون بعضهم بعضا ..وزواج كهذا يذكره إن كان حيا .. فهم يتناكحون من بعضهم البعض .. فالزيجات الغريبة قليلة جداً بينهم.. لذلك فهم ليسوا بحاجة لأوراق هم يرفضون المدارس بينهم .. يتعلمون الكتابة في الجيش .. من ذهب للتجنيد يضطر لمحو أميته وهم قليل

قال الحاج محمود : بارك الله جهودكم ..أنا حريص على عودة أحفادي إلى عرين العائلة ، ولابد سيدي من فعل اللازم حتى لا ينازعهم أحد في حقوقهم العائلية ، ويشكك في نسبهم مع الزمن والدهم لم يترك مالا يتنازعون عليه كان مسكينا ..ما يحصله ينفقه على نفسه

– هكذا الأصول يا ابن الأصول والمحامي عصام رجل معروف وقانوني مشهور.. والبنت المتزوجة كيف ستعملون نحوها ؟

– ليس أمامنا بعد تأكيد النسب ومعرفة الحقيقة إلا أن نخيرها بين البقاء مع أهل الصحراء أو البقاء مع أهل أبيها .. وأنا على استعداد إلى رعاية زوجها إذا أحب الرحيل للمدينة ولا أراه يقبل.. وبما أنه متزوج قبل زواجه منها سنعرض عليه بعض المال ويحصل الطلاق .. هي تزوجت من عهد قريب ..ولم يعلم شقيقها بحدوث حمل

– أنا قابلت زوجها أثناء التحقيق .. نحن اعتقدنا في البداية كما هم اتهموا أن السيد نادرا هو السارق .. وجلال أنكر بيعه للغنم ، ولم نجد معه شيئا يدينه ، وظننا أنه بقوله إن أخاه ذهب المدينة لغرض آخر يتهرب من الحقيقة .. والأمر اختلف لما شهرت غاية نادر من الاختفاء ، فهو الآن لا علاقة له بسرقة الأغنام .. والآن نعرف أنه ذهب لشريك أبيه والشرطة وأخذ عنوان

الجد من دائرة الشرطة .. فهذا غير مجرى التحقيق والاتهام .. فهو بعيد عن حادث السرقة .. فنادر لم يكن هناك أصلا .. نحن لا نتدخل في مشاكل ونزاعات أهل الصحراء إلا إذا تطور الأمر لقتل ومعارك بالسلاح .. فهم يحلون مشاكلهم بأنفسهم أو بمساعدة الجيش المعسكر في تلك الصحاري .. فلشيوخهم الكبار الكلمة الفصل في حل قضاياهم .. فهم يتشاجرون يتنازعون ويتصالحون دون قضاء وشرطة .. وتمتد قبائلهم حتى الحدود مع الدول الأخرى .. ويستعين رجال العصابات بزعرانهم وهملهم في التهريب والدلالة على الطرق في تلك الصحارى الشاسعة .. ومن يقبض عليه يقضي جل عمره سجينا ..لا يرحم المقبوض عليه ولكن تلعب الشفاعات والعفو العام دورها في التخفيف عنه ..والقليل منهم يعمل في الدولة وفي الشرطة لا أحد إلا في المكافحة كإدلاء ومرشدين لفترة أو لمهمة



أخبر الضابط المحامي أنهم سيبقون السيد نادرا لديهم لإكمال التحقيق ولحمايته ، ووعده الضابط بأخذه وشقيقه المحتجز لديهم بسيارة الشرطة لزيارة خالتهم ، وشجعه السيد محمود على الثبات والصبر ، وأن المحامي سيتابع القضية ، وسيقوم بإجراء المطلوب نحوهم وتقديم دعوة لدى المحاكم المختصة ، ومنحه مائة دينار ، ورفض كعادته في البداية ومع إلحاح وضغط الحاج وضعها في محفظته مقبلا ليد السيد شاكرا ، وجاء جلال للتعرف عليهم ، وكان مرتبكا ولما عرفه نادر عليهم عانقهم .. وقال كأنه معتذر : عرف الناس باختفائك بسبب قرب افتتاح الموسم ، وبدأ التجار يتوافدون على السوق قبل بدايته .. أدركت أن الغنم الخاصة بك قد نقصت .. فأخبرت أصحابها على الفور.. وذكرت لهم أنك من أيام نزلت المدينة لقضاء

حاجات خاصة .. فاتهموني بالتواطؤ معك والخيانة والطمع ..وأنك بعتها سرا .. وكبر الحدث عندما قالت الخالة : إنك ذهبت لزيارة أقاربك في العاصمة ودافعت عنك الخالة بقوة ، وذكرت الناس بسرقة قديمة ، فاتجهت الأنظار لندمان ، فغضب وضرب الخالة وأنها تحبنا أكثر منه ، وتحيزت لنا ، وكان الاعتداء شديدا أفقدها الوعي ، وحملت للمستشفى في المدينة ، وسمع أهل القرى بهذا الإيذاء ، فاشتد غضب نزار ابنها على زوجها ، وجاء يناقشه الأمر ، مما زاد غضبه عليه ، وطعنه بخنجره فسقط ميتا ، وصرنا خونا في نظر القرية والعشيرة وقام البحث عنك ودع المحامي والجد الشباب ، وناشد الضابط أن يهتم بهم ويحميهم من أي غدر ، وكان محمود يقول للمحامي وهم في طريقهم للمستشفى لمحاولة سماع المريضة : تعقدت الأمور يا حضرة المحامي

- توكل على الله يا أبا حسن ، قد يكون هذا الضرر لصالح الأولاد ، وتنكشف الأسرار أثناء التحقيقات .. وهذا في رأيي لمصلحة الأولاد .. فإذا ثبتت السرقة على ندمان كما يتوقع ويرجح الضابط .. لقد سآرني الرجل أن ندمان قضى في السجن بضعة شهور قبل زواجه من خالة الأولاد بقضية سرقة .. فظهور نادر صحح مسار القضية فقد استغل غيابه كما رأيت .. وأعلمني الضابط أن الشرطة تبحث عن رفيق لندمان مختفي .. فبراءة نادر وجلال ثابتة ؛ لكن الشرطة تفعل هذا الحبس لإيهام اللصوص أنهم الحرامية وسيقدمون للمحكمة .. وشريكه معروف مثله في قضايا تهريب .. والمبتاع تبحث عن المباحث الجنائية وسيقع.. مجرد وقت يا حاج محمود ..فأولئك المشترون إما أن يتخلصوا من المسروق بسرعة البرق أو يتمهلون حتى تخف حملة الشرطة .. وعادة يعمل رعاة معهم مقابل مبلغ .. والراعي في القفار لا يهتم أنها ملك للذي أودعها عنده أو مسروقة .. فالشباب يؤخرون بيعها لأسباب منها رؤية رد فعل أصحابها

- أيشتري التجار والجزارون أغناما مسروقة؟

- هم يتظاهرون بجهل مصدرها ..وهم للأسف لا يهتمون بالحلال والحرام ..والحرامي يهمه

البيع ولو بثمن أقل من السوق ؛ لأن السوق كما تعلم يتبع العرض والطلب .. فالسارق يسعى للمخدرات الحشيشة والدخان .. التصور أبا حسن أن ندمان وشريكه لاحظوا اختفاء نادر وتركه أغنامه عند شقيقه ، فوضعوا سما للكلب ، وفي سيارة شحن صغيرة حملوا رؤوس الغنم وكما خططوا اتهموا جلالا ونادرا ؛ لأنه مختفي فستلبسه التهمة ..وأصحاب الغنم صدقوا ذلك الاتهام .. وهذا ما حصل ؛ الشرطة لا تستسلم للاتهام بسرعة ، لابد من التحقيق والتثبت ، ولما علم ندمان فشل خطته أراد تحويل القضية إلى زوجته .. وحدث ما حدث .. وقد يكون قتل ندمان متعمدا كما يشك الضابط ؛ لأن ابن المرأة صديق لندمان وعمل معه في التهريب ، فقتله متظاهرا بالانتقام ..فهي لم تكن أول مرة تتعرض المرأة للضرب المبرح ..خلص منه لأشياء بينهم أراد إخفاءها.. هذا مما همس لي به المقدم ، وبعد سماعه نادر وقبل سماعه أدرك أنه بريء ..فهم بين أيديهم معلومات ..وإنما حبسهم احترازيا وحماية لهم فعلا يا حاج محمود ..والشرطة ستعرف الحقيقة وتعلن على الملأ عندما ينتهي التحقيق .. وتحول الأوراق إلى مكتب المدعي عام وشيخ القبيلة وعد الحكومة بالتعاون الكامل معهم.. فجرائم القتل لا تتهاون فيها الحكومة حتى لا تفتح باب العودة للثارات والفوضى والقانون يأخذ مجراه ولكن بعد مصالحات بين أفخاذ العشيرة ؛لأنهم أقارب وبينهم مصاهرات هذا حدثني به الضابط لما انفردنا عنكم بضع دقائق

– أنا الذي يهمني يا أبا رياض في هذه القصة أن يشهد الشهود أن ابني تحسينا تزوج امرأة منهم وأنجبت له هؤلاء الثلاثة .. وبعدها إذا رغبوا بالحياة معنا فيا أهلا وسهلا ، وإذا رغبوا في البقاء في الصحراء فأهلا وسهلا .. وسنبقى على تواصل ..فنادر أرآه يفضل الابتعاد عنهم ، وسنعلمهم أعمالا مناسبة لأهل المدينة ، ونسعى إلى تزويجهم ، فقد هرموا بنظري ، وإذا ثبت ذلك رسميا فلن يتطفل أحد عليهم بالتشكيك في نسبهم ، وسيتزوجون على أنهم أبناء تحسين وأحفاد محمود حسن بط .. فالورق اليوم مهم يا حضرة المحامي

المحامي : أكيد أكيد هذا الوثائق الرسمية لا غنى عنها في العالم المتمدن

ـ هذا وسأضع شقة بين أيديهم في أول الأمر ، ولما يتزوج أحدهم نعطيه شقة خاصة به .. فالله منعم وأكرم علينا

– الله يزيدك من فضله ونعيمه .. من خلف ما مات ..وأنا سأكون عند حسن ظنك فنحن بيننا نسب .. فقضيتك قضيتي والتوثيق يحفظ الحقوق



قضت الخالة نحبها بعد شهر من الحادث دون أن تتكلم بشيء ، وحزن عليها الشابان ، وصحبتهما سيارة شرطة للمشاركة في جنازتها ودفنها ، فقد رعتهما واحتضنتهما بعد وفاة أمهم وبعد مواراة الميتة التراب وانقضاء العزاء عادت بهما الشرطة للدائرة ، وأعلمهما مدير النقطة أن الإفراج عنهما سيكون قريبا على أن يتركا الصحراء ويعيشا في أبو خروف ، ولما وصلت أختهم من القرية حيث قبلت بالعيش معهم ، تم نقلهم لبيت الحاج محمود ، وأنزلهم الرجل في الفندق حتى يتدبر لهم شقة في إحدى العمارات التي يملكها في الحي ، ولم يجد أحدا من المستأجرين مستعدا لإخلاء المأجور ، فاستأجر لهم بيتا عند أحد المعارف لديه شقة فارغة ، وانتقلوا للعيش فيها بعد تأثيثها على نفقة الحاج محمود

وكان المحامي يقوم بدوره بعد نقل الكثير من الأقوال من سكان الصحراء بعد مجهود كبير قامت به الشرطة والعسكر ، فكل من طلب للشهادة لم ينكر زواج تحسين المدني من غزية بنت زياد ؛ ولكنهم لا يعرفونه حق المعرفة ، ومن كان يملك سيارة أكد معرفته به ، وأكد زواجه ، وأخبروا أنه لم يجر عرس لهما .. حفلة صغيرة قامت بها النساء ؛ لأن الزواج لم يكن سليما في نظرهم .. كان تحت ضغط الواقع والفاحشة ، ولم أريت صورة تحسين لبعض النسوة أكدن أنه زوج غزية ، ووالد الأولاد الثلاثة ، ولما تجهزت الأوراق وعرضوا على الطب الشرعي لتقدير سنهم وأعمارهم ، وكان ذلك من كلامهم وأسنانهم منحوا شهادة تقدير السن أي شهادة ميلاد

وعلى أثرها منحوا الاعتراف بهم كأبناء لتحسين محمود ، وحررت المحكمة الشرعية عقد زواج لأبيهم ، ومن ثم شهادة وفاة لكل من والديهم ، وأعطوا البطاقات الشخصية ، وأصبحوا شرعا وقانونا أبناء تحسين ، وصوب وضعهم القانوني ، وأخذت الفتاة بطلب الطلاق من زوجها الصحراوي بشكل رسمي ، وحصلت عليه من المحكمة الشرعية بعد حضور زوجها أمام القاضي وجرى الطلاق ، وأخذ نصيبه من المال وانصرف راشدا للصحراء بعد شهور من الرفض ، وبدأت الفتاة في العدة الشرعية منذ موافقة القاضي وزوجها على الطلاق

وقال الجد: هذا واجبي نحوكم يا أحفادي .. وهكذا وهبني المولى ثلاثة شبان دفعة واحدة .. أنتم الآن من عائلة بط دون منازع .. أنتم بحاجة لتأهيل للحياة في المدينة ، وواجبي أن أوفر لكم العمل المناسب وتزويجكم جميعكم ..فأنتم لا تعرفون القراءة والكتابة ، حيث لا مدارس في الصحراء .. فلدينا مشروع محو الأمية سألحقكم به ليعرف الشخص منكم كتابة اسمه على الأقل وقراءته .. وعدني مديره ورئيسه ببذل الجهد .. ووعدته بالمزيد من المال ليتحقق تعليمهم ولو بالشيء اليسير .. هم يحسنون الحساب الشفوي ، ويعدون الأغنام وغيرها والمال .. سبحان الله ! ولما انتهينا من قصة البنت وتحقق طلاقها أخذت أفكر بتزويجها ، والبحث لها عن عريس محترم .. وهذا ليس بالأمر الميسور .. فهي مطلقة أمية فوق العشرين سنة بنت الصحراء القاسية طعام وطهو أهل الصحراء يختلف عن طعام أهل المدينة.. ذهبت لمركز مجدلاية الخاص بالنساء وقضت عدة شهور ، ولم تستطع تعلم شيء مهم سوى كتابة اسمها رسما وبخط صعب التهجئة والقراءة.. فمن سيتزوج مطلقة بهذه الصفات ؟ إنها في المدينة .. لكن المال حلال المشاكل بعد إرادة الله ..كان عليّ أن أجد أحد الشباب الفاشلين في المدرسة حتى لا يتكبر عليها .. الكفاءة بالجهل والدراسة ..وكنت سعيدا بعدم حملها من زوجها الصحراوي لنقطع صلتنا بتلك الصحراء وتلك القبيلة .. أرسلت نادرا ليتعلم النجارة عند أحد الأصدقاء من أهل هذه المهنة فحي أبو خروف فيه عدد لا بأس به من الورشات الفنية من الجهة الخلفية شارع السالم .. وجلال معه ولكنه ملّ بسرعة .. فأرسلته ليعمل في مخيطة رجالية في شارع النملة آخر الحي

واستطاع أن يصبر ..وبعد سنة استطاعا أن يتعلما بعض القراءة والكتابة .. وتفهم نادر صنعة النجارة ، وبدأ يحسنها ..وكانوا كالأطفال الصغار في نظري وتحت رعايتي .. كان عليّ رعايتهما ليعيشا ، لا أحد يدوم لأحد .. وجلال الخياط أخذ يهتم بفهم الصنعة وأسرارها الخفية .. وصاحب المخيطة أخبرني أنه يحتاج لوقت طويل لإتقان فن الخياطة .. فنصحني أن أعلمه قيادة السيارات .. وأشتري له تكسي أجرة يعمل عليه ، أو عامل في متجر يبيع ويشتري

- لكنه لا يجيد الكتابة والحساب

- قد يكون العمل هذا حافزا له على تعلم ذلك



كانت نادرة تضع الطعام والشاي لشقيقيها على مائدة المطبخ ، وتدعوهما إليه ذات مساء ، ولما بدأ الأكل والرشف قالت : كيف الشغل يا معلم نادر؟

تنهد عميقا والتفت إليها باسما وقال : نحن لم نعتد على حياة المدينة .. والشغل اليومي متعب وإن كان جيدا ..عندما يصنع النجار بعد جهد خزانة جميلة ، فيحس بالنشوة والسعادة والفرح مثل الصياد عندما يصيد حيوانا أو طائرا.. إنما هو تعب وجهد ، والمعلم يقول مع الزمن سيذهب هذا التعب ، وسيصبح صنع خزانة أو طاولة أو سرير أمر اعتيادي وتقليدي دون فكر ونظر

- وأنت يا معلم جلال كيف ترى المهنة الجديدة ؟

توقف عن الأكل وقال كـأنه حزين : رغم قسوة الصحراء ورعي الغنم في حر السماء ذلك أسهل عندي من الجلوس عند ماكينة الخياطة فهي متعبة للبصر وللقدم .. المعلم زيزي يقول : إنني لا أستطيع خياطة بنطال أو قميص بشكل سليم وصحيح .. فعلي أن أجد حرفة أخرى ، وحكى ضعفي لجدي ؛ ولكن

- ولكن ماذا ؟

- الرجل عنده صبية راغب بتزويجي إياها ؛ لأني حفيد الحاج محمود حسن

قال نادر : أهو قال لك ذلك ؟

- نعم ، إن فوق المخيطة بيت الرجل الخياط.. فأحيانا تأتينا بالشاي .. وأما الطعام فاذهب أنا للمطعم ، وهو يصعد للغداء معهم .. ومرات كثيرة يردد سليمة لك يا جلال ، لما تنو الزواج فهي عروسك .. وذلك يقوله كلما يراني أحدق بفتاة .. فأصرف بصري عنها فيقول: أنا لي شفاعة عند جدك إذا أنت راغب بالزواج دعني اكلمه .. أنت لا تصلح أن تكون خياطا ربما تصلح أن تكون زوجا

فضحكت نادرة ونادر وتساءلت : ما قلت له ؟

- أكيد جدي يفكر بتزويجنا عندما يجد العروس المناسبة لكل منا

قال نادر : لم يحدثني بذلك لليوم .. هو يحاول تأهيلنا لنواكب حياة أهل المدينة.. فهو خبر الحياة علينا بزيارة أخواتنا من أبينا في بيوتهن لتقوية الأواصر العائلية بيننا وبينهم

- ألا تكفي رؤيتهم عند أم محمود ؟ لم أتكيف معهن .

- مع الوقت ستتكيف معهن يا معلم .. لنا سنة واحدة بينهم ..وهن متزوجات ، ولم نظهر في حياتهم من زمن بعيد ؛ لذلك محمود ألطف منهن معنا ؛ لأنه عازب مثلنا .. وهو محب لجدنا ، وجدنا يحبنا وإلا ما أتعب نفسه ليضمنا للعائلة دون تردد .. من أول ساعة اهتم بالأمر كأنه وجد كنزا .. قال صوتك فيه شبه من أبيك .. وإنما قام بالإجراءات لمصلحتنا للحصول على الأوراق الرسمية ولأخذ حقنا المالي ـ أطال الله عمره ـ بعد وفاته

قالت : وزوجته الجدة طيبة ، وكلما تراني تضمني لصدرها وتقول حلم أن أرى أولادا من ابني الميت ـ الحمد لله على فضله ـ وقالت : علينا أن نتعلم الصلاة والصوم فلا يجوز أن نكبر ولا نحسن الصلاة والعبادة

- نعم ، فهي كل جمعة تحب أن نشاركها الغداء

عادت الفتاة تسأل عن زواج أخويها متى سيكون ؟ فقال نادر: علينا بالصمت .. فها هو محمود أخونا لم يتزوج بعد

قال جلال مذكرا أو ذاكرا : هو من جيلك يا نادر .. بينكم بضعة شهور .. فكأن حمل أمنا تأخر مع أن زواجهما كان قبل زواجه من أرملة شقيقه الشهيد

قالت: ها أنا قضيت أشهرا مع زوجي .. ولم يحصل الحمل.. الحمل من الله يا سيد جلال

– مضت سنوات قبل أن تلد أمنا ؛ ربما لأنها كانت صغيرة عندما أحبت أبي كما تقول الخالة روية رحمها الله

قال نادر: هذا قضاء الله .. الجد يريد منا تعلم الصلاة ورمضان على الأبواب

فقال جلال بحدة : في كل جلسة يذكرنا بذلك .. نحن لا نعرف الصلاة.. أنا لما كنت أرى التجار والباعة موسم بيع الخراف استغرب مما يفعلون ..وأسأل البعض عن ذلك ، فيقول ساخرا : أنتم جهال ألا تعرفون الصلاة ؟ فأظن أن ديننا غير دينهم.. الجهل عام في الصحراء

– كل الأديان فيها صلاة وصوم يا فصيح .. أنا لست أدري لماذا لم نكن نصلي ونصوم ؟!

قالت بعد هدوء : هل سنصوم السنة ؟ فالجد يقول رمضان على الأبواب يعني أنه اقترب ، وكذلك الجدة تكرر ذلك على مسامعي.. يحسبون أننا قادمون من بلاد الجاهلية

قال نادر : الصغار ـ في العام الماضي ـ رأيتهم يصومون وكنت أتعجب من قدرتهم على ذلك ! مع أننا في الصحراء كنا نقضي وقتا طويلا بدون طعام ؛ لكن كنا نشرب الماء .. العام الفائت أربع خمس مرات حاولت الصوم وعجزت .. لم أتعود .. والعمل يصعب المهمة.. ثم اقتصرت على صلاة الجمعة .. وهذا يضايق الجد محمود

قال جلال بشكل ساخر : ألم يعدنا بأن يرسلنا لأحد الشيوخ لنتعلم الفاتحة والصلاة والوضوء ومبادئ الإسلام ؟ ثم تنهد بعمق وقال: لولا موت خالتي وزوجها لعدت لتلك الصحراء

قالت ساخرة : هربا من الصوم والصلاة !

قال نادر: نحن لم ننل قسطا من العلم في المدارس ، ولا علم في الصحراء .. لا يتعلم الإنسان في

الصحراء غير الرعي والتهريب والسرقة لأموال الآخرين .. سمعت الجد مرة يقول : إن الناس هنا لا يزوجون بناتهم لتاركي الصلاة .. ومع ذلك النجار الذي أشتغل عنده لا يصلي ويقول : إنه كسول عن الصلاة والمساجد .. وأنها مليئة بالأحزاب والعصابات .. فتعجبت من كلامه ..فذهبت للمسجد ولم أر العصابات ولا الأحزاب

ضحك جلال عاليا وقال :صاحبك هذا شيطان! رأيته مرة مفطرا على سيجارة في رمضان ، فزعم لي لما رأيته أنه معفي من الصيام لأن صحته لا تسمح له بذلك ، فقال له رجل كان يسمع الكلام : يا معلم فتح الله الدخان هو الذي خرب صحتك ..فرد المعلم عليه: نسيت أنك شيخ يا معلم هيثم حقيقة أن صحتي لا تتحمل ترك الدخان .. والمرأة تصوم عني وعنها .. فأجابه الشيخ : لا أحد يسد عن أحد عد إلى الله .. رمضان فرصة للتوبة والندم .. فطفا المعلم السيجارة وقال : خلاص بطلت الدخان ونويت الصيام .. فقال الرجل: الصيام يبدأ من قبل صلاة الفجر تسخر من الدين .. فاحتد المعلم من جديد وقال صائحا : أنت زهقتني عيشي على هذا الصباح متى انتهي من صناعة سريرك وأخلص منك ؟ فقال له الرجل : لو كنت أعلم أنك لا تصلي ولا تصوم ما فصلت التخت عندك .



تعود الشباب الثلاثة تناول طعام الغداء على مائدة الحاج محمود ظهر الجمعة من كل أسبوع ؛ وذلك بعد صلاة الجمعة فيذهبون فور انتهاء الصلاة في جامع أبو خروف لبيت الجد والجدة ، ويبقون لوقت صلاة العصر ، ثم يغادرون .. ومرات كثيرة تشاركهم الدعوة الأسبوعية أرملة أبيهم أم محمود ؛ لأنها مرات أخرى تكون في ضيافة بناتها.

وكان الحاج حريصا على هذه الدعوة ؛ ليكتسبوا عادات وتقاليد الأسرة ، ويتعرفون على أقاربهم

الذين يزورون الحاج في نهار الجمعة ؛ لأن الحاج أحيانا يدعو بناته وأزواجهن للغداء في بيته ، وقد تقوم البنات بصنع الطعام والذهاب به لبيت الوالد ؛ لأن السيد أغلب طعامه من المطاعم فأم حسن كبيرة في السن وصحتها لم تكن على ما يرام .. والولائم تحتاج لجهد ، والرجل يملك المال ، ويحسن التوصية واختيار المناسب ، واعتاد على ذلك لكثرة استقباله الضيوف من الداخل والخارج ، لا يوجد عنده خادم في البيت .. تأتي امرأة كبيرة تساعد الزوجة في التنظيف والصيانة لمدة ساعتين قبل الظهر ، وتأخذ نصيبها من الأجر وتنصرف ، وهذا شائع في أبو خروف ، والحاج معروف لأصحاب مطاعم الأطعمة المحمولة والموزعة.

والرجل معروف للمطاعم ولأهل الحي ، وولائمه مشهودة منذ استقرت قدماه في الحي .. ففي أي مناسبة كبيرة ومهمة يولم لجيرانه وأهل الحي المقربين .. وكان يرى الإطعام مكسبا للأصدقاء ونافيا للبخل والشح ، فتجد على مائدته اللحم الأحمر والدجاج والسمك والسلطات والمخللات وحب الزيتون الأسود والأخضر ، والكنافة والحلويات الأخرى ، والمكسرات ، وأصناف الفاكهة اللذيذة ، والعصائر المختلفة الأسماء .. وهناك أكلات شعبية شائعة بين أهل البلد مثل المسخن خبز وبصل ودجاج ، والمنسف بالأرز واللحم واللبن المذاب يطبخ اللحم في مرق اللحم والجميد ، ويضاف السمن البلدي للأرز المفلفل، ويقدم في سدر كبير مغطى بخبز الشراك يوضع عليه الأرز ، ومن ثم اللحم ، ويزين باللوز والصنوبر والبقدونس ، ويأكلون المفتول المصنوع من حبات الدقيق مع الدجاج المسلوق والمحمر حسب الرغبة .. تعرف الشباب خلال السنة الماضية على جميع هذه الأطايب والمطعومات .. فهذه أشياء لم تكن معروفة لدى جلال في الصحراء ما عدا المنسف فقد عرفه ؛ فلذلك كان يردد بعد كل وليمة دسمة : هذا المأكولات الشهية تحفز الإنسان للبقاء في المدينة ، وتضعف الرغبة للعودة للصحارى حيث الخبز اليابس .. كان أفضل طعامنا في المراعي والأحواش اللحم المشوي على النار والحطب ، وليس على الفحم الأسود كما يفعل هؤلاء الناس .. أحلى شيء في المدينة الأكل والحلوى .. الكوسا المحشي لديهم وقت لحشيها.. حتى ورق العنب يحولونه لمحشي.. بارعون

في الطهي .. نساء القرية لا يحسن مثل هذه المطعومات والمأكولات ، أين تتعلم النساء مثل هذه الأشياء ؟

- المطاعم يعمل بها الرجال

- حتى الرجال طهاة

كان هذا الغزل بطعام أهل المدينة بين الأخوة ، وهم عائدون لشقتهم مساء يوم الجمعة ، فقالت نادرة التي ظلت صامتة ، وهي تسمع غزل شقيقها بالطعام ـ وهي تعرف شغفه وشهوته بالطعام قبل انتقالهم للحياة في المدن ، وكان يوم الشواء عيدا عنده ـ قالت : مواد الطعام كثيرة في المدينة فتكثر أنواع وأصناف المأكولات .. هنا الفاصوليا البازيلاء الحمص والفول الحب الفلافل .. من يبيع فلافل أو حمصا مطحونا في الصحراء .. السبانخ بالحمص ، البطاطا نحن نأكلها هناك مشوية .. هنا تهرس وتقلى .. البيض يبتاع بكثرة .. هناك بيض دجاج البيوت .. لا مجال للمقارنة بين الصحراء وقراها وأكل أهل المدينة .

ولما دخلوا الشقة توقف الغزل والمقارنة قال جلال: حتى شاي المدينة يختلف عن شاي الصحراء وأزكى وأطيب .

قالت نادرة: سأجهز لكم الشاي فهمت الرسالة

- أرجو أن يتحقق ما فهمتيه

- سيتحقق .

ومشت للمطبخ وملأت إبريق الشاي ماء وسكرا وشايا ، وعادت لغرفة نومها وخلعت ملابس الخروج ، ولبست ثياب البيت ، وعادت لمطبخها ، ولما استوى الشاي حملته لصالة البيت ودعت أخوتها لشربه ، ووضعت أمامهم بعض المكسرات المتوفرة لديها ، فقال جلال : هذه المكسرات اللذيذة كنا نراها لما يصدف نزولنا للترفيه في المدينة عند موسم بيع الغنم .. أصناف كثيرة عرفناها من دكان العم حسين

قال نادر: سكان المدن كثر ..فتجد مجالا لبيع وشراء مثل هذه الأشياء.. من يستطيع فتح محمص

في بادية ؟ من يشتري ؟ أيام معدودة ويغلق .. وكذلك المطعم والمخبز ؛ لذلك هنا تكثر الحرف والمهن ..لو فتحت منجرة في الصحراء لمن سأفصل ؟ المدينة غير القرية ..كنا نرى الباعة المتجولين يترددون إلى القرى ..يأتون في الشهر مرة في الشهرين مرة .. فهنا تجد بائع الكعك المحمص .. بائع الحلوى الثابت والمتجول .. نحن نبيعهم اللحم الخراف اللبن المجمد الجميد الصوف .. وكل بلدة تجد فيها عشر أسر .. هنا الشارع مائة عائلة .. وهم بحاجة لخدمات ؛ لذلك كنا نرى بعض الأطعمة في موسم البيع عندما يأتي أهل المدينة إلينا من عجائب الدنيا وننظر إليها بلهفة وجشع

قالت نادرة فجأة: لماذا أخذك الجد لمكتبه دوننا؟!

تبسم نادر فقال جلال : فعلا أشار إليك أن تتبعه لماذا خلا بك؟!

قال نادر: أنا شعرت ونحن في طريق العودة أنكم لم تسألوني فورا ، فظننت أنكم غير مهتمين

قالت : رأيناك ؛ لكن جلال شغلنا بالأكل والطعام .. والمقارنة بين أكل الصحراء والمدينة ، فأجلت الحديث للبيت

كان الشباب يترعون الشاي ويقزقزون حب البزر أو اللب ، قال نادر : الجد يريد أن يزوجنا خلال شهور ..وسيزوجنا سوية أنا وجلال في يوم واحد .. وهو سيجد لك زوجا مناسبا من العائلة أو الجيران .. فكثير من أسر أبو خروف يحترمون ويحبون الحاج ، بل صارحني أن أناسا طلبوا يد نادرة قبل حدوث الطلاق الرسمي ؛ لكنه أجل البت حتى تتعرفي على طباع أهل المدينة وكيف يعيشون خشية فشل زواجك ؟ لأن الزواج أسهل من تعقيدات الصحراء .. فكما الزواج أسهل فالطلاق أسهل .. ويمكن للرجل أن يطلق امرأته دون علمها والصحراء يصعب فيها الطلاق .. مشاكل وصراع .. ويحصل الطلاق في المدن لسبب تافه .. فيريد أن يربطك برجل يقدر الحياة الزوجية والنسب

فقال جلال: أيهما قبل زواجنا أم زواجها ؟

– وهو يريد دوام زواجنا أيضاً .. وسيكون زواجنا بعد موسم رمضان لهذه السنة .. ورمضان

بعد شهر ونصف في آخر شهر آب

- أوجد لنا عرائس ؟

- فهمت كأنه وجد بنات أخوات .. أختان صغيرتان .. وهن من أقاربنا من حلب سوريا .. امرأة أبيك نورا والدها من سكان الشام ؛ كأنني سمعت اسم حلب .. ربما من بنات أخوات نورا .. فلها أربع أخوات .. فنورا كانت زوجة لحسن ابن الحاج .. فولدت له الدكتورة دلال واستشهد في فلسطين .. ثم زوجها الجد لابنه تحسين .. فولدت له ثلاث بنات ومحمودا .. ورفضت الزواج بعد موت والدي، وإذا تزوجنا من أولئك البنات سننتقل للعيش معهم في نفس العمارة

قالت: وتتركوني وحدي

- وأنت معنا .. ربما إذا لم تتزوجي قبلنا أن تعيشي في بيت الجد حتى يجد لك الزوج المناسب



الزواج

كان الحاج محمود جادا في تزويج أبناء تحسين وليس مماطلا ، ووضع في مخه أن يجلب زوجاتهم من أقاربه في بلاد الشام .. ذكرنا أن آل بط تشتتوا بعد انسحاب الجيوش التركية من الشام والعراق والحجاز .. فبعضهم سكن أنطاكيا نحو والدهم وبعض أشقائه ، وبعض استقر في سوريا .. وبعضهم في فلسطين جنوب سوريا .. ومحمود تقاعد من الجيش العربي الأردني بعد حادث ، فاستقر في أبو خروف ، وهو الوحيد من عائلته الذي اتخذ أبو خروف دار مقام ، وزوج ابنه البكر حسنا من ابنة شقيقه الأكبر محمد ..وها هو اليوم يريد أن يصاهرهم مرة أخرى وكما زوج ابنه تحسينا لنورا السورية يريد أن يزوج أبناءه من بناتهم ؛ لتبقى الصلات مستمرة ، وتحرك في هذه المسعى ، وصارح نادرا بهذه الحركة ، ولم يلحظ أي رفض من جهته .. والحاج أخر زواجهم ليندمجوا في حياة المدينة ، ويخبروا طباع أهلها وعاداتها ومشاكلها حتى لا ينتكسوا ويهربون للصحراء حيث اعتادوا ويتخلون عن نسائهم .

كان صديق لمحمود حسن من أهالي المخيم مخيم عودة الأمل قد رغب بتزويج ابنه المطلق بنت ابن محمود لما سمع بقصتها ، وطلبها لابنه أكثر من مرة ، وكل ذلك كان قبل طلاقها الرسمي ، فهي لم تكن طلقت بشكل صحيح ..والسيد كان يهمه زواجها واستقرارها العائلي ، وكان يماطل ليعطيها فرصة التعود على حياة المدينة وبيت المدينة ، فهي قضت كل حياتها الماضية في الصحراء حيث خشونة العيش وشدته ، الرجل يريد زواجا دائماً يتحمل فيه الصعاب ويبدو أنه كان مترددا في قبول ابن صديقه المطلق .. وكأن الصديق لم ير حماسا من أبي حسن فكف عن ترداد ذلك ، وترك الأمر حتى يتكلم أبو حسن .. ولما لم يتحقق زواج الفتاة قبل زواج الشباب أخذ يدندن حول زواجها ، وواجه نادرا بهذا الرغبة ، فلم يعترض الشاب ، واعتبر فعل وتصرف جده هو الصواب ، وهو الذي سيزوجهم ، ويتحمل مصاريف زواجهم وحياتهم الزوجية .. فلم يعترض على فكرة زواجهما من أختين وفي يوم واحد ومن بلد آخر ، وسيزوجهما ويسكنان في عماراته ، وتعيش البنت معه حتى يأتيها عدلها كما يقال أي نصيبها المقدر .

تسربت الأفكار للعائلة ، وأخذت نورا تستعد للسفر إلى حلب الشام ؛ لإتمام ما يسعى إليه عمها محمود .. فقد اتصلت بوالدها وأمها وغيرهم لتحقيق غاية الحاج محمود ، فهو يريد تقوية أواصر القربى بمثل هذه الزيجات العائلية .. وعلمت أن إحدى أخواتها قبلت من حيث المبدأ تزويجها من بناتها .. فقالت نورا لعمها: يا عمي العزيز أختي هدى قبلت ، ولها رغبة أن تأتي هي بالبنات كزيارة عادية ورؤية الشابين قبل سفري أنا إليهم .

– هل يصح هذا ؟ فالعادة أن يذهب العريس لمشاهدة العروس .. وأنت معك مجال هنالك لتقابلي أكثر من عائلة

– السبب يا عمي العزيز أن البنات في إجازة .. سيأتين ليس بسبب الزواج .. إنها زيارة عائلية سواء حصل القبول أم لا .. فوالدي متحمس لهذا الزواج .. فأنت تعلم كم يحبك الوالد ويقدرك ..ورغم أنه أكبر منك سنا ، فهو يعتبرك سيد العائلة الكبير

– وأنا سعيد ومسرور لو حصل هذا الزواج .. فالبعيد يقرب.. النساء تقرب العدو بالنسب ؛ فليكن الأمر مجرد زيارة

– نعم ، ولما تحصل المشاهدة ويقبل الطرفان فنمشي بالزواج .. زواج الجبار اليوم مرفوض ، ويضعف الحياة الزوجية

– وابنك ألا تريدين تزويجه فقد أصبح طبيبا حسب رغبته ؟

– أحاول ؛ ولكنه يؤجل حتى يستلم عملا

قال بنوع من الضيق : خطأ .. نحن اليوم لا نصبر على عدم زواج البنات اللواتي يتعلمن في المعاهد والجامعات .. فتأخر الزواج فيه خطر عليهن

– من الأفضل أن نمشي على اقتراح أبي وأمي أن تكون الزيارة عائلية حتى ترى البنات ويرى الشباب ، وبعد انتهاء الرحلة تكاشف الشابين بالزواج منهن ، وأختي لما تعود لبلدها تصارحهنّ

صمت لحظات قبل أن يقول :حسن! لتكن زيارة عائلية .. أنا لم أحدد لهما أسماء ذكرت لهما

بعض الأفكار ..ولم أقل لهما عن السفر لحلب ولا غيرها.. وبعد عيد الفطر نحرك الموضوع .. وأنا فهمت من أخي أن الأمور متهيئة ، وبمجرد ذهابك ستتفقون على كل شيء .. ثم نستعد للزواج ونقل البنات إلى هنا ؛ لإتمام النكاح ..كل تأخيرة فيها خيرة .. والنصيب يحكم ، فنسلم الأمر للباري عزّ وجل

– الليلة سأتحدث مع أبي وأمي ، وأنقل لهم موافقتك على الزيارة كزيارة

– على بركة الله .. أرجو أن توفق خطواتك ومساعيك النبيلة ..وأن تفرحي بابنك الدكتور محمود أخوهم البار

– آمين يا عمي .. محمود يقدرك ويجل مقامك وهو يهمه إدخال الفرح على قلبك وقلوبنا جميعا ؛ لكنه قدم الدراسة على كل شيء .. لا إجبار اليوم في الزواج .. أراه معقدا من جهة النساء ليس مثل الشباب لديهم لهفة النكاح والبيت والأسرة .. فحكايات البنات والنساء تملأ للأسف حي أبو خروف

– وأنا مثلك محتار في ضعف حاجته للنساء .. هو حر هي حياته يا نورا

– من يوم ما أنهى الثانوية وأنا ألح عليه بالزواج .. وأن الزواج لا يعيق الدراسة .. ومنذ تزوجت البنات وأنا أضغط عليه ، ولم افلح .. ماذا يخطط لا أدري ؟ يعشق الصمت عسى أن يجد بنت الحلال خلال العمل وتجذبه للزواج ويطلق العزوبية

– إن شاء الله .. أنا توقعت ـ كما نسمع عن بنات الجامعة ـ أن يتعرف على فتاة جامعية خلال السنوات الطوال .. ذهبت الجامعة ولم نر عروسا .. أنا كانت رغبتي أن أراه عريسا من سنوات قبل زواج شقيقاته ؛ لتمتد سلالة تحسين ـ رحمه الله ـ لكن أمر الله غالب يا نورا ..ومن كان يعلم أن لتحسين ذرية تعيش في أرض أخرى.. هذا غيب الله

– لنا أكثر من عشر سنوات لا نعلم بهم ، ولا هم يعلمون بنا

– رحم الله موتى المسلمين .. ستر الله عليك يا ابنة أخي .. وأنا في خدمتك

– بارك الله فيك .. كنت نعم الوالد للجميع .. وما زلت لا غنى عن عطفك وحبك ، لم تقصر

معي ولا مع الأولاد ولا مع محمود

- كله من فضل الله علينا ..والتوفيق منه وحده

- اسمح لي بالمغادرة سيصل الدكتور .. وبالمناسبة يا عمي هو يفكر بشراء سيارة

- أنا جاهز ..فليمر الليلة وسأرسله إلى صاحب معرض صاحبنا

- شكرًا يا عمي العزيز



لما دخل جلال البيت مع غروب الشمس قالت له شقيقته : الجد اتصل وهو يريد أن يراك ، فابق في البيت حتى يصل إلينا

فقال بحدة: وماذا يريد حضرة الجد ؟

- مالك متوتر ؟!

- أنا لا أحب الوصاية .. نحن شباب كبار لسنا أطفالا

- هناك شيء.. ما بك ؟ لم هذه العصبية؟!

- أين نادر ؟

- ذهب لشراء بعض الحاجات للبيت .. أبينك وبين الجد أمر ؟

صاح فيها بعصبية : لا شيء ..سأخرج قولي له لم أعد للبيت

- يبدو أن أمرا خطيرا فعلته !

صرخ من جديد : قلت لك لم أفعل شيئا .. سأعود للصحراء ..الحياة هنا منغصة

وقبل أن يغادر دخل نادر يحمل أكياس الطعام والفواكه والبقالة ، وأدخلها المطبخ وتساءل : أجهز العشاء ؟

ردت بنعم ، وقال جلال وهو يظهر الغضب والاحتجاج : لا أدري لماذا تركنا الراحة وجئنا

للتعب؟

التفت إليه نادر مستغربا كلامه وقال: أحدث شيء أيها الإنسان؟!

صاح بغضب: لا شيء ..سأعود للصحراء

ضحك نادر وقال : ومن لك في الصحراء يا راعي الهيجاء ؟ أمك ميتة .. ومالك حبيبة ماذا ستفعل يا فارس الصحراء؟ أجرى بينك وبين الجد كلام ؟ ليحمل نفسه بنفسه ليقابلك ، ويسمع منك المشكلة ، ويعمل على حلها ..فجدك سيحلها يا أخي.. الهروب ليس هو الحل ؛ فإذا أخطأت الخطأ يقوم ويصحح

أشعل الشاب سيجارة وصاح : أنا لن أصوم

- ومن حدثك عن الصيام؟!

- جدك

- جدك قادم إلى هنا ليجبرك على الصيام .. لا أحد يجبر أحدا على الصيام .. يمكنك أن تتظاهر أمام الناس بالصيام ، وتفطر من وراءهم .. فالصيام عبادة بينك وبين الله يا سيد جلال فالأطفال يصومون فلنجتهد أن نكون مثلهم

- مجنون أنت ! أأستطيع أن أترك الطعام عشرين ساعة؟

- عشرون ساعة! أي صيام عشرون ساعة؟! أهناك نهار مر علينا طوله عشرون ساعة ؟ أنت لا تعلم ماذا يريد منك الجد؟

هزّ رأسه نافيا لذلك ، فقالت نادرة مبتسمة : إنه يعرف وإلا لماذا غضب؟! أخشى أن يكون من أجل تلك الفتاة التي قرعت علينا الشقة قبل أيام

حدق به نادر وقال : تلك البنت التي جاءت تسأل عنك وزعمت أنها أخطأت البيت

لزم الصمت فقال نادر: جدك منذ سكنّا هنا حذرنا من الساقطات وبنات الهوى يا جلال ، ونحن من أيام رأينا العرائس اللواتي يريدون تزويجنا منهن ..لابد أن كلاما وصل للجد عنك هنا في أبو خروف لا يخفى على الناس حكاية .. كيف عرفت حضرتها الشقة ؟ لا نسمح لك

بجلب النساء هنا عيب .. أتسمع ؟هذا بيت محترم بيت جدك

- لم احضر أي فتاة ..تعرفت عليها ، وذهبت معها للسينما ، وعدتني بالمرور عليّ كلما ذهبت للسينما ..ومرت تلك الليلة لتصحبني إلى السينما

خيم الصمت لدقائق وقطعه نادر : هات العشاء يا نادرة ..سمعة جدك مهمة يا ولد

- أنا شريف .. ليس بيننا شيء حرام

- عندما يأتي الجد سنعرف التفاصيل

- لا يوجد تفاصيل .. رحت معها مرة واحدة للسينما .. نحن في الصحراء لم نكن نعرف السينما والأفلام

- تذهب مع أنثى يا جلال ..اذهب وحدك ..تعرف على الناس والشباب في المقهى واذهب معهم إلى السينما

- لم أكن أعرف السينما .. هي التي عرفتني على السينما

وضع الطعام وبدأ الأكل والمضغ والبلع ، وبينما هم يأكلون طرق الباب ، فقالت وهي تنهض لفتح الباب سريعا : الجد وصل

فغادر جلال المائدة إلى المرحاض

ولما فتحت الفتاة لجدها قبلته وقبلت يده كما تعلمت من حفيداته فقال : أين فارس الشباب؟

- إنه في المرحاض ! وابتسمت

[][][][]

دعت الفتاة الجد لمشاركتهم العشاء فقال ملاطفا: ماذا طبخت للشباب اليوم؟

فقال نادر وهو يصافح جده باسما: قلت بطاطا ،وقلاية بندورة ..واشتريت لهم لبنة.. تفضل يا جدي

رجعوا للمطبخ وشاركهم الجد بأكل بضع لقيمات ، وشرب كوبا من الشاي ، وقال لنادر : اذهب واستدعيه من الحمام لابد من الكلام والنصح والإرشاد .. لا يجب أن يهرب من النقاش

لا تحل المشكلات بالهرب من مواجهتها

- أجئت من أجل تلك الفتاة التي رافقها إلى السينما ؟

- أتعرفون؟!

قالت نادرة : قبل قليل اعترف لنا بمرافقتها إلى ما تسمونه سينما .. وكانت ذات ليلة جاءت تسأل عنه هنا

قال الجد بأسف: لا حول ولا قوة إلا بالله .. يا عمي هذه فتاة فاسدة ، وذات سمعة سيئة في أبو خروف والأحياء المجاورة .. لو كانت بنت ناس طيبين لزوجته إياها من الصبح .. الإنسان المسلم إذا لم يختر الزوجة المحترمة سوف يتعب غداً في الحياة .. إنها منذ وعت على الدنيا وهي ترافق وتصاحب المراهقين ، ثم الشباب والكهول .. لا يجب أن يكون مغفلا اذهب ناده .. نعم جئت من أجل موضوعها وأجل بنت الخياط زيزي ، فهي تصحبه كل مساء لوسط المدينة .. فهذا أيضاً علمته .. السمعة شرف لنا

جاء الشاب وسلم متظاهرا بالكسوف وقد أدرك أنه لابد من المقابلة للحاج محمود ، وأنه لن ينصرف قبل تقديم إرشاداته ومعاتبته وقال : سمعتكم من الحمام

ضحك الجد وقال: طال حمامك

- أنا اغتسلت قد تعبنا اليوم

- لا بأس النظافة مطلوبة .. أنا أدرك أنك سمعت جل حديثنا ، وأنت تستحم يا ولدي .. هذه الفتاة من البنات الفاسدات في الحي .. ولست أول من ترافق ، وهي لا تصلح لك .. فأرجوك يا ولدي أن تحافظ على سمعة العائلة .. وإذا لم تعجبك عروس الشام بنت أخت امرأة أبيك فغيرها كثير .. فأنتم أمانة في رقبتي اليوم .. فبعدما أموت لا أدري تصرف الأسرة والأحفاد معكم .. لكن زواجكم من العائلة يدعم كيانكم داخل الأسرة .. وأنا سعيت لتزويجكم من بعيدات عن البلد لمصلحتكم؛ لأنكم غرب في العائلة.. وهذه معاني دقيقة عليكم إدراكها .. الود الذي ترونه مني قد لا ترونه من حسين وأولاده والبنات والأحفاد لكن زواجكم من بنات

العائلة يقربكم للعائلة في المدى القريب والبعيد .. فأبناؤكم من صلب العائلة ..والحي وغيره فيه الصالح والفاسد .. هذه عادة المجتمعات .. والزواج من فتاة زاغ بها البصر سيعود عليك بالدمار والخراب ومسخرة .. بعد حين ستجد عشيقا آخر .. انتهت رغبة الجسد فيدخل الملل والمنحرف سينحرف .. علاج الملل الانحراف من جديد .. ستجد عندها عشيقا يُسود عيشتك وقد تورط نفسك في جريمة قتل بسبب الغيرة والعصبية ؛ فإما السجن مدى الحياة أو الإعدام على أعواد المشانق .. وأنتم لا تعرفون أبو خروف مثلي .. في الحي شباب محترم .. موظف في إحدى الدوائر المهمة تزوج بنت ناس ـ كما فهمنا ـ وسكنوا في شقة في الحي .. وبعد حين استطاع شاب فاسد إفسادها إفساد الزوجة ، وأصبح يتردد على شقتها صباحا ..وقد أفسدها على زوجها.. وصلت إشاعات للزوج من الجيران ، وهو نفسه أحس ـ كما قال لي ذات مرة ـ أن زوجته تغيرت من ناحيته فقال : لم أعد أرى الحب الأول ، فظننت للوهلة الأولى أن ذلك بسبب الحمل .. فرتبت لها ولعشيقها كمينا .. فزعم لها أنه ذاهب للعمل كعادته ، وابتعد بالسيارة عن مدخل العمارة ، وظل يراقب حتى شاهد المشبوه له يدخل العمارة متسللا ، ثم عدت وأوقفت السيارة أمام العمارة كمن نسي شيئا ، وعاد ليأخذه .. وصعد لشقته مسرعا وفتح الباب بمفتاحه الخاص دون قرع الجرس الكهربائي .. وتسلل لغرفة نومه .. ورأى ما لا تحمد عقباه.. فأخرج مسدسه وأطلق النار على الشاب ، وأصابه في ساقه ـ وهو قاصد ذلك ـ وطلق المرأة فقال لها: لم أقتلك من أجل الجنين الذي في بطنك .. ولتبقي حائرة أهو لزوجك الشرعي أو لعشيقك ؟ وتابع الجد : وسلم نفسه للبوليس ، وقضى بضع سنوات في السجن ثم خرج، والشاب المصاب ـ يا جلال قد أصبح أعرج ، وتزوج وخانته زوجته ـ كما تدين تدان ـ ولم يقتل العشيق ، فقد قتله العشيق فقد كان مسلحا فسبقه .. وها هي أرملة منذ ذلك الحادث وسمعتها سيئة في الحي ، ويطرق بابها أهل الفجور ، ورحلت لحي آخر ثم عادت ـ كما تدين تدان ـ لا تنسى هذه الحكمة .. أنا نصحتك الآن .. وغدا رد عليّ هل نستمر في السعي إلى تزويجك أنت وشقيقك من بنات أخت أم محمود السيدة نورا امرأة أبيك أم تربط نفسك بهذه

الفتاة السيئة السمعة ؟

ونهض الرجل مسلما ومصافحا للجميع .. شكره نادر على مجيئه إليهم ، وعلى نصحه وقال ممتنا : لا نحب أن ننسى أفضالك علينا ، وأنك لم تحاول التخلص منا بأننا أبناء المرحوم ابنك ، وسنحافظ على شرفك وشرفنا

– أنت ابن عاقل يا نادر وشجاع .. بعد رمضان ـ إن شاء الله ـ سنبادر ونسارع في أمر الزواج

التمرد

لما غادر الحاج محمود الشقة ، وقد نصح حفيده بخطر مصاحبة الفتيات الفاسدات ، وعادت نادرة ونادر للجلوس في صالة الشقة بعدما أغلق الباب بالمفتاح ، فسمعوا جلالا ساخطا : هذا تحكم في حياتنا .. أنا لا أريد هذه الحياة سأترك الشقة وأعيش وحدي دون وصاية وحماية

كان نادر يسمع ويبتسم وقال: اجلس ، ولماذا الغضب ؟ الرجل ينصحك ويبين لك أن هذه المرأة سيئة السمعة .. والرجل يسعى لتزويجك لتستقر في حياتك .. وتعيش مثل سائر الخلق دون نزاعات ومخاصمات .. تعيش بسلام وسكينة .. يبدو أنك نسيت حياة الوديان والمغر عندما تقضي ساعات في مغارة حتى يسكت المطر ، وتتابع رعيك في المطر والحر .. وتنام في جوف الكهوف والتجاويف .. أنت اليوم ترقد في شقة وتنام على تخت ، وتجلس على كنبة .. وتأكل على طاولة .. الرجل ما قصر معنا .. كان باستطاعته أن يقول ما عرفنا بهذه الزواج مع السلامة

قالت نادرة : نعم ، الرجل كريم ومتعاون معنا ، وسمعته سمعتنا

صاح جلال : هذا تحكم وتسلط وسيطرة.. وأنا تعودت على الحرية وحكم نفسي والتفكير وحدي والتصرف وحدي .. وأنا حر بعلاقتي مع النساء والبنات.. وأنا أرفض الزواج من قريبته أو قريبتنا

قال نادر مشيرا له بالجلوس والهدوء: هذا كلام فارغ .. أنت ابن عائلة محترمة ..عليك أن تحافظ على تقاليدها كما كنت تراعي تقاليد العشيرة .. أكنت تستطيع الخلوة ببنت من بناتها حتى لو راعية غنم مثلك ؟ إذا لم يعجبك هذا الحال عد للرعي عد للصحراء التي تهددنا بها منذ جئنا إلى أبو خروف .. عد لتعمل بثلاثة دنانير في الشهر ..لا تعرف ليلا من نهار ..اليوم صرت تصرف ثلاثة دنانير في اليوم.. شقة لا تدفع في إيجارها درهما.. الأكل والشرب أغلبه من نفقة الحاج .. لا تنسى النعم التي تغمرنا ..وماذا سيفعل لك الخياط ؟ عشرة دنانير يعطيك في الشهر لا تكفيك تبغا .. يا نادرة خلص الراتب أعطني اشتري علبة سجائر.. تريد صرف مصروف البيت على البنات وبنت الخياط .. الملابس التي تلبسها يقدمها لها جدك .. تتكلم كأنك تملك

الألوف .. سأخرج واستأجر .. تريد مصاحبة الفتيات اعتمد على جيبك .. ستقول كما قلت من قبل فلوس أبي .. أبونا لم يترك فلوسا ولا بيوتا ؛ بل جدك هو الذي كان ينفق على نورا وأولادها.. ويسكنون في بيوته أو بيت عمك حسن والد دلال .. يا جلال عليك أن تعرف حجمك الحقيقي .. الجد قبلنا ولم يعقد الأمور في وجهنا.. فلا يجب أن نستغله .. فالرجل يحسن إلينا رحمة بنا ، وأننا من ذريته .. وإلا نحن شباب رجال يجب أن نعتمد على أنفسنا ، وسوف يسكننا عند الزواج في شقق عنده .. ويكتبها بأسمائنا حتى نستقل بحياتنا.. تذكر الخير الذي قدمه لنا خلال عام واحد .. تذكر ذلك وكل الإحسان ..أرجوك أن تبتعد عن هذه الفتاة وغيرها وتذهب غداً للجد وتتأسف له عن تصرفاتك الرعناء .. وتؤكد له رغبتك بالزواج من قريبتنا الشامية

ضحك جلال ولما انتهى من القهقهة : أنا !!.. أبدا لن أفعل ذلك.. وسأغادر الشقة وأعتمد على نفسي حتى لا أعد استمع إلى هذه الأسطوانة بين الحين والآخر

قال نادر متهكما : أنت تعتمد على نفسك ! نسيت أنك كنت تعتمد عليّ في رعاية الغنم وتوليد الغنم ..أنا لا أدري كيف ستعتمد على نفسك ؟! يبدو أن الأفلام التي حضرتها أثرت فيك ، وقلبت حياتك .. هي أفلام تذكر هذا

– أنا سأتزوج من هذه الفتاة السيئة السمعة

– آنت تتزوجها ؟ ومن سيزوجك إياها ؟! أمعك مال ؟ يظهر لي أنك جننت ، وظننت نفسك أحد عشاق التاريخ .. كيف ستتزوجها ؟!

– سأتزوج بدون مال

– أنت صدقتها بهذا الكلام الفارغ ..وحدثتها عن زواج الصحراء ببضعة دنانير وشاة وانتهى الموضوع .. هذا سخافة وحماقة .. جدك سيتخلى عنك

– أنا سأتخلى عنه قبل أن يتخلى عني .. أنا من الليلة سأفارقكم لا أربد العيش معكم

– الله الله هذه البنت لعبت بعقلك يا ولد !

قال بتحد : أنا لا أحد يلعب بعقلي .. إنها فتاة مظلومة .. والناس المريضة تردد الكلام السيئ عليها

- ولماذا لم تتزوج لليوم ما دامت شريفة ؟

- لقد تزوجت وطلقت مثل نادرة .. والمطلقة يصعب زواجها من جديد .. أعطني المبلغ الذي ادخرته عندك يا نادرة كم هو ؟ خمسون دينارا على ما أذكر

قالت بغضب مكتوم : لا ، أربعون فقط .. وأنا أقول اخز الشيطان .. وهذه بنت غير سوية لا تصلح لزواج

- هات المبلغ

ذهبت الفتاة ، وأحضرت المبلغ ، ورمته عليه قائلة : أرجو أن تستيقظ مبكرا وقبل فوات الأوان

- الآن سأذهب وأقابل الفتاة ، هل أدعوكم لحفل العرس ؟

ضحك نادر وقال ساخرا : عرس أين؟ في الخيمة أم في الشارع ؟!

غادرهم ساخطا ناقما، قال نادر بعد إغلاق الباب : عجيب أمر الفتى ! يبدو أن الأمر أكبر منه مع هذه الفتاة

خرج نادر صباحا لعمله ، وصحب شقيقته معه حيث يتركها عادة تصعد لشقة جدها ، ويتابع طريقه للمنجرة التي يعمل بها خلف الحي شارع السالم حيث تقع المشاغل والورشات ، هذه المرة لم ينصرف للعمل بل تابع الصعود مع أخته ، وفتحت لهم الجدة ورحبت بهم ، وأحضرت لهم الشغالة المؤقتة التي تساعد الجدة في التنظيف والتعسيف القهوة ، وعادت للمطبخ .. قال نادر: هل الحاج مستيقظ ؟

- صلى الضحى ، وقرأ القرآن ، ثم نام .. هل أوقظه لك ؟

- لا داعي .. نادرة تحدثه في الأمر وما جد .

ولما شرب القهوة غادر الشقة ، ولما استيقظ الحاج ، وجلس معها كاشفته بترك جلال للبيت بعد

خروجه ليلة أمس ، ومغادرته للحي ، فأسف السيد لذلك ، وقال : أمر مؤسف يا نادرة!.. على كل حال وقد رحل فليفعل ما يشاء ؛ لعله يخبر حياة المدن.. أمعه مال ؟

- كان مدخرا لدي أربعون دينارا فأخذها .

- سيعيش بها عشرين يوما على الأكثر.. أنا لا أعتقد أنه متعلق بتلك الفتاة يا نادرة .. هناك قصة أخرى لن نتكلم بها اليوم

- أهناك فتاة أخرى؟

- نعم ، هناك فتاة أخرى .. وإنما اتخذ هذه الغانية ستارا لعلاقته مع تلك الفتاة

- أتعرفها يا جدي؟

- نعم أعرفها .. قصدي أعرف أهلها .. أما هي ربما التقيت بها .. فهي بصراحة ابنة الخياط زيزي

- الخياط الذي يشتغل عنده جلال

- هذا الرجل معلم خياطة بمعنى الكلام ؛ ولكن أخلاقه ليست بالحسنة .. هذا الرجل بقيت عنده بنت أو عنده بنت في سن الزواج يريد تزويجها من جلال أفندي .. فكانت تنزل لهم الشاي وتجلس معهم في المخيطة حيث أنها تحت شقته .. وكان يسمح له بالصعود للغداء معهم .. ولما رأى حضرة الخياط أن حيلته لم تنجح ، وعلم أنني مصر على رفض هذا الزواج وسأزوجه من سوريا ، عملت ابنة الخياط حيلة أخرى زاعمة له أن والدها لا يعرف بحبهما ، واستعانت بالفتاة الفاسدة ، وطلبت منها التعرف على جلال والخروج معه لوسط المدينة والسهر والسكر ؛ ليظهر الخياط لنا أن ابننا هو المتعلق بابنته .. ونحن نعتقد أن الشاب تعلق بهذه الأنثى ، وفجأة ستختفي ابنة الخياط ، وسيقوم بتبليغ الشرطة ، وسيقبض على جلال وهي معه ، ويتزوجان رغم أنفي لدرء الفضيحة .. فأنا حذرته بيني وبينه ، ثم اضطررت للمجيء إليكم لأحدثه بتلك القصص أمامكم حتى لا تلوموني غداً .. لم اقصص تلك القصص للتسلية .. إنما هي تحذيرات وتنبيهات لجلال ..فالناس تشفق عليه .. فهو غشيم ـ كما نقول في عرفنا ـ في المدينة وفي ألاعيب النساء..

وهذا الكلام وصلني من أحد جيران الخياط من كلام امرأته لزوجة الجار .. لعبة ماكرة .. سيصدق جلال أن بنت الخياط تحبه ، وهربت معه تحديا لأهلها .. والرجل صارحني منذ أول شهر عمل معه جلال بهذه المصاهرة ورفضت

- وهل يقبل جلال ؟

- عندما يتورط معها بما يجري بين الأزواج سيقبل مرغما .. وبدأ من قصتك تنفيذ الخطة .. والخياط لا يستطيع تزويجه إلا بهذه الحيلة السخيفة .. فجلال صدق أنها مغرمة به .. على كل حال نرجو له السلامة .. مكر النساء مخيف إذا سيطر عليهن الشيطان .. وقد تستطيع الفتاة التي تمثل دور الوالهة بأخيك أن تمكر بهم جميعهم ، وترفض أن تتخلى عنه لبنت الخياط .. لكن تأكدي لا تطول عيشتها معه

بعد أيام من ذهاب جلال عن الحي جاء الخياط للحاج زاعما له أن ابن ابنه الهارب عن العمل شجع ابنته على الهرب معه ، وأنه تقدم بشكوى للشرطة ، لنقطة شرطة أبو خروف فقال محمود بغضب واضح على وجهه: مبارك عليك الولد يا أنيس .. أما زواج فلن اعترف به .. هذه حيلة ومكر مكرتموه .. أنا أرفض مصاهرتكم ونسبكم

قال الخياط محاولا توضيح الموقف : يا حاج هو الذي مكر بالبنت   وعشقها من ورائي زاعما أنه يحب الشغل معي ، وأنني مثل والده الميت ، ثم يخونني ، وقد أمنته على دخول البيت والحديث مع البنت في المخيطة والشارع.. لن ارحمه ، ولن أقبله زوجا لابنتي .. وسأجعل الأولاد يشربون من دمه .. ستغرق الحارة بالدم يا حاج محمود .. أهلي ناقمون عليه.. فهو أهان كل العائلة .. وستعرض البنت على الطبيب الشرعي .. وستكون فضيحة مدوية في أبو خروف

تبسم الحاج وهو يقول : فضائح أبو خروف كثيرة ..وستمر هذه الفضيحة كغيرها من الفضائح مرور الكرام .. قلت لك زواج ابنتك من حفيدي غير مقبول .. ولا يمكن الرضوخ لحيلتك .. الله يستر على نساء المسلمين

- أتمنى أن لا يحدث بينهم شيء سيء .. فالعرض غالي يا أبا حسن .. أنا اتهمته لأنه هو هددني بفعل ذلك



الحاج محمود كما عرفنا من خلال سطور القصة أنه سكن الحي من عدة عقود ، فتراكم عنده مع الزمن تاريخ العائلات والأسر وظروفهم وحياتهم وأخلاقهم وقصصهم ..والقصة الحية معروفة للناس ، ويذكرونها عندما يفتشون عنها ، ويضربون بها المثل .. فمثل حيلة الخياط معروف في الحي وغيره .. فمنذ بدأ جلال يتحدث عن ابنة الخياط للزواج منها ، أدرك الحاج أن وراء الأكمة ما وراءها .. وأن الخياط يسعى لتزويج ابنته من حفيده .. وتحدث الخياط معه بصراحة في زواجهما ، ورفض محمود النسب بصراحة ، وظهر أنه مصر على زواج هذا الصحراوي حفيد الغني محمود من ابنته .. والحاج الخبير بالرجال رأى بنظره أن مصاهرة الخياط غير مناسبة لعائلته وأسرته ؛ لسمعة الخياط السيئة في أبو خروف ، فقد شاعت في فترة من الفترات قصص عن مغامرات لزوجته لا تسر البال ، ثم خفتت ، فلم ير أن مناسبة الخياط مقبولة في مقياسه ومحافظته الصارمة .. وكان مرتابا في دعوات جلال للأكل مع أسرته ؛ ولكنه صمت والذي كان يهمه تعلم الشاب لهذه المهنة .. فالرجل خياط ماهر بحق ، ولم يفطن إلى مكر الرجل وصيده لحفيده ، ووعى لمقصد الخياط فيما بعد .. وحفيده ساذج فهو تربية الصحراء حيث القسوة والخشونة ، لا يعرف الغزل الناعم واللف لاصطياد عريس .. والحاج محمود حاول استخدام الحكمة حتى لا يغضب الشاب .. ويصر على نكاح بنت الخياط .. واستعان بصديق بجوار الخياط فعرف بمكرهم .. والجار أدرى بجاره .. فكان جلال يظن أن الفتاة تحبه وتعشقه وتريده من وراء أبيها وأمها .. فالخياط جعل من نفسه أعمى .. والفتاة أقنعته بجهل

أبيها .. فعملت على أنه صديق لتلك الفتاة المعروفة بالفجور بين الناس ..وصار يسهر معهن في شوارع وحدائق المدينة .. وهمسن له بترك الحي .. واستغل ليلة كشف أمره أمام أخويه ، وغادر الحي ، وعمل في مخيطة في وسط المدينة أرسله إليها أنيس قبل شهر من الهرب أو الرحيل الاختياري .. ونام في فنادق شعبية قبل أن تجد له فتاة الحي بيتا من غرفة واحدة في حي عشوائي ملاصق لحي يسمى برغوث.. وأصبحت فتاة أبو خروفكأنها زوجه شرعية له .. تهبط الليل عنده ، وتغادر قبل الفجر ، ثم اختفت بنت الخياط عنده ، وعرفت بالعلاقة الجنسية بينه وبين الفتاة الثانية ، وأن الرجل لا يهمه شرف ولا زواج .. وتابع والدها الاتهام والبحث عن جلال ودخل رمضان والبنت مختفية ، ويدعي والدها أنه يبحث عنها .. والحاج محمود يرفض التعاون في البحث عن حفيده ..والشرطة عاجزة من الوصول إليه أو لا يهمهم الأمر كثيرا .. وكانت القصة تتفاعل في الحي .. وطلب الخياط من نهى بعد تمكنه من رصدها أن تبلغ الشرطة عن بيت جلال .. فرحبت بذلك لتخلص من ابنته .. وقبضت عليه الشرطة والفتاة في بيته .. وأنكر أنها خطفها ، وأكد لهم أنها أتت بنفسها ، وأنه يعمل في مخيطة في وسط المدينة ، والفتاة تشتغل في مخيطة نسائية ، وإنما تبات في بيته ، وأمام الشرطة طالب الخياط زيزي الشاب أن يتزوجها سترا للفضيحة ، ولم يرفض جلال ؛ ولكنه قال: أنا لا أملك مالا للتزوج به ، لا أملك إلا ما أعمل به وأنا لا أراها تصلح زوجة لي .. وأنا نصحتها أن تعود لبيت أبيها

صرخ أنيس وصاح وهاج وصوت ثم سمعها وهي تقول للضابط : ذهبت من البيت بنفسي دون ضغط يا أبي لست صغيرة

لطخها والدها لطمة وقال بغضب : أنت عاهرة .. في بنت تخرج من بيت أهلها .. وتبات في الشوارع .. وتنام عند الشباب .

وأنهت الشرطة القضية بأن تعود الفتاة مع أبيها ، وقال جلال : سأفكر بالزواج منها إذا أحببت يا أنيس ..أنا أدركت لعبتك الخبيثة .. نهى تكلمت

– ما دام هربها معك لعبة فلماذا تنام معها ؟

- عاشت معي ..ولم أعاشرها يا معلم أنيس .. اذهب وأعرضها على الطبيب الشرعي .. لم أمسها .

وأكدت الفتاة رفضها الحياة معه كعشيقة ، ولم يحدث بينهما اتصال جنسي ، فحولت للطب الشرعي ، وبعد الفحص تبين لهم عذريتها ، وأنها ما زالت بكرا ، فرجعت للبيت مع أبيها ، وقد تعهد والدها لقائد الشرطة بأن لا يتعرض لها بأذى وضرب ، ورجع جلال لغرفته ، ولما سألها أبوها عن سبب فشل الخطة قالت : فازت به نهى قبل أن أصل إليه .. كانت عشيقة له ، وقبلته بدون عقد وشرع ، وأنا رفضت ذلك .. فقال : تستمرين في خطة أبيك ؛ لتعودي للبيت عن طريق الشرطة حتى يعرف الناس أنك شريفة وطاهرة من أجل سمعتك

- وتلك ؟

- سيتزوجها قانونا وشرعا ..فقد أحبها كم يزعم ، ولن تكون إلا له ، وهي قبلت بذلك

- وأهلها موافقون !

- ولماذا يرفضون عندما يناسبون الحاج محمود بط ؟

- لن يتعرف عليهم الجد

- الزمن دواء لكل مصيبة .. فكان من الصعب عليّ تسليم نفسي له لما وجدتها تعيش معه كزوجة وهو يريد ذلك

- يا لك من ماكرة !

- كان لابد من متابعة الخطة حتى لا يتلطخ شرفي به دون فائدة .. على كل حال سأتزوج قريبا

- كيف ؟!

- صاحبة المخيطة التي عملت معها هذين الأسبوعين لديها شاب يعمل معها استلطفنا بعضنا البعض .. بعد رمضان سيتقدم لطلب يدي منكم.. وهو غريب ليس من أهل البلد عامل وافد وهو خياط ماهر مثلك .. حدثني عن الزواج فقبلته

- قد يسافر فجأة كما نسمع

- يسافر ! نجد غيره .. الشاب جميل ورائع وأحسن من جلال مليون مرة باعني من أجل غانية ومن أجله توقفت عن إغراء جلال

- تربية أمك



استطاعت نهى إفساد حيلة الخياط ، وتمكنت من السيطرة عليه ، وسلمته جسمها بدون عقد زاعمة حبه وغرامها العارم به ، وصدق المسكين هذا الكلام المعسول ، ولم يكن يسمع به في الصحراء حيث الخفر والحياء ، ومع موجة الأفلام الإباحية والمثيرة الغرائز استسلم لعشيقته وأفكارها ، ولما انتهوا من قصة بنت الخياط أحضرت والدها ، وعقدت على جلال زواجا شرعيا ولم يكن أمامه الرفض ، فقد أحبها كما زعم لنا فيما بعد ، وكانا يأملان بأن يصفح الحاج محمود عنهما بعد حين وتعود المياه لمجاريها ، وتابع الشاب شغله ، وأصبح خياطا ويجيد الشغل ، ورجع ذات نهار للبيت في منتصف النهار ، فقد أصابه إرهاق لضغط الشغل أيام الأعياد ، أو قل قبلها ينشط الشغل والخياطة فيسهرون للفجر ، فأصيب بإرهاق ودوخان فأخذه صاحب المخيطة إلى طبيب قريب من المخيطة ، وعالجه ووصف له بعض الدواء ، فاشتراه له الخياط من إحدى الصيدليات ، وأركبه تاكسي أجرة لبيته ، ولما طرق الباب فتحت له زوجته ـ وهي لم تكن تتوقع مجيئه بمثل الوقت من النهار حسب العادة ، هو لا ينقطع عن الشغل إلا يوم الجمعة فقط والأعياد الدينية ـ فتفاجأت وهتفت جزعا: جلال !

فدفع الباب داخلا يقول : مريض .. كنت عند الطبيب .. وتابع اندفاعه إلى غرفة النوم الغرفة الوحيدة في البيت ، فوجد رجلا فيها فقال مصعوقا: من أنت ؟! كان آملا أن يكون عما خالا لامرأته رغم وضعه المريب ، فقالت امرأته ولحقت بها : صديق قديم

فاستدار إليها وقال بغضب مكبوت : ألم تعاهديني منذ صرنا أصدقاء أن لا تخونيني ؟ وصاح

في الرجل : من أنت ؟

ارتدى الرجل قميصه وقال : أريد الخروج. وحاول إزاحة جلال من الطريق وقال: زوجتك ستخبرك من أنا .. أبتعد ...

نظر جلال إليها من جديد وقال : من هذا العشيق ؟

نظرت إليه باستهتار وقالت: قلت لك صديق قديم صدفته .. دعه ينصرف ، ولا داعي للصياح غداً صباحا نكون أمام المحكمة

صاح فيهما غضبا وحقدا : لا ، أنا لست ابن المدينة ، أنا ابن الصحراء .. الزنا يعني الموت الأحمر أنت تعرفين من أنا ؟! .. أنا لا أقبل أن أجد في بيتي رجلا واصمت .. أنا ابن الصحراء!

ضرب الرجل لكمة مفاجئة على وجهه فسقط على الأرض ، وأسرع جلال للمطبخ ، وقبل أن يفوق الشاب من الصدمة كان جلال يعود ، وهو يحمل سكينا حادة وقال : سأقتلكما .

وكان الشاب قد تمالك نفسه وتناول تربيزة ـ طاولة صغيرة ـ وقال هياجا : أنا الذي سيقتلك

صاحت الفتاة فيه : لا تفعل !

فصاح جلال : أخائفة عليه أم عليّ يا خائنة ؟! وهجم على غريمه ، فابتعد الشاب عن طريقه ، فوقع جلال أرضا ، وضربه الرجل بالطاولة على رأسه عدة مرات ، ولم يستطع جلال النهوض، وتمدد على الأرض ، وقال بصوت مخنوق غاضب : سأقتلكم ولو آخر في يوم الدنيا

لملمت الفتاة ما يلزمها من ثياب وأشياء ، وغادرت وعشيقها الشقة أو الغرفة ، وبعد حين يسير نهض مترنحا وهو يقول : لم أسمع لنصائح الجد .. تلك اللعينة كانت تخونني وتشتري الكحول والدخان لعشاقها على حسابي .. لقد كان نادر أعقل مني!

غادر البيت إلى أحد الأطباء الذي أمره بالذهاب إلى قسم الطوارئ في المستشفى العام ، وزعم لهم أنه تعرض لمشاجرة ، وانهال عليه الشباب بالعصي ، وبعد إجراءات وإسعافات أولية وضرورية غادر المستشفى ، واتصل من تلفون بمحل جده وعمه سائلا عن أخيه نادر .. فرد عليه حسن ابن حسين لما عرف بنفسه : نادر تزوج من شهرين ، وسافر للشام ، وذهبت معه

نادرة ؛ لتتزوج هنالك ..ولهم أكثر من شهرين مسافرين .. وأنت ما أخبارك ؟

- إنني في شر وحياة مؤلمة ..إذن نادر تزوج في الشام .. أين جدي ؟

- في بيته أتريد منه شيئا ؟

- أريد أن أراه أين عمي ؟

- مر علينا .. عمك الآن مع جدك لزيارة أخيك محمود المريض في المستشفى

- أخي في المستشفى ! أي مستشفى؟

ذكر له اسم المستشفى الذي يرقد فيه أخوه محمود ، عاد لغرفته وقضى الليل يتقلب من آلام الضربة ، ولم يذهب للعمل ، وبعد أيام ثلاثة أزال اللفائف والضمادات عن رأسه المشجوج وعن وجه ، ولما حان وقت الزيارة في المشافي ذهب لزيارة أخيه بعد أن عاود الاتصال بالمحل ليسأل عن أخيه السقيم ، ووجد حول السرير زوجة أبيه نورا وجده محمود وجدته خديجة وغيرهم ، فسلم عليهم وعانق جده قائلا: أنا آسف جداً يا جدي ..ومشى إلى سرير المريض وقبل جبينه ودعا له بالسلامة : الحمد لله على السلامة يا أخي العزيز .. كيف حال امرأة أبي ؟ وقضى دقائق في السلام والمجاملات والدعوات .

وسمع جده يقول: سمعت أنك طلقت زوجتك نهى بنت العقاب .

بكى الشاب بصوت مرتفع وقال بعد هدوء نفسه : ليتني سمعت نصحك واستوعبت قصصك تلك الليلة ..كنت أحمق يا جدي ! .. وكما نقول ذيل الكلب عمره ما يعتدل لقد خانتني رغم الأيمان والأقسام التي حلفتها أنها لن تدخل بيتي عشيقا أو صديقا

قال الحاج : الحمد لله على السلامة ..سمعنا أنك تعرضت للضرب من صاحبها

ازداد نحيبه وشهيقه وقال : نعم ، فوق الخيانة ضربوني ، وغدروا به.. وأقسمت بالله إني لهما قاتل

- يا ولدي لا تقسم .. ما دمت قد طلقتها.. فدع غيرك ينتقم لك .. تقتلها وتقضي حياتك في السجن .. النساء كثير .. اجتهد أن تعود لمَ كنت عليه قبل زواجك ..واحمد ربك أنك نجوت منها ومن الخياط .. وابنته لقد تزوجت

- أعرف ، والتقيت بزوجها قبل أن تتزوجه .. شاب مغترب

قال الحاج مرشدا : السعيد من اتعظ بغيره يا جلال .. قال الرسول صلى الله عليه وسلم : اظفر بذات الدين تربت يداك .. وأنت للأسف ما كان لي عندك شأن

- قاتل الله الجهل!

- الجهل يزول بالعلم والمعرفة وسماع المشورة

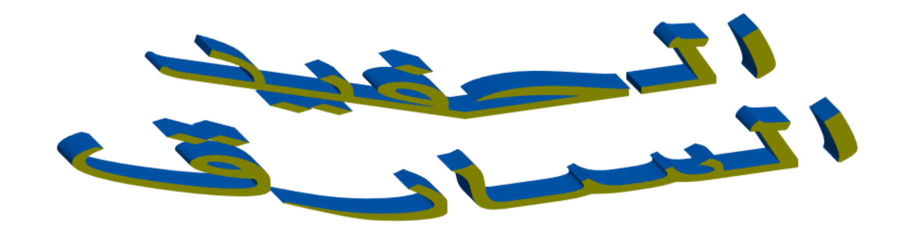
- صدقت !!

تمت الحكاية السادسة

خرج الزوج لصلاة الفجر في المسجد كما اعتاد ذلك
لما رجع البيت وجد المرأة معتدى عليها
ومجوهراتها مسروقة والمشتبه به حفيدهما
وتبين في التحقيق أنه لم يكن على مسرح
الجريمة كان معتقلا في قرية بعيدة على أثر
مشاجرة عائلية
ولما قتل الحفيد ظهر الحق وأنه هو السارق
لجدته

هذه هي الحكاية !

١٩٧٦



حادث سرقة

كانت جمهرة من الناس متجمهرة أمام مدخل بناية من بنايات أبو خروف ذاك الصباح البارد ، وذلك عند بداية طلوع الشمس ، وكانت سيارة شرطة تقف أمام البناية ، وكان أحدهم يقول لجار له: كيف دخل اللص الشقة؟!

رد الجار الموجه له الاستفهام : يقولون إن المرأة أم عسود قامت تصلي الفجر فشعرت بحركة داخل البيت .. فذهب بالها أن أبا عسود لم يمش للجامع بعد ، فأخذت تناديه بصوت مخفوض ثم تذكرت أن أبا عسود أيقظها للصلاة ومشى للمسجد كالعادة .. وذكرت أنها سمعت صوت الباب يغلق .. وبينما هي تفكر بذلك شعرت بحركة شخص معها في الغرفة ثم ضربها أحدهم بعصا على رأسها .. فصاحت صرخة مرتفعة ، وسقطت على السرير الذي كانت تجلس فوقه تستعد لدخول دورة المياه للوضوء والصلاة ؛ فكأنها لما خرج أبو عسود غفت .. ولما عاد الرجل من بيت الله ـ قبل قليل ـ وجدها غارقة في بحر من الدم ، وفاقدة الوعي ، ووجد أن صندوق ذهبها وما لها فارغا .. فاتصل بابنه عمار .. وجاءت سيارة المستشفى ، ونقلوها للمستشفى ، وجاءت الشرطة للتحقيق في الحادث

- ابنهم عرجون أين هو؟!

- عرجون في رحلة جامعية مع طلاب جامعة لمدة ثلاثة أيام .. واليوم مساء سيعود من رحلة الجامعة ، فلذلك يقول أحد الضباط : إن السرقة مدبرة ، اللص يعرف فراغ البيت من عرجون ومن أبي عسود .. وربما يوجد أكثر من حرامي لوجود أثار أحذية لأكثر من شخص على الأقل شخصان .. الغريب أنهم كيف دخلوا البيت؟! والباب يغلقه أبو عسود خلفه ، وذلك من زمن طويل .. وهل زلفوا للبيت قبل خروج أبي عسود للجامع أم بعد خروجه ؟ فيقول حضرة الضابط : المخطط لهذه السرقة يعرف البيت ونظام الحياة فيه ؛ كأنه عاش فيه .. ويعرف أين تضع المرأة الفلوس؟ وما هي؟! مع أن أكثرهم يعرف أن النساء تضع مجوهراتها في الخزانة الخاصة بالثياب ، وفي غرفة النوم .. لكن السر كيف عرفوا بسفر عرجون ؟! جريمة جريئة

ومرتبة ، وكان هدفهم السرقة ، واضطروا للاعتداء على أم عسود لما أحست وشعرت بهم ، وبقيت في الغرفة لم تخرج للوضوء والصلاة ، فدهمهم الوقت ، وخشوا عودة أبي عسود .. وأخبر ابنها الكبير أن لا خطر عليها .

وهكذا كانت الجمهرة تتحدث عما سمعت ويحللون ويفسرون ما يتردد من معلومات منذ اكتشاف الحادث ، ولما انصرف رجال الأمن تفرق الناس إلى منازلهم أو أعمالهم ، وقال أحدهم لعمار ابن أبي عسود : الحمد لله على سلامة الحاجة أم عسود .. عساها بخير ..الشرطة عرفت الجاني؟

– شكرًا ، سلمكم الله .. أمي بخير .. لم تكن الضربة بالقوة القاتلة .. كانوا يريدون إسكاتها .. الله ستر ..الحمد لله .. أرجو أن لا تروا مكروها .. ويرى الشرطي أنها ضربت حتى تعرف اللص لأنها لو رأت السارق ستعرفه .. فكان لابد من ضربها حتى لا ترى أحدهم .. ويرون أن اللص أو أحدهم قريب من الأسرة أو الجيران .. له معرفة بنا .. وبصراحة أقولها لكم أنهم يشكون في ابن اختنا عزيزة ..حفيدها .. فهو كما تعلمون شابا منحرفا فاسدا .. وسيبحثون عنه .. فكثير من الدلائل تشير إليه ، فهو معروف للشرطة ، وهو يعرف البيت ، ويعرف صندوق مجوهرات جدته أم عسود ، ويعرف أن جده يخرج للمسجد لصلاة الفجر ، ويستطيع أن يعرف أن عرجون في رحلة جامعية خارج العاصمة .. وأخيرا أقول .. الله أعلم ، والسلام عليكم

فقال آخر له معرفة بالأسرة : والله هذه أدلة دامغة يا عمار ؛ ولكننا نعلم أن جبيرا بعيد عن الحي ومطرود من بيت والديه منذ أشهر .. من آخر مشكلة كانت له مع أبناء حفيظة ، كيف قلد مفتاح بيت الوالد؟

– الفاسد يا صلاح يستطيع تدبير أمره .. وأنا قلت لكم الشبهة أو الشرطي لمح لي بذلك ، ويظن هذا .. أما نحن فلا نعرف من فعلها بالضبط ؛ إنما هو احتمال وقرائن، وسوف يأخذون البصمات عن الصندوق المفرغ من ذهبات أمي .. مع أن صغار اللصوص يخفون بصماتهم اليوم ، فلبس جوارب أو كيس لا تظهر البصمات .. فالبصمة من الأدلة الدامغة على وجود الفاعل على مسرح

الحادث .. والذهب المسروق قيمته خمسة آلاف دينار مع المال .. تحويشة العمر كما يقال.. ومنذ سنوات تعرضت لمحتالة لولا لطف الله



عند مغيب الشمس رجعت أم عسود لبيتها يصحبها زوجها وأولادها ، ولما استقرت في غرفة نومها تركوها تنام ، وجلسوا في صالون البيت ، وقالت عزيزة لشقيقها عمار: أصحيح أن الشرطة تشتبه في جبير ؟

عرض عمار ثانية القرائن التي تحدث بها أمام الجيران ساعة الصباح بعد نقل أمه للمشفى قال : هذه أقوال الشرطة .

فقال زوج عزيزة السيد محمد : ولكنّ جبيرا كما تعلمون مطرود من الحي من شهرين ونصف والباب لم يستخدم العنف والقوة لفتحه .. فقد فتح بمفتاح فكيف وصل المفتاح إليه؟!

قال عمار: بعدما عدت للبيت ، تكلمت مع ضابط الشرطة فقال: إنهم يتابعون شقته ، ويبحثون عنه ، فهو لا يوجد في بيته ، وزوجته قالت لهم : إنه متغيب عن البيت من أيام

فتساءلت حينئذ عزيزة: هل السرقة مرض يا جماعة؟!

فلم يرد أحد فجبير ابن عزيزة ومحمد معروف لدى الأسرة بذي اليد الخائنة ،.. وبعضهم يقول [ايده طويلة] يقصدون بها الحرامي اللص .. وقد يقصد بها [هذا الشخص واصل ويطول كل شيء حتى عند السلطان].. والحديث قال[اليد العليا خير من اليد السفلى] أي اليد المتصدقة المعطية .. وتعرض الشاب للسجن بسبب ذلك ، ولم يردعه حبس عن تكرار السرقة ، فهو معروف لدى دائرة الشرطة والبحث الجنائي ، وكما يقال صاحب سوابق .. فهو يسرق كل شيء يتحول لمال بسهولة .. فسرق مالا من دكاكين ومتاجر وأسطوانات غاز منازل ملابس وأحذية أدوات منزلية وكهربائيات ، ولما قضى آخر عقوبة زوجه والده وعمل له مصلحة تجارية يعتاش

من العمل فيها ؛ ولكنه سرقها وخسرها ، فطرده أبوه ، وطلب منه أن لا يتراءيان ، فرحل إلى حي كرمانة [اسم حي زوجته] التي عرف أخاها أثناء وجوده في السجن ، فجبير هو المشتبه به عند الشرطة ، وأهم نقطة لصالحه هي كيف وصل إليه المفتاح ؟ مفتاح الشقة لا أحد يذكر أنه أوصل إليه المفتاح ليقلده .. الشرطة كما ظهر لعمار تراه المتهم الأول في هذه القضية للطريقة والظروف التي حدثت بها السرقة ، فهم جادون في البحث عنه ، فوضع بيته تحت المتابعة الأمنية الشرطية ، فالقضية ليست قضية سرقة فحسب فهناك جريمة شروع في القتل .. ومما يذكر أن جبيرا بدأ يسرق صغيرا ، وهو في أول سنوات المراهقة العمرية .. كان يسرق القليل لشراء السجائر .. فبعض الباعة يبيعونها بالسيجارة والاثنتين لامتصاص مصروف التلاميذ الذين يحبون أن يقلدون الآباء المدخنين ، أو الشباب الأكبر منهم سنا ؛ ليعترفوا بهم كبارا مثلهم ؛ كأن السيجارة تجعل الشخص أكبر من عمره الحقيقي ..إنه جهل عقيم .. وطفق الفتى لا يكتفي بسرقة المال القليل ، فصار يسرق الدخان نفسه بغفلة عن البائع ؛ ولكن البائع يعرف بعد حين من السارق .. فالسبب مكشوف ، وأقرانه الذين تباهى أمامهم بالسرقة يقرون لصاحب الدكان باسم اللص .. تعرض للعقاب من قبل والديه .. يهرب لبيت جده زاعما الخوف من العقاب ولم يفد العقاب والضرب في العلاج .. وسرق الطلاب ، وتعرض لعقاب من مدرسه.. ولما وصل الإعدادية غادر المدرسة لسوق العمل لبلادته وعدم اقتناعه بجدوى التعليم ..فبدأ العمل مع بليط ـ الرجل الذي يبني بيوت الناس بالبلاط والرخام ـ ثم سرق آلة قص البلاط وباعها .. واكتشف المعلم جريمته فطرده شر طردة بعد أن خصم من أجرته ثمن هذه الآلة ، والباقي من والده محمد .. ولم يكترثوا لإنكاره وأيمانه ، فهو صاحب سوابق ، وانتقل للعمل في بقالة وخان البقال ، وكرر السرقة المال والدخان ، واكتشف الرجل النقص فطرده كسابقه ، يختفي عن بيت العائلة أياما ، ويأتي زاعما الندم ، وظل على هذا الحال حتى قبض عليه وحبس أشهرا لسرقة بيت وخرج بدون فائدة ترتجى من صلاحه ، ثم يحبس لحادث جديد حتى بلغ العشرين ، ولم يتحسن الحال وظل معوجا ، فوافق والده أن يزوجه بعد خروجه من محبسه لعل وعسى ، وكان للشاب

رفيق سجن وسرقة ، فلما رأى أنهم يرغبون بتزويجه فقبل على أن يتزوج أخت صديقه ، فقال والده بعد تردد : هي امرأة كسائر النساء .. أخت حرامي أخت حرامي .

كان الأمل أن يتحمل مسؤولية بيت ، زوجة ؛ ولكنه ظل يسرق من يحسن إليه ، ويقبل أن يعمل عنده ، ووصل به الهوس في السرقة أن سرق أسورة لأمه وباعها .. فاضطر والده لطرده من البيت ورفض حياته في كنفهم .. فرحل غير آسف .. فسكن في حي له فيه رفاق عرفهم أيام السجن .

فلما سألت عزيزة أم جبير السؤال هل السرقة مرض ؟ صمت الجميع .. ثم قال عمار بعد نظر وصمت طويل : هي ليست مرضا ، وربما مع الوقت والزمن تصبح مرضا بحكم العادة ، أو عادة يصعب التخلص منها ..وجبير للأسف معروف لدى الشرطة ـ سوابق كما يقال ـ لذلك وجه إليه الاتهام والاشتباه .. والقضية قضية وقت ، سيمسكون به اليوم أو غداً .. لما تزوج فرحنا قلنا لعله يعقل .. وها هو له طفل .. ولا أدري بأي حجة يستحلون مال الناس

نهضت عزيزة وهي تقول: هيا يا محمد الحمد لله على سلامة أمي يا أبي .. أنا إذا ثبت أن اللعين فعلها سأصاب بالجنون .. وهذا حال لا يسر ولا يبشر بخير .. سيقتل أحد الناس في يوم من الأيام من أجل المال

تنهد محمد أسفا وقال: فعلا ، هذا لا يبشر بخير .. الحمد لله على سلامة أم عسود ـ إن شاء الله ـ ترجع ذهبات أمنا الغالية ، وأن تقبض الشرطة على الجاني ، وإذا ثبت أنه المجرم فلا يمكن أن أسامحه ، أو يناطق لساني لسانه

قال أبو عسود بحزن عميق : أتمنى أن لا يكون هو .. من شهور لم أره



رجع محمد وعزيزة البيت يغمرهم الحزن والهم والرجاء ، فهم يعيشون في حي التوتة ، وجلسوا يتناولان العشاء أو ما تبقى من العشاء ، قالت البنت الكبرى هند : كيف الجدة ؟

ردت الأم طالبة : عملت الشاي

- نعم ، ستأتي به عبلة

- عادت الجدة من المشفى للبيت قبل قليل .. لقد ضربها الحرامي بعصا مساحة المطبخ (قشاطة ماء) على أم رأسها ، وسرقوا القرشين

- اتصل خطيبي يسأل عن الجدة وعن صحة الخبر .. فقال : ألا تعلمين أن عمي عبد القادر من سكان أبو خروف ؟ عرف من أبناء عمه المأساة وعرف أنهم يشتبهون بأن الحرامي جبير ، أصحيح هذا؟!

قال الأب بألم وهو يتناول كوب الشاب من صينية عبلة : نعم ، يشكون فيه ، وهو غير موجود في بيته .. هذا الولد قسم ظهري .. إنهم يتحدثون أن عما لي مات قديما كان يشتغل لصا كجبير يسرق المواشي من القرى والمزارع قبل أن نسكن المدن ونترك الزرع والضرع .. وقتل وهو يسرق ثورا من أحد الفلاحين .. وأهدر جدي دمه .. ولم يأخذ ديته لما ثبتت إدانته .. هل يا ترى يا أولاد السرقة لها علاقة بالوراثة؟ .. هل تعلم شيئا حول ذلك يا محمود يا فهيم ؟ فأنت دائماً تقرأ الكتب والمجلات

تبسم محمود وحسّن جلسته ، ووضع كوب الشاي على المنضدة التي أمامهم ، وأجاب: لم أقرأ أن اللص يرث اللصوصية بعامل الوراثة شيء مخلوق في الجسم .. رغم أن بعض علماء الجريمة يرون أن للعامل الوراثي دورا في الجريمة مع ظروف بيئية معينة .. فقد حاول بعضهم المقارنة بين الآباء والأبناء وبين الأخوة بالنظر إلى سلوكهم الإجرامي للتدليل على وجود ميل موروث إلى الجريمة ، وبين من عدة مقارنات إلى نسبة عالية ؛ ولكن نظريته وأفكاره لم تسلم من النقد .. فعلماء الاجتماع والجريمة فكروا ودرسوا العامل الوراثي .. ولكن هذا في بلادنا صعب التأكد منه ، وأن نذهب هذا المذهب .. فالعامل البيئي ربما أقوى في الجريمة من العامل الوراثي .. ففي العصابات القوية والمنظمة قد يلعب الابن والأقارب دورا في نفس العصابة .. كما نسمع ونقرأ عن عصابات أمريكا والمافيات ..فهؤلاء العصابة عندهم كشركة يتوارث الأبناء الأجرام

والسيطرة والانتقام .. فهي عصابات أسر .. وهذا كما يتوارث أبناء بعض الأسر المهن والحرف والتجارة .. فتجد بعض الأبناء تعلموا مهنة الآباء ، وحرص الآباء على نقل الحرفة وأسرارها لبعض الأبناء .. أما السرقة والبغاء والربا فكل واحد على ذنبه

– كلامك جميل ! ها هي القراءة أفادتنا إذا ظهر أن لجبير يدا في هذه القصة ستكون كارثة فها هو أخذ يستعمل العنف أثناء إجرامه

قالت عزيزة : كيف فتح الباب ؟! وقد قال عمار: إن البيت فتح بمفتاحه دون عنف

ـ هذه هي النقطة التي في صالح السيد جبير ، أما معرفة خروج الجد فسهلة من المراقبة .. ومعرفة وقت رحلة عرجون وعدم وجوده في البيت عند السرقة يدل على معرفة اللص لذلك فالحادث يدل على عمل مرتب ومدبر

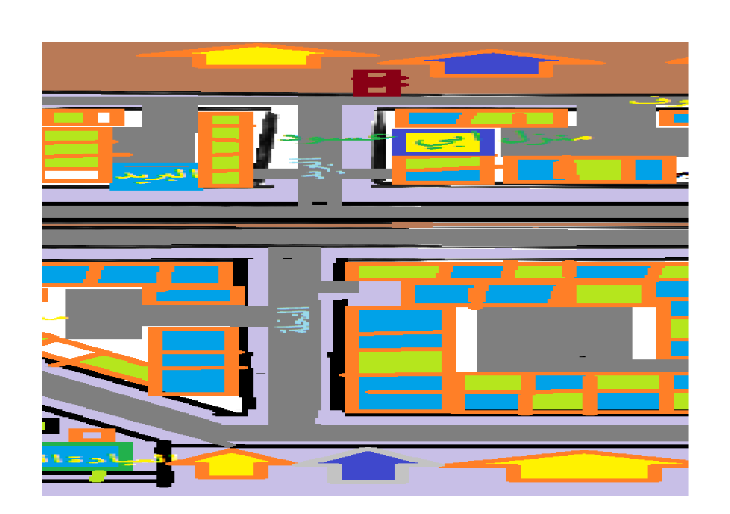
فقال محمود :أكيد هذه إمارات دالة على أن اللص يعرف الدار ، ومكان المال .. ولجبير سابقة في سرقة أمه كما تذكرون .. وهذا الشاب معضلة تحتاج لحل .. الحبس لم يقومه للأسف ، والزواج لم يجد معه نفعا ..ألا يوجد حل؟!

قال محمد بسخط حاد : الحل أن يموت قبل أن يبلينا بجريمة قتل .. كما مات عمي الذي قتل وهو يسرق ثور المزارع .. خسر حياته من أجل سرقة ثور ؛ ليباع ببضعة دنانير ..لا تغني ، ولا تسمن من جوع

قال هند: لم تدركه يا أبي

قال بحزن: مات أو قتل قبل أن أولد أنا بسنوات ..قديما كانت الحياة في بلادنا صعبة وشاقة خاصة الفلاحون فكانت أرزاقهم حسب المطر والموسم .. حتى الزواج في حياتهم حسب قدرة الموسم على العطاء ؛ لذلك كانت تشيع بينهم سرقة المواشي ، وبيعها في أسواق منتشرة بين القرى والمدن موسمية كانت أو شهرية .. فقد يجد المسروق دابته المسروقة تباع أمامه في السوق وتحصل المنازعات والاتهامات والمشاجرات .. وقد يموت فيها ناس كما نسمع ؛ لكن اليوم يوجد التعليم والوظائف في الحكومة والشركات والمهن والحرف وقيادة السيارات بأحجامها

المختلفة .. فالشغل كثير ويحتاج لهمة ونشاط .. وشرطة وجيش وأمن .. فأهل المدن يقل عندهم سرقة الغنم والدجاج .. حتى أننا نسمع الآباء يتحدثون عن سرقة بيض الدجاج والأرانب .. اليوم طبق البيض بثمن زهيد .. اليوم عندنا مزارع دجاج وسمك وعجول لتحول للحوم .. لم يعد الناس يربونها في البيوت .. فتكلفة تربيتها أكثر من شرائها من المزارع .. حتى البلديات تمنع من تربيتها في بعض المدن أو بعض الأحياء.. القليل من يخالف النظام ؛ لأننا بدأنا نسمع عن البيئة والتلوث الذي يؤدي إلى انتشار الأمراض الوبائية .. الخبز كان قبل عقود يخبز في البيوت .. واليوم زادت المخابز في الأحياء ، ويعتمد الناس عليها .. وتركنا بريموس الكاز ، وأصبحنا نستخدم البوتاجاز أو الغاز .. قديما كنا نخبز في البيوت وعلى الحطب ، ثم في فرن الحي .. فكان المخبز في فصل الشتاء مأوى النساء والفتيان للحصول على الدفء والحرارة وسماع أخبار الناس.. وكان يخبز الفران مقابل مال قليل أو خبز .. في الأرياف ما زالت بقايا هذه الأفران أو الطوابين تسمى عند بعضهم .. أصبحت تراثا وشهوة .. لكل شيء تاريخ وحكاية .



سرقة جديدة

بعد مضي أسبوع على حادثة السرقة لبيت أبي عسود اتصلت عزيزة بأبي جمال شقيقها عمار ، وفي نغمة صوتها فرح وقالت : أصحيحة الأخبار التي شاعت يا أبا جمال عن براءة جبير من حادث أمي ؟!

كان يدرك الألم الذي يعتصر قلبيّ عزيزة ومحمد من الحادث الأثيم ، فرغم الجهود التي يبذلانها من أجل تقويم الشاب الضال لحتى الآن لم تثمر وتكلل جهودهما بالنجاح ، فرد عليها قائلا : نعم ، يظهر يا عزيزة أنها صحيحة ، ونرجو ذلك .. فكلنا يتمنى أن يكون جبير بعيدا عن الحادث وهذا جيد جداً يا أم جبير .. قال ضابط النقطة في الحي : عندما حدث الحادث كان جبير محبوسا لدى شرطة عال في مشاجرة ريفية .. كان ذاهبا لزيارة رفيق سجن .. فقضى هناك ليالي موقوفا مع زعران البلدة حتى جرى الصلح بين العائلات المتشاجرة ، ثم افرج عن الموقوفين .. ولما عاد للبيت كانت الشرطة السرية في انتظاره .. واقتيد لدائرة أمن العاصمة بيت السلام ، وتم التحقيق معه ، وتبين صدق أقواله ، فاطلق صراحه .. ورغم ألمنا من الحادث فرحنا وفرحت أمي لبعد يد جبير عن الجريمة .. والمال يعوض .

قالت وقد ارتاحت أعصابها وخف توترها لسماع كلام عمار : جزاك الله خيرا .. أرحت قلبي من ناحية أمي .. لو كان هو فذلك مؤشر خطر .. وهو استخدام العنف والشروع في القتل كنا في حالة الانهيار يا عمار من تحوله من السرقة للقتل .. الخوف قتلنا .. مصيبة أن يبتلى الإنسان بدم .. السرقة أهون من القتل .. وكلاهما دمار .. لكنّ هناك شيئا أخف من شيء وأهون الشرين الله يهديك يا ابن عزيزة الصراط المستقيم . سمعت آمين من أخيها فقالت : ماذا ستفعل الشرطة بعد خروج جبير منها ؟

– الشرطة تستمر في البحث والتحري والمتابعة حتى يقع بين أيديهم لص أو لصوص ويعترفون ويقرون بهذا الحادث وغيره ، ويكون الذهب قد أصبح في بطونهم طعاما وشرابا .. الأهم أن الوالدة تعافت ونجت منهم .. والمال يعوض يا عزيزة .. وأمك دعت الله أن يكون جبير بعيدا

عن الجريمة والاتهام .. وهي فرحة مثل الجميع .. كان القلق يساورها ؛ لأننا نعلم أن جبيرا سرقك .. فالذي يسرق أمه يهون عليه الآخرين .. والضرب لم يعد علاجا للتقويم

– نعم ، فعلنا ما بوسعنا لتقويمه دون فائدة ترتجى .. زوجناه من فتاة رغب هو فيها أخت رفيق له على أمل أن يحس بالمسؤولية وأنها أخت صاحبه .. فتح له والده مصلحة فسرقها ..لا يريد أن يصير كسائر الخلق

– الشر موجود .. والكل لا يحب الشر .. والأشرار موجودون بصور وألوان مختلفة

– أهو عند امرأته وابنه في البيت ؟

– أكيد أنا لم أره .. أنا أتعامل مدير النقطة .. أمس سألت الضابط فقال لي: إن المشتبه به لم يكن على مسرح الحادث ، كان على مسرح آخر .. وأبي وأمي رغم حزنهما على المال ـ والمال صنو الأبناء ـ لكنهما سرا مثلك من براءة جبير من هذا الحادث .. الحيرة ما زالت تكتنف الجميع كيف عرف اللص تفاصيل البيت ونظام صلاة أبي وسفر عرجون ؟! .. فهذا يدل على قرب الجاني من الأسرة .. والأخطر كيف حصل اللص على مفتاح الشقة ليقلده ؟ وأبي ـ كما تعلمين ـ يغلق الباب بالمفتاح عندما يذهب للجامع خشية أن تبقى أمنا نائمة .. وعرجون يأخذ مفتاحه معه .. وفرضا نسي أحدهم غلق الباب ذاك الصباح.. فمن أعلم المجرم أن الباب مفتوح في هذا الدقائق.. إذن اللص يملك مفتاح الشقة.. والجريمة بوشر بها عندما خرج أبي من العمارة .. هو خرج وهم أو هو تسللوا كانوا يراقبون البيت ، وتسللوا للبيت على توقع أن تكون أمنا في دورة المياه تستنجي وتتوضأ لصلاة الفجر .. لكنها غفيت واستيقظت على حركتهم ، واعتدوا عليها بحكم الضرورة .. فمن العدو لنا ؟ فهذه السرقة كما يقول الضابط لا يمكن أن تكون عشوائية دون تدبير، سرقة مخطط لها ومعروف الهدف ، ليست فجائية بنت الساعة .. فكثير من السرقات تحدث ضمن ظروف معينة تغري اللص والمحتال ، يرى شيئا ما فيسرع بسرقته ، أما سرقة البيوت فتكون سرقة عن سبق الإصرار والترصد ، قد يعرف اللص بيتا خال من السكان لسفر لرحلة ، فيخطط لاقتحامه والاستيلاء على ما فيه من مال أثاث تحف .. فلصنا يعرف أن أمي

تضع صندوق مالها في خزانة غرفة النوم .. وأعتقد أن كل من يزور أمي يعرف هذه الحقيقة .. فلذلك هو قريب منا كما يقول الضابط.

وتابع عمار الكلام مع شقيقته فقال : فجار أبي علاقته معهم فقط دفع الأجرة ، وهو يعمل موظفا محترما ، لا زيارات عائلية بينهم التحية والسلام ، فلا يد له في الحادث

- ألا يكون وصول اللصوص للخزانة على القاعدة العامة النساء تحتفظ بذهبها ومجوهراتها في خزانات غرف النوم ؟ خاصة أن اللصوص لديهم جراءة ومعرفة وخدمتهم الصدفة .. فهم يعلمون أن النساء تحتفظ بالمجوهرات للزينة من أجل الحفلات والسهرات

ضحك عمار وقال : أمي امرأة حفلات وسهرات .. اللصوص المحترفون يعرفون المعلومات العامة ؛ لكن لص البيوت المسكونة عليه أن يعمل بخفة وسرعة .. فوقت جريمته ضيق .. ولص الصدفة ليس لصا إنما يستغل الظرف والفرصة المتاحة ؛ لذلك يصاد من قبل الشرطة بسرعة .. المهم أن أحدا قريب من الأسرة له يد في الحادث .. ونرجو من قلوبنا أن لا يكون لجبير يد في القضية كلها ؛ لأن الضابط بصراحة قال : قد يكون جبير بعيدا عن الحادث بنفسه وبدنه ويكون له شركاء .. وهذا سيعرف مع الوقت .. ونرجو له السلامة التامة حتى أن لصنا أغلق الشقة بعد خروجهم ، فهم يملكون المفتاح .. وأمي تعتقد أنهم اثنان ، والشرطة ترى ذلك أيضاً وآثار الأحذية تدل على ذلك .. ونحن نحب براءة جبير التامة

- سلم على أمي وأبي ..محمد كان منزعجا جداً من حادثة الضرب والاعتداء على أمي .



كما غمر الابتسام منزل محمد وعزيزة غمر منزل أبي عسود وأم عسود ، فقالا لعرجون: المال الله يعوضه بمال ونعم ، أما أن يقتل الحفيد جدته فهذا لا يحتمله القلب ولا يعوض .. لو ثبتت سرقة الولد لنا لكانت كابوسا

ودار الحديث حول الفرح بهذه النتيجة رغم المصيبة ، وقال الأب بأسف: رغم مرارة الحادث والسرقة اللتين حلتا بأمك ؛ لكن بعد ابن عزيزة عنها أثلج صدورنا وأزاح عن كاهلنا غصصا تخيلوا معي لو ماتت الجدة من الضربة الغادرة .. وكانت من فعل جبير ماذا سيحل بنا ؟! كارثة عظيمة ستغمر الأسر .. رأيناه يسرق أسورة أمه فالذي يسرق أمه يسرق جدته أخاه وأقاربه لا يهمه من يسرق

قال عرجون: المحير في هذا الشاب لماذا يسرق ؟! لماذا يفعل ذلك؟! ألم يزوجه والده ؟ وفتحوا له مصلحة يعتاش منها .. ومع ذلك ظلت يده طويلة ويأكل الحرام والخبيث

قالت الجدة أم عسود: كأنهم لا يتعلمون من الحبس !ولا يرتدعون

هز عرجون رأسه وقال: السجن ماذا سيفعل لشاب ناضج ؟! السجن في رأيي يهيئ لهم الفرصة للبدء من جديد والتعرف على رفاق السوء ..لا أنكر أن بعض المساجين يستفيد ويرتدع ، والأكثر لا حياة لمن تنادي ..وآخرون مثل جبير يزدادون خبرة ومعرفة بلصوص على مستوى البلد .. أرأيتم ؟ إنه كان في بلدة قروية نزيلا على رفيق سجن ، وتدخل في مشاجرة عائلية تكلمت معه ذات يوم .. رد عليّ كأنه ملك اللصوص أرجوك يا خال لا تنصحني ، أنا أدرى بمصلحتي وحياتي ..أنا أعرف ماذا أفعل؟ لماذا ذهب لتلك القرية البعيدة ؟ أحقا لزيارة رفيق حبس ؟ ولماذا يتدخل في معركة قروية؟

قال أبو عسود : أكيد كان في زيارة لسجين سابق مثله ، وحدثت المشاجرة فعمل نفسه عنترا .. فزج بهم في قفص المخفر .. وهذا من حظه وحظنا .. لو حدث لجدته شيئا لقضينا العمر في حسرة وأسف .. قولوا ماذا يجني الحرامي والحرامية من سرقاتهم ؟!

قالت أم عسود: ليس هو أول سارق ولا آخرهم .. أتبحث الشرطة عن متهم جديد؟

قال عرجون: هكذا فهم عمار منهم ..فلما يقبض على لص أو عصابة يعترف بكل سرقاته وعن رفاقه ..العجيب في سرقتنا المفتاح كيف حصلوا عليه؟ ومتى؟! لأن دخولهم وخروجهم يدل على استخدامهم مفتاحا للشقة أم لديهم عدة مفاتيح لمثل هذه الأبواب والأقفال .. لكن الاعتماد

على الصدفة يستغرق وقتا معهم .. لذلك نرجع ونعود للقول أن أحدهم له معرفة بترتيب حياتنا .. وأن الوالد يخرج إلى الجامع عند صلاة الفجر ، وأن عرجون غير موجود في البيت ، وأن أمي تضع مجوهراتها في صندوق غرفة النوم .. كما فهمت من عمار والشرطة أنهم كانوا يتوقعون أن لا تكون الحاجة في الغرفة.. تكون قد ذهبت للحمام والوضوء ..وخلال دقائق يفرغون الصندوق ولا أحد يشعر بهم.. فغفوة أمي كادت تفشل العملية فاضطروا للعنف والسرقة وأن تكشف الجريمة فورا ..فهم يعرفون أين المال؟ يعرفون أحوالنا ..أنا لم أتحدث عن الرحلة إلا قبل الرحلة بيومين أم أن غيابي ليس مهما لهم ، فإني في العادة اتبع أبي إلى الجامع ، وأغلق الباب بالمفتاح ؛ لأني أحمل مفتاح الدار دائماً .. هذه أغرب حادثة تمر عليّ .. هل لجيراننا دور فيها ؟ .. لم نسمع عنهم إلا خيرا .. ليس لهم أولاد فاسدون.. ونحن لا نختلط بهم إلا السلام باليد والتمتمة

قال أبو عسود مدافعا عن جيرانه : أولاد أبي شبل محترمون ومؤدبون، لهم ثلاث سنوات يجاوروننا ما رأينا منهم شرا .. هم في حالهم ، ونحن كذلك .. إذا لنا نصيب بها أخذ منا سيعود وهذا من الابتلاء .. ولسوف نشتري للحاجة ذهبا جديدا

صرخت الحاجة محتجة: أرجوكم لا أريد ذهبا ثانية حتى لا أتعرض للضرب مرة أخرى ..ربنا لطف.. إذا الشرطة وهي شرطة لم تستطع القبض على الجناة ، حتى أن علينا أن نغير قفل الباب يا جماعة .. فإذا سمعوا بذهب جديد خططوا لسرقته .. أرجوكم لا أريد ذهبا ولا أي شيء آخر
كان أبو عسود يسمع ويضحك ، وهو مدرك للرعب الذي أصاب أم العيال وقال لعرجون : تحتاج أمك لوقت لتنسى الحادث الظالم .. الأمر حقيقة ليس سهلا يا أم عسود .. سلامتك من كل مكروه .. رحم الله عسودا كان بارا بأمه ويهديها الذهب ..ويعرف حب أمه للذهب وقلائد الذهب

دعوا لميتهم بالرحمة .. عسود كان جنديا قتل في حرب ١٩٦٧م أثناء التصدي للعدو الصهيوني في مناطق فلسطين العربية .. واستشهد على أثر غارة إسرائيلية على موقعه العسكري .. فكان

كلما ادخر مالا اشترى به قطعة لأمه ، ومات دون أن يتزوج، وكانت أمه تزعم أنها تدخرها له حتى يتزوج ، فتعيدها مالا ..وكانت أمه قبل الحرب تبحث عن عروسة والحرب الخاطفة أوقفت ذلك الخير ، ثم جاء خبر وفاته

الأيام تنسي ما قبلها ، وأحداث تتلاشى بسبب أحداث أخرى ، وهنالك أحداث تعيد ذكريات ذهبت ومضت ، وقبل أن يمضي أسبوعان على حادث بيت أبي عسود جاءت الشرطة تتابع حادثا آخر في الشقة المجاورة لأبي عسود .. سرقت الشقة المؤجرة لعاصم الموظف العامل في الدولة ، فأعادت سرقة أبي شبل ذكرى سرقة أبي عسود مما أثار دهشة الجيران ، بل حي أبو خروف كله

منزل أبي عسود عبارة عن طابق واحد ، وينقسم إلى شقتين لكل منهما مدخلها المستقل ، فواحدة يسكنها أبو عسود ، والثانية سكنها عمار ابن أبي عسود ، ثم رحل منها وتركها لوالده يؤجرها وينتفع بأجرتها ، واستأجرها عاصم الموظف ، وله ثلاث أولاد ، وتعود أصوله إلى بلدة بعيدة عن المدينة الكبيرة ، عاصمة البلاد كلها ، تزيد مسافتها عن ثلاثمائة كيلو مترا ؛ فلذلك لما يحدث في قريته فرح أو عزاء لا يستطيع التغيب عنه فيأخذ إجازة يومين أو ثلاثة حسب الحاجة ، ويغادر الشقة للمشاركة في تلك المناسبة ، فيغلق الدار ريثما يعود ، فبعد حادث أم عسود سافر إلى القرية للمشاركة في حفل ، فأخذ معه الزوجة والأولاد الذين هم دون العشرين ، ولما يغادر تبقى الدار معتمة ، فيعرف من يهمه الأمر أن الرجل غير موجود هو خارج المدينة ، ومنهم الجيران يعرفون هذه العادة .. فالإضاءة اليوم من علامات الحياة في المنازل ، فلما رجع من رحلته للقرية والبلدة التي ولد فيها وينتمي إليها ـ وعادة يصل للبيت في مثل هكذا رحلة بعد الظهر مع العصر أو الغروب ، ففي الصباح التالي سيباشر وظيفته ـ ووصل الشقة ساعة المساء ـ لم يدخل الليل بعد ـ اكتشف أن البيت مسروق .. سرقت أنبوبة الغاز والتلفزيون الملون ومائتا دينار مدخرة لساعة العسر والطوارئ ، على الفور ذهب لمخفر أبو خروف وبلغ عن الحادث ، وجاءت الشرطة لمعاينة المكان ، وتبين للشرطة أن الدار فتحت بمفتاح مقلد ، ولم يكسر شباك

ولا باب ، وأغلقها اللص بعد فعلته ، فتذكر الناس حادث أم عسود ، وبعد المعاينة الشرطية ومعرفة المفقودات ، قال رجل التحقيق في الحادث : لم يحدث عنف عند اقتحام الشقة ، وكيف عرفوا بسفركم ؟ وأي يوم تمت السرقة؟ هذا مثير للدهشة ؛ ولأن بيت أبي عسود بيت جارك ـ كما تعلم ـ سرق قبل أيام .. فهذه عصابة تعمل في أبو خروف .. نحن نعلم أن الحي لا يخلو من اللصوص والزعران ..هذه طبيعة المدن .. وسنطلبهم جميعهم للاستفسار .. فأهل الشر موجودون ، وحوادث السرقة تسجل باستمرار غير الذي لا تعلم به الشرطة ؛ لكن سرقة بيتين متجاورين في أبو خروف هذا يدل على تخطيط وتدبير .. وفي فترة زمنية متقاربة فهذا يثير الريبة ففي حالة أم عسود شككنا في حفيدها لسوابقه وجرائمه ، ثم تبين أنه كان محبوسا في بلدة بعيدة في مشاجرة عائلية .. ووضع الحادث وظرفه كان يوحي بمعرفة السارق لترتيبات البيت وأهل البيت .. ظلت مشكلة المفتاح كيف وصل للصوص ؟ كيف؟! .. وهنا في سرقة بيتك استخدم اللص مفتاح البيت كيف حصل عليه ؟ وها نحن نقف أمام حادث سرقة مثل السابق لم يستخدم فيه العنف .. وسرقة بيتك تحتاج لسيارة لحمل التلفزيون وأنبوبة الغاز فهي ثقيلة الوزن .. هم دخلوا لسرقة ذهب أم شبل .. ولما كانت أم شبل قد خرجت لحفل عرس فأخذت الذهب .. وهذا من حظها أو حظكم ..وبعثروا الملابس بحثا عن الذهب والمجوهرات ، فوجدوا المائتي دينار .. ووجدوا الجو يساعدهم على أخذ أنبوبة الغاز والتلفزيون حتى لا يخرجوا من المولد بلا حمص .. فبعد أن استعرض هذه المعلومات بصوت مسموع قال لأبي شبل: أتشك في عدو لك من الجيران من الحي؟

– أنا أسكن هنا منذ سنوات ثلاث فقط وليس بيني وبين جيراني سوى التحية ، وكيف حالك والسلام .. عملي يستغرق جل وقتي .. ولما أترك العمل الوظيفي الرسمي أعمل في مكتب ترجمة بضع ساعات حسب طول النهار وقصره .. وأولادي لا يختلطون بأولاد الجيران ، وأبو عسود لا صغار عنده ، فعرجون طالب جامعة، والمرأة لا تخرج إلا لشيء ضروري ..ولا أسمح لها بالسمر والتسلية مع الجارات .. ظروفنا تتطلب ذلك .. أقابل أبا عسود إما خمس دقائق داخل

بيته وإما على الباب ، وأدفع له الأجرة وانصرف .. ولي أخت شقيقة تسكن في حي رحمة ، وأخ لأب في رحمة أيضاً ، نتبادل معهم الزيارات أيام الجمع والعطل ؛ لكن المفتاح هو الذي يثير الارتباك كيف صنعوا مثله ؟!



تبين للشرطة في حادث منزل عاصم أبي شبل أن السرقة حدثت بعد صلاة العشاء ، فقد شهد شاهد أنه رأى سيارة تقف أمام البيت ، وشاهد شخصين يخرجون من البوابة الخارجية للدار حيث الرصيف يحملان التلفزيون ، وسمعهما ـ كما اعتقد الشاهد ـ يقولان لبعضهما عندما شاهداه يقترب منهما : التلفزيون خربان يحتاج لتصليح ، كم يا ترى سيكلف تصليحه؟ فقال الشاهد : لما سمعت هذا الكلام ظننت أنهم فنيو تصليح تليفزيونات .. لم يخطر في قلبي أنهم حرامية .. إنما خطر أنهم جاءوا لأخذ الجهاز لعمل صيانة وتصليح له .

ووصف السيارة ولونها ، ولم يحفظ رقمها لأنه لم يخطر له أنهم لصوص ، وهذا النوع من السيارات شائع في المدينة ، وربما في كل البلد ، هذا الكلام كان ينقله أبو عسود لأم عسود وعرجون ، فقالت المرأة: هل تظنون أنهم نفس اللصوص الذين سرقوا مالنا ؟! وهم لم يأخذوا من عندنا تلفزيونا ولا أسطوانة غاز

– ربما لم يسعفهم الوقت ؛ لأننا كنا أو كنت أنت في البيت ، واكتفوا بالمال والمجوهرات .. أنا سعيت للشاهد فأنا أعرفه شخصيا وسألته : ألم تعرفهم أهم من الحي أم لا ؟ فقال: لم تكن الإضاءة قوية أمام البيت ، ولم أرهم يحملون الأسطوانة ، رأيتهم يحملون التلفزيون بين أيديهم وتابعت سيري ، حسبتهم فنيو تصليح .. ولم أفكر بأنهم حرامية ، ويسرقون في مثل هذا الوقت ولا أعلم أن البيت مهجور لاشك فيهما ..وهذا ذكرني بقصة صديقنا أبي حسن .. كان لشقيقه

شقة في إحدى ضواحي المدينة

فقال عرجون: نحن لا نعرف أبا حسن هذا

ضحك أبو عسود وقال : المهم القصة اسمع .

لما رأى عرجون صامتا تابع القصة: كان لشقيق أبي حسن شقة مفروشة بكل الأثاث ، فلما يرجع من غربته والسفر في فصل الصيف يقضي فيها عطلة الصيف حيث تعطل المدارس فيأخذ الإجازة وتعود العائلة للوطن ، وتغلق الشقة عندما يسافرون للسنة التالية .. وهكذا كل عام .. وقبل العودة يذهب أبو حسن يصحبه عدد من الشغالات والخادمات لتنظيف الشقة من الغبار وغيره ..ولما اقتربت عودة شقيقه ذهب لتهيئة الشقة للضيوف فوجدها خاوية على عروشها ، لا عفش ولا غرف نوم ولا ثلاجة براد ولا تلفزيون ولا سجاد ، لم يجد سوى البلاط وعليه بقايا طعام العمال الذين حملوا الأثاث ، فلما سأل الجيران عما رأى أخبروه أنهم رأوا سيارة نقل كبيرة جاءت وعمالا وحملوا الأثاث زاعمين أن المستأجر راحل لشقة أخرى

قالت المرأة مدهوشة: يا الله! نظفوا البيت لم يتركوا شيئا؟!

قال أبو عسود: صاحب بيت يريد أن يرحل .. فلما يرى الناس كنبايات تحمل للسيارة الكبيرة والعمال ينقلونها هل يخطر في بالهم أنهم عصابة ؟ وربما يكون السارق واحدا زعم لهم أنه بيت قريبه .. فالناس تحسن الظن ببعض

فقالت: وماذا فعل أبو حسن ؟!

– عرف من الجيران أن هذا الفعل الشيطاني حدث قبل أكثر من شهر ، فذهب للشرطة وبلغهم وأغلق الشقة طبعا ، وعاد لـ أبو خروف واتصل بأخيه مخبرا بالكارثة ليتدبر أمره

فقال عرجون بأسف : الشر لا ينقطع كما أن هناك أناسا تفكر بالخير .. هناك آخرون يساعدون الشيطان حيله ومكره .. وهناك من يستغل طيبة الناس ويخدعهم .. ألا يوجد لتلك البناية حارس بواب ؟ حتى لو كان هذا موجودا لا يخطر في باله أنهم لصوص ، إنما هم عمال جاءوا لتنفيذ المهمة ونقل العفش.. وهذا ذكرني بقصة صاحب سيارة صغيرة ونيت ـ بيك آب ـ اسمه

أبو العبد والد صاحب لنا ..كان يذهب إلى مسجد السوق عند صلاة الفجر يصلي جماعة ، ويجلس في السيارة على أمل تحميل نقلة خشب لورشة ، نقل آلة معطلة للتصليح ، نقل عمال لورشة ، نقل خضار أي حاجة .. يذهب بالنقلة ، ثم يعود ليقف من جديد أمام الجامع ، وغيره من أصحاب السيارات يفعل مثله .. أرزاق يا دنيا .. ذات ظهيرة كان أبو العبد ينتظر رزقه ، جاءه شاب وقال: يا معلم أنت صاحب هذه السيارة ؟ فلما أجابه بنعم ، قال الشاب: أريد نقل أسطوانتين غاز إلى مكان كذا . فقال أبو العبد : تفضل اركب أنا في خدمتك أين ؟

ركب الشاب بجواره ، وذكر له عنوان البقالة التي سيحمل منها انبوبتين الغاز ، ودله الشاب إلى المحل المقصود ، ووجدا أمام المحل عددا من الأسطوانات المعدة للبيع والاستبدال ، ونزل الشاب ، ودخل الدكان أمام عيني السائق أبي العبد ، وتحدث مع صاحب الدكان لحظات ، ثم خرج ورفع أسطوانتين على صندوق البيك آب ، وقال لأبي العبد وهو يجلس بجواره : امش يا معلم . ومشى أبو العبد بالشاب وأسطوانتين الغاز إلى شارع في حي قريب من مكان عمل أبي العبد ، ونزل وأنزل الأسطوانتين وأعطى أبا العبد أجرته ، وعاد أبو العبد إلى السوق حيث يصف لنقلة جديدة .

وبينما هو ينتظر نقلة أخرى أمام المسجد جاءه صاحب الدكان التي أخذ الشاب منها الغاز وقال له: أين الرجل الذين كان معك ؟! فشرح له أبو العبد القصة ، ثم ساقه إلى المكان الذي نزل فيه ، وبالسؤال للمارة تبين أنه لم يدخل لأي بيت بعد اختفاء أبي العبد ، إنما أشار لسيارة أجرة مارة من الشارع ، وحمل الأسطوانتين واختفى ، وعاد صاحب الدكان بخفي حنين .. هذه حيلة أخرى يا أم عسود

تنهدت وقالت: فعلا هناك بعض البشر شياطين .. لعنة الله على الشيطان الرجيم .. يا للمكر !

ـ لصوص ومحتالون .. وعند والد صديقنا أبي العبد حكايات كثيرة تورط فيها عن غفلة وحسن نية .. أحدهم احتال عليه بسبعين تنكة زيت زيتون .. فلما وصل البيت وجدها كلها ماء إلا اثنتين اللتين كشف عليهن ليرى جودة الزيت

قال أبو عسود : أوه ! المسكين تعرض لكارثة ! لقد سمعنا أن محتالين ادخلوا المسجد شجرة على أنها ميت في تابوت ، وصلى الناس على الشجرة ، وقام أحد الشابين يناشدهم التبرع لسداد دين الميت ، وفعل الناس ذلك ، وجمع الرجلان ما فيه النصيب ، ثم اختفيا ، وظل أهل الحي ينتظرون أن يحمل أهل الميت الميت والتابوت ..لا أحد من أهل الميت موجود لحمل الميت، ولما كشفوا الغطاء عن الميت ظهرت المفاجأة شجرة غصن شجرة ملفوف على هيئة ميت

***

الأسرة المحترمة عندما يخرج فيها إنسان فاسد ظالم لنفسه منحرفا عن خط سير العائلة وتقاليدها المتوارثة ، فيشكل ذلك لهم كابوسا ومعضلة كبيرة ، يصابون في أول الأمر بالصدمة الحادة ، فهم حسب علمهم لم يقصروا في العناية والرعاية لابنهم في صغره ومراهقته ؛ لذلك تجدهم يذهبون للبحث في أسباب فشلهم في تنشئة ابنهم التنشئة السليمة.. هل مجرد الأصدقاء الذين غفلوا عنهم هم سبب ضياعه وإغراقه ؟.. وقد رأينا أنهم تساءلوا هل للوراثة دور في فساد الأخلاق ؟ .. لو انحرف شخص يعيش في بيئة فاسدة فهذا استمرار لخط الانحلال والفسق ؛ محمد وعزيزة جاءوا من أسر محافظة ومراعية للأخلاق إلى حد كبير ، والأماكن فيها الخير والشر سعى الزوجان لتحجيم الشاب وحمايته من الانحراف إلى عالم السرقة ، ومع هذا استمر في الزيغ والانحراف ، ولم يهتم بنصح ووعظ الأب الأم العم الخال الجار المدير الأستاذ ، ولما يقبض عليه في قضية يستنجد بأهله لينقذوه ، ويوهمهم أنه قاوم وضعف أمام إغراء المال ، فبذل الوالد المال للمحامين والقانونيين، ووعده بالإنفاق عليه لآخر الزمن إذا ترك الحرمنة والتلصص ، وبعد أن يخرج من قضية يدخل في أخرى ، ويعاود السيرة ، ويزداد غراما بالسرقة ، عمل مع عصابات بعض الأحياء ، وتركهم وعمل وحده ، عمل مع سجين عرفه في السجن ، اختاروا الزواج ؛ ليكون حلا ، وفتحت له مصلحة تساعده في حياته الصالحة آملين منه تحمل مسؤولية امرأة تكفه عن السرقة ، وافق على الزواج بشرط أن يختار هو الزوجة ، قبلوا لأنه المهم عندهم أن يتزوج ، وتزوج أخت رفيق سجن معه من حي كرمانة ، وافقوا ، ولم يتشددوا ؛لأن غايتهم

زواجه عسى أن تغير الحياة الزوجية من انحرافه وسلوكه ، وافقوا بعد تمنع تمثيلي ، وخطبوا ومشوا معه ، واحتفوا بزواجه ، وقبلوا عروسه وسكن معهم ، وفتحوا له متجرا ليقتات من وراءه ، وما لبث أن سرقه ، طلب الأب من ولده مغادرة بيت الأسرة والابتعاد عنهم بامرأته ، معلنا له أنه لم يعد فردا من الأسرة خشية فساد باقي أفراد الأسرة ، فغادرهم إلى حي كرمانة حيث أصهاره .

ولما كانت حادثة أم عزيزة عاد اسمه إلى صدارة الحديث بينهم .. وهل له دور في الحادث الغادر ورغم مرارة الحادث على الجميع أصابهم الفرح ببراءته من الاعتداء على جدته ، ومن سرقة جدته ؛ كان الهم يركب محمد وعزيزة من سيرة ابنهم حيث هو البكر في العائلة ، فقال محمد بيأس : أنا عجزت عن معالجة أمر جبير الذي كان يجب أن أفخر به بين أهلي وإخواني وأصدقائي .. خيب أملنا فيه .. لقد خذلني وذلني

قالت عزيزة بألم وحرقة : دموعي لم تنفع وتجدي أمامه ، قلت له مالنا بين يديه ، وأن يكف يده عن مال الناس .. فضحك وقال : السرقة مرض ومرض عضال يصعب الخلاص منه .. فأقول بهدلتنا بين الناس والجيران والأقارب .. فيضحك هل هناك دكتور لعلاج مرض السرقة ؟.. فأنا صرت أعتقد أن السرقة مرض وسقم

- لو كانت السرقة مرضا ؛ لأصبح كل الناس حرامية يا عزيزة بالعدوى.. هذا إفلاس أخلاقي وقلة حيلة .. أنا بعد زواجه وعدم توبته أقسمت أن لا أهتم به ، ولا يهمني شأنه ، ولن أدفع فلسا لأحد من أجله أو محام .. وأعتقد أن مصيره أسود كمصير عمي المقتول قبل عشرات السنين أو يقضي سنوات عمره قابعا في سجن المدينة .. فالسجن لأمثاله خير كما يحبس أهل الإعاقات والجنون في مشافي أو دور خاصة .. فهو وأمثاله مأواهم السجن ؛ لأنهم عالة على المجتمع .. ماذا يريد أكثر مما فعلناه له ؟ وفرنا له ما نستطيع بيتا وزوجا ومحلا حتى لا يشعر أنا تخلينا عنه .. كسر المحل ، ثم سرقه .. ذهب رأس المال

- هذا محير لماذا لماذا ؟!

- وعظناه نصحناه استخدمنا الإرشاد والتعويض على المسروقين .. كان الحبس دون فائدة .. وأخشى ما أخشاه أن يتحول للعنف والقتل .. قد انزعجت جداً من حادثة الاعتداء على أمك.. كانت أعصابي متوترة ويدي على قلبي سألت أحد المشايخ هل من حل لهذه القضية؟ فقال : لو كانت هذه الحالة في عهد صحابة النبي صلى الله عليه وسلم لحلت المشكلة بقطع يد السارق فلا يعود للسرقة ؛ لكن في مجتمع منفلت ، وفي هذا الزمن لا ينفع هذا العلاج .. فقبل إقامة الحد على السلطان توفير الأمن الاقتصادي والعمل للشباب ونظافة المجتمع .. ثم تقام العقوبات الشرعية ، لابد من بيئة آمنة وصالحة للأفراد والمجتمع قبل الفزع إلى الحدود الشرعية .. أما أن يصور اللصوص والراقصون أبطالا للمجتمع ..فماذا ستنتج هذه الأفلام والثقافة للأمة ؟ فإنها تعظم قطاع الطرق والزنا والربا ، فستجد المراهقين يتأثرون بما يرونه ويظنونه حقيقيا ..فابنك متأثر بتلك الأفلام التي يمجد بها أهل الشر والشيطان .. فيتمردون على القيم والتقاليد ويحسبون ما يحدث في هذه المسلسلات كالواقع .. فبعض الشباب يحتاج إلى صدمة عنيفة قوية ليصحا من غفلته وشيطنته ، فقلت ما هذه الصدمة يا سيدي الشيخ ؟ فقال : لو كان الكلام معه يجدي ويفيد لفعلت ذلك ، ولابد أن آخرين فعلوا هذا .. وقد فعلت أنت ذلك يأكل ويشرب وزوجة وراحة لا تعطى للسلطان .. ومع كل هذا الدعم فقد ألقاه في عرض الحائط وبقي مصاحبا لأهل الشر ، لابد من صدمة قوية .. حادثة تعيد له التوازن .. وهذه أمرها وعلمها عند رب الناس .. صدق يا أبا جبير لو أن الكلام مع السيد جبير يفيد اليوم لذهبت معك لمقابلته والجلوس معه عشر ساعات ؛ بل عشرة أيام .. أنا قابلته قديما من سنوات أمام المسجد هذا ونصحته بالتوبة واحترام والديه .. وأنه لا يسيء لنفسه فقط بل يسيء لأهله وأقاربه ، فاستخف بكلامي وقال : توكل على الله يا شيخ نصيحتك على الرأس والعين .

وقال للشيخ دون احترام : أنتم تريدون كل الناس أن تصير مشايخ .. كما أن للدين مشايخ فالدنيا مشايخ . وقهقهه سخرية ، وتنهد محمد حسرة بعدما أنهى هذه الذكريات وقال: كم كنت أتمنى أن أراه طبيبا مهندسا كبيرا في البلد .. وهو يزحف ليصبح لصا كبيرا .. لا حول ولا

قوة إلا بالله .. وعلمت عظمة الشريعة بقطع يد السارق ، ولماذا شرعت الحدود ؟ فهذا الرجل لو قطعت يده لما ثبتت إدانته لما سرق مرة أخرى ، ولقبع في المحل ،ولم يسرقه قال سبحانه {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِّ وَاللهُّ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [المائدة: ٣٨] .. عطلت اليد الخائنة ، فإذا عاد للسرقة عطلت الرجل .. فأصبح عاجزا عن السرقة .. فعلاج الخيانة لابد أن يكون شديدا ..كم من عمره أضاع وراء قضبان السجن دون فائدة ؟ وكم كلفنا علاجه من الأموال ودون فائدة ؟ .. السجن لا يعالج الحرامية.. لقد صار لجبير رفاق في بلدات أخرى ، ويشارك في معارك ومشاجرات بين عائلات تعصبا لفريقه في السجن.. أي جهل هذا ؟! أهذا علاج السجن ؟! حسبنا الله ونعم الوكيل.. وكما قال الشيخ علينا بالدعاء له عند كل صلاة ؛ لعل الله يهديه ويتوب عليه

- ليس أمامنا إلا الصبر

- وهل لنا سواه ؟ .. اللهم أفرغ علينا صبرا

مقهى مهران

مقهى أبو خروف أصبح معروفا للقارئ الكريم ، ويعتبر ناديا للالتقاء وتبادل الأخبار ، وبعض رواده يتجمعون للعب الورق أو النرد ، وبحكم مجاورته للمسجد تجد الكبار في السن يزلفون إليه لشرب الشاي والحديث والسلام على بعضهم البعض ، أو الالتقاء بشخص بموعد أو غير موعد ، وصاحبنا مهران بحكم الخبرة والعمل يعرف كل من يدخل ويخرج ، ويعرف الجيد من السيء وتراه مهتما بأخبار الحي ومتابعة حوادثهم وهمومهم

فلما أبصر أبا عسود يدخل بقامته المديدة التي فيها إنحاء بحكم العمر ناداه للجلوس معه ، أبو عسود لا يحب لعب الشدّة وغيرها ، يدخل للسلام على معارفه ، ويشرب شايه ، ويصلي العشاء في الجامع ، ويعود للبيت ، واذا كان الفصل صيفا ينصرف للبيت إلا إذا شاء أن يقابل شخصا يعتبر وجوده في المقهى بحكم الضرورة ، أول ما نشأ أبو خروف القديم كانت مبانيه من الطين ـ لبن الطين والبوص ـ ولما دخل التطور المدينة أزيلت هذه المباني الطينية ، ولما ظهرت الخراسانة المسلحة والحجر والشوارع والتنظيم اختفت هذه المنازل ، وذلك من عقود عشرة قد تزيد ، فقد كبرت المدينة ، وضمت أحياء جديدة ، كانت شوارعه القديمة مصممة للدواب والبغال والعربات

ألقى أبو عسود التحية على مهران وجلس على الكرسي المجاور له وطلب له الشاي ، وعادة مهران من يجلس معه ، يقدم له شيئا يكون على حسابه ضيافة ، وتعود الناس على ذلك ، خاصة الذين من جيل مهران ، وبعد التحية وتبادل المجاملات التقليدية الصحة والحال قال مهران: هل من أخبار عن ذهبات أم عسود ؟

تضاحك أبو عسود من استفهام مهران وأجاب : الذي يروح لا يرجع يا أبا عبد الكريم خاصة اذا طالت المدة .. الشباب يرغبون بشراء ذهب جديد للحاجة ، وهي من الرعب ترفض بشدة خشية عودة اللصوص

ابتسم مهران ضاحكا بدوره وقال : معها حق .. ما زالت مرعوبة .. لم تكن الضربة هينة على

امرأة عجوز مثلنا .. لقد نجت بفضل الله وحده .. ومن حظ اللصوص ، لو ماتت لابتلوا بجريمة قتل ، وستتحرك الشرطة بقوة أكثر .. ومن حظك أيضا يا أبا عسود وإلا لترملت .. وجارك عاصم ؟

– وجدوا تلفزيونه في أحد متاجر الخردة والمستعمل .. والتاجر كما قال أبو شبل: لا يسأل أحدا عن اسمه ، ومن أين له هذا ؟.. لو فعل ذلك لا أحد اشترى ، ولا أحد باع ..ومع إصرار الشرطة على معرفه ممن ابتاعه ذكر لهم صفة رجل تعامل معه باستمرار .. والرجل اشتراه من اللصوص بدينار واحد وقال للشرطة: لا أدري لماذا سرقوه؟! أمن أجل دينار واحد؟!

فقال مهران بعد هزه رأسه أثناء سماعه : هم لم يسرقوه ليبيعوه .. إنهم سرقوه ليوهموا من يراهم في تلك الساعة المبكرة من الليل أنهم جاءوا لتصليحه ، وتخلصوا منه بدينار ، وربما باعوه لبائع متجول

قال : تحليل وتعليل جيد يا حاج مهران .. ودفع أبو شبل الدينار واسترد جهازه ، وتكلف أجرة سيارة .. هذه هي آخر الأخبار

قال مهران : قرأت في صحيفة اليوم عن حادث سرقة شبيه بحادث أم عسود في حي كرمل أو كرمانة كما يقول آخرون

– أي جريدة؟

تناول مهران صحيفة ، وفتح على صفحة الحوادث ، وأشار للحادث وقال: أعتقد أن هذا حي حفيدك وأهل زوجته .

– أجل

قال مهران : مكتوب فيها أنه قبل أيام حدثت سرقة في حي كرمانة ، فقد قام اللصوص بالاستيلاء على ثروة امرأة عجوز عند صلاة الفجر ، فالمرأة أرملة ، وكما تقول الجريدة إنها تعيش مع ابن لها ،ولما ذهب لأداء الصلاة في المسجد وعاد وجدها مكممة ومربوطة ، والبيت منفوش والملابس مبعثرة ، وقد فقدت المرأة صندوق ذهبها ومالها ، ولم يكن فيه إلا أسورة واحدة فقط

وهذا من حسن حظ هذه العجوز .. لها بنت كانت قد أخذت الأساور للتزين بها في عرس قبل الحادث بيومين أو ثلاثة ، ولم يصدق اللصوص كلامها أول الأمر ، ثم أمام الواقع وقبل عودة ابنها أخذوا الأسورة ، وهربوا .. وذكر محرر الخبر أن هذه القصة شبيهة بحادثة سرقة حدثت قبل زمن يسير في حي أبو خروف ، ولخص للقراء حادثة أم عسود وتساءل في آخر التحقيق هل هذه عصابة واحدة منظمة أم صدفة؟.. فقد وجدوا الشقة مفتوحة بمفتاح أصلي أو تقليد فهم يستخدمون مفاتيح مقلدة كما يؤكد خبير فحص الأقفال .. فالصحفي عمل مقاربة بين الجريمتين

تنهد أبو عسود وقال: مصير الحرامي أن يقع في قبضة العدالة مهما طال الوقت ، ولكل شيء نهاية .. وأبو شبل فتح بابه بمفاتيح مقلدة ،قالت الشرطة : لم يستخدم السارقون العنف في فتح القفل ..والسارقون يخططون قبل الأقدام على الجريمة

- كيف عرفوا أن أبا شبل غير موجود في البيت ليرسموا على تقليد المفتاح ؟!

قال أبو عسود محبطا : هذا ما يحير ! كيف عرفوا أن البيت فارغ من البشر ، وإنما هي ثلاثة أيام غياب .. وتجرؤوا على فعل فعلتهم في أول الليل

- ستعرف الشرطة عاجلا أم آجلا ؛ لكن هذه الأموال المسروقة للأسف ستكون مصروفة .. حدثني شرطي صاحب لنا أن الشرطة تسعى للقبض عليهم بكل قوة ونشاط

هبطت عزيزة وابنتها هند وخطيبها يوسف لشراء ذهب العروس من سوق الذهب الكبير في وسط المدينة وقلبها النابض ، فمن العادات أن تشتري العروس من مهرها المقبوض ذهبا نحو الأساور والحلق والدبوس لتلبسه ليلة الزفاف ، وتشتري بجزء آخر منه ثيابا لها ، وهدية للعريس بيجامة روب حمام حذاء خاتم ، وتجارة الذهب عادة تتبع سعرها العالمي ، وإنما تحدث المفاصلة في المصانعة ؛ لذلك في الذهاب لسوق الذهب الكبير قد يكون هناك مجال وفرصة للحصول على بعض الخصم ، ومجال المشاهدة أكثر ، والذهب كما هو معلوم للجميع له عيارات عالمية ١٨ و ٢٤ و ٣٢ ، يقصد بها درجة النقاء والصفاء مما يخلط معه من مواد

أخرى{١}، وهذه عادة درج عليها الشرقيون بشراء العروس ذهبا لليلة الدخلة والزفاف ، وبعضهم يستخدم الذهب المزيف لأداء المهمة ، وللنساء غرام بالذهب من قديم العصور والتاريخ .

يختار الناس السوق الكبير فرصة للفرجة والتمتع بمنظر الذهب والأشكال المصورة منه كحلية وزينة ، والسوق مشهور لأهل البلد ومعروف ، والعروس محكومة بمبلغ معين لشراء نصيبها من الذهب .. وقبل الشراء يقوم الناس بجولة على المحلات والبترينات المعروض فيها الأساور والذهب والخواتيم والأقراط وساعات الذهب أو المطلية بالذهب ..وسيجد الرائي ما يبهر الأبصار وعيون النساء والعرائس خاصة وأمهات العرائس ..هناك الأقراط العقود الأمشاط المكاحل .. وبعد جولة وسؤال هنا وآخر هناك يتم الشراء .. وربما يكون للمشترين محل معين يتعاملون معه منذ سنوات ، وفي كل مناسبة عرس الأخت الخالة ابن العمة

تفرجوا على عدد كثير من المعارض والمتاجر ، وقد حددوا ما سيبتاعونه من أساور وخاتم وحلق وساعة ، وتعرفوا على الأسعار والثمن ، وبقي اختيار المحل الأنسب لهم ، وقبل أن يستقر مقامهم على محل معين ، وقفت عزيزة أم العروس أمام محل صغير بالنسبة لغيره من دكاكين الذهب ، وكان يعرض مجموعة من المجوهرات هي من الموضات القديمة ، لم تعد مهمة لفتيات اليوم ، مجموعة تعود لأيام أمها أم عسود ، وأصبح من النادر تواجدها وإعادة

{١}القيراط هو مقياس لدرجة نقاوة الذهب، حيث يقال عن الذهب الصافي أنه ٢٤ قيراط ، ويخلط الذهب عادةً بمعادن أخرى لتزيد من صلابته لأن الذهب النقي في حالته الطبيعية لين جداً. ويساوي القيراط جزءاً من أربعة وعشرين جزءاً من الوزن الكلي للسبيكة، فمثلاً إذا وصف خاتم ذهبي بأنه من عيار ١٨ قيراط فمعناه أن الخاتم يحتوي على ١٨ جزءاً من الذهب و٦ أجزاء من المعادن الأخرى. أما الذهب الصافي فيوصف بأنه عيار ٢٤ قيراطاً.

صياغتها ، وقفت تنظر إليها بدقة وتمعن ، كان فيها دبوس للشعر على هيئة عصفور ، فلما تأملته جيدا أدركت أنه دبوس أمها المسروق مع ما سرق من مجوهراتها أو شبيهه ، ولاحظها صاحب المحل تدقق فيه أو ما في حوله ، فخرج إليهم يدعوهم للدخول ، فقالت وقد تمالكت نفسها : أشياء جميلة هذه الدبابيس ! كم يا ترى ثمن هذا ؟ (وأشارت إلى دبوس على شكل ضفدع) ، فذكر لها التاجر السعر فقالت : أليس مرتفعا هذا السعر ؟

- سعر الذهب هذه الأيام في العلالي

وأشارت لدبوس العصفور : وهذا العصفور

- نفس سعر الضفدع

دخلوا المحل وأخرج الرجل علبة الضفدع وعلبة العصفور ، ووضعهما على مائدة المحل أمام المرأة ، أبصرت الضفدع وتأملته ولمسته ، ثم تأملت العصفور ، فقالت هند: لمن ستشترين هذا الدبوس يا أمي ؟

- لأمي ، النساء الكبيرات تعجبهن مثل هذه الأشياء القديمة ، تعيد ذكرياتهن للماضي ، ولابد أن نشتري لأمك يا يوسف هدية بهذه المناسبة

أجاب الشاب: أمي هديتها عليّ .

- أبدا الهدية علينا ـ إن شاء الله ـ أرجوك يا يوسف . والتفتت للرجل وقالت: سآخذ هذا العصفور لأمي والضفدع لأمك

قال يوسف وهو مستغرب لفعل حماته : إذا كنت مصرة ..سنأخذ حلقا أحسن من الدبوس

فقالت هند: حلق حلق

لف البائع العلب ، وقبض الثمن ، ووضعها في كيس أنيق مهنئا لهم ، قالت عزيزة: اكتب لنا فاتورة حتى يعرف زوجي الثمن .

كتب الرجل فاتورة بيع ، وختمها بختم المحل ومباركا من جديد ، وحاول إغرائهم بشراء ذهب العروس ، فقالت عزيزة: نتجول ، فكلكم خير وبركة

فلما ابتعدوا عن المحل قالت هند معاتبة : لماذا تعجلت بالشراء أحرجتني ويوسف ؟!

قالت عزيزة: آ، امش هيا ندخل هذا المحل فقد اشتريت منه أيام زواجي ، فلنجدد الذكريات يا يوسف ربع قرن مضت .. ولما زوجنا المنحوس اشترينا لعروسه من هنا بعض القطع

قضوا حاجتهم من التسوق ، واشترت هند الذهب المناسب للزواج ، وبعد انتهاء العملية الشرائية ساقهم يوسف لمطعم عائلات ، وتناولوا الغداء على نفقة وكرم العريس وبدأوا يستعدون للخروج ، قال يوسف باسما: لقد رأيت لهفتك يا عمتي على شراء الدبوس ومع ذلك اشتريته لأمك!

ابتسمت عزيزة لهما وقالت: تكتمون السر ـ ولم تنتظر الجواب ـ هذا العصفور يا يوسف أعرفه جيدا ، وربما لبسته أكثر من مرة .. إنه من ذهب أمي المسروق ..وكان لابد من خداع البائع ففاصلت على الضفدع ليبق مطمئنا .. أعرفت لماذا اشتريته؟ فلو ذكرت له شيئا عن السرقة وأنه مسروق فسيختفي الدبوس ، وقد يحول لشيء آخر ، فهم يعرفون العجائز الكبيرات وشغفهنّ بالقديم ، يعود بهنّ مثل هذا الشكل للحنين للطفولة والصغر .. فكان عليّ أن أتصرف بذكاء وإلا اختفى وأنكر .. فمعنا الدبوس ، ومعنا الفاتورة ، وأنتم شهود .. فربما اشتراه من آخرين ولا يعرف أنه مسروق أو يعرف ويعمل نفسه لا يعرف .. وإذا لم نحصل فاتورة ، فربما ينكر أننا اشتريناه من عنده

- أنت خطيرة يا حماتي !

ضحكوا جميعا

حفل الزواج

بدأ المدعون لحفل زواج يوسف وهند يتركون مكان الاحتفال حيث يجلسون في ساحة أمام منزل والد العريس ، والنساء يحتفلن في حجرات المنزل ، وأخذ عمار وعرجون أخوال العروس يتهيؤون للمغادرة كسائر الضيوف ، وقد تمت زفة حضرة العريس في أحد الشوارع القريبة من البيت ، وينتظرون انتقال العروس لبيت زوجها لينفض السامر ، وكانت السيارة الصغيرة المزينة بالورود والأشرطة الملونة تستعد لخروج العروس من مكان الاحتفال إلى بيت الزوج ، وعندئذ ودع عمار زوج أخته محمد ، وبارك له ، ومن وجد من أقارب العروس والعريس ، وقال مخاطبا أباه: أتركب معي أم مع عرجون؟

فأجاب عرجون: سيعودون معي ، خذ عيالك معك

فانطلق أبناء عمار وحليلته جهة سيارة عمار ، وساق عرجون أمه ممسكا بيدها نحو سيارته ، فعرجون طالب كلية ، بل في السنة الأخيرة من الجامعة ، وهو يملك سيارة صالون أهديت له عندما قبل طالبا في كلية الطب ، واتفق مع شقيقه على الالتقاء في بيت الوالد لإكمال السهرة ، وقد اختفت السيارات المشاركة في حفل العريس ، وانصرف الضيوف.

ولما وصل عرجون للبيت بأمه وأبيه وجد سيارة عمار أمامه ، فنزل الجميع ، وفتح عرجون البوابة للجميع ، وزلفوا لداخل البيت ، ودخلت زوجة عمار المطبخ لإعداد العشاء للجميع ، وأعدت طعاما خفيفا أحضروه معهم أثناء طريق العودة ، وهو عبارة عن علب بلاستيكية مليئة بالحمص المطحون ، والفول المطحون ، والفلافل ، ووضعت الشاي على الغاز ، وقطعت حبات البندورة إلى شرائح ، وكذلك الخيار ، ووضعت حبات الزيتون بصحن ، ووضعت زيت الزيتون على الحمص والفول ، وصنعت مائدة للقوم والخبز الساخن وخلال عشر دقائق اشتغلت الأفواه الصغيرة والكبيرة ، وبعد ربع ساعة كانت المائدة خالية ، قد ذهب ما عليها من مأكولات قسمها الله لهم ، فحمدوه وشكروه ، وعادوا إلى الصالة يتابعون شرب الشاي ، وأخذوا بالتعليق على الحفل ونهفاته ونوادره ، حتى قال عرجون: سمعت أن جبيرا شقيق هند

حضر العرس أرأيته يا أمي ؟

قالت : لم نره ، سمعت أن أباه رفض دخوله على العروس وتنقيطها وحتى المباركة لها

قال عمار: جاء في سيارة مرسيدس حديثة ؛ ولكن والده منعه من النزول وأصر على ذلك ، ورفض جلوسه في العرس ، وقال له : لما تصير ابن آدم وابن العائلة نستقبلك .. إني أبغض رؤيتك ، ولا هند تريد أن تتشرف برؤيتك ، ولا أحد يريد ذلك ، عد لوكرك . تمتم كما لاحظت بكلمات .. لقد كنت أراقب المشهد ..ولما رأى إصرار أبيه على عدم نزوله .. كأنه سبه ، وأمر السائق الذي يحمله بالتحرك ، فلم ينزل من السيارة ، وكأنه رمى عشرة دنانير ، وهو يبتعد .. فقال محمد : لمحمود خذها وأعطها لمتسول .. نحن في غنى عن عشراته

فقال عرجون: إذن جاء أين كنت أنا ؟!

- كنت تمشي مع الزفة ، لم أذهب معكم أحسست بتعب ؛ فلذلك رأيت مجيئه .. كان موقف محمد صارما معه .. فاختصر الشر وانصرف متظاهرا بالغضب

قال عرجون بقسوة ودون مواربة: أنا لليوم مقتنع أنه وراء سرقة أمي ، وإن لم ينفذها بيده

قال عمار: كيف ذلك؟!

- أذكر قبل الحادث بشهر أو شهرين دخلت هذا البيت شحاذة وطلبت كأس شاي من أمي ورأس بصل .. وبعد انصراف الشحاذة فقدنا مفتاح البيت ـ وأشار للباب الرئيسي للشقة ـ ونحن عادة نعلق المفتاح فوق الباب ، ولما فقد ذهب فكرنا أنه ضاع داخل البيت .. وأبو شبل ذكرني بمثل هذه القصة ذكر أن شحاذة دخلت البيت تطلب شايا وحبة ليمون ، ثم اختفى مفتاح البيت بعد زيارتها ، ولم يخطر في بالهم مثلنا أن المتسولة هي السارقة ، لكن لما سرق كان عليه أن يفكر بقصة ضياع المفتاح .. فأم شبل وحدها في البيت .. الزوج في العمل .. الأولاد في المدارس .. هم ظنوا أن الأولاد أخرجوه من الباب وفقد ؛ لكن حوادث السرقة ذكرته بضياع المفتاح ، وذكرت له أن ذلك حدث مع أمي .. فهذه الشحاذة تعمل مع العصابة تسرق مفاتيح الأبواب .. وتبدأ العصابة ترسم بعد حين لسرقة البيت الذي سرقوا مفتاحه واتصلت بصاحب

الشقة المسروقة في حي كرمانة بعدما صارحت أنا وعاصما الضابط بشكوكنا .. فأعطاني الرقم وتحدثت معه ، وأكد الرجل أن أمه فعلا فقدت مفتاح البيت على أثر زيارة متسولة طلبت شايا وليمونة

فقال أبو عسود: أمعقول هذا الكلام وهذا الترتيب؟

قال عرجون: المنطق يقول هذا .. إذا لم يستخدم العنف في كسر الباب ، فكيف حصلوا على المفاتيح ؟ ! وأنا منذ تلك الليلة وأنا مشغول الفكر .. ووضعت الموضوع في مخي ، وتحادثت مع السيد عاصم .. وبالنسبة لقصة دبوس عزيزة يقول الضابط : إن هذا التاجر معروف للشرطة بامتلاكه لأشياء مسروقة ؛ ولكنه لا يحصل عليها من اللصوص مباشرة .. إنما يحصل عليها من تجار ، ويشتريها منهم بثمن بخس ، ولا يعرف مصدرها ، ولا يحب صهرها .. فقيمتها وجمالها أن تبقى كما هي السرقات حادث متكرر كل حين وذلك على مستوى العالم ، وهو شغل الشرطة الدائم فهو يقع في بلدنا وبلدان العالم ، والقبض على اللصوص عمل دائم ويومي ، ويقدم اللصوص إلى المحاكم ، فتقدر مدة الحبس أو الإفراج بكفالة والغرامة والتعويض حسب الجريمة ضعفا وقوة، استخدم فيها السلاح أم لا.. والصحف تنشر هذه الحوادث في صفحات الحوادث ، قد تتابع الصحيفة القضية أو ترميها وراء ظهرها وتنساها ، حتى يجد جديد فتعود لتذكير الناس بتلك الحادثة ، وكأن كلام عرجون عن سرقة المفاتيح بواسطة المتسولات وجد صدى له عند الشرطة ، وأخذته بشكل جدي ويستحق المتابعة ، وقد اتفقت البيوت الثلاثة المسروقة على فقدان المفاتيح قبل الحوادث بزمن من قبل شحاذات متجولات ، ثم تتابع العصابة البيت لزمن حتى تتحدد ساعة الصفر وارتكاب الجريمة ؛ ولكن المفاتيح تفقد باستمرار ، وبشكل يومي ومتكرر ، ومفاتيح البيوت لا يبلغ عن سرقتها للدوائر الأمنية ، والشرطة لا يمكن أن تبحث عن كل مفتاح مفقود ، فصاحب البيت الفاقد لمفتاحه بسرقة أو غير ذلك بإمكانه تغيير [كولون الباب] القفل بمبلغ بسيط ، ووقت الشرطة لا يسمح بمتابعة هذه القضية ، وظاهرة التسول لا يمكن القضاء عليها ، فلو طردتهم من مكان سيذهبون لغيره ،

وليس كل مفتاح يفقد أصبح بين أيدي اللصوص ، ولاحظت الشرطة أن البيوت الثلاثة المسروقة عبارة عن طابق واحد ، وبثت الشرطة بشكل ذكي برنامج توعوي لفت الناس إلى عدم إدخال المتسولين لداخل البيوت ، فقد يتسببون بسرقات للبيوت ، وأنهم قد يسرقون المفاتيح للسطو على المنازل ، ووصلت الرسالة للجمهور بطريقة ذكية ، ولم تربط بحوادث السرقة الثلاثة ، ولا غيرها ، قضية تحذيرية عامة ، وربما وصلت الرسالة لربات البيوت ، فكثير من الناس لا تسمع الراديو ، ولا تتابع أخبار التلفزيون بشكل يومي أو حتى متقطع ، يحبون الأفلام والمسلسلات .. فالأفلام الهندية تنتشر في السينمات الشعبية .. وكذلك أفلام الكاراتيه والكونغ فو تنتقل من دار لأخرى بأسماء أخرى توحي للشباب المراهق أنها أفلام جديدة وكذلك الأفلام الأمريكية القديمة لرعاة البقر تتجول بين الحين والآخر في دور العرض ، حدثت سرقة جديدة كبيرة في حي أبو خروف ، لقد تعرضت مخرطة معادن لخلع باب وسرقة ماكنة لحام محمولة ، وبعض أدوات المخرطة ، وآلات خرق وثقب ، وعلق الناس على هذه السرقة بقولهم سرقة صناعية ، واعتبر الناس وجيران المحل أن السارق على خصومة مع صاحب الدكان ، وأنه فصل عاملا ، أو لم يعطه الأجرة كاملة أو نقص منها ، وبالفعل تم القبض على شخص اتهمه صاحب المحل بها ، واعترف الشاب بهذه السرقة انتقاما من المعلم ، ونقلها [أي المسروقات] إلى مزرعة قريبة من الصحراء ، ولما وصلوا إليها وجدوا تلك العدد المسروقة ، والغالب في مثل هكذا سرقات أن يقوم بها المراهقون والشبان الصغار ، يتعرضون لظلم من صاحب الورشة والعمل فيسرقون العدة انتقاما .. وفي العادة يتصالح هؤلاء أو أهلهم مع صاحب المحل ، وتخلي الشرطة سبيل المراهق حتى لا يدخل في قيود الأمن ..ومرات تحل بدون وجود الشرطة

اتصل عمار عند الفجر ذات يوم بوالده مخبرا له أن ابن عزيزة تعرض لطلق ناري ، نقل على أثره إلى المستشفى ، وأن الشرطة بلغتهم بالحادث ، وأن والده مصمم على عدم الذهاب للمستشفى ويهدد عزيزة بالطلاق إن ذهبت لرؤيته ، وهي تريد منا أن نذهب لمعرفة الخبر ومدى الأذى

الذي أصابه .. آملة أن يكون هذا الحادث نهاية المصائب ، فقالت أم عسود : مر عليّ.. أنا سأذهب معك يا عمار .. مهما يكن من قبحه .. فهو ابن العائلة

ذهب عمار وأمه للمستشفى الراقد فيه جبير المصاب ، وكانت الغرفة تحت الحراسة ، وسمح لهم الحارس بالدخول إليه ، والحديث معه ، لما تأكد من قرابتهما له .

والقصة أنه كان يقوم بسرقة مكتب لإحدى الشركات ، تسلق على مواسير المياه ، ودخل من نافذة قريبة من المواسير حيث غرفة المكتب ، وحاول فتح الخزانة المعدنية ، وبينما هو يحاول فتحها أضيئت الغرفة ، ورفع الحارس المسدس في وجهه ، فرفع يديه لأعلى ، وأمره الحارس بالنوم على الأرض ، ففعل ، وأمره بالزحف لخارج المكتب ، وحاول جبير عرقلة الحارس أثناء الزحف ، فوقع الحارس أرضا ، وكان المسدس جاهز التعمير ، فخرجت طلقة أصابت فخذ جبير ، وحضرت الشرطة والإسعاف .

فقالت الجدة: كيف حالك يا جبير؟

أدار وجهه عنها لما عرفها وقال: بخير .. أين أمي؟

قال عمار: سيطلقها أبوك إن جاءت إليك .. ألا تريد أن تكف عن الشيطنة؟

تجهم وجهه وقال للشرطي الحارس على باب الغرفة : أرجوك يا شرطي أن لا تسمح بدخول أحد عليّ .. هذه حياتي وأنا حر فيه

قالت الجدة بحزن وألم : يا بني سامحك الله .. نحن أهلك لا يهون علينا ما أنت فيه .

وكان مشيحا وجهه عنهم لا ينظر إلى وجوههم فصاح: أنا تعبان دعوني أموت

فطلب منهم الشرطي الخروج ، فخرجوا دون تردد ، ثم غادروا المستشفى على عجل دون معرفة التفاصيل ، ولما دخلت أم عسود الشقة ، سئلت ما الأخبار فقالت: مصاب برصاصة فوق الركبة أثناء سرقة خزنة شركة ، أحس به الحارس ، وحاول الغدر بالحارس ، فخرجت طلقة أصابت فخذه

أثناء وجود جبير في المستشفى لاستخراج الرصاصة والعلاج حدثت سرقتان شبيهتان بسرقات

أبو خروف وكرمانة .. وإلا فحوادث السرقة تكاد أن تكون حدثا يوميا ، وكانا بيتي الحادثين متجاورين كما في منزل أبي عسود وعاصم ، وسرق من البيتين المال والمجوهرات أو بعض المجوهرات ؛ لأن أهالي البيتين كانوا في مشاهدة حفل عرس في نفس الحي ، وكان البيتان المسروقان لأخوين ، ولما غادروا الحفلة اكتشفوا السرقتين .

فكان عمار يقول لعرجون: ما رأيك بهاتين السرقتين وجبير في المستشفى؟

ابتسم عرجون لشقيقه وأدرك مغزى سؤاله ، وأن شكه واتهامه لجبير في غير محله فقال: وهل قلت أن الشاب يعمل وحده ؟ .. هو ضمن عصابة تكونت إما في السجن وإما اتفقوا بعد الخروج للعمل كعصابة .. هل قرأت أن الجريدة أشارت لوجود متسولة قبل الحوادث ظهرت في البيتين وفقدوا المفاتيح ؟ فمن أجل ذلك شبهوا هذين الحادثين بحادثي أبو خروف وكرمانة وأنا شككت بابن أختنا لمعرفته الجيدة بالبيت وببيت عاصم ، فهو يعرفهما حق المعرفة ..ألم تكن تسكن فيه قبل عاصم؟ وبينما هما يتحدثان حول الحادثين الشبيهين بسرقة بيت أبي عسود رن الهاتف ، وكانت المتصلة عزيزة التي أخبرتهم بهرب جبير من المستشفى بمساعدة امرأته ، قد تنكر بثيابها وغادر المستشفى من أمام الشرطي على أنه امرأة والذي حسبه المرأة التي دخلت تزور زوجها ، ولما خرج متنكرا ، ظن الحارس أنها الزوجة قد انصرفت ، ودخلت المرأة الحمام المرحاض ، وظنها الحارس جبيرا يقضي حاجته ، ثم بعد أكثر من ساعة اكتشف الحارس الحيلة وحبست المرأة بضع ساعات ، ثم أخلوا سبيلها

قال عرجون بعدما نقل إليه عمار ما عرفته عزيزة من إحدى الممرضات العاملات في القسم عن هرب جبير: ألم أقل لك إن الشاب يعمل مع عصابة ؟ .. لم يذهب لسرقة الخزنة وحده وإن امرأته تعمل مع العصابة ، وأخوها معهم .. تعرف عليه جبير في السجن ، وأصر على الزواج من شقيقته .. وإذا صدق ظني قد تكون هي المتسولة التي تسرق المفاتيح من البيوت .. تدخل طالبة ليمونة بصلة مع كأس شاي تأخذ المفتاح من قفل الباب وتخفيه في طيات ثيابها .. أهل البيت يظنون أنه فقد من أحدهم .. أخذه طفل يلعب فيه .. سيظهر مع التكنيس وتنظيف البيت

ومع الأيام ينسى .. ثم يتحرك اللصوص في ساعة غفلة من أهل الدار .. هل يهتم الناس بمفتاح تكلفة عمل نسخة منه خمسة قروش ؟!

فقال عمار : وأين سيختفي؟!

– سيقع مهما طال الأمر ، فقد قبض عليه متلبسا في سرقة خزنة ، فسيقضي سنوات في السجن لذلك فضل الهرب قبل نقله للسجن .. وستنشر الصحف الخبر غداً مفصلا .

قال عمار بشفقة وحزن : مسكين محمد وعزيزة .. سوّد حياتهم رغم التضحيات التي قدموها له على عزيزة أن تنساه .. لكنه قلب الأمهات .. ولو كان ابنها شيطانا ، وأضر الناس كلهم تظل له أما .. زوجها محمد حسم أمره معه . فقال ليلة زفاف هند : لم يعد لي ولد اسمه جبير ، لقد عملت لإنقاذه بكل ما بوسعي .. لم يبق له في ذمتي حق

هزّ عرجون رأسه وقال : أعانه الله على تجاوز هذه المصيبة والمحنة ، الأبناء فتنة كالمال .. له سنوات يعاني ويعاني .. ويوم طرده من الجلوس في عرس أخته قلت لنفسي محمد حسم أمره وشطبه من حياته وعلى عزيزة أن تقتدي برجلها ، وتعتبره ميتا ، ولا تهتم لإخباره وحكاياته ، وترعى صحتها وباقي أولادها .. وأنا في رأيي أن الرجل لم يقصر معه ، سعى لإصلاحه وتقويمه ودفع المال لمن سرقهم والمحامين على أمل أن يعود فردا صالحا مواطنا طيبا نادما .. زوجه ، فتح له محلا يقضي وقته فيه .. هل بقي شيء في ذمته؟! غصن أعوج لا يستقيم إلا إذا كسر .. وأعتقد أنهم أخلوا سبيل زوجته بعد تورطها في تهريبه من المشفى لمتابعتها ، وكما ساعدت في تهريبه ستساعد في القبض عليه والإيقاع به .. غبي ، ما كان عليه أن يهرب .. أضاف لجريمته جريمة أخرى .. كان عليه أن يقبل الهزيمة ، ويقضي العقوبة مهما كانت مدتها .. هذا الرجل ألا يفكر في طفله؟! عندما يشب ويعلم أن والده حرامي يسرق أموال الناس كيف ستكون حياته ؟ .. يبدو أنه في حادث الشركة لم يكن يملك المفاتيح .. فهذه ليست بيتا ليرسل امرأته تسرق مفاتيحها

– كانت القاصة على طاولة ، لم تكن مثبتة داخل تجويف ، وهي صغيرة ؛ ولكنها ثقيلة كما هو

معروف .. كان يريد إنزالها من المكتب الذي على الطابق الثاني إلى الأرض لم يكن يريد فتحها كما قيل في بداية الأمر ، كان معه أشخاص ينتظرونه ، كانوا يريدون سرقة الخزنة نفسها ، ثم بمقص المعادن الذي يسمى عندنا الصاروخ يقصونها .. يبدو لي أن أحد موظفي الشركة متعاون معهم ، وبعض الصحف ذكرت أن سيارة كانت تقف خلف جدار الشركة .. وبعد اطلاق الرصاصة ابتعدت عن الموقع ؛ لذلك أحسب أنهم سعوا لتهريبه خشية الاعتراف عليهم أحس أن عليه خطرا بالاغتيال يا عرجون

تأمل عرجون عميقا بهواجس عمار وقال : ممكن ! وكلامك معقول القضية أكبر من جبير!

وجدت الشرطة جثة جبير محمد في غرفة من الزينكو الصفيح ـ بعد هروبه من المستشفى بأيام ـ في حي عشوائي لم يدخله التحديث بشكل منظم ، فقد لاحظ أحد الجيران في المنطقة رائحة سيئة وعنيفة ، ففطن أنها قد تكون رائحة آدمي ميت يعيش وحيدا لا أهل عنده ، فأبلغ الشرطة وجاءت للمعاينة وبعد خلع قفل الباب ، وجدوا الجثة في حالة سيئة ، وجاء البحث الجنائي والطب الشرعي وعلى الفور عرفوا من صاحب الجثة .. فهو طريد الشرطة ، وتبين لهم من الكشف الطبي وأقوال الشهود أنه قتل في نفس الوقت الذي هرب فيه بساعات ، فقد شهد أحد سكان الحي العشوائي سماع صوت الرصاص ، فظن أن أحدهم يجرب مسدسه ، وأدركت الشرطة حينئذ أنهم خدعوه وهربوه ليتخلصوا منه قبل إجراء التحقيقات معه ، وأن العملية بسرقة خزنة المكتب عملية أكبر من جبير ، ربما استعين به لسرقة الخزنة فقط مقابل مبلغ من المال ، ولما فشل أصبح يشكل خطرا على العصابة ، أو المتعاقدين معه على السرقة .. وهذا وارد في عالم اللصوصية أن تلجأ عصابة لخبير متخصص في سرقة نوع ما من السرقات .. يستخدمونه لتنفيذ عملية والسلام ، وعلى أثر كشف شخصية المقتول اعتقلت الشرطة زوجته ، وبدأت مطاردة شقيقها صاحب جبير .. فقد أصبحت هذه المرأة على خطر ، ولا يدرون سبب التأخير في القضاء عليها ، أو لأن شقيقها رجل مهم في المجموعة.

استلم محمد وإخوته وابناه جثة جبير من مصلحة الطب الشرعي من المستشفى العام بعد

تشريحها ، وبيان أسباب الوفاة وظروفها في التقرير الطبي ، وكان البوليس يشرف على عملية الاستلام ، وجرى لها مراسم الدفن على حسب تعاليم الشريعة الإسلامية من غسل وتكفين والصلاة والدفن ، وتقبل الوالد العزاء فيه لمدة ثلاثة أيام كما هو شائع في كثير من بلاد المسلمين وبعضهم يرى أن ذلك خلاف الشرع ، والله تعالى أعلم .

وقبلت عزيزة استلام ابن جبير الذي يبلغ السنة من العمر ، واستقر في بيت جده وجدته ، وكان محمد يردد أمام المعزين: الحمد لله أنه مات أو قتل قبل أن يبلينا بدم أحد الخلق .. هذا أخشى ما كنت أخشاه .. القصة أنهم خشوا أن يكشفهم بعدما فشل في سرقة الخزنة .. وسيقضي سنينا في السجن فسيتكلم قالوا نتغدى به قبل أن يتعشى فينا أليس هذا شعار العصابات والسفلة ؟ أصبح يشكل خطرا داهما عليهم .. فأوهموه بالهرب والنجاة ..وربما وعدوه بتسفيره للخارج.. سرقة مرتبات شركة كبيرة مبلغ كبير ..فهذا أحد مكاتبها .. فهم يعملون في النفط .. وقال في مجالس العزاء لهم : وأعتقد أن خائنا في الشركة رتب لهذه العملية الفاشلة ..فأصبحت حياة جبير خطرا عليه .. وإلا كيف عرفوا بموضوع الخزنة ووقت توفر المال فيها ؟! فكان على الشرطة إدراك ذلك .. وجبير كشف لهم بعض المعلومات .. فرتبوا أمر هربه من المستشفى بالتعاون مع زوجته ، وفور وصوله لتلك الحجرة قتلوه دون شفقة .. وختم قائلا : ومع الأيام ستتكشف الكثير من التفاصيل .. الآن ارتاح وريّح .. وأمره عند ربه

وسمع بعض التعليقات على موقفه من ابنه ، وتمنوا له العوض بابن جبير الرضيع ، وسأل أحدهم: هل ستتركه أمه لكم يا أستاذ محمد؟

- السجن يسمح للمرأة المرضع إرضاع ولدها إلى حين يفطم ، وبينت لهم أنها فطمته قبل أن يتم السنة ، وأمها ترفض الاعتناء به ، وهي بعدما علمت بموت زوجها قبلت عرض عزيزة بأخذه ورعايته حتى يكبر ، فبلغتنا الشرطة ذلك ، وذهبنا واستلمناه من الشرطة ، وبعد خروج أمه من السجن يعاد الكلام في الحضانة

- ولم يسجنونها؟

قال محمد : فهمت من أحد رجال الأمن أنهم بعد هرب جبير متنكرا بثيابها أخلوا سبيلها لتقودهم سرا إلى مكان اختفاء شقيقها وزوجها ، ولما اكتشفت الجريمة أخذوها خشية الاعتداء عليها ؛ لأنهم يتوقعون بعد هذه الجريمة ، أنه ستتفرق العصابة ، والكل سيتملص من الجريمة خشية أن تلبسه جريمة القتل .. وعقوبتها الإعدام أو المؤبد ، فربما وجود أخيها في العصابة هو الذي آخر تصفيتها .. ويقول الضابط: يظهر أن عصابتين تعملان عصابة جبير وشقيق زوجته وعصابة أخرى وراء سرقة الخزانة .. جرى تعاون بينهم .. فالجريمة معقدة ، وهم يحققون في حادثة الشركة النفطية من جديد لمعرفة عميل العصابة الذي شجعهم على سرقة رواتب الموظفين في هذا الفرع .. في البداية تعاملت الشرطة على أنها محاولة سرقة وفشل جبير ، وكانوا ينتظرون تحسن صحته لاستكمال التحقيق .. ولماذا اختاروا الشركة هذه ؟ ومن المتعاون معهم من موظفي الشركة ؟ لم يتصوروا أن يسرعوا بقتل اللص لإخفاء المعلومات ، فاستعانوا بشقيق زوجة جبير ، وأقنعوه بإقناعه بالهرب لتهريبه لخارج البلد .. وذلك خير من أن يقضي سنوات عمره في سجن الحكومة .. وقبل جبير بالهرب كما أخبرت الزوجة بكل ذلك لرجال التحقيق ، وأخبرنا الضابط : حتى لو كان المقتول مطلوبا للعدالة ستقوم الشرطة بتعقب ومطاردة القتلة ؛ ليقدموا للقضاء وينالوا الجزاء المستحق عليهم .. فقلت للضابط : أنا يا سيدي لا يهمني قدموا للعدالة أم لا يقدموا .. ابني بذلت الكثير لإعادته لجادة الصواب والحياة الصالحة ؛ ولكنه رفض كل ما قدمناه .. وخشيت أن يورطنا بدم مع أناس طيبين ، وأن يتورط بحادث قتل وظلم إنسان بريء مسالم مثلنا .. ومع أنه ابني البكر ، وبنيت عليه آمالا كبارا كسائر الآباء.. لما أخبرتموني بموته قتلا لم أبك لم تذرف عيني للأسف دمعة واحدة ، صفنت في البداية ، ثم ذهب الذهول بسرعة ، وحمدت ربي ليس حزنا عليه .. أنا طردته من قلبي ـ بعدما يئست من إصلاحه ـ طردته من بيتي بعد خيبتي من تزويجه .. وهو الآن في دار الحق كما نقول .. وربنا واسع الرحمة ، ورحمته أعظم من رحمتنا .. من لا يرحم الناس لا يرحمه الله .. ربنا الغفور .. سيذهب عنا الحزن والغم من مشاكله وحرمنته

قال عمار بعد فضفضة محمد بخاتمة ابنه : إنا لله وإنا إليه راجعون ..كلنا ميت كما مات الأولون وليس لنا إلا رحمة رب العالمين .. عزيزة هي التي حزنت لمقتله وأغمي عليها .. كان لديها أمل بأن يعود لأصله وللعائلة ؛ لقد استوفى عمره وانتهى شقاؤه .

هذه المأساة وإن حدثت خارج أبو خروف ؛ ولكنها بدأت كما رأينا في أبو خروف، وأم الشاب المقتول عزيزة كانت من أهالي أبو خروف ، وحي زوجها محمد لا يبعد عن الحي إلا بحيين أو ثلاثة أحياء ؛ فلذلك أضفت هذه الحكاية لحكايات ومآسي أبو خروف أهل الشر لا يخلو منهم زمان ؛ ليميز الله الخبيث من الطيب ، والطالح من الصالح ، ورغم أن والد جبير تظاهر بعدم الحزن والاكتراث لموت ولده البكر ، كان لديه شغف وفضول لمعرفة اليد الأثيمة التي اغتالت ولده ، وغدرت به ، لو خير الرجل بين موته وسجنه لاختار له السجن ولو مدى العمر .

كان مهتما بمتابعة نشاط الشرطة حول الحادثة ، ومتابعة التحريات ، وعلم من الشرطة أنها استطاعت تحديد عدد من الأشخاص لهم علاقة بجبير وريالة زوجته ، وأن زوجته لم تكن إلا مجرد أداة لسرقة المفاتيح من المنازل ، كما ظهر لكم قبل الجريمة الدموية ، وكانت شريكتها في سرقة المفاتيح زوجة شقيقها فجر السيدة بادية ، يحدد لهم فجر أو جبير المنازل المراد سرقة مفاتيحها ، فينطلقن لتنفيذ المهمة بثياب التسول والشحاذات ، ويستخدمن أطفالهن الرضع في عملية استعطاف النساء ، .. سيدة البيت المعين تحسن إليها بالشاي والخبز وما تطلب .. وهي تغافلها لسرقة المفتاح الموضوع في قفل الباب .. كانت مهمتهن سرقة المفتاح فقط ..ويختفون من الحي الذي سرقن مفاتيحه حتى تتم السرقة خشية رجال الشرطة والبحث الجنائي ، والبيت المقصود معروف للعصابة .. ولا تعرف إحداهن متى وقت السرقة ؟ ومن سينفذها؟ وهل مع زوجها وشقيقها آخرون ؟ لا يعرفن .

فقال عرجون : أرأيت يا ابن أمي أن الفاعل منا وفينا ؟! .. فهو له كره عجيب للأسرة ، ورغم أن زوجته لم تعترف أنه سرقنا .. فأعتقد أنه هو المنفذ بنفسه لسرقة أمنا وبيتنا وبيت عاصم ، وإلا كيف يركب سيارة آخر موديل؟!

قال عمار: إنها صدمة لنا جميعا ..وكنا نحس بذلك ونرفضه، وتعلقنا بالأوهام وخيط العنكبوت أن لا يكون هو .. كان لا يستطيع النظر في وجوهنا عندما أخذت أمي للاطمئنان عليه في المستشفى صباح الحادث .. مسكينة عزيزة .. عندما تعلم التفاصيل ويده في سرقة أمها وضربها قد تصاب بجلطة .. أنا طلبت من محمد أن لا يقول الأخبار عندها ، وأن ابنها هو الجاني على أمها وبيتها

– وهل سيصمت الناس ؟ فلما تكتب الصحف سيعرف أهل الحي بأن الكلام على جبير .. ويتحدثون أن السارق لبيت أبي عسود جبير حفيدهم المغدور من الرجال الذين باعهم نفسه

قال عمار : الناس من طبعها الفضول ، وهو يتفاوت قوة وضعفا من شخص لآخر ، وحكاية كهذه سوف تتصدر الأخبار إلى حين إلى أن يأتي حدث ينافسه في القوة والإثارة .. الناس تتحدث في حماس بقصة في مسلسل أو فلم .. فكيف بمقتل جبير وسرقته لجدته ؟ فقد سمع أبوك هذا الكلام من زبائن مقهى مهران قال له أحدهم : ضاقت عليه الدنيا ، ولم يجد أحدا يسرقه سوى تحويشة جدته أم عسود .. فرد أبوك كما حدثنا: يا رجل الضال لا يفرق بين حبيب وغريب .. لقد سرق أمه ، ثم سرق محله ، وزعم أن آخرين استولوا عليه .. يظن أن الناس مغفلون مثله .. فلا نستغرب أن يسرقنا ... مسكينة عزيزة عليها أن تتحمل جارح الكلام .. ريثما ينسى الناس .. وتستعين بالباري في علاه الله ، وتلجأ إليه ..عسى أن يكون موته راحة لهم لقد فجر وبغى ، ولم يستطيعوا ضبطه وإعادته للحياة الطيبة من جديد .. أحيانا يكون السجن وبالا على بعض الأفراد ، ويفتح أمامهم آفاقا للتمرد والعصيان والأجرام .. وهذا ما حدث لجبير .. أعجب بمغامرات من يسمع وانضوى تحت لوائهم .. فلما خرج تزوج أخت أحدهم فظن أنه تزوج أخت ملك اللصوص، وأنه ذو مكانة عنده .. وهذا الشاب فجر هو أكبر من جبير بعشر سنوات على ما أظن.. لقد رأيته مرة في دكان جبير .. كنت في زيارة لعزيزة قلت لنفسي أدخل دكان ها الجبير وأسلم عليه ، وكان معه الرجل فقال : هذا صهري أخ زوجتي السيد فجر يا خال . نظر إليّ كأنني حشرة مسمومة ، وجهه مملؤة بالندبات والجروح ؛ فكأنه

ليس وجه ابن آدم ، ويظهر أن شخصيته قوية ومسيطرة في السجن وخارج السجن .. صدق لما استحضر صورته في قلبي يخفق قلبي رعبا .. كان جبير يعمل وحده قبل دخوله السجن أول مرة ، ويتفقون بعد الخروج على اللقاء والاجتماع .. والضعيف يتعلق بالقوي .. وسيكون مصير هذا الرجل كمصير جبير القتل ..وبشر القاتل بالقتل ولو بعد حين

تنهد عرجون وقال: لما علمت أمي بأن حفيدها السارق قضت ساعات تبكي ليس على المال بل على حال عزيزة ابنتها البكر ، قالت لما سألتها: أبكي على عزيزة ، لابد أن الحزن والألم سيغمرانها إذا عرفت الحقيقة .. وأنا رفضت أي تعويض من محمد .. اعتبرتها حسنة عن روح جبير وسامحته

- كابوس نسأله تعالى أن يذهبه عن حياتنا وسيرتنا ..والمحزن على الحقيقة هو الطفل ماذا سيكون موقفه ومصيره عندما يكبر ؟!

نهاية القصة

كان أبو عسود يخطو خطواته داخلا مقهى مهران ، ورآه الحاج مهران داخلا فرفع صوته مناديا إياه للحديث معه ، ولما جلس ، وحضرت كأس الشاي ، واطمأن على حاله ، وعلى حال ابنته عزيزة التي في المستشفى ، فطمأنه عليها وقال: خبران يقصمان الظهر يا أبا عبد الكريم موت الابن البكر ، وبيان أنه هو الذي سرق جدته أم عسود كما سرق من قبل أمه ومحله .. ولكن الحمد لله خرجت أمس من المستشفى ، وما زالت منهكة القوى والأعصاب ..ومصرة على تعويض أمها ما سرق ابنها .. وأم عسود مصرة على مسامحتها ومسامحة جبير ابنها ، وأن حياتها أهم من الذهب

وبعد شرب الشاي سأل مهران: ألم نخبر عندما ضربت أم عسود أن جبيرا كان في بلدة نائية ، وشارك في مشاجرة وحبس هناك حتى تصالح أهل القرية ؟! ألم نخبر بهذا ؟ فكيف وجد هنا وهناك ؟!

ضحك أبو عسود وقال: ضحكوا على الشرطة يا سيدي وسخروا منهم

– لم أفهم

– الشرطة يا سيدي حبست هوية جبير ، لم تحبس جبيرا .. شياطين هؤلاء اللصوص! لم يكن جبير هناك كانت بطاقته الشخصية هناك .. يوجد شاب من أهل تلك القرية تعرفوا عليه أثناء إقامتهم في السجن أحدهم يعرفه وصديقه .. فرتبوا معه لافتعال مشاجرة تضطر الشرطة فيها إلى توقيفهم .. فذهب شاب من العصابة بهوية جبير إلى تلك القرية .. وفي ليلة التنفيذ كان الشاب القروي يفتعل مشاجرة قوية مع خصوم له ، ومعه الشاب الذي أخذ هوية جبير ، ولما حضرت الشرطة اعتقل الشاب ضمن الموقوفين ، ولما طلبت منه البطاقة قدم بطاقة جبير وبما أن الصورة عليها تشويه واهتراء فلم يفطن كاتب المخفر أن الصورة لشخص آخر ، وسجل في أوراقهم أنه جبير محمد ، ولما تصالح أهل القرية عاد الشاب ورفيقه وأخذوا نصيبهم من الغنيمة أرأيت الحيلة والشيطنة ؟!

- يا إلهي فعلا إنهم شياطين!

- فلما اتصلت الشرطة بشرطة تلك المنطقة ذكروا لهم وجود هذه الشخص بالحجز عندهم تلك الليلة ، ومع القبض على زوجة جبير وزوجة شقيقها تكشفت الحقيقة ، واعترف شاب القرية بهذه الحيلة .. هكذا فعلوا حتى لا نشك بجبير ؛ لأنهم يعلمون أننا سنشك به أول الناس لسوابقه معنا أمه محله ، وحتى الشرطة في أول الأمر وضعته على رأس القائمة كما تحدثنا بذلك وجبير ليكتمل الخداع اختفى عن البيت عدة أيام ، ثم سلم نفسه للشرطة ، وبعد التحقيق افرجوا عنه

- فعلا مكر شياطين ! هؤلاء عصابة كبيرة

- الضابط أخبر أنهم يتعاونون مع بعض .. فأغلب لصوص البلد يحبون العمل بشكل فردي أو يعمل اثنان معا فقط .. أضمن للعمل والسرية وتوزيع الغنيمة ، ويقدمون خدمات لبعض مقابل مال .. وكلهم خريجو سجون ، ويتصاحبون داخل السجن ..هم ليلة أو صباح سرقة بيتنا سيقومون بالحادث حتى لو كانوا عرجون في البيت.. فهم يراقبون البيت عدة أيام استعدادا لسرقته .. على كل حال الابن مات .. ونسأل الله أن يضع البركة في باقيهم ..المسكينة عزيزة الضحية في هذه المعمعة وسمعتها تقول : يا ويلاه ! كيف طابت له نفسه بضرب جدته .. فالموت خير لي من العيش

- حقيقة موقف محزن ؛ لكن الحل جاء من السماء ، فعلى الأسرة أن تبدأ صفحة جديدة مع الحياة البركة بمحمود وسيكون نعم الطبيب في المستقبل ـ إن شاء الله ـ وعليهم الاهتمام بباقي أفراد الأسرة حتى لا يتأثروا ويقتدوا بما جنى أخوهم البكر .. وعليهم بتحصينهم بالمساجد والجوامع وحب الدين ، والبعد عن التعلق بالخيال والأفلام .. اليوم الإباحية والعنف تجتاحان العالم من جميع جهاته

- صحيح الخطر منهما شديد ، وعلينا أن نعيش زماننا يا حاج مهران .. هل نستطيع التخلي عن التلفزيون بعدما عرفناه؟.. نحن ضعف تعلقنا بالراديو بوجود البديل . التلفزيون الثلاجة

مهمات للبيت.. الكهرباء الغاز .. السيارة نتركها ونعود للمشي أيمكن هذا؟
قال مهران : هذا صعب بعدما عرفناه أتعود المرأة لغسل الثياب على اليد بعد وجود الغسالة ؟ عندما تتعطل الكهرباء لحادث لصيانة تكاد الناس تجن .. هذا اللحم سيخرب في البراد .. هذا الغسيل سيتراكم .. المسلسل لنا أيام نتابعه .. ستروح علينا حلقة .. تنهال التلفونات على شكاوى الكهرباء .. لا يمكن الاستغناء عن هذه الكماليات في حياتنا بسهولة .. لذا أنا أعجب من بعض شيوخ الدين ما زالت بيوتهم بدون تليفزيونات .. يكتفون بجهاز التسجيل المسجل هل نستطيع أن نتخلى عن إنارة أعمدة الكهرباء ؟

– لا استغناء إلا إذا صارت كارثة .. إنما نتخلى عن أجهزة لأحدث منها .. سمعنا أن الأمريكان وصلوا القمر

– ومثلهم الروس أو الاتحاد السوفيتي العالم يتقدم مدنيا بقوة والعرب يتأخرون

– سمعت من ابني عرجون أن العقول العربية الواعدة تهرب إلى الغرب ، وهؤلاء يرحبون بهم بشدة ، ويمنحونهم المال والجنسية ، وبعضهم يعمل في وكالة الفضاء الأمريكية

– على ذكر عرجون متى سيتخرج ؟

– الحمد لله ، هو في الشهور الأخيرة ـ إن شاء الله ـ ولكنه يفكر بالتخصص الطبي مباشرة

– ألا يريد الزواج عمره خمس وعشرون اليوم ؟

– كانت هناك فكرة زواج بعد التخرج من ابنة أخي المهندس عليان ؛ لكن أحداث عزيزة وجبير أربكت الاستمرار في المشروع .. ولتهدأ الأحوال نحتاج لوقت .. رغم أن عزيزة رفضت التأجيل والانتظار .. الأحداث أكبر من عزيزة .. وشقيقي عليان قال : لابد من الصبر بضعة شهور للملمة الجراح ..والدكتور عرجون يرتب أموره وعمله

– أخوك عليان ما زال يعمل في وزارة الزراعة

– نعم ، الآن هو مسؤول كبير في الوزارة ومشاريع الري

– أذكر أنه سكن في الحي قديما

- عاش فترة تقل عن ثلاثة أشهر ، وذلك قبل ثلاثين سنة ، ونتيجة عمله في مناطق بعيدة اضطر أن يرحل إلى أكثر من مكان في البلد ، واضطر لشراء بيت قريب من بيت عمه والد امرأته حتى تبات عندهم أثناء سفراته الطويلة .. اليوم الأولاد كبروا وتعلموا .. وهو اليوم يملك عمارة كبيرة يعيش فيها هو وأسرته ، وبعضها مؤجر

- سلم على أبي راجي كثير السلام

- سلمك الله يا أبا عبد الكريم

- سلم كذلك على عيلتك أم عسود وعرجون وعمار والبنات .. وأتمنى لعرجون النجاح وتحقيق الآمال .. والدكتور عمار محترم هو محاضر في الجامعة

- ترك الجامعة ، وهو مساعد مدير بنك

- ما شاء الله !!

تمت الحكاية السابعة

حين تقاعد من وكالة الغوث سكن في أبو خروف

تعلم ابنه في شرق أوروبا الهندسة وعادات الكفر والإباحية

فلم ير الزواج مهما وحاجة

مرضت.. فذهب لعيادتها فأغرته بمواقعتها

وكانت طعنات قاتلة فمات في شقتها

فذهبت حياته إلى الأبد

هذا قصة ابن صديقنا حلمي!!

١٩٧٧



تقاعد حلمي

يعرف القارئ العزيز من قراءته لهذه الحكايات أن شارعا كبيرا يشكل قوسا لـ أبو خروف وهو شارع رئيس مثل شارع أبو خروف العام يحيط بالحي شمالا غربا ، ويأتي بعد هذا الشارع القوسي ساحات فارغة ، وبعضها فيها خردوات يجمعها باعة الخردة ، وهناك بجوارهم عشش مبنية من الواح الزينكو واللبن يسكنها الفقراء والمهاجرون من البلاد للعاصمة ، أو الأيدي العاملة القادمة من الأقطار المجاورة ، وهي زهيدة الأجرة ، وبعد هذه الساحات تهبط صفحة جبل فتجد أمامك مخيم العودة ، ويمكنك التنقل بين أبو خروف والمخيم عودة الأمل بسيارة خاصة أو مشيا على الأقدام ، وهذا المخيم أنشئ مع نكبة فلسطين ١٩٤٨، ويقطنه اللاجئون الفلسطينيون ، وهو مخيم كبير ، وأقامت هيئة الأمم المتحدة لأولئك اللاجئين المساكن من الخيم ثم تحولت إلى أبنية من الطوب ، ثم البناء مثل باقي السكان ، وأقامت أيضاً ناديا اجتماعيا للمخيم لممارسة الرياضة والثقافة ، ومدارس المراحل الأساسية حتى التاسع أو الثالث الإعدادي والمدارس للجنسين ، وبجوار المدارس أقامت مطعما لتغذية الطلبة من الجنسين ، وهناك عيادة صحية أو مركز صحي لأهل المخيم ، ومن يحملون بطاقة إغاثة من الأونروا هيئة إغاثة اللاجئين الفلسطينيين كأنها أنشت عام ١٩٤٩ أو ١٩٥٠ ؛ لتقدم تلك الخدمات للناس والناس يطلقون عليها اسم الوكالة أو وكالة الغوث ؛ لذلك تجد في المخيم مركزا لتوزيع الدقيق والسكر والزيت ومواد تموينية أخرى ويسمونه المؤن ، وكان في أول الكارثة يقدم الكاز والدخان .. وتجمع الوكالة المال وتقدم كل هذه الخدمات لأهل المخيم ، خاصة الذين يحملون بطاقة الإغاثة ، وبعضهم يسميها كرت مؤن كرت وكالة ، وهذه المخيمات موجودة في فلسطين نفسها والأردن وسوريا ولبنان ، وطالت قضية اللاجئين وأصبحوا بالملايين ، فهي تقدم الصحة والتعليم والطعام ، والكادر العامل فيها أغلبه من اللاجئين الذين يعملون في العيادات الصحية بوظائف مختلفة ، ومدرسين ، وإغاثة تموينية ، ونظافة شوارع المخيم والنادي ، وتوفر لهم الوكالة التأهيل في معهد للمعلمين ،والتعليم يتبع الدولة المقام فيها المخيم كإدارة ومناهج ،

وللمخيم مدير يتابع إدارة المخيم ونظافة المخيم وتوزيع الإغاثة الشهرية والصحية بالتحويل للمستشفيات حكومية أو خاصة بالوكالة ، وإضافة المواليد الجدد إلى سجل اللاجئين ، وهناك إدارة عامة تدير كل المخيمات في البلد الواحد تتبع لإدارة أخرى خارج القطر المضيف

قلنا للمخيم الفلسطيني مدير تابع للأونروا ، ومن مهام هذا المدير التنسيق مع البلد المضيف لإدارة المخيم وتوفير البنية التحتية للمخيم والأمن الشرطي ، وهو يساعدهم في توفير مواد البناء ، والبناء يتبع نظام المدينة التي أقيم مخيم اللاجئين فيها ، فمخيم الكرامة الذي أنشئ في مطلع الخمسينات في بلدة الكرامة الغور ، كانت بيوته من طوب الطين ، والأسقف من البوص وعوارض خشبية وفوقها طين ، واختفى هذا المخيم مع أحداث معركة الكرامة عام ١٩٦٨

أدخلت الدول الكهرباء لبيوت المخيم ، ثم حنفيات الماء المنزلي ، بعدما كان الناس يستخدمون فوانيس الزيت والكاز ، ثم ما سموه الشيشة واللوكس ، ثم اختفيا ، وحل محلهما مصباح الكهرباء وغاز النيون ، وكانت الماء غير متوفرة في البيوت ، وإنما توضع محطات ماء بين كل عدد من الشوارع ، وينقل الفتيان والنساء الماء إلى البيوت ، وكانت البيوت متلاصقة الجدار بالجدار ، يسمع الجيران بعضهم بعضا ، وهم داخل بيوتهم .. العيوب كثيرة ، كان الناس يقاومون السلبيات تلك بالقرابة وأبناء القرية الواحدة ، وكان للتقاليد الصارمة في أول الأمر صرامتها في حفظ الأعراض والغيرة على بعض ؛ ولكن مع الوقت ذهبت العادات الصارمة المحافظة ، ووجد جيل جديد دب إليه التحلل الأخلاقي في مثل هذه المجتمعات ، والمخيم قد يأخذ شارع رئيسي والمنازل على ضفتيه ، وقد يكون ساحة حولها البيوت تتخللها أزقة وشوارع ضيقة ويكون الشارع العام على طرفها وخارج المخيم ، ولا يوجد بين المباني تهوية وفصل ، تجد عدة وحدات متلاصقة كأنها عمارة واحدة بشكل أفقي ، ثم سمح ببناء طابق ثاني مع الضغط السكاني ، وهؤلاء قبلوا الحياة في هذه المخيمات على أمل العودة لمدنهم وقراهم في زمن يسير ، ثم طال المقام ، وكبر الفتيان وشاخ الشباب ، فتغير الحال وأصبح المخيم رمزا للجوء الفلسطيني والوطن الفلسطيني ، وابتعد الأبناء المتعلمون عن المخيم فبنوا على أطرافه ، وولدت ضواحي

وأحياء جديدة ، وبقي الابن الفقير الأب الحان لفلسطين في المخيم

بعض المخيمات كبيرة المساحة قليلة العدد البشري ، وبعضها صغير المساحة كثير البشر ، وأكيد لكل مخيم قصة لاختياره وتكوينه في أرض ما ، وحكايتنا هذه ليست عن المخيمات وعمارتها وأسبابها ؛ لكن بدأت القصة من المخيم ، وانتهت مأساة حلمي عيسى في أبو خروف الذي كان يعمل موظفا في عيادة المخيم المذكور كممرض ، والعيادة مكان ترداد ذكريات الكارثة الفلسطينية .. يلتقي أناس من مدن وقرى فلسطينية شتى ، فيتحدثون عن ذكريات التشرد أثناء انتظار العلاج والدخول على الأطباء .. قصص الناس الفقراء والأغنياء .. أسرار الأسر تظهر في العيادة خلال ساعات الانتظار .. لابد للكلام أن يخرج كنا .. وكنا .. وحلمي موظف الأونروا من سكان المخيم ، وله وحدة من غرفتين صغيرتين ومطبخ صغير وحمام وصالة صغيرة لاستقبال الزوار .. العيادة في المخيم مهمة لهم ومكان حيوي للشعب المتشرد من نير الاضطهاد الصهيوني العالمي ، فهي تقدم الخدمة الطبية الأولى للمرضى ، تقدم الإسعاف الأولي للمصابين وتوفر العلاجات الشهرية المتكررة ، ورعاية الحوامل والأطفال ..وهي تحول الحالات إلى المستشفيات بعد إجراءات ضرورية قد تستغرق وقتا .. فالموظف في العيادة ولو كان فراشا له قيمته عند أهل المخيم ، فهو يستطيع إقناع الطبيب بتحويل المريض إلى مستشفى .. والحكومة المضيفة تسمح للمرضى الفلسطينيين المعالجة في عياداتهم ومستشفياتهم

عيسى حلمي ممرض قديم عمل في الوكالة في سنواتها الأولى وهو اليوم يقرب الستين من العمر وهو على وشك إنهاء خدماته في العيادة .. والوكالة لا تصرف للعاملين فيها رواتب تقاعدية شهرية ، إنما يعطى العامل مبلغا قيما من المال حسب نوع العمل الذي مارسه خلال سنوات العمر وطول المدة التي خدم بها الوكالة ، ويعطى المال دفعة واحدة ، تدفع المكافأة والادخار له دفعة واحدة مع الأرباح التي جمعت له خلال فترة العمل .. وهو مبلغ كبير ومقبول وحسب الزمان الذي تقاعد فيه .. فهو في الأصل مبلغ مقتطع منه شهريا مع إضافة عمولة تشغيله ، وهو مال مستثمر في سويسرا والنمسا حيث مقر الوكالة الرئيسي .. قد يأخذ المتقاعد عشرين

ألف دينار .. ثلاثين ألف دينار .. وأكثر من ذلك إذا كان طبيبا مهندسا .. فبعض عمال القمامة لما تقاعد حصل ثلاثين ألف بعد خدمة ، ربما ثلاثون سنة تقل لخمس وعشرين أنه مبلغ كبير .. على كل حال على المتقاعد حسن إدارته واستثماره

والذي جعلنا نكتب قصته ونضيفها لمآسي أبو خروف أن الرجل سكن الحي بعد تقاعده ، وكان يمتلك بيتا في أبو خروف ، ففي أثناء خدمته في عقد الخمسينات اشترى البيت وهدمه وبناه من جديد ، وهو يتكون من طابقين ، وكل واحد منهما شقتان ، وسبب شرائه في ذلك الحي دون غيره من الأحياء أن بعض أشقائه سكنوا أبو خروف في وسط الخمسينات ، وبنوا قبله فتأثر بهم .. فشقيقه مروان لم يسكن المخيمات أصلا ، ولم تطب له السكنى فيها ، فباع وحدته وسكن في أبو خروف ، وهو مدرس من قبل الهجرة الفلسطينية الأولى ، وشقيقه الأصغر منه أيضاً هجر المخيم ، وسكن في بيوت مستأجرة ، ثم استقر مالكا في أبو خروف ، ففعل حلمي مثلهم ؛ ولكنه بنى وأجّر العمارة وبقي ابن مخيم كعشرات آلاف الفلسطينيين ، وبقي في المخيم لضرورة عمله في عيادة المخيم كممرض أو تمرجي كما يقول بعضهم .. مهمته تنظيم المراجعين قياس الضغط تغيير على الجروح غز الإبر في العيادة وفي البيوت .. وله أشقاء آخرون ، وله شقيقة تعيش معه في مخيم عودة الأمل ، وغيرهن من الأخوات

ظل الرجل ساكنا في المخيم طول هذه السنوات وفيا له ، وطابت له السكنى فيه ، وعاصر الأحداث التي عصفت بفلسطين والدول العربية المضيفة ، وما زال له الأمل أن يموت في فلسطين في يافا العربية بلد البرتقال اليافاوي ؛ ولكن عقد السبعينات أوشك على الأفول دون عودة دون رجعة .. وهو يعرف بحكم العمل في العيادة أغلب عائلات المخيم ، وكفاحهم من أجل البقاء والحياة .. يحزن بأحزانهم ويسعد بسعاداتهم ..والكثير منهم يحبون حلمي عيسى.. وهو يشاركهم أفراحهم وأحزانهم .. فأصبح وجها من وجوه المخيم .. ولما قرب إنهاء العقد مع الوكالة أخذ يستعد للرحيل لـأبو خروف حيث عمارته المؤجرة .. وبيت المخيم إما أن يبيع وحدته فيه أو يؤجرها لشاب على وشك الزواج أو متزوج يبتعد عن أهله .. إيجار البيت يدخل

على الفرد خمسة دنانير أو ثمانية في الشهر ، والطماع عندهم يؤجرها بعشرة ؛ مع معاناة التأجير حلمي يرغب بالسكن في الطابق الثاني من البناية ، والمستأجران متمسكان كل في شقته ، ويعتذران عن الإخلاء ، كل واحد منهما يأمل أن يخرج جاره ، وحلمي مصمم على الرحيل ، وهجر المخيم حتى أنه عرض عليهما المال مقابل الإفراغ والبحث عن سكن جديد ؛ بل سعى هو بنفسه باحثا لهم عن بيت جديد في نفس الحي والأحياء المجاورة ، وعند الجد ينكسون ويحرجونه

هو رغب في الانتقال من أجل الأولاد ، فقد شبوا وكبروا ، ويتذمرون من العيش في المخيم ، ليس عندهم الحنين الكبير للوطن المسلوب كأبناء النكبة نفسها ، فأصبح المخيم لجيل النكبة رمزا مهما لمدنهم وقراهم وبواديهم ..وللسيد حلمي ولدان وبنتان فقط ، رغم أن العائلة الفلسطينية المنكوبة ولادة ، ربما ظل ذلك لمطلع التسعينات .. والأم تكثر من المواليد رغم الفقر والجوع والتشرد .. فكثير من العائلات تقارب العشرة أنفار وتزيد .. فالأول أسمر والثاني أزرق تعلم أسمر في معهد تعليم الوكالة لمدة عامين كمدرس ، ولم يستهويه التدريس كعمه مروان ، ثم سعى لدى منظمة التحرير الفلسطينية التي أنشت في أول ١٩٦٥ لتحرير فلسطين يافا عكا ثم تخلت عن ذلك ؛ لتحرير ما يسمى بغزة والضفة الغربية اللتين استولت عليهما إسرائيل عام ١٩٦٧ ، وما زالت هذه المنظمة تجاهد لتحقيق الحلم الفلسطيني بإقامة دولة مستقلة عاصمتها القدس .. سعى أسمر لدى فصائل هذه المنظمة ، خاصة ذات النفس اليساري منها ، وأرسل مبتعثا إلى إحدى دول أوروبا الشرقية حيث العلاقات المميزة مع الأحزاب الشيوعية المسيطرة على حال تلك البلاد ، وهو يدرس الهندسة ليتخصص في أحد فروعها خاصة الهندسة الصناعية ورجع من سنتين فقط ، وتعاقد مع شركة مهندسا صناعيا ، وكان يضغط على والده قبل أن يعود وبعد أن عاد للرحيل من المخيم ، والوالد يؤجل ذلك حتى ينهي خدمته مع الوكالة ، وكان خلال السنوات الأخيرة يقارع المستأجرين ليرحل أحدهما في المرحلة الأولى ؛ لأنه سيزوج الأولاد.

والشاب الثاني أزرق لم ينجح في الثانوية العامة ، وتحول للعمل كميكانيكي سيارات ، وهو يعمل في هذه الحرفة من سنوات في منطقة حرفية ، ويرفض الزواج قبل شقيقه الأكبر أسمر وأما البنات فالكبرى منهما فايزة فهي بين أسمر وأزرق تزوجت في المخيم ، وقضت مع الزوج سنتين أو ثلاث تقل شهورا ، وطلقها الرجل لتأخرها في الحمل على زعم أنها عاقر ، والصغرى دخلت الجامعة ولم تنتهي منها بعد .

تقاعد حلمي ، جاءت الموافقة ، وأخذت إجراءات إبراء الذمة مجراها ، وينتظر خروج المستأجرين للطابق الثاني من عمارته في أبو خروف ليرحل إليها ، والمهندس يهدد بالرحيل والعيش دونهم .



مناورة

زار حلمي عيسى منزليّ المستأجرين عنده في الطابق الثاني الذي يسعى لتفريغه من الساكنين ، وأعلمهما أنه تقاعد منذ أيام ، وأنه يريد إخلاء المأجور فورا دون مشاكل ؛ ليسكن في أحدهما ويزوج ابنه المهندس أسمر في الثاني ، وأنه سيباشر بتقديم شكوى لدى المدعي العام ، وتحدث مع محامي في الموضوع

فقال أبو رامي : نحن يا سيد حلمي ملتزمون بالأجرة ، فالقانون إلى صالحنا ، ولا يجبرنا على إخلاء السكن

صاح حلمي بحدة : أنا لم أقبض منكما درهما واحدا منذ سنة .. أنتم لا تدفعون .. أين عقد الإيجار الذي بيننا ؟ أول سنة كتبناه ، ولم نجدده أين وصولات القبض ؟ أنا لم أستلم شيئا

قال أبو فهد : أين ضميرك يا عم حلمي؟!

قال بلهجته الغاضبة : مات .. ضميري في إجازة .. أنا لي أكثر من سنة وأنا أترجاكم لإخلاء العقار .. أنا دفنت ضميري ، لا يلوم أحد إلا نفسه .. أنا بنيت الدار للحاجة .. ارحموني يا سادة أنا صاحب العمارة أم أنتم؟!

قال أبو رامي : يا أبا أسمر المستأجر مالك .. لو كل صاحب بيت وقتما يشاء طرد مستأجريه ستصير الدنيا فوضى

خفض صوته وقال : يا إخواني أنا لي سنة أطلب إفراغ إحدى الشقق .. اليوم أريدهما الاثنتين كم مرة ناشدتكم المساعدة العون ؟ .. وذهبت بنفسي أبحث لكم عن شقق هنا أو هناك ، ثم تكسفونني أمام الناس.. أهذه أخلاق ناس محترمين؟! .. بيتي في المخيم على استعداد أن يرحل إليه أحدكم

ضحكوا وقالوا: نسكن في المخيم يا أبا اسمر !

صاح فيهما: وماله المخيم ؟! لي ربع قرن أعيش فيه .. عار السكن فيه .. هو الذي يذكرنا بتراب بلادنا وأرضنا وعدونا الغاصب .. صدقا لولا الأولاد كرهوا الحياة فيه لبقيت فيه حتى أموت

كما مات غيري .. الأولاد كبروا وتعلموا خاصة المهندس أسمر فهو مستعر من عيشة المخيم كان له عز المخيم قبل أكثر من عشر سنوات .. الأولاد لم يروا كم بذلنا لنعيش بكرامة في المخيم حملنا تاريخنا وذكرياتنا إلى المخيم .. المخيم قصة عشق بيننا يا سادة .. أبي مات في المخيم أيام الخيم قبل أن نبني اللبن .. أنا سعيت لكم في استئجار دور لكنكم تمردتم عليّ

قال أبو فهد مستسلما: يا سيدي أوجد لي بيتا في أبو خروف بنفس الأجرة أو قريبا منها وأنا على استعداد للرحيل إليه ، ومفارقتك يا عم حلمي .. صدق أني بحثت ، ولم أوفق أو يطلبون أجرة أكثر مما أدفع .. فإيجارات اليوم ليست كإيجارات قبل عشر سنوات .. نحن ندفع لك في الشهر عشرة دنانير منها الكهرباء والماء .. هل تجد لي مثل هذه الأجرة وهذه القيمة؟

- أنت لما استأجرت هذه الشقة كم كنت تأخذ راتبا ؟!.. كم كان دخلك قبل عشر سنوات يا حسن ، فاليوم دخلك زاد ، وبدأت معك بخمسة دنانير ليس بعشرة .. العشرة من سنتين ثلاث يا حسن .. أنا سأبحث لك عن بيت ، ربما تدفع بين الخمسة عشر إلى عشرين .. عشرة زيادة بالكثير

- أنا أقبل يا عم حلمي أنا لا أحب المشاكل .. وأنت الآن تركت الشغل .. وستطرق الباب كل يوم على أم فهد أين أبو فهد ؟ ألم ترحلوا بعد ؟! نحن بغنى عن هذا .

ضحك حلمي وقال: هذا الذي سيصير مع رفع القضية عليكم .. حسنا يا أستاذ حسن سأجد لك شقة هنا أو في حي النجمة الحي الذي قبل أبو خروف

- لا بأس

- وأنا اشكر لك هذه الهمة والتعاون .. وأنا سأدفع مائة دينار أو أجرة ستة أشهر مائة وعشرين هدية مني

- آسف يا أبا أسمر هديتك على رأسي وعيني .. اعذرني عن قبولها

عاد لحدته وقال : أقسم بالله إني سأفعل حتى تعلم أنني لولا الأولاد ما تركت المخيم .. الأولاد كبرت ، ويرغبون بالزواج .. اليوم لا تكفي زاوية في البيت للحياة كما كنا نعيش في أول الهجرة

المخيم حياتي ؛ لكن الضرورة لها حكمها .. وأعز الأصدقاء فيه والجيران .. الأولاد لا يحبون الحياة في المخيم ..وكل يوم منذ رجع المهندس من أوروبا ونحن في مشاجرات .. ويهددنا بالرحيل عنا ، ونحن كبرنا

قال أبو فهد: أنا أعرف عشقك للمخيم .. فنحن نعرف بعضنا من عشر سنوات .. وأنا بالنسبة لي قبلت بالرحيل إلى بيت آخر في أبو خروف أو غيره

– أشكرك مرة أخرى على تعاونك الكبير ، أنت أبدى من المحامي في الفلوس .. وأنت يا أبا رامي ألا تريد أن تشفق على رجل شاخ ؟!

قال أبو رامي: أنا من حقي البقاء يا عم حلمي ، ولن يكون أبو فهد خيرا مني ، وترك بيت بعد عشر سنوات أو تسع ليس هينا على النفس

– هل أنا منعتك من بناء بيت أو شراء بيت أو قطعة أرض كان يجب أن تفكر في هذه الساعة في هذا اليوم ، نحن عقدنا سنوي ونتعامل على الثقة والمعاملة الحسنة

قاطعه أبو رامي: على كل حال جارنا أبو باسل كلم زوجتي أنه قد يترك المنزل ، ويرحل عن الحي

– أعرف ذلك ، أتريد أن تنزل لأسفل ؟

– نعم ، نصبر حتى يرحل

– كأنك نسيت ابني أزرق

– فليبق في المخيم .. أنا لو أستطيع أن أعيش في تلك الأماكن الضيقة ، وعلب السردين لانتقلت إليها فإيجاراتها رخيصة.. أكبر وحدة بستة سبعة دنانير شهريا

– أنا أؤجرك إياها بخمس ليرات .. يا أخي أبا رامي أرجوك الأولاد يريدون الزواج .. المهندس عمره سبع وعشرين سنة ..يبغضون حياة المخيم .. وهم صبروا حتى أتقاعد ، لم يبق لي عذر بالمماطلة .. هم لم يعرفوا البلاد وبيارات البلد وزعتر البلد ، لم يعرفوا يافا .. لو قيل لهم سنعود إليها أتصور أنهم سيرفضون .. ألفوا هذه البلاد .. ولولا المهندس لما رحلت ؛ لكنه لما

عاد واشتغل سكن في شقة كم شهر ، وأمام كلام الناس وأعمامه عاد للمخيم حتى أتقاعد .. وها أنا قد تقاعدت .. أيكون عندي هذه البناية ويسكنون بعيدا عني ؟ وهم في مطلع الشباب بل غاب شهرين في أوروبا الشرقية قبل أن يعود للحياة معنا .. وسمعتم بهذه الحكايات

- يسكن أزرق معكم ، تكفيه غرفة

- والبنات، فايزة مطلقة كما تعلمون ، والثانية تدرس في الجامعة .. واليوم الشباب تحب أن تسكن في بيت مستقل

- وماذا ستفعل بوحدة المخيم ؟

- ستباع أو تؤجر أتشتريها؟

عاد أبو رمي للسخط : أعوذ بالله من غضب الله أنا اشتري في المخيم ؟! مرة جئت البيت من شوارع المخيم بسيارتي ما صدقت وأنا أخرج منه .. وأنا أتعجب كيف يعمل سواقين الأجرة في شوارع المخيم ؟! ساعة حتى تمشي عشرة أمتار .. حمدت الله أن خرجت سالما .. هذا يقفز من أمام السيارة ..وهذا يخبط ظهر السيارة لتقف ليقطع ..وذاك يطقق على الزجاج لتخفف السرعة كأنك مسرع .. وأنا أسوق على مهل .. هل استطيع الحياة في مثل هذا المكان ؟! سوف اختنق وأموت يا عم حلمي .. أنتم عجيبون بصبركم وحياتكم ..وهل يستطيع شرطي دخول المخيم؟!

- المخيم فيه نقطة شرطة ..الإنسان يتعود الحياة فيه .. وحياة المخيم بالنسبة لنا الذين حضرنا أحداث النكبة لها أحاسيس في وجداننا .. بيننا الألفة والحب والمواساة وشجون القضية ذكرى البلاد والقرى .. وأنا بنيت هذه العمارة للأولاد ، وأجدها عندما أكبر ويكبر الأولاد .. وفعلت كما فعل أشقائي .. قلنا دور المخيم لا تتسع مع الزمن

- تحل مشاكلك يا عم حلمي مع الأولاد على ظهري .. لن أكون نذلا ، سأكون مثل جاري أبي فهد .. وأنا تعودت هذا الحي رغم ما فيه من كوارث ومصائب بين حين وآخر ؛ لكن هذه حال الدنيا .. وهو مكان مناسب لمكان عملي .. وأمام هذا الضغط فابحث لي عن بيت مناسب

ولو كان في أبو خروف فذاك الفضل من الله

قال أبو فهد : استسلمنا لك يا أبا أسمر

قال حلمي: التعاون أيها الإخوان مطلوب .. أنا لولا الضغط عليّ من الولد ما هجرت المخيم لكن قدر لي العيش حتى يكبر الشباب ، وأترك ما أحب .. المهندس لم تطب له حياة المخيم أنا أعرفه بعد أن أرحل سيرحل .. سيختلق شيئا ليرحل ؛ ولكن عليّ أن أسايره ، وعلى أمل أن نبقى بجوار بعض كما عاش الآباء والأجداد .. لقد كبرت ودهمني العمر

- سلامتك يا عم حلمي

- سلمكم الله ، شكرا لتعاونكما



استطاع الممرض المتقاعد من وكالة الغوث الدولية بمساعدة معارفه في مقهى مهران أن يجد شقة في أبو خروف ، وقبلها أبو رامي وكانت بنفس الأجرة الأخيرة عند حلمي ، والذي اختلف وزاد أن يدفع فواتير الماء الفصلية والكهرباء الشهرية ، وقبل الرجل ذلك للصداقة بينه وبين حلمي ؛ والرجل له أقارب يعيشون في مخيم اللاجئين ، ويعرف أبا أسمر حق المعرفة ، وهو شخصية معروفة في المخيم ، وفي حل مشاكل ومشاجرات أهل المخيم ، وكذلك لمعرفته الشخصية بأبي رامي ، لقد جالسه على المقهى بحكم جيرة الحي ، وقد كانا يركبان التكسي معا إلى مركز عمل كل منهما ، وكلاهما موظف في أجهزة الدولة ، ودفع أبو أسمر أجرة ستة أشهر عن الرجل كهبة ، وبعد تمنع سكت أبو رامي ، وقدم الشكر لهما ، وبعد إعادة تأهيلها رحل إليها أبو رامي خلال ساعات

ولما جهز حلمي الشقة الفارغة بإعادة تغيير دهانها وطلائها، وعمل صيانة لأدوات الماء ومفاتيح الكهرباء والإضاءة رحل إليها تاركا المخيم بعد ربع قرن من العيش فيه ، وقدم طلب خدمة

الهاتف من شركة الاتصالات السلكية واللاسلكية ، واشترى عفشا جديدا ، غرفة نوم كاملة ، فهو كان ينام على الأرض في المخيم ، أغلب الفراش القديم وهبه لأخته وجيرانه في المخيم ، فقد ترك لهم الثلاجة والغسالة والغاز والمراوح .. وفرش غرفة بسريرين لأولاده وخزانة ملابس .. وما كاد يستقر فيها حتى وجد شقة أخرى للسيد أبي فهد في حي النجمة ، ورحل إليها أبو فهد فور تجهيزها بأجرة شهرية خمسة عشر دينارا مع الكهرباء والماء .. دفع الشهور الستة الأولى السيد حلمي كما وعد الرجل ، وتخلص الرجل من مستأجري الطابق العلوي ، وبقي اثنان في الطابق الأرضي ، وأحدهما سيتقاعد ويرحل خلال وقت يسير .

وكان حلمي راغبا في الطابق الأعلى ؛ لأن لكل شقة شرفة يستطيع أن يجلس فيها يشاهد الشارع والحي والناس في الصيف والربيع ، ومدخل عمارته على الشارع الرئيسي ، وبنيت قبل أن تظهر بناية المحلات التجارية ، وباستطاعته تحويل الطابق الأرضي إلى تجاري ؛ لكنه استغلها كسكن فحسب ، فعمار ته في آخر جزء من أبو خروف من الأعلى في المربع الذي يقع بين الشارع الرئيس الأعلى وشارع النحلة ، حيث تقع بقالة أبي صالح الذي مر ذكره في أول حكايات أبي خروف ومدخلها على الشارع الرئيس لأبي خروف ، لا يفصل باب الطابق الأرضي عن الشارع سوى عدة أمتار ، فإذا جلس في الشرفة يكون الشارع أسفل منه ، وهو يفكر بإغلاقها بالزجاج ليخف ضجيج السيارات عنها ، والجلوس فيها أيام الشتاء ؛ ولكنه أجل ذلك ريثما يزوج الأولاد ويخلص منهم.

ولما استلم مفتاح شقة أبي فهد قال لولديه : ها قد عدنا لقصرنا العتيد .. من منكم يرغب بالزواج أولا لنجهز له الشقة ، وليأخذ هذا المفتاح ـ وكان يلوح به بيده ـ ويبدأ بتجهيز الدار .. والأفضل أن أزوجكما في يوم واحد ـ إن شاء الله تعالى ـ لأخلص منكما مرة واحدة ، وتتحمل زوجاتكما خدمتكما ، وجارنا ـ وأشار للأسفل ـ كما اتفقنا على وشك الرحيل والعودة لبلده وأهله .. فهو سيتقاعد ويغادر خلال هذه السنة ، وسيكون الزواج بعد رحيله .. فعلى كل واحد منكم أن يبحث عن عروس مناسبة

فقال أسمر: وهل من الضروري الزواج ؟!

- يا ابني عمرك سبع وعشرون سنة .. أنا في هذا السن كان لدي ثلاثة منكم مع الذين ماتوا ؛ لأنه ماتت بنت قبلك يا أسمر ومات آخر بعد فايزة

قال كأنه محتج : وماذا تعني هذه السنوات ؟! هناك بعد الثلاثين والأربعين يفكر الشاب بالزواج البنات أقل قليلا من أجل الولادة

رفع حلمي صوته فقال : يا ولدي هناك الزنا مباح .. يظل الشاب في الخمارات ودور البغاء حتى يهلك ، ثم يفكر بالزواج وينجب واحدا أو نص واحد وانتهى .. أتريد أن تبقى من غير ذرية ؟! متى سنرى أنا وأمك الأحفاد؟! لم يبق من العمر قد ما مضى .. وأخوك يرفض الزواج قبل زواجك ..وأنت تتعلم هناك وهو يرفض .. الكبير أولا .. وأنا معي بقية مال الوكالة .. وأنت تريده قبلك .. جميل أن يكون الرجل شبابا وقويا وابنه شباب مثله .. فرحونا بكم يا شباب

فقال أزرق : تكلفة الزواج غالية اليوم

- لو وصلت مليونا سيتزوج البشر .. والزواج أسهل وأرخص من أيام زمان .. اليوم يوجد فلوس .. أيام شبابنا كنا في جوع .. نعيش على أموال الوكالة كأساسيات للحياة ..أكلتنا البراغيث عند الهجرة والنكبة .. عشنا في الخيام وتحت المطر والغريق والحرائق من شدة البرد لا مجال للمقارنة يا أولاد .. أيام من الصعب نسيانها نسيان آلامها .. الأمراض والأوجاع والخوف والجهل والجوع .. كانت شدة قاتلة .. نعيش على مساعدة ومؤن الوكالة .. والمشاجرات على طوابير الطعام لا تنتهي .. لما سمح لنا بالبناء بالطوب في المخيم ظننا أن نعيش بقصور ألف ليلة وليلة .. اليوم أصبح لدينا عمارات وسفر ومهندسون وطيارون وأطباء .. أصبح أولاد الفلاحين أطباء ودكاترة ..كانت حياة عصيبة .. عشنا فترة تنقل ورحيل تدمي القلب .. عرفت مخيمات الخليل ورام الله حتى استقر بي الحال في مخيم عودة الأمل بحكم العمل والوظيفة .. فعمكم مروان أستاذ قديم قبل النكبة استطاع بعد عمله في الوكالة أن يجد لي ولغيري عملا معهم ، ثم ترك هو وتابع الدراسات العليا .. وصار التشرد مأساة .. لم نتعود في مدينتنا بعد ترك القرية على

التشرد ولا البهدلة .. نعم ، يجب أن تتزوجا وتنجبان ذرية تتابع المسيرة والاهتمام بقضية الآباء والأجداد .. نحن شعب حي يجب أن لا نموت حتى تعود فلسطين حرة عربية لشعبها الوحيد يجب أن نتكاثر حتى نبقى ونحيا .. هذا عدو غاشم ظالم لا يرحم صغيرا ولا كبيرا

قال المهندس المتخرج من كليات أوروبا الشرقية : كان قومك أصحاب الثورات يصدعون رؤوسنا بمحاضراتهم عندما يزورون تلك البلاد ، ولما نسمع كلامهم نتخيل أنفسنا عدنا لفلسطين إلى يافا واللد والرملة وعكا ، ثم نعود للواقع فنرى أن الأمر بعيد المنال .. أتظن أن تعيش لتعود لحيفا والرملة ؟

قال حلمي بحسرة يصحبها أمل : الله اعلم ! هذه علمها عند ربي ؛ ولكن الوضع العربي بعد كل هذه السنين لا يسر ولا يبشر بخير .. ونحن ما زلنا نعول على الأمم المتحدة والعرب.. ما زلنا نتصارع لا ندري على ماذا ؟! كنا قبل نظن العودة فعلا قريبة .. كان الكلام الثوري يدغدغ المشاعر ، ويثير في النفس الأمل القريب .. نحن نقترب من نهاية السبعينات دون أمل صاروا يريدون تحرير رام الله والبيرة ونابلس ، أما يافا وحيفا وعكا فأصبحت حلما بعيد المنال ، يريدون العودة للتقسيم قرار الأمم ١٩٤٧، فعكا واللد تركوها للتاريخ ، شبعنا كلاما عن الوحدة العربية ، واليوم لا وحدة ولا شحدة .. ماتت الوحدة بموت ناصر .. كل دولة تعمل وحدها وذا في فلك أمريكا ، وذا في فلك روسيا ، وذا في فلك الشيطان .. دول تتناحر بالإذاعات صباح مساء .. وقد تتناحر بالسلاح ..أنا أقرأ بشكل جيد .. أقرأ الجرائد والمجلات وحتى الثورية دون فائدة .   – والتفرق علامة اليأس والبعد

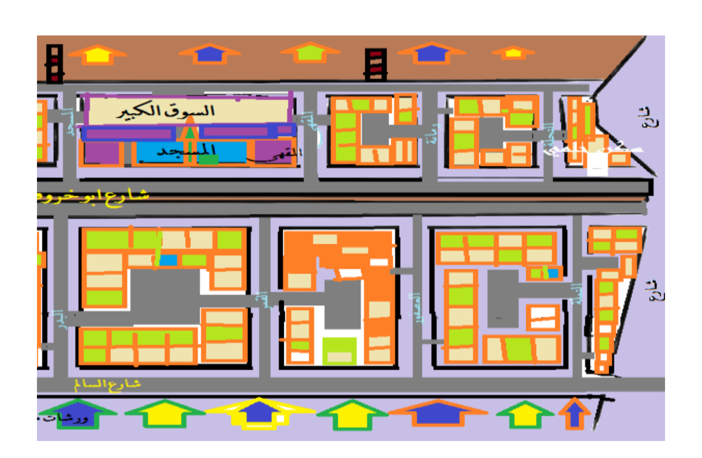
فعلق أزرق الصامت : المهندس يحب السياسة

فرد أسمر : والاقتصاد . يا سيد أزرق يبدو أنك صحوت

قال أزرق موضحا : لم أنم ، إنما أغمضت عيناي ؛ لعلي استوعب شيئا مما قاله أبي

ضحك أسمر وقال : أكيد استوعبت القضية الفلسطينية المعقدة !

ـ عندنا في الورش كلام كثير عن القضية العربية الأولى .


السوق الكبير
المسجد
المقهى
شارع السالم
ورشات

الحياة في الحي

انتقل المهندس أسمر وشقيقه أزرق إلى شقة أبي فهد بعدما أعيدت صيانتها وطلائها ، فأصبحت لهم دار نوم حتى يتحدد موعد زواجهما ، ويفرغ المستأجر شقته في الطابق الأرضي ، وقد أصبح حلمي بعد الاستقرار في أبو خروف زبونا دائماً يتردد أغلب الأيام على المقهى الذي يعرفه قبل رحيله ، لقد بعد عليه مقهى المخيم ، فالمخيم عادة يكون فيه عدد من المقاهي ، كل بضعة شوارع تجد مقهى أو أكثر حسب سعة المكان ، والمخيم طويل ممتد ربما يزيد عدد سكان المخيم عن خمسين ألف تلك الأيام ، والمقاهي الشعبية أصبحت أماكن التجمع ، وتبادل الأخبار الشخصية أو السياسية ، أولا لتوفر الراديو القديم فيها ، ثم التلفزيون قبل دخوله البيوت ، ولعب الورق وغيره ، وقد تجد في بعض المقاهي أناسا يلهون أكثر من رواد المساجد عند صلاة الفجر وغيرها من الصلوات ما عدا صلاة الجمعة ، فهو مشهود بالصغار والكبار ، وبعضها تسمح للنساء بالصلاة جماعة في هذه الزمن .. تجد المقاهي تعج بالبشر والرواد ؛ وربما يفترشون الرصيف للجلوس والثرثرة ، وتدخين النرجيلة وشرب الشاي بالنعناع ، وذلك في الصيف وأيام الدفء والمقاهي عادة قديمة ظهرت في المدن العربية وغيرها ..أكثرهم يلعبون الورق ويخترعون ألعابا أو يتوارثونها ، والتلفزيون اليوم يتوسط المقهى ويلتف قريبا منه حشد من الخلق لمشاهدة المسلسلات والتمثيليات .. والدخان يتصاعد في فضاء المكان كأنه سحابة تظللهم .. فهذا مما ابتلي به الناس في الأعصر المتأخرة وحتى أنك تجد المقاهي تنشأ قريبا من المسجد ؛ لتشجيع رواد المساجد إلى الجلوس فيها ، واختيار المصلين المقاهي القريبة من المساجد لعلاقة خاصة بينهما أو لأن المسجد يعتبر المركز للمدينة أو الحي الكبير

وحلمي له أصدقاء في أبو خروف قبل الرحيل بحكم عمارته ، وبحكم سكن إخوته أو أبنائهم وبحكم رحيل بعض سكان المخيم للحياة قبله في أبو خروف ، وبحكم مساعدته في حل المشاجرات الناشبة بين شبان المخيم وشبان أبو خروف ، فتعرف على أسرهم ، فهو يعرف سلمان أبا يوسف وشقيقه نعمان ، وأبا صالح كمال فدكانه قريبة من عمارة حلمي وغيرهم ، فهو محب

للجلوس على المقهى ، يسمعون أخبار الوطن المسلوب ، يتذكرون أيام البلاد والبرتقال اليافاوي ، وعداوة الإنجليز للعرب ، وتمكينهم اليهود من السيطرة على فلسطين يوما بعد يوم وقد يشرب الشيشة [النرجيلة] كما يقولون ، ولا أدري هل لفظة يشرب تصلح لذلك ؟ كما يقولون نشرب الدخان ؛ لكنه لا يلعب الورق ، يحب الحواديث والتعليق والتحسر ، ومرات يأخذ بالجلوس في المسجد بين الصلاتين المغرب والعشاء إذا وجد من يتحدث معه بعد صلاة المغرب ، وأحيانا يقرأ وردا من القرآن أو شيئا من كتب المكتبة .. بدأت تشيع المكتبات في المساجد في الآونة الأخيرة أكثر من ذي قبل .. خاصة تفسير ابن كثير الدمشقي فهو من التفاسير التي يحرص على وجودها في بيوت الله تعالى وكتاب رياض الصالحين للإمام النووي الدمشقي أيضا .

والسيد مهران يعرفه حق المعرفة ويحترمه ، فالرجل كان من رجالات المخيم خلال السنوات الماضية ، وتكونت له قاعدة شعبية مع الوقت ، وأتاحت له مهنته التعرف على الكثير من الناس والمخيم لا يوجد فيه إلا عيادة واحدة للإشراف على صحة ومعالجة الخلق ، فقد ساعدهم في حل الكثير من المشاكل سواء مشاجرات ومنازعات وحالات طلاق وحرد نساء من بيوت أزواجهن ، فكان مهران يتصل به للمساعدة ، فلا يخيبه العم حلمي ، ويمشيان في قضاء الحاجة وبحكم وظيفته وكبر سنه يجد الرجل قبولا لدى أهالي المخيم ، وكان محبوبا من أهل المخيم لصوته الجهوري ، ولحبه للنكتة والمرح ، والتعليق اللاذع على الأخبار السياسية والسياسيين .

كان يصلي العصر في البيت ولما يقترب الغروب يتمشى جهة الجامع ؛ فإن رأى الوقت للآذان قريب يدخل المسجد مباشرة ، وإن كان الوقت مبكرا على الصلاة دخل المقهى وشرب فنجانا من القهوة ، فهو من عشاقها ويشربها بكثرة ، ثم مع الأذان يدخل المسجد ، ويخرج بعد العشاء إلى البيت إلا إذا كانت هناك قضية يريدونه من أجلها في المقهى ، وقد يدخل بعض المحلات لشراء حاجة للبيت ، فخلال الشهر الأول تعرف على أغلب متاجر أبو خروف وأصحابها ، خاصة الذين في طريقه وعلى سوق أبو خروف ، بل زار مقر جمعية البر والإحسان ومكتب البريد

وصحة أبو خروف ، وحتى المكتبات تعرف على بعض أصحابها ومعروضاتهم ، والرجل بحكم عمله في صحة المخيم يحسن التعرف على الناس ويصاحبهم كأنه عاشرهم طويلا ، وهذا لا يقدر عليه كل الناس ، مع الوقت يتكون عند الإنسان خبرة للتعامل والتواصل مع الآخرين ، ويفهم مفاتيح شخصياتهم ، وليس كل من يسكن المخيم اليوم فقيرا ، كما كان في أول إنشائه .. تعلم الأولاد وصاروا ؛ لكن الأغلب متوسطو الحال .. وهو عنوان الأمل والعودة لفلسطين

دخل حلمي المقهى وحيا مهران ، ومشى إلى طاولة سلمان وأبي صالح وسلم عليهم بالإشارة ، فهم مستغرقون في اللعب وسحب كرسيا واستراح عليه ، وقال لنعمان : الآن أصبحت من أهل أبو خروف ، وصرت لكم جارا

قال نعمان: لا يا حبيبي أنت صرت جارا لإخوانك مروان وعصام

- بالعكس بيتك أقرب من بيت إخواني ، ودكان أبي صالح أقرب من بيت عصام يا سيدي .. أنا جاركم بالحي .. كان آخر بيت في المخيم جار لي .. والمخيم أكبر من أبو خروف .. وأنا الآن أسعى لتزويج الشباب .. والمهندس وأزرق انتقلوا للمبيت في شقة أبي فهد وننتظر رحيل جارنا أبي باسل ليأخذ كل واحد شقة .. وبيت المخيم أنوي بيعه فقد كبرت السن لم تعد بي قوة للنزول إليه ، وأخذ الأجرة .. فأحد أزواج بنات أختي التي بقيت في المخيم ينوي شراءه

فأوقف سلمان اللعب وخاطب حلميا : أنا مهتم بموضوع زواج الأولاد يا حلمي .. وأصبح لدي بعض العائلات ، هل أولادك يرغبون بالزواج عن طريقك وجادين في الزواج؟

أخذ نفسا عميقا وقال : المهندس أسمر كلامه لا يسر ، تعلم الفساد هناك ، يقول لماذا يتزوج الإنسان صغيرا ؟! هناك يتزوجون عند الأربعين .. سأعيد الحوار معه ثانية وثالثة .. أما أزرق فقد ربط زواجه بزواج أخيه الأكبر ، إنه لا يرفض الزواج كزواج .. وسيكون زواجهما في ليلة واحدة ـ إن شاء الله ـ فلم يقل لي أحد لا تبحث

- لا أحد يصلي من أبنائك

هز رأسه ألما وقال: كان أسمر يصلي قبل دراسة المعهد ، ولما دخل معهد الوكالة أصبح هواه

مع اليسارين دون الإلحاد ، غير مبال بالقيم الدينية .. الحياة من أجل الحياة .. لماذا يترك الأبناء الصلاة والصوم لما يذهبون للتعلم في بلاد الكفر؟! كان قبل السفر للدراسة يقطع للصلاة ثم تركها نهائيا .. الله يهديه .. وأزرق أراه نهار الجمعة إذا لم يذهب الورشة يصلي الجمعة فقط

قال نعمان: أنت لا تعرف سبب ترك الأولاد الصلاة عندما يسافرون؟ السبب يا سيدي البنات والحب والجنس ..الزنا عندهم بدون فلوس ، بدون ارتباط ، بدون تكاليف وفتح بيت وأطفال المعاشرة عندهم كإبرة بيولوجية إبرة بنسلين.. وكل واحد في دار أهله ، ولما تكبر الأنثى ترتبط بشخص لتلد واحدا أو اثنين على الأكثر ..سيتعلم الشاب ويحصل على شهادة ويتعلم السهر والجماع بدون ارتباط .. ولماذا كلما جامع امرأته يقوم يغتسل من الجنابة؟ لا جنابة عندهم ..لا يؤمنون بآخرة وحساب وجنة ونار

- ولهذا السبب خمنت أنه لا يرغب بالزواج .. ولماذا الارتباط بأنثى للابد ؟ .. فعلا مثل الحيوانات .. وهل بنات البلد كهؤلاء يا شيخ نعمان؟

- بالتأكيد لا ؛ لكن لا تخلو البلد من الفاجرات الساقطات الخائنات

قال سلمان: أكد لي رغبتهم

- لابد من ذلك قبل التورط مع بنات الناس



أتت شركة تركيب التلفونات إلى بيت حلمي وركبت الخط السلكي ، ووعدوه بتوصيل الحرارة إليه ، إما مساء اليوم أو نهار الغد ، وكان حلمي قد اشترى جهاز الهاتف عندما قدم طلب اشتراك للمؤسسة المسؤولة عن تمديد الشبكات ، ودفع الإكرامية للعاملين ، وقال له أحدهم : عندما أصل المكتب أبلغهم عن تمديد الخط لبيتكم

شكرهم حلمي ، وقال لزوجته ـ التي كانت تلملم كاسات العصير ـ بعدما أغلق الباب خلفهم: غداً ستصل الحرارة للخط أو سأتصل العصر مع أحد المعارف يعمل في الاتصالات

سأنزل لشراء بعض الفواكه ، وأتصل به من المكتبة أو من دكان أبي صالح .. ففيها تلفون بسقاطة .. هل كتبتم قائمة مشتريات اليوم؟

- إنها في مكتبك ومكتبتك

ومشى إلى الغرفة التي جعلها مكتبة ومكتب ، فوجد الورقة عليها أسماء أشياء ، فألقى نظرة عليها ، ورجع لأم أسمر فقالت : قد تحضر أختي وزوجها الليلة للسهر معنا .. وفوزية تحب البندق احذر من نسيانه

قال باسما : أعرف ، وقرأته في الورقة حتى تسمن أكثر .. بالك هل تدخل من هذا الباب ؟ ـ مشيرا لباب الشقة ـ كان بابنا في المخيم أوسع من هذا بقليل

- تدخل حرفا .. المشكلة صعود الدرج ، قد تستغرق ساعة وهي تصعد

- ينتهي وقت الزيارة قبل أن تصعد

- عندنا وسع .. الدار تسع بلد

- الحمد لله.. هذا من فضل ربنا

قالت : على كل حال زوجها راض بها

- أنا خائف عليها من الموت !يعني من السمنة والبدانة

ضحكت أم أسمر ، وقالت : الموت هو يعرف من هو نحيف ؟ ومن هو سمين ؟ ومن هو غني ومن هو فقير ؟ الأعمار بيد الواحد الأحد

- نعم ، الأعمار بيد الله ؛ لكن مراعاة الصحة والبدن مطلوبان يا بهيجة

- لا تنسى أنها ولدت لأبي فوزي عشرة بطون

قال معجبا بعديله : أبو فوزي فحل من الفحول .. من أختك عشرة ، ومن ضرتها ستة ، جيش عنده !

- الأولاد زينة الدنيا .. واليوم جلهم متزوج ، وأكثرهم متعلم .. وله ولدان في القوات العسكرية

- وله بنت في الطب العسكري أبو فوزي عديل وعز الأصدقاء .. لو يقبل يناسبنا في إحدى بناته

قالت بهيجة: بنات أختي كلهن تزوجن يا حلمي .. وبنات الضرة بعدهنّ في المدارس وإخوتهن يحبون تعليمهن مثل باقي البنات .. ويعملن في الحكومة كما فعلوا مع بنات أختي

- أبو فوزي التعليم عنده سلاح للبنت قبل الرجل .. والكبير يعلم الأصغر منه .. وهكذا تعلم الجميع

- يكفي أنه خلفهم وكبرهم

- المهم أختك أم فوزي لازم تهتم بصحتها ، وتخفف من وزنها ، وكلما كانت تمر على العيادة إلا نصحتها بتخفيف الوزن .. فأمراض الضغط منتشرة ، وإذا صحبته السمنة قد يفتك بالبدن

ضحكت بهيجة وقالت : لما أقول لها هذا الكلام ستقول ماذا أفعل؟ هل ألبس بنطالا قصيرا وأجري في الشوارع مثل هؤلاء الأجانب الذين نصدفهم يركضون عراة ، ويتسكعون في شوارعنا .

- هكذا لبس هؤلاء الملاعين حتى أثناء الشغل والعمل يلبسون الثوب القصير الذكر والأنثى.. أخذنا الكلام ألا تريدين إضافة أي شيء للقائمة ؟ .. أين فايزة؟

- ذهبت إلى المخيم

- وماذا بقي لنا في المخيم؟!

- لا شيء ، ذهبت تقيس قطعة قماش تركتها عند الخياطة جميلة ، فاليوم موعد القياس

- من اليوم فصاعدا عليها أن تخيط فساتينها وثيابها عند خياطات أبو خروف

- وهل المخيم بعيد ؟ ألست تذهب كل اثنين لزيارة رفاقك ؟

- بلى، أنا رجل يا بهيجة .. قطع الشارع للمخيم مرعب وأذهب بسيارة

- ربك الستير .. على البلدية إقامة جسر مشاة .. طالبوا

- وعدوا الناس بذلك ؛ لكن متى ؟ الله أعلم .. اطلبي منها أن تخفف رجلها عن المخيم

- هي أربع مرات تذهب في الأسبوع

- يعني كل الأسبوع يا بهيجة .. مرة عند عمتي ، مرة عند بنت عمتي ، مرة عند فلانة

- الله يستر على البنات

- آمين آمين



رجع حلمي من التبضع ، ووضع الأكياس على مائدة المطبخ وهو يلهث ، فأخذ نفسا عميقا ، وقال لبهيجة: كبرت فعلا يا بهيجة! كلما أصعد الدرج الهث ؛كأنني في مباراة ملاكمة ، وأشعر بالتعب

قالت باسمة لاعترافه : طبعا أنت كبرت ! أنت تفكر نفسك صغيرا يا حلمي! صور صدرك .. ولا تنس أنك منذ فارقت المخيم وأنت تصعد هذا الدرج ، لم يكن بيتنا هناك بدرج كبير ، درجة أو درجتان ثم تصبح داخل البيت .. هؤلاء يزدن عن عشر درجات .. إنهن يتعبن الحيل

فقال بعدما التقط أنفاسه : آ ، فوزية قد نضطر لحملها .. كيف ستصعد بالشحم واللحم الذي تحمله كل هذه الدرجات ؟ كان علينا السكن في الطابق السفلي

- خلاص لما يرحل أبو باسل ننزل لتحت ، ويبقى الشباب هنا فوق

قال مستثقلا الأمر : ونعود لفك وتركيب الخزانات والأسرة

فأجابت : إذن بطل التذمر والشكوى من الصعود والنزول

- تكلمت مع صاحبي في شركة الاتصالات ، ووعد أن تصل الحرارة خلال هذا النهار .. أحضرت الغداء؟

- ألا تريد الأكل مع البنات ؟!

فصاح: أنا لا أدري ماذا تفعل البنت في المخيم حتى هذه الساعة؟!

- أكيد ذهبت لبيت عمتها بعد مرورها على الخياطة جميلة غير معقول يا حلمي أن تصل المخيم ولا تسلم عليهم .. اجلس سأضع لك الغداء ، وأنا انتظر البنات وأتغذى معهن

- سمعت عبير تخبر أنها ستتأخر اليوم ستذهب لزيارة صديقة جامعة مريضة ، طلبت بعض المال

قالت بهيجة : جميل ! إذن كل وحدك ، ولما يحضرن يأكلن .. إني أسمع خطوات على الدرج كأن فايزة عادت .. أكيد فايزة .. إنها وصلت الباب

فتحت فايزة ودخلت وألقت السلام ، وقالت: عسى صار عندنا تلفون . ولم تنتظر الجواب ، فمشت نحو المنضدة الموضوع عليها جهاز الهاتف ، فرفعت السماعة وبعد لحظات همست بفرح : يا سلام! أخيرا صار عندنا تلفون .. كنا مزهقين البقال أبي موسى

فقالت أمها: أفيه حرارة ؟ وهل كنا نتكلم ببلاش صدقة كنا نحكي بمصاري ؟!

أجابت فايزة عن السؤال الأول : نعم ، فيه حرارة

التفتت إلى وجه زوجها وقالت : مبارك يا سيد حلمي علينا التلفون .. ها هي الحرارة دبت ووصلت

قال حلمي: كيف المخيم يا فايزة؟!

- ممتاز ! عشرة عمر يا أبي .. ولدت فيه وكبرت فيه .. ليس من السهل نسيانه ونزعه من القلب

ضحك حلمي وقال: أنت مثلنا تحبين المخيم بعكس الأولاد .. ما أخبار الجيران؟

- كلهم يهدونك السلام ويرسلون لك التحايا ، ومررت على عمتي ، وتسلم عليك ، وعلى أمي والشباب .. ويدعونكم للغداء معهم يوم الجمعة

قالت أمها: ولماذا؟

- لست أدري ؛ ولكن سمعت رائحة زواج

- زواج من؟

- ابنتها نبيلة

- نبيلة الصغيرة!

قال حلمي: صغيرة إيش! عمرها خمسة عشر عاما .. وماذا سمعت أيضاً؟

- سمعت ذلك ؛ لأنه تحدثوا به أمامي ، والعريس من هنا من أبو خروف

قال تعجبا: أبو خروف ! وكيف التقى نبيلة ؟!

- لم يلتق نبيلة ، ولم يرها .. خالته من سكان المخيم ، وأمه تبحث عن صبية صغيرة وحلوة .. فحتى العريس من كلامهم يبدو أنه صغير السن

ولا يدرس، يعمل نجارا مع والده ، وهم من سكان أبو خروف

قالت الأم بحسرة : لم نعرف سكان أبو خروف بعد .. كنت أعرف أغلب نسوان المخيم من أوله إلى آخره .. على كل سنذهب يا حلمي .. متى؟

- الغداء يوم الجمعة ، أما الزواج متى فلست أدري؟! يمكن لأبي أن يتصل بالبقال أبي موسى ويتحدث مع عمتي أو أولادها يخبرهم برقم التلفون .. فراس في البيت

- التلفون الآن شغال والرقم يحفظه أبوك

ترك الطعام وقال وهو يغسل يديه وفمه : سنجرب هاتفنا مع البقال حصوة

اقترب من الهاتف ورفعه وهو يقول: أوه ! فعلا وصلت الحرارة .. أين دفتر الأرقام ؟ ولكني أحفظ رقم حصوة .. كان هو عنواني ، وبينما هو يفكر ويتذكر الرقم رن الهاتف فقال: الله ! من يعرف الرقم ؟!

رفع السماعة وقال : نعم ، آ .. الشركة نعم ، وصلت الحرارة .. هات ورقة يا فايزة .

كتب رقم الهاتف ، وشكر الرجل ، وضرب رقم حصوة : آ يا معلم حصوة ! أبو أسمر معك اكتب هذا رقم تلفوننا .. نعم أعطيه لكل من أحب أن يتصل بنا .. أنت أول شخص افتتح الاتصال به .. أعط الرقم لأم فراس شقيقتي .. دع فراس يتحدث معي ، بعد دقائق سأتصل شكرًا لك يا معلم حصوة

خرج حلمي عند الغروب جهة الجامع فقالت فايزة لأمها : لدي موضوع يا أمي أحب أن أتكلم

فيه قبل مجيء أبي

هزت الأم رأسها بالموافقة على الاستماع ، فقالت فايزة: هناك رجل راغب بالزواج مني أخو جميلة الخياطة

- الذي ترمل من شهور ؟!

- ترمل من شهرين فقط .. قبل رحيلنا بأسبوعين .. تقول جميلة إنه يريد الزواج ، ولا بأس من الزواج مني .. وهو يعلم أنني لا أخلف .. وهو بحاجة لزوجة ترعى أولاده الأربعة

بعد صمت فايزة قالت أمها : أنت لا مانع لديك من الزواج منه

قالت بحياء : الزواج سنة الله ورسوله

قالت أمها بصراحة : أنت ستعشين خادمة لهم يا فايزة لست أما

- وماذا أفعل وأنا لا أنجب ؟! قضيت عند زوجي ثلاث سنوات ، وقد تزوج وخلف طفلا .. والرجل كما تقول جميله لا يهمه الخلفة

- قصدك ستعشين خادمة لهم ، أنت على علم بهذا مهما تغيرت الأسماء والجمل

- أكسب فيهم أجرا .. ويكون لي بيت وزوج ، ولا أحد يدوم للآخر .. والصغير عمره ثلاث سنوات ليس بحاجة كبيرة لي وظل راجل أحسن من ظل حيط .. والأعمار بيد الله سبحانه .. زوج خير من لا زوج .. أنا من ناحيتي قلت لجميلة لا مانع لديّ .. فالزواج شرعة الله .. ونحن نعرف جميلة وأهلها وإخوتها منذ سكنّا في المخيم ..وأنا من رأيي أن تقنعي أبي .. وأنا أرى نصيبي وحظي في الدنيا .. حتى أن جميلة لتقنعني تقول إن شقيقها سعيد سيسعى لمعالجتي من العقم ؛ لعل الله يهبنا طفلا تقر الأعين به

قالت الأم : أنا يسرني ويسعدني زواجك ، بس سعيد شقيق جميلة ـ وأنت تعرفين ما أقول ـ كان يضرب زوجته ضربا مبرحا كل الجيران يفزعون إليهم ..هو عصبي وامرأته ماتت مغلولة منه وماتت كما يهمس الناس من ضربه وعصبيته وغضبه

- أعرف هذا ، وأكثر الناس كانت تضع الحق على امرأته ، هي التي كانت تعصبه وتنفرزه ..

ونفسها كانت عصبية .. وأحسب نفسي أني أهدى وأصبر منها ، أم تريدين أن أبقى خادمة لنساء أولادك

قالت الأم : أولادي يا فايزة لم يتزوجوا بعد ، وكل واحد سيكون له بيت وحده ، وأنت لك أحد هذه البيوت .. وأنا أسعد بزواجك ، نحن تركنا المخيم ، ستكونين وحدك مع عائلة أبي سعيد ، وأخشى أن لا تطقين الحياة معهم

– بيتنا في المخيم موجود ، والحياة تجارب

– تجارب ، والسعيد من اتعظ بغيره إذا كان عندك استعداد حقيقي لتحمل أبي سعيد وأم سعيد وسعيد وأولاد سعيد سأضغط على أبيك وإخوتك وأشجعهم لهذا النكاح .. أمستعدة للتحمل والصبر والرضا؟!

قالت: فلن يتذكرني إلا إنسان مطلق أو أرمل أو من يريد التعدد .. والأهم في أمر سعيد أنه يعلم أن زواجي فشل لعدم القدرة على الإنجاب .. هل سيتزوجني السلطان يا أمي؟! لن يفعل ولست ملكة جمال العالم ، لابد من المغامرة

– حسنا يا فايزة سنغامر معك هذه المغامرة .. أرجو أن لا أراك بعد يوم أو أسبوع على الأكثر عائدة للبيت تبكين .. تسرعت يا أمي كان عليّ أن لا أقبل بسعيد وأهله

– كوني معي يا أمي .. أتحبين أن أبقى معك هنا ؟

– لا ، أنا أحب لك الزواج والستر ؛ ولكن من آخر أحسن من سعيد ابن مخيمنا ..جميلة سيدة فاضلة وزوجها محترم ، أما سعيد فكانت مشاكله ومشاجراته ومعاركه معروفة للقاصي والداني كان يضربها في الشارع أمام البيت وأمام الناس زاعما لنا أنها ساعة غضب وزعل .. في الليل يضربها ويزعجون أهل الشارع والنائمين .. غداً ـ إن شاء الله ـ تعطيني قرارك النهائي وإذا وافقت على الاقتران بالأستاذ سعيد والحياة مع سعيد كزوجة وأم لأولاده سأفاتح أباك وإخوتك ، ولسوف أجبرهم على القبول من أجل خاطرك

ـ جيد سيكون الجواب غداً ..سأحسم الأمر وأتوكل على ربي وسأستخير ربي .. وسيلهمني

حسن الاختيار .. حتى جميلة أخبرتني أن سعيدا الذي أعرفه تغير ، وذلك بعد موت زوجته وأصبح يرتاد المساجد

ـ حر الصدمة .. الله يهديه ويتوب عليه .. غداً نحسم الأمر



يد فايزة

لبس حلمي بذلة جديدة ، وكان ينتظر صالح كمال السائق على خط أبو خروف النجمة وسط المدينة ـ حيث مجمع كبير للخطوط الناقلة للركاب إلى أحياء العاصمة ـ وهو يعرف صالحا قبل رحليه للمخيم ، وكان قد قابله في المقهى وربط موعدا بينهم ، وكانت زوجة صالح من بنات المخيم ، فلما سمع نفير السيارة أمام البيت قال وهو ينهض : جاء السائق يا بهيجة هيا هيا يا فايزة

– أنا جاهزة .. فايزة ستبقى في انتظار عبير قد تعود من الجامعة

لم يعلق حلمي وخرج هابطا الدرج حتى وصل بوابة البناية الرئيسة وفتح الباب ، وخرج منه ؛ فإذا هو على الرصيف وصالح يقف أمام سيارته يمسح زجاجها الأمامي ، فحياه ودخل الكرسي المجاور للسائق [الشفير] ، ولما جلست أم أسمر جلس صالح في مقعده ، فسمع أبا أسمر يهتف : كيف حالك يا صالح؟ أنت لك عنوان يتصل بك عند الحاجة

– لا يوجد لدي هاتف خاص ، استريح مرات عند مقهى مهران لشرب كوب من الشاي فاترك لي خبرا عنده ، ونحن ـ وأنت سيد العارفين ـ لا يسمح لنا بتغيير الخط ؛ لكننا نخالف النظام تارة وتارة في طلب خاص ، والشرطة تعتبره ظرفا خاصا ، فاترك الموعد عند مهران أو أبي سعود المعلم الكبير بعد مهران ، فلما يرني سيتذكر الموعد ، فهو فطن وذو ذاكرة قوية ولا ينسى .. أنا عنواني المقهى .. نحن بعد نقل الناس إلى وظائفهم وأعمالهم يخف عملنا حتى موعد مغادرة الموظفين فينشط الشغل إلى ما بعد العصر بقليل .. ففي بعض الأوقات نتمكن من الخروج عن الخط .. وأنا سأعطيك رقم واسم سائق يعمل في مكتب جمعة لسيارات الأجرة الصفراء تجده عندك كلما تطلبه .. فهؤلاء كما تعلم لديهم حرية التنقل بين الأحياء دون مخالفة للنظام

كان هذا الكلام والسيارة منطلقة للمخيم ، فبعض الناس يذهبون إليه مشيا على الأقدام كما تفعل فايزة ، ولكن كبار السن يحتاجون لجهد للوصول إليه ، ربع ساعة مشيا يكون الإنسان على أطراف المخيم ، ولكن بيت شقيقة حلمي في وسط المخيم ، والرجل ذاهب لمناسبة اجتماعية

سيأتي وجهاء لخطبة ابنة أخته ، فيحتاج لبعض الرسميات ، وتستغرق السيارة بسبب الشوارع واللف والدوران لعشر دقائق حتى تصل الهدف ، وبعد مضي تلك الدقائق كانا في المخيم ينزلان عند بيت شقيقته مريم ، ولما تركا السيارة نزلا درجا ، ثم مشيا في شارع حتى وقفا أمام بيت أبي راجي زوج أخته مريم ، واستقبلتهم أخته وزوجها ورحبوا بهم ، وأخذه أبو راجي لغرفة الضيوف

ورحب به الموجودون وشكروه على تلبية الدعوة ، وقال أبو راجي : بعد صلاة العصر سيأتي القوم ، وبعد الاتفاق سيكون الفرح ، وسيأتي الغداء بعد قليل من أحد المطاعم

وجلست بهيجة مع النساء ، وكان سعيد الأرمل بين الضيوف ، مما أدهش وجوده حلمي فسأل نفسه : ما علاقة سعيد وأبي سعيد بدار أخته بمثل هذه المناسبة ، هم جيران تفصل بينهم بضعة شوارع ، وتذكر أنهم من بلدة واحدة من قرى فلسطين ، فصافحهما ورحب بهما ، وبعد حين يسير قال سلمان أبو راجي: يا حلمي ابن عمي أبو سعيد يرغب بالحديث معك في موضوع خاص

التفت حلمي لعيني أبي سعيد وقال : تركنا العيادة يا أبا سعيد

- لا ، ليس الموضوع طبيا .. تفضل أبا سعيد بالجلوس قرب أبي أسمر

انتقل الرجل إلى كرسي فارغ بجانب حلمي وحياه من جديد ، وصارحه برغبة سعيد الزواج من ابنته المطلقة ، وشرح له الوضع ، وأنه بحاجة لزوجة ترعاه وترعى أطفاله ، فأم سعيد حرمة كبيرة ودهمتها الأسقام ، وليس لديه رغبة بالمزيد من الأطفال ؛ لذلك وقع الاختيار على فايزة حلمي ، وهي معروفة لهم ، وهم معروفون لهم ، وعدد محاسنه ومحاسن ابنه سعيد .. وحلمي صامت ، وترى في الحجرة الدخان يملأ جو الغرفة ، وكان حلمي يسمع ويقول لنفسه : بهيجة أكيد تعلم بهذا الفِلم

ولما سكت أبو سعيد منتظرا رد حلمي ، قال حلمي: أنا فعلا أعرفكم خير المعرفة .. شارع بيننا في المخيم .. ولا أسرار في بيوت المخيم .. وأعرف أن ابنك سعيدا كان سريع الغضب ويضرب

امرأته دون حياء من الناس.. وهو المربي لأطفال المخيم .. وأنه هو الذي قصف عمرها عمر زوجته

احتج أبو سعيد وقال: يا حلمي عيسى كانت سيئة .. وتتطاول عليه دون حياء ..لا تنكر ذلك أنت والإخوان .. كأن لا أحد درس في الدنيا إلا هي .. كل الشباب تعلم ورحل .. وسعيد مدرس في الوكالة كما تعلم .. لولا سوء خلق امرأته ما ضربها .. ونحن نطلب يد ابنتكم بحكم الجيرة والصداقة التي بين جميلة وفايزة فإنهن كالأخوات .. وجميلة هي التي اقترحت ذلك ..ولا تنسى أن ابنتك لا تنجب .. وسعيد يريد واحدة لها هذه الصفة .. فهذه فرصة يا حلمي للبنت أن تعيش كزوجة معززة مكرمة

قال حلمي باستسلام : هذا هو السبب الذي قد يدفعني للقبول يا سلمان .. الأستاذ سعيد على الرأس والعين ـ ووضع كفه على رأسه ـ على أن يتعهد أمام هذه الوجوه أن لا يضربها ويؤذيها ، وإذا دخلنا بالمعروف نخرج بالمعروف ـ كما يريد الله سبحانه ـ وإذا أساءت إليه فأنا وأنت نحل الإشكال

– أنا أتعهد لك بذلك يا حلمي نيابة عني وعن ابني سعيد

– لماذا تريدون ابنتي يا أبا سعيد وأنتم تعلمون أنها لا تلد ؟!

تنهد أبو سعيد وقال : أنت رجل غانم ..وسعيد عنده أربعة أطفال ، أكبرهم ابن عشر سنوات فهم بحاجة لأم وليس زوجة أب ، وهو لا يرغب بالمزيد من الخلفة .. يفكر بدراسة الماجستير والدكتوراه .. فهو من غير جيلنا جيل الهجرة .. وجميلة تحب فايزة جدا ، وكانت ترغب قديما بطلب يدها لأحد الأولاد ؛ ولكن سبقنا إليها .. وجميلة أخبرت فايزة بهذا الرغبة .. والبنت تركت الأمر للوالدين .. وأنا تكلمت مع أبي راجي صهرك وقريبي ..فذكر لي هذا اللقاء الطيب ـ إن شاء الله ـ فقلت أخاطبك مباشرة ، ونجعل الفرحة فرحتين .. ومسألة الضرب لن تراها من سعيد

– على كل حال نحن جيران وأهل ومعارف يا أبا سعيد .. وما دام أنك تعهدت لي أمام هذه

الوجوه أن لا تضرب البنت على الحامية ولا الباردة .. ولا يضربها كلما يعصب ويغضب فسأشاور الجميع ليكونوا على علم

- بارك الله فيك يا حلمي ..لا تتأخر في المشورة .. فأم سعيد تعبانة من أولاد سعيد ..وأنت خير من يعرف أمراض الكبر فعندها السكري والضغط والمفاصل

قال سلمان: أنت عليك أن تتزوج يا حاج عبد القادر

- آه! لو تسمعك الحاجة أم سعيد .. لو كانت على فراش الموت لن تسمح لي .. مرة سعيد قبل سنوات ذكر لها ذلك .. فجن جنونها، وكادت تطرده من المخيم، ويبيع بيته .. ما زالت تظن نفسها ابنة اربع عشرة سنة .. أم سعيد لا تؤمن بالتعدد مع أن والدها تزوج أربع ، ماتت اثنتان منهن قبل النكبة ، ولم ينجب منهما إلا ولدا ومات عند الولادة ..وولدت الاثنتان الأخريتان خمس بنات وولد ، مات بعد الهجرة بسنة

دعا حلمي بالرحمة : رحم الله أموات المسلمين .. تعال يا سعيد قرب مني

كان سعيد مصغيا لهم وسمع كل الكلام ، عندما يتكلم الكبار يلزم الأصغر سنا الصمت حتى لو احتد بينهم النقاش ؛ لأنهم يثورون ويتفوهون بما في قلوبهم ، ثم يعود الود إليهم وبينهم ، فاقترب سعيد منهما ، فقال له حلمي: أترغب بمصاهرة عمك حلمي ممرض المخيم أكثر من عشرين سنة ؟ ربما قدر لي أن أدخل الكثير من بيوت المخيم لضرب ابر البنسلين وغيرها للمرضى .. وأذكر أني فعلتها معك وأنت صبي صغير ، أنت موظف ، وأنا كنت مثلك .. أبوك كما سمعت تعهد لي بأن لا تضرب فايزة البتة إذا صار نصيب بينكم ، كما كنت تفعل مع الأستاذة أم عبد القادر .. أمام هؤلاء إن لم ترتاح للبنت تعال عليّ أنا ونحل المشكلة ولو بالطلاق دون أن تدفع شيئا .. إذا شكتك لو مرة واحدة أنك مددت عليها يدك بالضرب واللطم ـ وأتمنى أن لا يحدث ذلك ـ فسيكون لقاؤنا على باب المحكمة الشرعية .. وأنا سأوصي ابنتي بالصبر والتحمل إذا قبلت بك ، ولا أظن أنها ترفض ما دامت جميلة في الموضوع ، وهي المحرومة من الذرية .. فهي فرصة لتعيش كأم وتربي معك الأطفال ، مع أنهم كما نرى في واقعنا سيكرهونها ، ربما لأن

أمهم ميتة سيتقبلونها ، فكن يا سعيد رجلا رجلا بمعنى كلمة الرجولة ، ليس الذكورة فحسب ومحترما لعمك الكبير حلمي عيسى جارك القديم ، ولا تنسى يا ولدي أنك مربي أجيال

قال سعيد بصوت مبحوح أو كأنه مخنوق : بليت بأم عبد القادر يا عم حلمي ..كانت سيئة الخلق .. كانت كثيرة التباهي بشهادتها وإخوتها ؛ كأن لا أحد تعلم في المخيمات إلا أسرتها وهي كانت تغضبني بكثرة .. وأنا أرجو أن أكون عند حسن ظنك بي ، ولا تسمع عني إلا كل خير وسأهتم بمعالجتها من العقم ؛ لعل الله يحدث أمرا .. وتقوى الصلة بيننا بوجود الذرية وأمي تحب فايزة ، وخياطة المخيم أم محمد تحبها وتعزها ، وهي التي شجعتني على الارتباط بها

- الليلة بعد انتهاء جاهة نبيلة بنت أختي سأتحدث مع فايزة وأمها والأخوة ، ولا أحد يرفض بعد موافقتي .. اتفقنا على عدم مد يدك إليها ..وستقوم البنت بواجبها نحوك ، ونحو أولادك على قدر طاقتها .. وتذكر يا ولدي أنك أستاذ علمت وتعلم .. ويسرني أن أراك كبيرا في الدنيا والآخرة

قال سعيد شاكرا : أنا أعدك أمام هذه الوجوه وأبي بأن أكون الزوج الصالح الطيب المسالم .. ووصها عندما تراني غاضبا ومتضايقا أن تتركني وتبعد عني ، ولا ترد عليّ بجواب .. ولن يحدث إلا كل خير

قال حلمي: توكل على الله .. نحن جئنا لخطبة بنت أبي راجي فنكاد تخطيب ابنتنا ..وخطب ابنتنا يحتاج ليومين أو ثلاثة ، سأنقل لكم بنفسي موافقة فايزة والأسرة ـ إن شاء الله تعالى ـ فلقد ركبت تلفونا في الشقة يوم أمس

قال أبو سعيد: نقل النمرة لسعيد

قال سعيد: خذ تلفون المدرسة ؛ وربما ما زلت تذكره من عملك في العيادة فيمكنك الاتصال بي على رقم المدرسة .. البيت بدون زوجة ضيق يا عم حلمي

- عندي الكثير من الأرقام

قال أبو سعيد: بارك الله فيك يا سيد حلمي عيسى أنت أصيل !



عاد حلمي من المخيم في سيارة شقيقه الذي تقاعد من التعليم وأنشأ شركة كبرت خلال سنوات ، وتركه مروان وزوجته أمام بيته ، واعتذر لهما عن الدخول قائلا: أنا من رأيي يا حلمي أن تزوج البنت .. فهذه فرصة ، ولابد من غض الطرف عن بعض الأخطاء ، وأهل المخيم أنت تعرفهم أكثر مني

كان مروان أكبر من حلمي بثلاث سنين ، واشتغل مدرسا مع حكومة الانتداب على فلسطين وبعد النكبة عمل مع الأونروا ، ثم تركها واشتغل بالتجارة ، وأصبح له عدة شركات يديرها وأحب أبو خروف وبنى فيه ، وشقيقه الأصغر منه يعيش أيضاً في أبو خروف

دخل حلمي البيت تتبعه أم أسمر ، وفتحت لهم فايزة التي ما كادت تراهم حتى احمر وجهها ، وجلس في الصالة وطلب كأس ماء ، وقال لبهيجة: سمعت كلامي لمروان

شرب الماء ، وطلب كوبا من الشاي الثقيل ، فهو عندما يشعر أو يصاب بصداع يطلب شايا ثقيلا ، فقالت بهيجة وقد شربت الماء هي الأخرى: أبو سعيد استغل زيارتنا وحدثك بالموضوع أم سعيد كأنها تعهدت بالصمت ، لم تتكلم بشيء استطاعت أن تصبر .. المهم أنت ما رأيك ؟

– أنا كنت أرى أنك تعرفين!

– أصدقك الحديث ؟

– نعم

– تعالي يا فايزة

جاءت فايزة بالشاي ، وسمع كلام بهيجة ، وقص عليهم مناقشته مع أبي سعيد بكل ما يذكره ومع سعيد ، وختم الحديث والمصارحة قائلا: أنا لا مانع عندي يا فايزة .. ونحن جيران من

يوم بني ا المخيم ، ومن قبل أن تولدوا ..وأنت تعرفين سعيدا ومشاكله مع زوجته، وهو يزعم كما زعم قديما أنها هي السبب .. وأنا لولا ظروفك الخاصة ما قبلته لك .. أنا لا أحب ضرب النساء ، ولا احبه لبناتي ؛ لكنك امرأة مطلقة وعاقر .. فالزواج سترة وعفة وديانة ..وهل فكرت كما اتفقت مع أمك ؟ أنا متأكد أنها فرصة طيبة أن تقومي بحياة الأم الدور الحقيقي للنساء .. وهذا قدر الله

فاعترفت فايزة أن جميلة شجعتها على هذا الارتباط ، وقالت ذلك لأمها مساء أمس

فقال حلمي: إذا كانت لديك القدرة على الصبر والحياة مع الأستاذ سعيد وأولاده فعلى بركة الله هذه حياتك أنت .. لا أحد يبقى لأحد .. وابنه الكبير ابن عشر سنوات سينظر إليك نظرة عدائية ، وأنك أخذت مكان أمه .. فأنا خبرت الناس ومشاكلهم إن عمل العيادة جعلني أسمع هذا وأسمع ذاك .. فكري بشكل جدي .. وأنا حذرتهم من ضربك ، ومد يده عليك ؛ لكن العادة غلابة ، وإن فعل ذلك سيكون اللقاء على باب المحكمة الشرعية.. وأنت تسمعين ما أقول.. والمثل يقول من شب على شيء شاب عليه.. لكنه ذكر نصيحة طيبة وهي عندما ترينه في حالة غضب وعصبية الزمي الصمت .. لا تردي عليه ولو شتم أمك وأباك ..ودعيه والزمي حجرة أخرى حتى يهدأ الحنق والضيق .. أتستطيعين الصمت ؟! النساء من طبعهنّ الرد والنكد لو كنت ألاحق أمك بمطالبها وشكواها لافترقنا من أول سنة زواج .. الزواج طاقة وتحمل .. وصبر ومودة وسكينة

قالت بهيجة: فايزة موافقة يا حلمي .. لما صارحتني بالموضوع عصر أمس أمهلتها لليوم ؛ وانشغلنا بمشوار المخيم .. وها هو عاد علينا بفائدتين خطبة نبيلة والكلام على فايزة .. وأنا لم أحدثك ليلة أمس أحببت أن تأخذ فرصة في مشاورة نفسها .. وهي الآن سمعت وصاياك وكلامك المفيد ..وعلينا أن نقبل ، فهي لا أظن أنه سيتقدم لها شاب لم يتزوج من قبل ، وقدرها عدم الإنجاب ، والرجل لا يرغب في الإنجاب ، فلن يعيرها بذلك ؛ بل وعد أخته بمعالجتها ؛ لأن الطب النسائي يتقدم يوميا ، وهاهم كرروا الكلام هذا أمامك

قال الرجل : آ يا فايزة أعتبر كلام أمك نهائي .. فكرت ليلة أمس بالمخاطرة التي أنت مقدمين عليها .. لولا معرفتنا بعصبية سعيد لقلنا له في نفس الجلسة مبارك .. فهم ينتظرون تلفونا مني حتى على المدرسة .. الزواج الثاني ليس لهوا ولعبا الفشل يعني قطع الأمل بزواج ثالث

قالت فايزة: أنا منذ تكلمت معي جميلة بالزواج من شقيقها سعيد .. وأنا مشغولة الذهن وأعرف كثرة مشاكلهم الأب والأم والابن

– لكنهم طيبون ويتصالحون بسرعة .. هكذا بعض الناس .. لديهم عنف ينفسون عنه بالصراخ والشجار ، ثم يعود الهدوء كأن لم يكن شيء بينهم .. وأنت ابنتنا وغالية علينا ومن حقك أن يكون لك بيت وزوج .. وأنت تحبين المخيم ليس كإخوتك ترينه جحيما كأسمر وعمتك وبعض أولادها بجوارك .. على كل حال فكري وقبل أن تنامي قولي القول النهائي والزواج قسمة ونصيب .. والصبر مفتاح الفرج .. وسنسمع قول إخوتك بعد العشاء .. وعبير لم تعد من الجامعة بعد

– عادت ؛ ولكنها نائمة عندها صداع شديد وربما إنفلونزا

– عندما يدخل الشتاء تكثر هذه الأمراض ـ شفاها الله ـ الإنفلونزا والرشح واللوز .. هذا موسم هذه الأوجاع .. سلامتها اطمأني عليها يا بهيجة ..اذا تلزمها إبرة أذهب وأشتريها لها .. أكلتم ؟

– أنا أكلت .. وهي رفضت الأكل .. شربتها ليمونادة، ثم كوبا من الشاي ، ودخلت الفراش

– العشاء نجتمع ونسمع رأيك الخطير يا فايزة .. وإذا فكرت ورأيت أن الزواج غير مناسب فالبيت بيتك ، لا نقبل لك الضيم .. الحياة الكريمة لابد منها .. ولا تعني الحياة الكريمة أن تخلو من المشاكل والنكد ؛ وإنما أمور طارئة وسريعة الزوال .. على المرء المزاوجة بين الحياة الزوجية والحياة في بيت الوالدين .. وضعي ثقتك بالله

– إني أستخير منذ أمس

اجتماع العائلة

اجتمعت العائلة على العشاء، ولما تناولوا طعامهم ، واستراحوا يشاهدون التلفزيون ويشربون الشاي ويأكلون الفواكه ، طرح حلمي على الشباب مشروع زواج فايزة من سعيد جارهم الأرمل قبل انتقالهم إلى أبو خروف ، وكانوا يسمعون وهم ينقلون أبصارهم فيما بينهم حتى صمت الأب ، فقالت عبير وهي تحدق بفايزة : هذا الموضوع يتحرك سريعا يا فايزة!

ردت فايزة بسرعة : كان أبي اليوم في المخيم لحضور جاهة نبيلة بنت عمتنا ، والتقى بأبي سعيد وسعيد وتحدثوا في الموضوع

عاد حلمي يتكلم عن سبب ذهابه للمخيم ، وختم فقال: أنا شرحت لفايزة القضية ، فلا مانع لديها من معاودة الزواج ، والعودة للمخيم من جديد

فقال أسمر متهكما : وأمي موافقة ، فأنتم تعشقون المخيم كعشق الشعراء القدامى

فقال بهيجة مبينة فضائل المخيمات : المخيم ستر علينا بعد ستر الله .. أنتم لم تعيشوا أيام التشرد الأولى حيث النوم في العراء والبرد والمطر والثلج والبراغيث .. فكان المخيم جزءا مهما من حياتنا كان المخيم ذكرى قرانا وطفولتنا رغم قذارته .. كان من صميم حياتنا ..وفايزة لا ترى بالحياة فيه مأساة .. وكل صويحباتها متزوجات ويعشن في المخيم .. فأولاد عمتها وعمتها وبعض أبناء عمها يعيشون فيه .. وبعضهم مهندسون وموظفون كبار وصحافيون ولهم شركات وهو رمز العودة والأمل .. نحن لنا تعلق كبير وحنين لبلادنا خاصة قرى يافا حيث مسقط رأس أبيك ومسقط رأسي

فقال أسمر معقبا على حنين أمه ومشاعرها الرقيقة إلى مسقط رأسها: من الصعب اليوم العودة إلى يافا وقرى يافا .. فهم اليوم يطالبون في دولة في حدود [٦٧] فالرملة واللد وحيفا وهم .. التآمر العربي والدولي ما زال مستمرا يا أبي .. مللنا الحديث في السياسة .. وأنا في بلغراد أبوك عيسى مات ودفن هنا ، وأمك كذلك ، ووالدي أمي نحو ذلك .. فالعودة أصبحت من رابعة المستحيلات .. وها هو السادات في مصر يخرج من الصراع العربي الإسرائيلي وأصبح أمريكيا

كأنه لم يكن قبل ذلك أمريكيا .. ستنسى الناس مع الوقت وطول الزمن .. تبقى ذكريات وأشعار وأغاني أعراس .

قال حلمي: يا ولدي ما دمنا نحافظ على المخيم في كل أماكن التشرد حتى لو سكنت فيه الغربان ستبقى فلسطين والساحل الفلسطيني في قلوبنا ونورثها الأجيال .. يقولون إن بيت المقدس مكث تسعين سنة مع النصارى الصليبيين ثم عاد .. المخيم يعادل أرض الوطن المسروق .. إذا ذهب المخيم ذهب الوطن.. المهم ما رأي الشباب في زواج أختهم من سعيد عبد القادر المدرس الأرمل ؟ ولا تنسوا أن أختكم عاجزة عن الإنجاب وطلقت بسبب هذا الأمر .

قال أزرق العاشق لقلة الكلام: هذا السبب الصعب الذي يدفعنا للقبول بسعيد الشرس الذي كان يزعج نوم الشارع بمعاركه مع أم العبد .. ونحن ما صدقنا وأنتم تفارقون المخيم ؛ لكن هي حرة .. ألا تخشون أن يعيد الكرة فيها كما فعل مع نجلاء ؟ لا أنسى كثرة ضربه لي في المدرسة ؛ كأننا يهود ينتقم منا

قال حلمي: أغلب المدرسين يستخدمون الضرب والصفع واللكم في العملية التربوية ، فلو لم يضرب التنابل والمشاغبين لما تعلموا ولا سيطر على المدرسة ، ولم يحترم مدرس .. المضروبون أصبحوا مهندسين ـ وأشار لأسمر ـ وأطباء

- وأنا صرت ميكانيكيا

قال أسمر: الضرب لا يعلم شيئا ، فالدول المتقدمة في التعليم لا تستخدم هذا الأسلوب ، ولديهم أطباء وعلماء وصيادلة .. هذه حجج وتبريرات يا أبي ليستمروا في إهانة الطلبة وإذلالهم التيس سيبقى تيس لو جلد مائة عصا ..ولقد رأينا الكثير منهم .. فهذا أزرق كم صفع كما بهدل وغيره كثير

قال أزرق محتجا : لم تجد للتشبيه إلا أنا

تبسم أسمر وقال : ليعرف أبوك أن كلام المدرسين لتبرير الضرب والصفع كلام فارغ وواهي الشاطر شاطر والحمار حمار .. فهؤلاء أساتذة معقدون ويخافون من التلاميذ .. فشعارهم خوّف

اضرب صارع اضرب قبل أن يضربك .. وقد شاهدنا في السنوات الثانوية من الطلاب من يضرب المعلمين

قال حلمي ممتعضا : جميل جميل!! دعونا نعود لموضوع فايزة .. الجماعة يريدون ردنا على طلبهم وأنا حذرت أبا سعيد وسعيدا من استخدام الضرب لتأديب المرأة .. على باب المحكمة يكون الحل والجواب .. وقلت هذا لفايزة أيضاً .. فزعم كما كان يردد لنا قديما أنها هي السبب في نرفزته وغضبه وإثارته .. وأوصاني أن أوصي البنت عندما تراه ثائرا غاضبا أن تبتعد عنه وتتجنبه حتى يهدأ

قالت عبير : نحن كلنا نغضب ؛ ولكننا نملك أنفسنا ولا نؤذي .. هل لو غضب في المدرسة يضرب مديره ؟ تراه يملك غضبه

فقال أزرق متذكرا موقفا لسعيد المدرس : كاد مرة أن يفعلها يا عبير .. عندما كان المدير أحمد سوفير .. فقد آذى أحد الطلاب ونقل للعيادة ، لابد أن أبي يتذكر تلك الحادثة ، ثم أمر طبيب العيادة بتحويله للمستشفى فورا

قال حلمي: نعم ، أذكر ذاك الحادث ، وقد خرج عن نطاق المدرسة ، فقد ضرب الطالب وجاءت الصفعة على الأذن ، ووقع الولد على الأرض ، وكانت أذنه تنزف دما ، لقد جرى يومها صلح بين أسرة الأستاذ سعيد وأسرة الطالب ، ثم نقل والد الطالب ابنه إلى مدرسة الحكومة وكفر بالمخيم والمعلمين .. قصة لا تنسى .. ووصلت بين المدير أحمد وسعيد .. وتعرض أحد أخوة سعيد للضرب من أخوة الطالب .. وسعيد نفسه أيضاً كأن أحدهم حاول لطمه لكنّ سعيدا طويل فجاءت الضربة في كتفه ، ولما تعافى الصبي هدأت المعركة .. فلنعود إلى معركتنا أختكم لها ظروف خاصة وعمرها خمس وعشرون سنة ، ليست صغيرة ، وليس أمامها في ظروف مجتمعنا اليوم إلا الزواج من أرمل أو مطلق أو معدد

فقال أسمر : ما دامت فايزة صاحبة الشأن قابلة بسعيد مع ما تعرفه عنه .. وأنتم راضون فأنا بالنسبة لي الأمر طبيعي .. وهذه حياتها ستعيشها بحلوها ومرها .. وأتمنى لها التوفيق .. وألف

مبارك يا فايزة .. أنت أختنا ولن نتخلى عنك ، وإذا أساء إليك الرجل ، فكما قال أبي البيت موجود .. ولن نقصر معك .. فنحن أخوة وأهل .. والزواج عندكم نهاية المطاف .. ومتى سيكون هذا الزواج؟

قالت فايزة : شكرًا لك يا حضرة المهندس وعقبال عندك

هز رأسه بالشكر وقال : لا أحب الزواج .. الزواج عقدة عندي

قالت عبير مفسرة : لأنك عاشرت نساء أوروبا ، حيث لا زواج صحيح وخيانات زوجية .. بعد حين ستعود روحك إلى هنا .. وأنا أقول مبارك لك يا فايزة .. وعليك الاهتمام بكل النصائح التي سمعتيها من أبي وأمي وحتى سعيد

شكرتها ، وسمعت أزرق يهنئ قائلا : لم يبق إلا أنا .. أهنئك يا أختي العزيزة .. وأتمنى لك رحلة سعيدة مع السيد سعيد .. هو على الإجمال هادئ عندما يكون هادئا .. وهو فهمان وذكي لولا الثورة التي تجتاحه في بعض الأحيان .. وأستاذ رياضيات مادة الأذكياء .. فهو جارنا وأستاذي القديم في الوكالة.. وأرجو أن لا يظنك أم العبد .. كتب له أحد التلاميذ في صف من صفوفه على قصاصة ورقية .. يقال في الأمثال ذيل الكلب لا يعتدل هل هذا المثل صحيح يا أستاذ ؟ هو ذكر لنا ذلك .. وقال متحديا : لو عرّفني هذا الطالب على نفسه فليعتبر نفسه ناجحا في مادة الرياضيات الحساب والهندسة والجبر

قالت فايزة: شكرًا يا أزرق .. باب التوبة مفتوح .. والصلاح يحتاج لبعض الوقت .. والرجل من أهل الصلاة .. وقد سمعنا عن فاسدين وصاروا صالحين

قال حلمي: مبارك يا ابنتي يا فايزة .. إخوتك يحبون لك الخير والكرامة، وأيام ضرب النساء أخذت تولي .. وكل إنسان فيه الخير والشر .. فتارة هذا يقوى وتارة أخرى الآخر يقوى وأحيانا يتوازيان .. والصبر حلّال المشاكل والمصائب .. وغدا أيها الشباب إما أن أتصل بسعيد على المدرسة ليقوم باللازم وحسب العادات المتوارثة ، وإما أن أترك خبرا في بيت أختي أم راجي .. وإن شاء الله تسير الأمور على خير ما يرام .. وتعشين معززة مكرمة ، وتنجحين في الحياة مع

سعيد وأولاده .. وعرفنا الكثير من الحكايات عن بنات ربين أبناء أزواجهن .. وكانوا لهن كالأبناء من أرحامهن .. وستعودين للمخيم الذي تحبين .. ويبدو أنه لم يهن فراقه عنك وعليك ونحن هنا كأننا في المخيم ؛ لأن الكثير من العائلات هنا بدأت في المخيم

قالت فايزة بحياء: ربما لا نبقى في المخيم ، لقد سمعت جميلة تقول : إن سعيدا قد يغادر المخيم فهو ينوي شراء بيت ؛ لكنه قريب من المخيم ليبق قريبا من والديه

قال حلمي متشككا : أنا سمعت منه هذا الكلام قبل موت زوجته أم العبد ، وكان يقول ذلك عندما يتضايق من أمه وأبيه .. يهددهم بالرحيل .. وأكثر إخوته خارج المخيم .. العائلة لما تكبر لا يسع السكن .. واليوم الأثاث أخذ يزيد .. لم نكن نهتم بكنابيات غرفة الضيوف .. فرش على الأرض .. لم يكن طاولة سفرة لدينا كاليوم

قال أزرق : على كل حال سعيد زبون عندي .. لا يحب إلا أن يصلح

سيارته عندي ؛ لأنني كنت تلميذا عنده في يوم من الأيام .. وهو يدفع الأجرة دون مماطلة .. المهم أن لا أغشه في التصليح .. وهم يتمسكون ببقائه في البيت ، لأنه الكبير ، ومن أجل المدرسة القريبة

قالت الأم: عادة الكبير من المستحب أن يبقى مع الوالدين هي عادة حسنة ؛ لأنه كبير الأسرة بعد الأب .. اليوم الناس تبتعد عن هذه التقليد .. الكل يبعد وينفرد .. كان الكبير السيد في البيت ..اليوم الجد في غربة

قالت عبير: الزواج نعمة من نعم الله علينا كما نقرأ في القرآن ، نتمنى لك التوفيق يا أخت فايزة

***

لم تكمل فايزة الشهر الثالث في أبو خروف حتى كانت تعود إلى المخيم كزوجة لسعيد عبد القادر وهي كانت زوجة مع رجل آخر لمدة ثلاث سنوات ، وطلقت كما يعرف القارئ ؛ لأنها لم تحمل خلالها من زوجها ، فكان مصير الزواج الانفصال ، لم تعد أمه تحتمل عقمها وتأخرها في الحمل فإن للإنجاب في المخيم شأنا كبيرا ، وهو في غاية الأهمية لهؤلاء اللاجئين ، فهو من القضايا

الكبرى عند تلك الأسر ، رغم أنهم لا يملكون أراضي للزراعة كما كانوا أيام البلاد ، فالتنافس بزيادة المواليد على أشده بينهم ، ربما تنشأ هذه اللهفة عند الناس عندما يتعرضون للإبادة والحروب ، فترتفع نسبة المواليد ، فالشعب الفلسطيني فقد الآلاف المؤلفة أثناء أحداث النكبة المشهورة في التاريخ المعاصر قد يصل العدد إلى خمسين ألف نسمة ، وألمانيا واليابان رغم الموت الكثير أثناء الحرب الكونية الثانية فنسبة المواليد ارتفعت قبل أن تستقر وتهبط ..وكانت نسبة الوفيات عالية على مستوى العالم قبل تقدم طب الأسرة والتطعيم ، ويكون التطعيم من الأيام الأولى للولادة ضد الأمراض الكاسحة .. فكانت الحصبة لما تمر ببلدة كالعاصفة تفتك في الأطفال .. ولله في خلقه شؤون . ولما انتهى السيد حلمي من تزويج فايزة المفاجئ والسريع فكان يتلهف لتزويج الذكرين ، تقاعد الرجل المستأجر أبو باسل ، وطفق يعمل بإجراءات التقاعد بإبراء الذمة من دوائر الحكومة ؛ ليرحل إلى بيته في الريف ، حيث أهله وأقاربه ، وقد عاش في أبو خروف عشرين سنة أكثرها عند حلمي

كان أسمر ذات مساء يدخل أحد المطاعم وبصحبته فتاة يبحثان عن طاولة خالية ، فرأى عبير شقيقته جالسة مع شاب وفتاة أخرى يتناولون الطعام ، وكانت مندمجة في الحديث معهما ، كأنهم يناقشون موضوعا هاما ، فلم تهتم بدخوله ، فاستدار قائلا لرفيقته : لنخرج لا أراه مناسبا للعشاء والجلوس

وعاود النزول للطابق الأسفل ، مرتبكا بدا للفتاة ؛ ولكنه الداعي ، فتبعته بصمت دون تعليق وتركوا طابق العائلات ، فبعض المطاعم تحافظ على هذا النمط وتخص العائلات بقسم من موائدها وحجراتها ، فلما صارا في الشارع قالت الفتاة: هل من شيء ؟! ليست أول مرة نتعشى هنا !

- رأيت شخصا ، ولا أحب أن أراه

- شخصا .. من هو؟!

- ليس مهما لك

- ذكر أم أنثى؟!

- فارة لا دخل لك .. ذكر أم أنثى

- لا تغضب أنا آسفة

- شخص لا أحب أن يراني

وتابعا المسير بحثا عن مطعم آخر ، ولما جلسا وطلبا حاجتهما ، قالت فارة: هل صحيح أنك ستترك العمل ؟

- ربما ، هناك مشاكل كبيرة في المصانع والإدارة .. قدمت أوراقي لشركة ومصانع أخرى والراتب أعلى قليلا .. بعض المهندسين القدامى لا يحبون إتاحة الفرصة للمهندسين الجدد .. ومدير المصنع لا يريد التفريط بهم .. ففي المصانع الجديدة تعطى لمثلنا الفرصة أكثر من المصانع القديمة

- وأنا ؟!

- سنبقى أصدقاء

- ستصير حياتي خرابا

- وهل تظنين أنك الوحيدة في حياتي ؟ دعك من الفهلوة أتعلمين أن السيد الوالد يضغط عليّ للزواج منذ جئت البلد؟

- تزوجني ، وسأكون مخلصة لك

- أنا لا أثق بأي امرأة .. دراستي في شرق أوروبا علمتني أن لا أثق بأنثى .. نصادق فتاة ونظنها أشرف من مشت في الأرض ، ثم نعود للسكن نجدها في حضن آخر حضن زميل .. الشيطان أغواني هكذا تقول .. أنا آسف حبيبي أنا ظننت أنك ستتأخر .. تلوم المجيء على غير الوقت .. فهل أنت كل هذه السنوات لم تعرفي غيري؟!

- أنا لا أزعم ذلك .. أنا لما وجدتك لم أخرج مع غيرك .. هذا طريقي في الحياة رجل واحد

- كذابة

- أنا!

- طبعا أنت.. أنا أصاحب البنات للتسلية ، ليس للحب والزواج.. للتسلية فقط .. وأنت تعرفين هذا من أول ابتسامة بيننا .. فالسيد جلجل تعشى معك من أيام

لزمت الصمت فقال : أرأيت ؟! الشباب تتحدث وقضيتم ليلة سكر وعربدة فريدة من نوعها

- أوه ! أهو حدثك بذلك ؟ كذب

- أنا لا أغار ..كما أسمح لنفسي بالجلوس معك ومع غيرك .. فعليّ أن لا أغار .. وأنا أرفض الزواج لأني ضعيف من ناحية النساء .. فقد تعودت على معاشرة العدد منهن خلال فترة الدراسة .. لا أصدق امرأة وأعيش على واحدة .. فالزواج مشكلة وتقييد للحرية في نظري

جاء الطعام بعد هذا الحديث الساخن ، واشتغلت الأفواه وخيم الصمت ، ولما اقترب الختام قال: لا تحزني تمتعي ومتعي شبابك والتغيير أفضل لك

- هذا غير مهم يا أسمر .. المرأة تحب الاستقرار والبيت والأسرة .. هذا العبث لفترة ، ثم يأتي الندم .. ويهرب الرجال .. هناك الجديدات

- إذن عليك أن ترسمي على شخص مسكين .. يبحث عن فتاة مع مالها .. تعمل في مصنع مثل فارة .. ويشتهي المال قبل أن يشتهي الجسد

- لي خمس سنوات أعمل في المصنع كمهندسة .. لا يرون فيّ إلا الجسد .. وأنت على رأسهم

- أنت فرطت فيه

رحل المستأجر الطابق الأرضي ، وأعاد حلمي تهيئة الشقة للنزول والعيش فيها ، ليرتاح من صعود الدرج ونزوله ، واعترف بأن الكبر عبر ، وأن الوهن دب في بدنه ، ولما انتهى من أعمال الصيانة والطراشة استعان ببعض العمال والحرفيين ونقل الأثاث من الأعلى للأسفل ، ولما جهزت انتقل إليها ، وعقد اجتماعا هاما في نظره مع أفراد الأسرة معلنا لهم رغبته الجازمة والحاسمة بتزويجهم في مطلع الصيف القادم على الأكثر ، وقبل أزرق بالزواج وكلفهم بالبحث عن امرأة تقبله شريك حياة ، واعتذر المهندس لأبيه قائلا: أنا لا أحب أن ارتبط بعقد زواج يا

أبي .. فدعني على راحتي أتزوج وقتما أشاء .. وإذا صممت على زواجي أقول بصراحة ؛ كأنك تطردني من العيش معكم .. سأترك الحي وأرحل

قال حلمي: يا ولدي أنت ببلد شرقي وعربي وإسلامي .. ولا تظن أنني لا أعرف أنك ترافق بنات الهوى والليل .. فالناس في بلادنا تتكلم منذ كنت في المخيم والناس تهمس في أذني زوج أولادك يا حلمي الريحة فاحت .. فلان رآك مع فلانة ، وآخر رآك مع أخرى .. أنت لست في أوروبا والنساء مشاع .. للبنات هنا أهل وأخوة يتأثرون بأخطاء البنات وأفعالهم .. هناك لا يهتم الأخ بفعل أخته وشرفها

قال أسمر بضيق واضح : أنا قلت لك أعتبر كل النساء غير موثوقات لمَ رأيت هناك ، ولمَ اسمع هنا .. فلماذا أربط نفسي بواحدة منهن ثم اكتشف خيانتها ؟

صاح حلمي: هذا كلام فارغ.. الناس ليست ملائكة منزهة عن الشهوات .. والفساد يحدث في كل الدنيا وحسب مقاييسهم ونظرتهم للحياة .. الزنا موجود ولا ينظر إليه الناس نفس النظرة.. تسقط بعض النسوة في الرذيلة لأسباب متعددة ؛ لكن أغلب النساء في بلادنا صالحات.. تنتشر بعض الفضائح هنا وهناك ؛ إنما هي قليلة .. أما أولئك فلا يعتبرون علاقة امرأة برجل خارج الزوجية خيانة.. فتمر بدون فضائح .. فهذه أمك وخالتك وأختك أترى أنهن خائنات؟! فكذلك الآخرون لا يرون في بناتهم وأقاربهم ذلك

تبسم أسمر وألقى نظرة خاطفة لجهة عبير وقال : إنهم هم القليل .. لماذا تريد ربطي بأنثى أصرف عليها وأنفق عليها وهي تخزن مالها لغيري؟!

- من أين يأتي الأولاد ؟ هناك اللقطاء الدولة تتبناهم وتربيهم حتى أنهم في الغرب يأخذون الأبناء من آبائهم إذا أساءوا إليهم.. ألا تريد أن يكون لك ذرية؟!

- لا ، ولماذا الأولاد؟! بصراحة أنا تعرفت على أكثر من أنثى ، وتثق بالفتاة أنك الوحيد في حياتها ، وتتخذها صديقة على أمل الزواج منها عند التخرج عند العودة .. وقد تصادق أخاها وقريبها ، وتأخذك لبيتها ، وتتعرف على الأب والأم ، وتفاجأ بها في حضن صديقك في السكن

أو الجامعة .. فما دام هناك بنات ليل يبعن أجسادهن بدراهم ولقمة طعام في مطعم أو خاتم من نحاس فلماذا يتزوج المرء؟!

- هذه القصص والحكايات تجدها في كل بقاع الدنيا ، وهذه من مهمات الشيطان .. فالخير موجود والشر كذلك .. فالنكاح حلال والزنا حرام .. أنت التقيت بالنساء السيئات تريد منك اللذة وغدا سيرحل ويعود لبلده .. فلماذا تتمسك بك؟! انظر إلى أمك وعمتك وخالتك الصالحات من نساء المسلمين .. لا يخفى شيء عن أعين الناس

- صدق يا أبي أني لا أرغب بالزواج ، ولا أريده .. فليتزوج أزرق وينجب لكم ألف طفل .. وإذا وجودي بينكم يسيء لسمعتكم فعندما استلم العمل في المصنع الجديد مصنع الأدوية سأفارق حي الشرفاء وأسكن في حي التعساء

قالت أمه: وهل هذا حل؟!

تنهد وقال : هذا هو الحل .. أنا أصاحب بنات الهوى .. أتريدين أن آتي بهن إلى شقتي .. ويتحول بيت حلمي عيسى إلى مأخور دعارة ؟!

قال حلمي: الفتاة التي جاءتك قبل أيام ماذا كانت تريد منك ؟!

- هذه الفتاة تعمل في المصنع ، علمت أني مريض أحبت أن تطمئن عليّ

- هذه الحجة فقط يا أسمر .. البعض يعرفون أنها فتاة غير طاهرة الذيل

- صدق أنها تعمل معنا في المصنع

- تعمل في المصنع ؛ ولكنها تمارس البغاء ، وهي معروفة لأهل أبو خروف ، وهي درست في كلية الهندسة ، ثم طردت ، ولم تحصل على الشهادة .. اسمع إذا رفضت الزواج يا أسمر فعليك أن لا تجاورني .. أنا راجل طول عمري أصلي وأعبد الحي القيوم .. وأنا نصحت لك قبل الهجرة بحجة العلم والشهادة أن تبتعد عن النساء والكحول والمخدرات .. أعرف لماذا سافرت ؟ سكرت وما زلت تسكر .. لا خوف من الله ولا خوف واحترام لأبيك.. فسكرت وزنيت قلت لما يتزوج يعقل .. والمخدرات لا أدري هل تعاطيتها أم لا ؟

- الفساد موجود في كل البلاد ، وحتى المخيم الذي تراه الجنة .. فيه الفجور والخمور والمخدرات

- المخيم مثله مثل باقي المدن والبلاد .. الناس ليست ملائكة ؛ لكنهم يتوبون ..نحن ندعوك للتوبة والأوبة والعفة .. يكفي ما ارتكبت من آثام ..والكفر والشيوعيون موجودون وأفسدوا على الناس دينهم وأخلاقهم

- يعني لو تزوجت يا سيد حلمي لا أستطيع الزنا

- الزنا الذي نعرفه معاشرة بدون عقد شرعي .. فسمعتنا تهمنا وعشنا عليها كل هذه السنين الحرية التي تنشدها ليست حرية بل هي فجور وانحلال .. هذا الوضع لا يرضيني

- حسنا! سأرحل أنا لا تهمني هذه السمعة والبعد عنكم يبعد عنكم الإساءة للشرف والسمعة اللتين ترغبان بهما ؛ كأن الذي يسمع حديثنا يظن أني كل ليلة في حضن بائعة هوى

- الناس ترى وتتكلم .. اسمع بصراحة لقد رآك أحدهم في المخيم .. وأنت تتسلل يا شجاع إلى إحدى البيوت المشبوهة ، ورأوك تخرج من بيتها عند الفجر وغضضت الطرف

- ما دامت هي تقبل فلماذا أرفض ؟! والأمر لا يكلف مالا .. امرأة تبيع جسدها بدينار

- تبيع جسدها للفرجة والخونة لزوجاتهم .. بعض النساء لا تسمح للطبيب بمس يدها .. تطلب أنثى تكشف عليها .. هذه الإباحية تخرب البلاد ، وسيدفع الناس الثمن .. ها هي لبنان تدفع الثمن .. الشباب الفاشل يتبع الشهوات والانحرافات الجنسية

أسمر وعبير

كان حلمي كما ظهر لنا يعرف سوء أخلاق ابنه الكبير وفساده حتى أثناء الإجازة التي كان يقضيها في البلد أيام الدراسة ، هو فعلا لم يكن يرغب بسفره لأوروبا الشرقية حيث تأخذ الشيوعية الماركسية مجدها ؛ لأنه لم يكن ملتزما بالصلاة والصيام وشعائر الدين ، ولا يمارس هذه الطاعات منذ دخل في عمر المراهقة ، كان لحلمي أمل بصلاحه بتقدمه في العمر ومناكفته الحياة وفهمها ، والنجاة بعد غرقه في أوحالها ، ثم يكون الحل بالزواج الشرعي ، فيبتعد عن الخمر والنساء بائعات الهوى

ومهما حاول الفاسق والزاني إخفاء جرائمه لابد أن تشيع بين الناس إذا تكررت ؛ لذلك كان مصمما على تزويجه بعد تركهم المخيم ؛ لعل الزواج يصلحهما وخاصة أسمر

أما أزرق فهو كأخيه لم يكن متمسكا بأهداب الدين وشعائره ؛ ولكنه بعيد عن جو النساء والعربدة ، وسعى الأب سعيا حثيثا إلى تزويجه منذ فتح المحل أو ورشة تصليح السيارات ، والشاب أبى الزواج قبل شقيقه الأكبر ، وهو أيضاً لم يتفاجأ بما تكلم به أبوه وأسمر ، فقصة تسلل أسمر إلى بيت تلك المرأة الماجنة شاعت في المخيم ، خاصة الشوارع القريبة من بيتها ، وتلك المرأة كانت امرأة سوء معروفة للسكان ، وكل من يقترب منها يتلوث ، وهي لا تدخل لبيتها رجلا إلا بعد منتصف الليل ، فالكثير يعرف سيرتها القبيحة ، وهي أرملة منذ زمن بعيد كان لها ولد وحيد ، ثم هلك قبل أن يشب ، وهي امرأة غير سوية ، ولا تبالي بكلام الناس ، فأصبحت مع الوقت مبتغى كل فاجر أو فاشل في الحياة الزوجية .. فقصة اتصال أسمر فيها عرفت .. والمهندس بعد عودته من الدراسة ومعاشرته لأولئك الناس لم يعد يبال ويهتم بكلام الناس بهوس الحرية الجنسية والإباحية التي تجتاح العالم .

لما خرج المهندس إلى شقته فوق تبعته عبير ، فلما صارا في جوف الشقة قالت في نبرة غاضبة: كانت عيناك تخاطبني كلما جاء ذكر خيانة النساء والزوجات أثناء حوارك الحاد مع أبي؟!

تبسم لها وقال: أترين أن هناك أمرأه صالحة وشريفة في هذا الكون؟

- أجابك أبي أمك خالتك - وأنت؟!

- وأنا .. هل رأيتني في حضن رجل يا أسمر؟ أريتني اعرض جسدي في ملهى ليلي في حانة من حانات المدينة؟!

صمت لحظات قبل أن يرد قائلا : لا ، لكني رأيتك مندمجة مع شاب في المطعم الأزرق

- وهل هذه جريمة في نظرك عندما آكل مع زميل لي في الجامعة وزميلة؟! لقد لمحتك ورأيت صديقتك فارة .. وكنت أنوي أن أحدثك عنها عندما تستقر جالسا ؛ لكنك هربت كالأرانب خجلت أن ترى أختك مع شاب في مطعم كبير وعام .. أليست فارة التي كانت معك ؟! وأليست هي الفتاة التي جاءت تزورك من أيام ؟ عندما مرضت وغبت عن عملك .. وطلبت لها العشاء من أحد مطاعم أبو خروف .. إنها مومس معروفة يا سيد أسمر

فرد بدون حياء وخجل من شقيقته فقال : وأنا للأسف أعشق المومسات ، فهن خبيرات في مضاجعة الرجال

لم تتأثر بوقاحته فقالت : لكنك هربت لما لمحتني ، حتى هممت أن ألحق بك .. أنت الذي تزعم نفسك حرا خجلت من رؤيتي مع شاب

- لم أحب إحراجك فقط

قالت بنبرة تهكمية : وهل إذا جلست أختك مع شاب معها في الجامعة إحراج ؟ فلماذا نذهب للجامعة ؟ فالجلوس مع الطلبة والشباب أمر مقبول في مجتمع الجامعة المهم الأخلاق

قال حائرا : لا أدري لماذا ارتبكت؟! حتى أن فارة دهشت من تصرفي

- لأن الدم الشرقي ما زال في عروقك .. ترضى لنفسك مالا ترضاه لأختك وأمك

عاد للصمت عدة ثوان كأنه يفكر : وأنت من أين تعرفين فارة ؟! أنا عرفتها ؛ لأنها تعمل معنا في المصنع

- فارة عملت في المصنع لتتعرف عليك

- كيف ؟! أنا في حيرة ودهشة حقيقية يا عبير

- فارة معروفة في المخيم ، معروفة في أبو خروف ، فارة كانت زوجة ؛ لكن جسمها النحيف يظهرها كفتاة صغيرة السن .. فارة سكنت المخيم ، ولكن لما فاحت سيرتها السيئة رحلت ، فنحن نسمع ونعرف عنها ، ونحن طالبات في مدرسة إناث المخيم ، وأنت تدرس في يوغسلافيا وأنت تعلم أن أصحاب المصنع من أهل المخيم

- فعلا السيد طارق حدثني أنه عاش فترة في المخيم

- والده ما زال فيه وأعمامه

- وأنا أبي أرسلني إليهم ، وهم كلموا طارق بتعييني

- وفارة تعمل في المصنع لمعرفتها الشخصية للمدير ، فهو مثلك ذو سمعة سيئة ، وهو أحد عشاقها القدامى

أخذته موجة من الضحك العالي لفترة وقال: ألم تسمعي أقوالي لأبي؟ .. النساء ماكرات ؛ لأني لا ألتقي بواحدة منهن وأثق بها إلا وأجدها خائنة .. أنا آسف يا عبير صدقي أنا لم أرد إحراجك ولم يقع في نفسي سوء بينك وبين الشاب .. كانت معكم فتاة أخرى.. ومع ذلك هذه حياتك.. أنا تركت الشرف في بلغراد ، لماذا لا نكون مثلهم؟

- لكنهم يقتلون نساءهم للشرف

- يحدث هذا في الريف حيث التقاليد البالية



بكاء حلمي

لما انتقل أسمر حلمي إلى مصنع الدواء كمهندس الآلات وماكنات ترك بيت الأسرة على الفور وقد حاولت أمه ثنيه عن الرحيل في محاولة أخيرة ، فكان رده قاسيا فقال : زواج نو (لا) يا أمي .. عندما آتي برفيقة لتبات معي في الشقة أتتحملين ذلك؟

فبصقت في وجهه فورا وقالت: نذل ! ليتني لم ألدك .. احذر أن تمشي في جنازتي .. إنك نجس أنا المرة الماضية صمت قلت لعلك تراجع نفسك .

قال حلمي : مع السلامة يا حضرة المهندس .. لما تصير إنسانا عاقلا سويا لا تعتدي على أعراض الناس ستجد البيت مرحباً بك مفتوحا لك

فقال وهو يمسح البصقة عن صباحه : وأنتم إذا مت وسمعتم بموتي فلا داعي أن تهتموا بجنازتي .. أنا عشت سنوات في صربيا دون وجود أب وأم وأخ واخت

اغلق حلمي الباب بعنف ، ودخل مكتبه وبكى قليلا ، ثم خرج وغسل وجهه ، فوجد بهيجة باكية فقال: لا تحزني يا بهيجة ! أنا يئست منه منذ ترك التدريس وسافر إلى أوروبا قلت يومذاك هنا وفسد فكيف هناك ؟! نحن لن نحتمل فجوره وانحلاله وكفره .. إنهم يذهبون لطلب الشهادات في بلاد متقدمة ليعودوا لتطوير البلد .. فيأتون فاسدين ضالين وينشرون الفساد في بلادهم .. لما محمد علي أرسل المصريين لفرنسا يتعلمون الهندسة والطب عادوا لنا بالمسرح والفن والرسم والنحت .. وهذا ديدن شبابنا .. وبعد زواج أزرق ـ إن شاء الله تعالى ـ علينا السعي لبيت الله الحرام لتختم حياتنا بالحج ..فقد حان الوقت .. فشقيقي مروان يريد ذلك أيضاً ، ونوى عليه ، وشاورته في موضوع أسمر فقال : دعه يفعل ما يشاء .. ابنك كبير يتحمل مسؤولية نفسه، وعلاجه الزمن

قالت مستفهمة : وزواج أزرق ؟!

– صديقنا سلمان أبو يوسف جار أخي مروان مهتم بالأمر ، بل حدد لي الخميس القادم مقابلة من أجل هذا الزواج .. لسلمان رجل فاضل ومن قدماء السكان في حي أبو خروف ..

وذكرت له الصفات التي نحب أن تكون في البنت .. متربية صح وقادرة على الحياة الزوجية

– وشقة المنحوس ماذا ستفعل بها؟

– سعيد زوج فايزة طلب السكن فيها ، يريد أن يترك المخيم ، وسيستولي أخوه الأصغر على بيته والعيش مع الوالدين أو قربهما .. فأم سعيد لم تعد تطيق أولاد سعيد .. فهو كما تقول يكرهونها بعد موت أمهم ؛ ولكني وعدته بالبحث عن شقة في الحي خشية أن يعود المهندس آسفا نادما ؛ لأن فشله في الحياة وارد

قالت متشككة في عودته : مخه مثل الحجر ، لقد خبرناه قبل سفره وتعلقه بأوساخ أولئك القوم لن يرجع ابني واعرفه

– هل قصرنا يا بهيجة في تربيته؟!

– كيف قصرنا يا رجل ؟! لم نحرمه من شيء .. لا من مال، ولا من طعام ..كنا نعطيه مصروفا أكثر من أقرانه

تنهد حلمي عميقا وقال : كنا نغض الطرف عن مصاحبته لفتيات المخيم .. ونقول صغير لما يكبر

– أذكر لما قبل ابنة أبي ضحى أنك شبعت منه ضربا ، وكسرت عصا المكنسة على عظامه

– ولما كان يدخن صمتنا

– نصحته وقلت له أوله دلع وآخرته ولع .. فكان يقول الأستاذ يدخن وفلان يدخن وأبي يدخن فاضطر أن أقول له لما تكبر وتشتغل دخن .. وأكثر الناس تدخن .. واليوم نرى البنات صرن يدخن

قال حلمي بشعور النادم : أنا تورطت منذ الصغر في الدخان ، وتهاون المجتمع في تعاطي الدخان لم أتورط بالزنا والخمر .. وكنت أحتقر كل من يفعل ذلك من شباب المخيم ومن يشتهر بفجوره الدخان قضية تهاون بها الناس ..وأذكر في أول سنوات الوكالة أنها كانت تصرف للناس علب دخان لينفسوا عن غضبهم وبسبب فقرهم .. لم نكن نعرف ضرره مثل اليوم .. والحمد لله لي

عشر سنوات لم أدخن من تلك المرضة التي تذكرينها .. فحرمته على نفسي ؛ ولكن الدخان ضرره أقل من الكحول والزنا.. لو وقفت على الدخان لهان الأمر .. شر أهون من شر .. ها هو أزرق يدخن ؛ ولكنه أصلح من أسمر لا يسكر ، لا يعرف طريق النساء .. عساه بعد الزواج أن يعود للصلاة والصوم كما كان أيام الطفولة

- من ناحية التدين أصلحهم في ذريتنا فايزة منذ تعلمت الصلاة والصوم وقراءة القرآن وهي تحافظ على كل ذلك .. أما عبير فتصلي متقطعة ، ولا أظنها تصلي في الجامعة .. أما الصوم فهي ما زالت تحافظ عليه

فقال ويصحب سؤاله قلق : أتحدثك عن حياتها في الجامعة ؟!

- تقول إنها سعيدة والعام المقبل في الصيف ستتخرج بإذن الله .. والأمور معها تسير على ما يرام

- ليس لنا إلا نقول ستر الله عليها ووفقها في جامعتها وحياتها ورزقها الزوج الصالح .. يا بهيجة حياة المخيم تحتاج لبعض الخشونة .. فالعيش صعب ويحتاج لصبر ومجاهدة .. الفقر عدو للإنسان ؛ إنما بعد عشرين سنة من التشرد والضياع أوضاع الناس أحسن حالا .. تعلم الشباب وبعضهم سافر الخليج العربي حيث النفط والثروة .. وبعضهم هاجر أوروبا وأمريكا حيث الثروة أيضاً .. ولم ينسوا أهاليهم

- ابن أختي الذي سافر أمريكا لم يعد

- ولماذا يعود ؟! وهو يرسل لأهله المال باستمرار .. وعلم بعضهم بعضا

- لكنه لليوم لم يتزوج

- سوف يتزوج .. هناك ناس يتزوجون على كبر ، ويخلفون واحدا أو اثنين فقط

زواج أزرق

أعطى سلمان السيد حلميا عنوان أسرة متوسطة الحال ، لديهم فتاة تصلح للزواج من ابنه الميكانيكي ، ومساء الخميس أخذهم صالح كمال إلى ذلك العنوان ، فصالح أصبح تحت الطلب للسيد حلمي الذي لا يحسن قيادة السيارات ، وأزرق يملك سيارة صغيرة ؛ ولكنه غير متفرغ للبيت بحكم العمل ، ذهب حلمي وزوجته وابنته فايزة التي لبت النداء للمشاركة في رؤية العروس المتوقعة ، لم تكن العروس من أهالي أبو خروف ، إنما عن طريق قريب لها من رواد المقهى ، وصحبهم سلمان في هذه الرؤية

استقبلهم والد الفتاة وزوجته ، ومشت النساء إلى حجرة النساء ، وجلس الرجال في غرفة الضيوف ، الرجل وابنه الوحيد وشقيقه ، وذلك حسب ترتيب سلمان يوسف ، حدث التعارف وسمع القوم قصصا تعرفهم على بعض ، ووجد حلمي نفسه يعرف بعضا من أقارب محمد علي وله قريب يسكن في المخيم ، تذكره حلمي ، فالمخيم الفلسطيني ولاد ، وله استيعاب محدود من البشر ، فالجيل التالي الذي يتحسن وضعه المادي يهجر المخيم إلى أحياء قريبة من المخيم ليبق قريبا من والديه وأسرته الكبيرة ، وبعضهم استقر في أحياء راقية إذ فتحت عليه الدنيا ، والفقير والمتوسط الحال يرتفع البناء عنده لأعلى أو يشتري بيتا آخر ويضمه لبيته أو يرحل إليه ابنه المتزوج .. المخيم له سعة وطاقة معينة من البشر ؛ لذلك كانت تقام بيوت عشوائية حوله غير خاضعة لمدير المخيم وخدماته ، وتغض البلديات الطرف عنها إلى حين

ولما انتهت النساء من رؤية الفتاة غادر القوم بيت محمد علي مع صالح كمال الذي عرفناه في بعض حكايات أبو خروف كسائق .

ولما مشت السيارة قال الحاج سلمان الجالس بجوار صالح وحده ، فسيارة صالح تستطيع حمل خمسة ركاب : آ .. يا أم أسمر كيف ترين العروس؟

تنحنحت أم أسمر وقالت : ناس طيبون يا أبا يوسف البنت عمرها ستة عشر عاما ، تركت المدرسة من سنة .. ليست بيضاء البشرة ، وما هي بالبدينة ولا النحيفة .. حلوة بشكل عام

ويبدو أنها متربية جيدا .. تبقى رؤية الولد يا عم سلمان .. يا بركة أبو خروف

أثنى سلمان على أم أسمر وقال : فليأت أزرق لمشاهدة الفتاة .. وها هو البطل صالح عرف البيت والناس بسطاء يريدون الستر .. والبيت رقمه خمسة .. فالسيد محمد علي أكرمه الله بسبع بنيات وولد واحد الذي جلس معنا .. وهو في الجامعة هذه الأيام .. الآن الكرة عند أزرق يا أم أسمر

قال حلمي: أتعبناك معنا يا حاج سلمان

- أبدا نحن في خدمة الأجاويد .. وأنت أخ عزيز يا حلمي .. وأنت اليوم

جارنا بلحمك ودمك .. ولا تنسى مساعدتك لنا في حل المشاكل التي تكون بين الحي والمخيم الله يبارك في زواج الشاب

- غداً يا صالح مر علينا .. وستكون أم أسمر وأزرق في الانتظار

قال صالح : ربما يريد أزرق أن يذهب بسيارته

- ستذهب به أمه إن شاء الله

قام أزرق في الليلة التالية عند الغروب بالذهاب ، ومعه أمه وأخته الثانية برفقة صالح الذي وضع نفسه تحت خدمتهم ، وقدمت لهم الفتاة القهوة ، وشربها أزرق وسمع الفتاة ترحب به فقالت أمه: هذه هي العروس يا أزرق .. تطلع فيها جيدا .. بطة هادئة .. أبو أحمد السماك قريبها من سكان المخيم .. وأنت تعرفه حق المعرفة

هز رأسه موافقا على أنه يعرفه ، ورحب بالفتاة ، ثم قال: أنا أستحي من النساء أكثر من الطبيعي هكذا يقولون عني .. لما تحضر سيدة لتصليح سيارتها أترك المهمة لشريكي ما اسمها يا أمي ؟

قالت أمه : قلت اسمها عالية عالية

قالت الفتاة : نعم ، اسمي عالية محمد علي

قال: كيف حالك يا عالية ؟

- الحمد لله .. أهلا وسهلا

كانوا يحبون كلام العروس أمام العريس وأهله ؛ ليسمع صوتها بعد أن يرى وجهها وكفيها

وأنها حسناء ليست بعوراء أو عمياء أو مشوهة الوجه ويديها سليمتين ، وليست بخرساء فقال: أتسمحون لي بالدخان؟

وقبل أن يؤذن له كان يشعل السيجارة وسمعها تقول: تدخن يا سيد أزرق!

– نعم ، يا عالية .. الدخان نصف حياتي ..لا أريد أن أقول حياتي كلها .. تشرفنا يا آنسة

حضر الشاي ، ولما شربوه غادروا البيت ، وقام محمد علي وأسرته بتوديعهم وقال: حياكم الله وأهلا بكم ..ويشرفنا نسبكم .. شرفتمونا

قالت بهيجة: بارك الله فيك يا أبا عزيز .. يومان ثلاثة ويكون الرد عند حضرتكم الكريمة ولتسألوا عن حلمي عيسى وولده أزرق

– يا أختي ما دام أنتم من سكان المخيم سابقا ، ومن جيران أبي أحمد .. فنحن نعرف بعضنا البعض .. وأنتم خير وبركة ..وسلمي لي على الأخ حلمي

– شكرًا يا أبا عزيز

ووجدوا صالحا في انتظارهم ، لم يشأ أن يدخل معهم خشية الأحراج ، فقال لهم وهم يركبون سيارته : آ .. يا أزرق نقول مبارك .. أنت معرفة .. لقد صلحت السيارة عندك أكثر من مرة

– تذكرتك لما رأيتك

سنة ١٩٧٨ في نهاية حزيران كان زواج أزرق حلمي من عالية محمد علي ، وأقام حلمي حفلة شعبية ، دعا لها بعض الفرق الشعبية الشائعة بتقديم مثل هذه السهرات مقابل أجرة ، وكان الحفل كما كانت الاحتفالات في المخيم ، اجتمع الناس في ساحة من ساحات أبو خروف القائمة بين المباني ، ونصبت خيمة أو صيوان مصري ، وأقيمت منصة ، وكانت الدبكة الفلسطينية التقليدية مع الأهازيج والأغاني التراثية ، واستمر الرقص والطرب لمدة أيام ثلاثة وفي نهار الجمعة تناول المدعون الطعام عند حلمي عيسى ، وفي المساء ذهبت السيارات للإتيان بالعروس تصحبهم بعض الباصات الكبيرة ، ولما خرجت العروس من الصالون ذهبت لبيت أبيها للوداع ، ثم حملت بسيارة مزينة وبجوارها العريس أزرق ، وحملت السيارات بالعروس

وأهلها إلى حي أبو خروف ، ثم صمدت العروس ، وأقامت الفرقة وشباب المخيم زفة العريس ساعة من الوقت ، وأدخل العريس إلى حيث تجلس العروس مصمودة ، وتقدم الأقارب لتنقيط العروسين أو أحدهما حسب العادة والتقاليد ، وفي الليل انتقلت العروس وزوجها إلى شقة أزرق ، وجهز لهما طعام العشاء ، وبعد إدخاله عليهما ، أغلق الباب على الزوجين في ليلة تاريخية لها رهبتها عند الناس

كان صاحبنا أزرق كما عرفناه على العكس من أخيه أسمر الذي انحرف عن التقاليد والقيم بشدة ، وأصبح يحتقر الزواج والأسرة والتربية ، فكان متعلقا ببنات الهوى لحد أنه يعتبرهن أصدق وأشرف النساء مع أنه يعلم يقينا أن صحبتهن قصيرة ، وله شركاء في جسدهن ؛ لكن لما ينحط الإنسان يصبح يفكر تفكير الحيوان بحق ، وأنها غريزة حيوانية فقط ، وأما الأزرق فكان يرهب الفتيات لم يحاول حتى وهو فتى يافع أن يقلد الآخرين وطلاب المدارس في تكوين صداقات عاطفية ، يسمونها بريئة .. ولا أدري من أين جاءت البراءة ؟ إنه الشيطان يسول ويزين للصغير والكبير ، فلم يكن يؤمن بما يسمى قصص حب وعشق وحفظ الأغاني الغرامية الساقطة والذاهبة في الهواء بسرعة الريح ، حتى أن بعض الفتيات تقربن من أزرق فوجدنه أخجل من العذراء ، فيبتعدن عنه ، لا يصلح للغرام وسرقة خلوات في الشوارع الخلفية والمظلمة ، أما أسمر فكان سيء السمعة منذ دخل المرحلة الإعدادية ، ولما انتقل للثانوية ظل مشغوفا بمطاردة الصبايا باحثا عن الحب ، ولم يكد يتعرف على فتاة حتى يجدها صديقة لغيره ، فيتعقد ثم يبتعد عنها ، ويبحث عن غيرها

وجد الشاب السكينة في عروسه ، وجد المودة والطاعة والحب الصحيح النظيف والعفة والطهارة ، كان يكبرها بسبع سنوات على الأكثر ، كانت طيبة وهادئة كأنها بنت صغيرة ، فلم يجد صعوبة في الانسجام معها ، ويحبها الحب الشرعي الشريف النظيف

تغير نظام العمل عند أزرق كان يعود بعد أذان العشاء ، وتارة ينام في محل الشغل ، أما بعد الزواج فمع الغروب يغلق المحل ، وينصرف الشريكان ، عنده أنثى تنتظر غيبته .. فهو يخرج

من الصباح حتى الليل ، وهي تقضي يومها في بيت حماتها ، تخرج عند الظهر لتصنع الطعام إذا لم يقصدا الأكل مع الأسرة الكبيرة بترتيب بينهم .

وشريكه فاضل محمود متزوج ، وعنده أطفال من سنوات، فكان يداعبه: والله صار عندك عيلة

– عيب أن تبقى المرأة وحدها ساعة من الليل يا أبا إلياس

– كلامك عسل ! ألا يكفي أن تبقى كل ساعات النهار وحيدة ؟ أتفطرك قبل الخروج؟

– بنت متربية على الأصول وتعرف واجبها

– ولكن أراك تفطر هنا

قال باسما : العادة يا أبا إلياس .. تسلق لي بيضتين وبعض الجبن وكأس الحليب .. عارفة واجبها آه ما أجمل الزواج يا لعلوع!

– أدام الله عليكم العافية وحسن العشرة .. منذ عرفتك وأنا أقول لك تزوج .. المرأة الصالحة من خير متاع الدنيا

قال أزرق : كان أخي الأكبر في طريقي ، واستحي أن أتزوج قبله

– يا عم ، كان أخوك يدرس في يوغسلافيا .. وها هو ترك الجمل بما حمل

قال مفكرا في حال أخيه : أنا أتعجب من حياة الرجل مع امرأة بدون زواج ! ولا يمكن أن يكون رجلها الوحيد ، لابد أن أحدا قبله نال منها

– هذه عادات أوروبا يا ولد .. الزواج الرسمي يكون في سن متأخرة .. يعاشر الرجل المرأة عقودا من السنين ، وينجب منها أطفالا ، ثم يكتبون عقد زواج شرعي ، ويتحول الأبناء من غير شرعيين إلى شرعيين .. الرجل قد يكون مجرد ذكر عند الأنثى لسنة لشهر .. ويهجرها في أي وقت .. لي أقارب يتحدثون عن هذه العادات .. لكن نحن عاداتنا مستمدة من الإسلام والدين .. نظام الأسرة عندهم رخو .. للزوج أن يطلب من ابنها من رجل آخر أن يغادر البيت عندما يبلغ الثامنة عشرة سنة .. فأسمر نعرفه من أيام المخيم كان صياد فتيات .. وعاش في أوروبا في مثل ذلك الجو الملوث ..فأنا أتوقع أن يهاجر إلى هناك .. عندهم الولد للأم

- والأب

- مع امرأة أخرى



في المدن الكبيرة خاصة العواصم من السهل أن يصاحب الرجل المنحرف امرأة على شاكلته ؛ لذلك لم يكن أسمر يجد صعوبة في التعرف والالتقاء بالنساء الساقطات المنحرفات ، وإن تسربلن بثياب الشريفات والشرف .. الطيور على أشكالها تقع .. فهن موجودات في أماكن انتشار العمالة النسائية في المصانع والمكاتب .. وصارت الفتيات تزاحم الرجال في المسارح والسينما والرياضة والمسابح والنوادي العامة والخاصة .. والذين يركضون وراء الشهوات تتوفر لهم الفرص في المدن كلما كبرت أكثر، فكان من السهل عليه أن يصطاد فرائسه ، ويتقرب منهن ، قد تعرف على امرأة في المصنع الجديد في أقل من شهر .. امرأة تعمل في قسم المبيعات والتسويق والصفقات .. ولم تكن فقيرة جائعة .. كانت متخرجة من الجامعة وتحمل شهادة في المحاسبة المالية .. وتنقلت في عدد من الشركات ، ولما أعلنت شركة الدواء عن حاجتها لعاملات متعلمات ، فقبلت كموظفة في قسم المبيعات ، ولم تكن عزباء أو مطلقة ، إنها متزوجة ولديها أطفال طفلان جميلان ؛ إنما زوجها يعمل خارج البلاد ، يتردد على المدينة في كل بضعة شهور مرة ، يقضي إجازة قصيرة .. أسبوع أسبوعان أيام معدودة .. ثم يلتحق بعمله ووظيفته .. وهي تسكن شقة في عمارة ، فيها شقيق زوجها مع أمه في شقة في نفس الدور ، فكان الشقيق يقوم على خدمتها هي وطفليها .. تعرف عليها المهندس بالمجاورة في العمل في الشركة الواحدة ففي خلال الشهر الأول لمباشرته العمل تعرف عليها ، وعرف أنها أم ولها زوج يعمل خارج البلاد ، ولا تمانع في مصاحبته ومرافقته ، وهو الخبير في النساء كما يزعم أمام أصحابه .. وعرف غيرها من فتيات الشركة .. فالتعرف على النساء عنده كشرب الماء المرأة هذه سماها أهلها

هيفاء .. قبلت دعوته للعشاء مرة وأخرى.. وهي تدخن وتشرب الكحول بدون كثرة كأس صغير .. فكانا بعد مغادرة المصنع يلتقيان في مكان اتفقا عليه خشية أن يلاحظ أحدهم هذا الترتيب ، وتثار حولهم الشائعات ، يفعل ذلك من أجلها ، فهو لا يهتم ، وفساده معروف لكل من يقرب منه ، والمصنع يعمل على مدار الساعة ، ولكل موظف جزء من اليوم والليلة .. ربما يبلغ لعطل معين في الليل ، فعليه أن يذهب للمصنع ، وعادة ترسل له سيارة من سيارات المصنع ومرات يذهب بسيارته .. فخطوط الإنتاج يجب أن لا تتعطل طويلا

وأصحاب المصنع لا يرون حرجا في علاقات الذكور والإناث كعمل ، أما الأمور الأخرى فيطلبون منهم أن تكون خارج الشركة ، من صدقات ودعوات وسهرات ، وبعد حين من الزمن أخذت هيفاء تتردد على شقة أسمر دون حرج ، واستسلمت له في مدة يسيرة ، ونسيت أنها تخون زوجها الغائب ، وربما لم يكن هو أول عشيق لها ، بل إن زوجها لما جاء لقضاء إجازة من إجازاته لاحظ التغير عليها ، وإنها لم تكن كما يعهدها عندما يأتي لقضاء أيام معها سهرات وعشاء .. في مطعم كذا أو مطعم كذا .. في مسرحية على مسرح كذا .. هناك فلم كبير ..لاحظ البرود جهته ، وحتى التبرج لم يجده منها .. فأحس بعد أسبوع أن شيئا غلط في حياتها ؛ لكنه نسبه للعمل والأطفال .. فكانت في إجازات سابقة تلح عليه للبقاء معها ، وأنها تحبه ، وأن يترك العمل في الخارج ؛ لكن بعد صحبتها لأسمر لم تعد تفعل ذلك ؛ كأنها نسيت الشغف والترجي فقد وجدت البديل ، بل لاحظ الزوج أنها لم تأخذ إجازة يوما أو يومين تقضيها معه كما كانت تفعل في الإجازات الماضية .. الإجازة انتهت وسافر ثانية ، ولما وصل لمكان عمله فكر بذلك التغير ، وبعد شهر عاد للبيت على غير العادة .. كان يغيب بالشهرين والثلاثة قبل أن يعود لقضاء أيام مع الأسرة .. وكانت المفاجأة أنها طلبت منه الطلاق هذه المرة وسبب ذلك أنها سمعت من عشيقها أنها لو لم تكن على ذمة رجل لتزوجها ..وصدقت هذا الادعاء ؛ لذلك لما جاء الزوج ، وحدثها عن البرود الذي عاناه منها في المرة الماضية قالت: مللت من هذه الشكوى أرغب بالطلاق منك .. لم تعد الحبيب الغالي .. حياتي جحيم .. لو أنت تحبني كما تزعم لما

تركتني كل هذه السنين وحدي

أدرك الزوج أنها تغيرت فعلا وجادة في طلب الطلاق والفراق ، وتكره سفره وغيابه .. وسافر دون فعل ذلك ، وأجل الحديث للإجازة القادمة .. وأخبرت عشيقها بأنها تسعى للطلاق ، فلزم الصمت ..كانت المرأة تسكن في شقة في عمارة كبيرة ربما سبعة أو ثمانية طوابق ، وكانت حماتها تسكن في شقة مجاورة مع ابن آخر ، وكان الطفلان لما يرجعا من المدرسة الأهلية بالحافلة يقضيان وقتا عند جدتهما ويتناولان الغداء معها ، ثم عند الغروب قبل عودة الأم ينصرفان لشقتهم ، ومرات ينامان قبل عودتها عندما تتأخر في السهرة مع المهندس أسمر ، وأخذت تفكر بالتعاقد مع خادمة لترعى الأطفال ، فطلب منها أسمر التريث .. فكانت إذا كانت على موعد مع عشيقها تتأخر عليهما بحجة العمل والصفقات

ذات يوم أخذت إجازة على التلفون ، أصيبت بمرض ، ولما علم أسمر بغيابها اتصل بها على البيت يطمئن عليها .. فهي أصبحت جزءا من حياته في الشغل في الشقة في الشوارع .. فشكت إليه الوجع وأنها راجعت العيادة الخاصة بالشركة .. فوعدها بالزيارة بعد انتهاء عمله للاطمئنان عليها

وبالفعل لما هبط الليل والظلام اشترى هدايا مناسبة لها وللطفلين ، وطرق أسمر باب شقتها فاستقبلته كما تستقبل الضيف والزائر ، وجلست معه في صالة الجلوس ، وكانت تلبس ملابس الاستقبال ، وعرفت طفليها على زميلها في العمل ، وشكرته على هداياه لها وللطفلين ، وقضت نصف ساعة معه في الحديث ، ثم داعب الشيطان المرأة ، فدخلت غرفة نومها وحضرت بملابس النوم المثيرة للرجال ، ففهم أسمر الرسالة ونظر للولدين ، ففهمت قبوله بمضاجعتها رغم مرضها وأنها في بيتها ، فأشارت للصغيرين بالذهاب إلى بيت جدتهما لرغبتها بالحديث على انفراد مع زميلها ، فذهبا على الفور ، وصدقا كلامها ، ولم يستوعبا الأمر ، أغلقت الباب وراءهما وخلع المهندس الجاكيت ، ومشيا إلى غرفة النوم نوم زوجها ؛ ولكنهما قبل أن يمارسا الفاحشة والزنا طرق الباب ، فظنت أن الأولاد عادوا لسبب ما ، فقالت : عجلوا بالعودة

وخرجت بثياب النوم التي لبستها أمام أسمر لتنظر الأولاد وسبب رجوعهم العاجل ، فهي عندما ترسلهم لا يعودون إلا بتلفون خاص منها أو تطرق الشقة على حماتها تطلبهم ، فلما فتحت الباب فوجئت بشقيق زوجها يدخل سريعا ويقول بغضب : أين الرجل الذي عندك ؟ شريف يقول : إن زميلا لك جاء يطمئن على صحتك

صعقت طبعا من المفاجأة ، ولم تحسن الرد ، فصاح الشاب فيها ، وقد سمع صوتا في غرفة النوم ولما سمع أسمر الصوت ظنها تحدث الطفلين الصغيرين ، فأخذ يلبس سرواله مسرعا ، وكان ينادي أسمر عليها ، فنظر الشاب إليها بسخط ، ومشى إلى غرفة نوم شقيقه المسافر ، وشاهد الرجل في ملابسه الداخلية منتظرا العشيقة .. فصاح فيه: ماذا تفعل هنا يا بطل ؟!

فوجئ أسمر بالرجل ، وفوجئ ثانية بضربة قوية من الشاب ، وبطرحه أرضا قبل أن يكمل لباس السروال والقميص ، ثم ربطه من الخلف ، وذهب إلى المطبخ وجاء بسكين وانهال على أسمر بالطعن والسب حتى انتشر الدم في غرفة النوم ، والمرأة تصيح ، وأسمر يصيح ، ثم رمى السكين أرضا ، وخرج واتصل بالشرطة من شقة أمه ، وجاءت الشرطة فورا والإسعاف ، وكان أسمر في وضع سيء فاقدا للوعي فقد نزف الكثير من الدماء ، ونقل للمستشفى واقتيدت المرأة لنقطة الأمن ، وبعد ساعات مات أسمر متأثرا بالطعنات التي انهالت عليه كالمطر من يد شقيق زوج السيدة هيفاء

وأودعت المرأة الحبس على ذمة التحقيق ، وكذلك الشاب القاتل وعن طريق المصنع عرف عنوان أهل أسمر ، وانتشر خبر مقتل أسمر في بيت عشيقته هيفاء إحدى نساء المصنع ، ورفض حلمي استلام جثة ابنه القتيل إلا بعد أيام ، بعد تدخل الأقارب والأشقاء في أمره، وتم دفنه في مقابر المسلمين على أنه ابن مسلمين ، وجاء زوج هيفاء وقدم استقالته من عمله واتصل بالسيد حلمي ، وقال له: أنا خسرت شرفي يا سيدي ، وأنت خسرت ابنك ..وأنا على استعداد لدفع الدية .

فتنازل حلمي عن حقه الشرعي والقانوني ، وطلقت هيفاء وأخرجت من السجن ، وعادت

لبيت أهلها تحمل عارها وفضيحتها ، وحكم على شقيق زوجها ثلاث سنوات باسم الحق العام للدولة والأمة .. وذهب أسمر حلمي ضحية شهواته ومغامراته ، وقال حلمي : هذه هي نهاية الخيانة ، لم يكتف من بنات الهوى أصبح فاجرا بالمتزوجات .. أنا ذكرت له أننا لسنا في أوروبا كل الشعوب عندها شرف ، ويختلف هذا الشرف من بلد لآخر

خاتمة الحكاية

عرفنا أن السيد حلميا كان يذهب في المساء ويجلس في المقهى حتى يرفع النداء لصلاة المغرب فيدخل المسجد يتوضأ إذا فسد وضوؤه قبل الأذان ويصلي المغرب ، ويمكث فيه حتى يقضي صلاة العشاء ، فيقفل راجعا للبيت .. وذلك أغلب الأيام منذ استقر في أبو خروف وكان في الجامع شاب في الثلاثينات من العمر يجلس بين الصلاتين معلما للناس تلاوة القرآن صغارا أو كبارا يجلسون على شكل دائرة تسمى حلقة ، يجلس الشاب على خط محيطها ويتناوبون القراءة واحدا تلو الآخر ، والشاب الشيخ يصحح لهم أحكام قراءة القرآن .. فقراءة القرآن ليست كقراءة كتاب أو جريدة .. يقرأ الفرد نصف صفحة وهكذا دواليك ، وخلال القراءة يبين لهم أحكام التلاوة وآدابها أو يعقبون على معنى كلمة أو أية .. فيحدثهم عن الإظهار والإدغام والإقلاب والإخفاء وأحكام المد .. ويجري التركيز أثناء القراءة على الحكم الذي وضحه وشرحه .. واهتم حلمي بهذه الدورة الشرعية التي بدأت بعد رحيله بشهر أو شهرين .. فكان حريصا على الجلوس معهم .. والتعلم منهم رغم كبر سنه .. والشاب المدرس يبذل جهده بصبر وجلد وقصارى جهده ليوصل المعلومات إليهم ، ويرى حسن تطبيقهم لها .. فقد أعجب السيد بهذه المعلومات .. هو كان يسمع عن أحكام التجويد ؛ ولكنه لم يبذل عرقا لمعرفتها ومراعاتها عند القراءة ؛ فلذلك كان مبهورا من هذا العلم .

ولما تنته صلاة العشاء فيغادر للبيت ، وقد يأخذ شيئا للبيت من فاكهة من عصير من فول وحمص .. وصل الشقة القريبة من المسجد ليلة بعد وفاة أسمر بأسابيع .. ولما فتحت له بهيجة الباب وجد فايزة ابنته في وجهه واقفة خلف أمها .. فلما دخل وألقى السلام ، وقبلت فايزة يده كعادتها معه ومع أمها ، وعانقها الرجل مرحباً ، ثم تحول مصافحا لسعيد الذي قبل يده وتعانق الرجلان ، ولم يكد يجلس حلمي حتى دعتهم بهيجة لتناول العشاء الذي كان عبارة عن بطاطس مقلية وحمص مطحون وعليه فتات اللحم وبيض مقلي .. ولما انتهى العشاء بعد العشاء عادوا للجلوس في صالة الضيوف ، وتخلل ذلك السؤال عن أولاد سعيد وعن والده وأمه وأهل المخيم

والجيران .. ونزل أزرق وزوجته من أعلى للسمر معهم ، والجلوس مع سعيد ، وكانت جلسة طيبة ظهرت فيها المشاعر الحسنة ،وفجاءة دون سابق إنذار كما يقال هتفت بهيجة: يا حلمي ألا تعلم عظمة الله وأنه أكرم الأكرمين ؟

التفت إليها حلمي وأزرق ودهشا من انفعالها ومن كلامها وقال: وهل من شك في ذلك يا بنت الحلال ؟!

فقالت بفرح طاغ : أريد أن أخبرك أن عالية حامل ، وأن الله سيعوضنا خيرا في فقد ابننا أسمر وفايزة تريد أن تخبرك أن في بطنها جنينا يا حلمي

التفت ملهوفا إلى فايزة: أصحيح يا فايزة أنت حامل؟!

قالت : نعم ، يا أبي لقد تأكد الحمل منذ يومين فقط .. الله كريم

نهض حلمي معانقا لها من جديد ، ورفع بصره ويديه إلى السماء وقال: يا الله يا كريم ! أحلى خبر سمعته من سنين ، بل في حياتي كلها .. يا سعيد مبارك عليكما وعانق سعيدا ثانية

قال سعيد وهو يجلس: الحمد لله .. فايزة بنية طيبة .. وطاعتها لربها كبيرة .. وكان العلاج بسيطا بفضل الله وحده .. بعض الأدوية الخاصة وربنا سهل الحمل .. وبين الطبيب إمكانية تكراره .. وتحتاج إلى أدوية تثبيت

قالت بهيجة : الشكر لك يا الله.. ثم الشكر لك يا سعيد .. الله عوضنا اثنين عن أسمر

فقال حلمي سعيدا : وبمناسبة هذا الخبر العظيم يا سعيد ويا فايزة ، ولما لم يعد أمل بعودة أسمر بعد موته أن يعيش في الشقة فإني أسمح لكم بالعيش فيها بدون مقابل.. ولما تضعي المولود ـ بإذن الله ـ فسأكتبها باسمك يا فايزة يا غالية .. وأنت يا سعيد مثل ابني فعليك تقبل الأمر بدون حرج .. والبيت بيتك .. لن نمن عليك بشيء ، ونحن أهل

تطلع سعيد في عيني فايزة للحظات وقال: أقبل منحتك يا عم ..والشكر لكم .. ونحن أهل

- بارك الله فيك سعيد

وذهب إلى غرفة نومه ، وعاد يحمل مفتاح الشقة ، ووضعه في يد سعيد ، وقال: في أي ساعة

شئتم ارحلوا إليها .. فلن يعيش فيها أسمر .. ذهب إلى رحمة الله الواسعة

كررت فايزة تقبيل يد أبيها وأمها تمتم بالشكر ، فقال حلمي: شرف لنا يا سعيد أن تعيش معنا والحياة بقربنا .. وأنا افكر بشراء عمارة بقرشين الوكالة واستثمرها بالإيجار .. فقد أدنت بعضها ..ولليوم لا أحد يسد .. فابن عم لي نصحني بذلك ما تقول يا أبا العبد

– فكرة طيبة .. ربما معاناة الإيجارات أهون من معاناة المدينين

قال أزرق الصامت بعد ما هنأ أخته وزوجها بالحمل : هذا هو الحل الأمثل يا أبي ! حتى أنا لديّ بعض الزبائن يصلحون سياراتهم على الأجل .. ولا يعودون للأسف

تمت الحكاية الثامنة

التقيا في مكتبة الجامعة كان مشغولا بالفكر المادي
بفكر ماركس المادي الضال
علم أنها فقدت عفتها على مذبح ذلك الفكر العفن
وأن والدها الماركسي الكبير تعرض لاغتيال
من رفاق العمر
وأصبح أسير البيت أسير الضلال والزيغ
تساءل هل يقف أم يمشي ؟
إنها حكاية شاب ضال .

١٩٧٨



الإلحاد

طفق المد الشيوعي الإلحادي في ما يسمى الوطن العربي يندفع بقوة بعد الحرب الثانية بعد انتصار الحلفاء على المحور الألماني ، فبدأ الفكر الشيوعي يروج له في المدائن العربية بقوة ، بعد أن كان محصورا ضعيفا ، وإن بدا معروفا لبعض الناس من مطلع القرن العشرين ، كان على مستوى أفراد وخلايا متهالكة همها الانحلال والفسق والإباحية والمخالفة ، ومع بزوغ شمس البلشفية في روسيا وظهور ما يسمى الاتحاد السوفيتي برزت الشيوعية أكثر على مستوى العالم ، ومع نصر الحرب الثانية برزت روسيا بقوة ، وقويت الأحزاب الشيوعية ، وأصبحت في صراع دموي مع العالم الحر والغرب ، فدخلت حياتنا ومدارسنا وتجمعاتنا وجامعاتنا ، ورغم الحظر الرسمي في بعض الدول تمادت الشيوعية ، وصار لها أنصار ودعاة جهارا ونهارا ، وتلقف هذا الفكر المنافي لعقيدة المسلمين عددا من الشباب والكهول للتخلص من عبق الدين وربقته لكسلهم وشهواتهم الحيوانية ، باسم المبادئ والأفكار بدأ يلاحظ الفكر الشيوعي بين الناس ، والكفر بالله علنا ، وإنكار وجود إله ورب لهذا الكون ، والمآسي الكبرى تشجع ظهور مثل هذا الكفر البواح ، واعتنقت بعض الفتيات العربيات هذا الفكر ، وروجن له باسم معادة الغرب والأديان وكان التيار الإسلامي موجودا على الساحة الفكرية أيضاً وينافس ويخوض معركة إثبات وجوده ، وهذا الفكر الشيوعي المعتنق وجد له مكانا في أبو خروف ، وكانت العامة تسمي بيت نضال الكلبي بيت الكفار ، وإن لم يكن هو البيت الوحيد الذي يحمل راية الإلحاد ، فقصة هذه المأساة كان مسرحها هذا البيت ، فهو في فترة ما كان من أنشط البيوت في نشر الكفر في الحي ، كان يجتمعون في بيت نضال الكلبي ليتعرفوا على الإلحاد ، ثم ينشروه بين الشباب في المدارس والجامعات والأسواق في المقاهي والنوادي ، ويتحدثون عن أحلام الاشتراكية التي ستحكم وتسود العالم ، وتدمر أمريكا وتتحول من الرأسمالية إلى السوفيتية ، وتزول الطبقات الاجتماعية ويصبح الناس سواسية كأسنان المشط العربي ، ورغم الجهد المبذول في دعوة الناس إلى الإلحاد وإنكار وجود الخالق العظيم ، ونشر البيان الشيوعي بين فقراء أبو خروف وطلابه لم يتحول

للإلحاد إلا العدد اليسير ، حتى أن أناسا لا يصلون ولا يهتمون بالدين والآخرة رفضوا الانتماء لهم ولإلحادهم ، وجدوا ضالتهم في بعض الأسر المنحلة أصلا وسمعتها سيئة أخلاقيا وغمرها الفساد والفجور ، وشباب غاوي الانفلات والتحرر الكامل ، فالتقى الطرفان كل له غاياته ، فكانت تشيع في الحي عن بيت نضال الليالي الحمراء والشيوعية الجنسية وترهاتهم الإلحادية ، والله اعلم بصحة ما يقال ، ولم يقتصر بيت نضال على فتيات أبو خروف وفتيانهم ، بل كانت ترد إليه فتيات من أحياء أخرى قريبة أم بعيدة ومن جامعات ، وجوه تظهر لحين ثم تختفي ويظهر غيرها ، فكان البيت قبلة الشيوعيين في أبو خروف

الإلحاد وجد قديما ومع الصراع الحاد في أوروبا ، وظهور الحركة العلمية التي استطاعت تفسير بعض قوانين الطبيعة والكون ، وأن قوانين تحكم هذا الكون وتسيره ، قال بعضهم لا داعي لإله يحكم الناس ويخضعون له ، وبدخول القرن العشرين شاعت مقولة كارل ماركس الدين أفيون الشعوب وقصد من إطلاقها أن الأغنياء والحكام يستغلون الدين الكنيسة لتخدير الشعوب والفقراء ويدفعونهم لقبولهم البؤس والفقر كأمر واقع طمعا في جنة الدين بعد الموت وشاعت كذلك مقولة فريدريك نيتشة هل مات الاله ؟

فهم يزعمون أن الكون نشأ عشوائيا دون الحاجة لصانع ، والحياة برزت من المادة عن طريق قوانين الطبيعة ، والإنسان عبارة عن جسد مادي ، ليس هناك روح إلهية فيه ، والموت نهاية لهذا الإنسان لا بعث ولا نشور ولا حساب .

شكل الإلحاديون ثلاث مجموعات : علماء فلاسفة تبنوا الإلحاد ، شيوعيون يريدون تحويل المجتمع إلى مستعمرات نمل ونحل مزارع حيوان ، والفريق الصامت .. فالملحد هو المنكر لدين الله ولوجود إله

القصة هنا لشاب اسمه باسل سمع عن البيت الكلبي ولم يقربه ، فصمم أن يعرف حقيقة ما يجري في بيوت الشيوعيين في أبو خروف ، خاصة بيت كبيرهم نضال الكلبي ، وأن يتعرف على الفكر الشيوعي المنتشر في أنحاء العالم ، ويفهم الشيوعية والاشتراكية من أصحابها والعاملين

بها ، كما اخبرني فيما بعد بقصته معهم ومع فتياتهم ، وبدأت الحكاية عندما كان طالبا في السنة الثانية من جامعة الآداب ، وقرر التعرف على ماركس وإنجلز ولينين وستالين ، قرأ بعض الكتب الشيوعية ، وبعض المعارف عنهم في المجلات المتوفرة في مكتبة الجامعة ، ووالد باسل رجل فاضل له مجموعة من المصانع في أطراف العاصمة ، وترتيبه بين إخوته الخامس ، والذي استهواه وشجعه على خوضه ذه اللعبة الاستكشافية أن تعرف على فتاة تتردد مثله على مكتبة كلية الآداب ، وهي طالبة كلية آداب سنة ثانية مثله أيضاً ، ولما عرفت أنه من أبو خروف تفاجأت بأنه لم يلتق بنضال الكلبي .. فقط أنه سمع باسمه ، لم يره ، لم يحدث بينهما مقابلة دعوة فهو شيخ الشيوعيين في الحي ، وناقشته في الفكر الشيوعي والمراحل التي سبقت الطبقة الشيوعية التي يعيشون فيها ، والتي ستنتشر حتى تعم الأرض جميعها ، وحدثته عن المساواة بين أفراد الشعب حق المساواة ، الكل سواء أمام القانون أمام الدخل أمام متطلبات الحياة السكن والملبس والطعام ، المساواة بين المرأة والرجل يأكلون مما ينتجون لا ما يستوردون ، المساواة في العمل والشغل ، الكل يبني الدولة الاشتراكية ، فصار يقرأ في كتب الماركسيين ـ نسبة لكارل ماركس ـ بحماس وهمة وقوة ، ويقرأ ما تشير له بقراءاته ـ فلنسمها سمرا ـ فيقرأه ، فبعد أن قرأ مجموعة منها ، وقرأ عن مراحل تكون المجتمع والتاريخ ، وأن العالم على وشك الوصول للمرحلة الأخيرة ، وهي سيادة الشيوعية التي في روسيا والاتحاد السوفيتي والتي ستمتد إلى باقي بلدان العالم ، وأن عليه أن يكون لبنة في تحقق ذلك ، وأن يكون شيوعا لتصبح بلده بعد حين ضمن العالم الشيوعي .. تأكل وتلبس مما تنتج .. والناس شركاء في الحاجات .. وأن الحياة مادة .. لا إله والحياة مادة .. المادة هي الحياة والدنيا والآخرة .. ولا بعث بعد الموت ولا قبر ، ولا حياة أُخروية .. فتقول لي : كنت أجد صعوبة طبعا في قبول هذه الأشياء والاقتناع بها .. وأنت ترى أن مؤسسة وشركة ومدرسة تحتاج لسيد لمدير لقيم فكيف تكون سماء وأرض وليس لها سيد ولا مدير؟

قال : استسلمت للفتاة كطفل صغير يذهب للروضة ، فأخذت أجري بيني وبينها مناقشات

وحوارات في المكتبة وخارج المكتبة حول التاريخ وبداية الفكر الشيوعي الذي يشيع اليوم ، وعن البلشفة الروسية التي تحكم الناس بالقوة والنار والديكتاتورية والجاسوسية والتعذيب والحبس والنفي والتشريد ، وكانت فتاتي تدافع بقوة عن أفكارها ومبادئها ، وأنها ولدت في أسرة تغلغلت في الشيوعية ، طبعا أن أجهل أسرتها كل الجهل ، ولا أعرف والدها رغم شهرته كما زعمت ، أو كما عرفت لاحقا ، تحدثنا عن كارل ولينين وأهمية الاشتراكية لتحقيق العدالة الاجتماعية للشعوب المقهورة وتوزيع الثروة على الأمة ، حتى لا تتكدس في يد طبقة واحدة ، وأن الاشتراكية تحتاج قوة وجيشا قويا يحميها ويعززها في هذا العالم ، ويدافع عنها ضد قوى الاستكبار والرجعية العفنة ، وتحدثت عن قوة الجيش الروسي في الحرب الثانية والشيوعية التي انقضت الصين من الاستعمار ، وحررت فيتنام من قبضة الغرب وكوبا ، فلولا الشيوعية لظلت هذه البلدان تحت نير الاستعمار والاستعباد ، وتحدثنا عن أهمية العمال في الحركة الشعبية ؛ لأنهم هم الذين يديرون المصانع والمكائن ، وتحدثنا عن قبول فلاحين روسيا والصين بالانخراط بالشيوعية رغم أنهم لم يكونوا عمالا ، فكنت أجد لديها من المبررات والحجج المستميتة في الدفاع عن الشيوعية .

وقسم ماركس شيطان الشيوعية : الحياة البشرية إلى خمس مراحل حتمية: هي الشيوعية الأولى والرق والإقطاع والرأسمالية والشيوعية الثانية والأخيرة.

وجعل الانتقال من كل طور من هذه الأطوار إلى الطور اللاحق له حتميا من جهة، ومردودا إلى أسباب مادية واقتصادية من جهة أخرى.

فالشيوعية الأولى هي الأصل الذي عاشت عليه البشرية الأولى في بدايتها، وجوهرها المميز هو عدم وجود ملكية فردية لشيء على الإطلاق، وقال: ولا النساء أيضا، فقد كان الجنس يمارس على المشاع ، كل النساء لكل الرجال على السواء، والأرض ملك للقبيلة بأكملها، والطعام يتناوله الجميع معا والسلاح مملوك للقبيلة سواء سلاح الصيد أو الحرب.. والحياة ملائكية شعارها التعاون والحب والتناسق والانسجام!

ثم اكتشف الإنسان البسيط الزراعة وضعف تعلقه بالصياد ، فأدى هذا الأمر المادي البحت إلى الانتقال إلى طور اقتصادي جديد تبدل فيه كل شيء تبدلا كاملا فراحت القبائل القوية تقاتل القبائل الضعيفة وتسترقها وتشغلها في فلاحة الأرض ، فنشأت طبقة الرق ونشأت الملكية الفردية وانتهت الفترة الملائكية التي عاشتها البشرية في فترتها الأولى.

ثم في المرحلة الثالثة اخترع الإنسان المحراث ، وأدى هذا الأمر المادي البحت إلى الانتقال إلى طور اقتصادي جديد، فقد اكتشف الإنسان أنه يستطيع أن يزرع – بهذه الآلة الجديدة– مساحة أوسع بكثير مما كان يمكن زرعه بالآلات السابقة ؛ فنشأ نظام الإقطاع ، ونشأت معه أفكار وعقائد ونظم ومؤسسات جديدة مختلفة تماما عن السابقة.

ثم اخترع الإنسان الآلة الصناعية فنشأت الرأسمالية – بسبب مادى بحت– وانتقلت صورة الملكية الفردية من ملكية زراعية إقطاعية إلى ملكية صناعية رأسمالية، ونشأت أوضاع فكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية جديدة بالمرة، فتغيرت الطبقة ذات السيادة فلم تعد هي طبقة الأشراف أمراء الإقطاع إنما أصبحت طبقة الرأسماليين أصحاب المصانع وأصحاب رءوس الأموال، ولم يعد الشعب في مجموعه فلاحين إنما صار عمالا صناعيين، وتغيرت مفاهيم هؤلاء وهؤلاء وتغيرت نظرتهم إلى كل القيم التي كانت سائدة من قبل في المجتمع الزراعي.

ثم نشأ الصراع القوي بين العمال وأصحاب رءوس الأموال فنشأت الشيوعية وهي المرحلة الخامسة والأخيرة ؛ لا لأسباب مادية في هذه المرة إنما لأسباب اقتصادية – وهي صنو الأسباب المادية في نقل الناس من طور إلى طور– ولكن في هذه المرة لا يحدث تطور ينقل الناس إلى طور جديد بعد الشيوعية، إذ الشيوعية هي المستقر الأخير للبشرية ، كما كانت بدايتها هي الشيوعية وتحدث في داخل الشيوعية تغيرات ولكنها لا تغير المبدأ الرئيسي لها، وهو إلغاء الملكية الفردية وإقامة الملكية الجماعية بدلا منها ، وفي النهاية – نهاية كل تطور وتغير– تلغى الدولة لانتفاء الحاجة إليها، ويزيد الإنتاج بالدرجة التي تسمح بتطبيق مبدأ كل حسب طاقته، ولكل حسب حاجته ويزول الصراع نهائيا من حياة البشر، ويعيشون في حالة من الملائكية كالتي بدأوا بها

حياتهم أول مرة.

ويركز ماركس في كلامه من مراحل التطور الحتمية وأسبابها المادية والاقتصادية على الانتقال من مرحلة الإقطاع إلى مرحلة الرأسمالية؛ لأن هذا هو الطور الذي كان قائما في وقته؛ فيقول: إن من سمات المجتمع الإقطاعي الزراعي: التدين، وترابط الأسرة، وسيطرة الرجل على الأسرة بكل أعضائها، أي: على الزوجة والأولاد، ويرد هذا كله إلى أسباب مادية واقتصادية.

فاستسلم باسل لأفكارها ووجهة نظرها فقال : كأنني مقتنع بما تقول حتى أنها تنبأت أني سأكون شيوعيا عالميا ، وعليّ أن أسعى للتعرف على نضال الكلبي ، وأنها ستقدمني إليه في أقرب فرصة متاحة لأنهل من شيوعيته العالمية ، فقررت أن ألعب هذه اللعبة الخطرة ، وادخل دهاليز شيوعية أبو خروف بحجة التعرف والغرف من أفكار ستالين وإنجلز وماركس وكاسترو وماو وهوشي منه الذين لا أعرف لغاتهم بالطبع .. سأطلع على ما ترجمه شيوعيو العرب عنهم ، واعترف لكم أعجبت بسمر رفيقة الجامعة ، حتى أحببت أن أسألها صراحة وإحراجها: هل صحيح ما يقال عن الشيوعية إنها تجعل النساء مشاعا للرجال للأخ والعم والخال والابن وماذا النتيجة ؟!

فأجابت دون مواربة: هذا كان في الشيوعية الأولى البدائية حيث لم تكن هناك طبقة عاملة ، فالمرأة تمارس الجنس مع كل الذكور ، والرجل يعاشر من شاء من نساء حيث لا أبوة ولا أمومة الكل آباء والكل أمهات كما يحدث في بعض عائلات الأسود ، ثم تابعت بعد صمت حتى استوعب الفكرة: الأمر بسيط حيث لا زواج ، ولماذا الزواج ؟ والكل يعيل الكل .. والجنس الهدف منه المحافظة على النوع ، ثم المتعة .. سعوا في روسيا إلى فعل هذا ، ثم عادوا عن ذلك خشية انتشار الأمراض الجنسية ، وعادوا إلى مؤسسة الزواج دون تجريم للزنا .. المولود ابن الدولة ..الأم حاضنة والأب لا ينفق .. الدولة تنفق على الابن الشيوعي فهو ابن الحزب والأمة كلها .. والفتاة الشيوعية تمارس الجنس برضاها ليس كل شخص له الحق بمضاجعتها .. يشير إليها فتلبي الطلب كالجواري في القديم .. رضا متبادل ، والحمل برضاها .. الجنس لا يسمى

زنا عند الشيوعي .. فلسنا بحاجة لعقد وتوثيق .. فالمولود ابن الدولة الشيوعية .. الأكل والشرب هل يحتاج لتوثيق وعقد ومحكمة ؟ والجنس حاجة مثل ذلك.. ولماذا التفريق؟ تختار شريكها وهو يختار شريكته للأبد لسنة لعشر سنين لا طلاق .. ولا محاكم كما تحيا الحيوانات والطيور في الغابات والبحار

– أهذا من الشيوعية ؟! اسم على مسمى أتعنين؟! أهذا في الاتحاد السوفيتي؟!

– لمن هو شيوعي حقيقي فتجد هذا .. فروسيا فيها أناس لم يقتنعوا بالشيوعية كفكر ومنهج حياة ، ففيها الرجعيون ورجال الكنيسة وحتى هناك مسلمون في نفس روسيا والقوقاز ، فلا إجبار على اعتناق الشيوعية الحكم شيوعي البلشفي ، المدارس تعلم الشيوعية والاشتراكية ، ومع الوقت سيدخل الجيل الجديد كله في الشيوعية ولو نفاقا من أجل الوظيفة والسلطة .. والزواج موجود بينهم ؛ ولكن الشيوعي الحقيقي لا تهمه هذه المؤسسة ، ومن حق المرأة الاحتفاظ برجل واحد والرجل كذلك ، لكن لا تجرم الزانية والزاني وينسب الابن لأبيه ، ويجوز اتخاذ العشيق والعشيقة دون تعصب ، فالانفصال سهل ، فهناك شيوعيون يحبون الحياة الأسرية الصغيرة .. أنت عندما تجالس نضال الكلبي تسأله ما تشاء ، فهو أخبر مني ، فقد زار الاتحاد السوفيتي أكثر من مرة ودول أوروبا الشرقية ، وستعرف الكثير من الأسرار أسرار العالم الشيوعي .. فكر يا رفيقي بحسم قرارتك ، وستجد في الاشتراكية والشيوعية حياتك وشخصيتك

– أأنت شيوعية مائة بالمائة ؟

– تقريبا ؛ ولكني في أول الطريق وإن انحدرت من أبوين اعتنقا الشيوعية بقناعة وقوة .

وتجرأت وقلت: وهل تسمحين لشيوعي بمعاشرتك جنسيا؟

– لا ، ليس كل شخص ، ولا حرج في فعل ذلك مع أحدهم إذا راق لي ذلك ، ولا تنس أننا في بلاد العرب ، بلاد لا تحكمها الشيوعية ، فالعلاقات بين الجنسين فترة حساسة حتى في الغرب من النادر أن تصل فتاة لسن ثماني عشرة سنة وتبقى عذراء ؛ فإنها في نظرهم معقدة .. والشيوعية

لا تركز على الجنس كما يشاع عنا ، إنما تسعى للحياة الفضلى ، والمساواة بين أفراد الشعب ، والقضاء على الطبقات والفوارق الاجتماعية .. ولكني لست عذراء ، ولا تهمني عذريتي وبكارتي ، ويمكنني فعل ذلك دون حرج من أب أو أم.

- أهلك يعتبرون هذا أمرا خاصا وطبيعيا!

- لا دخل لهم بأفعالي هذه

- ومن ينفق عليك ؟!

- أهلي ليس الحزب ، ربما بعد الشهادة الأولى أسافر للدول الشيوعية رومانيا بلغاريا

الشيوعية

فلسفة العفة لدى الشيوعيين : إن الرجل في المجتمع الزراعي هو المتكسب ، وهو الذي ينفق على الزوجة والأولاد ، ومن ثم يسيطر عليهم ويبسط سلطانه بسبب هذا الإنفاق ، ويكون سلطانه أشد ما يكون على الزوجة الضعيفة ، فيفرض عليها أن تكون له وحده فقط ، ومن ثم تصبح قضية العفة والمحافظة على العرض ذات قيمة كبيرة في المجتمع الزراعي ، ويفرض على المرأة أن تحافظ على عرضها وشرفها إرضاء لأنانية الرجل المتكسب المنفق الباذل ويضفي على ذلك ثوب الدين والأخلاق ، فتصبح قضية العفة قضية دينية وأخلاقية في حين أنها مجرد انعكاس لوضع اقتصادي معين يكون الرجل فيه هو المتكسب دون المرأة ، هذه هي فلسفة الشيوعية نحو العفة .

ومن جانب آخر فإن المرأة تستقل اقتصاديا ؛ لأنها تعمل وتتكسب ، ولا تعود عالة على الرجل كما كانت في المجتمع الزراعي ، ومن ثم يفقد الرجل سيطرته عليها ولا يعود في إمكانه أن يفرض عليها أن تكون له وحده ، كما كان يفرض عليها في المجتمع الزراعي ، فتتحرر من القيود وتفقد قضية العفة أهميتها في المجتمع الصناعي المتطور؛ لأنه أصبح من حق المرأة أن تهب نفسها لمن تشاء دون سيطرة للرجل عليها.. والرجل غير مربوط بأسرة تقيده

فمن طبيعة المجتمع الزراعي أن تتكاثر الأسرة وهي في البيت الواحد أو في بيوت متلاصقة متقاربة، لا لأن ذلك فضيلة في ذاته أو شيء مستحسن، لكن لأن ذلك من طبيعة الطور الاقتصادي ومستلزماته؛ لأن رجال الأسرة كلها يتعاونون في الزراعة ، وكلما كثر أفراد الأسرة زاد إنتاجها الزراعي، فيحقق ذلك مصلحة اقتصادية للأسرة ، أما في المجتمع الصناعي فكل عامل شخصيته مستقلة لا ارتباط بينه وبين غيره من الناحية الاقتصادية، ومن ثم تستقل كل أسرة صغيرة – أي: الأب والأم والأولاد– ببيت مستقل، وكلما كبر أحد الأولاد وتزوج استقل بأسرته الصغيرة في بيت خاص ، وتفقد الأسرة الكبيرة ترابطها مع الزمن ، ولا يعد ذلك عيبا ولا رذيلة ؛ لأنه هو الانعكاس الطبيعي للطور الاقتصادي القائم ، بل إن الأسرة الصغيرة ذاتها

تتفكك روابطها بسبب العمل، عمل الرجل والمرأة كليهما، كل في مكان يعمل فيه ، وعدم ارتباط الزوجة بالبيت وتربية النشء، ولا يعد ذلك عيبا كذلك ولا رذيلة ؛ لأنه لا توجد قيم ثابتة في حياة البشرية ، لا توجد فضيلة ثابتة ولا رذيلة ثابتة ، إنما الفضيلة ما يوافق الطور الاقتصادي القائم والرذيلة ما لا يوافقه ، فكما كانت العفة هي الفضيلة في المجتمع الزراعي يصبح التحلل هو الفضيلة في الطور الصناعي أو هو الأمر الطبيعي على أقل تقدير.

وكما كانت سيطرة الأب هي الفضيلة في المجتمع الزراعي يصبح فقدان سيطرة الأب هو فضيلة المجتمع الصناعي أو هو سمته الطبيعية ، كانت الأسرة المترابطة قيمة من القيم الاجتماعية المستحسنة في المجتمع الزراعي، وتصبح الأسرة المفككة –حتى على النطاق الصغير– هي القيمة الاجتماعية المستحسنة في المجتمع الصناعي أو هي السمة الطبيعية على أقل تقدير!

فإذا جاءت الشيوعية ـ وهي المرحلة الحتمية الأخيرة في حياة البشرية ـ فلسنا في حاجة إلى تعديل جذري في القيم والعقائد والأفكار.. تتغير فقط الصورة الاقتصادية فتلغي الملكية الفردية إلغاء كاملا ، وتصبح الدولة هي المالك الوحيد.. ولكن القيم المباركة التي أنشأها المجتمع الصناعي تظل قائمة ويزاد فيها فقط حتى تصل إلى نهايتها ، فالدين يلغى إلغاء كاملا، ويقضى على البقية الضعيفة الباقية منه في المجتمع الرأسمالي؛ لأن مهمته التي يقوم بها هناك – وهي تخدير الكادحين ليرضوا بالظلم الواقع عليهم– تنتهي في المجتمع الشيوعي الملائكي الخالي من الظلم ، فلا يعود للدين حاجة ألبته.. وتفكك الأسرة تفكيكا كاملا ؛ لأنها بقية – سخيفة– من بقايا العهود الرجعية التي كانت تمارس فيها الملكية الفردية ، فتتربى الأثرة في نفوس الأبوين رغبة في توريث أبنائهم.. فالآن وقد ألغيت الملكية الفردية فالأسرة نشاز في المجتمع الجديد المتطور والأولاد ملك الدولة، هي التي تملكهم –ملكية جماعية! مزرعة دجاج أو حيوان — وهي الدولة التي تنشئهم التنشئة الصحيحة، وليس لأبويهم إلا ولادتهم لحساب الدولة.. حظيرة خنازير

وأما العلاقات الجنسية فهي حرة حرية كاملة؛ لأننا عدنا – عودا على بدء– إلى الشيوعية الأولى[التي لم تثبت تاريخيا ولا علميا] ، إلى تناول حاجات الحياة كلها على المشاع. الكل للكل .. وهنا

تصل البشرية إلى قمة التطور الذي ليس بعده شيء!

وأشاعوا الفوضى الجنسية والانحلال، وحاربوا قيد العفة الذي يحول بينهم وبين تنفيذ مخططاتهم الواسعة لتحويل الآدميين إلى دواب تدور في طاحونتهم، فيجيء فيلسوفهم فيقول إن قضية العفة إنما أخذت أهميتها من أنانية الرجل في المجتمع الزراعي المتأخر باعتباره هو المتكسب والمنفق .. كل المبادئ المادية تركض وراء الشهوات الجنسية وعدم تحمل مسؤولية الأبناء .

كان باسل قد عرف وتعرف على بعض الشباب الشيوعي والحركة الشيوعية العربية في المدرسة الثانوية ، فهم يوزعون البيانات والنشرات الشيوعية خفية بين الطلاب ، فالحزب الشيوعي كان موجودا في الساحة دون ترخيص رسمي لنشاطه ؛ للقانون الذي يحظر الحزب الشيوعي ، أما على مستوى فردي شخصي فلا تمنع الدولة العربية اعتناق الفرد للفكر الشيوعي والوجودي والإلحادي والقادياني والبهائي .. وكانت أيضاً حركة الشبيبة الشيوعية ثم ذاعت أسماء كثيرة كلها تصب في خانة الشيوعيين ؛ لأن هناك شيوعية روسية وشيوعية صينية وشيوعية كوبية حسب مصدر الدعم المادي .. تسمع فكر شيوعي متطرف ، وشيوعي معتدل

وكانت القضية العقدية التي تثار بين أصحاب الفكر الإلحادي والفكر الإسلامي قضية الوجود الإلهي ، فالشيوعية لا تؤمن بإله للكون والخلق ، ولا تؤمن بدين ، والإله عندنا فطرة ، فصعب حتى على من يحمل أفكارا شيطانية أن ينكر الله ؛ لأن لإبليس زعيم الشر يؤمن بالله { قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} .. وكفر بعضهم بالاتحاد السوفيتي ؛ لأنه كان من أوائل من اعترف بدولة إسرائيل عندما أنشئت على البلد الفلسطيني ، وطرد أهلها .

الجدل يدور بينهم على وجود الله أم الكون بدون إله ، فهم يقولون لا إله والحياة مادة ، وكبار الشيوعيين في أوروبا هم يكفرون بالدين ، ويعتبرونه أفيون الشعوب والحكام ، وهؤلاء لا يهتمون بقضية الوجود الإلهي لا إيمان عندهم ، إنما القضية مهمة في الشرق لأن الوجود الإلهي قضية مسلم بها ، وفطرة لا تحتاج إلى مناقشة .. فالإسلام دين أغلب سكان الشرق العربي

والإسلامي .. فاهتم المفكرون المسلمون في تفنيد ضعف نظرية إنكار الخالق فهي فكرة فطرية قبل أن تكون عقلية ، وحتى الفلسفة الإسلامية التاريخية لم تناقش فكرة وجود الخالق إنما الصراع الفكري كان قائما وما زال بين تقديم العقل على الوحي والنقل على استنباط الأحكام فقصة ابن طفيل حي بن يقظان تعالج الفكرة هذه ، فلذلك عرف حي خالقه بالنظر إلى المخلوقات والفكر والحياة والكون ؛ ولكنه لم يعرف كيف يعبد هذا الإله ؟ كيف يخضع له خضوعا صحيحا ويعبده عبادة صحيحة ؟ فاحتاج للوحي والنقل .. فالعقل يؤدي إلى معرفة الخالق القادر ؛ لكن كيف يعبده ؟ فهذا يحتاج لرسول ونبي .. فهذا ما شغل الفكر الإسلامي في وقت من الدهر .. لابد للكون من صانع خالق هو الله ؛ لأن العدم لا يخلق شيئا ، وله مدبر يدبره ويسيره .. فالعقل وحده كيف يعرف صفة الصلاة والصوم والحج ؟ .. ولكن الفكرة الشيوعية الإلحادية شوشت على الناس أفكارهم ، وضعف المسلمين أمام الغزو الغربي الاستعماري أوجد قبولا لدى بعض الناس للفكر الشيوعي الضال الزائغ .. فهم ينكرون الدين والإله دون إعمال الفكر في صواب هذا الدين ؛ لذلك البسوا الشيوعية لباس العلم ، لذلك كتب أهل العلم والفكر الإسلامي كتبا في هذه القضية لإعادة الشباب المسلم التائه إلى الإسلام ودينه ، فكان النقاش والحوار والجدل حول قضية الوجود التي يجب أن تكون بدهية ، فعبدة الأصنام قديما وحديثا ما كانوا ينكرون وجود الله ؛ إنما كانوا يشركون معه آلهة أخرى لتقربهم إليه زلفى ، فهم يعترفون بربوبية الله ، وقلة من كانت تنكره سبحانه وتعالى ؛ ولذلك كانت كتب ومناهج التعليم تتكلم عن الوجود والدهرية القدماء حماية للشباب من الافتتان بالشيوعية السوفيتية أو الشيوعية الصينية إذ كانا على خصام وتناحر ؛ لذلك كانت تشتهر بين الطلبة قصة الإمام أبي حنيفة مع جماعة من الدهريين ، وهم أجداد أهل الإلحاد ، فضرب بينهم وبين الإمام موعد للمناظرة ، وانتظروه في المكان المتفق عليه ، فتأخر الإمام عن موعده ، وجاءهم متأخرا وكانوا غضابا عليه ، وكيف تأخر عنهم كل هذه الوقت ؟ فقال لهم بما معناه : هونوا على أنفسكم أيها السادة كنت قادما إليكم ، ولما شئت أن اقطع النهر راكبا ، لم أجد قاربا

يقلني إليكم ، ثم رأيت الريح قد اشتدت وهاجت وقلعت الأشجار من الأرض ، واصطفت بعضها جنب بعض وجاءت الحبال والمسامير حتى أصبحت قاربا ، فركبته وجئت إليكم ، فعجبوا من كلام الإمام ، وأنكروا حدوث هذا ووجود هذه السفينة ، فقال باسما: أنتم تقولون ذلك . فازداد عجبهم من الشيخ فقال : ألستم تقولون إن هذه السماء وهذه الأرض والجبال والأشجار خلقت نفسها ، ووجدت من دون موجد ، فكيف سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج تكون من غير خالق ؟ فرجعوا أو دخلوا دين الإسلام ، وغير ذلك من القصص الدالة على الوجود الإلهي .. فالشباب المسلم عنده قضية الوجود قضية فطرية مسلما بها ، والعقل يقر بها ويدعمها ، فلكل فعل فاعل ، فهل يمكن أن تصدق إذا طرق عليك الباب أن يكون بدون طارق له ؟! والصدفة طرقته .. والصدفة خلقت هذه السماء والأرض .. والجبال يستحيل وجودها صدفة ، وتدل على عناد وجهل وحمق فاعل ذلك .. فكما لا يمكن أن يكون إنسان في مكانين في نفس الزمن ، فلا يمكن لهذا الوجود أن يكون بدون مدبر ومكون وخالق حكيم .. العقل السليم يرفض ذلك مهما تمسك الملحد ببراهين وهمية وأدلة لا تغني ولا تسمن من جوع فهذا الإله يجب أن يكون قادرا قويا حيا حكيما عليما .. الجاهل لا يخلق شيئا ، والضعيف العاجز لا يمكن أن يوجد كونا عظيما .. فالطبيعة المزعومة عند الماديين أصبحت إلها تخلق المادة ، والمادة تخلق المادة ، تخلق نفسها .. فالمادة مخلوقة فلابد لها من خالق

لقد كان باسل على موعد مع سمر زميلة الكلية أو مكتبة الكلية لتعرفه على نضال الكلبي ابن أبو خروف ليأخذ عنه الفكر الشيوعي على أصوله ، وأن الشيوعية هي المرحلة الأخيرة من مراحل التطور الاجتماعي ، والتي يسعى إليها كل العالم ، لا أعلم أي عالم يقصدون ؟ فأمريكا الشمالية أضعف شيء فيها الفكر الشيوعي والاشتراكي .. فالسعادة لا تتحقق إلا بوصولنا للمرحلة الشيوعية الحديثة ، وتلغى وتتوقف الطبقات ويتساوى جميع الناس في الثروة والحقوق والأحلام ، لا يبقى أغنياء ، ولا يبقى فقراء .. الاتحاد السوفيتي أبو الشيوعية المعاصرة فشل في الوصول لهذه المرحلة لضعف الإنتاج وضعفت القوى العاملة حتى اضطر لوضع الحوافز

وإهداء السيارات لبعض المديرين والتململ في بلدان أوروبا الشرقية وإعدام الفاشلين كما يحدث في الصين ، حتى أن الصين ابتعدت عن شيوعية ستالين ، واعترف خروتشوف بأخطاء ستالين الكبيرة والمدمرة ، فأصبحت الشيوعية اسما في بعض الدول التي اقتنعت بالشيوعية ، لا يركز فيها إلا على الجانب العقائدي فقط .. الجانب الاقتصادي على وشك السقوط .. مساوئ التطبيق هي التي تكشف عوار الأفكار والإلحاد وعجز النظريات ، قامت روسيا بمشاعية النساء ، ثم عصف الأمراض الجنسية بهذه الفئة ، فأوقفوا المشروع زاعمين أن هذه مرحلة مرت على المجتمع الشيوعي البدائي ، وظهر مثل ذلك في الفرس والقرامطة ، وعادوا كما يفعل الغرب زوجة واحدة وعدد من الخدن والعشيقات ، وزادت عيادات المعالجات الجنسية ومراقبة دور الدعارة والبغاء ، وعرض أنفسهم على الطب باستمرار خشية تفشي أمراض الجنس والإباحية

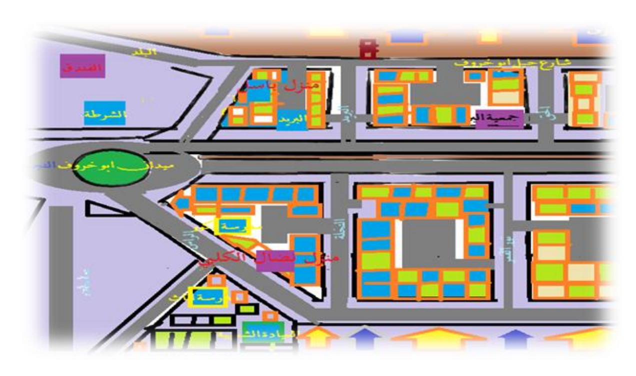


في بيت نضال

التقى باسل وصديقته سمر عند دوار أبو خروف كما اتفقا ، وبعد السلام والمصافحة ، مشيا إلى بيت نضال حيث يقع في الجزء الشرقي من أبو خروف قريبا من الدوار في القطعة التي بين شارع النخلة والرأس ١٠٢ قرب مدرسة الذكور الأساسية ، وحتى باسل لا يفصل بين بيته وبين نضال إلا شارع أبو خروف الرئيسي ، لذلك قال لما وقفا أمام بيت نضال : بيتنا في المربع المقابل

كان الوقت عصرا ، فاستقبلهم الكلبي مرحباً بهم وبالعضو الجديد وساقهم إلى غرفة الاستقبال الواسعة ، ورأى باسل عددا من النساء والشباب مجتمعين في الغرفة ، وكان الدخان يملأ فضاء المكان ؛ كأنه غمامة ، وعرفهم نضال بحماس ظاهر على الزميل الجديد المبتدئ وقال بصوت خطابي : تأمل الرفيقة سمر أن تضم إليكم عضوا جديدا السيد باسلا .. وهو من سكان هذا الحي الشامخ حي الشباب الثائر على التقاليد وعلى الدين الظلامي دين الجهل والتخلف والرجعية أفيون الشعوب .. إنه طالب كلية الآداب مع الرفيقة سمر

رحب الجلوس بالزميل الجديد ترحيبا حارا ، وأشار نضال لهما بالجلوس على أحد المقاعد الكبيرة في صالة البيت ، وأخذ الرجل يذكر لهم المعلومات التي روتها سمر عن باسل وباسل يراقبهم بعينيه ويسمع بأذنيه ، وقال أحدهم : مرحباً ، ستجد ما يسرك في شباب الحزب الشيوعي في هذا البلد ، وعندما تتحقق الرغبات الكبيرة ، ستجد مكانا يليق بدراستك يا رفيق باسل



لما سمع كلمة رفيق من الرجل وبطريقة مضحكة كاد يضحك أو ينفجر ضاحكا .. فهؤلاء لا يعرفون من الشيوعية إلا مصطلحات ، وأهمها رفيق البروليتوريا العمال ، ويقصد كارل ماركس بالبروليتاريا الطبقة التي لا تملك أي وسائل إنتاج وتعيش من بيع مجهودها العضلي أو الفكري ، ويعتبر ماركس البروليتاريا هي الطبقة التي ستحرر المجتمع وتبني الاشتراكية بشكل أممي .. ماركس هو صاحب البيان الشهير مع رفيقه فريدريك انجلز ١٨٤٨م وهو ما يسمى عربيا البيان الشيوعي وهو مبادئ الشيوعية ، ولكنه كما اخبرني أحب أن يستمر في التجربة ، العالمية الاتحاد السوفيتي هو الصنم الجديد لهم ، ثم سمعهم في أول جلسة له بينهم يتحدثون عن أبطال روسيا في الحرب الكونية الثانية ، وكيف سحقوا النازية ؟ وأخذوا نصف ألمانيا .. والغريب أنهم سموها ألمانيا الديمقراطية .. ومن المعروف أن الحزب الشيوعي أبعد الناس عن الديمقراطية .. فهم كالنازيين حزب شمولي ديكتاتوري .. وذكروا أمامه قامات شيوعية مشهورة على مستوى العالم والأممية الأولى والثانية وعظمة الاتحاد السوفيتي .. ولولاه ما انتصر الحلفاء على الرايخ الثالث .. ودخلوا على الحرب الباردة ، وتحدثوا عن دعم الروس للمد الثوري العربي لنيل الاستقلال والثورة على الأنظمة الرجعية وتحرير الشعوب ونشر الاشتراكية العربية .. فتحقيق الاشتراكية هو الدرب إلى مرحلة الشيوعية حيث يتساوى المجتمع الشيوعي في الإنتاج والحياة والرفاهية والعمل.. وتحدثوا عن اشتراكية ناصر في آخر الخمسينيات والستينيات وانتهت بهلاكه سنة ١٩٧٠ ، وبعد حرب تشرين ذهبت الاشتراكية وبدأ التقارب بين مصر وأمريكا وإسرائيل .. وهم اليوم ١٩٧٨ يتحدثون عن السلام فيقول باسل : ورأيناه بأم أعييننا ، وهؤلاء ليس لهم من الاشتراكية إلا الاسم .. والشعب ما زال حانقا يصارع من أجل لقمة العيش ، والروس وصلوا الفضاء .

وكانوا يمجدون الروس تمجيدا عجيبا فقال أحدهم : مالك صامت يا رفيق باسل؟!

التفت باسل للسائل وابتسم وقال: أنا ضيف أحب أن أسمع أنا حديث التجربة في الشيوعية ، الرفيقة سمر أحبت أن أتعرف عليكم ـ إنهم يحبون تذكير لقب رفيقة حيث لا يحبون التفريق

بين الجنسين كما في اللغة العربية ـ وأزداد معرفة في الكفاح الشيوعي ، ولكن ما قرأته عن الشيوعية أنها نشأت ضد النظام الكنسي في أوروبا ، وضد الدين في أوروبا بزعم أنه محارب للعلم داعي للجهل ، وظهرت الاشتراكية ضد النظام الرأسمالي ، وذلك في عصر النهضة الصناعية ، وقد ظهرت طبقة العمال في المصانع .. يعملون ويكدحون ليل نهار ويأخذون الفتات ويهملون في المرض والكبر ..وأصحاب المصانع يأخذون الذهب والكثير .. فظهرت نقابات العمال التي تطالب بتحسين أوضاعهم المادية ، ورعايتهم مرضى وشيوخ ، وتطالب بحقوق العمال .. وأنا راغب بمعرفة المزيد منكم عن طبقة العمال يا عمال العالم اتحدوا .. وعلى ماذا يتحد العمال ؟! وما المقصود بقولكم الدين أفيون الشعوب ؟! فالكنيسة ما زالت تعمل وموجودة في الدول الاشتراكية والشيوعية وفي أوروبا والفاتيكان .. وقرأت أن دولا أوروبية غربية كانت مرشحة لتنجح فيها الثورة الشيوعية .. ونحن في آخر سبعينيات القرن العشرين ولم نر هذا التحول ، ولم تصبح فرنسا رغم وجود قوى اشتراكية فيها شيوعية .. أريد أن أفهم لأرد على الإسلاميين والتحريرين وغيرهم من الخصوم

سكت الجميع عدة دقائق يتبادلون النظرات ، وقال نضال كأنهم كانوا ينتظرون رده : نعم معلومات جيدة يا رفيق باسل .. ومن حق كل شخص الاستفهام عنها .. حدثتني الرفيق سمر عن الحوارات الساخنة والحادة بينكم عندما تقرأون كتابا .. نعم ، يجب أن نقرأ ونرد وندافع عن منهجنا وبرنامجنا .. ونحن نحب أصحاب الفكر حتى يكون المرء متمكنا مما يدعو إليه الناس ، ويبدد الجهل والظلام .. فتحرير الشعوب يحتاج لفكر وأدب ونشاط وحتى يستطيع مناقشة أهل الدين وأهل الرأسمالية .. طبعا أنت تعلم أن الاشتراكية نظام اقتصادي ليس ديني ولا سياسي .. مرحلة من مراحل كفاح الشعوب ؛ فإذا وصل الشعب والأفراد إلى هذا المرحلة أصبحوا في المرحلة الأخيرة من مراحل النظام الاجتماعي الشيوعية الجديدة .. كانت مرحلة الشيوعية الأولى ثم مرحلة الرق والزراعة ثم الإقطاع ثم مرحلة الالة والرأسمالية الصناعية وظهرت الاشتراكية بديلا عن الرأسمالية ..ظهرت للدفاع عن الظلم الواقع على طبقة عمال

المصانع والمناجم في أوروبا ، وكانت البداية في ظهور نقابات المهن القوية تطالب بحقوق هذه الطبقة ، والنظام الاشتراكي نظام يدعو لأن يكون أهل الدولة شركاء في الموارد والإنتاج ، وألا يذهب الإنتاج الصناعي إلى طبقة الأغنياء والأثرياء كما في الولايات الأمريكية المتحدة وأوروبا الغربية ، حتى الإسلام دين أغلب الشعوب العربية منه جانب اشتراكي ، وأبو ذر صاحب رسول الله كان الاشتراكي الأول في الإسلام ولكنهم نفوه من مسرح الأحداث حتى لا ينتشر الفكر الاشتراكي بين الشعوب العربية .. والملكية الخاصة مرفوضة في الفكر الشيوعي.. الموارد لكل الناس ، الإنتاج لكل الناس .. والتدين يا رفيق باسل ضد التطور ضد التقدم ضد الاشتراكية .. التدين يدعو للجهل أو الظلم والسكوت على ظلم الحكام ، والجزاء يكون في الآخرة بعد الموت ، والرضا بكل ظلم الرأسماليين والحكام .. والسكوت على ظلم أصحاب الأموال .. فالتدين لا يدعو للثورة على الحاكم الظالم ، يدعو إلى الرضا والصبر والخنوع .. فالأفيون مادة مخدرة للذي يدمن عليه .. يدعو الشخص أن يصير عبدا لهذه المادة خاضعا لها ، ولا يريد إلا هذه المادة .. وكذلك التدين اخضع اخضع اقبل الأمر الواقع .. لا يتردد إلا على الكنيسة والجامع .. صحيح أن الاشتراكية والشيوعية دعوة للتمرد على الدين وعلى العبودية وعلى الكنيسة .. فكل أديان العالم كذلك تدعو اتباعها للخنوع والخضوع للكاهن للشيخ للملك .. ثم لماذا نؤمن بشيء غير موجود غير ملموس غير معروف سموه إله ؟! قالوا لنا إن هناك الله أين هو هذا الإله ؟ أين يسكن ؟ كيف يفعل ؟ بفهم قوانين الكون والطبيعة والمادة مات الإله .. الأسئلة تلك لا أحد يجيبك عليها إلا بتفاهات وخرافات .. ولماذا نؤمن بوجوده لا إله والحياة مادة .. نحن لا نعرف إلا المادة المدركة بالحواس .. نراها نلمحها نملكها نستخدمها .. أين الله ؟ عندما نرى دولا كأمريكا وبريطانيا وفرنسا تقهر الشعوب الضعيفة في أفريقيا وآسيا .. الاستعمار والاستبداد دمر العرب ، دمر المسلمين .. خضعت هذه الشعوب للاستعمار والاستبداد العثماني والإنجليزي ..ولم تحرك ساكنا حتى ظهرت الحركات الثورية .. والحكام مثل باقي الناس كلهم سواسية .. قامت الحركة الثورية الشيوعية بثورات حتى كانت

الثورة البلشفية الكبرى في أواخر الحرب الأولى وصارت للبلشفية دولة تحميها ، وتنشر أفكارها وتطبقها على أرض الواقع .. فالشيوعية حررت الشعب الصيني من الاستعمار الياباني والأوروبي {١}



{١} البلشـفية الروسـية أو البلاشـفة أو البلشـفيك التي تعني الأكثرية و قد أطلقت جماعة الجناح اليساري من أنصار لينين، في حزب العمل الاشتراكي الديمقراطي الروسي هذا التعبير على نفسـها عام ١٩٠٣ و كانوا يشـكلون الأكثرية في الحزب، بينما سـمي البقية بالمونشـفيك أي الأقلية ، وكانت الأكثرية تسـعى للحل الثوري بينما الأقلية تسـعى للتغيير السـلمي ، إلى جانب هذا كون البلاشـفة جيشـا يسـمى بالجيش الأحمر الذي خاض حروب أهلية مع الجيش الأبيض و هذا الأخير الذي كان مدعوما من الغرب بريطانيا – فرنسـا ، وكانت الغلبة للبلاشـفة حينها سـيطر على الحكم في روسـيا في ظل الحكم الاشـتراكي و قد ظلت تلك الجماعة تعرف بهذا الاسـم حتى بعد نجاح ثورة أكتوبر عام ١٩١٧ التي عرفت باسم الثورة البلشفية.

مزيد من الشيوعية

أخذ باسل يتردد على منزل نضال ليلا بعد أن أظهر ميوله للالتحاق بالحزب الشيوعي وأنصاره في أبو خروف ، كذلك ظل مستمرا في المجادلات والمناقشات مع سمر في ساحات الجامعة ومكتبتها ، فقد كانت الآنسة ناشطة بقوة في وسط الطلبة في مختلف الكليات ، فكانت معروفة حتى لرجال الأمن السياسي ، فكان ليله مع رفاق الحي ، ونهاره مع سمر فقال لنضال: يا رفيق نضال قد تبدو أسئلتي مؤلمة أو في غير محلها أحب سماع ردكم عليها ، وهذا ليس تشكيكا في نضالكم وعلمكم ؛ إنما المعرفة والرد على الخصوم الذين نلتقي بهم في ساحات وميادين الجامعة

– خذ راحتك في الأسئلة ، وعندنا لكل سؤال جواب ، وعليك أن تعرف ردنا لترد على أعداء الفكر اليساري .. فنحن عندما يزداد عددنا ويكبر ، ويقتنع الشعب بأفكارنا الاشتراكية سنستلم الحكم والسلطة ؛ لندافع عن حقوقنا وحقوق الطبقة الكادحة عن حقوق الفقراء .. نلغي الطبقة الرأسمالية، وتصبح الموارد والإنتاج مشاع للجميع .. هل تعلم يا رفيق باسل أن كلمة رفيق استخدمتها الفرقة الإسماعيلية قديما قبل أن يستخدمها الشيوعيون ؟ والله معبود المسلمين هو الرفيق الأعلى .. ماذا تريد أن تفهم يا رفيق باسل ..صاحبتك سمر معجبة بك وتراك مكسبا كبيرا للحزب ومفكرا قويا في المستقبل القريب .. اسأل يا رفيق

تنحنح باسل وابتسم للجميع : أنتم تعلمون أن العرب ومن عقود يتحملون هم القضية العربية الكبرى في ضياع فلسطين ، ونعتقد أن اليهودية العالمية عدو الشيوعية وعدو الاشتراكية قد أخذت فلسطينا وطنا قوميا للجنس اليهودي ، وبمساعدة الإمبريالية والرأسمالية البريطانية ، وأمريكا ، وأقيم الوطن اليهودي والكيان الإسرائيلي على جزء مهم من بلادنا فلسطين ، وقبل سنوات استولي على الباقي فلماذا اعترف ستالين البلشفي في هذه الدولة اللقيط فور إعلانها دولة ضمن الأمم المتحدة ؟! حتى أني سمعت أن الشيوعية العربية صدمت وأحبطت من هذا الاعتراف العاجل

بعد صمت خيم على المكان ولا ترى إلا سحائب الدخان من الرجال والنساء ، ولا تسمع إلا

سحب أنفاسها قال نضال: سؤال مهم وجميل ورائع رفيق باسل ! اعلم أن الحركة الصهيونية عدو للإنسانية كلها ، وليس للحزب الشيوعي فحسب .. وأنا سأبرر لك الموقف السوفيتي عام ٤٨ من إنشاء دولة إسرائيل عدونا إلى الأبد ..وهذا التبرير من لدني .. وبعد مطالعات كثيرة حول هذا الموضوع .. جاء الاعتراف السوفيتي والأمريكي بدولة إسرائيل مبكرا وموقفا مقابل دعم الصهيونية للحلفاء في الحرب الثانية ، فالحرب كانت ساحة ابتزاز للحلفاء حتى يستطيعوا الانتصار على هتلر .. سبب هذا الاعتراف ما قدمته الصهيونية العالمية للحلفاء الجواسيس والخبرات والأسلحة .. فاليهود كانوا مع الحلفاء .. والعرب إما محايد وإما مع النازية خاصة الحاج أمين كان في برلين أثناء سنوات الحرب الأخيرة .. فالاتحاد السوفيتي كما تعلم تاريخيا تعرض لهجوم كاسح من قبل الجيش النازي ، واقترب من موسكو ، وقصد القضاء على الشيوعية في أهم نجاحاتها في روسيا .. فستالين أمام ذلك اضطر لتقديم تنازلات للصهيونية لتوريط أمريكا في الحرب ودعم الحرب ماديا .. فالعرب ماذا قدموا ؟! الانتظار ؛ بل في العراق حدثت حركة رشيد الكيلاني للوقوف مع ألمانيا .. هذا موقف سياسي مقابل موقف ودعم يهودي للحلفاء ..والمناضلون احتجوا على هذا القرار ، وبعضهم غادر الحركة الشيوعية العالمية بسبب ذلك ، حتى أن الروس خلال الحرب أوقفوا منظمة الكومنترن التي أسسها الرفيق الكبير لينين عام ١٩١٩ لتجمع الشيوعيين من أنحاء العالم .. واليهود يهود فلسطين حاربوا مع الحلفاء تطوع منهم حوالي ثلاثين ألف مع الجيش الإنجليزي ، ثم أصبحوا نواة جيش إسرائيل الهاغانا .. في الحرب تتحالف مع الشيطان لتحقيق النصر والدعم المالي .. وكان الاعتراف بإسرائيل كدولة حسب قرار التقسيم .. لم تعترف روسيا باحتلال باقي فلسطين وقرار التقسيم هو الذي اعترف بإسرائيل ، والأحزاب الشيوعية العربية في ذلك الوقت كانت ضعيفة على الهامش ، لم يكن لنا ثقل وأهمية لدى ستالين .. تستطيع أن تقول إنهم مجرد أفراد وحتى الدول العربية وقادتها كانت تحت الانتداب والاستعمار.. لا حرية في قرارها السياسي أو السيادي .. مصر كانت تحت السيطرة البريطانية والعراق والأردن ودول شرق الخليج العربي

ودول شمال أفريقيا مازالت ترزح تلك الفترة تحت الحكم الفرنسي .. وحتى الدول المستقلة كانت ضعيفة وتابعة للدول المستعمرة ، وتحت الوصاية .. كانت فترة تحرر .. هل يحسب لهم الروس قوة وأهمية ؟ لكن في حرب ٧٣ قبل سنوات رأيت وسمعت ما قدم الروس للحرب من صواريخ وخبرات .. وقدم للجزائر حتى تنال الاستقلال واليمن الجنوبي .. ومع ذلك لام العرب اليساريون الروس على هذا الاعتراف بصفتهم دولة كبرى وعضو دائم في مجلس الأمن الدولي .. والنضال الفلسطيني مدعوم من الدول الشيوعية والاشتراكية دعما واضحا للعيان وأكثر من دعم العرب لهم .. السلاح الفلسطيني روسي صيني كوري .. لم نكن بالقوة التي تؤثر على القرار في موسكو .. فالأحزاب الشيوعية الناشئة في الدول العربية ممنوعة ومضطهدة من قبل السلطات والإدارات الحاكمة ، مجرمة في بعض قوانين بعض الدول العربية ، وإنما أفرادها قلة لا يشكلون خطرا ايدلوجيا على تلك الأنظمة ؛ ولكنها تعاملهم بقسوة حتى من بعض الدول التي كانت تزعم أنها اشتراكية الهوى والاقتصاد .. والحركة الصهيونية منذ نشأت أواخر القرن التاسع عشر وهي نشطة مشرعة لها الأبواب في الغرب كله والعالم ، وهي قوية في الإعلام والمال واسعة الانتشار .. فهذا سبب وقوف الاتحاد السوفيتي مع الاعتراف الإسرائيلي حتى إسرائيل تعترف بالحزب الشيوعي الإسرائيلي ، ثم إن الاتحاد السوفيتي دعم فيما بعد القوى الثورية العربية حتى ولو لم تكن شيوعية .. وأظهر لنا ندمه وخطأه .. وهذا لا يغير من الواقع شيئا .. وها نحن بعد ٧٣ نسمع أن العرب يسعون للسلام مع إسرائيل ، وقد اعترفوا بـ٢٤٢ و ٣٣٨ .. فالظروف أحيانا كثيرة تدفع الدول الكبرى وحتى الأفراد إلى اتخاذ قرارات ومواقف مؤلمة لأحزابها .. والحزب الشيوعي السوفيتي نفسه لا يعترف بإسرائيل ..الدولة هي التي تعترف بدولة إسرائيل كدولة حسب قرار التقسيم عام ١٩٤٧ ، نحن لا ننكر أن الموقف كان صدمة لنا ، وكنا في بداية اعتناق مبادئ الشيوعية ، والسياسة شغلنا الشاغل أكثر من الاقتصاد وعلينا أن لا ننسى دور الاتحاد في انتصار أكتوبر على رأي المصريين ، وتشرين على رأي السوريين ورمضان على رأي الإسلاميين .. فهم سلحوا مصر وسوريا والعراق واليمن الجنوبي ، ولا

تنسى مواقفهم تجاه القضية الأولى للعرب وحركات الفدائيين الفلسطينيين .. كل أسلحتهم شرقية على رأسها موسكو ، ولا تنسى دعمه للقضايا العربية كلها في مجلس الأمن والعالم وتحرر الشعوب العربية والأفريقية والآسيوية وأمريكا اللاتينية من ربقة الاستعباد والاستعمار والقبضة الأمريكية بعد ضعف بريطانيا وفرنسا عن مستعمراتها القديمة



جلسة في الكلية

كانت سمر تجالس باسلا في ساحة من ساحات الكلية وتقول مشفقة: لا تسمع لكلام هؤلاء الطلاب الشرعيين طلاب كلية الشريعة .. فهل كانوا يجالسونك قبل التعرف عليّ ؟ اليوم يخشون عليك من أفكاري السامة المستوردة .. فالشيوعية لا تعارض الإسلام كإسلام .. فالشيوعية تدعو الناس إلى العدالة الاجتماعية لكل الناس دون النظر لدين وجنس وعرق ولون تدعو إلى رعاية كل أفراد الشعب والأمة.. عند هؤلاء الإسلاميين الشيوعية كفر .. ومعتنقها كافر .. وبعض كتاب الإسلام السياسي كتبوا عن اشتراكية الإسلام .. فالشيوعية لا تمنع المسلم من الصلاة والصوم .. المهم نشر الشيوعية الاقتصادية بين المسلمين والشيوعية العلمية

لما صمتت قال باسل : أنا رغم ثقافتي الدينية البسيطة يا سمر لا أستطيع أن أدافع عن الشيوعية وأنها تتفق مع الإسلام .. فالإسلام كما تعلمين دين سماوي دين إلهي كما اليهودية والنصرانية .. والشيوعية دين مادي دين بشري إذا صح تسميتها بدين .. هل نستطيع أن نكون شيوعيين ثم نظل مسلمين ؟! وما دمنا قد رفضنا الدين فلا يجب أن نؤمن بدين.. قال : ماركس الدين أفيون الشعوب .. فالشيوعية تقوم على فلسفة مادية تؤمن بالمادة فقط ، لا غيبيات ولا وحي .. فهؤلاء يأخذون دينهم عن الوحي والسنة .. فلسفتنا لا تؤمن إلا بما تراه الحواس .. الغيبيات مرفوضة في الماركسية ، إن الشيوعية قائمة على فلسفة مادية بحتة ، لا تؤمن إلا بما تراه الحواس الخمسة فقط ، وكل مالا تدركه الحواس فهو خرافة لا وجود لها، ألم يقل انجلز إن حقيقة العالم تنحصر في ماديته ؟ ويقول الماديون: إن العقل ما هو إلا مادة تعكس الظواهر الخارجية ، والروح مناخ المادة ، والإسلام دين يؤمن بالغيب .. ماركس هو الذي يقول : إن الإنسان مخلوق مادي همه إشباع المطالب الأساسية الغذاء السكن الإشباع الجنسي .. فالشيوعيون يومنون بالمادة ، والصراع الطبقي بسبب النزاع الاقتصادي ، ويؤمنون بأن صراع المتناقضات هو وحده العنصر الكامن وراء التطور الاقتصادي والبشري من المرحلة الشيوعية الأولى والرق والإقطاع الرأسمالية إلى الشيوعية الثانية والأخيرة، الماركسية نظرية اقتصادية تقوم على أساس

من الفلسفة المادية الجدلية، وعلى التفسير المادي للتاريخ الذي هو.. الصراع بين الطبقات.
قالت سمر بعد صمت باسل : نعم ، فلم تعد مطالبه في الحياة سوى ما حدده ماركس من الغذاء والسكن والإشباع الجنسي .. وفي سبيل الوصول إلى هذه المطالب والحاجات لا بد من الصراع والأخلاق والقيم لا وجود لها أو لنقل: إن لها مفاهيم جديدة، هذا أفضل كما قال ستالين: الأخلاق الصالحة في نظرنا تلك التي تيسر القضاء على النظام الرجعي القديم، وهي التي تدعم النظام الشيوعي ، ولا شيء غير هذا يمكن أن يسمى أخلاقًا فاضلة ؛ ولتحقيق قيام الشيوعية - كما يقول لينين - يجب علينا أن نتوسل بكل أنواع الحيل والمناورات والوسائل غير القانونية لتحقيق أهدافنا .. وينتهي دور الأسرة بقيام الشيوعية - كما قال ستالين -: ما دمنا ننكر الأديان فإننا لا نستطيع أن نأخذ بالآراء القائلة بأن للأسرة قداسة، فكل القداسات زائفة
وتابع باسل بعرض أفكار الستالينية واللينية : والعنف هو الذي بموجبه تقوم سلطة الدولة كما يقول الرفيق ستالين نقلاً عن الرفيق لينين: إن دكتاتورية البروليتاريا هي سيادة البروليتاريا على البروجوازية .. سيادة لا يحدها قانون ولا أخلاق ، وهي تستند إلى العنف.. والمقصلة ضرورية لإلغاء الملكية الخاصة، كما يرى مؤسس المذهب ماركس غمر الإقطاع أوروبا وروسيا القيصرية ثم جاءت مرحلة الرأسمالية التي تكونت مع الثورة الصناعية والمناجم .. والمرحلة الأخيرة هي الشيوعية الثانية التي انتصرت في روسيا والصين ، والتي يعيش في بعض بلدانها المسلم على رأسها روسيا والصين الشعبية .. وهذا الربط كما نرى يا سمر لا دخل إلى الله فيه ، فكيف ستجتمع المادية مع الإلهيات والغيبيات ؟ وماركس هو الذي يقول : الإنتاج الاجتماعي الذي يزاوله الناس تراهم يقيمون علاقات محدودة لا غنى عنها.. وهي مستقلة عن إرادتهم .. ليس شعور الناس هو الذي يعين وجودهم، ولكن وجودهم هو الذي يعين مشاعرهم .. الإنسان لا إرادة له أمام قوتي المادة والاقتصاد
فهؤلاء المسلمون يقولون : الفلسفة الشيوعية تجعل الإنسان كائن سلبي لا إرادة له إزاء المادة وقوة الاقتصاد ..هم يعتبرون المادة والاقتصاد مسخر لقوة الإنسان وإرادته

وبعد صمت، ولما لم تعلق سمر على دفاع الإسلاميين الذي تحدث عنه ، تابع باسل فقال : لذلك هؤلاء الشبان محقون في تخوفهم وقلقهم ؛ فإذا أخذ الناس بالاقتصاد الشيوعي والماركسي ، فسيأخذون فلسفة ماركس .. ويقولون الإسلام يقر الملكية الفردية والفكر المادي الماركسي يرى أن المجتمع هو الأصل، والفرد لا كيان له بمفرده، وهو مجرد فرد في القطيع ، فهي تضع الملكية في يد الدولة ممثلة المجتمع، وتحرم منها الأفراد.. نحن يجب أن لا نكون على لا تناقص في دعوتنا نقول لا إله ونقول لا تعارض مع الدين .. الشيوعية مادية والدين روحي يا سمر .. فالشيوعية اقتصاد وتسخر العلم للاقتصاد ، فالعامل الاقتصادي هو عمود الفكر الشيوعي .. الإسلام كما تعلمين لا يجيز خروج المرأة للمصانع والمناجم .. فهناك من يعيلها ويكفيها.. في الشيوعية المرأة شريكة الرجل في الإنتاج والثروة والمصانع .. فالإنتاج يجب أن يزيد فلتخرج المرأة .. لا تعطيل لنصف المجتمع .. فالنظام الاقتصادي الشيوعي يعتمد على الدولة التي تعين الأعمال للمجموعات

قالت سمر معجبة برفقيها وزميل كليتها: رائع! إنك تقرأ بعمق .. سيكون لك دور كبير وبارز معنا إذا قبلت البقاء في صفوفنا .. ما رأيك بالرفيق نضال فهو شيوعي مخضرم؟

تمهل رويدا قبل الرد فقال : أنا قلت لك إنني أذهب إليه للاستماع أكثر من الجدل والمناقشة .. فهو يقرر دون نقاش عليّ أن أستمع قبل الالتحاق بكم .. ولعلي أصبح فردا منكم قلبا وقالبا

قالت : أبي كما ذكرت لك سابقا شيوعي قديم قبل نضال ، وسجن أكثر من مرة بسبب الفكر الماركسي ومعاداة النظام العربي الحاكم ، وزار الاتحاد السوفيتي وكوبا ، والتقى كبار الرفاق ، وعمل مع المجموعات الفلسطينية اليسارية ، وفد ذكرت له أنك ترغب بلقائه

- لا بأس .. أسمع تجربته العميقة في الحركة الشيوعية العربية ، ولماذا لا نراه في ببت نضال؟!

- أبي شيوعي كبير في الحزب الشيوعي العربي ؛ ولكنه تعرض للاغتيال في بيروت عام ٧١ فأصبح نصف مشلول

- ماذا تقولون عندما تدعون لشخص بالشفاء ؟!

قالت : نرجو له الشفاء ، حتى لو قلنا شفاه الله .. لا حرج .. أنت تعرف أننا لا نستطيع التخلص من عاداتنا بسهولة ..حسنا يا رفيق إلى لقاء

***

كما ذكرنا قبلا أنه لا يفصل بين سكن باسل ونضال سوى الشارع العام ، فكان الذهاب يوما بعد يوم ، وربما أكثر .. فالناس تذهب لصلاة العشاء ويذهب باسل للتزود من الفكر اليساري ويسمع الأخبار الثورية والنشرات التي يصدرها الحزب وتوزع خفية ؛ لأن القانون العام يمنع وجود الحزب الشيوعي وغيره من التواجد على أرض البلد علنا ؛ولكن الحكومة لا تستطيع منع الأفراد اعتناق أي المبادئ شاءوا .. فحرية الفكر مسموح بها

وكان جل حديثهم في السياسة سياسة أمريكا الاستعمارية مع أن أمريكا ظهرت على مسرح الأحداث في الحرب الثانية ، وداعية لتقرير مصير الشعوب إلا الشعب الفلسطيني ، ولا تستعمر دولا وبلدانا ؛ إنما تخوض حربا باردة مع الشيوعية ، ولها قواعد عسكرية أمريكية منتشرة في دول العالم ، ويتحدثون عن قوة الروس والجاسوسية الروسية ومحررة الشعوب من الاستعمار ، وهي تستعمر دول آسيا الإسلامية والقوقاز باسم الاشتراكية والشيوعية العالمية ، ويتابعون إضرابات وتحركات العمال في العالم وأمريكا اللاتينية ، ويحلمون أن الشيوعية كما سيطرت على اليمن الجنوبي ستحكم مصر والدول العربية ، وتخضع كلها للثورة اليسارية العالمية والمد الاشتراكي ، وتتحول المساجد إلى حانات ومراقص ، كما تحولت مساجد آسيا الإسلامية والقوقاز ، وكما تحولت كنائس أوروبا الشرقية والبلاد الروسية إلى مثل ذلك من قبل ، ويتحدث بعضهم عن الدعم المادي والعسكري المقدم للدول العربية المحسوبة على الاتحاد السوفيتي كمصر والعراق وسوريا والجزائر ، وأن إسرائيل عدو للروس ، ويأخذهم الحديث عن بطولات كارل ماركس وفريدريك انجلز وشجاعتهما في إصدار البيان الشيوعي قبل قرن من الزمان ، وعن لينين الثائر على القيصر نيقولا الثاني ، والقضاء على آل رومانوف القضاء المبرم ، حتى لا يحلم بعودة هذه الأسرة للحكم في يوم من الأيام ، يتسامرون عن بطولات ستالين في القضاء على النازية وهتلر

وربما يتطرق الحديث عن اعتقال الشرطة أو أجهزة المخابرات العربية لأحد عناصرهم بعد إلقائه محاضرة في مقهى في شارع بعد عودته من رحلة إلى سوريا إلى العراق ، ويتكلمون أن المساجد والكنائس سبب تخلف الأمة العربية عن اللحاق بالثورة الشيوعية وأنها ستتحول لمواخير ودور بغاء ولهو ، وأنها وحدت بين المسلم واليهودي والنصراني .. فالشيوعي لا يهمه الدين والجنس واللون .. فهو لا يهتم بالدين الموروث .. وبينما الكل يتمتم ويدلي بدلوه وحقده على الدين والمتدينين سمع باسل اسمه يتردد ، فانتبه للرجل الذي ذكر اسمه وسمعه يقول: لقد أخبرت سمر أنك تسعى لمقابلة والدها نجيب

أجابه موضحا : سمر طلبت مني ذلك يا رفيق عامر ، وحدثتني أن والدها رجل كبير في الحركة الشيوعية العربية، وزار رأس الشيوعية موسكو ، والتقى الرفيق ستالين أيام منظمة الكومنترن وزارها في عهد خروتشوف ، والتقى برجال الحزب الكبار ورجال الدولة ، والرفيق الأمني الكبير لافرينتي بيريا قبل إعدامه .. وشجعتني على اللقاء به

فال نضال مادحا : والد سمر بطل عظيم في الحزب الشيوعي العربي ، ومناضل قوي ، وناضل بقوة ، واعتقل وسجن في عدة دول عربية ، والمأساة أنها كلها تدعي التقدمية والاشتراكية ، ربما الدول الرجعية معذورة أما مصر سوريا العراق .. الأنظمة الرجعية فكانت تطلب منه العودة من حيث شاء فقط .. وزار الاتحاد السوفيتي وألمانيا الشرقية ، وذهب لبنان بلد الحريات العربية ، وله علاقات بالفصائل الفلسطينية العاملة على الساحة اللبنانية واليسار اللبناني والسوري ، وله علاقات جيدة مع القوميين ، وساعد بتقديم الدعم السوفيتي لهم ؛ ولكنه تعرض لمحاولة اغتيال نجا منها بأعجوبة ، واستقر هنا في هذا الجزء من العالم ، وهو اليوم مقعد على السرير ؛ ولكنه ما زال قويا نشطا بأفكاره ومقالاته للجرائد والمجلات الثورية ، ولديه مثلنا أمل بوصول الأحزاب الشيوعية العربية لسدة الحكم ، كما في اليمن السعيد وسينتشر الفكر الشيوعي ويصبح فكر كل الشعب .. والاقتصاد الشيوعي هو منقذ الأمة من التبعية والخضوع للرأسمالية .. والفلسفة الماركسية ستسود هذه الشعوب الضعيفة المهلهلة ..هذه التي ما زالت

مستعمرة ، وبدلت مستعمرا بمستعمر .. نعم ، نجيب رجل مهم وشجاع في تاريخ حركتنا الشيوعية العربية.. نعم ، فسمر ابنة رجل مهم وشجاع في حركتنا .. والفتاة معجبة بك جدا .. وتتحدث عنك بإعجاب الولهان.. وشرف كبير إن قبلت بك

– لكنها لا ترى الزواج شيئا مهما يا رفيق .. مؤسسة الزواج عندنا دينية

قال نضال : هذا عندنا ، وكلنا نتزوج حسب التقاليد السائدة حتى يحكم الحزب ، وستلغى المحاكم الشرعية ودار الفتوى .. الاتفاق بين الرجل والمرأة يكفي للزواج .. فالمرأة جزء مهم من الإنتاج والاقتصاد الشيوعي .. لا تعطيل لنصف المجتمع .. فلها ما للرجل .. أما أن تجلس في البيت لتأكل وتشرب وتلد فهذا مرفوض .. المرأة الشيوعية كالرجال في الإنتاج .. والحاجة الجنسية عندنا كشرب الماء ؛ لكن برضا الطرفين وليس مهما أن ترتبط برجل واحد أو أكثر ، ولا الرجل يرتبط بامرأة واحدة فقط طول العمر ؛ لكن لا بأس بهذا الارتباط خشية انتقال أمراض الجنس المهلكة .. يعيش شبابنا تحت ضغط قانون الزواج الإسلامي الصارم ؛ لذلك تجد لديهم عقدة الجنس والكبت والحرمان الجنسي .. المهم الرضا والقبول .. فالعذرية قضية نفسية كبيرة عند الشرقيين ، ولدت في فترة الرق والإقطاع ..فلو تزوج أحدهم فتاة ووجدها غير عذراء يفسد الزواج ، وتتهم الفتاة بالخيانة وبيع نفسها ، ويحصل الطلاق والمشاكل بين الأسر على قضية تافهة ، إنما تفرق الفتاة البكر عن غيرها الثيب ببضع دقائق أو ليلة الدخلة ، وتصبح مثل الأخريات ..أهذه قضية تحتاج للتفكير والشرف والقتل والدمار ؟! فالبكارة قضية رجعيه .. فالإشباع الجنسي حق لكل شيوعي ، ولكل أنثى ولو بدون عقد زواج ؛ ربما الزواج لا يتحقق معه الإشباع الجنسي لضعفه الجنسي ومرضه .. فلمَ لا تعاشر غيره ؛لأنه لم يحقق لها الغاية من الزواج .. فتصبح محرومة من الإشباع الجنسي .. عليها أن تصبر وترضى بقدرها ونصيبها .. هذا الظلم بعينه ، هم يسمونه خيانة زوجية .

– الإنسان لا يحب أن يشاركه أحد ملكيته

– هذا ما تحاربه الشيوعية الملكية الفردية .. وهؤلاء يسمحون للرجل أن يمتلك عدة نساء باسم

الشرع. قال باسل : وإذا حملت من غير زوجها الرسمي

– إذا لا يريد أن يحمل اسمه .. الدولة تتبناه وتنفق عليه ، حتى عند طائفة من المسلمين يسمون الشيعة يجيزون حمل المرأة من زواج مؤقت يسمونه أو يسمى نكاح المتعة .. ينسب المولود لأمه وتعتني به ..كثير من نساء المسلمين لا يعرفن الإشباع الجنسي طول عمرهن ، ولولا الأمراض التي تنتقل بسبب الجنس لانتهى أمر الزواج كليا في الاتحاد السوفيتي .. فبلغوا المشاعية الجنسية وأنت لا تريد أن تتحرر من عقدة عدم شرب الخمر وإتيان النساء ، ولا أعتقد أن سمرا ستبخل عليك بجسدها من حين لآخر ، حتى هؤلاء الرفيقات اللواتي يسمعن حديثنا ، فلدينا حجرة هنا لقضاء الغريزة دون أي حرج بين رجل وامرأة ، لا ننظر للقضية كحرام وحلال كما يفعل المسلمون .. عليك أن تكسر هذا الحاجز .. فهذا يسبب لك الكبت والضيق .. فهذه غريزة أوجدتها الطبيعة تحتاج لتفريغ .. فكل هؤلاء الصبايا مستعدات لخوض التجربة معك دون خجل وخوف .. ومستعدات لتعليمك الحياة الجنسية الصحيحة والصحية ..ولكن نترك هذه المهمة للرفيق سمر ..فهي معجبة بك إعجابا لا مثيل له ، وترى أن لك مستقبلا واعدا في الحزب الشيوعي العربي .. وقد تساعدك في الرحيل إلى موسكو للدراسات العليا على نفقة الحزب كبعثة .. ونحن نحب أهل العلم والفكر والطموح والذكاء .. والسيد نجيب قادر على تحقيق ذلك

أقوال شيوعية

قال فيلسوف الشيوعية انجلز: (إن كل القيم الأخلاقية هي في تحليلها الأخير من خلق الظروف الاقتصادية .. فالتاريخ الإنساني هو تاريخ حروب الطبقات التي امتص فيها البورجوازيون دماء الفقراء فهم يرون أن الدين وضع لحماية حقوق البورجوازيين.

لذلك قالوا فيما يسمى البيان الشيوعي : إن الدستور والأخلاق والدين كلها خدعة البورجوازية ، وهى تتستر وراءها من أجل مطامعها .

ويقول لينين في خطاب له ألقاه في المؤتمر الثالث لمنظمة الشباب الشيوعي في أكتوبر سنة ١٩٢٠ : إننا لا نؤمن بالإله ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب الكنيسة والإقطاعيين والبورجوازيين لا يخاطبوننا باسم الإله إلا استغلالا ومحافظة على مصالحهم ، إننا ننكر بشدة جميع هذه الأسس الأخلاقية التي صدرت عن طاقات وراء الطبيعة غير الإنسان والتي لا تتفق مع أفكارنا الطبقية ونؤكد أن كل هذا مكر وخداع ، وهو ستار على عقول الفلاحين والعمال لصالح الاستعمار والإقطاع ، ونعلن أن نظامنا لا يتبع إلا ثمرة النضال البروليتاري فمبدأ جميع نظمنا الأخلاقية هو الحفاظ على الجهود الطبقية البروليتارية.

وقال أحدهم : (لقد أثبت العلم أن الدين كان أقسى وأسوأ خدعة في التاريخ)

الحركة الشيوعية استغلت نظريات واكتشافات علمية لإنكار الدين ، وإن الدين خدعة تاريخية وهي تنظر إلى التاريخ في ضوء الاقتصاد ، وهى ترى أن العوامل التاريخية هي التي خلقت الدين استغلوا نظريات نيوتن قال (إذا كانت الحوادث تصدر عن قوانين طبيعية فلا ينبغي أن ننسبها إلى أسباب فوق الطبيعة).

واعتمدوا على أقوال وأبحاث لسيجموند فرويد في علم النفس ، واعتمدوا على التاريخ قال جوليان هكسلي: (فالدين نتيجة لتعامل خاص بين الإنسان وبيئته).

ويقول أيضا: إن هذه البيئة قد فات أوانها أو كاد ، وقد كانت هي المسئولة عن هذا التعامل ، فأما بعد فنائها وانتهاء التعامل معها فلا داعي للدين ، ويضيف: لقد انتهت العقيدة الإلهية

واستغلوا أقوال داروين في التطور والبقاء للأقوى واصل الأنواع .

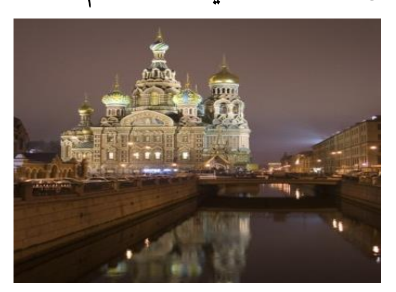
إن الفلسفة الشيوعية الملحدة اعتمدت على نظريات علمية ، بعضها ثبت ، وبعضها مجرد نظريات وتخمينات وأوهام ، وصنعوا قوة شيوعية وحركة عمالية ، ومع ذلك لم يقبل الشعب الأوروبي هذه الأفكار على مستوى الأمة ، ونجحت الثورة البلشفية في روسيا القيصرية لظروف لم يكن المد الشيوعي هو السبب الرئيسي ؛ إنما الظلم والاقتصاد والحرب العالمية الأولى ، فاشتركت عدد من الأحزاب لتقويض الإمبراطورية الروسية ، ثم انقض الشيوعيون على المتحالفين معهم ، وسفكوا دماء خصومهم ، وسيطر الحزب الشيوعي على مقدرات روسيا ، وأصبحت روسيا قبلة الشيوعيين واليساريين ، ولظهور الفاشية والنازية في ألمانيا وإيطاليا صمدت البلشفية ، ومع انتصار الحلفاء الرأسماليين والشيوعين الروس على الفاشية والنازية تضخمت الحركة الشيوعية على مستوى العالم ، وزادت الأحزاب الشيوعية في دول العالم لمقاومة الاستعمار والاستعباد ، ونتيجة للحرب الباردة أخذت الشيوعية بعدا سياسيا كبيرا ، وسيطرت على دول شرق أوروبا بواسطة الأحزاب الشيوعية ، وكان لها أحزاب شيوعية في دول العالم الأخرى تدعمها للوصول إلى السلطة والحكم ، وفي بعضها نجحت ، وفي الكثير أخفقت ، وبعضها مجرد أحزاب عميلة للاتحاد السوفيتي لا أكثر ، حتى أن أحزابا ظهرت تحمل الاشتراكية ولا تهتم بالدين ولا الإلحاد .. فنحن نرى أحزابا اشتراكية وعمالية في أوروبا الغربية ولكنها غير ملحدة علمانية

قال باسل لسمر وقد التقيا في مكتبة كلية الآداب: لقد خاض الشيوعيون الأوائل معارك شرسة لإنكار الدين ، وجعلوه سبب الحروب الدينية في أوروبا بين الكاثوليك والبروتستانت .. كان صراعهم ضد الكنسية قويا وحادا ، وحتى ثورة الروس والبلاشفة كانت ضد الكنيسة الأرثوذكسية ، لم تكن جرائمهم مع الإسلام وحده

قالت سمر : كل الأديان واحد ، فدين المسلمين لا يختلف عن دين النصارى اسمه دين ..

والناس تخضع له ، تقبل بالذل والخنوع ؛ لأن الحاكم يتكلم باسم الدين باسم الإله ، والكاهن

يتكلم باسم الدين .. ويسيطرون على الناس باسم الدين .. في الصين الوثنية يسيطرون على العامة باسم الدين.. فالشيوعية حررتهم من استعبادهم باسم كونفوشيوس وبوذا .. فالدين أوهام وخرافات وسحر .. أين هذا الإله الذي يرى الظلم والاستعباد ويصمت ويظل صامتا؟



استطاع باسل في فترة وجيزة وبصحبته لسمر أن يصبح عضوا فعالا ونشطا في الحركة الشيوعية في أبو خروف ، فكان يجد حفاوة في منزل الكلبي ، وجل حديثهم الإعجاب بموسكو وسياستها مع الشعوب المقهورة بزعمهم ، ويستغربون من الأصوات التي تنكر وقوف موسكو مع العرب في حرب ٧٣ ، وكيف خذلت موسكو العرب ؟ وهم حاربوا بأسلحتها وترسانتها وأن النفط الذي هدد باستخدامه العرب كان تهويشا وجعجعة دون تنفيذ ، مع أن النفط في الحرب استخدم كسلاح ضغط على الإدارة الأمريكية وإسرائيل لوقف الحرب حسب رغبة الأمم المتحدة ، ثم ينحرف النقاش للنيل من شرعة الإسلام ؛ لأنه دين وهو الحاكم ولو اسميا على البلدان العربية والإسلامية .. وكيف أقر الدين الإسلامي نظام الرق ؟ولم يحذفه من حياة الشعوب .. فالشيوعيون يعتبرون الرق فترة من مراحل التطور التاريخي والاجتماعي للبشرية ويعتبر الطبقة الثانية من الطبقات الشيوعية ، وكان بعد مرحلة الشيوعية الأولى ، وفي نظرهم القاصر أن الإسلام لم يلغ الرق ، فهو ضد الشيوعية والحرية وحقوق الإنسان ، مع أننا نسمع آهات الحرية الشيوعية في موسكو والقوقاز الرق نظام موجود كما يقول التاريخ قبل وجود دين الإسلام وظهوره دينا خاتما ، وسعى الإسلام بقوة إلى القضاء على العبودية والرق بأحكام شرعية من التشجيع على العتق والمكاتبة والكفارات ، ولم يخلق الإسلام هذا النظام ، هو نظام قديم موجود ظهر في عصور غابرة ، فجاء الإسلام وهو موجود كغيره من الأنظمة والتقاليد

والعادات والبدع ورويدا رويدا قضى الدين عليها أو قلل منها ، ولم يظهر في تاريخ الإسلام طبقة اسمها طبقة الرقيق والرق ، فباب العتق مفتوح بالكفارات بالشراء والعتق بالمكاتبة فقضية إثارة الشيوعية أن الإسلام لم يحارب هذا النظام ، فليست مهمة الإسلام أن يمنعه في بلاد لم تخضع لحكم الإسلام ، ونظام الرق نظام انتهى في مطلع القرن العشرين في أغلب البلدان ، وقبل المسلمون بكل أريحية إلغاء هذا النظام ولم يقفوا حجر عثرة في إلغائه ، وليست الشيوعية هي التي قضت عليه ، فهي اليوم تسترق كل شعوب أوروبا الشرقية فيما يسمى بالستار الحديدي ، وتسترقهم باسم الحرية والأحلاف .

قال نضال : هل علمت أن سمرا مريضة؟

قال باسل بنغمة حزينة : نعم ، إنها ترقد في مستشفى الجامعة

- أقابلت أباها؟

- أجل الموعد بسبب مرضها ، اتصلت بي رفيقة لها في الجامعة وأعلمتني بمرضها وتأجيل لقاء أبيها ، وذهبت معها لزيارتها وهي ترقد على سرير الشفاء .. وحتى الآن لم يشخص الأطباء أسباب المرض

- نتمنى لها الشفاء العاجل .. فسمر نجمة من نجوم هذا المنزل ، فهي تتردد علينا منذ كانت طفلة صغيرة ، كان والدها يصحبها معه إلى أغلب مجالسنا .. وكان خالها يأتي بها حتى شبت على حب الشيوعية والثورة ضد البرجوازية العربية

- ألها خال هنا؟!

- كان يتردد علينا من سنوات ، ثم سافر للخارج ، وللأسف استطاع أحد الرجعيين إعادته للرجعية الدينية

- عاد للإسلام ! كيف لم يقتنع بالفكر الشيوعي التحرري وسعيه لقيادة العالم الحر إلى الرفاهية والشيوعية العالمية ؟

- كان مقتنعا ، لأن شقيقته أم سمر شيوعية كبيرة وقديمة ، وتزوجا من خلال الحزب الشيوعي

كان الرجل مقتنعا بهذه الأفكار ويناضل عنها بقوة وعقلية كبيرة متفتحة ؛ لكن كما يحدث في كل الحركات التحررية تحدث ردة وخروج ، وهو منهم ، وكان جل اتباعنا مسلمين ، ثم تركوا إسلامهم وانضموا إلينا ، فنكص البعض .. ليس هنا فقط ، وهذا يحدث في كل العالم الشيوعي وربما يترك أحدهم الحزب بسبب خصومة شخصية ، والحزب أحيانا يطرد أعضاء منه لمواقف أحادية تصدر عنهم ، فكان السيد عيسى منهم ، فكان ضعيفا أمام أشقاء امرأته ، فهو تزوج امرأة غير شيوعية يا باسل.. إنها لم تكن تعرف هويته ، فلما عرفت أنه ملحد طلبت الطلاق؛ لأن الشيوخ لا يجيزون زواج المسلمة من الشيوعي ، ويعتبرون العلاقة بينهم علاقة زنا ، والأولاد أبناء زنا .. هو كلام لا يهم الشيوعي ، والرجل كان مغرما بها مفتونا بحسنها وأمام ضغطها وضغط أهلها هجر الحزب ، زعم أنه خاض مناقشات مع بعض أفراد الفكر الرجعي ، واقتنع بكلامهم وبراهينهم ، وأن لهذا الكون ربا ، ولابد له من إله ، لابد من الله ، وأننا ندلس على الناس بزعمنا أن العلم التجريبي ينفي وجود الله .. المهم أنه هجرنا وتخلى عن الحزب من أجل امرأة .. فلذلك يا رفيق باسل عندما ترتبط بأنثى ارتباط زواج أحسن الاختيار .. تزوج من الرفيقات مع أننا صد مؤسسة الزواج القانونية ؛ ولكننا لأننا نحيا في بلد يحكمها الإسلام نضطر للاستسلام لقانونهم ؛ لأن نؤسس عائلات على حسب قانون ودين البلد ..ونتزوج على طريقة المسلمين إن كنا ذوي أصول إسلامية ، ومن أصله مسيحي يتزوج على نظام كنيسته والمؤسسات النصرانية .. ولو نكحت الآنسة سمر فخير لك

– لكنها غير عذراء كما حدثت وضحك

وتضاحك نضال وبعض السامعين وقال : وهل في هؤلاء الرفيقات عذراء ؟ .. هذه عقدة الشرقيين .. فالبكارة عقدة شرقية .. ألا يتزوج المسلمون المطلقة والأرملة ؟ أفهؤلاء عذارى ؟! بين البكر والمرأة المتزوجة ليلة أو ساعة زواج .. فأنت في قانوننا تستطيع النوم مع أي واحدة دون ارتباط مقدس .. لكن الزواج يحصل من أجل ولادة أسرة شيوعية أو خلية جديدة .. والأبوة والأمومة فهذه حاجة للناس أوجدتها الطبيعة فينا للنوع والتكاثر

- عندما أفكر في الزواج سيكون هذا في ذهني .. وسمر إنسانة رائعة .. ولديها روح شيوعية قوية .. وأتمنى لها الشفاء والعودة لمجالسنا هذه



ذهب باسل مساء إلى عيادة الأسنان القريبة من المسجد التي يملكها الدكتور مصطفى وهو طبيب معروف لباسل ، وباسل معروف للطبيب ، فهو يتعالج عنده منذ طفولته ، رحب الطبيب بالمريض ، وفحصه فحص اللثة والسن المضروبة ووصف الدواء وقال: كان والدك عبد المعز هنا قبل أيام وكان يشكوك لي

ابتسم باسل وهو يترك كرسي العلاج ، وينتقل لكرسي الجلوس قائلا: أبي يشكوني لك أليس هذا غريبا يا دكتور؟!

- كلام بمعنى الإخبار ، ليس كشكوى بمعنى الشكوى ، يقول : إنك تتردد على منزل الفاسق الملحد نضال الكلبي

تنهد باسل وقال: آ ، وماذا يقول الوالد العزيز؟!

- يقول : إنك قد تصير مثله ، وتنكر وجود الله الخالق مثل هؤلاء

الشيوعيين الملاحدة مع أن هؤلاء الملاحدة لما يموتون يأتون بهم إلى الجامع للصلاة عليهم صلاة الموت المعروفة .. أي صلاة ستنفعهم وهم كفرة .. فما صحة الأخبار هذه عنك؟!

قال باسل مبررا : أحب أن أعرف الشيوعية من رأس النبع يا دكتور . وقص مختصرا قصته مع سمر ونضال واتباعه

قال الطبيب محذرا : اللعب بالنار يؤذي يا باسل .. أنت محترم ، وأهلك ناس محترمون مثلك وأولئك ناس شواذ منحرفون يسعون وراء النساء والشهوات والإباحية باسم الفكر والنضال وتحرير الأمة .. فهم ثوريون بالاسم ، إنهم عملاء خونة للاتحاد السوفيتي باسم الشيوعية العالمية

الانتهاء للكفار فيه خطر كبير ..أنا لا أدري كيف يقتنع عامل بكلامهم ؟! لقد خبرتهم أثناء دراسة الطب .. إنهم من أحسد الناس ، ويحملون هذه الأفكار والشعارات لمحاربة الدين باسم الشيوعية .. الاتحاد السوفيتي الذي حارب الملكية الفردية عاد يسمح بالملكية الفردية ؛ ولكن على استحياء لبعض الأفراد .. الدولة كل شيء غير صحيح .. أقول لك نضال هذا امرأته تركته منذ سنوات .. لما كبر ابنها ماهر وتخرج مهندسا وتحمل مسؤولية العائلة هجروه

قال شبه مصدوم : ولكن ابنته معهم ، عرفتها في المنزل

صاح الطبيب غضبا : فاجرة ! سقطت في الرذيلة فزعمت أنها شيوعية ، وعادت لأبيها .. أنا سأرتب لك لقاء خاصا مع ابن السيد نضال ؛ لتسمع منه قبل أن تتورط .. فهو ما زال صديقا لي ونتواصل .. هؤلاء النساء يجتمعن عنده للفجور والترفيه عن الذكور .. فأغلبهم مطلق أعزب مثلك .. يتجمعون للدعارة باسم ماركس ، لا للثورة ، ولا للحرية .. كلما تحدث انتخابات يفشلون ، وإذا نجحوا ينجحون بمقعد أو اثنين .. وماذا سيفعلان في التغيير ؟! الثورة الشعبية أين شعبيتهم ؟ هم أدوات إياك أن تتورط

قال باسل مدافعا عن عفته : لحتى اليوم لم أقرب أنثى منهنّ ؛ لأنني التحقت بهم للتعرف على هذا الفكر ، والحذر من الاتصال ربما أيضاً خشية الأمراض التي نسمع عنها

– هم يزعمون أنهم يعطون المرأة الحرية ، والمرأة نصف الإنتاج ، وشريك الرجل في المصنع والمزرعة .. كله كلام فارغ .. لم نسمع أن امرأة تبوأت مركزا كبيرا في الحزب الشيوعي الروسي لكن يظهرن في الإعلام جاسوسات ولإغراء رجال الحزب والتجسس عليهم لأمن الرئيس والزعيم الأوحد .. عليك أن تقابل ابن نضال ؛ لتعرف حقيقة الرجل .. وماذا كان يفعل بأمه أم ماهر ؟ لأنها لم تقتنع بأفكاره وشيطانه ، بل كانت تصلي وتصوم رغم أنفه ..ومارس البغاء في بيتها باسم الشيوعية والثورية والشعبية ..وقال متهكما : أنا معجب بك يا رفيق هيا .. ألم تلاحظ مثل هذه الهمسات ببيته ؟

– لم أتورط بعد ..كما قلت لك في بداية الكلام أرغب بالتعرف عليهم عن قرب دون واسطة

فالحركة الشيوعية صوتها عال في بلاد العرب والمسلمين ، وقد خضت نقاشات مع بعض شباب الكلية والجامعة بشكل عام ، وقرأت ما يسمونه بالبيان الشيوعي الأول .. وقرأت الإسلام يتحدى للهندي ظفر الله خان .. أنا لم أعترف بأني شيوعي أصيل رغم الجهد الذي يبذلونه معي ..ويريدون تسفيري إلى أوروبا للدراسات العليا على حساب الحزب

ـ يريدون إرسالك للضياع والهلاك .. هل سمعت بشخص اسمه نجيب موسى ؟

– أجل

– هذا كما يقولون عنه ولد شيوعيا ، وعاش في أحضان اليسارية منذ تركه قريته الصغيرة وانضم لخلية شيوعية قديما ، وفعل لهم الكثير الكثير ، وكاد يذهب إلى الجحيم بحادث اغتيال في بيروت منهم .. أصبح عبئا عليهم .. يذكرون أمجاده فقط .. لا يزورنه هو قال لي ذلك .. يتحدثون عن أمجاده وبطولاته ومقابلاته لزعماء الكرملين .. وهم يهملونه كأنه نفايات حتى صحف الحزب في السنة تقبل نشر مقال له ذرا للرماد .. صحف الخصوم هي التي تنشر له .. السبب لقد انتهى دوره

– هل تعلم أنه والد الفتاة التي تحب أن أتعرف عليه وألتقي به ؟

– احترس يا ولدي فأبوك رجل طيب .. أحذرهم يا باسل

ابن نضال

كان الدكتور مصطفى جادا في إنقاذ باسل عبد المعز من الوقوع في براثن الشيوعية ، ويخشى أن تتحول التجربة إلى خضوع كامل لها ؛ ولأنه صديق العائلة أخذ الأمر جديا ، فرتب للقاء سريع بين ابن نضال الكلبي وباسل ، وكان اللقاء في مقهى وسط المدينة ، وتفاجأ باسل عند رؤيته لابن نضال الشاب المهندس ملتحيا وشيخا حقيقي المظهر ، وجرى التعارف سريعا قال مصطفى: هذا هو ابن نضال الكلبي المهندس ماهر .. فهذا الشاب ولد في بيت تصفه بأنه شيوعي ، ورأى المشاكل القائمة بين والديه ، لتمسك أمه بالصلاة والدين ..ولما تخرج من الجامعة طلبت أمه الطلاق من أبيه برغبة من هذا الشاب ؛ لأنه بين لها عدم جواز الحياة مع ملحد شرعا ، ولا تجوز معاشرته لها ، فهو إنسان يوصف بالكفر ولو عقد عليها في المحكمة الشرعية ووافق الأب على الطلاق على الفور ، وذلك منذ أكثر من عشر سنين حسب معلوماتي يا مهندس

أكمل المهندس قصته : نعم ، لما أنهيت الجامعة كان يجب عليّ أن أتحمل المسؤولية ، وأنقذ نفسي وأمي مما نحن فيه من جحيم الدنيا .. فشقيقي الأكبر مات صغيرا ، وكنت أنا وأمي وأخي الأصغر وأختا شقيقة لنا فرحلنا جميعا ، وسكنّا في حي المدينة .. فأنا يا أخ باسل عرفت الشيوعية ورضعتها من أبي .. كنت أعجب لعدم اقتناع أمي من أفكار أبي وشيوعيته .. وهو تركها ولم يطلقها ؛ لأنها ابنة عمه ..وأمي سلبية وترى الشيوعية كحزب من الأحزاب التي يتردد اسمها في البلاد العربية الحزب القومي والوطني والوسطي الاشتراكي العمالي السلطاني ، فلما أخذت أعلمها بكفر الشيوعيين ، وأنهم من أصحاب الجحيم إذا ماتوا على ذلك المعتقد ، أخذت تفكر بعمق وزالت السطحية ، وأخذت تراجع موقفها من الشيوعية ، ثم حسمت الأمر ، وقلت لها : إن الكافر لا يحل كزوج للمرأة المسلمة التي تشهد بالله ربا وإلها وبمحمد رسول الله.. وهو يحارب الإسلام بغير هوادة ، وينكر وجود الله والدين الإسلامي ، فحصل الطلاق ورحلنا إلى حي ضمن منطقة المدينة ، وأخي تعلم وسافر ولليوم لم يعد للبلاد ولو زيارة .. وكما يعلم

الدكتور لي أخت شقيقة فشلت في الثانوية العامة ، وكانت متأثرة بوالدها وشيوعيته .. وقالت للآسف : إن المرأة حرة في فرجها ، تهبه لمن تشاء .. ورجعت بعد انحرافها الجنسي للحياة مع أبيها .. وبما أنك تتردد على بيت الوالد لابد أنك رأيتها والتقيت بها

– نعم ، أعرفها إنها روضة ، وهي هزيلة .. هل هي مريضة؟

قال المهندس بشفقة وأسف : اعتقد ذلك ، فهي منذ غادرتنا لوكر أبيها لا تتصل بنا ، ولا حتى بأمها .. فأنا أنصحك ولمحبة الدكتور لك سارعت للقاء بك .. والمزاح قد يتحول إلى جد وطمأنني الدكتور أنك لم تنغمس في شهواتهم .. دعك من أوهام الشيوعية العالمية والمراكز التي ستتبوأها .. وهم لليوم لم يتبوأوا أي منصب.. وسيحررون الشعوب العربية من الاستعمار .. لم نعد نرى في بلادنا استعمارا ، وحتى اليمن الجنوبي يعيش في تعاسة وفقر .. هم طلاب حكم وسلطة .. فالشيوعية فكر مريض مادي ، سببه العداء للكنيسة والدين والإقطاع ، وهذ لا يوجد في بلاد المسلمين .. الحكام في واد والشعب في واد .. العربي يعشق الحرية من أيام القبلية .. أين الإقطاع الإسلامي ؟ فالشيخ لا يتدخل في توبة المسلم ومعصيته وفي تربيته ؛ إنما هو واعظ مذكر مرشد .. والاقتصاد ناتج عن تجارب الشعوب .. والاقتصاد الشيوعي يلغي الملكية الفردية ، وأن الاقتصاد ملك الدولة .. ومع التجربة وجدوا أن هذا يضعف الإنتاج ، ليس كما زعمت نظريات ماركس وإنجلز .. لذلك الصين خلطت بين الاقتصادين وحتى الاتحاد السوفيتي تراجع في بعض الاقتصاديات والإنتاج .. فالإنسان عندما يتوفر له الحذاء واللباس لماذا يعمل لماذا ينتج؟ وليس للعامل حرية اختيار العمل المناسب له .. الحزب يوجهه للعمل الذي يريده وقد لا يلائم قدراته البدنية والعقلية .. المهم أن يعمل مهما كانت طبيعة العمل.. إنما هو أداة مثل سائر أدوات الإنتاج .. الاقتصاد الماركسي اقتصاد فاشل وأفضلها الاقتصاد الإسلامي الذي يجمع بين النوعين الفردي والجماعي

قال باسل: لم أسمع عنك شيئا في بيت الوالد ، خاصة أنك متدين ، لم يقل أحدهم أن للسيد نضال ولدا متدينا ، أو أن أمك مطلقة بسبب الاعتقاد

- بالتأكيد لن يقولوا الحقيقة ، لابد من الغيبوبة لنا .. فكيف أقرب الناس للرجل يرفضون ماديته وشيوعيته ؟ ألم يكن فرعون يزعم أنه رب المصريين ؟ولكن امرأته كانت كافرة به وتؤمن بموسى .. فعليك يا باسل أن تهتم بجامعتك .. ولا تحلم ببلغاريا ورومانيا .. فهنا جمعيات إذا كنت بحاجة مالية تساعد في التعليم العالي ، والقروض بدون فوائد ربوية .. اخسر كل شيء إلا الدين .. سعى أبي لعمل محاضرات حول الشيوعية في مقهى مهران عندكم في أبو خروف فطرده مهران ، وقال له ولأتباعه: بجوارنا جامع ، ونفتح المقهى للإلحاد .. عيب يا ناس

سمر نجيب

قضت سمر نجيب أسبوعين في المستشفى ، ولما خرجت كانت منهكة للغاية ، وكان جل حديثها عن الموت واليأس من الحياة ، مما دفع باسل أن شجعها للذهاب للعلاج النفسي، وقال كنت أرافقها يوميا لعيادة الطب النفسي في المستشفى التابع لكلية الطب في جامعتنا ، ثم تركتها بعد حين الذهاب وحدها ، وأنا ما زلت أتردد على منزل نضال رغم نصيحة ابنه ماهر والدكتور مصطفى .. وكانت لقاءاتنا عند السيد الكلبي كالعادة التعليق على خبر صحفي مثير عن نشاط الشيوعيين في البلد وخارج البلد عن سمر وآخر أخبارها ، فهي منذ مرضت لم تأت المنزل ، ونتساءل عن مرض سمر والغموض المحيط به ، وكيف ألم بها فجأة ؟ والذي أصابها بعدة نوبات إغماء ، فقيل سحايا ، مرض دماغي ، وقيل نقص تروية في الدماغ أي نقص في الأكسجين مما يؤدي لفقدان الوعي، ولم يعرف أسبابه رغم استمرار المراقبة لأسبوعين ، وستبقى تتردد على عيادة الأعصاب والدماغ حتى يعرفون الأسباب .. وهي أنكرت كليا تعرضها لضربة قوية على دماغها..فلماذا يتكرر الإغماء؟ فهل المرض في الدم ؟ في الأعصاب ؟ في الهرمونات؟ الأطباء يبحثون عن الجواب .. حتى أن بعضهم قال : يجب أن تتعالج في أوروبا الشرقية أو موسكو ، فطبهم متقدم عن طب بلادنا .. وكان الموعد مع أسرتها ما زال قائما حين تسترد عافيتها ، وكان هذا الموعد يأخذ من حوارنا بعض الوقت ، وكان الرفاق يطلبون مني دعوتها لجلساتنا التعليمية على مبادئ الحزب ، وطرق تحقيق النصر على الظلامية والرجعيين .. فحديثنا سياسة سياسة أخبار بريجنيف إساءات خروتشوف لستالين.. وكنت أنقل لها رغبتهم برؤيتها ووجودها معهم ، فتقول: لديّ لهفة للجلوس معكم ؛ ولكني مشتتة الذهن ، وحالات فقدان الوعي الملازمة ؛ لذلك لا رغبة لي بسماع شيء عن الحزب والحركة الشيوعية ..إني افكر بالموت ..وهل هناك حقاً شيء اسمه البعث ؟! كما يخبر المسلمون .

فأرد عليها بنوع من التهكم: هكذا يزعم المسلمون وكتب الدين .. قد درسنا أن بعد الموت بعث وحساب وسؤال في القبر وجنة ونار

- أكنت تؤمن بهذا قبل أن تعرف الفلسفة الماركسية المنكرة لكل الغيبيات والروح ؟
قال بعد تأمل : ليس من السهل يا سمر تجاهل ما نشأت عليه وتربيت عليه .. حتى في جلساتنا عند الكلبي أسمعهم كثيرا يحلفون بالله .. ويسبون الرب رغم أننا نعتقد بعدم وجوده فماذا نسب ليس من السهل التخلص مما تعودنا عليه .. حتى أنت رغم أنك ولدت في بيت يحتضن الشيوعية منذ الصغر الأب والأم فتلفظين لفظ الجلالة

- وكما نرد على بعض الناس السلام عليكم ورحمة الله .. هذا بحكم العادة والمجتمع .. ليس لأنها تحية الإسلام يا سيدي .. لو كان الله موجودا .. الله إله المسلمون لماذا يعاقب الناس وهو خالقهم؟!

- حسب معلوماتي القديمة إن الله لا يظلم أحدا مثقال ذرة .. والناس ملكه فمن شاء عذبه ومن شاء رحمه هذا أولا، وثانيا المطيع يجزى على إحسانه والمسيء يعاقب على إساءته وظلمه .. فالمدرس لماذا يعاقب بعض الطلاب ؟ هل يترك المجرمون والظلام بدون عقاب ؟! لماذا وضعت القوانين والأنظمة ؟ لو لم يكن هناك عقاب ، فسائق السيارة يمشي بعكس السير ولا يبالي بالآخرين ، وتعم الفوضى .. وأنا كما تعلمين وذكرت لك قديما ثقافتي الدينية محدودة ؛ إنما من السماع وجئت كلية الآداب لأكون مدرسا للغة الإنجليزية

- صدق أن إجاباتك جيدة ومقنعة .. المقصر والمؤذي والظالم يحتاج إلى جزاء.. اللص لو ترك بدون عقاب لاستمر في اللصوصية ، وكذلك القاتل ، والمجرمون يعاقبون في النظام الشيوعي ويعدمون .. أنا عندما أرى فتيات وشبانا معنا في كلية الآداب يصومون عن الأكل والشرب بزعم التقرب إلى معبودهم أتعجب من تعذيبهم لأنفسهم .. أيوجد دين يمنع الناس عن الأكل والطعام ؟! ماذا يستفيد الإله من تجويعهم لأبدانهم ؟! يقللون من الوجبة خلال النهار .. أنت تصوم يا باسل؟

- نعم ، تربيت على ذلك ولحد الآن أصوم عندما يحضر شهر الصيام لا أحد يفطر في البيت حتى الصغار يفعلون هذا .. إنما تركت الصلاة لما التحقت بالجامعة أترك صلاة وأصلي الأخرى

رويدا رويدا تركت كل الصلوات

عقبت على فعل ذلك قائلة : البيئة المحافظة .. لم تفعل ذلك عن عقل وتفكير .. أمقتنع بعدما عرفت المادية الشيوعية أن للكون ربا؟ وأن الطبيعة هكذا وجدت خلقت نفسها بنفسها

تمهل في الإجابة ثم قال : أصدقك القول أنا ما زلت مقتنعا من وجود إله لهذا الكون .. لم أحسم أمر إنكاره .. لا تنسي يا صديقتي أنني حديث عهد بالشيوعية .. لو بعدت الشيوعية عن الإله ربما وجدت قبولا أكثر عند الناس ، مثل العلمانية ما لقيصر لقيصر وما لله لله .. رغم الدروس في الفلسفة والفكر اليساري المادي أنا محتاج لزمن حتى أنسى هذا الإله

قالت فجاءة دون مواربة: أفضل لك أن لا تنساه يا باسل .. نعم ، لا تنساه .. أنا لما مرضت وبقيت في المستشفى فترة طويلة ، ورأيت الأطباء والممرضات واهتمامهم بشفاء المريض ودعائهم له بالشفاء .. قلت لابد من دعاء شيء من دعاء قوة قادرة ؛ لعله الله .

بعد الحوار الأخير بين الطالبين باسل وسمر الذي ذكرناه في الصفحة السابقة اتفقا على اللقاء في منزل نضال ليلة الجمعة ؛ لأن القوم لديهم رغبة عارمة برؤية سمر بعد هذا الانقطاع بسبب المرض ، فقبلت سمر هذه الزيارة ، في التاسعة ليلا التقيا على دوار أبو خروف حيث استقبلها باسل ومشيا إلى شقة نضال في الطابق الثاني من عمارة مكونة من ثلاثة طوابق يملكها السيد نضال

استقبل القوم الفتاة بالهتاف والترحيب العالي ، وبعضهم بالعناق والقبلات حتى ابنة الكلبي روضة التي كانت تستقبل سمرا ببرود واضح احتضنتها وقالت: آه ، تعودنا على سماع كلامك وتعليقاتك .. سلامتك أيتها الرفيقة الغالية .. هذا المرض بين كم نحبك بيننا ! كيف أنت اليوم؟!

ردت سمر وقد بدا عليها الإعياء : أشكركم جميعا، كان رفيقي باسل ينقل لي شوقكم لي وحبكم لي .. ما زال هذا المرض غامضا أصاب بغيبوبة وفقد الوعي لدقائق ثم أعود للحياة الأطباء يخبرون أن المرض سيزول مع الوقت .. وأبي يفكر بتسفيري للاتحاد السوفيتي

للعلاج إذا لم يخرج أطباء البلد بشيء

تمنوا لها الشفاء، وشكروها على ضمها باسلا لمجموعتهم ، وعادت سمر تتحدث مع ابنة السيد نضال التي لاحظت أنها مريضة فوق العادة ، فهي دائماً متوترة وقلقة ؛ ولكنها بدت لسمر متعبة أكثر من اللازم ، وظهر هذا من ترحيبها بها على غير المعتاد منها ، فهي تعلم المشاكل البيتية التي عانت منها بسبب طلاق والديها ، فلما بدأ الحديث قالت سمر لها : أتحبين أن أتحدث معك على انفراد ؟!

جاء الجواب من نضال : أفضل ذلك يا رفيق سمر ، فلها عدة أيام في وضع غير طبيعي .. اذهبا وتحدثا معا

أمسكت سمر بيدها وساقتها إلى مكتب نضال ، ولما جلستا قالت سمر : أحسست أنك غير طبيعية الليلة

أجهشت الفتاة بالبكاء على أثر سماع الكلام ، فأخذت سمر تخفف عنها ، ومن توترها الغامض بالنسبة لها ، وأخذت تردد كلمات المواساة ، وقالت الفتاة بعدما خف تساقط الدموع : أنت ذكية يا سمر .. أحس أنني تعبت من هذه الحياة

- تعبت ! ماذا تقصدين يا روضة؟!

قالت بتشكك : هل الشيوعية التي نعتنقها تحقق السعادة للمرء ؟

- لم افهم ؟!

قالت بحدة : إنني بدأت اكفر بشيوعيتي

- لم افهم ؟!

قالت : لا نسمع إلا الكلام ..وغدا سيتحول الشعب إلى مناضل من أجل الوصول للمرحلة الشيوعية التي ستسود العالم .. نسمع كلاما ، ونمارس الجنس كالحيوانات .. هل هذه هي الشيوعية؟! الزواج رجعي .. الزواج يعني بقاء المرأة في البيت ، حتى هؤلاء الرجال ملوا منا بعد أن ضحينا بأجسادنا من أجل الشيوعية .. أصبحوا يبحثون عن فتيات جدد وأخريات

حتى لما رأى أبي ملل الرجال من جسدي يريد أن يعوضني بنفسه .. تحرش بي من فترة .. أنا تعبت من الكلام .. ولم تحدث السعادة المنشودة

قالت سمر حالمة : لقد جاهد الأوائل وناضلوا وعذبوا وسجنوا وماتوا قبل أن يصلوا للدولة الشيوعية في الصين وكوبا وروسيا الشيوعية.. وهذه الأمور يجب أن تمر على حياتك مرور الكرام ، لا ترغبين بمعاشرة أحد كفي عن ذلك ..لا أحد يجبرك على مضاجعة الرجال .. الشيوعية ليست جنسا وزواجا .. الشيوعية سيطرة على الإنتاج والموارد يا روضة حتى المتزوجين يملون من أجساد بعضهم بعضا .. لماذا خلقت الأسفار والرحلات ؟ أنا حزين من أجلك هل يمكنني مساعدتك بشيء ؟!

بعد سكوت قالت : بماذا ستساعدينني ؟! ولم يبق شاب ورجل منا إلا نال من جسدي شهوته جنس آمن .. احذري الحمل .. قلت لأبي : دع أحدهم يتخذني زوجة رسمية قانونية . فقال : ستطلقين بعد أيام .. فأنت اليوم زوجة الجميع.. ألا يحق لي أن أكون أما ؟! أنا أحس بتعب شديد وضياع شديد ، لم يعد للحياة عندي طعم وأي قيمة؟! سمعت أخي يقول : دعِك من شيوعية أبيك .. هؤلاء طلاب فاحشة .. أهؤلاء سيقودون الناس إلى الحرية ؟ ونحن نسمع أنأت الشعوب المسلمة في الصين والاتحاد السوفيتي.. ثورة قامت على إهلاك ثلاثين مليون مسلم .. أدرك اليوم يا سمر الشر الذي اخترته .. أقول اليوم ليتني بقيت في حضن أمي وأخي

أدركت سمر حجم اليأس في قلب روضة ، فقالت : أخوك المهندس ما أخباره ؟

– لست أدري ، لا اتصال بيننا منذ التحقت بكم وبأفكاركم وجئت للعيش معكم ، رغم ما قرأت وسمعت وحفظت لا أرى نفسي بين هؤلاء إلا دمية وغانية حتى أنهم يقرفون من معاشرتي ، ويتهربون منها ، صرت عبئا على المجموعة ، لا سهرة لا سينما لا مسرح ، لم يعد أحد يدعوني لذلك أو لعشاء .. لقد استنفدت طاقتي .. ملوا مني ، أصبحت باسم الشيوعية كفتيات دور الدعارة بضع سنوات ، ثم تلفظ إلى الشارع ، وتعود لقريتها ، ويؤتى بأخريات أهذه شيوعية ماركس وإنجلز والبروليتريا ؟! أهكذا نساء روسيا اليوم؟! وفتيات الأحزاب

الشيوعية ؟ فقالت: أترغبين بالزواج والأسرة والأمومة؟!

- أبي لا يرى ذلك مناسبا لي .. يجب أن أبقى حرة ملك للجميع .. وإذا قلت غير ذلك اعتبرها ردة ورجعية ، أهذا أب ؟! هذا قواد يا سمر .. لماذا الدعارة يا سمر ؟! بهذا سنقيم الثورة الشيوعية العالمية؟!

بعد منتصف الليل غادرت سمر وباسل منزل الشيوعي العربي نضال الكلبي ، ورافقها باسل إلى الشارع العام لتركب سيارة أجرة ـ تكسي أصفر ـ لينقلها إلى بيت والديها ، وقبل أن يفترقا ويوقف لها سيارة قال بفضول : طال مقامك مع ابنة نضال.

صمتت لحظات كأنها تفكر بالجواب أم لا ، ثم قالت: إنها تعيش في حالة يأس وإحباط وصلت إلى مرحلة الكفر بالشيوعية والنضال الشعبي أتصدق أن والدها يتحرش بها جنسيا؟!

- معقول!

- نعم معقول ، نضال معروف بشهوانيته بين أعضاء الحزب الكبار ، ولا أتخيل فتاة ممن جئن هنا لم ينل منها شيئا .. لقد حاول معي في أول أيام التعارف به وترددي عليه ؛ لكني رفضته ، وأخبرته أني أحمل فكرا لا أحمل جسدا .. فترك ذلك للأيام ؛ لذلك أكاد أصدق كلامها ، والسبب في نظري أن الشباب هجروها ، وهي تعلقت بالشيوعية وغيرها كثير من أجل الجنس وليس من أجل الفكر .. فالجنس قضية ثانوية .. فكان والدها ـ وحتى أنها قبل أن تنفصل أمها عن أبيها ـ لا يلومها على ذلك بحجة الحرية الجنسية للرفيقات ؛ فكان الجنس عندها أهم من الفكر ، لا أحد يحاسب ولا أحد يلوم .. المهم رضا الطرفين .. ولما تخرج المهندس ماهر خرج بهم من بيت نضال ، ولما علم بفعلها ما يسمونه الزنا هربت إلى أبيها ولما لم تجد الزوج الثوري عادت لمضاجعة الرفاق ، فهي لم يهمها الفكر الشيوعي كما يهمنا نحن ، ومنذ سنة أو أكثر أخذ الشباب يهربون عنها ويهجرونها ، كعادة البشر تحب التغيير وتظهر حسناوات جدد ، وخشية انتقال أمراض الجنس ، فأصبحت دون عشيق أو عشيق يهرب منها سريعا .. أنا ألاحظ هذه الأشياء واسمع بعضهم يتحدث بها ..كان على نضال أن يزوجها من أحدهم ـ أي زواج ـ قبل

الوصول لهذه المرحلة ؛ لذلك على الفتاة ألا تسلم نفسها للرجال بسهولة ولكل طارق والدها الآن يدرك الحالة التي وصلت إليها من الإحباط ، فلم تقبل أن تسلمه نفسها مع أن الشيوعيين لا ينظرون لنكاح المحارم كنظرة المسلمين إليه .. فهم في قضية الجماع مثل الحيوانات أو بعضها فعلا .. فترى مجموعة لبؤات يخضعن لذكرين على الأقل ، والقرود الأقوى يسيطر على المجموعة .. فكان حديثي معها في تحسين نظرتها للحياة ، وأن الجنس ليس كل شيء ، وأن تهتم بالنضال والفكر فسترتاح من التفكير بالجنس ، وأن هذه مهمتها الأولى في الحركة الشيوعية .. وأنا في النهاية أدركت أن حالتها النفسية سيئة وتفكر بالموت كما فكرت فيه أثناء مرضي الغامض كما تذكر يا رفيقي كلما سهل على الإنسان الحصول على الشيء يسهل عليه فراقه كانت سهلة الاستسلام للأسف أنا جئت إليهم بشكل دائم منذ دخلت الجامعة أثناء الثانوية مرات متباعدة أتيتهم وسمعت منهم الكثير فأصبحت لا شيء عند الشباب .. وشبابنا لا يتزوجون في سن مبكرة ، خاصة من اعتنق الشيوعية مبكرا

أشار باسل لسيارة أجرة ، فركبت الفتاة في المقعد الخلفي شاكرة لباسل وملوحة بيدها ، ووعدها بلقاء قريب ، ومشى لبيته وهو يقول : هذه الشيوعية التي يدعونني إليها ، منذ عرفت مجلس والدها وأنا أراها قليلة الكلام كئيبة ، ولاحظت دفعه لبعض الشباب إليها دفعا يا لها من حرية إباحية ! بنات الغرب يفعلن ذلك بدون ماركسية وشيوعية .. ماذا يفرق هذا عن [البوي فرند] ؟ صديق لشهر لسنة شريك الفراش .. أليست المجوسية المزدكية تبيح المحارم والأمهات ؟ وسمعت أن القرامطة وجد ذلك لديهم .. يا الله! أيصل الانحطاط بالإنسان إلى هذا الحد ؟! التحرش بابنته أم أنها كاذبة ؛ لكنّ سمرا تصدقها ، لابد أنها تعلم أشياء أخرى عن نضال ، عندما تكون المبادئ أرضية ليست من عند الله يصل الانحطاط بالإنسان إلى هذا الحد .. ألا نسمع عن الاحتفالات الإباحية التي تجري في بعض البلدان في مواسم الربيع وغيره في الهند في أفريقيا في اللاتينية ؟ .. الدين هو الحياة.. الدين هو النظافة لماذا نضحك على بعضنا البعض؟!

استيقظ سكان عمارة الكلبي على حريق هائل أصاب شقة الكلبي نفسه قبل صلاة الفجر بساعتين ، وهرع الناس وسكان الشارع لإطفاء النار قبل الوصول إلى الشقق الأخرى وحضرت المطافئ والإسعاف السريع والشرطة بعد زمن من الحريق ، وتم إخماده وأخرج الموتى والجثث المحروقة والمصابة إلى سيارات الإسعاف والمستشفيات ، وقام التحقيق الشرطي بالتحقيق باحثا عن الأسباب للحادث ، وتبين لهم تعمد الحادث ، وأن ابنة الكلبي حرقت نفسها بمادة الكيروسين الكاز ، ثم انتقل الحريق إلى باقي الشقة ..ولما لسعتها النار مشت إلى غرفة أخرى ، وأصابت النار الستائر والسجاد ، فقتل معها فتيات، وأما السيد نضال اختنق بسبب الدخان ، ونجا من الحادث .. وأصاب الشقة ضررا كبيرا ، هذه المعلومات التي أخبرت بها الشرطة الرأي العام ، ولما سمع باسل الذي استيقظ مع الظهر بهذا الحادث ، فلم يتفاجأ كثيرا فكانت ليلة أمس توحي بمأساة قادمة ، وكان عجبه للطريقة التي اتخذتها الفتاة للانتهاء من حياتها وبؤسها أرادت قتل الجميع الأب والنائمين في الشقة ، اتصل بسمر ونقل الخبر بدون تمهيد وسمع بكائها وقالت باكية : كانت بائسة يائسة!! وحاقدة وناقمة يا باسل .. نضال بقي حيا

- الحادث بعد مغادرتنا بساعة ونصف ، والسيد وضعه حرج ، لقد ابتلع الكثير من الدخان

قالت بحزن : كانت محطمة ليلة أمس ، بذلت جهدي ، وأنا قلت لك حالتها كانت صعبة توحي بشيء ، حاولت صرفها عن الموت ، لم أدرك أنها ستفعل ذلك بمثل هذه السرعة .. وبهذه الطريقة الحرق .. قد تنشر الصحافة صباح الغد تفاصيل الحادث .. فاليوم لم ينشر شيء.. الجريدة لديّ .

- صحف السبت ستفعل ذلك؛ لأن الحادث حدث قبل الفجر ، وتطبع الجرائد بعد منتصف الليل ، وتوزع مع الفجر قالت: سأراك اليوم ، إني بحاجة للجلوس معك

التبرير

نجا نضال الكلبي من الحادث الرهيب ، وعرض العمارة للبيع ، وغادر أبو خروف ، ربما للأبد وربما لحين من الدهر ؛ لذلك كان يقول لسمر وباسل وهو يغادر المكان : كنت أتوقع إقدامها على قتل نفسها ، لست غبيا ، كانت منهارة نفسيا ، تحتاج لصديق جديد ، قل لعشيق جديد ، هي جاءت إليّ بعد طلاق أمها ، ليس على اقتناع بالفكر الذي نحمله ، وقعت في الخطيئة ، فاتخذت الشيوعية تغطية لخطئها ، وأبوها رجل معروف لها منذ كانت طفلة أنه يعاشر النساء دون رابط مقدس .. وأنتم تعلمون كيف ننظر لقضية العلاقات الجنسية ؟ هي مسألة مثل الأكل والشرب ، تأكل ما تشاء ، تشرب ما تشاء ، هم يسمون الخمر حراما ، عندنا لا حرام إلا ما حرمه الحزب ، قبلتها وعاشت معي ، فما كان لي أن أمنعها من عمل علاقات حميمية مع الشبان والرجال الذين يرتادون بيتي .. هل أحرم عليها وعليهم ما يباح لنفسي ؟! وجاء السيد باسل قبل عدة شهور ، ولم توفق معه بصداقة جديدة ، وأنت لم تكن تكترث بالنساء حتى من سمر ؛ إنما هي صديقة في الجامعة والحركة .. وأنا أعلم أن بعض شبابنا يعملون معنا من أجل شهواتهم ، ولا أحد يحاسبهم ؛ لأننا من دعاة مشاعة النساء حتى ولو كنا مسلمين في الأصل ، وكل حركة في العالم لها اتباع دون فهم الفكر والانقياد له .. مبادئ عامة فكرة عامة يتمسكون بها .. لكن أن تحرق نفسها والآخرين ووالدها .. ما كان يخطر لي في بال .. والكاز المستخدم في البيت إننا نستخدمه من أجل المدافئ [الصوبات] كما تعلمون .. كانت صدمة عنيفة لي لما أفقت من الأغماء .. كان هذا قاتلا مرعبا .. عرضت عليها أن أعيدها لأمها من زمن ، لما أدركت تعبها النفسي الشديد ، رفضت قائلة: لم يبق لي شيء أعود به إليهم ، لم أعد إنسانة ، لقد جعلتني دابة يا من تسمى أبي .. وهل أنا الذي سمحت لها بممارسة الجنس ؟! أنا غضضت الطرف للمبادئ الثورية التي أحملها وعشت لليوم من أجلها ، ومن قبل أن أتزوج أمها ابنة عمي .. ها هي الآنسة سمر لا تسمح لأحد بمعاشرتها .. هل أحد يجبرها ؟ هذا شأن خاص لا دخل للحزب فيه .. لا تجريم بفعله .. هذه أمور شخصية الإنسان عندما يصبح عبد الشهوة لا يحب

انقطاعها عنه ، يحب الاستمرار فيها .. والناس تحب التغيير ، وتمل من الشريك الدائم لم يرد باسل ولا سمر وتابع نضال التبرير والدفاع عن نفسه: أنا اليوم نزيل فندق الجمهرة في مركز المدينة ، ولما اشتر بيتا بعد بيع هذا البيت سأتصل بكم ؛ لتعود الليالي الجميلة ، وسوف نبقى ونواصل الدفاع عن قضيتنا حتى آخر نفس يا سمر .. رغم فارق السن الكبير بيننا فأنا معجب بك ، ومعجب بمناصرتك لحركتنا الشعبية .. وأتمنى أن تتزوجا .. فأرى لك مستقبلا واعدا معنا يا باسل في الشيوعية العربية مع أننا في السبعينيات من القرن العشرين ، فما زال نضالنا الشيوعي في أوله .. الأنظمة العربية تحاربنا بقسوة وشدة .. فالبيان الشيوعي الأول لرابطة الشيوعيين الأوائل اعلن في القرن الماضي عام١٨٤٨ ، عندما اجتمعت الرابطة في لندن نوفمبر ١٨٤٧وكلفت كارل ماركس وفريدريك انجلز بكتابة المبادئ العامة للشيوعية العالمية على أن تكون هذه المبادئ البرنامج السياسي للحركة الشيوعية ، وصدر بيانهم كما تعلمون بألمانية في ١٨ آذار ١٨٤٨ ، وختم البيان بالعبارة الخالدة يا عمال العالم اتحدوا ، ولم يكتب البيان باللغة الروسية ، وجاءت الدولة الشيوعية في روسيا القيصرية بعد البيان بسبعين سنة.. فليس لنا سبعون سنة نناضل .. والشيوخ يستمتعون في إفساد شبابنا ، وتحديثهم عن عذاب القبر وتخويفهم بعذاب القبر ..وفتحت عشرات القبور ، ولم نر فيها محروقا ومعذبا .. عظام بالية رمم أكلتها الجراثيم كيف يؤمن هؤلاء بالغيبيات والخرافات ؟! قالها بعصبية

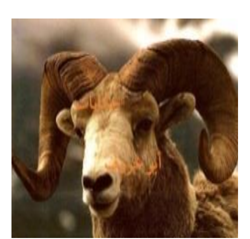
قال باسل : هدئ أعصابك يا رفيق نضال .. سنكون على اتصال .. ولليوم لم أقابل والد سمر تأخر اللقاء بسبب دخولها المشفى .. لقد قرأت عن الرجل ، وعلمت أنه من أوائل المناضلين اليسارين في المنطقة، وأنه منذ حادث بيروت بعيد عن الأضواء ؛ كأنه في عزلة .. نشاطه قليل مقالات في الصحف .. وهي قليلة يا سمر

قالت سمر بحزن وشرقت بدموعها : عندما نجا أبي من الحادث قضى أكثر من سنتين لا يتكلم كان مصدوما ومذهولا ؛ لأن الشيوعيين هم الذين حاولوا تصفيته قيل جناح شيوعي متطرف للأسف الشيوعية أجنحة وعندهم ميكافيلية الخصومة بينهم شديدة.. ستالين سرق البنك

ليمول الحزب والشبيبة الشيوعية فالشيوعيون يا سيد باسل وكما يعلم الرفيق نضال لا يخلون من شهوات الدنيا والصراع .. فلدينا شيوعية لينين وستالين وشيوعية ماو ، ومنهم من يخلط بين الشيوعية والقومية

فقال نضال : وهذا ما يؤخر نصرنا ووصولنا لحكم العالم العربي .. الصراع مرير والتمزق موجود ، ونتيجة لهذا المرض ابتعد الرفاق عنه ، فماذا سيجدون عند رجل محطم وتمثال صامت وحتى بعد أن تعافى وتحسن السيد أصبح ذكرى وتاريخ عندنا للأسف .. تحياتي لك وللوالد وسنبقى على اتصال ، وننقل الراية من جيل لآخر ، وقد تكونين رفيقة عظيمة لنا كوالدك وأمك لقد كانت أمك نعم الرفيق ، ولا تقل قوة ونضالا عن والدك ، فهي شريكة نضاله وكفاحه من أجل تحرير الشعب المسكين الحائر بين قوى الظلام والجهل والطغاة.. وقد صدمت أمك من الحادث الغادر وغدر رفاقه به ، وهم الذين أرسلوا إليه للقاء عاجل .. ومع ذلك ظلوا أوفياء للحركة الشيوعية العالمية .. سنلتقي يا سمر سنلتقي يا باسل .. اثبت يا باسل عقلك متفتح على الفكر الشيوعي وهذا النضال العريق ، وسيأتي النصر ولابد منه ، وقد تمسكون الراية بعد هلاكنا ، فنحن لم نحقق لكم الدولة الشيوعية العربية الدولة الحلم أصبحنا شيوعيين قطريين ..كل شيوعي يهمه شيوعيي بلده ، الاتحاد والعالم العربي وحدة واحدة ضعف ذلك بيننا وحضور مؤتمرات الحزب في بلد آخر نحضرها كضيوف.. أهل مكة أدرى بشعابها .. أصبح شعارنا اليوم الشيوعي المصري بدل العربي العراقي بدل العربي ، لم نعد نعمل كوحدة واحدة ، لم نعد نعمل للشيوعية العالمية .. هذا لروسيا هذا للصين .. كانت فترة الخمسينيات ولمنتصف الستينيات همتنا عالمية ؛ كأن اليأس من وحدة الأمة العربية انتقل إلينا أيضاً ، كبرت بيننا القطرية فكان الاعتداء على نجيب من نتائجها ، حقيقة أيها الرفاق الإمبريالية الغربية تحاربنا بدون هوادة بأبناء جلدتنا منا فينا .. أي انقسام يحدث بين الكبار يؤثر على الصغار تلقائيا ، فالاتحاد السوفيتي لم يعد يهتم بنا كما في فترة ستالين وخروتشوف ؛ كأنه يأس هو الآخر من سيطرة الشيوعية على العالم .. إنما هي أقطار متفرقة في قارات العالم .. فكل يوم نسمع عن هرب ألمان شرقيين إلى

الجزء الغربي من ألمانيا هربا كما تزعم الصحف الإمبريالية من الاضطهاد الشيوعي.. أما اضطهاد هتلر النازي لم يهربوا منه لابد أن نلتقي ولنتابع النشاط الشيوعي عسى أن تظهر قيادة جديدة قوية تقود الحركة الشيوعية العالمية



أدرك باسل الذكي الفطن المثقف بعد حادثة حريق شقة نضال الكلبي أن الشيوعية العربية والعالمية أنها مجرد شعارات لا تغني ولا تسمن من جوع ، وقد تكون مستمدة من الإباحية والمزدكية بثوب الفكر والفلسفة ، وأن المرحلة الشيوعية خيالية لن يصلوا إليها كما يزعمون فالاتحاد السوفيتي مثالهم الأكبر في نجاح الثورة الشيوعية يستخدم القوة والعنف والشدة مع الروس وشعوب الاتحاد لتثبيت أركان النظام ، والصين كذلك وكوريا الشمالية نحوهم مفروضة على الشعوب بلا إقناع وبلا فكر .. والاشتراكية كمذهب اقتصادي براقة وحسناء ولكنها كواقع فاشلة ، ولم تحقق الرفاهية والعدالة المرجوة منها ، بل زادت الأزمات الاقتصادية لدى الشعوب .. التطبيق ليس كالتنظير والقول إنما تضليل وتهويل حتى التعديل لأنظمة الشيوعية مستمر حتى الشعوب المحكومة بالشيوعية غير مقتنعة بها .. الإنسان فيه جانب روحي

التقى الطالبان في مكتبة الكلية فقال لها: ما دمت جئت اليوم فلنخرج ولنجلس في إحدى الحدائق .. أنا لي أكثر من ساعة هنا .. أراك حزينة؟!

– ما زلت متأثرة بموت روضة ومصدومة ، ونظرات عينيها الغريبة تلك الليلة تلاحقني تنظر إليّ وتبحلق فيّ . ولما أصبحا خارج المكتبة قالت: اليوم ما رأيك أن تذهب معي للبيت ؟ فأبي يرحب بك ويرغب بالتعرف عليك ، وكذلك أمي أعندك شيء بعد المحاضرات ؟

- لا شيء عندي سوى درس تدريب بعد الخامسة في النادي ؛ ولكنهم اعتذروا عنه بسبب مرض محمد المدرب فهو في المستشفى

- ماذا يدرب هذا النادي ؟ أفيه نساء ؟

قال : هو نادي يفتح مساء من الخامسة حتى العاشرة ليلا أي بعد دوام الموظفين والعمال الدوام الرسمي لإتاحة الفرصة لهم بالالتحاق فيه .. يعقد دورات كارتيه كونغ فو ملاكمة ، وفيه طاولة بلياردو ، وطاولتان لتنس الطاولة ، وفيه شاي قهوة وفي أسفل منه مطعم يقدم الساندويشات والوجبات الخفيفة ، ولا يوجد فيه فتيات ؛ لكن ليس ببعيد عن نادينا يوجد نادي للسيدات أترغبين بتعلم الكراتيه؟!

قالت بابتسام : تمنيت ذلك قبل دخول الجامعة ، أما اليوم فأحب الكتابة والفكر ، لقد كتبت رواية متوسطة على وشك إنهاءها ؛ فإذا وجدت لديك وقتا نقرأها معا

ـ هواية جميلة ! يسرني قراءتها أكتبتيها بالعربية أم الفرنسية لغة تخصصك؟

- بالعربية ، أنا طلبت التخصص الفرنسي لمحبتي للأدب الفرنسي ، كتابات المنفلوطي جميلة وترجمته رائعة ، وثانيا لسهولة العمل على الشهادة الفرنسية سواء في الداخل أم الخارج فالصحافة مجالها جيد .. ستتناول الغداء معنا اليوم

- لا داعي للأكل يكفي التعرف على حضرة الوالد الرجل التاريخي في نظري في الشيوعية العربية

رافق باسل الفتاة إلى بيت أسرتها ، كانت فيلا كبيرة وأمامها تقف سيارة ، فقالت سمر : سيارة أمي ، وهي قد عملت في قطاع التدريس ، ثم تقاعدت قبل دخولي الجامعة . ضغطت على الجرس ، وفتحت البوابة دخلوا مدخل البيت المبلط بالرخام ، وصعدوا درجتين وكانت فتاة تفتح لهم باب الفيلا الرئيسي زلفوا الفيلا ، وقالت سمر: أختي الأصغر مني في الجامعة مثلي ، لكنها سنة أولى كلية العلوم الاقتصادية هذا باسل يا أمل رفيقي في الجامعة والحزب .

صافحها باسل مبتسما وقال: أهلا بالآنسة أمل

ابتعدت عن طريقهم قليلا ، وكانت إضاءة المدخل ضعيفة ، ومشوا إلى صالة الاستقبال ،

فشاهد رجلا يجلس على كنبة ، وأمامه منضدة طويلة عليها مجلات وصحف ، ومنفضة دخان وعلبة سجائر وعلبة كبريت ، وكأس قهوة فارغ ، وسمع سمر تقول بصوت مرتفع: أبي صديقي باسل الذي ذكرته لك .

وقف الرجل ببطء ولما اعتدل قائما كان باسل أمامه يسلم عليه ويصافحه متمنيا له السلامة والعافية ، فأشار له بالجلوس مرحباً ، وكل يرحب بالآخر بكلمات الترحيب المعتادة : أهلا بك يا بني

وقبل أن يستقر جالسا دخلت أم سمر باسمة مرحبة ، فقد التقيا أكثر من مرة عند سرير شفاء سمر ، فصافحها وكان مبهورا من جمالها عندما رآها في المستشفى ، فقد كانت تملك حسنا مثيرا رغم تجاوزها الأربعين عاما ، فأعاد الترحيب بأم سمر وجلس ، فقالت أم سمر: الغداء جاهز يا سمر

التفتت سمر لباسل وقالت: ما رأيك يا باسل ؟

- نتمهل قليلا حتى نتعرف على الوالد

قال الأب: مرحباً بك يا بني .. تسرني صداقتك لسمر .. فهي تتحدث عنك بإعجاب مع أنك لا تدرس نفس تخصصها آداب إنجليزي

- نعم ، آداب إنجليزي في نفس الكلية ، تعرفت على الآنسة في مكتبة الكلية ، كلانا شغوف بالقراءة والفكر الإنساني ، وهناك محاضرات مشتركة بيننا ، وصار خط مشتركا بيننا الفلسفة المادية والفكر المادي.. بينت لي الفكر المادي الشيوعي الذي ينكر الروح والقيم الأخلاقية الدينية ، وأن الدين بدعة اخترعها الحكام والملوك للسيطرة على الشعوب بالخرافات والأساطير وقد علمت أنك رجل مهم في الحركة الشيوعية العربية ، ولك شأن هام فيها فأحببت الصديقة أو الرفيقة أن أتعرف على والديها ، فقد جالست صديقك القديم نضال الكلبي

تنهد نجيب وقال: نعم ، لقد علمت من سمر والصحف أن ابنته حرقت نفسها وبعض رفاقها أنا كنت قامة شيوعية قبل رصاصات الغدر ، كنت عضوا في التنظيم الشيوعي العالمي

الذي أسسه المرحوم لينين بعد انتصار أكتوبر ١٩١٧ فأسس الكومنترن ١٩١٩ ، واضطر الروس للغائه عام ١٩٤٣ بسبب دخولهم الحرب العالمية الثانية ، وأسس الكومنفورم عام ١٩٤٧ بعد نهاية الحرب كمؤسسة تنسيقية للأحزاب الشيوعية في العالم ، وعملت فيهما ؛ ولكن خروتشوف أنهى الكومنفورم ١٩٥٦ مع عقد المؤتمر الشيوعي العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي ، وبعدها أصبحت الأحزاب الشيوعية أداة للغير ؛ ولكن لم ندرك ذلك إلا بعد سنين أقرأت جيدا عن الماركسية ؟

قال باسل : أقرأ وما زلت أقرأ ، وخضت نقاشات ومحاورات عميقة مع الرفيقة سمر ، فهي تعرف الكثير من المعلومات الفكرية وعن رموز الفكر الشيوعي بعكس الرفيق نضال ، فكل اهتمامه بالفكر السياسي مع أنه يحسن الدفاع عن الشيوعية ولكن مع الشيوعيين ، ولما يدخل في التفاصيل لا يكون مقنعا مع حسن دفاعه ، يستخدم العاطفة أكثر من العقل .. العاطفة مهمة في الخطابة للجماهير ؛ لأن بينهم وربما أكثرهم عوام .. والآنسة ترد ذلك لسنه ، ولم يعد يتذكر العبارات الشيوعية القديمة ، فهو يهتم بالسياسة والأخبار

قال نجيب معجبا : عظيم ! أنت شاب نابه .. أنا معجب بك قبل أن أراك وأسمع كلامك .. تكاد سمر تحفظ كل ما تتفوه به ، وتنقله لي .. نتسلى ؛ لكن عليك أن تفرق يا رفيق باسل بين الفكر التنظيري حول الشيوعية والأحداث والصراع التاريخي والطبقي .. فهناك عمالقة في الفكر الماركسي مثل ماركس نفسه وإنجلز وغيرهم الكثير ، هؤلاء قدموا فكرا وأحلاما ، ولينين حول الفكر إلى ثورة وواقع ونحوه ستالين وماو في الصين ؛ لذلك تجد عثرات خلفائهم كثيرة .. التطبيق ليس كالتنظير

– أنا أدرك الفرق بين من يقول وبين من يفعل ، وأنا اعتقد أن الرفيق نضالا من الصف الثاني يحفظ نصوصا ، وقد ينساها عند الحاجة أو ينسى جزء منها ، والأخت سمر تحب الفكر العميق وأنا طالب مبتدئ

قالت أم سمر : ستكون عملاقا يا رفيق باسل ، فأنت تقرأ بوعي وتركيز كما بدا لي في هذه

اللحظات .. أنت لا تقرأ مجرد قراءة ولتحفظ .. أنت تقرأ لتعرف كيف ولماذا؟!

قال باسل : شكرًا لك يا سيدتي .. قلت لسمر من بداية تعارفنا قرأت قبل الفكر الماركسي الفلسفة اليونانية القديمة الفلسفة التي يستمد منها الغرب والرأسمالية الأفكار .. وذلك شجعني للتعرف على فلسفة الماديين ومنها الشيوعية

ابتسمت أم سمر ونهضت قائمة تقول: الغداء يا سمر

قال باسل : قبل الغداء أريد أن أسأل السيد الرفيق نجيب والد العزيزة سمر .. سمعت أنك عانيت من رفاق الدرب رغم الجهود الكبيرة التي دفعتها والتضحيات في المعتقلات والسجون ومع ذلك غدروا بك .. وقد يكون الغدر ليس بسبب الفكر ؛ إنما بسبب أمور ومصالح وشهوات السؤال خاصة أنني في أول الدرب والنضال ، لم أتعمق في ردهات الحزب الشيوعي ونضالاته وأنت تعيش في بلد مسلم وغالب سكانه من المسلمين .. أفي الشيوعية والاشتراكية أمل الأمة في رفعتها وعزتها ونهضتها يا أستاذنا الكبير؟!

غمرهم الصمت جميعهم للسؤال ، أطفا الرجل سيجارته التي أشعلها قبل لحظة ، وحسن من جلسته وقال باهتمام : سؤال كبير في نظري! أنت تريد الخلاصة لتستمر في هذا الدرب أم تتوقف؟!

- نعم ، هل أسير على خطاكم أم أعود لحضن الإسلام؟

قال نجيب : سؤال خطير !! أنا ابن خمس وخمسين سنة يا باسل .. عرفت الشيوعية طفلا مراهقا شابا متعلما ومتنقلا في البلدان من أجلها ؛ ولكني لم أعرف الحقيقة إلا عندما تلقيت رصاصات الغدر .. أدركت أنني كنت أعيش في وهم في وهم .. وأن الشيوعية ميتة في بلاد المسلمين والبلاد العربية هذه هي الحقيقة ..وزوجتي تدرك هذا .. وتؤيدني في ذلك .. وأننا أمضينا عمرنا في الدفاع عن الشيوعية .. كنا واهمين ، وعلمنا بناتنا هاتين الاثنتين كل المبادئ الاشتراكية والمادية ..كانت حياتنا في النهاية وهما ؛ لكن عشنا وشبنا على ذلك ، وعلينا أن نموت على ذلك فأنت سألت سؤالا ولا أحب أن أكذب عليك ، لقد أهدرت عمري في سراب ، في لا شيء في

لا شيء .. فكر بعمق قبل أن تتابع السير .. قد تجد خيرا مما وجدنا قبل أن تغرق في أوحال الماركسية ودهاليزها السياسية

فقالت سمر بحدة واضحة: وعذريتي يا أبي التي فقدتها على مذبح الشيوعية واللينينية

التفت إليها بضيق وأجاب: يا ابنتي هل أنا قلت لك عاشري فلانا من الناس .. أنت تعلقت به وعلمت أنه يريد جسدك لا يريد عقلك .. هل أمنعك ؟! وأنا داعية للإباحية وعدم الاكتراث للبكارة .. قلت لك هذا جسدك وهو ملكك أنت تفعلين به ما تشائين .. والرجل طلب الحقيقة فهل تقبلين أن اقنعه أن الشيوعية فيها خلاص العالم من أمراضه وفقره وجوعه ؟ ونحن لنا من مطلع القرن نعمل ونعمل ، ولم يقبل الشعب المسلم ترك الإسلام



النهاية

عاد باسل للحي وهو يحمل أفكارا عنيفة وتجربة كبيرة قضاها والد سمر في الشيوعية والأحزاب الشيوعية والتنظيمات الشيوعية العالمية ، واعتبر كل هذه السنين وهما وخيالا ، والذي يمنعه من الردة عن شيوعيته أنه غارق فيها لأذنيه كما يقال ، ولا يستطيع الكفر بها لذلك قضى ساعات من الليل يفكر بالقرار النهائي لهذه التجربة ، هل يستمر ويغرق كما غرق والد سمر أم يتوقف ويعود الإسلام الحضن الدافئ ؟

اخرج كتابا إسلاميا في مكتبته يتحدث عن الشيوعية المادية وظلمها للفكر العالمي ، وماذا فعلت الشيوعية الستالينية في مسلمين القوقاز والشيشان ، وتهجيرهم لسيبيريا الثلجية ، وما فعلت الصين الشيوعية في مسلمين تركستان الشرقية من إجرام وقتل وتشتيت الأسر ، لم تكن الشيوعية رحمة لهؤلاء الشعوب ، بل ظلما وسفكا للدماء دون رحمة أو هوادة

قلب الصفحات تلو الصفحات واطلع على الرد على شبهاتهم ، ظل للفجر يقرأ ويقرأ ، ويشرب قهوة ، فلم يذهب في الصباح إلى الجامعة كان ينتظر اتصالا من سمر لمناقشة ما سمعاه من الأب فقال: لقد صدمت الفتاة عصر أمس ، لقد ضحت بعذريتها لتثبت لنفسها أنها شيوعية ، وأن الفكر الذي يهمها ، وليس الجسد ، لقد سقطت بكارتها على مذبح الشيوعية كما قالت غاضبة عصر أمس لقد أدركت أنها تعلقت بوهم

بعد أن قرأ وتأمل اتخذ القرار الحاسم ، وسيناقش به سمرا ويخبرها بقراره الحاسم ، فهو سيعود للفكر الإسلامي فكر الآباء والأجداد المتأصل في الجذور ، وتذكر الدكتور مصطفى وخشيته عليه من الضياع والانحراف وراء ترهات وخدع الشيوعيين ، فتبسم وهو يذكر كفر زوجة نضال به ، وكذلك ابنه ، وذكر كفر ابنته به قبل حرقها لنفسها وبيت أبيها

مضى في الصباح التالي للجامعة وكله حماس ليقول لسمر : انتهى ما بيننا لك درب ولي درب وصل الجامعة ولم يجد سمرا في انتظاره ، حيث يصبحان على بعضهما البعض ، ويسمعها تهمس صباح الخير يا رفيق باسل ، وعلم من زميلتها أنها لم تحضر أمس مثله ، لقد تغيبت فهي

مثله حائرة مضطربة بعد الوهم الذي عاشت فيه بانتصار الشيوعية وسيطرتها على العالم ؛ لترفرف السعادة على الدنيا، انتهى الدوام ولم تحضر سمر ، هل يتصل ببيتها كما اعتاد ليطمئن عليها؟ أم يصبر للغد .. عليّ أن أجاملها وأتحدث معها لعليّ استطيع إنقاذها كما سأنقذ نفسي من الوهم .. ولماذا أعيش الوهم؟! مسكينة سمر ولكن كان والدك صادقا ومجروحا ومخذولا لما تناول الطعام في البيت قالت له أمه: اتصلت فتاة بعد خروجك للجامعة راغبة في الكلام معك لتخبرك بأمر وتريد منك أن تتصل بها بعد عودتك من الكلية

- أقالت اسمها سمر؟

- لم تذكر أي اسم ، وقالت إنك تعرف الرقم

- لابد أنها سمر .. شكرًا يا أمي

لم يتصل من البيت خرج للشارع ، مشى لمكتب بريد أبو خروف ، واتصل ببيت سمر بالرقم الذي يحفظه ، وقال بعد التحية : أريد الحديث مع الآنسة سمر .

- ألم تعلم أن سمرا قد ماتت أمس؟!

- ماتت!! كيف ماتت؟!

- انتحرت !!

- إنا لله وإنا إليه راجعون !

تمت الحكاية التاسعة

لماذا وضع الطفل الوليد في حديقة آل ظبي ؟ !

كثر اللغط والقيل والقال

ولا جواب . . لا عرفوا أم ولا أب

انشغل الحي كله بإشاعات كثيرة

لعلك أيها القارئ أدركت من هو طفل الحديقة

أما أنا فلست أدري ! !

١٩٧٩



طفل الحديقة

تبدأ هذه الحكاية عندما كان يلعب مجموعة من أطفال أبو خروف من طلاب المرحلة الأساسية في ساحة قرب بيت يتكون من طابق واحد في أول الحي من أعلى ، البيت يطل على شارع السلام والبيت له ساحة مليئة بالأشجار العتيقة حديقة ، وللبيت سور ارتفاعه يزيد عن المتر ونصف المتر ، كان هؤلاء الأطفال يلعبون إحدى الألعاب الشعبية يلعبون بطابة تنس أرضي ، لعبة يسمونها السبعة أحجار حيث يقسم الفتيان إلى فريقين ويضعون سبع قطع من الحجارة على هيئة عمود ويرمونها من مسافة بضعة أمتار والفريق الذي يهدمها ينتشر في المكان وعلى الخصوم منعهم من بنائها بواسطة الطابة بضربهم بها ، ويتبادلون قذف الطابة بينهم حتى يصيبوهم بالكرة ، ومن يصاب يتوقف عن اللعب حتى تبنى الحجار السبعة أو يرمون بالكرة لتبدأ لعبة جديدة ، وفجاءة قفزت الكرة الصغيرة المطاطية إلى حديقة بيت آل ظبي ، {١}
صدمت الطابة بأحدهم وقفزت سور الحديقة ، وتوقفت اللعبة حتى يحصلون على الكرة ،

{١} لعبة الأحجار السبعة : أدواتها سبعة من الحجارة التي يمكن وضعها فوق بعضها البعض وكرة مطاطية بحجم قبضة اليد طابة.

ينقسم اللاعبون إلى فريقين، مدافع عن الحجارة ومهاجم من أجل بناء الحجارة ، يقف المدافعون خلف الحجارة المبنية، ويقف الفريق الآخر خلف خط متفق عليه، يمسك أحد اللاعبين بالكرة ويلقيها على الحجارة من خلف الخط، فإذا ما أسقطها تفرق اللاعبون بسرعة ، ويكون دور الفريق المدافع أن يلقوا بالكرة على اللاعبين من الفريق الآخر، فإذا ما أصيب لاعب خرج من الفريق، وتستمر المحاولات حتى إخراج آخر اللاعبين ، وفي نفس الوقت يجتهد اللاعبون من الفريق الآخر من أجل الوصول إلى الحجارة من أجل بنائها دون أن تلامسه الكرة، فإذا نجح في ذلك عُدّ فائزا وإذا خرج الفريق المهاجم كله من اللعبة تبادل الفريقان الأدوار، وهكذا.

وذلك بطرق بوابة الدار والاستئذان من أهل الدار بأخذ الكرة من الحديقة ، أو القفز عن السور والبحث عنها في الحديقة ، وهذه الأخطر عند الفتيان أسلم ؛ خشية أن تسمعهم صاحبة البيت كلاما سيئا أو تفجر لهم الكرة حتى يبتعدوا عن ساحة البيت الخارجية حيث يلعبون ويصرخون ويزعجون ، فكان القفز عن السور والتسلل إلى الحديقة أسلم ، وهم يفعلون ذلك كلما لعبوا في تلك الساحة ، تسلق بعضهم السور باحثين بأعينهم عن مكان استقرار الكرة قبل الاندفاع لداخل البيت ؛ ليذهب أحدهم بخفة الغزال والقرد لجلبها ، ويا دار ما دخلك شر ، وقبل أن يشعر أهل البيت بهم تسور الفتيان السور ، تبحث العيون عن مستقر الطابة ، وبينما هم يفعلون ذاك سمعوا صوت طفل بكاء طفل ، فأخذت عيونهم المستغربة الصوت تتلفت عن جهة مصدر الصوت ، ورأت جاكيتا جلديا يصدر من داخله الصوت بكاء الوليد ، نزل بعضهم ورآه وصاح دهشا : طفل!! إنه طفل !!

اقترب آخرون .. ويراودهم الاستفهام لماذا هذا هنا ؟! إنه في هذه الساحة الشجرية ، ملفوف بالجاكيت قال أحدهم :هل نسوه ؟!

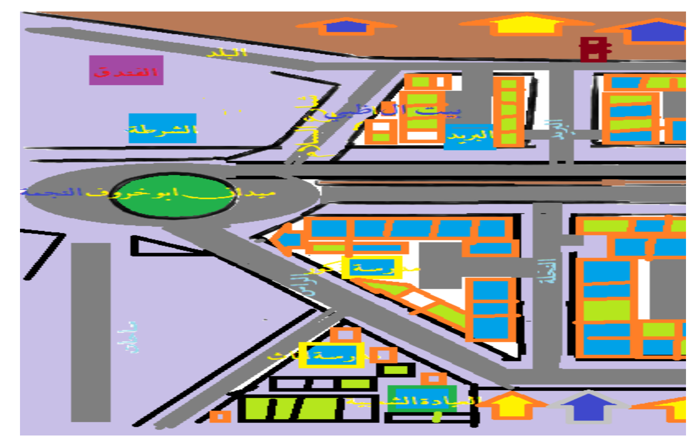
وجد أحدهم الكرة الصغيرة ، وقام آخر بطرق باب الدار الداخلي ، خرجت امرأة تصيح بهم فقالوا دون اكتراث لصراخها واحتجاجها ، فهم معتادون على صياحها بسبب تواجدهم في هذه الساحة للعب : في الحديقة طفل صغير يبكي !

توقف صياحها وقالت: ماذا؟! ماذا قلتم؟!

أشاروا جميعهم للحديقة ، فغطت شعرها ، وتبعتهم إلى الحديقة ، وفعلا وجدت طفلا وليدا ، فوقفت حائرة من الذي تركه هنا ؟! ، ثم فطنت لكبر سنها فقالت : دعوه سأتصل بالشرطة ، هذا لقيط واحدة رمته هنا .

كان الوقت ظهرا ، حضرت الشرطة ، وانتشر الخبر سريعا في الحي أو حول المكان ، فهذا الوقت أغلب الرجال يكونون في أعمالهم ووظائفهم ، استمعت الشرطة لأقوال المرأة والأطفال ، وقد دخلوا به للبيت بضع دقائق ، ثم انصرفت الشرطة بالطفل ، وقد ترددت كلمة لقيط من عدد

من الرجال الذي مروا من الشارع وكبار السن ، فقال فتى : لقيط ما معنى لقيط يا عم سكر ؟



سكر رجل عجوز يسكن في نفس الشارع ، وهرع للمكان لما سمع حفيده يخبر أمه بأنهم وجدوا وليدا في حديقة بيت آل ظبي ، فرد السيد سكر ضاحكا : هذا يا ولد موضوع أكبر منك .. أنت اسمك نائل ؛ ولكني سأشرح لكم جميعكم ، اللقيط لما تلقى شيئا ليس لك يسمى لقطة ، فالطفل الذي يرمى في الحواري يسمى لقيطا ، تتخلى عنه أمه لأسباب خاصة ، فترميه أمام مسجد كنيسة مزبلة .. فهو مجهول الأبوين .. هذا هو اللقيط

وسمع آخر يسأل: وما معنى مجهول الأبوين ؟ أليس له أهل ؟!

قال سكر محاولا تفهيم الطلبة الوضع : تقريبا امرأة زلت قدمها وزاغت عن الشرف متزوجة أو غير متزوجة ، وحملت سفاحا ، وخشيت أن تقتل جنينها بعد أن حملته شهورا ، وخشية الافتضاح تتخلى عنه ، فهي لا تريد أن يعرف زوجها إذا كانت ذات بعل ، وإن كانت بنتا لا تريد أن يعرف الناس بزناها ، ولم تطاوعها نفسها على قتل روح رغم فجورها ، وقد يكون لديها أمل بأن يعود إليها بعد زواجها إن كانت ولدته بدون عقد زواج ؛ لعل بعضكم فهم هذا الكلام أنتم في المرحلة الإعدادية تعون ما قلت ، فمن أبوه فمن أمه ؟ فهذا معنى مجهول الأبوين .. ستبحث الشرطة عن أمه ، فإذا وجدوها ستدلهم على أبيه .. فهو مجهول الأبوين ريثما يتضح الأمر ، ويكشف سر هذه الجناية ، وقد يتعرفون على الأم فحسب ، وهو الأسهل بالنسبة لهم

فسمع رجل يسمع شرحه للطلاب يسأل : يا أبا حنان في رأيك سيصلون للأم ؟

– اعتقد ذلك ، أما الرجل فقد لا يعرفونه إلا إذا كان واحدا أو معروفا للمرأة .. أما إذا كانت بغي فمن سيكون أبوه ؟ سيجدون الوالدة ولو بعد حين سيطاردهم القانون ، وقد ينكر الأب إذا كان هناك أكثر من رجل وعشيق ، عندئذ سيتعقد الأمر ويحتاج إلى تحاليل وطب .. وقد تعجز الشرطة من الوصول لأمه ، قد لا تكون أمه من أبو خروف أو الأحياء المجاورة ، فحي النجمة بعد هذا الدوار وأشار إليه بيده ؛ لكن وضعه هنا في هذه الحديقة ، وهذا البيت بالذات يدل على معرفة الجاني للمكان ، وفي الغالب وضع هذا الطفل عند الفجر ليسمع صوته عند خروج أهل البيت للعمل

– لكن زوج المرأة كما تعلم في ألمانيا أو إيطاليا

– أولادها هنا ، لماذا أتعبت الأم المجرمة نفسها وفتحت البوابة ؟ ـ وأشار إليها ـ أو قفزت عن السور ولكنه مرتفع ! .. لو لم ترد له الحياة ما تركته في هذا البيت ! لرمته في صندوق قمامة كبير كما سمعنا عن حوادث شبيهة بهذا ..يبدو أن لها معرفة بـ أبو خروف .. هل جاء به رجل ولم تطب له نفسه قتل ابنه ؟ والأم تعتقد أنه ذهب به ليموت .. أب جبن عن التخلص منه .. القتل بعد الولادة جريمة في القانون ، ليست عملية إجهاض أو لظرف ما تخلى عنه وألقاه في الحديقة الأطفال يذكرون أنه وضع بشكل سليم وجهه للأعلى لم يرم رميا كما سمعتهم يقولون .. حقيقة بوابة آل ظبي لا تغلق بالمفتاح ليلا .. إنما تغلق بالمزلاج .. فلهذا أقول إن الفاعل يعرف البيت ، والطفل وجد بعيدا عن السور .. لابد من دخول الفاعل للحديقة وتركه قريبا من إحدى الشجرات .. فالأمر الآن بيد الشرطة والمدعي العام ومنهم نعرف والد وأم الطفل؛ إنما هي أيام وإذا لم يعرف أهله سيوضع في أحد الملاجئ الخاصة باللقطاء والأيتام الذين هلك أبواهم معا ، ولا أولياء لهم

أخذ الفتيان والمتجمهرون يتفرقون رويدا رويدا ، وهم يتحدثون عن هذا الطفل المسكين وعمن تكون أمه ، ويذكرون أسماء محتملة ، ويشيرون لناس علاقتهم معروفة ومنشورة على الملأ .. هذا أبوه ، ذاك أبوه ، محتمل فلانة ..لا فلانة .. تفرق بعضهم ويغمره الحزن على المولود كيف

سيواجه الدنيا والظلم ؟!

كان هذا حدثا كبيرا شغل الناس في أبو خروف كله ، وأكثر الحديث دار في مقهى أبو خروف لذلك كان مع المساء هذا اللقيط حديث الناس في المقهى الشبان الكهول الشيوخ ، لغطهم يرتفع وينخفض مع كل حوار واحتمال من أمه؟! من أبوه؟! لماذا رمي أو وضع في حديقة آل ظبي؟! هل هو لإحدى بناتهم أو لإحدى قريباتهم ؟! كيف فجرت أمه وسمحت لنفسها بالحمل ؟! لماذا لم تقتله؟! متى وضعته في الحديقة؟! من ولدتها؟! ـ كانت بعض النساء في زمن الحادث ما زالت تلد في البيوت على يد القوابل جمع قابلة ، وهن متمرسات ومتدربات على توليد النساء ، أما النساء اليوم فيلدن في غرف التوليد في جل المستشفيات ـ أم ولدت المرأة نفسها بنفسها ؟! من قطع الحبل السري للوليد؟! عشرات الأسئلة والتهم ظهرت في الحي ذاك اليوم ، حتى وصل بهم القول إلى الإشارة إلى نساء معروفات بالدعارة والفساد ، وسأل أحدهم ما شكله ؟ لعله يشبه فلانة من الناس .. وهل الشرطة لم تعرف الحقيقة ؟! عرفوا وسكتوا من باب من ستر مسلما ستر الله عليه .. كيف هان على أمه بعد أن رضيت بالحمل به أن ترميه ؟! أخافت من القتل وهي زانية؟! والجاكيت لمن؟ كيف استطاعت أن تخفي حملها عن أهلها والجيران؟! إنهم متواطئون معها ، ولولا سكوتهم لعملت عملية إجهاض ولو خارج البلد هناك أدوية تسقط الحمل .. بعضهم اتهم السيدة صاحبة البيت والتي بلغت الشرطة بأنها أمه ، فهي من غير زوج زوجها في الخارج ؛ ولكن سمعتها معروفة يا ناس .. أولادها عندها ؛ ولكنها ما زالت تلد وبعلها مهاجر يا أبا ... أخطأت وغلبتها

الشهوة ، وهذا الطفل ثمرة الخطيئة .. هل هذا الطفل ذكر أم أنثى؟! لا أحد يدري ، إنما كان يبكي عندما وجدوه ، قال أحدهم : كانت فتاة شابة تتردد على آل ظبي منذ أشهر قد يكون هذا ابنها بالحرام أي بغير زواج ، شاع في الحي من عدة أشهر أن فلانة قد فجرت بفلان ، ثم انشغل الناس بقضية أخرى قد يكون هذا ثمرة هذه العلاقة الآثمة .. كيف سيعيش هذا الطفل من غير أسرة ؟! بلا أم ترضعه وتعنى به .. سيعيش كما عاش غيره ، وكما يعيش الأنام .. وعشرات قبله

هنا وهناك ولدوا نتيجة الإباحية الجنسية .. بعض الدول فيها بالآلاف الأبناء غير الشرعيين في أوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية .. وكيف سيكون حاله عندما يشب ويعرف أنه ابن زنا؟! وأمه وأبوه تخلوا عنه ، ولم يكن ثمرة زواج شرعي .. صحيح كيف سيعمل وكيف سيتزوج ومن سيزوجه؟ مأساة مأساة !!

مثل هذه الأسئلة وغيرها الكثير تردد على ألسن أهل الحي المهتمون بالحادث والجريمة ، وفي المقهى تكلم الكثير أيضاً ، ودخل عليهم رجل وألقى التحية بصوت عال لفت الأنظار إليه وقال بصوت صارخ : أيها السادة المشغولون بلقيط آل ظبي أن الحكومة عرفت أم الطفل

التفت إليه الحضور كلهم ، وتوقفوا عن اللعب والثرثرة ، وأصغت الأذان فتابع الرجل صراخه : إنها فتاة من حي برغوث قريبة لآل ظبي ، وتعرف البيت والأسرة حق المعرفة

فصاح أحدهم : ألم أقل لكم إن أهل البيت على معرفة بالضحية .. عرفتم الآن لماذا اختاروا هذا البيت الذي تركوا فيه ثمرة الجريمة ؟! أهو ذكر أم أنثى؟

فرد الرجل الصارخ : لا أدري لكن علمت من مصدر خاص أن المرأة الوالدة قريبة لآل ظبي وأنها ولدته في دار خاصة ، وجاءت بنفسها عند الفجر وتركته في الحديقة ، وعادت لشقتها المستأجرة ، والشرطة تحقق لمعرفة أب الطفل

- فلماذا تركته عند أقاربها ؟ هل تريد أن يعرف أهل المكان أنها أمه ؟ وماذا فعلوا بها ؟!

قال المخبر : نقلوها إلى المستشفى للرعاية ، فصحتها متدهورة ، وسمعت من مصدري السري أنها أرضعت الطفل وتقبلها بسرعة .. وهناك إشاعات أنها مكنت أكثر من رجل ليفجر بها ، لم تكن طاهرة .. ومعرفة الأب ستحتاج لوقت إذا صحت هذه الإشاعة ..خزاها الله فضحت أهلها ، وتقلدت هذا الطفل المسكين!



ندخل ليلا شقة شوكت ترعة في حي أبو خروف ، كان منصرفا من مقهى مهران مقهى الحي الوحيد ، مقهى الإشاعات والأخبار ، فلما سلم وجلس قالت الزوجة: أتأكل يا أبا فاطمة؟

هز رأسه قائلا: لا بأس ، أنامت البنات؟

- لا ، الوقت مبكرا على النوم ، إنهن يلهون أو يقرأن .

نهضت للمطبخ ، وسخنت الطعام ، وأتت به للصالة حيث يجلس الرجل ، ولما سمى الله بسم الله ، وأخذ يأكل ويمضغ قالت: أسمعت بما شاع في أبو خروف ؟

قال والطعام في فيه: اللقيط الذي وجدوه في حديقة آل ظبي .

- أجل ما قصته؟

قص عليها وهو يأكل ويشرب الماء والشاي كل ما سمع عن طفل الحديقة ، فقالت بدهشة وربما حيرة : إذن هو ابن قريبة لآل ظبي من حي برغوث !

قال متشككا : على ذمة رجل اسمه جعفور ، مع أن رجلا كان بقربي ، قال كذاب ، وهذا من أكذب الناس ، لو كان الطفل لآل ظبي فما وضعته أمه في حديقتهم ، لتركته عند حاوية قمامة أمام المسجد حتى يراه الزبال أو الإمام أو المؤذن عندما يفتح الجامع لصلاة الفجر .. أما أن تضعه عند أقاربها لتؤذيهم وتفضحهم وتسيء للمرأة المسافر زوجها إلى أوروبا فذا كذب صريح

- والشرطة ألم تعرف أمه وأباه؟!

قال وهو يزيح الصحن من أمامه بعد أن فرغ من الطبيخ ، ومسح فمه بيده: الشرطة لم تقل شيئا بعد .. هم عاينوا الحادثة ، وسمعوا أقوال المرأة صاحبة البيت ، كما روى العم سكر وسمعوا أقوال الأطفال الذين اكتشفوا الوليد والظروف التي جعلتهم يكونون هناك ، ثم أخذوا الطفل وانصرفوا ، وأنا أعتقد أن آل ظبي لا علاقة لهم بالوليد اللقيط ، وأعتقد أن أمه من حي آخر .. قال بعضهم : إن أمه متزوجة ، وزوجها أنكر هذا الحمل ، وتستر عليها حتى تلد ، وأخذه وألقاه في هذا البيت حتى يجده الناس سريعا ، والأيام ستبدي لنا ما نجهل

- ولماذا لم يطلقها؟!

قال مبررا تصرف الزوج : لأنه لو طلقها سيحمل الطفل اسمه في القانون والمحاكم ، لا يستطيع التخلص منه ما دامت السيدة على ذمته شرعا وقانونا ، والرجل خاف أن يقتله .. تزني حليلته وهو يقتل .. ومنذ شهور شاع في الحي إذا كنت تذكرين أكثر من حالة خيانات زوجية .. وفلان لما دخل بيته وجد رجلا غريبا مع امرأته في غرفة نومه ، لم يشاهد معاشرة بينهم .. فماذا كان يعمل هذا الغريب في غرفة النوم ؟ مهما أنكر الاثنان ، فهناك خيانة .. العياذ بالله لما المرأة تخون! تركها حتى وضعت ابن الزنا وتخلصوا منه

- إذن سنسمع طلاقها قريبا

قال مفكرا بجواب :قد لا يطلقها قريبا ،حتى لا ينكشف السر وتلبس الحكومة الولد له

- ولماذا لم يقتله؟!

قال شوكت بعد صفون : الأمر صعب ، هي تزني وهو يقتل ، فقد قبلوا له الحياة ، فكان من الصعب التفكير بقتله بعد ولادته.. يتخلصون منه وتربيه الدولة في ملاجئ الأيتام ..وقد تثير الأم قضية قتله ، فهو جزء منها بعد أن قبلت بالحمل به ..الأمر معقد ولكنه حصل .. والقتل على النفس أصعب من جريمة الزنا رغم بشاعتها ، وكلاهما عملان بشعان

- لا ادري لماذا تزني النساء وهن متزوجات ؟!

تنهد ورد: الشهوة والإغراء

- تطلب الطلاق

قال : هذا فعل الشريفة العاقلة المحترمة ، وليس الخائنة ، فبعضهنّ يتسترن بالزواج ، والزوج الغلبان يتخذنه ستارا للموبقات كما نقرأ في الجرائد ونسمع من الحكايات ، وما نرى في المسلسلات والأفلام .

قالت مشفقة على اللقيط : مسكين هذا الولد ! كيف سيكون مصيره ؟!

- سيعيش مع الأيتام في دور الأيتام واللقطاء ، ولما يكبر يتعلم ويدخل الجيش أو الشرطة ، فهو ابن الدولة ، وإذا عرفت أمه سيعيدونه لها ، وإن كانت متزوجة سيلصقونه بزوجها رغم أنفه ،

وإن كانت عزباء سيزوجونها بمن عاشرها كزوجة

قالت بقرف الحرة : هذا أمر مخزٍ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أتفعل ذلك عاقلة؟!

- الشهوة لا تعرف العقل ، الشهوة نار تستعر في الشباب والنساء ، وتؤدي للكوارث والمصائب وهو ثمرة من ثمار الشهوة المستهترة بالحياة الزوجية ، وموجة الإباحية نار تلظى

- ذاك الرجل يزعم أن أمه من برغوث

- هذا ما صاح به في وجه الناس ؛ كأنه إذاعة في المقهى أو كأنه يعلن تحرير بيت المقدس من يد اليهود الفجرة .

كانت فاطمة شوكت تستقبل خطيبها جميلا أمام مدخل الشقة وتصافحه مرحبة به ،ولما دخل الباب كانت أمها تسلم عليه بسرور وتقول: أهلا يا ولدي ، كيف حالك كيف أمك وأبوك؟

رد جميل: كلنا بخير يا عمة وأنتم كيف حالكم؟

- الحمد لله رب العالمين وإخوانك وأخواتك كيف حالهم؟

- كلنا بعافية وصحة طيبة ، والكل يهدونكم السلام والتحية .. خالي في المسجد

- سيكون معنا بعد العشاء ، سيصلي ويرجع ، أخبرناه بزيارتك، سيستريح من لعب الورق الليلة .. فاطمة يا حبيبتي جهزي العشاء لنأكل مع جميل

رد الشاب قائلا: لست جائعا يا امرأة خالي ، وأنا في المدينة أكلت ساندويتشا

- كل ما فيه النصيب

بعد دقائق وضع الطعام على منضدة خاصة ، وجاءت زينب وبثينة يرحب بابن عمتهن خطيب أختهن ، وجلسوا حول المائدة يتمتعون برزق الرحمن والطيبات من الرزق ، ولما بدا الأكل بدأ الحديث قال جميل: أكيد سمعتم بقصة الطفل الذي وجد في حديقة من حدائق بيوت أبو خروف ؟

غمرهم الضحك وقالت أم فاطمة: ذاك حديث الحي طوال أمس وأنتم كيف علمتم به؟!

- الصحف أو بعضها نشر الخبر عن لقيط أبو خروف والوليد الذي وجده مجموعة من الأطفال

كانوا يلعبون قرب حديقة أحد المنازل

– البيت في أول أبو خروف من نفس جهتنا قرب الفندق .. الجرائد تنشر مثل هذا الخبر ماذا يكتبون ؟

قال : يكتبون الخبر كما أخبرتهم الشرطة ـ يا امرأة خالي ـ وأنتم ما عندكم من تفاصيل أكثر؟

قصت فاطمة قصة الأطفال عندما سقطت الطابة في منزل آل ظبي ، وسمعوا صوت الطفل الملفوف بجاكيت من الجلد ، ثم اعلموا صاحبة المنزل ظنا من بعضهم أن المرأة نسيت ابنها في الحديقة ، وجاءت الشرطة واستمعت للمرأة التي تعيش بدون زوج ـ زوجها مهاجر لأوروبا للعمل ـ وبعد سماع أقوال الأطفال أخذوا المولود وذهبوا ، وختمت قائلة: ثم اشتعلت التحليلات والإشاعات والاتهامات كما يقول أبي عندما رجع ليلة أمس من المقهى مصدر الأخبار ، وللآن لم نعرف أم الطفل هل هي من الحي أم من حي آخر ؟! والجريدة ماذا تقول أكثر من هذا؟

ابتسم جميل لفضول خطيبته وقال : الجريدة لم تدخل بالتفاصيل ذكرت قصة العثور على طفل في حي أبو خروف لم تذكر أمه ولا أباه

– ذكر أبي أن أحد رواد مقهى مهران زعم أن أمه من حي برغوث ، من فتاة تقرب لأهل البيت الذي وجد فيه ؛ ولكن أبي ينكر ذلك ويقول : لو كان له علاقة بأهل البيت ما وضع في بيتهم ، أتريد أن تسيء إلى أقاربها ؟ وما دام أنها تخلت عنه فهل تضعه عند أقاربها ليتعرفوا عليها ؟ فالأمر غامض ؛ ولعل الشرطة لديها معلومات لم ترغب بالإفصاح عنها حتى يكتمل التحقيق وبما أن شقيقك زيادا يعمل في الشرطة قد يمدك بمعلومات لم تصل للصحف

ابتسم جميل لفضول خطيبته وقال: لا أقل عنكم فضولا ، اتصلت بزياد فور قراءة الخبر في الجريدة اليومية ، فقال سمعنا مثلك بالحادث ، وهذه أمور مكرورة عندنا بين الوقت والآخر على مستوى البلاد كلها ، فبعض الأيام نجد طفلين ، والغالب نجدهم أمواتا بتأخر اكتشافهم أو ماتوا أثناء الولادة ؛ لأن أغلب هذه الولادات تحدث في المنازل ، وربما بدون قابلة أو طبيب

وقال : الأطفال غير الشرعيين يكثرون هذه الأيام ، نساء تفجر وتحمل مع أن وسائل الحماية من الحمل معروفة اليوم ، والحبوب يوزع مجانا في عيادات الحوامل الرسمية ، ربما جهل في الاستعمال ، وربما يحملن للضغط على الزاني ليتزوجهنّ

قالت فاطمة بحياء: نعم ، قد تفعل ذلك بعض الفتيات للضغط على الرجل من أجل الزواج وسمعنا عن أكثر من قصة حدثت في أبو خروف

– الفاجر لا يهمه من المرأة إلا فجوره .. الأخلاق بدأت تفسد في بعض الأسر والعائلات .. الفضائح أصبحت حادثا متكررا كل يوم

قضوا حاجتهم من الطعام ، وغسلوا أيديهم وأفواههم ، وعادوا للجلوس في صالة البيت يشربون الشاي ، وبعد ذلك انتقلت الفتاة وخطيبها إلى حجرة خاصة ؛ لكنها مفتوحة الباب يتحدثون عن أحلامهم ومخططاتهم في بناء أسرة جديدة وذرية جديدة ، وأن زواجهم سيكون في فصل الصيف القادم ، فأكثر زيجات الحي تحدث صيفا ، فقالت: هل ستسكن مع أهلك كما سمعت أبي يقول قبل أيام أم ستستأجر بيتا ؟

– لم يحسم الأمر .. نقول هذا مرة وذاك مرة أخرى .. فأخشى أن أسكن معهم كم شهرا ، ثم يتحرك زياد للزواج ، فهو ينتظر زواجي ليبدأ هو الآخر

– أترغب بالسكن في أبو خروف ؟!

سلامة ونبيل

ما يسميه الفتيان الحب والعلاقات العاطفية بين الطلاب والطالبات والمراهقين والمراهقات شائع في حي أبو خروف ، فقد تجد طالبا له عدد من الحبيبات والرفيقات ، والغريب أن أكثرهن يعرفن كذبه وخداعه ، ويزعمون أنهن يتسلون ويلهون ، وبعض الزيجات كانت تحصل بسب غلطة جنسية بين شاب وشابة ، فيوضع الأهل تحت الأمر الواقع للتغطية على الفضيحة ، فيتم زواجهما بحكم القانون والستر ولملمة الفضيحة ، وهذه الزيجات قد تنجح وأكثرها يفشل وتحدث بسببها المآسي وآلام .

كان سلامة شابا متعلقا بفتاة اسمها ريانة ، وقصة غرامهما شائعة ، الكبار متضايقون منها والصغار معجبون بها ، وكان بعض رفاق سلامة يحذرونه من كشف أمره من قبل أخ الفتاة الكبير المتزوج ، فقد يتعرض للأذى أو القتل ، فلا يكترث لتحذيرهم ، ويجيب باستخفاف أن أهلها يعلمون بحبهما الجارف لبعضهما ، يكون جالسا في ساحة من ساحات بنايات أبو خروف فتأتي فتاته متلثمة بكوفية ،وتأخذ بيده ويبتعدان عن الشباب ،وقد ألقت السلام على الشباب دون حياء ، وتأخذه أمام أنظار الجميع ، وربما يكون أقارب لها مع الساهرين فيصيبهم الخجل والوجوم ، ويذهب الشابان جهة مخيم عودة الأمل ، حيث توجد ساحات خالية يحلو للعشاق الجلوس فيها أو جهة جبل أبو خروف حيث يقل العمران ، فيجلسان على صخرة يتناجيان بالحب والأوهام ، وهو مشهد مكرر للفتيان ، وليس هو أول عاشق في الحي ، بل هناك شارع يسمونه شارع الغرام ، خاصة بعد خروج الطالبات من المدرسة الثانوية التي هي بين أبو خروف وحي النجمة ، أبو خروف فيه مدرسة إناث أساسية واحدة للحكومة ، وأخرى للذكور ، وفيه مدارس أهلية لمرحلة ما قبل المدرسة رياض الأطفال ومدارس للمرحلة الأساسية

سلامة العاشق ترك المدرسة منذ عهد قريب ، والتحق بصحة الجيش ، ويعمل في أحد المشافي العسكرية كممرض ، وريانة فشلت في المدرسة وتركتها ، وكانت مغرمة بالسيد سلامة ، ولم تكن الفتاة الوحيدة في حياته ؛ ولكنها أكثرهن معرفة وشهرة في الحي ، وريانة فتاة تنتظر زوج

الغد الواعد كأي أنثى ، ابتعد الشابان عن أعين الناظرين من رفاق الحي أو ما يقع بين شارع القمر والعصفور وهما يمشيان جهة جبل أبو خروف حيث صخرتها الخالدة كما يدعيان قالت ريانة: ماذا سمعت عن طفل الحديقة ؟ يقولون إن الطفل للمرأة نزيلة البيت ..إنها اتخذت عشيقا بسبب غياب زوجها

تبسم سلامة وقال: ولماذا تتخلص منه ما دام لها زوج ؟ لماذا حملت أصلا ؟ أتذكرين قبل سنوات وجدوا طفلا ميتا ؟

قالت : لم يكن من فتيات الحي ، قالوا : إن شخصا ألقاه من شباك سيارة يركبها ، فمات من الضربة والسقوط على أرض الشارع القاسية .. أراد أن يقذفه ليقع في صندق القمامة الكبير فجاء بجوارها وأن أحدهم شاهده

– نعم ، شاهده أحد السكارى العائدين من حانات وخمارات وسط المدينة .

– ولم تكن الزانية من أهالي الحي ، وهذا الوليد وجد في الحي وهو حي .. أيعقل أن يأتي أحدهم من بعيد ليطرح الطفل في أبو خروف ؟ المرأة من أبو خروف ، متى ستعرف الشرطة أمه؟!

– وهل يعقل أن تكون أمه المرأة زوج آل ظبي وتلقيه في بيتها ؟! وهي تعلم أن الشرطة ستعرف بوجوده وتحقق في أمره .. هل كانت تظن أن تربيه بعد كشف أمره ؟ أنا لا اعتقد أن لها علاقة به .. لو كان لها عشيق كما يشاع في حيينا العجيب لعرفه أهل الحي .. الحي لا ينام مقهى مهران يغلق نصف الليل بحكم القانون ، ويفتح مع صلاة الفجر ..لا علاقة لحينا بهذا المولود .. فعل هذا لتضليل الشرطة ، قد يكون الجاني على معرفة بالبيت لظرف ما .. وأنا أرى أن الذي ترك الطفل رجل ، إما والد الطفل أو والد الفتاة ، لم يستطع قتله فتخلص منه ، فهو من صلبه أو الأم لم تستسهل قتله ؛ لكن امرأة في حالة ولادة من الصعب أن تأتي وتتركه في الحديقة ، وكان بعيدا عن السور وعن البوابة ، لابد من اقتحام المكان كان قرب جدار البيت .. أم والدة تدخل وتفعل ذلك صعب ، والمولود ابن ليلة أو أقل من ليلة ، ولد وجيء به للمكان ، وضع الطفل بعناية ورفق ، لم يرم كجيفة ، وكانت الأعشاب جافة ؛ لذلك لما قفز الفتيان على السور سمعوا بكائه

ورأوا الجاكيت .. ربما أن الفتاة حملت به سفاحا لترغم العشيق على الزواج منها ، ثم لم يتيسر الأمر أمامها ، فأرادوا التخلص منه لصعوبة زواجهما تحت أي ظرف أو أن أهله أو أهلها رفضوا هذا الزواج بهذه الطريقة البشعة

- وكيف اخفوا الحمل لتسعة شهور ؟ .. الحمل ليس يوما أو شهرا .. وانتفاخ البطن ألا ينتفخ بطن المرأة في الشهور الأخيرة من الحمل ؟! بعضهم زعم أن أم الطفل قريبة للمرأة هذه وتعيش في حي برغوث ، وهو حي بعيد عنا .. يقطع كل الأحياء ليصل حيّنا.. ألم يجد في طريقه مكانا لرمي الطفل ؟ المرأة لها علاقة بالطفل

قال : لو كانت أمه ما استعجلت الاتصال بالشرطة، فصحتها لم تدل على أنها في حالة ولادة كما رآها عم سكر وهي تروي للشرطي القصة .. فاختيار الموقع يثير الحيرة والدهشة أم أن شخصا يريد إثارة الريب والشك حول سيدة المنزل .. رجل حاول إغواءها وفشل فيريد الإساءة إليها بفعلته .. فالمرأة من النساء الثقيلات .. الانتقام وراء وجوده هنا ، يريد تشويه سمعتها .. هل تصبر الأم على فقد وليدها ما دامت قد رضيت له الحياة؟!

ردت ريانة: أنا شككت أيضاً في فتاة أخرى من بنات الحي كانت حاملا منذ أشهر ، وهي غير متزوجة ؛ ولكنها كما علمت لم تضع لم تلد بعد ، ما زالت حاملا ، ثم علمت أنها متزوجة سرا من رجل تزوجها على امرأته دون علم الأولى ، فذهب ظني لما سمعت الخبر للوهلة الأولى إليها ، وكنت مخطئة في ظني .. فرحت أشك في زوجة آل ظبي

- وكيف عرفت أنها متزوجة سرا ؟

- لما انتشر الخبر ، تحدث النساء والبنات فألقيت حجري في وسط البركة ، فقالت أم شفيق : أنا اعرفها وهي حامل فعلا ؛ ولكن لها زوج ، وأهلها يعرفون ذلك ، والرجل تزوجها خفية عن امرأته الأولى التي لا تنجب ، فلما تلد المولود سيظهر لها الأمر ، فهي ابنة عمه إما أن تقبل بالبقاء معه ، وإما ينفصلان .. له أكثر من عشر سنوات دون ذرية ، وهي ترفض زواجه عليها ، وأهلهما يرفضون الطلاق والزواج .. فلجأ إلى هذه الحيلة والأمر الواقع

- للناس فنون في الزواج.. وأهله سيقبلون عندما يرون الوليد ، وأن العقم من ابنتهم

كانت والدة ريانة تجلس وأم صلاح جارتها في صالون البيت ، وأبو ريانة يجلس قريبا منهن متمددا على فراشه ، وكسائر عائلات الحي جل حديثهم تلك الأيام عن طفل آل ظبي ، فسمع الرجل المرأة تهمس لأم غازي أم ريانة : أسمعت أن ابنة أم جلال غائبة عن الحي من قبل ظهور طفل حديقة آل ظبي ؟!

- سمعنا من الداية أم صبحي أنها ذهبت لقضاء عدة أيام في بيت أختها التي ستلد خلال أيام

فقالت أم صلاح: هذا قيل في الأول ، أما اليوم فيقال غير ذلك

وضعت أم غازي كأس شاي أمام أم صلاح وسألت: وماذا يقال اليوم؟!

- يقال إنها هي ذهبت لتلد عند أختها

- أكانت حاملا من غير زواج ؟!

- أحد الشبان ضحك عليها ، ونال هدفه منها ولم يتزوجها ، ولم تسقط الحمل لمزيد من الضغط عليه

- ولماذا وضعته عند آل ظبي إذا كان هذا الكلام صحيحا ؟!

قالت أم صلاح بشك وريبة : لا أحد يعرف السبب لحتى الآن ، ويقال إن الشاب لما علم بذلك الحبل والولادة جاءهم عند الفجر ، وأخذ الطفل ، وهو الذي تركه في الحديقة خاف أن يقتله لأن قتله بعد الحياة يعتبر جريمة كبرى ، وقد يعدم أمام القانون

قالت أم غازي متشككة : رأيتها كذا مرة ، لم يكن يظهر عليها حمل يا أم صلاح .. وهل الحمل يخفى علينا نحن العجائز ؟

- لقد كانت تلبس ملابس فضفاضة واسعة .. أنا كنت استغرب لبسها لمثل هذه الثياب تلك الأيام .. فهمت القصد من لبسها لتخفي بطنها عن العيون ..والبكرية كما تعلمين لا يظهر الانتفاخ عليها بشكل كبير

- عجيب ! وما هو موقف أبيها وأخوتها منها ؟!

قالت جازمة : الرجال لا يرون ولا ينتبهون لهذا في الغالب .. فهل يجرؤ أحد أن يسألها عن سبب انتفاخ بطن أختهم ؟ سيعزونه لمرض ، وخاصة إذا قامت الأم بالتستر على ابنتها خشية الفضيحة والسمعة

- معقول منال متورطة ! ومن هو هذا الشاب الذي غرر بها ؟!

قالت : سمعت أنه ابن خالها يقال له سليم

قالت أم غازي استغرابا : اعرفه أنه شاب محترم ، كثير الود لعمته أم جلال .. أيعقل أن تورط معها بهذا العمل المفضوح؟!

- ياما تحت السواهي دواهي كان يأتيهم بحجة بر عمته وصلتها ، فكان العاشق القادر أن يخادعها

- ولماذا لم يتزوجها لما افتضح الطابق؟!

- سمعت أنه رفض هذه الطريقة للزواج ، ويشك في هذا الطفل هل هو منه أم من غيره ؟ قال لعمته كما سمعت التي تسلم نفسها لحبيبها قد تفعل ذلك مع الحبيب الآخر

زاد الاستغراب من كلام أم صلاح : الله اكبر ! يتهمها بحب غيره .. هذا صعب التصديق يا أم صلاح .. نحن لا نعرف عنها إلا خيرا .. أتجن بهذه السرعة ؟!

- اتهمها بأنها تعرف ابن أبي رايق الطباخ

قالت أم غازي: سمعنا عن هذه العلاقة منذ أيام المدرسة قبل سنوات .. فالبنت تركت المدرسة واستقرت في البيت ، ولم نسمع عن صحبة ابن أبي رائق لها

- هذا يا أختي ما قاله سليم ابن خالها للذين نقلوا لي الكلام

قالت : وأمها سترت عليها أمام إخوتها وأبيها العم ماجد

- هذا ما سمعته ، وها هي أم جلال لم تخرج من البيت من أيام بسبب ذلك ، وتقضي وقتها بالبكاء والندم ، وزوجها يحاول ترقيع الأمر مع والد سليم

- يعني كلامك أن المنال ذهبت ترعى أختها كذب ، وتابعت وهي غير مصدقة : ولكن أختها

يا أم صلاح كانت حاملا بحق ، ولما كانت تدخل بيت أهلها نرى كرشها أمامها واضحا للعيان .

فقال أبو غازي معقبا على ما تبادلت المرأتان من الإشاعات : لن يهدأ للناس بال ، وستزيد الإشاعات والتهم حتى تكشف الحكومة عن أسرة الطفل الأم الجانية على الأقل

قالت أم صلاح: هل صحيح أن ريانة ستتزوج يا أم غازي؟!

- نعم ، صحيح تقدم إليها شاب من المخيم ، ونحن قبلنا وهي ما زالت تمانع وتتعذر .. وخلال يومين ستحسم الأمر

- لعلها ما زالت تتعلق بسلامة

- قلنا لها إذا أراد سلامة نكاحها فليتقدم لطلب يدها مثل الناس ، أما الحب والقصص الفارغة فهذا كلام فارغ .. البنت لازم تتزوج .. وسلامة رجل طفران يحب اللهو والصياعة والبيوت يا أم صلاح لها أبواب .. لو صحيح يحبها فليتفضل

كانت عيادة صحة أبو خروف مشغولة أيضاً بطفل الحديقة ، فكانت مجموعة من المراجعات والمريضات يجلسن في قاعة الانتظار للدخول على الأطباء ، وكانت موظفات وممرضات بينهن لتنظيمهن ، وأشهرهن ممرضة اسمها هدى ، فسمعت إحداهن سائلة لها: أحضرت إليك أم الطفل للمراجعة للمعالجة للمتابعة؟!

قالت هدى: نحن لا نعرف أم الطفل ، لو نعرف أم الطفل قد نتذكر مجيئها إلينا يا أم عصفور ، فهذه الوالدة ليست من أهالي أبو خروف والله اعلم ، وعلى الرغم ما نسمع من إشاعات عن بعض الأسر والعائلات فقد ألقي الوليد في حديقة آل ظبي لإثارة البلبلة والإزعاج لأهل الحي أو أن أمه عاشت في الحي ،وتزوجت خارج أبو خروف فهي تعرف الحي

فقالت أم عصفور: الشرطة لم تصل لهذه الأم

- ليس من السهل معرفة أمه ، مئات النساء تلد يوميا ، وهي لم تلد في مستشفى .. ولادة في مستشفى تضيق مجال البحث ، لم نسمع عن مفقود في مستشفيات المدينة .. قد تحدث سرقات

أو استبدال للمواليد في بعض مستشفيات وأقسام المواليد ولكنه ينكشف

قالت أخرى: العجيب يا هدى أنها استمرت في الحمل والحبل ، ثم تركته عند الولادة لماذا القسوة؟!

قالت هدى: لا تريد أن يعلم أهلها بحملها السفاح ، لما يخرج سيبكي سيجوع سترضعه

– قضت تسعة أشهر بينهم ، وهم لا يعرفون أيعقل هذا؟!

– قد يكونون عرفوا ، ولم تهن عليهم جريمة قتل نفس بعد أن حصل الحمل .. قد يكون والداها عميان

ردت معترضة على هذه الحجة : خفيت على الأقارب والجيران تسعة شهور حمل .. أتستطيع المرأة إخفاء ذلك؟!

قالت هدى بحدة : النساء قادرات على فعل ذلك ، وهي ليست أول امرأة تحمل سفاحا .. قصة غامضة يا أخوات .. نحن هنا لا نعرف هذه الأم .. ونحن نتابع العناية بالحوامل من أول الحمل حتى يلدن .. ثم نستمر برعاية الطفل صحيا وتطعيمه المطاعيم الوقائية ، ويكون له سجل موثق فهذه المرأة لم تأت هنا .. والمحير في قصة الوليد هذا لماذا ترك في منزل آل ظبي دون حدائق الآخرين ؟! فهل لهم علاقة بالمولود ؟! سمعنا أن الشرطة عرضوا المرأة على الطب الشرعي وثبت أن لا علاقة بينها وبين الطفل .. وفعلت ذلك لتبعد التهمة عنها أمام زوجها الغائب وأهل البيت والجيران

قالت أم عصفور بعد استماع: إنها امرأة شجاعة ! لقد لاكتها الإشاعات والأقاويل.. بهذا العمل الشجاع أخرست الألسن النمامة

– هذا ما تفوه به الدكتور حاتم أمامنا ، أخذت المرأة إلى الطب الجنائي للفحص الطبي ، وكانت النتيجة أن لا علاقة بيولوجية لها بالمولود ، وسمعتها الآن طاهرة .. وشكوا بامرأة في المخيم الكائن وراء أبو خروف ثم تبين أن المرأة ميتة من عدة أشهر

– ولماذا شكوا فيها؟!

– لا أدري بالضبط ؛ ولكن سمعتها ليست ولابد .. الشرطة تعرف أسرار الناس كما هو معروف .. لها علاقات مشبوهة ، وقد سبق لها أن أسقطت دون زواج رسمي غير متزوجة .. ولما ذهب الشرطة للبحث عنها وجدوها قد ماتت أثر مرض عضال رحمها الله

قالت أم عصفور : مسكين هذا الطفل! سيعيش بدون أم وأهل .. جنوا على المسكين .. سوى العار الذي سيلاحقه .. نحن لسنا أوروبا ، لو فكرت أمه بها فعلت حق التفكير ما سلمت نفسها لرجل قضى شهوته واختفى .. باعت شرفها وعرضها للشيطان

قالت الممرضة: الشهوة والإغراء شديدان يا أم عصفور .. نحن في زمن الإباحية السينما اللباس مواد التجميل والبهرجة.. نحن لا نعرف ظروف المرأة لنحكم

– أي ظروف يا هدى ؟! تخضع للمعاشرة وتقول ظروف ، وربما نام معها الرجل عشرات المرات قبل أن تحمل.. ما ذنب هذا الطفل الآن ؟! كان عليهما أن يتزوجا قبل ولادة الطفل

– ربما أهله أو أهلها رفضوا زواجهما .. والولد سيبقى ابنا غير شرعي

– في القانون شرعي ، وربك غفور رحيم ، فهو سيلعنهم طول الدهر ، وسيكرههم كرها شديدا

– هذا إذا عرفهم ، فهو سيعيش في ملجأ أيتام ، ويعطى اسما اسم أب وهمي وأم كذلك ، ووالداه سيكون عقابهما الدنيوي تبكيت الضمير ، ويوم القيامة أمرهما إلى الله .. حياتهما ستكون مظلمة سوداء .. قاتل الله الشهوة

موظف الفندق

وأثار هذا الحدث موظف الاستقبال في فندق أبو خروف ، فكان الشاب يتحدث مع مدير الفندق قائلا : أتعلم يا أبا موسى أنني أظن أن أم الطفل اللقيط نامت ليلة في هذا الفندق

همس أبو موسى مستفهما مع الدهشة إلى حد ما : كيف ؟! لم أفهم !

- قبل شهرين يا سيد داود جاءت امرأة ، وكانت حاملا ، ونامت ليلة في الفندق ، وبعدما نزلت عندنا جاء شاب يسأل عنها ، فاتصلت بها فنزلت إليه وخرجا من الفندق ، ثم عادا بعد ساعتين ، وحاول البقاء معها في غرفتها ، وهو ليس زوجها ، ولا يمت لها بصلة قرابة ، ولا جواز معه ، ولا هوية يحملها ، فرفضت بكل قوة ، فتطلع فيها في عينيها : وقال: أمر عليك غداً وودعها وانصرف ، فلما انصرف قلت لها: أزوجك هذا؟

قالت بدهشة: زوجي! لا ، ليس زوجي هو صديق زوجي.. زوجي مسافر أنا طبعا استغربت كيف أراد البقاء معها في الغرفة لما سمعت ردها ، فحدقت في عينيها للحظات ، ثم صعدت لغرفتها ، وفي الصباح لم أرها ، فقد كانت دفعت إيجار الليلة مقدما ، أتكون هي المرأة المجهولة أم اللقيط ؟! لم ارتاح لها تلك الأمسية ، ونظاراتها زائغة .. أذكر هذا منذ شاع خبر وجود لقيط آل ظبي .. الفندق أمام البيت لا يفصلنا عنهم إلا الشارع شارع السلام

- وبجوارنا نقطة الشرطة ، وهو ليس أول لقيط يوجد في البلد ، ففي وجود الخادمات الآسيويات تكثر مثل هذه الحوادث

- أبو خروف ما زال بعيدا عنهن ، إنما هن بضع خادمات لبعض الأسر ، ولغتهن العربية سيئة ومن تطرد من بيت مخدومها تبات عندنا

قال أبو موسى : لكن الصحف تنقل قصص الاعتداء عليهنّ جنسيا من مخدوميهن أو أبنائهم ويؤتى بهن من قرى بلادهنّ فلا يعرفن الحماية من الحمل والحبل .. قرويات من سيلان وبنغلادش والفلبين .. وأمام إغراء المال والذهب والشهوة يفرطن بأجسادهن ، فيقعن في الفاحشة ، ويحدث الحمل في لحظة سكر ، ثم تكتشف سيدة الفيلا الأمر فتطردها وتجلب غيرها

وهناك أطباء توليد لا ذمة لديهم ولا دين مقابل مبلغ كبير يولدها .. فالأخلاق في خلل هذه الأيام .. والإباحية تجتاح العالم باسم الحرية والديمقراطية ..ماذا سيتعلم الشباب من هذه المجلات الماجنة ؟ ألم نجد بعضها في غرف الفندق يتركها هؤلاء السياح ؟! تدخل البلد يزعمون سرا ..والأفلام الجنسية المثيرة الغرائز .. الله يحفظنا من الفتن ، حتى من كثر الحكايات الرديئة لم نعد نهتم بسماعها .. لا أذكر أني سمعت قبل عشر سنوات عن جريمة اغتصاب اليوم شاعت هذه الجرائم وما الذي لفت نظرك لهذه الأنثى بعد أسبوع على الحادث؟!

- الذي أثارني عندما جاءت احتجزت غرفة طلبت غرفة بسريرين ، فظننت أن زوجها سيلحق بها ويبيت معها، وقالت : ربما أمكث أسبوعا لديكم ، ثم جاء الشاب وسأل عنها فوقع في قلبي أنه زوجها ؛ ولكنه اخبرني أنه صديق للعائلة ، ثم خرجا للعشاء ، وحاول أن يقضي ليلته في الفندق فأنكر وجود هويته معه ، فاعتذرت له فغادر الفندق واعدا إياها باللقاء غدا ، ثم قالت : إنه صديق زوجها وأن زوجها مسافر ، ولما صعدت أخبرتها بالتلفون إما أن تدفع إيجار السرير الثاني ، أو تنتقل لغرفة بسير واحد ، فحاولت إغرائي بطريق وقحة ، فخرج إليها الحارس أبو جهاد ، ونقلها إلى حجرة مفردة ، فنزلت ودفعت أجرة الليلة وأعلمتني أنها ستغادر بعد الفجر فتركتها على راحتها ، فعرفت أنها غير سوية ، وأنها غير محترمة ، وعرفت أني لست صيدا سهلا فانصرفت باكرا كما اخبرني الحارس ، فلما سمعت بقصة اللقيط أخذت أفكر فيها ، ربما تكون هي ، فقد كانت منفوخة البطن عندما نامت ليلة هنا ، ووضعه في حديقة آل ظبي هو الشيء غير المفهوم إلا إذا وضع صدفة أو تحت ضغط طارئ

- لم تعد تلك الصبية ، ولم تكن من أهالي أبو خروف

- لم أرها بعد ذلك المساء ، ولا أظنها من أهالي الحي ، مع أني لست من سكان أبو خروف ؛ لكن لي سنوات أعمل معكم أنت والعم محمود حسن

قال أبو موسى : الحق أن هذا الطفل ليس من أبو خروف ، فكتم السر لأسبوع هنا صعب والفضائح رائحتها تفيح بسرعة ، وحدث كهذا هل يخفى عليهم ؟ لا أعنى أن أهل أبو خروف

كلهم أشراف ، فيهم الصالح وفيهم الطالح .. وبنية المجتمعات العربية اهتزت .. والتقليد الأعمى دارج لدينا .. والمدينة من زمان وهي تستقبل الحداثة والتطور والمدنية .. والفسق فيها أكثر من الريف والقرى، فنكاد نسمع كل يوم عن حوادث القتل وهتك الأعراض والمشاجرات وضرب السكاكين .. وهذا أول مولود يوجد حيا في الحي .. سمعنا عن وجود طفل وليد ميت وسمعنا عن بعض النساء أجهضن وأسقطن .. أما لقيط فهذه أول مرة ..والفاجرات معروفات للناس وعادة يتجنبن الحمل .. سمعنا عن بعض الرجال الفجرة يتسللون إلى بيوت الساقطات سمعنا عن زيجات تحت ضغط الفجور .. أغلب الزانيات يقتلن أولادهن إذا لم ينجح الإجهاض فتربية ولد أمر صعب وفضيحة مدوية في مجتمع شرقي . قال مستفهما: هل أحدث الشرطة بهذا الحادثة ؟

– وماذا ستفعل الشرطة وقد عجزوا عن معرفة أمه لهذه اللحظة؟!

– لعل وعسى يا أبا موسى ساعدهم اسمها كما نقلته عن بطاقتها الشخصية .. فهو موجود في سجلات الفندق .. قد تكون أم هذا الطفل المسكين

– وقد لا تكون ، وإنما جاءت لتمارس البغاء في فندق شعبي مأوى الغرباء .. وهي تعلم أن هذا مرفوض في الفنادق ، وربما اعتقدت أن بعد فندقنا عن وسط المدينة سيسهل عليهم الأمر وقد يكون لها علاقة بترويج المخدرات

– إذن علينا الانتظار

قال السيد أبو موسى : هذا الصواب

– نعم ، هذا ما يراه مدير الفندق

– نعم ، هذا ما يراه مدير الفندق .. امرأة نامت ليلة ودفعت أجرتها نتهمها بأنها أم طفل حديقة آل ظبي بدون بينة

خطيب فاطمة

ليلا استقبلت أسرة شوكت خطيب ابنتهم فاطمة ، وكان السيد شوكت هذه المرة في البيت ، عاد من العمل متأخرا وكسل عن صلاة المغرب في الجامع ـ فهو عادة يصلي المغرب والعشاء في الجامع ، ويسهر على المقهى ساعة زمان ، ثم ينصرف لبيته ـ فلم يخرج تلك الليلة للجامع ووجدهم يأكلون البطيخ المثلج فغسل يديه ، وشاركهم في أكل البطيخ والجبن المالح الأبيض وأجاب عن أسئلة خاله عن حال أمه وأبيه وأسرته ، إما بالحمد لله ، وإما بهز الرأس بالإيجاب ولما غسلوا أيديهم وأفواههم من أكل البطيخ عادوا للجلوس في صالون الشقة ، صافح خاله وامرأة خاله وخطيبته ، وحيا بنات الخال زينب وبثينة ، وتحدثوا عن الإيجارات والشقق فقد قرب موعد الزواج ، فعادة الشباب يحتفلون في ذلك العهد بزواجهم في تموز وآب ومع عودة المغتربين في دول الخليج ، وهذا التقليد متوارث ؛ لأن أغلب سكان المدينة جاءوا من القرى والأرياف ، وهؤلاء كان موسم احتفالاتهم بالزواج والطهور للفتيان في أشهر الصيف ، حيث يحلو السهر والمبيت في الخيام والعراء والغناء ، ويكون موسم الحصاد للقمح والشعير قد انتهى وتوفرت الأموال بين أيديهم ، فيشترون الثياب أو يدفعون ثمنها للتجار ، واشتروا الذبائح التي ستقدم للضيوف والمدعوين ، وانتقلت هذه العادات معهم للمدينة مع أن أغلبهم لا يزرع ولا يفلح .. الدقيق يستورد من بلدان العالم شرقا وغربا ، ومع هجرة أبناء الأسر للعمل في دول الخليج العربي الناشئة حديثاً سوى السعودية فيعودون بالأموال والاحتفال بالزواج .. وقد يحصل الزواج في غير الصيف أمام ضغط حادثة طارئة أو ظرف قاهر .. فالزواج في الإسلام غير مربوط بزمن معين .. جائز في كل الشهور إلا في حالة تلبس المرء بالإحرام بالحج أو العمرة حتى يحل ، ولما انتهى الحديث عن الشقق والإيجار قال جميل وهو يبتسم : أعندكم خبر جديد عن لقيط آل ظبي كما تسمونه؟!

فقالت أم فاطمة: يبدو أن جميلا يحمل إلينا خبرا جديدا هات ما عندك؟

كرر التبسم وقال: امرأة خالي تفهم عليّ بسرعة ، سمعت زيادا قبل أيام يقول لي : أتذكر طفل

أبو خروف طفل الحديقة ؟ قلت : نعم قال : الشرطة قبضت على امرأة يشتبهون بأنها أم الطفل ويجرون عليها الفحوصات اللازمة ؛ ولكنها تنكر علاقتها بأي مولود ، وتزعم أنها محترمة

قال شوكت بفضول ولهفة: وكيف اتهمتها الشرطة؟!

عاود الضحك وقال : نفس السؤال سألته لزياد فقال : إخبارية من مجهول ، وزعم لهم علمه بذلك ، وأعطاهم عنوانها ومكان سكنها ، ولما رفضت الإقرار بجريمتها سيجري عليها الفحص الطبي الشرعي

بعد صمت قصير قال شوكت: هل تعلم يا جميل أن عامل فندق أبو خروف فندق الدوار أو الأنوار يزعم أنه استقبل امرأة حاملا منذ شهرين ؟ وذكر قصة عامل الفندق وتلك المرأة .

فقال جميل: ما علاقة الحبل بالطفل؟! النساء طول عمرهن يحبلن ، وهنّ لماذا خلقن؟! والتي لا تحبل لا تترك طبيبا ولا حجابا إلا وتتردد عليه من أجل هذه الوظيفة العظيمة

– يقصد الشاب أنها امرأة غير مستقيمة ، حاولت إدخال شاب غريب عنها لحجرتها حيث حجزت تختين وهي واحدة ، وحاولت إغراء الموظف لينام معها ، فيشك أنها هي أم الوليد المجهول الأم .. والشاب صاحبها رفض إظهار هويته أو حتى التعريف بنفسه فاعتقد الشاب أنها تحمل سفاحا ، ولما فشلت في إغرائه تركت الفندق مع أول الفجر قبل أن يرجع العامل لعمله في السابعة صباحا

– ممكن ! وضع غير طبيعي ، امرأة بنت هوى ، هل جاءت تتعرف على المكان تلك الليلة ؟! الأماكن كثيرة

– احتمال أنها صعدت للسطح ونظرت المكان

– ولماذا بيت آل ظبي يا خالي؟! هذا هو السؤال ..على كل حال سيتابع زياد تلك المرأة المقبوض عليها المتهمة من قبل مجهول

قالت فاطمة: وكيف صدقت الشرطة تلك المكالمة من مجهول متهما تلك المرأة؟!

– الشرطة يا فاطمة لا تصدق كل اتهام ، وفي نفس الوقت لا تهمل أي إخبارية ، أحيانا يكشف

اللصوص أوراقهم لأسباب متعددة ، فيفسدون عن بعضهم للشرطة ، ولا يحبون أن يظهروا أمام القضاة على منصة الشهود ، وكذلك القتلة والمهربون يوقعون بعضهم بعضا ، فيعمل الشرطة على التأكد منها بطرقهم الأمنية والشرطية ؛ فإذا كان المشتبه به صاحب سوابق يتعاملون معه بمعرفتهم ، وإن لم يكن له سجل عندهم يتحرون عنه بسرية كاملة.. والشرطة يا خال يستطيعون بخبرتهم وتعاملهم المباشر مع الناس التمييز بين الإخبارية الحقيقية والوهمية .. والرجل ذكر لهم عنوانها ومكان سكنها وسبب الاتهام .. واخبرني زياد أنهم فعلا وجدوا المرأة سيئة السمعة ، وقد تحمل سفاحا ، ويرتاد الزناة بيتها ، ولها معرفة بشرطة الآداب ، والدولة تمنع أولئك البغايا ؛ لأن للدعارة أوكار خاصة ، تتعرض نساؤها للفحوصات الدورية خشية نقل الأمراض الجنسية للزبائن ؛ ولكن الدولة لا تستطيع منع ذلك باستمرار .. أماكن الفسق معروفة لأصحابها وهذا باسم السياحة .. والفنادق المسموح لها بعرض بنات الهوى معروفة للسياح ، بل سمعت أنهن يعطين رخصا للعمل في النوادي الليلة والبارات والحانات

قال شوكت مستغربا : وهل في البلد مثل هذا؟

– أغلب بلدان العالم فيها ، وربما بعض الدول العربية والإسلامية تخلو من ذلك رسميا ؛ ولكنه موجود ..واعتقد أنه متابع من مؤسسات معينة ، كما يسمحون ببيع الخمور .. فلماذا لا يسمحون بالنساء الفاجرات ؟ .. وهناك كما أسمع نوادي ليلية .. فماذا يحصل فيها غناء رقص خمر ؟ فالسياحة تحتاج لهذه المقبلات .. وللدعارة شركات عالمية تديرها تسمى تجارة الرقيق الأبيض ؛ إنما في الدول العربية لأضيق حد .. في تركيا الحديثة العلمانية تعرض الحسناوات على شكل كتالوج على رواد الفنادق .. وذلك على ذمة من ذهبوا للدراسة في تركيا .. مثلهم مثل أوروبا .. هناك محترفات للرقص والغناء .. والدعارة شيء مقرف بالنسبة لنا

– أنا أول مرة أعرف بمثل هذا !

– ما دام يا خال الخمور تباع علنا لدعم الاقتصاد .. والدخان يباع لدعم الاقتصاد .. فلم لا يكون دعارة لدعم الاقتصاد .. والمراقص والمعازف مأذون بها .. نعوذ بالله من غضبه .. أسمع

أن بيروت العربية كل هذه الأشياء فيها مشروعة بالقانون

- هناك أناس لا تحب الطهر والعفة .. ألم يتحدث القرآن عن قوم لوط ووصفهم للمؤمنين بأنهم أناس يتطهرون ؟

- وذاك في غابر الزمان زمن سيدنا إبراهيم عليه السلام .. فكيف اليوم والدول لا يحكمها دين ولا أخلاق ؟! اللهم استر علينا

- أناس لا يحبون الزواج والارتباط به .. يريدون النساء والجنس وبنات الهوى ، هذا نسمع عنه في المدن الكبرى في أمريكا أم العالم ..معك حق يا ابن أختي !



الاشتباه الجديد

كان سلامة في مجلس بين جمهرة من رفاقه وعصابته من شبان الحي الذي يسكنون فيه من شوارع أبو خروف ، وأغلبهم يدخنون السجائر ، وبعضهم يتحدث همسا مع جاره ، وكان سلامة يتمشى أمامهم بغضب وضيق فقال أحدهم: اجلس منذ جئنا وأنت تمشى كأن الدنيا هدمت فوق رأسك ؛ لعلك حزين بعد زواج ريانة .. أنا كنت أظن أنك ستتزوجها وتتحدى الجميع أمك ترفض وأخوك الكبير يرفض

التفت سلامة بسخط واحتجاج للمتكلم معه ، وحتى أن الجميع خيم عليه الصمت والترقب ، فقد كان في وجدانهم جميعهم أن سلامة سيعقد زواجه على ريانة ، ما كانوا يظنون أن أحدا غير سلامة سيدخل عليها ، فقصة حبهم سطرت على شوارع الحي وأشجاره ، وسلامة يعمل ومعه المال ، تزوجت ريانة ورحلت عن الحي ، ومن يومها لم يعرفوا رد سلامة إلا الصمت ، وها هو أحدهم يواجهه بكلام صريح ، لم يرد سلامة لزم الصمت ، فعاد الشخص السائل يقول: إني حزين من أجلك يا سلامة .. أهلك رفضوا زواجك منها ، أخوك الكبير أصر على الرفض ، هو تحدث أمام البعض منا فقال : زواج بهذه الصورة غير سليم ولا يدوم

فصاح أحدهم: لا ، هذا كلام غير صحيح .. سلامة كانت ريانة إحدى حبيباته ، وسلامة لم يكن هو مستعدا للزواج في هذه الفترة .. هو محب أكثر لفتاة المخيم ..أنا أعرف أخي سلامة طمأن الشباب يا سلامة .. اعترف لهم بالحقيقة أن فتياتك كثر .. سمعتك في الحي ستتأثر .. دافع عن حبك يا سلامة ألست بطل المحبين والعاشقين ؟!

قال شاب: البنات في حينا أكثر من الشباب .. أنا قابلت من أيام شابا وفتاة صدفة ، وهم تفاجأوا بي ..كنت أظن أنه لا يعرف البنات ولا يسير معهن نهائيا ..لا هم لشبابنا إلا الهوى والغرام حتى أن أحدهم رمى ثمرة غرامه وفاحشته في حينا ؛ ليزيد من سمعة الحي بالفساد واللقطاء .. يزعمون أن الطفل من خارج الحي ، وهم ينسون كم من الفسق في الحي أتحبون أن أذكر أسماء فقال شاب آخر : لا داعي لفعل ذلك .. الخير موجود .. والجامع فيه الشيوخ من الشباب

والفتيان وشباب الأحزاب الدينية ، والفساد والشرور موجود .. زرغير أبو خروف وستسمع البلايا والرزايا .. على الشاعر عاطف أن يتحفنا بقصيدة عن محبوباته وغزلياته .. ما آخر الأشعار يا حضرة الشاعر الولهان؟

فاحتج آخر : ولماذا الشعر ؟! الكلام الثقيل فليتحدث إلينا الراوي العتيد سيد نبيل عن آخر القصص التي قرأها أو ليحدثنا من قصص الهلالية قصة ذياب ولد غانم والفرس الخضرا والعبد الأسود ، أو قصة الأمير مغامس والعبد الأسود ..هذه قصص جميلة تدخل المخ .. دعنا من معشوقات عاطف أفندي

قال نبيل: نسمع الشعر أولا ، لا ترتاح نفسي اليوم للقص .. أنا حزين من عدم رد سلامة وخذله لمحبوبته التي قتلنا غزلا وولها بها ، ثم عند الجد خذلها ، وتخلى عنها لتنام في حضن وفراش رجل آخر

قال ابن عم سلامة: يا إخوان دعوا سلامة في حاله وحزنه ، كان سلامة قادرا على الزواج .. إنما أهلها رفضوه ، وأهل سلامة رفضوا ، وأمام رفض الطرفين ماذا يفعل سلامة؟! يخطفها ويهرب كما يفعل بعض المراهقين بزعم الحب الجارف العاصف ..تنازل عنها ، وهو لم يكن يخطط للزواج منها ففتاة المخيم يهواها أكثر صدقوا كلامي .. دعوا سلامة في حاله وماله ، ولنتكلم عن مباراة كرة القدم التي سنخوضها مع فريق حي النجمة .. هل تعلمون أن زينا يعد لإنشاء نادي كرة قدم نادي شعبي .. وقد عقد عدة لقاءات مع بعض شباب أبو خروف عشاق كرة القدم .. ستقوم البلدية بعمل مباريات شعبية لفرق الأحياء والحارات

قال نبيل: حدثت بذلك من أيام ، وأخذت الأمر على سخرية ومزح .. شاهد حدثني بذلك حدثت ضحكة جماعية وقال صبحي : شاهد يا أبا الشباب هو وراء المشروع .. علينا أن ننظم نشاطنا الرياضي وإذا تقدمنا في المباريات الشعبية سندخل للدرجة الثالثة من نشاط كرة القدم على مستوى القطر كله .. وسنكون ضمن الاتحاد الرسمي للكورة .. كلامي جدي أيها الشباب.. فلندع البنات في خدروهن ومدارسهنّ ، ونستعد لإنشاء الفريق والنادي بشكل

حقيقي

واختلط الحديث حول هذا النادي الشعبي نادي كرة القدم ، فشباب أبو خروف يمارسون الكثير من الرياضات في ساحة مدرسة النعمان وغيرها من المدارس الكبيرة والساحات الخالية من السكان .

الناس تتلقف الشائعات كأنها كنوز سقطت من السماء ، انتشرت شائعة في أبو خروف مفادها أن امرأة ولدت طفلا ، وماتت في النفاس ، وقام ذوو المولود بالتخلص من الطفل المجهول الأب وأن الشرطة تحقق في الحادثة .. وهل لها علاقة بطفل حديقة آل ظبي ؟ فقد تحدثت الداية القابلة التي ولدت الفتاة الميتة لبعض الجيران ، ووصل الخبر للمباحث السرية واستدعت ذوي المرأة للمساءلة .

وكانت أم غازي تناقش هذا الأمر مع جارتها أم صلاح فقالت: أنا أعرف هذه الداية الحاجة عيشة ، وبينها وبين أمي طرف قرابة ، هم قالوا إن زوج الفتاة ميت ، قالوا لها كما أخبرت عيشة إحدى البنات اللواتي يعشن في حي المجد ، ثم علمت بعد وفاة الوالدة بضياع الطفل وأن الأم لم تكن ذات بعل ، وأنها دعيت للقيام بعملية الولادة كما تدعى لفعل ذلك من عشرات السنين لم تفكر بأن الفتاة التي قامت بتوليدها لم تكن متزوجة ، وأنها حملت خارج الزواج ،وذكرت أن والد الفتاة دخل غرفة الولادة وقبل أن تحممه قال: يا أم محمد نحن سنحممه ونملحه . وكانت المرأة الوالدة تنازع فقلت لهم : يجب إحضار طبيب لها ونقلها للمستشفى ، الفتاة صحتها متدهورة ، وكان عليهم توليدها في المستشفى ، وقالت استدعيت لتوليدها وهي تلد ، وقد خرج ماء الرأس كله قالت : فأعطيتهم إياه بغضب ، وأخذت أجرتي وقال والدها على مسمعها: سننقلها للمستشفى ؛ ولكنها ماتت قبل نقلها للمستشفى.. أسبوع عاشت بعد الولادة .. احضروا لها الطبيب العام ، ونصحهم مثلي بطلب الإسعاف لها لكن اهملوها ورأوا أن لا فائدة من علاجها ، ولما علمت بموتها وفقدان الطفل ، وعرفت بأنها بغير زوج شكت بأنها أم طفل أبو خروف

- ولماذا رموه في حي أبو خروف ؟!

- لحتى الآن لا أحد يعلم السر والسبب ، ربما الجاني والذي كلف بالتخلص من الرضيع لم ترتاح نفسه لقتله فتركه في الحديقة ؛ لكن الدخول للحديقة والبيت ليلا ليس سهلا حتى لو كانت بوابة المنزل مفتوحة يا أم صلاح ، ولو ألقاه رميا لمات الولد فهو ابن ليلة أو ليال ، فقد وجد بعيدا عن السور قرب جدار البيت وتحت شجرة .. فهذا فعل من يعرف الدار ، ثم فجاءة غيرت الحديث قائلة: هل علمت يا أم صلاح أن بنت أم جلال قد عادت التي شككت فيها؟!

- كانت مسافرة يا أختي إلى فلسطين إلى بلدها عند اليهود ، لها خالة تعيش هناك ، وزارت بيت المقدس .. الناس لا أحد يسلم من شرها

- نحن ظلمنا الست وتوهمنا أنها حامل سرا

قالت أم صلاح : الشيطان جعلنا نصدق الأوهام ، وضحك علينا ، لعنه الله حتى أن أمها زعلت علينا بما اتهمنا ابنتها من سوء الأخلاق .. فبينت لها عذرنا ، وإنما رددنا كلاما كما سمعناه

- ومن قال لها ذلك؟!

- النسوان كما تعلمين ألسنتهن لا تسكت عن القيل والقال ، ورجعت من البلد مسرورة ، فقد ذهبت للسلام عليها وسماع أخبار البلد وأهل فلسطين وكيف حياتهم مع اليهود ؟

قالت أم غازي مبدية أسفها : أنا يومها لولا معزتك عندي ما صدقت ؛ لعلك تذكرين ذلك .. نعوذ بالله من شر إبليس اللعين ، ومن زلات اللسان .. نحن منذ وجد هذا اللقيط في الحي ونحن نترصد أخباره ، ومشتاقون لمعرفة أهله كأنه لا يوجد لقيط في الدنيا إلا هو مع سماعنا لكثير من القصص .. فلانة فجرت مع فلان ، وفلانة رآها ناس تخرج من بيت فلان و و و اللهم غفرانك

- كيف ريانة بعد الزواج ؟ كل الجيران كانوا يتوقعون نكاحها من السيد سلامة

- سلامة جبان طفران عمره ما بتزوج ..نحن عرضنا المساعدة والتساهل معه رحمة بالبنت المتعلقة به .. أرسلت لأمه بعض الشفعاء ، فعادوا إلينا يا أم صلاح بأقذع الألفاظ وأقبحها

واتهامات وسرقة الشاب .. نحن من أجل خاطر البنت بهدلنا حالنا .. نحن نعرفه هاملا ؛ لكن البنت تراه فارسا

- كيف هي الآن ؟

- بخير وأحسن زوج .. والله هو الستير

- الله يبارك لها فيه ، ويرزقها الذرية الصالحة ، ولما تريها سلمي لي عليها السلام الحار من القلب فسلامة شاب فاسد ، سمعته في الحضيض ، شاب ضائع تائه خائن يا أم غازي ..كان يضحك على ريانة .. لكن الحب أعمى كما يقولون .. تعلقت به المسكينة الحمد لله ربنا أنقذها منه .. فابني عامر يذكر أن له عشرات الصواحب من أحياء مختلفة وغير مخلص لأي واحدة منهن ، لا أدري كيف يتعلقن به؟!

- البنات ضعيفات العقل، ابتسامة تظنها صادقة، وليست مخادعة ، تكلمت معها كثيرا عن سوء أخلاقه وفساده ، ونعود للقول الحب أعمى ، وهنّ أيضاً يحببن اللهو والتسلية مع الشباب وتظن الفتاة أنها تعرفت على فارس الأحلام ، ثم تكتشف أنها ضحية من ضحاياه وأن كلامه خداع في خداع ، تعلقت به بقوة رغم ممانعتنا ، ورفضنا لزواج بما يسمونه حبا ..كلمة حب لها سحرها على الفتيات الساذجات ، فيجعلون الحب معركة وصراعا .. سلامة خائن خائن نعرف هذا ، فلو كان جادا لأسرع بالزواج منها ، وقد مهدنا الطريق له، وسهلنا الأمر .. أهله اعتبروا تهاوننّا ضعفا وجبنا وسترا على البنت .. ونحن فعلنا ذلك لتعرف أننا معها وليس ضدها ، وأن الذي تاجرت به جبانا وخائنا ، وذلك حتى لا يفشل زواجها وتقول زوجتموني رغم أنفي ولشخص لم اعرفه ولم أحبه .. لا نريد أن نترك لها حجة يا أم صلاح حتى إذا حدث بينهم ما يحدث بين الأزواج من مشاكل تتهمنا بإجبارها عليه قلنا لسلامة تقدم بأيسر الأمر دون مال

- الكل سمع بتضحيتكم وتساهلكم .. العجيب أن البعض شك بأن بينهم شيء سيء لا تحمد عقباه .. أما الآن فعليها أن تستحمل ، وتستسلم لقدرها ، وأن لا أمل من الزواج بسلامة الخائن العاجز عن فتح بيت شرعي.

كان المشغولون بلقيط آل ظبي كلما تشاع قضية امرأة مشبوهة للشرطة ، تبدأ الأخبار بإضافة الجديد ، واتهام تلك الأنثى بأنها أم اللقيط ، ذات نهار قبضت الشرطة على امرأة من طائفة الغجر هؤلاء الناس يسكنون في الخيم المتنقلة ، وفي الساحات الفارغة قرب الأحياء والمدن ، وهم منتشرون في طول البلاد وعرضها بل في أنحاء العالم كله ، ويعملون في السمكرة وأعمال الحدادة اليدوية وتصليح بريموسات الكاز والفوانيس ، وعندهم طقوس وعادات غريبة عن عادات سكان المناطق الأصليين ، ومنهم أناس تمدنوا وسكنوا البيوت وتركوا الكار كما يسمونه ، شاع ذلك النهار أن البوليس قبض على امرأة غجرية ، فانتشر خبر أنها هي أم اللقيط ، وأن زوجها رفض الإقرار به ، فطرحته المرأة في حديقة آل ظبي ، ولم يكن الوليد ابن يوم بل ابن عشرة أيام ، والجاكيت الملفوف فيها الطفل شحذتها المرأة الغجرية من إحدى العائلات ، وتخلت عنها لتدفئة الوليد المرفوض من أبيه ، وبعض الغجر من عاداتهم التسول والدخول على البيوت ، ومن ترددها على بيت آل ظبي لطلب الإحسان عرفت الحديقة ، فقد كانت تجلس فيها لتأكل صحن الطبيخ الذي تقدمه أم محمد ظبي لها ، وكان هذا الخبر في عيادة صحة أبو خروف العيادة الشعبية ، يتناقل بين النسوة العاملات والمراجعات ، فكانت واحدة تؤكد أنه غجري ، وشكله شكل أطفال الغجر ، وأن ابنها كان يلعب مع الأطفال الذين وجدوه ، وقال لها إن شكله يوحي بأنه من هذه الطائفة ، وأخرى تؤكد أنه ليس بغجري ،

فقالت أخرى للممرضة هدى: هل هذا الخبر صحيح يا سيدة هدى ؟

قالت هدى باستعراض الخبيرة: هذه الغجرية معروفة لنا ، وكانت تتردد على الصحية هذه للعلاج والشحذة في نفس الوقت ، ولها زوج كان يصحبها في بعض المرات ، ولها أطفال .. لا أعلم لماذا قبضت عليها الشرطة ؟! فلم تكن حاملا لقد كانت هنا من قريب ، لا أعتقد أن لها علاقة بطفل آل ظبي ، ربما تكون هناك سرقة من بيت دخلت تأكل فيه أو تشرب شايا أو مدت يدها على سرقة بقالة

صاحت المرأة الأولى: سرقة ! وكيف قالت أم سلوى النجار أنها أم اللقيط ؟! فهم ينصبون

خيامهم قرب منزلهم ، وتقسم على ذلك ، وزوجها حضر القبض عليها ، وكان يسهر مع زوج الغجرية ، ولما سهرنا عندهم اخبرنا بهذا

فقالت هدى معترضة : هذا كذاب يا أم سرحان ، قبضوا عليها ليس لأنها أم الطفل .. فهذه الطائفة حسب ما نسمع لا يهتمون بالشرف والعار والعيب لهم تصرفات غريبة.. وكيف سيعرف زوجها الأمي الجاهل أن الولد ليس منه ، وهو ينام معها كل ليلة؟ .. هل ستقول له هذا ليس منك ؟ وهي عندها ثلاثة أو أربعة منه .. هذا الأمر يحتاج إلى طبيب ، وتحليل طبي ودكاترة وفحص دم ..فوضى هي ! ..وستذيع الجرائد تفاصيل الخبر لما ينته التحقيق

فاحتجت المدعوة أم سرحان أمام ضيق الممرضة وقالت : أنا لا أدري لماذا الشرطة لم تحدد أمه وأهله لحد اليوم؟!

– قد تكون الشرطة عرفت أهله ، ولا تريد نشره على الناس سترا على المرأة وأهلها ، ولمصلحة الطفل عندما يكبر .. فأخبار كثيرة تكتمها الشرطة عن الناس وعن الجمهور .. فهم لا يرون من سبب لنشر اسم أم الطفل أو أبيه .. فالأفضل لنساء أبو خروف أن يبحثن عن موضوع آخر يتسلين فيه ، ويهتممن بنشرة جديدة

قالت أم سرحان: لكن يا سيدة هدى قريب أم فاطمة امرأة السيد شوكت تقول إن شقيق خطيب فاطمة يعمل مع الشرطة اخبرهم أن الشرطة ما زالت تبحث عن أم الطفل ، لو كانت الشرطة تعرف ما تركت هذه الشائعات رائجة بدون ذكر اسم الأم والأب .. فكلما يقبض على فتاة يظن الناس أنها أم اللقيط .. الإشاعات تظل حقائق حتى تظهر إشاعة جديدة .. فتاة من الحي تختفي أياما تدور الإشاعات على أنها هربت ، وأنها أم اللقيط .. لابد للحكومة والوزير أن يضع حدا لهذه الإشاعات ما دام قد عرفوا أمه وأباه يا سيدة هدى

ردت هدى بهدوء : أنا قلت يا أخواتي قد تكون عرفت أمه وأهله ، ولا تريد فضحهم ، لا تربد نشر الخبر على مسامعنا .. هذا أمر محاكم ومحامين.. وهذه الفتاة الغجرية قلت لكنّ لا علاقة لها بلقيط آل ظبي .. حادثة سرقة فحسب .. وحتى أنني علمت أن هذا اللقيط قد مرض ومات

خلال هذا الشهر المنصرم .

صاحت إحداهن : مات !! مات يا هدى ! وكيف مات؟!

ضحكت هدى وردت: كما يموت الناس .. كيف سنموت نحن؟! انتهى عمره فمات .. والموت لا يفرق بين صغير وكبير وذكر أنثى .. كلنا سيموت كما مات الذين من قبلنا .. هذا ما سمعته من بعض زوار العيادة .. ولكن هل هذا صحيح لا أدري؟! إنما ذكرت ما سمعت ـ رحمه الله ـ وإذا مات استراح من شقاء الدنيا ونكدها

فقالت أم سرحان بعد صمت لخبر موت اللقيط : أنا سمعت مثل هذا الخبر ، ولم أصدقه .. وظننته كلاما فارغا ؛ ليتوقف الحديث عن هذا اللقيط عن تلك الأم المجرمة .. للأسف السيدة أم محمد ظبي لا تتكلم بشيء ، قد زارتها بعض النسوة فقالت لهن : وجدنا الطفل وأخبرنا الشرطة ، وأخذوا أقوالنا وظروف وجود الطفل هنا ـ قصدها الحديقة ـ ولم يعودوا إلينا ثانية .. فالأمر لا يهمنا من قريب ولا من بعيد .. وسمعنا أنهم أخذوا المرأة للفحص ؛ ولكنها لم تتحدث عن ذلك لهنّ

قالت هدى: لأن ذلك لم يحدث ، والذي وجد الوليد ليست هي ؛ إنما هم الأطفال .. واتهامها بدون دليل لا يجوز في القانون أرجو أن تنسين طفل آل ظبي .

نبيل حسين

أخذ نبيل حسين سلامة بعيدا عن الرفاق الجالسين في زاوية أحد البيوت من مربع سكنهم في أبو خروف فقال سلامة: ما بك قد ابتعدنا عن الشلة؟

توقف نبيل وقال: اسمع يا صديقي وأنت تعلم كم صحبتي لك ، وتعلم كم أحب الجلوس معك من سنوات ، وأحب أن أسمع أخبارك وأناتك وشكواك

– ويلك قل ما الأمر ؟! أزعجت قلبي وبدني ، ما رأيك بكأس شراب؟!

قال نبيل : أنت تعلم أنني لا أشرب ، ولا أحب النساء رغم بعض المغامرات من قبلهن والرسائل التي تأتيني منهنّ.. اسمع وصدقني بالصداقة التي تربط بيننا منذ سنوات

قال سلامة : بماذا أصدق أيها الشيطان ؟! أنسيت قصصك وحكايتك عن أبي زيد الهلالي سلامة وعنترة والزير سالم ؟

قال نبيل : سأحدثك عن الكثير منها ، وعن حمزة العرب وسيف بن ذي يزن اليماني كلها قرأتها وحتى أعرف ذات الهمة .. اسمع هل لك علاقة بطفل آل ظبي ؟!

بحلق سلامة برفيق دربه وقال: ماذا تقصد أيها اللعين؟!

– زعم بعضهم أن هذا ابنك من ريانة

قهقهة سلامة حتى ملات قهقهته الساحة وقال: ومن مصدر هذه المعلومة أو النكتة ؟!

– سمعنا بها ، سمعنا أن زوجها قد يطلقها بعد أن اكتشف أنها امرأة ، ولم تكن عذراء .. سلامة يا صاحبي! هل لك علاقة بطفل آل ظبي ؟!

صرخ في وجهه : أمجنون أنت ؟! حتى لو كان لي علاقة هل أرميه في منزل آل ظبي يا ولد ؟ أليس ابن السيدة محمد صديقا لي ؟! أنسيت ذلك؟! ألا تعرفه؟!

قال نبيل متشككا بعد : وهل يمنع هذا من طرح الطفل عندهم ؟!

– اسمع قل لي مصدر معلوماتك الغبية أو قل لمصدرك المريض الدنيء أن لا علاقة لي بطفل الحديقة ولا بريانة .. ريانة تزوجت ستر الله عليها رغم الإشاعات التي انتشرت حول ذلك ، لم

أعاشرها معاشرة الرجل لأهله ..كل هذا كذب وحقد .. وأنت يا مغفل تعلم رغم لهيب الحب الذي بيني وبينها فأنا أحب فتاة المخيم ، كما تحبون أن تسموها .. هي الوحيدة التي سأتزوجها وسأحارب الدنيا من أجلها

– أنا أصدقك يا سلامة .. وأعرف أنك لا تخادعني ولا تكذب عليّ .. وأنا دافعت عنك بشدة أمامهم بدون ذكر أسمائهم .. أنا صعقت لما سمعت الاتهام الصريح .. وكنت أراها عندما تظهر بيننا فجأة ضعيفة نحيفة لا يبدو عليها الحبل .. فهي تركض مثل السعدان وتقفز كالغزال الفار من الفهد الطيار ..ما أخبارها بعد زواجها ؟

– بعد زواجها التقيت بها مرة واحدة ، وليس بيننا إلا الكلام والسلام ، وباركت لها الزواج وتعذرت لها وكان لقاء الوداع .. وأنا أكذب على كل الناس ، ولا أكذب عليك ، ما زنيت بها أبدا .. كان الحب يجمعنا .. فالإنسان إذا زنى بمحبوبته فقدها .. انتهى الحب المزعوم .. فبعد أن يمتلك أغلى ما عندها .. ستصبح في نظره عاهرة ، وليست حبيبة .. أنت لا تعرف ذه المعاني يا نبيل .. فأنت لم تعرف الهوى والسهر والغرام .. إنك لا تصاحب الفتيات لتعرف همسات ولذة الغرام .. أنت تكتب الرسائل للعشاق وشتان بين الحالين

– أرى نفسي أكبر من النساء ، ولا أحب أن أضيع الوقت معهن ، وأنت تعرف عقدتي هذه المهم أنك بريء من طفل آل ظبي

– سخيف من اتهمني بذلك! لماذا الناس منشغلون به ؟! الزنا لا يتوقف والفجور يزداد والأخطاء واردة

– لعل السبب يا سيدي أن هذا أول مرة يحدث في أبو خروف ، فيه كل القضايا الأخلاقية الرديئة السكر القمار السرقة النصب المخدرات القتل الخيانة الزوجية زواج بالاضطرار .. فوجود لقيط كان هذا أول مرة فهو حدث نادر

– ربما يكون فعلا هذا السبب يا نبيل النبيل!

جلس نبيل على درج المدرسة من الجهة الخلفية ، وهذا الدرج لا يستخدمه الطلبة ، فهو لا

يفتح على بوابة المدرسة إنما يفتح على ساحة خالية إلا من الأعشاب الشتوية والربيعية ، واعتقد أنه باب طوارئ عند الكوارث الطبيعية والحرائق ، فكان نبيل ورفاقه يحبون الجلوس على درجه المكون من بضع درجات حيث يلعبون الشطرنج الهواية المفضلة لهم ، وعندما يملون منها يذهبون لساحة المدرسة من الجهة الأمامية حيث ملعب كرة السلة وشبكة كرة الطائرة أو يحولون ملعب كرة السلة لملعب كرة قدم مصغر ، فهم يحبون ممارسة هذه الرياضات وعند التعب يعودون للباب الخلفي للعب الشطرنج والأكل والحديث والدخان ، فكان مقرهم المناسب في تلك الأيام ، وهذه المدرسة على قمة جبل يطل على أبو خروف وعلى جزء من مخيم عودة الأمل ، وكان نبيل يلعب مع رفاق الشطرنج اللعبة الساحرة لمن يعرفها ويفهمها ، وكان سلامة صاحب نبيل يقف على تلة يراقب بيت صديقته بنت المخيم ، الفتاة التي سيقاتل الدنيا من أجل الزواج منها ، وقد حصل هذا في مستقبل الأيام ، وولدت له بفضل الله

الشباب تلعب الشطرنج وسلامة مسلط أنظاره إلى بيت المحبوبة ، وكان ذلك بعد حين من زواج ريانة ، وكان الحال بين نبيل وسلامة سيئا ومتوترا بسبب شيوع شرب الخمر لدى سلامة زاعما أنه يفعل ذلك حزنا وأسفا على فقد ريانة ، فكان يقاوم الشائعات حوله بشرب الخمر والمزيد من السجائر والعصبية ، وكانت تتلاقى نظراتهما في لحظات خاطفة

قال أحد رفاق الشطرنج : أين ذهبت صحبتكم فجأة؟!

توقف نبيل عن اللعب وقال : رغم أن الإجابة ستشتت ذهني ويفوز عليّ أسامة .. أنا لما قبلت صداقته كما تعلمون طلبت منه أن يهجر الشراب في مجلس أجلس معه فيه فقبل ، ولما ذهبنا لمشاهدة عرس وعلمت أنه ذهب ليسكر مع العريس والمغنين ورفاق العريس تركت الحفل وعدت لأبو خروف غاضبا .. أنا لا أحب السكر ومجالسه .. والكل من زعران أبو خروف يعلمون ذلك عني .. وعندما يكون لديهم حفل شراب يتجنبون دعوتي .. هذا مبدأ أحافظ عليه أنا لا أستطيع أن أكون أبا أو شقيقا أكبر .. والفساد يملأ الحي .. وهكذا اتفقنا أنا وسلامة .. وبعد زعلي منه ليلة العرس تدخل أبناء الحلال وجرى الصلح .. وتجدد الاتفاق بيننا وعاد

الوئام .. هل يكون حل المشاكل والإشاعات باللجوء للخمر بزعم النسيان أي نسيان هذا ؟! الشراب يكبر المشاكل ويؤكد صحة الإشاعات والاتهامات .. المشاكل تحتاج لعقل لحلها والتخفيف من ضررها وخطرها .. الهروب من المواجهة والصمت والشراب غير صحيح .. قبل أيام كنا هنا مع الغروب ، طلب منا أن نذهب لشراء طعام لنأكله هنا على هذا الدرج .. والمطعم بعيد من هنا على الشارع الرئيسي .. نحتاج لبعض الوقت مع أنه كان باستطاعتنا الشراء من البقالة التي خلف هذا السور جبنة مرتديلا سردين تونة .. الأكل مع الشباب زين .. ذهبنا ولما عدنا لم يأكل معنا ، ثم همس لي أحدهم أنه أبعدك ليسكر .. أبعدني ليشرب كان معه قارورة خمر .. هذا سبب حردي الأخير عليه .. أخذ لا يكترث باتفاق صحبتنا أيها الأخوة .. أنا أكره كل السكارى في الحي .. وفي كل أبو خروف لا يشرب الخمر في رفاقنا إلا هو .. وهل هكذا يبكى على الأطلال ؟ قد يعشق الفتى وهو صبي مراهق ، وهذا شائع في حيّنا وغيره ، ولا يحصل الزواج إذا كانت الغاية من هذا الحب الزواج .. فالبنات تتزوج قبلنا في سن صغيرة ، قد تلد الحبيبة ثلاث مرات قبل أن يتزوج أحدنا .. فهذه العلاقات الصبيانية عبث ولعب ولهو ومغامرات استعراضية .. هذه هي الحقيقة .. آمنة كم كانت محبة لأسامة ؟! والكل يقول إنهما سيتزوجان ، وتزوجت وولدت وأسامة يجلس معنا يلعب الشطرنج ، يتحسر على أيام الهوى الغلاب .. وقبله سرحان وفتاته أصبحت تنادى بأم أحمد ، وهو ما زال سرحان ، وصارت جارة لأمه .. لقد طلب أحدهم مني كتابة رسالة لفتاة هويها ، فلما ذكر لي اسمها عرفتها فقد كتبت لها عدة رسائل ، وهو اليوم فارس أحلامها ، فتحرجت من الكتابة إليها فقلت له بكل صراحة : هذه الفتاة تعرف خطي ، فقد سبق أن كتبت لها من محبين قبلك ، كتبت لها عددا من الخطابات على لسان عدد من الفتيان ، فعندما ترى الخط ستعرف أنني الكاتب ، فهي تعرفني شخصيا ، وهذه فتاة لعوب .. وأعرف أكثر من خمسة فتيان صاحبوها . لكنه أصر وكتبت له وقال : اكتبها وسأنقلها بخط يدي حتى لا ترفضها ، وأتسلى بها كما تسلى معها غيري . كتبت له رسالة عشق عربية .. فهي تبدل الشباب وتنتقل من فتى لآخر ، كلما يهجرها شاب تبحث عن غيره ، هي

تتسلى وهو يتسلى ، بل لسانها كما علمت لسانا قبيحا ، وقد تساعدك في التعرف على فتاة أخرى وقد تصاحب اثنين أو ثلاثة في وقت واحد .. تأخذ شريط كاسيت من هذا وتهديه لآخر ، ثم تراه يعود للأول في يوم من الأيام .. أهذا حب؟!

قال أحدهم ساخرا : يتدربون عليها ويتعلمون منها على مقابلة الفتيات ومغازلتهن ، ثم يكتشفون عوارها فيهجرونها ويجدون غيرها ، حتى علمت أن سلامة رافقها فترة وملها بسرعة قائلا: لا تصلح للحب ولا للسهر .. وخسارة أن ينفق عليها فلسا ؛ إنما تصلح لنشر الفضائح فقلت له : لكنها لا تمارس البغاء والدعارة . فقال : إنها وقحة لآخر درجة ! قد تتعرى أمامك دون حياء ؛ لتنظر عورتها ، وتتكلم كلاما مخجلا ..وأنا اعرفها أكثر منك ، ولها أصحاب من أحياء أخرى

فقال نبيل : ولكنها تزوجت ، وخرجت من الحي .. وكل الرواة أبطال .. وأعتقد أنها عذراء ، لما نكحت الرجل لم يظهر العوار العجيب إخوتها هل لا يعلمون بالوقاحة التي هي فيها ؟!

– يعرفون ماذا يفعلون ؟ الناس تغض السمع والبصر .. الضرب واللطم ماذا سيفعل؟!

قال أسامة : غرامياتها تزكم الأنوف .. ستر الله عليها .. وارتاح أبو خروف منها

قال نبيل : ليست الوحيدة ؛ إنما هي أجراهنّ على الوقاحة وقلة الأدب .. وسيظهر في الحي من هي أوقح منها .. الحي ولاد لمثل هذه النوعيات من الفتيات .. ذهب الحياء ، وإذا لم تستح فاصنع ما شئت !

جميل

كان جميل يدخل منزل خاله شوكت ـ وقد استأجر بيتا في قلب المدينة ـ فبعد جلوسه قال: خالي في المقهى الخالد

رحبت أم فاطمة به ، واطمأنت على أمه وأبيه، وعادت ترحب : أهلا وسهلا بالعزيز الغالي خالك ذهب للمسجد كعادته ، وبعد الصلاة كما قال سيزورون رفيقا لهم خرج من المستشفى بعد عملية جراحية في بطنه ، يقول خالك إنها صعبة ، وهذا الصاحب من سكان حي المدينة حاليا ، كان من أهالي أبو خروف ، ولما ترمل تزوج أرملة ؛ كأنها ورثت بيتا عن زوجها في حي المدينة ، فأجر شقته هنا ، ورحل ، وهو ما زال على صداقة مع أبي فاطمة

قالت فاطمة : لقد علمنا أنك وجدت بيتا

نقل بصره إليها فقال سعيدا : حسم الأمر يا فاطمة .. سنسكن بعيدا عن الأهل .. جئت الليلة لأبشركم بأني وجدت البيت ، ووقعت عقد الإيجار مع وكيل المالك أحد المحامين .. وجئت أيضاً لنرتب أمر حفل الزفاف يا امرأة خالي

قالت الأم بسعادة : يا ألف مبارك يا ابني ، نحن أهل

– غداً ستمر أمي وأبي للاتفاق على الترتيب النهائي ، ولم يبق إلا أيام يا فاطمة .. وننفصل عن الأهل ،ويصبح لنا بيتنا الخاص .. مبارك يا فاطمة

تمتمت شاكرة داعية ، وسمع أم فاطمة تقول: سنة الحياة يا ولدي ! مبارك عليكم يا أولاد عسى أن يكون الإيجار ميسورا

– عشرون دينارا نهاية كل شهر مع الكهرباء والماء ، والبيت قديم إلى حد ما أجريت عليه تحسينات وترميمات مع الزمن .. والمستأجر طائر مهاجر رغم شقة الترحال .. وسيقوم أمجد بصيانته وإعادة طلاء جدرانه قبل نهاية الأسبوع .. بإذن الله تعالى سيكون جاهزا ، وخلال الأسبوع القادم سيكون مؤثثا يا فاطمة .. نحن ذهبنا وابتعنا أثاث غرفة النوم كما تعلمون ، لم يبق إلا نقلها .. وعليك يا فاطمة أنت وأمك شراء أدوات المطبخ من طناجر وصحون وكاسات

أشياء أولية .. ورويدا رويدا نشتري باقي الأشياء كسائر البشر والأزواج .. وهداني زياد التلفزيون .. والغسالة من أختي جميلة وزوجها .. والمروحة من أمي وبعض لوازم المطبخ .. ونحن حجزنا الطباخ مع غرفة النوم

وقالت أم فاطمة: ونحن جهزنا الفرشات والأغطية وسنهديك فاطمة

ضحكوا وقال : هذه أحلى هدية ، وفاطمة في عيوني

قالت فاطمة: شكرًا يا ابن العمة الغالية

– كانت أمي ترغب أن نبقى معها ، ونعيش معها ؛ لكن الوضع غير مناسب كما شرحت لكم سابقا ، ولكم عندي خبر صغير عن لقيط آل ظبي

ضحكوا قليلا مرة أخرى وقالت أم فاطمة: خبر ! لقد خفت الحديث عنه هذه الأيام ؛ كأن الناس يئسوا من معرفة أهله .. آ ، ما الخبر الصغير الذي عندك ؟!

– الخبر أن شقيقي زيادا همس في أذني أن فتاة قد قتلت بسبب فضيحة جنسية

– وهذا خبر يقال بين الفينة والأخرى يا ولدي يا جميل ما زلنا نسمع أن فلانا قتل ابنته ، وهذا قتل أخته من أجل ما نسميه الشرف ، وهذا قتل امرأته

قال باسما : صحيح هذا الخبر شائع ومنتشر في الأحياء ؛ ولكنّ زيادا يقول: الشرطة تشك أن هذه المرأة المقتولة لها علاقة بطفل أبو خروف ، لقد استدعتها الشرطة وحققت معها قبل مقتلها ولم تعترف بالحمل وإن اعترفت بعلاقات جنسية مع رجال خارج الزواج ؛ لأنها غير ذات زوج واطلق سراحها ، وهم يشتبهون فيها ، ولما قتلت أقر أخوها الفاعل أنه يشك بحملها ، وأنها ولدت سفاحا ، فقد اختفت عن البيت أكثر من ثلاثة شهور قبل أن تعود إليهم ، وهي ليست أول مرة تترك فيها البيت كما قال أخوها الجاني ، ولم تعترف أين كانت طول هذه الفترة ، وعرفت الشرطة أنها كانت تعيش مع رجل في قرية نائية على أنهما زوجان ، ولما وضعت حملها بأيام اختفت من القرية بسيارة خاصة ، ثم ظهرت في بيت أهلها ، ولم يكن معها ولدها .. والرجل تبحث عنه الشرطة قبل إغلاق ملف قضية مقتلها

قالت فاطمة متشككة: قد تكون حادثة أخرى يا جميل ..والوليد لم يظهر

- شقيق الفتاة قال للشرطة : نحن لم نرى حملها ، ولم نر وليدها ؛ لكنها اختفت فترة تخفي الكثير وتوحي بذلك الحمل

- وهي اعترفت بالفاحشة ، ولم تعترف بالحمل

- لكن أهل القرية يذكرون الحمل والولادة ، وأنهم بعد الولادة بزمن يسير اختفوا من البلدة الريفية ، كانوا يظنونهم زوجين كما زعما لهم ، ولما عادت لأهلها عادت بدون طفل أين ذهب إذن الرجل الذي عاش معها هو الذي سيحسم الأمر لدى الشرطة ، وتعرف أهل القرية عليه فهم لما رأوا صورة المرأة عرفوها فورا .. فإخفاء الطفل أو قتله جريمة يعاقب عليها قانون العقوبات والجنايات .. وإذا كان لقيط الحديقة ابنه سيتغير الوضع القانوني ، قد يحبس أو يغرم ويعفى عنه ، ويلصق الطفل به قانونا ، وهو يتحمل تربيته ، وقد يعمل له عقد زواج على المرأة الميتة ، ويصبح الابن شرعيا في نظر القانون

قالت أم فاطمة: لا حول ولا قوة إلا بالله .. هذه الجرائم لا نهاية لها .. الناس تفشل في تربية بناتهم هذه الأيام ، ويسمحون لهن بالسفور والتبرج ، ولا يريدون لهن الوقوع في الآثام

- المجتمع للأسف يتفسخ ، والتربية هي الأساس يا عمتي .. قالت هند (أتزني الحرة يا رسول الله ؟!)

قالت فاطمة : من هند ؟

قال باسما : هند بنت عتبة أم معاوية وزوج أبي سفيان في الإسلام والجاهلية ، قالت ذلك لما بايعت الرسول صلى الله عليه وسلم على الإسلام رضي الله عنها

كانت بعض الأسر في أبو خروف كثيرة العدد بين أبناء أولاد عم خال ، استوطنوا الحي وتكاثروا ، وتجدهم يسكنون ضمن مربع واحد ، ضمن عمارة واحدة ، الأخ الأم الابن القريب وهذا في سائر أبو خروف ، وربما تجد بعض الأقارب ينتشرون في مربعين أو ثلاث ، وذلك مع تطورات الحداثة العمرانية والقروية ، ربما جاءوا من قرية واحدة وعاشوا فيه ؛ لذلك تجد بعض

الأسر عديدة وكبيرة بالنسبة لغيرها من عائلات الحي ، وفي فترة السبعينيات من القرن العشرين لم تكن صالات الأفراح منتشرة بكثرة ومطلوبة ، فبعض العائلات كانت تحب صنع الطعام ، خاصة الطعام في حفلات العرس لإطعام الضيوف والأقارب ، ومن يحضر من أهل الحي ؛ لذلك كانت تتحول ساحة المربع في بعض مناطق أبو خروف لساحة عرس ، وتنصب خيام العرس

للاحتفال قبل ليلة الزفاف بليال للرقص والدبكة والسهر والسمر لنصف الليل ، والعرس يكون في الغالب في شهور الصيف ، بل تبدأ الأعراس مع الصيف حتى يدخل الخريف وينصرف منه أيلول وتشرين الأول ؛ ولكنها تقل في الشهريين الأخيريين ، وبعضهم يجلب فرقة شعبية للغناء والسمر ويقدم الشاي والقهوة والعصير والماء والسجائر وينفخ في القربة وآلات العزف ، وتجد الفتيان يرحبون ويبتهجون بمثل هذه السهرات ، وتتجمع الفتيات والنساء في بيت أهل العريس ، وتحدث الحواديث الخبيثة ، ويقدم الشعار والزجالون ما تجود به قرائحهم من الزجل الشعبي والتغني بالحب وحب الأوطان ، وتسمع زغاريد النساء تلعلع في جو السماء باسم العرس والبهجة والفرحة ، خاصة إذا كان العريس هو البكر لأبويه ، ونهار الجمعة يكون يوم العرس الرسمي والأخير فيقدم للضيوف الطعام واللحم واللبن والرز ، وبعد الغداء توزع بقايا الأطعمة على فقراء وأهالي المربع القائم فيه العرس العربي ، ومع المساء يذهب أهل العريس وضيوفهم للإتيان بالعروس إن لم تكن من أهل الحي بالسيارات الصغيرة والكبيرة ، وتدخل على غرفة أعدت لاستقبالها وجلوسها على منصة أو لوج كما تسمى عندهم ، ويجلس بجوارها العريس بعد حمامه الخاص في بيت أحد أصدقائه مع زفة له بالأغاني والطبلة والموسيقى في شارع من شوارع أبو خروف ولما يدخلوه للجلوس مع عروسه ، يبدأ بعض الناس بالدخول على العروسين ، ودفع ما يسمى بنقوط العرس لأحدهما أو كليهما حسب الارتباطات المالية مع أهل العريس أو العروس ، ويبقى ذلك ساعة أو أكثر ، ثم ينصرف الناس الذين لم ينصرفوا بعد الغداء وبعد الزفة .. فهناك من يغادر بعد تناول الطعام ، ومنهم من يغادر بعد

جلب العروس ، ومنهم من يغادر بعد الزفة ، ومنهم من ينصرف بعد إغلاق العروسين على نفسيهما بيت وعش الزواج ، ربما يبقى القليل في انتظار دخلة العروسين لإطلاق رصاصات ليلة الدخلة كما هو عند بعض الأسر.

وهذه الأعراس الشعبية لا تخلو من بداية العرس إلى نهايته من المشاجرات والمهاترات والعداوات المتوارثة والمتأصلة بين الأسر القريبة والبعيدة ، وربما تتدخل الشرطة لفظ النزاع ووئده قبل أن يكبر ، ويتخلل هذه السهرات عادة اطلاق الرصاص في الفضاء ، إما ابتهاجا بالعرس أو استغلالا للوقت وتجريب المسدس المشترى حديثاً باسم الاحتفال بالعريس ، ورغم تحذيرات الأمن من استخدام الرصاص الحي ما زالت التجاوزات دون اكتراث ودون مبالاة ، وحتى أن بعضهم يستخدم الرشاش المسمى الكلاشنكوف ـ سلاح أصله روسي ـ وهذا يطلق عددا كبيرا ومتتاليا من الرصاص في ضغطة زناد واحدة ، وقد يفقد صاحبه السيطرة عليه ، فيسبب مآسي له وللآخرين ، والشرطة باسم الفرح والمناسبة كثيرا ما تغض الطرف عن استخدام السلاح الحي ، وعادة الجمهور مشغول بالطرب والرقص والسماع عندما يطلق الرصاص ، ومع اطلاق الرصاص ترتفع زغاريد النساء كأن المعركة مع العدو ، قد بدت تقاليد بالية ساذجة ، قلدنا الغرب في الأكل والشرب واللباس ، أما هذه العادة فما زالت حتى بعد هذه الأحداث بعقود حيث نكتب هذه الحكايات

هذا الصيف احتفلت عائلات الدير بزواج عدد من أبناءهم كما يفعلون ذلك كل سنة ، ومضت الليلة الأولى من ليالي العرس على سلام رقص أغاني قربة نفخ شراب دخان طرب زغاريد رصاص ، وليلة الجمعة اليوم الثالث والأخير من السهرات حدث الخطأ القاتل الذي يحذر منه رجال العلم والشرطة ، قلب الحدث العرس والفرح إلى مأتم وحزن وندم حيث لا ينفع الندم كان أحد أقارب العريس يعبر عن فرحه وسروره بإطلاق الرصاص في الفضاء وبعيدا إلى حد ما عن تجمهر الحفل الراقص وخيمة العرس الكبيرة الصيوان أو السرادق ، كان يرفع السلاح بيده عاليا إلى الفضاء ويضغط على الزناد بقوة وبانفعال واضح للعيان ، أزاح أحدهم يديه ،كأن

أحدهم دفعه فجأة فانحرف المسدس وهبطت يده إلى الأسفل قليلا فأصابت الرصاصات بعض الناس ، ووقع طفل على الفور أرضا يصرخ ، ثم مات ، وتوقف العرس على الصراخ ، وحضرت الشرطة للمكان شرطة النجدة والدورية ، ونقل الطفل للمستشفى ، وتحول العرس لترح وبكاء وصراخ وعويل ، وتبين أن القتيل ابن عم العريس طفل اسمه إبراهيم في المرحلة الإعدادية من المدرسة

جلس الأقارب بعد الصدمة ، وقد توقف الغناء والعزف ، وخيم الحزن والأسف والندم ، وهذا يزعم أنه نبههم لخطر الرصاص ، وآخر ذكر بحوادث أخرى ، وقال رجل كبير منهم: من زمن ونحن ندعو إلى الكف عن استخدام الرصاص الحي في المناسبات السارة ..لا أحد يسمع .. يا شيخ خلينا نفرح .. خلينا اليوم نحزن ..هل ستتعلمون؟!

لم يتكلم أحد ، ظل الصمت مخيما حتى رجع المصابون من المستشفى وقال شيخهم : غداً سيكون الغداء للعرس والمآتم .. نسأل الله الصبر لأهل الفقيد الطفل إبراهيم عواد ، وبعد العرس سنجلس للعزاء ثلاثة أيام كالعادة ..وغدا سيذهب الكثير من العائلة للدفن ، وبعد الغداء سيذهب البعض للإتيان بالعروس وبدون أغاني ورقص ، وزفة صامتة للعريس إلى حيث سيسكن .. ونجلس للعزاء في بيت أبي إبراهيم .. وهذه هي حال الدنيا ، وسنتحرك من أجل الصلح بين الأسرتين لتفرج الشرطة عن عبد القادر

حدث همس ولغط من سيذهب يأتي بالعروس والضحية ابن عم العريس ، وقبل أن يستمر الهمس قال الشيخ: آسف أيها الناس أنا نسيت أن القتيل ابن عم العريس .. كلنا سنذهب لأخذ خاطر والد إبراهيم ، وكلنا سيذهب للدفن ، وبعد الغداء المشترك سننتقل لبيت والد إبراهيم وسيذهب والد العريس والعريس وبعض الأخوة الكرام والنسوة لجلب العروس كما ذكرت أولا دون تزمير وطبل ، وأهل العروس سنتصل بهم ونخبرهم بالحال ، والعذر عند الكرام مقبول ، وسيجري الصلح في الليل بعد إحضار العروس ، وعلينا أن ننصرف لم يبق للفجر إلا وقت قصير .. يوم لا ينسى فرح وموت.. بارك الله للعريس ، ورحم الله الميت

أخذ الناس بعد هذا القرار يغادرون المكان ، ويستعدون لمراسم الدفن وانتظار مجيء الجثة من الطب الشرعي ، وكانت العائلة قد انتقلت لبيت أبي إبراهيم للعزاء والمواساة ، وكان البكاء في بيت أبي إبراهيم قائما من قبل النساء .. فعلى الناس التظاهر بالحزن بعد ذلك الفرح ، وكان جدل يدور حول الحق على من ؟ الطفل القريب من اطلاق الرصاص ، من الرامي الذي لم يسيطر على السلاح من دفعة خفيفة

فقال قائل: لم نسمعك تتكلم يا سلامة بعرس قريبك.. أليس إبراهيم من أبناء الحمولة ؟

– نعم ، زيجة شؤم

– شؤم ،ولماذا الشؤم يا إنسان؟!

تكرار الأعراس صيفا في أبو خروف لا يتوقف خلال شهور الصيف ، كما تكلمنا بهذا آنفا تموز آب أيلول وتشرين ، ومع ذلك استمر اطلاق الرصاص في المناسبات والحفلات ، وتزوجت فاطمة شوكت وزفت إلى عريسها السيد جميل ، وغادرت أبو خروف إلى بيت في وسط المدينة الجزء القديم منها حيث العمارات والمباني التاريخية ، ومن عادات الأهالي في أبو خروف وغيره أن يذهب والد العروس وأمها وربما خالتها أو بعض أخواتها المتزوجات في اليوم التالي لليلة الزفاف للمباركة للعروسين ، يذهبون في المساء ومع الغروب يحملون الحلوى والفواكه ويسمونها الصباحية ، رغم أنها تحدث في المساء ، تطمئن الأم على أن الزوج قد تمكن من الدخول بابنتها وأصبحت امرأة ثيبا ؛ لأنه يصحب شعبيا هذه الليلة ضغط نفسي عجيب من الناس ، واليوم أخذت تظهر عادة شهر العسل ، فتؤجل الصباحية ريثما يعود العروسان من رحلة العسل ، أقلها ثلاث ليال ، وقد تطول حسب الإمكانيات المادية والإجازة من العمل ، ومن العادات الأخرى في أبو خروف أن أهل العروس يدعون العروسين في الجمعة الأولى بعد ليلة الزفاف للغداء ظهرا معهم ..فهذه تقاليد منتشرة فأول جمعة لأهل العروس

لذلك بعد صلاة الجمعة كانت فاطمة تنتظر زوجها الذي حضر بعد الصلاة ، وهو يحمل هدية لخاله وأسرته ، وبعد أن استراح قليلا غادرا البيت لأداء الواجب الاجتماعي ومشاركة خاله

الطعام الخاص والمعد لهذه المناسبة ، وأشار لسيارة تكسي ذات اللون الأصفر والذي يعني أنه مسموح له التنقل في أحياء وشوارع المدينة المحافظة دون الالتزام بخط سير واحد ، ركب بجوار السائق وركبت الفتاة في الكرسي الخلفي ، ولما تقدمت السيارة بهما عدة أمتار ذكر اسم المكان المقصود ، فالتفت إليه السائق قائلا: أنت من أبو خروف ؟

– لا ، أهل عائلتي من أبو خروف ، أنا ذاهب في زيارة لهم .. أتعرف أحدا من أبو خروف؟

– أنا أعرف بعض الأفراد منه .. أكيد ما دام نسيبك من أهالي أبو خروف أنك سمعت بطفل أبو خروف اللقيط

– هذا كان من أشهر

– نعم ، أذكر ذلك .. قد أكون أنا الذي حملت الرجل والطفل إلى أبو خروف تلك الليلة

استدار رأس جميل يسارا محاولا النظر في عيني الرجل وقال: أنت ؟! وكيف؟!

– ذات ليلة كنت في وسط المدينة استرزق ، كما تعلم شغلتنا الفر والكر ، كان الوقت بعد نصف الليل قبيل الفجر ، كان رجل يقف على أحد الأرصفة فرأيته فاقتربت منه ، فأشار لي بالتوقف فوقفت فركب في الكرسي الخلفي ، وكان يحمل شيئا لم أهتم به عندما صعد ، عرفت فيما بعد أنه طفل وليد ، واعتقدت أنه ابنه ، وطلب أن أنقله مثلكم لأبو خروف ، وعند الدوار أمرني بالوقوف ونزل ، ودفع لي الأجرة بعد أن زعم أنه نسي ، فناديت عليه فعاد ودفعها الأجرة كاملة، وأخذت أعد لأعيد له الباقي باقي الدينار ؛ لكنه ابتعد وأشار لي بأنه لا يريد الباقي

– هل أخبرت الشرطة بهذه المعلومات القيمة ؟!

– حصل لكن بعد أكثر من عشرة أيام لما شاع الخبر ؛ فأنا أكره قراءة الجرائد ؛ لأنها كلها كذب وأفلام محروقة ، ولا وقت لنا لقراءة الأخبار ، نكتفي بما نسمع من راديو السيارة ، أخذوا أقوالي وقال الضابط: ولماذا اعتقدت أنه طفل أبو خروف ؟ فقلت له : كان وضع الرجل غريبا مرتبكا ولزم الصمت طول الطريق ، والطفل لما سمعت صوته أدركت أنه مولود جديد ، ولم تكن معه امرأة ؛ وفي النهاية ندمت أنني أدليت بشهادتي أرأيت مقابلة الإحسان ؟

قال جميل : لا تغضب ، هم لا يرفضون شهادتك ، بل يريدون سحب المزيد من المعلومات
قال السائق : أنا لما سمعت الخبر من أحد الركاب الطيبين مثلكم تذكرت ذاك الرجل الغامض بل عرفت لماذا نسي دفع الأجرة عندما نزل ؟

أدركت عندئذ انشغال قلبه بالوليد ، وعلمت أن البيت الذي تركه فيه قريب من الدوار .. هل عرفوا أم الطفل ؟

– لحتى الآن لم تظهر أمه ولا أبوه .. الشرطة عاجزة من القبض على أحدهما وحسب الجرائد وإشاعات أبو خروف الشرطة لم تتوصل لشيء ، والسبب أنه ليس أول لقيط تجده الشرطة والمباحث ، ولي شقيق في الشرطة يخبر أنهم يجدون كل شهر أو شهرين طفلا حيا أو ميتا فوجود الخادمات الأجنبيات زاد من ظاهرة اللقطاء في المدن الكبرى ، وأغلبهم يجدونهم أمواتا مخنوقين بعد الولادة مباشرة أو ميتا في أماكن مهجورة غير مطروقة ، فلما يكتشف يكون قد فارق الحياة من أيام .. يا رجل ذكرت إحدى الصحف أن عامل الزبالة وجد طفلا في صندوق الزبالة الكبير ، سمع صوتا فظنه قطا في الصندوق ، ولما تطلع وجده طفلا وليدا ؛ لأن القط لما يشعر بأحد يقفز هاربا، فأخرجه وسلمه للشرطة بعد أن بلغ المسؤول عنه .. أرأيت المجرمين لا ضمير ولا ذمة؟! ألقوه ليموت ويحرق في محرقة البلدية

– حسبنا الله ونعم الوكيل .. الشهوات زادت عن حدها في شرق البلاد وغربها .. ستر الله على عورات النساء ، وكفانا شر هذه الآثام

– لكن يا سيدي هذه الذنوب تؤثر على الجميع .. الجميع يدفع الثمن .. الهوى يدمر الجميع كالوباء الخطير كالجدري مثلا والكوليرا

– الله يحمينا من شر أنفسنا يا أخ ـ أخوك جميل

التجنيد

احتضنت الأم ابنتها وهي ما زالت على باب الشقة ، وقبلتها من وجنتيها ، فأسعد شيء في حياة الأم يوم أن ترى ابنتها عروسا متزوجة ، وكانت تقبلها وترحب بها أشد الترحيب ، وتركتها وقبلت زوجها من وجهه الذي قبل يدها شاكرا

ودخلوا البيت وأغلقت الأم باب الشقة وهي تكرر عبارات الترحيب بالعرسان وهي تشهر سعادتها لهما ، وكانت تقول: أهلا أهلا بالأحباب أحس أن السعادة تغمركم

عانق شوكت ابنته بفرح الأب الذي يحلم بأن يكون له أحفاد ، وانتقل لمعانقة زوج ابنته ابن شقيقته ، وسلم جميل على البنات بالإشارة بعد أن تركن أختهن بعد معانقتها ..هكذا عادات الناس في هذا البلد الاحتضان وتقبيل الخدود للتعبير عن مشاعر الود والحب ، واطمأن الرجل على أخته وزوجها ، وبين لهم جميل أنهم يقرأون عليهم السلام ، وسمع امرأة خاله تقول: قد تخطب زينب قريبا

فقال بنوع من المفاجأة : صحيح يا امرأة خالي ؟

قال شوكت: تفضلوا بالجلوس هاتوا الطعام قبل أن يبرد ، ثم نتكلم عن زينب

قالت أم فاطمة: حاضر يا سيد البيت .. يا أحلى أب للجميع .. هيا يا بنات سيدنا جوعان

– أبدا

مشت الأم والبنات للمطبخ ، وتم إحضار الطعام المكون من أطباق الأرز والسمك المقلي والكفتة المعروفة بالطحينية ، فإن جميل يحبها ، وتناول الجميع الطعام لهذه المناسبة الطيبة ، وخلال الطعام عرفوا أن امرأة من اللواتي شاهدن العرس أعجبت بزينب ، وكان ابنها المتخرج من الجامعة الصيف الماضي يبحث عن عروس فاضلة من أسرة محافظة ، فبعد انتهاء العرس جاءت وتحدثت مع أم فاطمة واتفقتا على موعد قريب ، يأتي الشاب لرؤية البنت وبعدها يحدث الكلام في الزواج والقبول ، فتمنى جميل وفاطمة التوفيق لزينب ، وفجأة بعدما لزم القوم الصمت وأخذت النسوة يرفعن الأطباق والصواني والمعالق والشوك قالت فاطمة : جئناكم

بخبر عن طفل آل ظبي؟

تعلقت العيون بفاطمة وضحك جميل وقال: فعلا لدينا شيء جديد عن لقيط أبو خروف

تركت الفتيات غسل الصحون والأواني وعدن لصالة الشقة لسماع خبر اللقيط ، وقال شوكت: هات ما عندك يا فاطمة

- خبر ساخن ، ونحن في الطريق إليكم ركبنا سيارة تكسي أصفر .. وحكت قصة السائق مع الرجل الغريب ومع الشرطة ومعهم .. وأنه تذكر القصة لما حملهم إلى أبو خروف

قالت أم فاطمة: ماذا فعلت الشرطة بعد هذه المعلومات؟!

- لم تفعل شيئا كما قال الرجل أو فعلوا دون علم الرجل

قال جميل مبينا : لو قبضوا على الرجل لعاودوا الاتصال بالسائق ، الشرطة تبقي الكثير من القضايا للزمن يا خال .. فالرجل شهد أنه نقل تلك الليلة رجلا مرتبكا إلى أبو خروف ومعه طفل بكى أثناء وجوده في السيارة ، ونزل عند الدوار وبيت آل ظبي قريب من الدوار ، وقد يكون فعلا والد الطفل ، وقد لا يكون ، ولم يحدد هل كان الطفل ملفوفا بالجاكيت أم لا ؟ هذا قاله للشرطة ،وقد يكون الرجل مجرد ناقل ، وليس أب الطفل ، أو كلف بقتله ولم يفعل الاحتمالات كثيرة

- ولماذا نقله لهذا الحي يا خالي؟!

- هذا السؤال الصعب ، لا يجيب عليه إلا من وضعه في تلك الحديقة

قال شوكت: أكيد الشرطة لديها معلومات كثيرة ، فربما يكون ما قلت صحيح ، وأنه لا دخل له بالحادث ، أبو خروف فيه عشرات الآلاف من السكان ، والمخيم الأسفل منه فيه عشرات الآلاف أيضاً ؛ لأن بعض الذين يقصدون المخيم يأتون من طريق أبو خروف ويقطعون المسافة سيرا على الأقدام ، فكثير من سكان أبو خروف عائلات تركت المخيم لهذا الحي ، فربما يكون ذلك الرجل شريفا يحمل ولده راجعا به من عند طبيب خاص .. والسائق رجل شجاع لتقدمه للبوليس بالشهادة

- الشرطة تقبل المعلومات ويغربلونها ، قد يكون الرجل كاذبا وقد يكون صادقا
قال شوكت : أكيد الشرطة ليس كل من يتكلم بشيء ستصدقه ؛ لكنهم يهتمون به ، وسيظل الغموض محيطا بالطفل حتى يقبضوا على أمه أو من له صلة به
- صحيح هذا .. مرة قرأت عن قضية أن امرأة وضعت طفلا بعد زواجها بأربعة أشهر ، فاستغرب زوجها والجيران ، ولما خضعت للتحقيق تبين أنها فجرت ، ولما أدركت حملها سفاحا عرضت نفسها على ذلك الرجل بحجة أنها مسكينة غلبانة لا أهل لها في البلد فقبلها زوجة ، وأسفت لخداعها ذلك الرجل ، وفسخ الزواج وأودعت السجن
عادت أم فاطمة ترحب بهم وتسأله عن صحة والديه
- كلهم بخير ، كان زياد عندنا من يومين ، فقد رجع من دورة قصيرة في إحدى الدول العربية والأسبوع القادم سيكون غداؤنا عند أمي وجزاكم الله خيرا
حضر الشاي والجاتو فقال جميل مداعبا حماته: وهل ظل للجاتو وسع يا أم فاطمة ؟
ولما تناول الشاي وقطعة الجاتو الكيك قال: إن شاء الله نأكله بفرحنا بزينب .. بلغت ستة عشر يا زينب .. فالزواج عند هذا السن في القانون
قالت أمها : عمرها ستة عشر عاما ونصف ، فبينها وبين فاطمة عام ونصف .. وهي تركت المدرسة من الثالث الإعدادي ضعيفة ولم تتابع الدراسة .. والشاب لا يريد فتاة متعلمة فقط تعليم متوسط ..والبنت كما تعلم الزواج أفضل شيء لها في الدنيا .. أنا قلت لأم خالد إن البنت لم تتعلم في المعهد ولا الجامعة قالت : وهذا هو المطلوب .
الشاب نبيل يريد أن يخضع للتجنيد الإجباري، فالشباب في أبو خروف عندما يبلغون سن الثامنة عشرة من أعمارهم تلزمهم الخدمة العسكرية إلا إذا تابعوا الدراسة المتوسطة أو الجامعية فيؤجل التحاقهم بالجيش ، وقد تكون الخدمة لسنتين أو ثلاث أو أربع ، وقد يتحول البعض منهم إلى خدمة دائمة ؛ ليحصل على تقاعد عسكري بعد خمس عشرة سنة على الأقل ، وهناك أيضاً الإعفاء عن الابن الوحيد ؛ لأن بعض الأغنياء لا ينجبون إلا واحدا أو اثنين ، وقد يكون

الإعفاء بالبدل المالي .

ونبيل قرر الذهاب لأداء خدمة الجيش قبل الالتحاق بالدراسة الجامعية التي يطمح إليها ، سيذهب لقضاء عامين في معسكرات الجيش ، ولم يسع للإعفاء ، بعضهم يشوه نفسه حتى لا يلحق بالخدمة في الجيش الوطني ، وبعضهم يهرب بعد الالتحاق بالجيش ، تعجب الرفاق من قراره ، فسعى سلامة العسكري في الخدمات الطبية حتى التقاعد الكامل إليه قائلا : لماذا تفعل ذلك لو قدمت الجامعة ؟ ألديك حبيبة هجرتك ؟! أتأمل بمال ؟ فالجيش لا يدفع إلا النزر اليسير .. أنا لي سنوات أخدم في الجيش لا أحصل الستين دينارا .. هل تسرعت في القرار ؟

– لم أتسرع في القرار .. أرغب بالعيش في تجربة جديدة يا صديقي قبل أن ادخل سوق العمل أتعرف على جيش البلد وأخلص من الخدمة التي لا فرار منها إلا بدفع المال أو تشويه البدن .. أنا لا أملك مالا ولا أستطيع تشويه البدن .. وأخدم وأنا صغير خير من أخدم وأنا كبير ولي زوجة

– وجهة نظر قوية .. أنا أمام هذه الأعذار أتمنى لك التوفيق في أي سلاح ستخدم ؟

– لم يحدد لي أي سلاح .. بعد اجتياز فترة تدريب أولية سيحدد لي سلاحا أقضي باقي المدة فيه فالأسلحة كثيرة المشاة الدروع الهندسة الجو المدفعية

– نعم ، لابد من دورة المشاة الأساسية

– هكذا قيل لي ، وسأبدأ خلال أيام بالفحص الطبي اللازم ، ثم سيحدد لنا يوم للتجمع فيه لتأت سيارة عسكرية كبيرة لنقلنا لمعسكر التدريب في صحراء الحميراء

قال سلامة : نعم ، فيه أكبر معسكر تدريب للمشاة في البلد

– شرح لنا أحد ضباط الصف خطوات الرحلة ، بعد الوصول يا سيدي إلى المعسكر التدريبي سيقومون بحلق رأسنا على الصفر كما نقول زيرو .. وتصويرنا لإخراج بطاقة عسكرية تبقى معنا حتى انتهاء الخدمة العسكرية ..وسوف نستلم من مستودعات المعسكر ملابس التدريب وملابس الخروج من المعسكر وأغطية وصندوق لحفظ الأشياء كلها وأدوات حلاقة وملابس

داخلية وسرير في ثكنة عسكرية وصحن وكوب ومعلقة وأشياء عددها ، وحثنا على استلام كل شيء حتى الملابس الداخلية العسكرية والجوارب وجاكيت ومعطف وجوارب ، وقال : لا تترك شيء وهوية معدنية ضروري استلامها وتعليقها كقلادة في العنق

– وسيكون لك تخت ومطعم ونادي لكل سرية .. ستقضي تسعين يوما في معسكر التدريب على اللياقة البدنية والمشي المشية العسكرية المنتظمة .. ذكرتني بتلك الأيام حتى نحن مررنا بهذه الدورة قبل الانتقال لأماكن العمل ، وستدرب على الرماية من بعض الأسلحة الحقيقية والقنابل اليدوية إنه معسكر كبير

– يقولون إنه أكبر معسكر تدريب أولي ، وفيه دكاكين لبيع الخبز والسردين والدخان

قال سلامة : أتعرف أمجد يوسف الملازم ؟

– نعم ، أعرفه إنه مدرب مشاة فيه

– التدرب شاق في البداية ، ومع الوقت سيصبح سهلا وحصص رياضة ركض ركض .. طوابير حتى وقت الصلاة والغداء ، ربما يكون طابور في وقت العصر

– نظام الإجازات قال ضابط الصف قد يكون في الشهر مرة ، وقد يتغير بعد الشهر الثاني وقبل التخرج من الدورة العسكرية .. الطعام موجود ثلاث وجبات للعسكري على حساب الجيش وهناك وجبة عند العاشرة صباحا على نفقة الجندي

– ستعود أسود من حر الصحراء يا نبيل ، لو لك حبيبة ستتركك ولا تعرفك .. سيذهب هذا البياض مع جو الصحراء الحارق ..إذا طالت غيبتك سأمر عليك قد تحتاج للسجائر مع طول المدة .. هل نعود لسماع قصصك ؟! سيسر رفاقك في المعسكر من سوالفك

– وهل نجد وقتا لذلك ؟

– أول الأمر سيضيق الوقت عليك بسبب التعب ، وستستغل كل لحظة للنوم ، وبعد حين نصف شهر على الأكثر ستجد الوقت الكافي للسمر والكلام والثرثرة .. نظام التدريب حتى الظهر .. التدريب على المشية العسكرية المنتظمة يتخللها فترة استراحة قبل الظهر مثل

المدرسة الظهر صلاة غداء ، قد تكون بعد الظهيرة فترة تدريبات فجائية مدتها ساعة من الزمن وربما يحدث ذلك في المساء ، ومع تقدم التدريب يخف التدريب المسائي .. هناك محاضرات ثقافية بين الحين والآخر، والإجازات ستكون بعد الشهر الأول كل أسبوع ظهر الخميس إلى صباح السبت ، والذين يسكنون أماكن بعيدة ربما كل أسبوعين مرة ، ويأتون صباح الأحد أو ظهره ، ربما اتصل بك بواسطة الهاتف من المستشفى الذي اخدم فيه .. فالجيش تقل فيه خدمة الاتصال المباشر إنما الحديث عبر سنترال خاص في كل وحدة ، كل وحدة عسكرية لها مقسم صغير أو كبير ، اتصل بمقسم المعسكر وهم يرسلون من يأتي بك للرد ، وهذا سيحتاج إلى أن اعرف اسم أو رقم الكتيبة التي تخدم بها والسرية والفصيل

- ربما أنا أتحدث معك على المشفى العسكري

- لا يسمحون لكم بالاتصال إلا عند الضرورة القسوة .. هم يحاولون عزلكم عن العالم في الفترة الأولى من التدريب لتتعلق أكثر بالجيش

- أشكرك يا أخ سلامة ، وسيبقى التواصل بيننا رغم فترة الفتور التي أصابتنا بسبب لقيط آل ظبي ..ويسرني سماع أخبارك الطيبة .. وكلها سنتان من الزمان

بعد هذا الحوار بأيام دعي نبيل للتجمع في مكان حدد لهم قريب من قيادة الجيش العامة ، وجاءت سيارات الشحن العسكرية وحملتهم إلى معسكر التدريب الصحراوي ، وحملهم في هذه السيارات نوع من الخشونة العسكرية والتدريب ؛ لأنه عندما سمح لهم خلال فترة التدريب بالإجازات ، كانت تأتي حافلات عسكرية تقلهم إلى أقرب المدن الكبيرة ، وقف ضابط صف يقرأ الأسماء ومن يرتفع اسمه يأخذ حقيبته ويصعد الشاحنة ، ولما اكتمل العدد المطلوب تحركت السيارات إلى الصحراء إلى مدينة التدريب ، وقضت السيارات المحملة بالجنود الجدد ساعات وساعات حتى حطت رحالها في المعسكرات ؛ كأن هذه السيارات من حرب هتلر لقدمها وبطئها ، وعند الوصول ودخول معسكرات التدريب عاد التأكد من الأسماء ، والاستعداد للذهاب إلى الحلاق ، وبعض الشباب حلقوا الرؤوس قبل المجيء ، وبعد الحلق

الذهاب إلى مكان التصوير الفوتوغرافي للتصوير من أجل هوية عسكرية ، ورقم عسكري ، وربما يتأخر هذا الإجراء لليل لكثرة المجندين الجدد ، وبعد الحصول على المستلزمات العسكرية ينقل الفرد إلى ثكنة عسكرية ضمن عشرات من الثكنات ، ويكون في الثكنة الواحدة ما يقارب ثلاثين فردا من مناطق مختلفة من البلاد .



كان يسمح للمجند بعد شهر بترك معسكر التدريب لمدة يومين ، فنزل نبيل قبل المدينة لزيارة الوالدين ، وكان يحب الجلوس في وسط ومركز المدينة في مقهى كوكب، يصحب بعض الشباب للعب الورق والشطرنج ، عند إجازته هذه جلس ورفيقه سلامة وشاب ثالث لم يكن من أهالي أبو خروف ، رحبوا ببعضهم البعض ، وطلبوا الشاي من ساقي القهوة ، وقال سلامة: طالت الغيبة .. الحمد لله على السلامة ..كيف وجدت الجيش؟

– رغم التعب والإرهاق فأنا مرتاح لهذه الدورة البدنية ..وأنت تعلم أنني أمارس الرياضة منذ نعومة أظفاري .. رياضة منظمة ومتعبة ركض مشي عسكري يسار يمين اليد اليمين مع الساق اليسار والعكس صحيح .. توقف الجميع في آن واحد ، وحذاء الجيش له وقع خاص .. وهناك تدريب بسيط على الرماية واستخدام القنابل اليدوية ؛ ولكنها قنابل صوت ليست حقيقية سمعت أحد المدربين يقول هذا لبعض الشباب وهذا كأنه في الشهر الأخير للدورة

قال الشاب حلمي: أنا أول مرة اسمع مجندا رغم أنفه يمدح العسكرية .. أنا لم أصبر عليها إلا ستة أشهر ، ثم هربت بعد عدة مشاكل وقضيتها في السجن ، ثم طردت من الخدمة الإلزامية بعد حبس عدة أشهر

قال سلامة : أنت مدخن يا نبيل كيف وجدت ذلك؟

– الدخان متوفر اختفى فترة مدة أسبوع ، ثم عاد لدكاكين المعسكر وأسعاره أرخص من أسعار

الدكاكين المدنية العادية .. المشكلة ركض تدريب دخان

قال حلمي: كل المواد أرخص في دكان الجيش ؛ لكنه حبس وضبط وأوامر وممنوع لا .. نعم سيدي ، نعم سيدي

ابتسم الشابان له وقال نبيل : يبدو أنك تعذبت في الجيش .. هل تعلمون أن في الجيش سينما؟

قال سلامة مستوضحا : سينما سينما؟!

– في إحدى الليالي الصافية استدعينا لطابور عسكري ، ظننا أن المدرب زهقان ويريد أن يتسلى فينا ، وصففنا نحن والفصائل الأخرى التابعة لسريتنا ، ومشينا بخطوات عسكرية إلى ساحة وعلى جدار أحد الثكنات أو مباني منامات الضباط قالوا لنا ستحضرون فلما سينمائيا وجلسنا على الأرض عدد كثير وبعد الجلوس بزمن أحضر جهاز بث أفلام بروجيكتور وقدم لنا الفلم؛ لكن نسيت قصته أو كأني غفيت ونمت في ذلك الظلام أذكر أنه فلم أمريكي عسكري قديم

– اقترب التخرج

– مضى شهر واحد يا سيدي .. أنت سيدي ؛ لأنك عسكري أقدم مني ، ثم نوزع على وحدات متعددة من شمال البلاد إلى جنوبها .. والواسطات شغالة فبعضهم يعرف أين سيقضي باقي المدة من قبل إنهاء التدريب ؟

قال سلامة : تراعى الشهادات والمهن في التوزيع .. أنت سجلت أن معك ثانوية عامة

– أجل

– ستذهب لوظيفة كتابية ، وستخضع لدورات متخصصة حسب المكان الذي ستسقر فيه .. فهناك وحدات صيانة ودبابات وإشارة وهندسة ولاسلكي ومراسل حربي بريد

قال نبيل : أنت في المستشفى تتعرف على أصحاب هذه المهن والحرف !

– نحن يا سيد ي نتعرف على الضباط الذكور والإناث ، وعلى عائلاتهم وبناتهم أيضاً ، ونعرف حكايات الغرام والهيام .. الجيش مثل باقي الناس .. الحب والعلاقات والغراميات .. هكذا البشر في كل مكان .. مهنة التمريض والخدمة الطبية تعرفك على الكثير من هؤلاء القادة ..

الكل يمرض .. الكل يريد إجازات مرضية .. الفساد في كل الأماكن ، ليس في أبو خروف فقط
قال حلمي كأنه فيلسوف عتيق: الغزو الثقافي والإباحي يجتاح العالم كله ، من الصين إلى أمريكا ومقاومته ضعيفة ؛ كأنهم يريدون هذا دون أن يعترفوا بهذه الحقيقة المرة ، حتى أن دور السينما عندنا بدأت تتجرأ على الدعاية لأفلام إباحية.. بدأت تقطع الفلم لنشر مقطع أو مقطعين من مقاطع الجنس .. هناك سينمات تبث فلم جنس كامل .. كنت أتابع فلم كارتيه أو هندي فقطع الفلم لبث مشاهد فاضحة لإثارة الغرائز والفواحش .. هذه دعارة يا سلامة مكشوفة

ضحك الشابان من جديد على حماسة حلمي وقال نبيل: وماذا نستطيع أن نفعل يا حلمي بعد أن عرفنا الداء؟! لا أنت مدير مطبوعات ولا أنت مدير شرطة ولا أنت وزير مسموح له التدخل .. لا تذهب أنت وأنا وسلامة للسينما بعد حين من الزمن تغلق أبوابها .. لماذا لم تنجح السينما والمسرح في القرى البعيدة والبلدات ؟ لا رواد .. صاحب السينما تاجر لا ربح يغلق المصلحة ، ويبحث عن غيرها .. كلنا يعرف أن سينمات أغلقت أبوابها أو غيرت أسمائها

قال سلامة: نعم ، هذا الحل البسيط نهجر السينما

قال نبيل : الواقع الأخلاقي في البلاد العربية والإسلامية لا يسر .. نسمع عن واقع الأخلاق في تركيا التي كانت أم الإسلام ما يسد النفس عن الأكل .. ومصر حدث ولا حرج أم السينما العربية مصر .. ولكن كما نقرأ بدأت الصحوة الإسلامية تطل على الناس .. والشباب الصغير يرتاد المساجد للصلاة وتعلم القرآن وطلب العلم ، ولم يعد يقتصر الجامع على الكبار والشيوخ فقط .. الماركسية الإباحية الماسونية المادية تعرت أمام الناس

قال حلمي: أتفهم في كل هذه الأشياء يا أستاذ نبيل؟!

- شيء بسيط .. الشيوعيون نراهم في أبو خروف ؛ ولكنهم بعد حادثة نضال الكلبي المعروفة للجميع ضعفوا ونقلوا نشاطهم لأماكن أخرى كفانا الله خطرهم .. والإباحيون تركوا لنا لقيطا في بيت آل ظبي .. هل من شيء عنه يا سلامة ؟ كأن الناس نسوه ، هل من جديد يشغلهم؟

قال سلامة: الإشاعات لم تنته ، ولن تنتهي ، وقصص المراهقات والعاشقات لم تنته ، ستبقى

الحكاية ، سمعت أن إحدى النسوة ترددت على بيت آل ظبي أكثر من مرة فشك الناس أن لها علاقة بالوليد مع أن الوليد كما هو معلوم عند الشرطة .. يزعمون أنها تذهب لسماع المزيد من المعلومات من أم محمد آل ظبي ؛ كأن الشرطة تنقل لها المعلومات

فقال حلمي : أمعقول أن الشرطة وأجهزتها لهذا اليوم لم تعرف أمه ؟! الحق أنهم يكتمون الحقيقة والخبر خوفا على الأم من القتل

قال سلامة بحزم : حسب المعلومات لا أحد يعرف الحقيقة بعد ، ولو عرفت الشرطة أم الطفل لتسرب الخبر بعد هذه المدة ..أخطر من ذلك وتسرب .. الصحف ما مهمتها إلا رصد الأسرار والأخبار .. والشرطة تهمها نجاحاتها ..خاصة مدير الشرطة الكبرى تكون دعاية له وإنجاز على الأقل .

مشاهدة

أتى الشاب الجامعي وأمه وخالته لمشاهدة زينب شوكت ، واستقبلتهم أم فاطمة على الباب وأدخلتهم صالة البيت غرفة المعيشة كما يقول البعض، وبعد حين يسير أتت زينب تحمل صينية القهوة وكأس الماء فوقها ، وألقت التحية بصوت منخفض ، وقدمت القهوة ،وأمها تعرف لها النسوة ، هذه أمه أم حامد ، هذه خالته أم محمد ، وهذا الشاب حامد ، وكانت زينب تهز رأسها وتتمتم أهلا أهلا أهلا ، تناول الجميع فناجين القهوة ، وأشارت لها أمها إلى المحل الذي ستجلس فيه ، وتفعل ذلك ونظرها إلى الأرض ، ولكن العيون تختلس اللحظ فقالت أمه: هذه هي الصبية يا حامد اسمها زينب .. هذا حامد يا زينب تخرج هذا الصيف من الجامعة وسيتوظف قريبا

- أهلا وسهلا بكم جميعا

أخذ حامد يرشف القهوة ، وينظر للفتاة ويسمع لأمه التي أخذت تمدحه ، وتبين طيبته وصبره على الدراسة ، وخالته أيضاً كالت له المديح ، وجرى التعارف عن أصل البلد ، ولما قضي الشرب أخذت الفتاة الفناجين ،وانسحبت إلى المطبخ والشاب يطاردها بعينيه ، فقد رآها وسمع صوتها ورأى حياءها ، ولما بدأ الاستعداد للخروج قالت أم حامد: خلال يومين يا أم فاطمة سأتصل بكم أو أمر عليكم .. والأمر لله وهو الذي يحكم ويقضي

قالت أم فاطمة: أهلا ومرحبا بكم في أي وقت .. البيت بيتكم ، نحن أهل .. شكرًا على مجيئكم ونحن تشرفنا بالتعرف على حامد وخالة حامد أم محمد .. وأنا في انتظار تلفونك يا أختي يا أم حامد

تصافحت النساء ، وهنّ يدعون لبعضهن ، ويودعن أم فاطمة ، ولما نزلن الدرج أغلقت أم فاطمة الباب ، واستدارت لصالة المعيشة لتجد زينب وبثينة فيها ، فلما جلسن قالت : آ يا زنوبة هذا هو عريس السعد .. هذا هو حامد

قالت بثينة: شكله حلو مقبول يا أمي .. شاب عاقل كان يحب الاستماع لم يتكلم كثيرا

- أرأيته؟!

- من ثقب الباب

- آ ، يا زينب

قالت زينب : كله بأمر الله ، والكلام لك ولأبي

قالت بثينة: ولك يا حلوة، اليوم البنت رأيها في الأول والأخير .. زمان الأب والجد والعم ولى

قالت أم فاطمة : صحيح ! راحت هذه العادات ، كان الجد إذا قال كلمة لا ترد ، مثل ضربة السيف ، وإذا قال فلانة لفلان مثل القرآن .. اليوم الجد مسكين يتفرج وبس ، نزل عن عرشه اليوم الرأي كله للبنت .. والزواج أخطر وأهم قرار في حياة البنت .. هو المستقبل هو الحياة يا بنات ، إما أن تحيا سعيدة بزوجها وإما أن تشقى به

قالت بثينة: يعني لو جاء أحد يطلبني ستزوجونني على طول قبل أن أدرس الجامعة

- أنت بعدك في الثانوية الأولى ، لما يأت ابن الحلال يخلق الله مالا تعلمون .. نحن سنزوج زينب الآن ؛ لأنها تركت المدرسة .. والزواج سترة وأسرة جديدة وحياة جديدة

طرق الباب ودخل أبو فاطمة ، لم يكن الباب مغلقا بالمفتاح ؛ كأنها مع الفرحة نسيت أم فاطمة إغلاقه ، رد السلام ولما جلس سأل : الباب مفتوح لماذا ؟

قالت بثينة: كانت أم حامد هنا قبل قليل ؛ كأن أمي مع الفرحة نسيت إغلاقه خلفهن .. أهلا يا أبي

توجه بوجهه لزوجه وقال : أتى العريس يا أم فاطمة

قالت بثينة : شاب عاقل ساكت يا أبي

قال مازحا : وهل قابلته زينب أم أنت؟!

- أنا لم أقابله ، من ثقب الباب تأملته وأمه وخالته.. أسمر البشرة متخرج من شهور .. وشرب القهوة ورأى ست الحسن زينب

- ورأى العروس وهو يشرب فنجان القهوة

قالت زينب: القول لكم يا أبي ..ما ترونه مناسبا لكم يكون مناسبا لي

دعا لها شوكت بالتوفيق والستر ، وقال: هذا كان زمان يا زينب الطيبة ، كان الأب يزوج ابنته دون أن ترى عريسها إلا ليلة الدخلة .. اليوم التقاليد تغيرت ، ورجعت الناس للدين ، وعلى رأي بعضهم استنوق الجمل .. على كل حال نحن إذا قبل الشاب بك سوف نسأل عنه الجيران حتى نطمئن عليك.. أفهم أن لا اعتراض على شخصه ما دامت بثينة رأته وقبلته

هزت رأسها بأنه مقبول فقال: على بركة الله يا زينب .. وأنت بنت هادئة والذي تكونين نصيبه سيرتاح معك صح يا أم فاطمة

– أكيد أكيد ست بيت رغم صغرها وشاطرة في الطبيخ ونشيطة في العمل .. وحماتها إذا صار نصيب امرأة عاقلة وفهمانة

– وأنا وأمك تهمنا سعادتك وسعادة أخواتك ، وقريبا سنفرح بك ـ إن شاء الله ـ كما فرحنا بزواج فطومة ولبثينة في المستقبل القريب .. أنتم امتداد حياتنا

قالت بثينة: أنا أحب أن أتزوج كسائر بنات جنسي ؛ لكني يا أبي راغبة بالدراسة في الجامعة

قال شوكت رضاً: هذا منانا يا غالية أن تتعلم واحدة على الأقل مثل أبيها .. أنت كملي الثانوية وأنا على استعداد لذلك يا حبة العين

– سأشد على نفسي واجتهد ..بس ظل عند وعدك

– وإذا جاء العريس

– أرفضه ..أنا فعلا يا أبي أطمح بدراسة الجامعة

– على بركة الله ، انجحي بإذن الله في الثانوية العامة ، وابشري بالجامعة .. أنا لست ضد تعليم البنات .. الزمن تغير .. أخواتك هنّ لم يستطعن الوصول للثانوية العامة

قبلت بثينة والدها شاكرة وفعلت بأمها مثل ذلك ، وقالت: أسمعت يا زينب دين أبيك ؟ تذكري هذا لتكوني شاهدة عندما آخذ الثانوية العامة .. من الآن سأضاعف جهدي لعلني أحصل على معدل يليق بي وبطموحي .. أشكرك على هذا الأمل الذي زرعته في قلبي

قالت أمها: على بركة الله ، وكما قال أبوك ليس لنا في الدنيا إلا أنتن الحمد لله رب العالمين
اتصلت أم حامد بأم فاطمة وأبلغتها قبول حامد بابنتها زينب ، ورغبة والده وحامد اللقاء بالأستاذ شوكت وزيارتهم ، فرحبت أم فاطمة بهم جميعهم
واستقبل السيد شوكت والد حامد وحامدا عصرا ، وجرى التعارف ، وتعرف شوكت على عريس ابنته زينب ، وفي نهاية الكلام قال أبو حامد : نحن تشرفنا بمصاهرتكم يا أبا فاطمة وشكرا على قبولكم المبدئي .. وأسأل عنا من تشاء ، وستجدنا عند حسن الظن ، ولا نتكلم إلا بالصدق .. فاعلم أن حامدا قد قابل فتاة قبل ابنتكم ، ولم يحصل النصيب ، ولكم أن تسألوا عنا كما سألنا نحن عنكم ، ووجدناكم من أحسن الناس ، ولن نجد ناسا مثلكم طيبين نحن على قد حالنا مثلكم ، وإذا صار نصيب يا أبا فاطمة يتزوج حامد آخر تشرين الثاني أو في أول كانون الأول ، لن ننتظر للصيف القادم
- هذا أفضل يا أبا حامد .. الخطبة الطويلة مملة للعروسين ولأهل العروسين ويا مرحباً بك وبحامد .. ونحن شرف لنا مصاهرتكم ومناسبتكم ؛ لكن علينا أن نسأل عنكم كالعادة لتبرئة ذمتنا من خطية البنت .. وأنتم ذكرتم كل المعلومات فقط يومان ثلاثة يا أبا حامد
- حق لكم يا سيدي الفاضل ، والآن اسمحوا لنا بالانصراف .. وننتظر تلفونكم لنحضر جاهة تليق بمقامكم
صاحت أم فاطمة: الشاي يا جماعة
- شربنا القهوة يا أم فاطمة من أيدي العروس
-والشاي يا أبا حامد .
أحضرت زينب الشاي وقدمته للضيوف وخرجت ، وبعدما شربوا الشاي ، ودعهم أبو فاطمة حتى الشارع ، ولما عاد للبيت وجد زوجته تنتظره على الباب فقالت: أبو حامد رجل ترتاح له النفس
قال شوكت : غداً سأذهب إلى حيهم وأسأل أصحاب الدكاكين وبعض جيرانه .. والرجل

طيب كما قلت ، وليطمئن بالنا على زينب

- ضروري فعل ذلك ، حتى لا نندم ونقصر في حقها ، ونقول يا ليت

- يبدو من مظهرهم أنهم أناس طيبون مثلنا كما قال أبو حامد عنا .. وحامد نفسه هو الراغب بفتاة غير متعلمة في الجامعة أو المعهد .. تعرف على فتاة في الجامعة ، ولما صار الكلام بشكل جدي ، اعتذرت له عن الزواج زاعمة له أنه ليس الزوج المناسب .. أرأيت وقاحتها ؟!

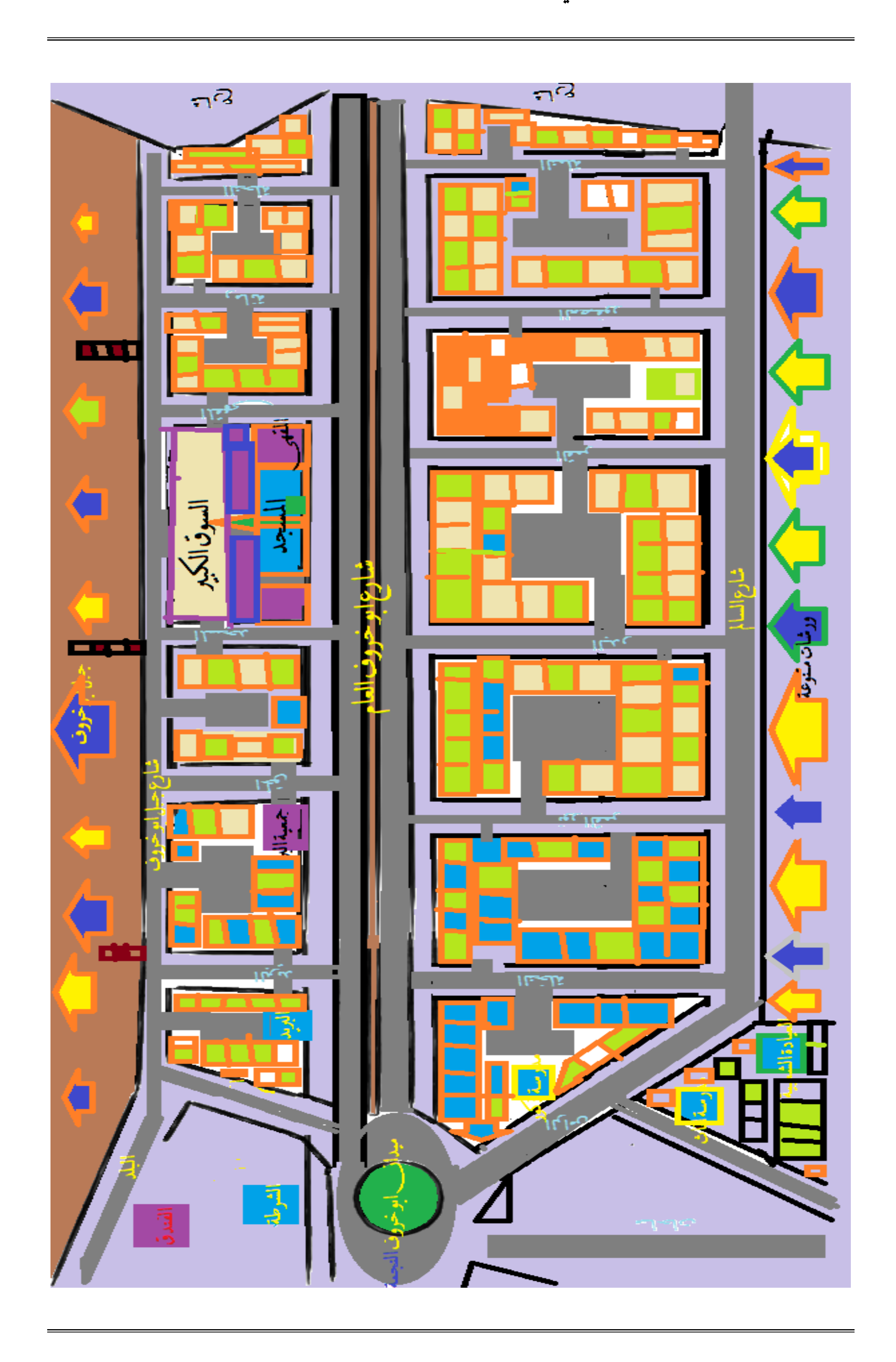
قالت : ربما أهلها رفضوه فقالت له ذلك ، فتعقد من الجامعيات والمتعلمات من أجلها .. فهذا من حظ زينب .. سبحان الله .. وهو القدر والنصيب كما نقول

أتى جميل وفاطمة للسهر عندهم في الليل ولمعرفة آخر أخبار زواج زينب ، ولما سمعوا ما يحبون قال جميل لخاله : أنا أعرف هذا الحي .. سأذهب عنك يا خالي .. فلي زميل عمل يسكن في ذلك الحي .. وهو في قسم غير قسمي تقابلنا من فترة ، وأعتقد أن تلفونه عندي ، وسأتصل به من العمل وأشرح له الغاية ، وسيسهل علينا المهمة ، ويأخذني لمن أسأل ، وربما هو يعرف حامدا وأهله .. المقاهي اليوم في الأحياء تساعد في الإجابة ؛ لكنّ الناس يستحون من بعض ، ويكتمون النصيحة والاستشارة بحجة الستر .. وهم ليل نهار يخضون في أعراض الناس .. وأهل المسجد القريب تجد عندهم بعض الحق

- بارك الله فيك يا جميل ! أنت الله عوضني بك عن الأولاد .. بارك الله فيك

- شكرا ، وفيك يا خال !

تمت الحكاية العاشرة


السوق الكبير
المسجد
شارع ابو خروف العام
شارع السلام
البريد
الشرطة
الفندق

حكايات الحي أبو خروف

١	ليلة العرس	٢	شمس عمري
٣	أيتام الحداد	٤	صديق أمي
٥	الأخ شريف	٦	أستاذ الفرنساوية
٧	غربتي وابنتي	٨	حي أبو خروف
٩	الشقق السوداء	١٠	حياتي قبل الحياة
١١	الحفل بالقط الأسود	١٢	امرأة نزيه
١٣	رهاب الطلاق	١٤	

حكايات الحي أبو خروف

هوايتي قراءة الكتب والقصص ، دخلت الحي المشهور بأبي خروف في مدينة دار السلام ، وخُبرت عن مآسي وقعت أحداثها فيه ، فسمعت منها الكثير أثناء عيشي فيه ، وانتقيت لكم عشرا منها ، وراعيت سنواتها ، وتركت الكثير من حكايات الحي أبو خروف ، ولا يعني هذا الكلام عن مآسي البشر أنه لم تكن فيه حكايات ناجحة ومثيرة وكلها سعادة ؛ بل هي الكثرة الغالبة .

وكما عُلمنا صغارا السعيد من اتعظ بغيره والشقي من اتعظ بنفسه ، وقد قرأنا في الكتاب العظيم ما أصاب عاد وثمود ومدين وسدوم .

لعلك صديقي القارئ تستمتع بما دونت واخترت لك ، وتحمد ربك وتشكره ببعد الشقاء عنك عندما ترى مآسي البشر والأسر ، وترى ضعفهم عندما يبتعدون عن الصراط السوي ، ويسيرون وينغمسون مع شهواتهم وملذاتهم دون عقل وضابط وخُلق ودين .

المحب لكم جمال

٢٠١٣



العائلة

امونة الخياطة

طبيب ابو خروف

شحاذ ابو خروف

عاقبة لص

زواج في الصحراء

الحفيد السارق

هجر المخيم

ضلال شاب

طفل الحديقة